نفحة الريحانة

ورشحة طلاء الحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي

١٠٦١ - ١١١١ هـ

تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو

الجزء الرابع

عيسى البابي الحلبي وشركاه

نفحة الريحانة

ورشحة طلاء الحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي

١٠٦١ - ١١١١هـ

تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو

الجزء الرابع

عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى
١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م

الباب السادس

في عجائب نبغاء الحجاز


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هذا الباب وربِّ الكعبة ، أعظمُ ماحَوته الجُعْبة .

وهو باب واسع الأطْناب ، والإيجازُ [1] فيه أولى [1] من الإطْناب .

فإذا قَلَّ مَدحِي فى أوصاف أهلِه نَثِيرا ونَظِما ، فإن فكرى يمرُّ بِنَعْتِهم فيقفُ له إجلالاً وتعظيما .

فإن بسطتُ القولَ ، مع هذه القُوَّة والحَوْل فعلى الصِّراط أُحْكِم الأوصاف ، وفى المِيزان أتوقَّى الإنْصاف .

وغاية ما أقول إذا وجَّهتُ إلى الكعبة مَجْدِهم صلواتِ التَّقْديس والتعظيم ، وزينْتُ مَعاطِفَها بدُرِّ ثَناء أبْهَى من دُرِّ العِقْد النَّظِيم :

كفى شَرفًا قُطْراً به أهــلُ مكةٍ على جسَدِ المجدِ المُؤثَّلِ رَاسُ

وما الناسُ إلَّا هُمْ وليس سواهُمُ إذا قال ربُّ الناسِ يا أيها النَّاسُ [2]

فأوَّلُ مَن أبدأُ به [3] منهم آلُ [3] البيتِ والمَقام ، ورؤساء النَّبْعة التى تقرَأُ فى صحائفِهم فواتحُ الأرْقام .

وهم الأشرافُ بنو حسن بن أبى نُمَىّ [4] أصحابُ النَّسَب الواضِح ، ونُخْبة قُرَيْش الأباطِح .

ورَوْنَق ضِنْضِئ [5] المجد وبُحْبُوح [6] الكرم ، وسَراةُ أسرةِ البلدةِ التى أكنافُها حَرَم ، وذُؤابةُ الشرف التى مُجاذبتها لم تُرَمْ .

مَوطِنُ الفضل المُبِرّ ، الذين سَقَوْا شجرَ الكرَم بِغَيْثِ البِرّ .

---

(١) فى ج : « أولى فيه » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ب : « إلا هم وليسوا سواهم » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « من أهل » . (٤) تولى الحسن بن أبى نمى بن بركات الخلعة الأولى سنة إحدى وستين وتسعمائة، واستقل بالملك وأعبائه بعد وفاة والده سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ، وتوفى سنة ثمان بعد الألف .

انظر سمط النجوم العوالى ٤/٣٥٢، ٣٥٥، ٣٦١ .

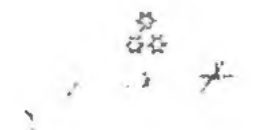
(٥) الضنضىء : الأصل والمعدن . (٦) كذا بالأصول ، وبحبوحة المكان : وسطه .

أقول فيهم مَقالةَ يحيى بن معاذ [١] : طِينَةٌ عُجِنتْ بماءِ الوَحْيِ وغُرِستْ فيها أشجارُ النُّبُوَّة ، وسُقِيتْ بماء الرِّسالة والفُتُوَّة .

فهل يفوحُ منها إلا مِسْكُ الهُدَى ، وعَنْبَرُ التُّقى ، وهل تُثْمِر إلَّا ثِمار النَّدى ، وتَهْدِل إلَّا الأغصان الشَّامخة المُرْتقى ؟

شَرفٌ ضخمٌ ونائِلٌ جَزِيل ، وفَخْرٌ شاهِداه وَحْيٌ وتنزِيل .

يفتخِرُ الزمانُ بوُجودِهِم على مامضَى من الأزْمِنة وسَلَف ، ويُتوِّج الدهرُ بأيَّامهم الخضْر رُءوسَ سِنِيِّه فيحصُل لها بذلك غايةُ الشَّرَف .





(١) أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى .
من الزهاد الوعاظ ، وهو من أهل الرى ، انتقل إلى بلخ وأقام بها .
وتوفى بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين .
تاريخ بغداد ١٤/٢٠٨ ، حلية الأولياء ١٠/٥١ ، الرسالة القشيرية ٢١ ، طبقات الصوفية للسلمى ١٠٧ .

٢٦٧

الشريف إدريس بن حسن (*)

سُلطان الأكياس، ومَن سيرتُه سيرةُ ابنِ سيِّد الناس.

رفَعه اللهُ مكانا عَلِيّا، وأغْدَق عليه عِهادَ (١) المجدِ وَسْمِيًّا ووَلِيّا (٢).

فأبْوابُه (٣) كعبةٌ تطوفُ بها آمالُ العُفاة، وتُصلِّي (٤) بالقُبَل إلى أبوابِها الشِّفاه.

وثَمَّ رأْيٌ يختفي منه في غِمْده السيف، وصدرٌ يَسَعُ رِحْلةَ الشتاء والصَّيْف.

إذا سطا فالشُّهبُ من نِصاله، وإذا فَخَر فالمجدُ أقلُّ خِصالِه.

فلو راعَ الهِضابَ لانحَلَّت مَعاقدُها، أو تناوَل السماءَ لخوَتْ فَراقدُها.

إلى نِعَمٍ أنْجَدتْ (٥) على صَدماتِ (٦) الزمان، واتَّخذت عقيدةَ الكرم كعقيدة الإيمان.

فحَضْرتُه مَقْصِدُ المُنْتاب، إذا حَدَت الحُداةُ ذواتِ الأقْتاب.

* * *

وله أدب راقَ ورَقّ، وشِعْرٌ رقيقُه لِحُرِّ العقول استَرَقّ.

وقد وقفتُ له على ترجمة، ترجَمه بها السيد محمد المُرْتضَى الحلَبيّ (٧) فلم أتمالكْ إلا أن ذكرتُها.

(*) الشريف إدريس بن الحسن بن أبي نمي.

ولد سنة أربع وسبعين وتسعمائة، وولى مكة بعد أخيه أبي طالب سنة إحدى عشرة وألف، وأشرك معه أخاه السيد فهيدا ثم خلعه، وأشرك معه ابن أخيه الشريف محسن بن الحسين بن الحسن.

واستطاع الشريف إدريس بمعونة ابن أخيه أن يتقدم شرقا إلى قرب الأحساء، واجتمع له من العز والجاه الشيء الكثير.

وانتهى أمره بتنازله عن ولاية مكة لابن أخيه الشريف محسن، سنة أربع وثلاثين وألف، وتوفى في هذه السنة في جبل شبر، ودفن بمحل يسمى ياطب.

خلاصة الأثر ١/ ٣٩٠–٣٩٤، خلاصة الكلام ٦٤–٦٦، سمط النجوم العوالي ٤/ ٣٩٢–٤٠٦.

(١) العهاد: أول مطر الربيع، وكذلك الوسمي. (٢) الولي: المطر يسقط بعد المطر.

(٣) في ا: «فأبواه»، والمثبت في: ب، ج. (٤) في ا: «وتصل»، والمثبت في: ب، ج.

(٥) في ا: «أم نجدت»، والمثبت في: ب، ج. (٦) في ب، ج: «صدحات»، والمثبت في: ا.

(٧) تقدمت ترجمته، في الجزء الثاني، صفحة ٢٨٣، برقم ١١٣.

قال فيها[١] : ذو الجبين المستنير بالعِرْفان، إذا غدا غيرُه جهولا مُقنَّعا بقناع الذُّلِّ والهوان.
ماجدٌ احْتَبى بنطاقِ المجد كما احْتَبى بالسَّحاب[٢] ثَهْلان[٣] ، وجَواد أقسم جودُه
بيوم الغَدِير[٤] والنَّهْرَوان[٥] .

فأُقسِم برَبِّ البُدْن تَدْمَى منها النُّحور ، إنه الوارثُ منه وَقْفةَ الحجيج والوِفادة ،
وسِقايتهم[٦] والرِّفادة .

وشُهودُه[٧] على ذلك مِنًى والمُخَيَّف[٨] ، وضَمُّ الصَّفا والمُعرَّف .

كما قال الشاعر[٩] الرَّضِيّ[١٠] :

له وَقَفاتٌ بالحجيجِ شُهودُها ... إلى عَقِب الدنيا مِنًى والمُخَيَّفُ

ومن مَآثِراتٍ غيرِ هاتيك لم تزَلْ ... له عُنُقٌ عالٍ على الناس مُشْرِفُ

سار المذكور فى أهل[١١] الحجاز بسِيرةِ جَدِّه ، من غير أن يُغمِد فيهم سيفَ حَدِّه .

ومما أُنْشِدتُ له من شعر المُلوك المحمود ، وإن قيل : شعرُ الهاشِميّ لا يكاد[١٢] يجُود .

قولُه فى الاعْتذار عن خِضاب الشَّيب بالشَّباب المُتلبِّس[١٣] بالمَعاد[١٤] ، والتَّسرْبُل
على مَوْتِ الصِّبا بثِياب الحِداد :

قالُوا خضبْتَ الشَّيْبَ قلتُ لهم نعمْ ... ما إن طمِعتُ بذاك فى رَدِّ الصِّبا

لكنَّ عقلَ الشيبِ ما أحْرَزْتُه ... فخشِيت أن أُدْعَى جهولاً أشْيَبا

☆☆☆

(١) نقل المصنف هذا عن الأنموذج ، وهو فى الخلاصة أيضا ١/٣٩٢ . (٢) فى خلاصة الأثر : «بالسحائب» .
(٣) ثهلان : جبل ضخم بالعالية ، وتقدم . (٤) يعنى بالغدير غدير خم ، وهو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة . معجم البلدان ٢/٤٧١ . (٥) النهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى ، وكان بهـا وقعة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه مع الخوارج مشهورة . معجم البلدان ٤/٨٤٦ .

(٦) فى ا : «وسقاياتهم» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر. (٧) فى ا : «وشهودهم» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٨) يعنى الخيف ، خيف منى . (٩) فى خلاصة الأثر : «الشريف» . (١٠) ديوان الشريف الرضى ٢/٥٢٦ . (١١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب، ج، وخلاصة الأثر . (١٢) ساقط من : خلاصة الأثر . (١٣) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وفى خلاصة الأثر : «الملبس» . (١٤) فى ب ، وخلاصة الأثر : «المعاد» ، والمثبت فى : ا ، ج .

٢٦٨

السيد أحمد بن مسعود بن حسن*

نابِغَة السَّادة ، ومن له فى الفضل صدرُ الوِسادة .

لم تُنْجِب بمثله أمُّ القُرَى ، ولم تَنْضمَّ على مثلِ وُجودِه الشريفِ العُرَى .

نَفَذ [1] فى العِزِّ نُفوذَ السَّهم ، وبلغ العَلْيا بمِراجِ الفهم .

وبرَّز فى فرسان الكلام وشُجعانه ، وجاء من الشِّعر بما هو أنضر من عَهْد الصِّبا فى رَيْعانِه .

فللهِ ما أقْوَمَ نَهْجَه ، وأوْثَق نَسْجَه .

وأسمح ألفاظَه ، وأفْصَح عُكاظَه .

وأحمدَ نِظامَه ونِثارَه ، وأغْنَى شِعارَه ودِثارَه .

يَجولُ بذهْنِــــه فى كلِّ شىء ... فيدركُه وإن عَزَّ المَرامُ

تطوف ببَيْتِ سُؤْدِدِه القوافِى ... كما قد طاف بالبيتِ الأنامُ

وتسجُد فى مَقامِ عُلاه شُكراً ... ونِعمَ الرُّكْنُ ذلك والمَقامُ

وكانت له هِمَّة تُجاوِز الأُفُقَ مَصْعَدا ، ولا ترضى إلا فلكَ الأفلاك مَقْعدًا .

(*) الشريف أحمد بن مسعود بن حسن بن أبى نمى الحسنى .

أديب بارع ، وشاعر مفلق .

توجه إلى شهارة فى بلاد اليمن ، سنة ثمان وثلاثين وألف ، وامتدح إمامها محمد بن القاسم ، وطلب مساعدته على تخليص مكة المشرفة له من الشريف أحمد بن عبد المطلب ، فلم يحصل منه على طائل ، وعاد إلى مكة .

ثم توجه إلى الروم سنة إحدى وأربعين ، ومدح السلطان مراد خان ، وسأله تولية مكة المشرفة . فيقال إنه أجابه إلى طلبه ، ولكنه توفى قبل أن يصل إلى مكة ، ويقال : إنه أجزل صلته، ولم ينله مراده .

توفى سنة إحدى وأربعين أو اثنتين وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ١/٣٥٩-٣٦٤ ، سلافة العصر ٢٢-٣١ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٤١-٤٥٣ .

(١) فى ا : « تنفذ » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فلم يزل يُقدِّر من نَيْلِ الشرافةِ ما أطال تمنِّيه ، والأيام تَعِدُه بها وتُمنِّيه .

فلم يظفرْ منها بلَحْظةِ لَحْظ ، ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ ﴾ [١] .

فاقتحم لطلبِها بحراً وبرًّا ، مُتوسِّما أينما حَلَّ رفاهيةً وبِرًّا .

قال ابنُ مَعْصوم [٢] : وكان قد دخل شَهارة [٣] ، من بلاد اليمن [٤] ، وامتدح بها إمامَها محمدَ بن القاسم [٥] ، بقصيدة راح بها ثَغْرُ مديحه [٦] وهو ضاحكٌ [٦] باسم .

وطلب منه مُساعدتَه على تخليص مكةَ المشرَّفة له ، وإبلاغِه من تحليَتِه بولايتِها أمَلَه .

وكان ملكُها إذ ذاك الشريف أحمد بن عبد المطلب [٧] ، فأشار فى بعض أبياتها إليه ، وطعن فيها بسِنان بَيانِه عليه .

ومطلع القصيدة [٨] :

سَلا عن دَمِى ذاتَ الخلاخلِ والعِقْدِ ... بماذا استحلّتْ أَخْذَ رُوحى على عَمْدِ [٩]

فإن أَمِنتْ أن لا تُقادَ بمــا جَنَتْ ... فقد قيل أن لا يُقْتَل الحرُّ بالعَبْدِ [١٠]

* * *

(١) سورة فصلت ٣٥ . (٢) سلافة العصر ٢٢ . (٣) شهارة : من حصون صنعاء باليمن . معجم البلدان ٣/٣٣٩ . (٤) ذكر ابن معصوم أن ذلك كان فى أحد الجمادين من سنة ثمان وثلاثين وألف

(٥) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الثالث ، صفحة ٢٤٨ ، برقم ١٩٥ . (٦) فى سلافة العصر : «ضاحكا» .

(٧) الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى الحسنى .

شريف مكة ، وأحد نجباء وأذكياء هذا البيت .

ولى أمر مكة سنة سبع وثلاثين وألف ، بعد تغلبه على الشريف محسن ، واستولى على أموال الناس ، ولم يرحم أحدا .

واستمر كذلك حتى قتله قانصوه باشا حين كان متوجها لفتح اليمن ، سنة ثمان وثلاثين وألف .

خلاصة الأثر ١/٢٣٩ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٨–٤٢٦ .

(٨) القصيدة كلها فى سمط النجوم العوالى ٤/٤٤٢–٤٤٥ ، ومطلعها فى : خلاصة الأثر ١/٣٦٠ ، سلافة العصر ٢٢ . (٩) فى السمط : «سلوا عن دمى» . (١٠) عجز البيت فى السمط :

* فقد قيل إن الحُرَّ يُقتَل بالعبدِ *

منها ، وهو محلّ الغرض :

أغِثْ مكةً وانهَضْ فأنتَ مُؤيَّدٌ ... من اللهِ بالفَتْحِ المُفوَّضِ والجَدِّ [١]

وقَدِّمْ أخا وُدٍّ وأخِّرْ مُباغِضاً ... يُساوِرُ طَعْناً فى المُؤيَّدِ والمَهْدِى [٢]

ويطعن فى كلِّ الأئمةِ مُعلِناً ... ويرْضَى عن ابن العاصِ والنَّجْلِ من هندِ

فلم يحصُل منه على طائل ، إلّا ما أجازه به من فضل ونائل .

فعاد إلى مكةَ المشرَّفة [٣] ، ثم توجَّه إلى الروم [٤] .

قلتُ : فمرَّ على ساحل الشام ، ونزل طَرَسُوس [٥] ، وبها عمل سينيَّته التى زفّها [٦] خريدةً على أرائك الطُّروس ، وعطر بريَّاها أندية الأدب ولا عِطرَ بعد عَرُوس .

وكان هام بالوطن ، هيامَ ابن طالب [٧] بالحوض والعطَن [٨] .

وحَنَّ إلى تلك البِقاع ، حَنِينَه إلى أثَلاث القاع .

والقصيدة هى هذه ، وإنما ذكرتُها بتمامِها لِمكانتِها من القلوب [٩] :

حُثَّ قبل الصباحِ نخبَ كُؤوسى ... فهى تَسْرِى مَسْرَى الغِذا فى النُّفوسِ [١٠]

وانتخِبْها بِكْراً فقد توَّب الدَّا ... عى إليهـــا من حانةِ القسِّيسِ

بِنْتُ كَرْمٍ إن تَلْقَ مَلْسُوعَ حَىٍّ ... وهْو حِلْسٌ لن يرْتضِى بالجلوسِ [١١]

---

(١) فى خلاصة الأثر : « بالفتح المقوض » ، وفى سمط النجوم : « بالفتح المعوض » .

(٢) فى سلافة العصر ، والسمط : « وأخر مبغضا » .

(٣) فى الخلاصة ، والسلافة ، والسمط أن عودته كانت سنة تسع وثلاثين وألف ، وأنه أقام بمكة سنتين.

(٤) كان ذلك سنة إحدى وأربعين وألف.   (٥) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . معجم البلدان ٣/٥٢٦ .   (٦) فى ح : « زخرفها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٧) كذا فى الأصول، ولم أعرفه، ولعله : ابن طاب، وهو جنس من تمور المدينة. انظر ثمار القلوب ٢٦٦ .

(٨) فى ا ، ب : « والوطن » ، والمثبت فى : ج.   (٩) مستهل القصيدة فى خلاصة الأثر ١/٣٦٣، وهى كلها فى سمط النجوم العوالى ٤/٤٥٠–٤٥٣ .   (١٠) فى السمط : « فهى تجرى مجرى الغذا » .

(١١) فى سمط النجوم العوالى :

بنتُ كَرْمٍ إن ترْقِ ملسوعَ را ... حَ وهْو حِلْسٌ لم يرْتضِ بالجلوسِ

وحلس : ملازم للشىء .

كشفَتْ غَيْهَبَ الخمارِ ولو ترْ شحُ رَمْساً ردّتْ بقَا المرْمُوسِ
غَرَسَتْهـا بين الحدائقِ فى النَّوْ روزِ والشَّطُّ كفُّ بَطْليموسِ
فتلقَّ أمَّ المسَرَّةِ طَلْقـاً والنَّدامَى بمَهْرِ كَيْسٍ وكِيسِ (١)
وأطْلِقِ النَّدَّ والكِبا الرَّطْبَ وامْتَحِ لِ عَرُوساً لا عِطرَ بعد عَرُوسِ (٢)
عانِسٌ فى الدِّنانِ بالخانِ لن تُطْ مثَ من عهد جُرْهُمٍ وجَدِيسِ (٣)
نارُ أُنْسٍ يعشُو الكَليمُ ويَصْبُو لِفنَاهــا بالذُّلِّ والتَّقْديسِ
حرقتْ حُـلَّةَ الجِنانِ وأبْدَتْ مُسْتطيرَ الصَّباح فى الخَنْدرِيسِ (٤)
زعم الجاهــلون ظُلْماً بأن قد عصَرتْها قِدْماً يَدَا عَبْدوسِ
وهْى من لُطْفِهــا كشَكِّ نَفاهُ صادقُ العِلْمِ عند ذى توْسِيسِ
فأدِرْها فى كأسِهـــا دون خَدِّ بْ لِكَ وفوق الشَّقِيقِ من خَنْدَرِيسِ
واسْقِ بالخيزَلَى النَّدامَى لتبدُو قُدرةُ اللهِ فى المَقام النَّفيسِ (٥)
لترى أنْجُماً بفُلْكٍ وبَدْراً فوق غُصْنٍ يختال بين شُموسِ
ولـكلٍّ إرْبٍ وما أنا بالرَّا ئى شَرِيفاً فى جَنْبِ وَجْهٍ خَسِيسِ
لستُ من قبلها أُصـدِّق أن الرّ احَ ظَلْمٌ فى لُؤْلُؤٍ مغْروسِ
ظَبْيةٌ رَخْــوةُ العرِيكةِ تَفْتا لُ أُسودَ الشَّرَى بِدَهْىٍ شُموسِ
لَبِستْ من غلائلِ الحُسْنِ بُرْداً منه كلُّ العقــولِ فى تَلْبِيسِ
تتهادَى فيه فتسْتقْبِحُ الرَّ وضَ أنِيقاً بحَوْزةِ التَّدْنيسِ (٦)

---

(١) فى الأصول : « فتلق » ، والمثبت فى : سمط النجوم العوالى . (٢) الكباء : عودالبخور.
(٣) فى السمط : « عانسا فى الدنان عذراء لم » . (٤) فى السمط : « خرقت حلة الجنان . . فى الخنديس» .
والخندريس : الخمر .
(٥) فى السمط : « واسق بالخيزلى الندامى » .
والخيزلى : مشية فى تثاقل .
(٦) فى السمط : «أنيقا لجودة التجنيس» .

لو رآها تختـــالُ عُجْباً أبوها ... لَخَشِينا عليـه دِينَ المَجُوسِ

كلُّ خِـلْوٍ منها استجدَّ رَسِيساً ... وقديمى فيها استمدَّ نَسِيسى(١)

تركتْنى نِضواً على نِضْوِ رسمٍ ... فيه دمعى خِلِّى ومُهْدِى جَلِيسى(٢)

مُوحِشاً من هُنَيْدةٍ بعد أن كا ... نَ حَقِيقياً بالمرْبَعِ المأنُوسِ

طالَما قلتُ للمُـذافِرِ واللَّيْـ ... ـثُ قد ألْقَى بها عصا السَّيرِ هِيسِى(٣)

انْقَضِى به حُقوقاً ونبكى ... فيه وُرْقَ الحِمَى وثُكْلَ العِيسِ(٤)

ونُرجِّى الآمالَ أن تبعثَ الرِّ ... يحُ أرِيجاً من معهدٍ مَطْمُوسِ

فرعَى اللهُ بالأجارعِ عَصْراً ... مَرَّ أمسَتْ نجومُه فى طُموسِ(٥)

حيث جَوُّ الشبابِ صَحْوٌ وبحرُ اللَّـ ... ـهْوِ رَهْوٌ لم أُلْقِ فيه بِرُوسِى(٦)

ومَحَـلِّى بين الأباطِحِ والقُبَّةِ ... من طَيْبةٍ بسُوقِ الرَّسِيسِ(٧)

أحمدُ الاسْمِ أحمدُ الخلْقِ فى اللَّـ ... ـهِ غِياثُ المَنْجُودِ والمَلْبُوسِ(٨)

---

(١) فى السمط: « كلحلو منها ... فيها استمر لسيسى » .

والنسيس: غاية جهد الإنسان، وبقية الروح. القاموس (ن س س) .

(٢) فى الأصول: « على نضو رسمى »، والمثبت فى السمط.

وفى ا: « فيه دمعى خلمى »، وفى ب: « فيه دمعى خلبى »، وفى ج: « فيه دمعى طمى »، والمثبت فى السمط.

(٣) المذافر: الأسد العظيم.

وفى السمط: « للمذافر والليـ * ث به قد ألقى عصا السير » .

والهيس: أخـذك الشيء بكره، وهيس هيس: كلمة تقال عنـد إمكان الأمر والإغراء به. القاموس (هـ ى س) .

(٤) فى السمط: « حقوقا وتبكى » .

(٥) عجز البيت فى السمط:

* وبُدوراً نجومُه فى طُموسِ *

(٦) الرهو: الواسع.

وفى الأصول: « لم ألق فيه فروسى » .

(٧) فى السمط: « من طيبة بسوح الرئيس »، وفيه أيضا: « ومحلا بين الأباطح » .

(٨) فى السمط: « أحمد الخلق أحمد الخلق ». بضم الأولى وفتح الثانية

شافعُ الأُمَّـــةِ التى جاء فيها   كَنْتُمُ من مُهَيْمِنٍ قُدُّوسِ

أوَّلُ الأنبياء والخـــاتِمُ العا   صِمُ من صَوْلِ صَيْلَمٍ دَرْدَبيسِ (١)

يَتَّقِى حَيْـــدَرٌ وحمزةُ والفا   روقُ فيه إن جَاشَ قِدْرُ الوَطِيسِ (٢)

وكذا فى المَعادِ عِيسى وإسْحا   قُ وموسى الكَليم مَعْ إدْرِيسِ

وبه يسْألون إن دَمْـــدَمَ الهَوْ   لُ تَجلِّيهِ فى الزمانِ العَبُوسِ (٣)

وهمُ الفائزون لـكنْ لما طَمَّ   على الخلقِ من عذابٍ بَئِيسِ

مُهطِعين الأعناقَ فى موقفِ الرَّهْ   بَةِ لا يُسْمَعَنْ لهم من نَبِيسِ (٤)

فيُنادَى سَلْ تُعْطَ واشْفَعْ أبا خَيْ   رَ شفيعٍ فى مُسْمَهِرٍّ طَبِيسِ (٥)

أرْيَحِىٌّ بقَصْـــدِهِ يأنفُ الأخْ   مَصُ أن يحتذِى شَواةَ الرُّءُوسِ (٦)

نقَلَ الدَّهْرَ للجوامِـعِ والأحْ   كامِ بعد الأزْلامِ والنَّاقوسِ

ترك الذئبَ والغَضَنْفَرَ والشَّا   ةَ جميعاً من خَوْفِ غبِّ الفَرِيسِ

أيَّدَ الدِّينَ بالذَّوابـــلِ والشو   سِ المَذاكِى تعدو ببِيضٍ شُوسِ (٧)

كلُّ ذِمْرٍ فى السِّلمِ هَيْنٍ وفى الحَرْ   بِ أبِىٍّ يشُقُّ أنفَ الخَمِيسِ (٨)

---

(١) فى ح : « أول الأنبياء ذو الخاتم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسمط .
وفى ا ، ج : « صيلم ورديبس » ، وفى السمط : « صيلم دربيس » ، والمثبت فى : ب .
والصيلم : الداهية ، وكذلك الدردبيس .

(٢) فى ج : « وحزة والعباس » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسمط .
وفى الأصول : « إن جاس قدر الوطيس » ، والمثبت فى السمط .

(٣) فى ا : « وبه يسألون عن دم دم الهول » ، وفى السمط : « وبه يسألون إذ صدم الهـول » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٤) فى ح : « فى موقف الشر » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسمط ، وفيه : « لم يستمع لهم من نبيس » .   (٥) اسمهر : صلب واشتد ، والطبيس : الكثير ، انظر القاموس (طبس) .
وفى السمط : « فى مسمهر ضبيس » . والضبيس : العسر .

(٦) شواة الرأس : قحفه وجلدته .

(٧) فى ا ، ب : « بالذوابل والشوس المذاكى » ، والمثبت فى : ج ، والسمط .
وفى السمط : « تعدو وبيض شوس » ، وفى ا : « ببيض شموس » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٨) فى ب : « كل ذخر فى السلم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسمط .
والذمر : الشجاع .

كَعَلِيٍّ وحمزةِ البِشْرِ إن بُدِّ ... لَ بِشْرُ الوجوهِ بالتَّعبيسِ

بَيْهَسَىْ غابةِ الوَشيجِ وطَوْدَىْ ... مَفْخَرٍ فى مُؤثّلٍ قُدْمُوسِ[1]

بهما والبَتُولِ والآلِ والسِّبْ ... طَيْنِ والمُخْتبيْنِ فى التَّغْليسِ[2]

الإمامينِ بالنُّصُوص الشَّهيدَيْـ ... ـنِ البريئيْن من صَدَا التَّدْنيسِ[3]

فَرْقَدَىْ هالةِ السيادةِ وابنَىْ ... من خص بالقَواضبِ التَّبخيسِ[4]

ما رعى فيهما رئيسٌ إلى الفِدْ ... يةِ إلَّا فَضْلاً عن المَرْءوسِ[5]

وبمن قام فى مَقامك يُسْتَنْـ ... ـمَى به والمُحلقِ الدَّعْبِسِ[6]

وبنَجْمَيْك صاحِبَيْك ضَجِيعَيْـ ... ـك ظَهيريْك فى الرَّخا والبُوسِ[7]

ذا رفيقٌ فى الغارِ حِلْفٌ وذا يَنْـ ... ـفِرُ من حَبْسِه شَبَا إبْليسِ[8]

وبِتِلْوِ الاثنيْن جامعِ أشتا ... تِ المَثانى بالرَّسْمِ والتدريسِ[9]

لم يراقب للهدى والجيشِ من غَيْـ ... ـرِ فسوقٍ أَتَى ولا تدْليسِ

أَدرِكْ أدرِكْ ذَا غُرْبةٍ وانفرادٍ ... وسُهادٍ ومَدْمَعٍ مَنْبُجِسِ[10]

قد لَقِى مِن حصائدِ النَّفْى ما لَا ... قَى كُلَيْبٌ فيها غداةَ البَسُوسِ

الوَحَى الوَحَى فذلك مَلْهُو ... فٌ يُناديك من وَرا طَرَسُوسِ[11]

---

(١) البيهس : الأسد والشجاع ، والقدموس : القديم . (٢) فى ا ، ب : « والمجتنين فى التغليس » وفى السمط : « والمختبين بالتغليس » ، والمثبت فى : ج . (٣) فى السمط : « من صدى التدنيس » .

(٤) فى السمط : « مدحضى بالقواضب » ، وفى ا ، ب : « بالقواضب التجنيس » ، والمثبت فى : ج ، والسمط ، ولم يستقم لى أمر هذا البيت . (٥) فى السمط : « رئيس ربى الفدية » .

(٦) فى ا : « يستق به » ، وفى ج : « يستشنى به » ، والمثبت فى : ب ، والسمط .

وفى ا : « والخلق الدعنبس » ، وفى ج : « والمحلق الدعس » ، والمثبت فى : ب ، والسمط .

(٧) فى السمط : « وبخليك صاحبيك » . (٨) فى السمط : « فى الغار ردف . . من حبسه رق لبليس » ، وفى ج : « بسفرمن حبسه » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٩) فى الأصول « أشتات المبانى » ، والمثبت فى السمط . (١٠) فى ا ، ب : « ومدمع محبوس » ، والمثبت فى : ج ، والسمط .

وبجس الماء : تفجر .

(١١) فى السمط : « الوحى الوحى فدى لك ملهوف » .

والوحى الوحى : كلمة تقال للاسراع ، بمعنى البدار البدار .

يا نبيَّاه يا وليَّاه يا جَـــدَّ … اه يا غَوْثَ ضارعٍ مَوْطُوسِ (١)

أنت إن أعْضَــلَ المُضالُ وأعْيَى … كُلَّ آسٍ دواهُ جالينوسِي (٢)

وإذا ما الخِناقُ ضــاق فلم أرْ … جُ لكَرْبِي إلّاكَ للتَّنفيسِ

ولقـــد جرّد العقول إلى أن … لبِسَتْ منه بِزَّةَ المَخْـلوسِ (٣)

فبِجَدْواكَ يقلِب السعدُ فى الأزْ … مةِ سَعْداً تحـديقَ عَيْنِ النُّحوسِ

يا خَفِـيرِى إذا ارْتُهِنتُ وما لِى … غيرُ كُتْبى فى مَضْجَعِى مِن أنيسِ

أيظَــلُّ الحَوْبا أُقصِّر عن شَأْ … وِ جُدودِى وأنت أصلُ غُروسِى (٤)

حاشَ لِلّهِ أن يقصِّر مَن أوْ … مَ فيكم مَدْحاً بُطونَ الطُّروسِ

فارْتبِطْها من الجِيادِ التى تسْ … بِقُ خَيْلَ الوليد وابن سَدِيس

وأجِزْنى بُرْداً من الأمْنِ ماحِيـ … ـكَ بصَنْعا حُسْناً ولا تِنِّيسِ (٥)

إن أرُحْ مُطلَقاً من الذنبِ فالتَّقْـ … ـريضُ وَقْفٌ مُسَلْسَلُ التَّحْبيسِ (٦)

أو تَنَـاسَى به فَنائِى وحَقِّى … فعلى الحَظِّ دعــوةُ المَبْخُوسِ

فأغِثْنِى دُنْيـا وأخرَى بمولا … كَ لِيهْدَا رُوعِى ويَقْوَى رَسِيسِى (٧)

لو تشفَّعْتَ فى صَباً لعلِمْنا … أنهم فائزون بالمَحْسُوسِ

فعليك الصـلاةُ ما هَجَّر الرَّكْـ … ـبُ وحَثَّ القِلاصَ للتَّعْرِيسِ

* * *

ثم دخل حلب .

---

(١) الوطس : الكسر والضرب الشديد . (٢) فى الأصول : « كل آس دواء جالينوسى » ، والمثبت فى السمط . (٣) فى السمط : « بزة المخموس » . (٤) الحوباء : النفس .

(٥) تنيس : جزيرة فى بحر مصر ، قريبة من البر ، ما بين الفرما ودمياط ، وبها لعمل الثياب الملونة . معجم البلدان ١/٨٨٢ . (٦) فى السمط : « فالتقريض وقف مسلسل التجنيس » .

(٧) فى السمط : « وأغثنى دنيا وأخرى بمرآك » .

وترتيب هذا البيت فى السمط بعد البيت السابق : « وأجزنى برداً . . » .

قال العُرْضِىّ [١] : فنزل منها [٢] فى صدرٍ [٢] رَحِيب ، وقابلتْه بتأهِيلٍ وترحيب .

ثم انثالتْ إليه من أبناءِ الشَّهْباء عيونُ أعْيانِها ، من وجوه علمائِها وأشْرافِها ، الذين هم إنسانُ حَدَقَةِ إنْسانِها .

انثِيالَ الدُّرِّ ، إلى [٣] الواسطة من عِقْد النَّحْر ، واحْتفَّتْ به احْتفافَ النُّجُوم بالبدر .

ممَّن [٤] دَعاه نادِيه فلبَّاه ، وحَظِىَ بإقْبالِ وَجْهِه وطَلْعةِ مُحيَّاه .

[٥] فرأيْناه يُحاضِر بأخبار الطَّالِبيِّين، الحسنيِّين منهم والحُسَيْنِيِّين .

سِيَّما الشريفُ الرَّضِىّ [٥] ، مِن وَجْهِ مَذهبُه فى البلاغة وَضِىّ ، وطريقُه وهو أخو المُرتَضَى مَرْضِىّ .

ويَلْهَج كثيراً بأخْبارِه ، ويحفظ أغْلَبَ أشْعارِه .

قال : فمدحتُه بقصيدةٍ ، مطلعُها :

لِلّهِ أكْنافٌ بخَيفِ ... طابتْ وطال بها وُقوفِى

إلى أن [٦] تخلَّصتُ إلى مَديحه [٦] :

وإذا طلبتَ عَرِيفَهم ... ولَأنْتَ بالفَطِنِ العَرِيفِ

فهُــو الشريفُ بنُ الشرِ ... فِ بن الشَّريفِ بن الشريفِ

فتمايَلَ لدَى إنْشادِها طَرَبا ، وأظْهر بها إعجاباً وعَجَبا .

قائلا : لا فَضَّ اللهُ فاك ، وكثَّر من أمثالِك .

---

(١) أى السيد محمد بن عمر العرضى ، الذى تقدمت ترجمته فى الجزء الثانى ، صفحة ٤٨٣ ، برقم ١١٣ والنقل فى خلاصة الأثر ١/ ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « بصدر » .

(٣) فى ب : « من » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٤) فى ا : « مما » ، وفى الخلاصة : « فمن » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى خلاصة الأثر : « فرأيناه يحاضر بأخبار الشريف الرضى » .

(٦) فى خلاصة الأثر : « قلت فى التخلص إلى المديح » .

فقلتُ : استجاب الله دعوتك[١] هذه[٢] ، كما استجابها من جَدِّك رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، حين أنشده النَّابغة الجَعْدِيّ[٣] :

بلَغْنَا السماءَ مَجْدَنا وجُدودَنا ... وإنّا لنَرْجو فوق ذلك مَظْهَرَا

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : [٤] « فأين المظهرُ يا أبا ليلى » [٤] ؟

قال : الجنة[٥] يا رسولَ الله .

فقال : [٦] « قل إن شاء الله » [٦] .

ثم قال[٧] :

ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم يكنْ له ... بَوادِرُ تَحْمِي صَفْوَه أن يُكَدَّرا[٨]

ولا خيرَ في أمرٍ إذا لم يكن له ... حليمٌ إذا ما أوْرَد الأمرَ أصْدَرَا[٩]

فقال له صلى الله عليه وسلم : « لا فَضَّ اللهُ فَاكَ[١٠] » .

فبلغ عمرُه مائة سنة ، لم يتغيَّر له سِنٌّ ، بل كان أحسن الناس ثَغْراً .

* * *

ثم قصد الشريف أحمد دارَ السَّلْطَنة العليَّة ، قُسْطَنْطِينيَّة المحميَّة ، فلقيَ سُلطان الوقت إذ ذاك السلطان مرادا بقصيدة فريدة ، سأله فيها توليته مكّة .

---

(١) فى خلاصة الأثر : « دعاك » .

(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٣) شعر النابغة الجعدى ٥١ ، وانظر ٦٨ .

(٤) فى خلاصة الأثر : « إلى أين يا ابن أبى ليلى » ، وهو خطأ ، والذى ورد فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إلى أين أبا ليلى » . انظر حاشية شعر النابغة الجعدى .

(٥) فى خلاصة الأثر : « إلى الجنة » ، وكذلك فى حاشية شعر النابغة الجعدى .

(٦) فى الخلاصة : « أجل » ، وفى حاشية الديوان : « إن شاء الله » . (٧) شعر النابغة الجعدى ٦٩

(٨) فى ا : « ولا خير فى علم » ، وفى خلاصة الأثر : « ولا خير فى حكم » والمثبت فى : ب ، ج ، وشعر النابغة الجعدى .

وقد سقط عجز هذا البيت وصدر الذى يليه من خلاصة الأثر .

(٩) فى شعر النابغة الجعدى : « ولا خير فى جهل » ، وفى ا ، ب ، وخلاصة الأثر : « حكيم إذا ما أورد الأمر أصدرا » ، والمثبت فى : ج ، وشعر النابغة الجعدى . (١٠) وحاشية شعر النابغة الجعدى : « يفضض » .

أولها[١] :

ألا هُبِّي فقــــد بكَر النَّدامَى ومَجَّ المَزْجُ من ظَلْمِ النَّدَىما[٢]

فقيل : إنه أجابه إلى مُلتَمسِه ومرادِه ، وأرْعاه من مقصدِه أخْصَبَ مَرادِه .

ولـكنْ مُدَّت إليه يدُ الهُلْك ، قبل أن ينال المُلْك .

وقيل : بل أجْزل[٣] عَطاه[٤] فقَط ، (٥ فقَدَّ طمعَه ٥) عمَّ تمنَّاه وقَطّ .

ولم يعُدْ إلى مكة ، وتُوُفِّى فى تلك السنة ، أو فى التى تليها .

وتتمة هذه القصيدة قولُه بعد المَطْلَع :

وهَيْنمتِ القَبُولُ فضاعَ نَشْرٌ رَوَى عن شِيحِ نَجْدٍ والخُزامَى

وقد وضَعت عَذارَى المُزْنِ طِفْلاً بمَهْدِ الرَّوضِ تَغْذُوه النُّعامَى[٦]

فهُبِّى وامْزُجِى خَمْراً بظَلْمٍ ليَحْيَى ما أماتتْ يا أُماما[٧]

ومُنِّى بالحيـــاةِ على أُناسٍ بشمس الرَّاح صَرْعَى والظَّلاما[٨]

فـكم خَفَر الفوارسُ فى وَطِيسٍ فتًى منا وما خَفَر الذِّماما[٩]

وكم جُـــدْنا على قُلٍّ بوَفْرٍ وأعْطَيْنا على جَدْبٍ هِجاما[١٠]

* * *

(١) القصيدة كلها فى سلافة العصر ٢٣ ، ٢٤ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٤٥ – ٤٤٨ ، ومطلعها ، ومن أول قوله : « فيامالك الملوك » الآتى، فى خلاصة الأثر ١/٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(٢) فى الأصول ، وسمط النجوم العوالى : « ومح المزج » ، والمثبت فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر. و « الندامى » جمع النديم ، و « الندى ما » مركب من الندى ، وماء .

(٣) فى ا : « أجزاه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٤) فى السلافة : « صلته » .

(٥) فى الأصول : « فقط طمعه » ، وهو تكرار لآخر السجعة . وفى السلافة مكان هذا : « وأغفل » ، والمثبت فى خلاصة الأثر ١/٣٦٠ . (٦) النعامى : ريح الجنوب .

(٧) سقط هذا البيت والذى يليه من سلافة العصر .

ورواية السمط : « لتحيي ما أمتِ يا أماما » .

(٨) فى السمط : « بشمس الراح صرعى والطلاما » .

(٩) فى الأصول : « فـكم حضر القواصر . . وما حضر الذمما » ، والمثبت فى السلافة ، والسمط ، وفى السمط : « من وطيس » . (١٠) لعله جمع الهجمة ، وهى من الإبل أولها أربعون إلى ما زادت ، أو ما بين السبعين إلى المائة أو إلى دوينها . القاموس (هـ ج م) .

قوله : « وقد وضعت عذارى » البيت . المراد بالطفل هو[1] النَّبْتُ ، واستعارة الأُمِّ المُرضِع للمُزْن ، كما وقع فى قول البَاخرْزىِّ ، من قصيدة[2] :

وتَرَعْرَعتْ فيه لَطِيفاتُ الـكَلَا   رَضْعانَةً ضَرْعَ الغَمامِ الغَادِى[3]

ومنه مطلع قصيدة يحيى بن هُذَيل التُّجيبىّ المَغْرِبىّ :

نام طِفلُ النَّبْتِ فى حِجْرِ النُّعَامَى   لاهْتِزازِ الطَّلِّ فى مَهْدِ الخُزامَى

وهذا البيت مطلعُ قصيدة من المُرقِّص والمُطرِب[4] ، بل مطلعُ شمسِ البلاغة وإن كان قائلُها من المغرب .

وبعده :

وسَقَى الوَسْمِىُّ أغصانَ النَّقَا   فهَوتْ تلثُمُ أفواهَ النَّدامَى

كحَل الفَجْرُ لهم جَفْنَ الدُّجَى   وغَدَا فى وَجْنةِ الصبحِ لِثاماً

تحسَبُ البــــدرَ مُحيّا ثَمِلٍ   قد سقَتْه راحةُ الصُّبحِ لِثاماً

حوله الزُّهْــــرُ كؤوسٌ قد غدَتْ   مِسْكةُ الليلِ عليهنَّ خِتاماً

قوله : « كحل الفجر » . البيت ، ما زلنا فى تردُّد وشُبْهة فى معنى هــذا البيت ؛ فإنه أسْند التَّـكْحيل إلى الفجر ، وهو لا يلائمه ؛ لابْيِضاضِه ونُورِه ، وإنما يُلائم التـكحيل ما كان أسودَ مظلِما ، وبعض الأفاضل حَمَله على أنه فى ليلة[5] مُقْمِرة[6] ، يغيب القمرُ[7] فيها لَدُن طلوع الفجر ، فتحدُث حينئذ[7] ظُلْمةٌ يستحق بها الفجر أن يُسْند التـكْحيل إليه .

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .   (٢) الملتقط من ديوان الباخرزى ٣ .

(٣) فى الملتقط : « أطفال الـكلا * ممتكة ضرع » .

(٤) لم يرد هذا البيت والأبيات بعده فى عنوان المرقصات والمطربات المطبوع .

(٥) فى الأصول : (ليـل) ولعل المناسب للسياق الآتى ما أثبته .   (٦) فى ا : « مقمر » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٧) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

وهو معنى متكلف كما تراه ، حتى وقفنا على قَوْل ابن الظَّهِير الإِرْبِلِيّ [١] :

وكأنَّ الصباحَ مِيـــلُ لُجَيْنٍ كاحلٌ للظلامِ طرْفاً كَحِيلَا

فــكان قولًا شارحا لبيت التُّجِيبِيّ ، وصار التَّـكْحيل لا غُبارَ عليه بوجـه من الوجوه .

وبيتُ ابن الظَّهِير من قصيدة يصفُ فيها الفَلاة :

جِئْتُها والظلامُ راهبُ دَيْرٍ جاعلٌ كلَّ كوكبٍ قِنْدِيلَا

أو عظيمٌ للزَّنْجِ يقدمُ جَيْشاً قد أعـدُّوا أسِنَّةً ونُصولَا

وكأنَّ السـماء رَوْضٌ أنِيقٌ نَوْرُه بات بالنَّدى مَطْلُولَا

وكأنَّ النجومَ دُرُّ عُقـــودٍ عاد مَعْقودُ سِلْكِها مَحْلُولَا

ليلةٌ كالغُدافِ لو لم يرُعْها نارُ فجرٍ ما أوْشكتْ أن تزُولَا [٢]

وتولَّتْ وأشْهَبُ الصبحِ يتلُو أدْهمَ الليلِ وانياً مَشْكُولَا

* * *

ومن تتمَّة القصيدة :

فيا ملكَ الملوكِ ولا أحاشِي ولا عُذْراً أسوقُ ولا احْتشامَا [٣]

أنِفْتُ بأنني ألْفـــاكَ منهم بمنزلةِ الرِّجال من الأيامَى [٤]

إلى جَـدْواكَ كلَّفْنا المَطايا دَواماً لا نُفارِقُهـــا دَوامَا

---

(١) محمد بن أحمد بن عمر ، المعروف بابن الظهير الإربلي الحنفي .
شاعر ، أديب .
ولد سنة اثنتين وستمائة ، وتنقل بين بغداد ودمشق ، وكان من كبار الحنفية ، ذا رأي متفق ، وهو من أعيان شيوخ الأدب ، وفحول المتأخرين في الشعر .
توفي سنة سبع وسبعين وستمائة .
الجواهر المضية ٢/٢٠١ ، فوات الوفيات ٢/٣٥٦ ، الوافي بالوفيات ٢/١٢٣ .

(٢) الغداف : الشعر الطويل الأسود ، والغراب .

(٣) وسلافة العصر ، والسمط : « ولا أبالي »

(٤) في السلافة : « إذا ما قست لم أنزلك فيهم » ، وفي السمط : « أنفت بأني أنزلك فيهم » .

وجُبْنا أيهـــا الملِكُ الَموامِى ... إلى أن صِرْنَ من هزلٍ هُياماَ[1]

وذُقْنا الشُّهْدَ فى معنى التَّرَجِّى ... وذُقْنا الصبرَ من جُوعٍ طَعاماَ[2]

صَلِينَـــا من سَمُومِ القَيْظِ نَاراً ... تكون بنُورِكَ السَّامِى سَلاماَ[3]

وخُضْنا البحرَ من ثَلْجٍ إلى أن ... حسِبْناه على البِيدِ الأُكَامَا[4]

وجاوَزْنا العَنانَ على عِنانٍ ... تسِـــيرُ بنا ولم تلبثْ شَآمَا[5]

نَؤُمُّ رِحابَكَ الفِيحَ اشْتِياقاً ... ونأْمُل منك آمالاً جِساماَ[6]

ومَن قصَد الـكريمَ غدا كريماً ... على ما فى يديْه ولن يُضاماَ[7]

وحاشَا بحرُكَ الفَيَّاض أنَّا ... نُرَدَّ بُغـــلَّةٍ عنه حِياماَ[8]

وقد وَافـــاكَ عبدٌ مُستَمِيحٌ ... نَدَى كَفَّيْكَ والشِّيَمَ الضِّخاماَ[9]

وحُسْنُ الظنِّ يقطعُ لى بأنِّى ... أنالُ وإن سَما منكَ المَراماَ[10]

---

(١) فى الأصول : « من هزل هلاما » ، والمثبت فى السلافة والسمط .

وصدر هـذا البيت فى السلافة والسمط : « وجبنا يا ابن عثمان الموامى » ، وجاء فى الأصول : « وجئنا أيها الملك الموالى » .

وقد سقط هذا البيت والذى يليه من خلاصة الأثر .

(٢) فى السمط : « فى مغنى الترجى » ، وفى السلافة : « وقلنا الصبر » . (٣) فى ا : « حسبنا من ... » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، والسمط ، وفى السلافة : « من شموس القيظ » .

وفى الخلاصة : « تـكون ببردك الناشى سلاما » ، وفى السلافة والسمط : « تـكون بنورك العالى سلاما » .

(٤) فى الخلاصة : « حسبناه على البيدا الـكاما » ، وفى السلافة : « على البيدا أكاما » ، وفى السمط : « على البيدا ركاما » .

والـكام : الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس وتلك الثغور . معجم البلدان ٤/٣٤٧ ، ٣٦٤ .

(٥) لم يرد هذا البيت فى : الخلاصة ، والسلافة ، والسمط . (٦) فى السمط : « ونأمل فيك » .

(٧) فى الخلاصة : « ومن قصد الـكريم غدا أميرا » ، وفى السلافة : « ومن قصد الأمير غدا أميرا » .

(٨) فى الخلاصة : « نرد بغلة عنـه هياما » . (٩) فى الخلاصة : « عبد مستميح » ، وفى ج : « والشيم الفخاما » ، وفى السمط ، والسلافة ، « والشيم الـكراما » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

(١٠) لم يرد هذا البيت فى : السلافة ، والسمط .

وبعده فى الخلاصة بيت به يتضح المعنى ، هو :

ولا بِدْعٌ إذا وافاكَ عَافٍ ... فعاد يقُود ذا لَجَبٍ لُهامَا

فقد نزَلَ ابنُ ذِي يزَنٍ طَرِيداً ... على كِسْرَى فأنزله شَماما[1]
أتَى فَرْداً فآلَ يجُرُّ جيشاً ... كسَا الآكام خيلاً والرَّغاما[2]
به اسْتَبْقَى جميلَ الذكْرِ دَهْراً ... وأنت أجَلُّ من كِسْرَى مَقاما
وسَيْفٌ لو سمَا دونى فــإنِّى ... عِصامِيٌّ وأَسْمُوه عِظاما[3]
بفاطمةٍ مع ابْنَيْهــا وطه ... وحَيْدَرةَ الذى أشْفَى العُقاما[4]
عليهم رحمــةٌ تُهْدِى سلاماً ... يكون لنَشْرِها مِسْكاً خِتاما

* * *

ومن تفاريق شعره، قولُه من قصيدة، مستهلُّها[5] :

كيف العَزَا والفؤادُ يلْتهبُ ... والحَىُّ زُمَّتْ لبَيْنِه النُّجُبُ
والعينُ عَبْرَى والجسمُ مُنْتَقِعٌ ... والنفسُ حرَّى والعقلُ مُضْطربُ
وهــــذه أربُعٌ بكاظِمَةٍ ... عَفَتْ قديماً فندْبُها يجبُ[6]

منها :

وابْكِ زماناً مضَى بها أنفاً ... على فقــد أذهلَتنِى النُّوَبَ

---

(١) شمام جبل لباهلة . معجم البلدان ٣/٣١٨ ، وانظر القاموس (ش م م) .
ولعله أراد شمام من الشمم ، وهو العلو والارتفاع ، أى رفع مكانته وأعلى قدره .
وانظر تعليق المحبى على هذا البيت فى خلاصة الأثر ١/٣٦٣ .

(٢) فى الخلاصة : « فآب يجر جيشا » ، وفى السلافة ، والسمط : « فعاد يجر جيشا » .

(٣) فى السلافة : « وسيف فى العلى دونى » ، وفى السمط : « لو سما دونى لأنى » ، وفى السمط : « وأسموه عصاما » . (٤) فى الخلاصة ، والسمط : « بفاطمة وابنيهــا » ، وفى السلافة : « بفاطمة ونجليها » .
وفى الخلاصة : « أشفى السقاما » ، وفى السلافة : « وحيدرة الذى فاق الأناما » .
والعقام ، بالضم : الداء لا برء منه ، وبالكسر : جمع العقيم .

(٥) الأبيات فى سلافة العصر ٣١ .

(٦) كاظمة : جو على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركايا كثيرة . معجم البلدان ٤/٢٢٨ .

منها :

وبالنَّقا غـــادةٌ إذا خطَرتْ تغارُ منها الأغصانُ والـكُثُبُ

كأنها فى الأثيثِ إن سَفَرتْ بدرٌ بسَجْفِ الظلامِ مُحتجِبُ

* * *

وكان ابن عمِّه الشريف محسن بن حسين[1] يَطْرب لأبيات الُحسين بن مُطَير[2] ، ويعجَب بها ، وهى[3] :

ولى كبدٌ مَقْروحةٌ مَن يَبيعُنى بهـــا كَبِداً ليستْ بذاتِ قُروحِ

أبى النَّاسُ وَيْبَ الناسِ لا يشْترونها ومَن يشْترى ذا عِـــلَّةٍ بصحيحِ[4]

أحِنُّ من الشوقِ الذى فى جَوانِحى حَنينَ غَصيصٍ بالشَّراب قَرِيحِ[5]

* * *

---

(١) الشريف محسن بن الحسن بن أبى نمى الحسنى .

شارك عمه الشريف إدريس فى إمارة مكة ، ولبس الخلعة الثانية ، ثم جرت بينه وبين عمه خطوب ، انتهت باستقلاله بإمارة مكة ، سنة أربع وثلاثين وألف ، واطمأن به الحال ، وانتظمت الرعية .

وتوفى فى زيارته لصنعاء ، سنة ثمان وثلاثين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٣٠٩-٣١١ ، خلاصة الكلام ٦٥ - ٦٨ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤١٠-٤١٤ .

(٢) الحسين بن مطير بن مكمل الأسدى .

مولى بنى أسد بن خزيمة .

شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، فصيح متقدم فى الرجز والقصيد .

توفى سنة تسع وستين ومائة .

الأغانى ١٦/١٧ ، فوات الوفيات ١/٢٨٤ ، معجم الأدباء ١٠/١٦٦ .

(٣) القصة ، والأبيات ، والتذييل فى : سلافة العصر ٣٠ .

والبيتان الأول والثانى من أبيات الحسين بن مطير فى معجم الأدباء ١٠/١٧٨ .

(٤) فى سلافة العصر : « ريب الناس » . ورواية صدر البيت فى معجم الأدباء :

* أباها علىَّ الناسُ لا يشترونها *

(٥) فى الأصول : « حنين غضيض » ، والمثبت فى السلافة .

فسأل السيد أحمد تَذْيِيلَها ، فقال :

عَلَى سالِفٍ لو كان يُشْرَى زمانُه ... شَرَيْتُ ولكن لا يُبَاعُ بِرُوحِي

تَقَضَّى وأبْقَى لاعِجًا يستفِزُّه ... تألُّقُ بَرْقٍ أو تنسُّمُ رِيحِ

وقَلبًا إلى الأطْلالِ والضَّالِ لم يزَلْ ... نَزُوعًا وعن أفياهُ غَيرَ نَزُوحِ [1]

فليت بذاتِ الضَّالِ نُجْبُ أحِبَّتِي ... طِلاحٌ فنِضوُ الشوقِ غيرُ طَلِيحِ [2]

يُجشِّمُه بالأبْرَقَيْنِ مُنَيْزِلٌ ... وبَرْقٌ سرَى وَهْنًا وصوتُ صَدُوحِ [3]

وموقفُ بَيْنٍ لو أرى عنه مَوْلِجًا ... وَلَجْتُ بنفسِي فيه غيرَ شَحِيحِ [4]

صَرَمْتُ به رَبْعِي وواصلتُ أرْبُعِي ... وأرْضَيْتُ تَبْرِيحِي وعِفْتُ نَصِيحِي

وبايَنْتُ سُلْوانِي وكلَّ مُلَوِّحٍ ... ولاءَمْتُ أشْجانِي وكُلَّ مَلِيحِ

وكَلَّفْتُ نفسِي فوق طَوْقِيَ فلم أُطِقْ ... لِعَدِّ سَجايَا مُحْسِنٍ بمَدِيحِ [5]

***

ومما قاله فى تَغرُّبِه :

أتَتْنِيَ سَلْمَى وهْيَ غَضْبَى أسِيفَةٌ ... تُساقِطُ ياقوتًا على فضةِ النَّحْرِ [6]

تقول أما هذا المُقامُ ببلدةٍ ... غريبًا على سَخْتِ النوائبِ والشَّمْرِ [7]

أما تذكُرُ البَطْحاءَ والبيتَ والصَّفا ... ومَنزِلةَ الوُفَّادِ بين بني فِهْرِ

فقلتُ لها والطَّرْفُ تَدْمَى كُلُومُه ... وقلبِيَ من لَذْعِ الكَلامةِ فى جَمْرِ

---

(١) فى السلافة : « وعن أفياء غير نزوح » . (٢) طلاح : متعبة هزيلة .

(٣) الأبرقان : أبرقا حجر اليمامة ، وهو منزل على طريق مكة من البصرة ، بعد رميلة اللوى للقاصد مكة . معجم البلدان ١/٨١ . (٤) فى السلافة : « لو أرى عنه ملحدا » . (٥) فى ب : « فوق طوق » ، والمثبت فى : ا ، ح ، والسلافة . (٦) فى ب : « أتتنى سليمى » ، والمثبت فى : ا ، ح .

(٧) فى الأصل : « على شخت النوائب » ، والشخت : الدقيق الضامر من هزال ، ولا محل له هنا ، فلعل الصواب ما أثبته .

والسخت : الشديد .

ألا فارْبَعِى عنِّى وعِى القولَ واسْمعِى ... ولا تُوجِعِى المحزونَ باللَّوْمِ والهجْرِ [١]
إذا جاء نصرُ اللهِ والفَتْحُ بعــــدَه ... فتبَّتْ يدُ الأحْزابِ في زمنِ الكُفْرِ [٢]
وإنِّى على بُعْدِ المَزارِ وقُرْبِه ... عزيزٌ على هامِ السِّماكَيْن والنَّسْرِ

* * *

وله [٣] :

ألا ليت شِعْرِى هــل أُلاقيكَ مَرَّةً ... وصوتَك قبل الموتِ هــل أنا سامعُ
فيادَهْرَنا للشَّتِّ هــل أنت جامِعٌ ... ويادهرَنا بالوصــلِ هل أنت راجعُ

* * *

وقال مخاطباً عمَّه الشريف إدريس [٤] ، وقد رأى تقْصيراً منه فى حقِّه [٥] :

رأيتُك لا تُوفِى الرِّجالَ حُقوقَهمْ ... توَهَّم كِبْراً ساء ماتتوهَّمُ
وتزْعُم أنِّى بالمَطامِع أرْتضِى ... هَواناً ونَفْسِى فوق مانِلْتَ تزْعُمُ
وما مَغْنَمٌ يُدْنِى لِذُلٍّ رأيْتَــــه ... فيُقْبَلُ إلّا وهْــــو عندىَ مَغْرَمُ
وأخْتــارُ بالإعْزازِ عنه مَنِيَّــــةً ... لأنِّى من القــــومِ الذين هُمُ هُمُ

* * *

المِصراعُ الأخير صدر أبيات أبى الطَّمَحان القَيْنِىّ [٦] ، أورد المُبرِّد فى « كامله » ، والشريف المُرتضَى فى « أماليه » ، وصاحب « الحماسة البَصْرية » منها أربعة أبيات .

---

(١) اربعى: انتظرى . (٢) يشير إلى سور : النصر ، والفتح ، والأحزاب ، من القرآن الكريم .
(٣) البيتان فى سلافة العصر ٣٠ .
(٤) تقدمت ترجمته ، صفحة ٧ ، من هذا الجزء ، ترجمة رقم ٢٦٧ . (٥) الأبيات فى سلافة العصر ٣١ .
(٦) أبو الطمحان حنظلة بن الشرق ، أحد بنى القين بن جسر .
شاعر جاهلى إسلامى ، وكان خبيث الدين جيد الشعر .
توفى نحو سنة ثلاثين للهجرة .
الأغانى ١٣/٣ ، سمط اللآلى ١/٣٣٢ ، الشعر والشعراء ٣٨٨ .

وهى [1] :

وإنِّى من القــــومِ الذين هُمُ هُمُ ... إذا مات منهم سيِّدٌ قام صاحبُهْ
نجــــومُ سماء كلَّما غابَ كوكبٌ ... بَدا كوكبٌ تأوِى إليه كواكبُهْ [2]
أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهم ... دُجَى الليلِ حتى نظَّم الجزْعَ ثاقبُهْ
ومازال منهم حيث كانُوا مُســـوَّدٌ ... تَسِيرُ المَنــايا حيث سارتْ كتائبُهْ

* * *

وأورد أبو تمام ، فى « حماسته » منها ثلاثة أبيات .

وهى [3] :

إذا قيل أىُّ الناسِ خـــيرٌ قبيلةً ... وأصبرُ يوما لا تَوارَى كواكبُهْ
فإنَّ بنى لَام بن عمرو أرُومةٌ ... سمَتْ فوق صعبٍ لا تُنال مَراقبُهْ
أضاءتْ لهم أحسابُهم . . . . إلخ

* * *

وله فى الغزل :

أفى المَضارب أسيافٌ وأجْفـــانُ ... تصولُ أم هىَ ألحاظٌ وأجْفانُ [4]
أحنَّتِ العِيسُ أم نَوْحُ الحمائمِ أم ... نسيمُ نَجْدٍ توالتْ منــه أشجانُ [5]
لا بل هو الشوقُ يدعو الصَّبَّ نحوَهمُ ... فيستجيبُ لهم قلبٌ وجُثمانُ
وكيف وهْـــو قوىُّ القلبِ لا سِيمَا ... وجُنْدُه خُرَّدٌ غِيــدٌ وغِزْلانُ [6]
طاب الزمانُ به والعَيْشُ وابتهجَتْ ... أوقاتُنــــا وكذا الأيامُ تزْدانُ

---

(١) الكامل ١/٤٩ ، أمالى المرتضى ١/٢٥٧ ، الحماسة البصرية ١/١٦١ . (٢) فى الكامل : « كلما غار كوكب » . (٣) حماسة أبى تمام ١/١٤٩، ١٥٠.

(٤) أجفان الأولى : جمع جفن ، وهو غمد السيف، والثانية جمع جفن العين . (٥) فى ا ، ج : « نوح الحمام » ، والمثبت فى : ب. (٦) فى ا : « وكيف لا وهو... وعنده خرد » ، والمثبت فى : ب ، ح .

هُمُ الأحبَّــةُ إن جارُوا وإن عَدَلُوا وهُم حُــــلولُ فؤادِى أينما كانُوا

* * *

وله فى مُغَنٍّ (١) :

بِرُوحِىَ مَن غَــنَّى وروضةُ خَدِّه مُخضَّبةٌ مُخْضَــلَّةٌ من دمِى غَنَّا
وأهْــدَى لنا وَرْداً وبَاناً ونَرْجِساً ولم يُهْدِ إلّا القدَّ والخــدَّ والجَفْنَا

* * *

وله فى روض :

انظُر إلى الروضِ كَساه الحيَا مَطارِفاً ضاع شَـــذاها الأرِيجْ
واهْتزَّتِ الأرضُ إلى أن رَبَتْ وأنبتتْ من كلِّ زَوجٍ بَهِيجْ



(١) الأبيات فى سلافة العصر ٣٠ .

٢٦٩

السيد عمّار بن بركات بن جعفر بن بركات*

هو لأبنية المكارم عمّار، ولمجتديه بمواهبه الدّارّة[1] غمّار.

أصلٌ كعمود الصبح فى الإنارة، وطبعٌ كالأغرّ المحجَّل فى الإثارة.

أحد فرسان الكُلوم والكلام، وأحد حَمَلة السيوف والأقلام.

سمعتُ له أشعاراً هى غايةٌ فى الحسن، يجلو رَونَقُ ديباجتها القلبَ من الحُزْن.

فعرفتُ أنه أحقُّ حقيقٍ بأن يُذكَر، وأخلقُ فى كلِّ خليقٍ بأن تُتلَى آياته وتُشكَر.

وكان دخل البلادَ الهنديّة، وتفيّأ ظلالَ أندية ملوكها النَّدِيّة النَّدِيّة.

فما لبِثَ أن تعلّقتْ فيه خطاطيفُ الظُّنون، وطارتْ به عنقاء المَنون.

* * *

وقد أثبتُّ له ماتستهلُّ البراعةُ من بَراعة استهلاله، ويؤذِن بالسِّحْر الذى لاحَرَج فى القول باستحلاله.

(*) السيد عمار بن بركات بن جعفر الحسنى.

أحد أشراف مكة، المشهورين بالفضل، والأدب، وجودة الشعر.

دخل الهند سنة اثنتين وستين وألف، وصحب بها النظام ابن معصوم ومدحه.

وتوفى بها، سنة تسع وستين وألف.

خلاصة الأثر ٣/٢٠٤ ـ ٢٠٦، سلافة العصر ٣١ ـ ٣٦، وفيه خطأ «عماد الدين»، سمط النجوم العوالى ٤/٤٦٩.

(١) ساقط من: ب، وهو فى: ا، ج.

فمنه قوله ، مُذيِّلاً بيت أبى زَمْعة جَدِّ أُمَيّة بن أبى الصَّلْت [١] ومادحاً النِّظامَ ابنَ مَعْصوم [٢] :

اشربْ هنيئاً عليك التّاجُ مُرْتفِقاً ... فى رأسِ غُمْدانَ داراً منك مِحلالَا [٣]

تسْعَى إليك بهـــا هَيْفاء غانيةٌ ... مَيّاسةُ القَدِّ كَحْلاَ الطّرْفِ مِكْسالَا

إذا تثنّتْ كغُصْنِ البانِ من تَرَفٍ ... وإن تجلّتْ كبـــدرٍ زان تِمثالَا

كأنهـــا وأدام اللهُ بَهْجتَها ... شمسٌ على فَلَكٍ إشراقُهـا طالَا [٤]

وكيف لا وهْى أمْسَتْ فيـه ساحِبَةً ... بخِدْمـــةِ السيِّد المِفضالِ أذيالَا [٥]

ذاكَ الذى جَلَّ عن تَنْوِيهِ تَسْمِيـةٍ ... شمسٌ عَلَتْ هل ترَى للشمسِ أمْثالَا [٦]

الباسمُ الثغـــرَ والأبْطالُ عابِسَةٌ ... والباذلُ المـــالَ لم يُتْبِعْه أنْكالَا

عارٍ من العارِ كاسٍ من محامِدِه ... لا يعرفُ الخُلْفَ فى الأقوالِ إن قالَا

إن قال أفْحَم نَدْبَ القـــومِ مِقْوَلُهُ ... أو صال أخْجَل لَيْثَ الغابِ إن صالَا

---

(١) ذكر ابن إسحاق أن القصيدة التى منها هذا البيت لأبى الصلت بن أبى ربيعة الثقفى، وقال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبى الصلت . السيرة ١/٦٥ ، ٦٦ .

وفى معجم البلدان ٣/٨١٢ أن البيت لأبى الصلت يمدح ذايزن، وهو فى اللسان ٣/٣٢٧ (غ م د)، ١٠/١١٩ (ر ف ق) دون نسبة .

(٢) تأتى ترجمة النظام بن معصوم فى هذا الباب ، برقم ٢٩٤

والقصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وسلافة العصر ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) فى الخلاصة ، والسلافة : « عليك التاج مرتفعا » ، وهو خطأ .

والمرتفق : المتكئ على المرفق .

(٤) عجز البيت فى خلاصة الأثر :

* ظَبْىٌ رَنا فسَبى تِيهاً وإدْلالَا *

وفى السلافة :

* تكوّنتْ من مُحيًّا دهرِنا خالَا *

(٥) فى ا : « أمست فيه سامية » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٦) فى خلاصة الأثر : « هل ترى للبدر أمثالا » .

عَـــلاَ به النَّسَبُ الوَضّاحُ مَنْزِلةً ... عن أن يُماثَل إعْظاماً وإجْــلالاَ

خُــذْها رَبِيبةَ فِكْرٍ طالَما حُجِبتْ ... لولا عُــلاكَ ووُدٌّ قطُّ ماحالاَ

واسْمَحْ بفضلِكَ عن تقصيرِ مُنْشِئِهــا ... وحُسْنُ بِشْرِكَ لم يبرَحْ بها فَالاَ [1]

* * *

قلتُ : وقد عارض البيتَ المُضمَّنَ بعضُ الشعراء ، مُخاطبا عبدَ الله بن طاهر ، حيث قال [2] :

اشْرَبْ هَنِيئاً عليك التَّاجُ مُرْتَفِقاً ... بالشَّاذِياخِ ودَعْ غُمْدانَ لليَمنِ [3]

فأنتَ أوْلَى بتاجِ المُلْكِ تلبَسُهُ ... من هَوْذَةَ بن عَلِيّ وابنِ ذِي يزَنِ [4]

وقصر غُمْدان باليمن ، بناه لِيشْرَح [5] بأربعة وجوه : أحمر ، أخضر ، وأبيض ، وأصفر ، وبنى داخلَه قصراً بسبعة سُقوف ، بين كل سَقْفين أربعين ذراعا ، وهو أحد الأبْنية الوثيقة للعرب ، يُتمثَّل بها فى الحَصانة والوَثاقة .

وقال بعضُ شُرَّاح « المقصورة الدُّرَيْدِيَّة » [6] ، عند شرح قوله :

وسَيْفُ اسْتعلَتْ به هِمَّتُهُ ... حتى رمَى أبعدَ شَــأْوِ المُرْتَمَى

فجَــرَّع الأُحْبُوشَ سَمًّا ناقِعاً ... واحْتَلَّ مِن غُمْدان مِحْرابَ الدُّمَى

ما صورتُه : غُمْدان بناء بصَنْعاء ، لم يُدْرك مثلُه ، هدَمه عثمانُ بن عفان فى الإسلام ، وله رسومٌ باقيةٌ إلى اليوم ، والمِحراب : الغُرفة بلُغَتِهم [7] .

---

(١) فى السلافة ، والخلاصة : « لم يبرح لها فالا » . (٢) البيتان فى معجم البلدان ٣/٢٢٩ .

(٣) الشاذياخ : كانت قديما بستانا لعبدالله بن طاهر ملاصقا لمدينة نيسابور ، ثم بنى مكانه مدينة لجنده اتصلت بنيسابور وأصبحت منها . انظر معجم البلدان ٣/٢٢٨ ، ٢٢٩ . (٤) عجز البيت فى معجم البلدان :

* من ابنِ هَوْذَةَ يوماً وابنِ ذِى يزَنِ *

(٥) فى الأصول : « ليشرخ » ، والمثبت فى معجم البلدان ٣/٨١١ . (٦) هو الخطيب التبريزى . انظر شرح المقصورة ٧٦ ، ٧٧ . (٧) هذا آخر ما جاء فى شرح الخطيب التبريزى .

وغُمْدان : قصر بناه النُّعمان بن المُنْذِر .

والشَّاذِياخ[1] : اسم نَيْسابور ، وقَرْيَةٌ بمَرْو ، كذا فى « القاموس »[2] ، ووجد على حاشية مكتوبٌ بخطِّ بعض فُضَلاء الشام على هامش « القاموس » صورتها : بل اسم مَدينةٍ بخُراسان ، قرب نَيسابور [3] وكانت بستانًا لعبد الله بن طاهر بن الحسين ، ذكَر فى « تاريخ نَيْسابور » [3] أنه لمَّا نزل عبدُ الله بها ، نزلتْ عساكرُه فى دورِ أهلها ، فرأى امْرأةً حسناء تسْقِى فرسَ جُنْدِىّ ، فقال : ما شأنُك ، لستِ أهلاً لهذا ؟!

فقالتْ : هذا فعلُ عبدِ الله بن طاهر .

فغضِب ، ونادَى فى عَسْكرِه : مَن بات فى المدينة حَلَّ مالُه ودمُه .

وسار إلى الشَّاذِياخ ، وبنى بها قصراً ، وبنى الجُنْدُ حولَه ، فعُمِّرتْ ، وكانت من أطْيب البلاد تُرْبةً وهواء .

* * *

وكتب إلى النِّظام المذكور ، يخاطبه بقوله[4] :

زُرْتُ خِــلًّا صَبيحةً لخبانِ ... بسُؤالٍ أشْقَى وأرْغَم شانِى
قال لمَّا نظرتُ نُورَ مُحَيَّا ... هُ ونِلْتُ المُنَى وكلَّ الأمانِى
كيف أصْبحْتَ كيف أمْسَيْتَ مِمَّا ... يُنْبِتُ الحُبَّ فى قلوب الغَوانِى
فتحرَّجْتُ أنْ أفُوه بما قد ... كان مِنِّى طَبْعًا مدَى الأزْمانِ[5]
يا أخا المَجْدِ والمَكارم والفَضْـ ... ـلِ ومَن لا أرى له اليومَ ثانِى[6]

(١) انظر معجم البلدان ٣/٢٢٨ ، ٢٢٩ ، والنقل الآتى فيه عن تاريخ نيسابور للحاكم .
(٢) القاموس ١/٢٦١ .
(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٤) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/٢٠٤ ، سلافة العصر ٣٣ .
(٥) فى ا : « إذ أفوه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
(٦) هكذا فى الأصول « ثانى » للقافية .

أدرِكْ أدرِكْ مُتيَّماً في هواكُمْ قبلَ تَسْطُو به يَدُ الحِدْثانِ[1]

وابْقَ واسْلَمْ مُمتَّعاً في سُرورٍ ماتغنَّتْ وُرْقٌ على غُصْنِ بَانِ[2]

* * *

فراجعه بقوله[3] :

ليت شِعْرى متى يكون التَّداني لبلادٍ بهـا الحِسانُ الغواني

وبها الكَرْمُ مُثْمِرٌ والأقاحي ضَحِكتْ عن ثُغورِ زَهْرٍ لِجَانِ

والبساتينُ فائحـاتٌ بعِطْرٍ يُخْجِلُ العَنْبَرَ الذَّكِيَّ اليَمانِي

وطيورٌ بهـا تجاوَبْنَ صُبْحاً وعَشِيًّا كنغْمَةِ العِيدانِ

وبألحانِها تُذِيبُ ذَوِى اللُّبِّ م وتُحْيِي مَيْتاً من الهِجْرانِ

وتَمَشَّى بهـا الظِّباءُ الخَوالِي مائساتٍ كناعمِ الأغْصانِ

كلُّ خَوْدٍ تسطُو بلَحْظٍ حُسامٍ وتَثَنَّى كما القنا المُرّانِ[4]

وَجهُها الصبحُ لكنِ الفَرْعُ منها ليلُ صَبٍّ من لوْعةِ الحبِّ فانِ[5]

غادةٌ كالنُّجُومِ عِقْدُ طُلاها ما اللآلى وما حُلَى العِقْيانِ[6]

إنَّ ياقوتَ خدِّها أرْخَصَ اليا قوتَ سِعْراً وعابَ بالمَرْجانِ[7]

كلُّ يوم يُقْضَى بقُرْبٍ لديْها فهْوَ يومُ النَّوْروزِ والمِهْرجانِ

منها :

تلك مَن فاقتِ الظِّباءَ افْتِتاناً فـلذا وَصْفُها أتَى بافْتِنانِ

---

(١) في السلافة ورد عجز البيت هكذا :

* واكْفُفَنْ عنه صَولَةَ الحِدْثانِ *

(٢) ز ، ا : «واسلم ودم ممتعا» ، والمنتخب : ب ، ج ، والخلاصة ، وو السلافة : «واسلم منعما في سرور» .

(٣) القصيدة في : خلاصة الأثر ٣/٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ سلافة العصر ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) الخود : المرأة الشابة ، والمران : الرماح اللدنة الصلبة .

(٥) في السلافة : «إنما الفرع منها» .

(٦) في خلاصة الأثر : «عقد حلاها» .

(٧) في السلافة : «سعرا وعائب المرجان» . وبعد هذا البيت في السلافة زيادة : « منها » .

ما لِمُضْنًى أُصِيبَ من أَسْهُمِ اللَّـ ـحظِ نجاةٌ من طارقِ الحِدْثانِ
أَذْكرتْنى أيامَ تلك وأغرَتْ أعْيُنِى بالبُكاءِ والهَمَلانِ[1]
نَفَثاتٌ كالسِّحْرِ يَصْدَعْنَ فى قَلْـ ـبِ مُعَنًّى من المَلامةِ عانِ[2]

* * *

ومنها :

كلمــاتٌ لكنَّها كالدَّرارِى وسطورٌ حوَتْ بديعَ المعانِى[3]
إذْ أتتْ من أخٍ شقيقِ المَعالِى فائقِ الأصْلِ غُرَّةٍ فى الزَّمانِ
صافِى الوُدِّ صافِى القلبِ قَرْمٌ كعبةٌ قد عَلا على كِيوانِ[4]
ذاكراً لِىَ فيها تزايدَ شَوْقٍ ووُلوعاً بها مدَى الأزمانِ[5]
ففهِمْتُ الذى نَحاهُ ولكنْ ليت شِعْرِى يَدْرِى بما قد دَهانِى
أنا قيسٌ فى الحبِّ بل هُو دونِى لا جميلٌ حالى ولا كابْنِ هانِى
يا أخا العَزْمِ قد سَلِمْتَ ووَجْدِى طافحٌ زائدٌ بغــيرِ توانِ
فلحتْنِى أبصرتُ مَن قد رَمانى وغنــاءُ تَصَيَّدُ الغِزْلانِ
إن تشأْ شَرْحَ حالِ صَبٍّ كئيبٍ فلقد قاله بديعُ المعــانِى
مَرَضِى من مَريضةِ الأجْفانِ عَلِّلانى بوَصْلِهــا عَلِّلانِى

* * *

البيتُ الأخير مشهور ، وهو مطلع قصيدةٍ للشيخ الأكبر[6] ، قدَّس اللهُ سِرَّه الأنوَر[7] .

---

(١) فى الخلاصة : « أيام تلك وعزت » ، وبعد هذا البيت فى السلافة زيادة : « ومنها » .
(٢) فى ا : « نغمات كالسحر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
(٣) فى السلافة : « وسطور حصت » . (٤) فى السلافة : « كعبة المجد فى ذرا كيوان » . وكيوان : زحل .
(٥) فى السلافة : « ذا كرا لى بها » ، وفى الخلاصة ، والسلافة : « ولوعا به » .
(٦) فى ج بعد هذا زيادة : « رضى الله عنه » . (٧) ذكر ابن معصوم ، فى السلافة ٣٤ بعض أبيات محى الدين بن عربى من القصيدة التى أولها هذا البيت .

٢٧٠

الإمام عبد القادر بن محمد الطَّبَرِىّ*

إمام الأئمّة ، وعالم هذه الأمة .

فضائلُه يقِلُّ عند عدِّها رمل يَبْرِين[1] ، ومَحامِدُه يتضاءل لدَيْها مِسْكُ دَارِين[2] .

وهو من الرُّتبة المَكينة ، والمَهابة التى جمَّلت الوقارَ والسَّكِينة .

فى محلٍّ اتَّخذ المَجرَّة مَمْشًى ، والفَلَكَ الأَطْلَس عرْشاً .

ثم إذا اعتُبِر حالُه من أرْقامِه ، شهِد الوصفُ بأن ذلك دون مَقامِه .

وأمَّا تصلُّبُه فى أمْرِ الدِّين ، فهو فيه من أعْظَم الرَّاشِدين المرشدين.

إلى بلاغة وبراعة ، أعْجَز بهما فرسان اليَراعة .

* * *

(*) عبد القادر بن محمد بن يحيي الحسيني الطبري الشافعي المكي .

إمام أئمة الحجاز .

ولد سنة ست وسبعين وتسعمائة بمكة ، وذكر الشوكاني أنه ولد سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة .

ونشأ بمكة ، وأكمل حفظ القرآن ، وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، وحفظ عدة متون ، وفى سنة إحدى وتسعين وتسعمائة بدأ بالاشتغال على علماء عصره مثل الشمس محمد الرملي المصري الشافعي ، وشمس الدين محمد الصحراوي الحنفي ، وعبد الرحمن الشربيني الخطيب ، وعلى بن جار الله بن ظهيرة الحنفي ، فأخذ من كل فن بطرف وبرع فى التأليف ، وله مصنفات منها : «شرح الدريدية» و «حسن السريرة فى حسن السيرة» ، و «علو الحجة بتأخير أبى بكر بن حجة » ، و «عيون المسائل من أعيان الرسائل» ، و «الكلم الطيب على كلام أبى الطيب » .

وتوفى بمكة ، سنة ثلاث وثلاثين وألف ، وذكر الشوكاني أن وفاته كانت سنة اثنتين وثلاثين وألف.

البدر الطالع ١/ ٣٧١ ، ٣٧٢ ، خلاصة الأثر ٢/ ٤٥٧ — ٤٦٤ ، خلاصة الكلام ٦٧ ، سلافة العصر ٤٢ — ٥٠ ، سمط النجوم العوالى ٤/ ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(١) يبرين : رمل لا تدرك أطرافه، عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة . معجم البلدان ٤/ ١٠٠٥ .

(٢) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان ٢/ ٥٣٧ .

وقد أثبتُّ له ما يقوم بالحجَّة .

فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها الشريف حسن بن أبي نُمَيّ[1] :

بَدَتْ تجرُّ ذُيول التِّيهِ والخُيَلَا ... في روضةِ العُجْبِ حتى قلتُ حَيَّ عَلَى

خَوْدٌ تُجرِّد بِيضاً من لَوَاحظِها ... فتتركُ الأُسْدَ في ساحاتِها قتلَا[2]

وتنثني بقَوامٍ زانَه هَيَفٌ ... فتُخجِلُ الغُصْنَ تَعْديلاً كذا مَيلَا

ما أطلعتْ لِي هلالاً من مُبَرْقَعِها ... إلّا وعايَنْتُه بَدْراً فلا أُفُلَا

ولا رَنَتْ لي بلَحْظٍ فَتْرةً كَسَلَا ... إلّا وقد بعثتْ خوفَ الحشا رُسُلَا

يا حُسْنَها من فتاةٍ حَلَّ مَبْسَمَها ... ظَلْمٌ يفوق على لَذَّاتِه عَسَلَا

ورَصَّعَتْه لآلٍ حولَ مَنْبَتِها ... زُمرُّدُ الوَشْمِ باللهِ ما فَعَلَا[3]

ناديتُها ورماحُ الحيِّ مُعْلَنةً ... يا ظَبْيَةَ الحيِّ هل ما يبلغُ الأَمَلَا[4]

لِوَالِهٍ عبِثَتْ أيْدِي الغرامِ به ... أمَا تَرَىْ شأنَه أن يُبْدِعَ الغَزَلَا

قالتْ صدقْتَ ولكنْ ذاك تَوْطِئةٌ ... لِمَدْحِ أفضلِ مَن في الأرضِ قد عَدَلَا

السيِّدِ الحسَنِ المَلِكِ الهُمامِ ومَن ... تراه بالحقِّ للجَوْزاء مُنْتعِلَا

سلطانُ مكّةَ حامِي البيتِ مَن شهِدتْ ... بعَدْلِه الأرضُ لمّا مَهَّد السُّبُلَا

(١) الشريف حسن بن أبي نمي محمد بن بركات الحسني ، شريف مكة .
ولد سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة .
واستقل بسلطنة الحجاز بعد موت أبيه أبي نمي ، سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ، فقام بها خير قيام .
وكان صاحب فضل باهر ، وأدب غض ، ومحاضرة دلقة ، واستحضار غريب .
توفي سنة عشرة بعد الألف .
خبايا الزوايا لوحة ٨٢ ب ، خلاصة الأثر ٢/٢ ، خلاصة الكلام ٥٦-٦١ ، ريحانة الألبا ٣٨٨/١ ، سمط النجوم العوالي ٣٥١/٤ - ٣٦١ .
وقصيدة الطبري في : خلاصة الأثر ٤٥٩/٢ ، ٤٦٠ .

(٢) في خلاصة الأثر : « في ساحاتها قتلى » .

(٣) في خلاصة الأثر : « من فعلا » .

(٤) في ب : « يا ظبية هل ما يبلغ الأملا » ، والمثبت في : ا ، ح ، وخلاصة الأثر .

مُؤيِّدُ الدِّين بالعَزْمِ الذى اقْترنَتْ ... به السَّمادات فى حالاتِه بُجَــلَا[1]

لَيْثُ الكتيبةِ مُرْوِى المشْرَفيَّةِ مِن ... دمِ العِدَى منْهلاً إذْ أرْعَف الأسَلَا[2]

صادَ الصَّناديدَ يوم الحربِ ما بَطَلٌ ... رأى عَجائبَه إلَّا وقد بَطَــلَا

كم ذا أبانَتْ عن العَلْيــاءِ هِمَّتُه ... وكم أبادتْ مَعالِى عَزْمِه رَجُلَا

وكم محا سيفُه أهــلَ الفَسادِ وأرْ ... بابَ العِنادِ فجارَى سيفُه الأَجَلَا

فأصبحُوا لا تُرَى إلا مَساكنُهمْ ... بَلاقِعاً قد كَساها الذُّلُّ ثوب بِلَى

وليس بِدْعاً فهــذا شأنُ والدِه ... علىٌّ المُرْتضَى السامِى بفضْلٍ وَلَا

فَسَلْ حُنَيْناً وسَلْ بَدْراً وسَلْ أُحُداً ... والنَّهْرَوانِ وسَلْ صِفِّينَ والجَمَلَا

فيا ابنَ طَه عَــلَوْتَ الناسَ قاطِبةً ... وجَلَّ قَدْرُك أن تَحْكِى له مَثَلَا[3]

هل أنتَ مَلْكٌ عظيمُ الخلْقِ أم مَلَكٌ ... أبِنْ فأمْرُك هــذا حيَّرَ العُقَلَا

* * *

وقوله من أخرى يمدحه بها ، وأولها :

رَبْرَبُ الأخْدارِ من شَمِمَهْ ... لا يُراعِى النَّقْضَ فى ذِمَمِهْ

حجَب الأبْصارَ رُؤْيتُــه ... وتجلَّى فى خِبَا خِيَمِهْ

وأرى أحْبابَ حَضْرتِه ... غَضَباً ما كان من شِيَمِهْ

ما يراه حالَ نَفْرتِه ... غيرُ مَن بارَى بسَفْكِ دَمِهْ

زُرْتُه والعَزْمُ يُسْعِفنى ... آمِلاً منــه ابْتسامَ فَمِهْ

جُنْحُ ليلٍ مُسْفِرٌ بسَنَا ... طَلْعــةِ المأمولِ عن ظُلَمِهْ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « مؤيد الدين بالفهم الذى اقترنت » .
وفى ا ، ج : « به السعودات » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى الأصول : « مردى الكتيبة . أرعف الأصلا » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٣) فى خلاصة الأثر : « علوت الناس مرتبة » .

فحَدانِي عَرْفُ ساحتِــه ... وهَــدانِي مُرتقَى أَكَمِهْ
فبــدا لى فى الحجابِ فمن ... فَرْقِهِ نُورٌ إلى قَدَمِهْ
هــو للرّائِي مُعايَنةً ... مثــلُ طَيْفٍ مَرّ فى حُلُمِهْ
هِمتُ من حُــبِّي له زَمنًا ... فى رُبَا نجْدٍ وفى سَلَمِهْ
أَنْظِمُ الآدابَ من غزَلٍ ... أَسْنِدُ الإعجازَ عن كَلِمِهْ
لِنَسِيبٍ فى المديحِ يُرَى ... حَسَنًا عنــد اجْتِنا نِعَمِهْ
سَيِّداً من آل حَيْــدرةٍ ... وعَرِيقًا باقْتِفَا عِصَمِهْ
وحكيماً فى ممالكِه ... قَطُّ ما انحلتْ عُرَى حِكَمِهْ
فاق قُسًّا فى فَصاحتِــه ... وسَما الطَّــائِيَّ فى كَرَمِهْ
وابنُ سُعْدَى لو يُقاسُ به ... كان مَطْروحاً بمُلْتَزَمِهْ
هزَّه للمَكْرُماتِ سَنَا ... عُنْصرٍ منــه انْتِها هِمَمِهْ
كيف لا يهتزُّ مُغتبِطًا ... وكتابُ اللهِ فى عِظَمِهْ
وملوكُ الأرضِ قاطبــةً ... كلُّهم واللهِ مِن خَــدَمِهْ
جَــدُّه طٰه الشَّفيعُ لنا ... فَوْزُ مَن يأوِى إلى عَلَمِهْ
طِبْتَ نفساً يامليكُ به ... فى غَدٍ طُوبَى لِمُعْتَصِمِهْ(١)
أُمُّكَ الزَّهْراءُ إبْنَتُــه ... وأبوكَ السِّبْطُ من رَحِمِهْ
أيَّد الرحمنُ قِبلتَــهُ ... بكَ واسْتَحْمَى حِمَى حَرَمِهْ
وحَباكَ المجــدَ أجْمَعَه ... حيثما ذَبَّيْتَ عن حُرَمِهْ
قَسَماً باللهِ يُقْسِمُــه ... عبدُ بِرٍّ بَرَّ فى قَسَمِــهْ
إنَّكَ المَهْــدِى وحُجَّتُه ... عَدْلُكَ المَمْدودُ مِن قِسَمِهْ

---

(١) فى ا : «يا مليـكا به» ، والمثبت فى: ب ، ج .

يا أميرَ المؤمنين ويا مَن   شاد بالعَلْيَا على أُطُمِه [١]
خُــذْ مَدِيحاً كلُّه دُرَرٌ   جاء يسْعَى نحو مُسْتَلِمِهْ
هَزَأَتْ بالفَجْرِ غُرَّتُه   حيث لاحتْ من دُجَى لِمَمِهْ
نَظْمُ عبدٍ نَثْرُ مَدْحِك ما   زال يُرْوَى عن حِجَى قَلَمِهْ
دُمْتَ مولاه وسَيِّدَه   ماشَــدا القُمْرِىُّ فى نَغَمِهْ

* * *

ووقف على قول البدر الدَّمَامِينِىِّ [٢] :

ياساكِنِى مكَّةَ لا زلْتُمُ   أُنْسًا لنـــا إنِّى لم أنْسَكُمْ
مافيــكُمُ عَيْبٌ سِوَى قَوْلِكُمْ   عنـــد اللِّقا أوْحَشَنَا أُنْسُكُمْ

فقال مجيبا [٣] :

ماعَيْبُنا هـــــذا ولـكنَّه   مِن سُوءِ فَهْمٍ جاءَ مِن حَدْسِكُمْ
لم نَعْنِ بالإيحاشِ عنـــد اللِّقا   بل مامضَى فابْكُوا على نَفْسِكُمْ

وحَذا حَذْوَه ولدُه زَيْنُ العابدين [٤] ، فقال [٥] :

يامُظْهِرَ العَيْبِ على قَوْلِنـــا   عند اللِّقا أوْحَشَنا أُنْسُكُمْ

---

(١) سقطت «من» من : ب ، وهى فى : ا ، ج.
والأطم : الحصن .
(٢) تقدم التعريف بالبدر الدماميني ، فى الجزء الأول ، صفحة ٥٠٢ .
والبيتان فى : خلاصة الأثر ٢/٤٦٠ ، سلافة العصر ٥٠ .
(٣) خلاصة الأثر ٢/٤٦٠ ، سلافة العصر ٥٠ .
(٤) زين العابدين بن عبد القادر بن محمد الطبرى الحسينى المكى الشافعى .
إمام المقام الإبراهيمى .
ولد سنة اثنتين بعد الألف ، وحفظ القرآن ، وأخذ عن والده ، وعن أكابر شيوخ الحرمين كالشيخ عبد الواحد الحصارى المعمر ، والسيد محمد الشلى باعلوى ، والشيخ الحسن بن على العجيمى المكى .
توفى بمكة سنة ثمان وسبعين وألف .
خلاصة الأثر ٢/١٩٥ ، ١٩٦ ، سلافة العصر ٥٠ ـ ٥٧ .
(٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٤٦٠ .

مَاقَصْــدُنا ماقد جَنَحْتُمْ له   من خطأٍ قد جاء فى فَهمِكُمْ
فقوْلُنـــا المذكورُ جارٍ على   حَذْفِ مُضافٍ غابَ عن حَدْسِكُمْ[1]
والقَصْدُ فَقْدُ الأُنْسِ فيما مَضَى   لا ضِدُّه الواقِعُ فى وَهْمِــكُمْ
فالأُنْسُ لم يُوحِش بلَى فَقْدُه   هو الذى يُوحِش مِن مِثْلِــكُمْ
وبعد أن بان لــكم فاجْزِمُوا   بِنِسْبةِ العَيْبِ إلى نَفْسِكُمْ

ولَمّــا وقف على ماقالاه أحمــدُ بن عبد الرءوف[2] ، قال مُجيباً ومعتــذِرا عن الدَّمامِينِيّ[3] :

صَوْناً مَوالِى الفضلِ بين الورَى   للبَــدرِ أن تُذرِكَه شَمْسُكُمْ
وجَلُّوه بعَبــاءِ الإخَا   فإنه الأنْسَبُ من قُدْسِكُمْ[4]
فإنه الـكنزُ وبُنيــانُه   مُؤَسَّسٌ قِدْماً على أُسِّكُمْ
كأنه أضْمَر أن شانَكُمْ   صِناعةُ الإبْهامِ فى لَفْظِكُمْ
فاستعمَلَ النَّوعَ الذى أنتمُ   أدْرَى به كى يُجْتَنَى غَرْسُكُمْ
ولم يسَعْه كونُه مُنْكِرا   لِمثلِ هذا الحِذْقِ من مِثْلِكُمْ[5]
فإنَّ هـــذا سائغٌ شائِعٌ   بُرْهانُه أوْحَشَنا أُنْسُكُمْ

---

(١) فى ب : « من حدسكم » ، والمثبت فى : ا ، ج وخلاصة الأثر .   (٢) تأتى ترجمته فى هذا الباب برقم ٢٩١ .   (٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢ / ٦٠ ، ٦١ .   (٤) فى الأصول : « وخللوه بعباء » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

وفى ا : « فإنه أنسب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) فى ا : « لمثل هذا الحزو » ، وفى ب ، ج : « لمثل هذا الحذف » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

٢٧١

ولده عليّ *

الإمامُ ابنُ الإمام، والقَطْر ابنُ الغَمام .

نشأ فى كَفالتِه باذِخَ المَرْبِضِ والعَرِين ، شامِخَ الأنْف بذلك الوالدِ أشَمِّ العِرْنِين.

أرْتَعَه معه فى رَوْضِه ، وسَقاه بيده من حَوْضِه .

حتى بلَّغه رُتْبَةً تتَقاعَسُ عنهـا رتبةُ التَّمَنِّى ، واعْتنَى به فأوصلَها إليـه بغـير مشَقَّةِ التَعَنِّى .

فقام مَقامَه فى الإمامـة والتَّـدريس ، وانْتصَب للفُتْيـا على مذهبِ الإمام محمد بن إدريس .

وألَّف وصنَّف ، وقَرَّط الأسماعَ بلآليه وشَنَّف .

* * *

وهو فى الأدب ممن سبَق وفات ، وجَمع على أحْسنِ نَسَقٍ كلَّ مُتفرِّقٍ رُفات .

وله نظمٌ كانتظامِ الأحْوال ، ونثرٍ تعرف منه كيف تشْتَبِه الجواهرُ بالأقْوال .

فمن نثره ، ما كتبه إلى القاضى تاج الدين المالِـكِىّ [١] مُسائلا [٢] :

(*) على بن عبد القادر بن محمد الطبرى الحسينى المكى الشافعى .

ولد بمكة ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن وجوده ، ولازم والده فى الفنون العلمية ، وأخذ عمن عاصره من أكابر العلماء .

اشتغل بالتدريس ، والإفتاء ، وصنف كتباً عديدة ، منها التاريخ المسمى بـ « الأرج المسكى والتاريخ المكى » ، و « الجواهر المنظمة بفضيلة الكعبة المعظمة » .

توفى سنة سبعين وألف ، بمكة .

حديقة الأفراح ٤٥ ، ٤٦ ، خلاصة الأثر ٣/١٦١ ــ ١٦٦ ، سلافة العصر ٥٧ ــ ٦٣ .

(١) تأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ٢٧٧ .

(٢) النص جميعه فى : خلاصة الأثر ٣/١٦٢ــ١٦٤ ، سلافة العصر ٥٨ ــ ٦١ .

سيدَنا المُقتدَى بآثاره ، المُهتدَى بأنواره .

إمامَ محرابِ العلوم البديعة ، وخطيبَ منبر البلاغة التى أضحَت مُذعِنة له ومُطيعة .

قمرَ سماء المجد الأثيل ، فَلَكَ شمسِ[1] فخرِ كلِّ ذى مقام جليل .

المُميطةُ يدُ بيانِه حواجزَ الأشكال عن وجوه المعانى ، المعترِف بمَنطقِه الفصيح القاصِى من هذه الأمّة والدّانى .

عمدةَ المحقّقين قديما وحديثا ، مَلاذَ المُدقّقين تفسيرا وتحديثا .

الصاعد[2] معارجَ العَليا بكماله ، المُنشِد فى مقام الافتخار لسانُ حالِه :

لنا نفوسٌ لِنَيْلِ المجدِ راغبةٌ ولو تسلَّتْ أسَلْناها على الأسَلِ[3]

لا ينزِل المجدُ إلَّا فى منازِلنا كالنَّوم ليس له مأوًى سِوى المُقَلِ

والقائل عند المُجادله فى مَقام المُباهلة :

نحن الذين غدَتْ رَحَى أحسابِهم ولَها على قُطْبِ الفَخارِ مَدارُ

المملوكُ يُقبِّل الأرضَ التى ينال بها القاصِدُ ما يُؤمِّله ويرتجيه ، ويُنهِى أنه نظم بعضُ الجهابِذة الأعيان بَيْتين فى التّشبيه .

والسببُ الدّاعِى لهما ، والمعنَى المُقتضِى لنَظمِهما .

أنه أبصرت العينُ ظَبْيًا يرتعُ فى رياضِه ، ويمنَع بسُيوف لِحاظِه[4] عن وُرودِ[5] حِياضِه .

يرى العاشقُ سيِّآتِه حسناتٍ جاد بها وأحْسَن ، ويعترف له بالحُسْن كلُّ حَسَنٍ فى الأنام وابن أحْسن .

---

(١) ساقط من : سلافة العصر ، وفى الأصول : « الشمس » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٢) فى سلافة العصر : « والصاعد » . (٣) فى الخلاصة والسلافة : « لنيل المجد عاشقة » .

(٤) فى سلافة العصر : « جماله » . (٥) فى ا : « ورد » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

بدا وهو الجوهرُ [1] السالِمُ من العَرَض ، وظهر وعليه أثرٌ من آثار المَرَض .
فأراد المُشبِّه تشبيهَه فى هذه الحالة ، فشبَّهه بغُصْنٍ ذابِلٍ قائلا لا مَحالَة .
ونَظم ذلك المعنى ، فشَدا بما قاله صادحُ الفصاحةِ وغَنَّى .
وهو:

بَدا وعليـــه أثرٌ مِن سَقامٍ كمَكْحولٍ من الآرامِ ساهِى
فخُيِّل لى كبدرٍ فوق غُصْنٍ ذوَى للبُعْدِ من قُرْبِ المِياهِ

فاعترض معترِضٌ عالم بالإصْدار والإيراد ، قائلا : إن البيتَ الثانىَ لا يُؤدِّى المعنى المُراد .

إذ القصدُ تشبيهُه بالغُصن المَوصوف ، وليس المُرادُ تشبيهَه بالبدرِ فالبدْر لا يُوصَف إلّا بالخُسوف .

فطالتْ بين المُعترِض والمُعترَض عليه المُنازَعَة ، ولم يسلِّم كلٌّ واحد منهما للثانى ماجادل [2] فيه ونازَعَه .

فاختارا [3] القاضىَ الفاضل حَكَماً ، ورَضِيا [4] سيِّدَنا حاكما ومُحكَّما .
فَلْيحكُم بما هو شأنُه وشِيمتُه من الحق ، ولْيتأمَّل ما عسى أن يكون قد خَفِى عن نظرِهما ودَقّ .

والأقْدام مُقْبِلة ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمدٍ ما هبَّت الرِّيحُ المُرسلَة .

* * *

فأجابه بقوله :

سيِّدنا الإمام [5] الهُمام ، الذى أضْحَى عَلَم الأئمّة الأعلام .

---

(١) فى الأصول : « جوهر » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، وسلافة العصر .
(٢) فى سلافة العصر : « جادله » . (٣) فى الأصول : « مختار » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، وسلافة العصر . (٤) فى الأصول : « ورضى » ، وفى السلافة : « وراضيا » ، والمثبت فى خلاصة الأثر
(٥) ساقط من سلافة العصر .

الإمامُ المُقتدَى به وإنما جُعِل الإمام[1] ، الحَبْر الذى قصُرَت عن استيفاء فضائلِه

الأرْقام ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ[2] ﴾ .

وارثُ الجَلالةِ عن آبائه الذين زهَتْ بذِكْراهم[3] الأخبارُ والسِّيَر ، المُقيم من نفسِه

العِصاميَّة على ذلك أوضحَ دلالةٍ يُصدِّقُ فيها الخُبْرُ الخَبَر .

الحَرِىُّ بما استَشْهد به فى شأنِ الملوك ، السَّالكُ من الكمال طريقةً عزَّ على غيره

فيها لعِزَّتها السُّلُوك[4] .

يُقَبِّل المملوكُ الأرضَ بين يديه ، ويؤدِّى بذلك ما هو الواجبُ عليه .

ويُنهى وصولَ المِثال العالى ، الفائقة جواهرُ كلماته على فَرائد اللآلِى .

يتضمَّن السؤالَ عن بَيْتَىْ ذلك الجَهْبَذ ، فى الشَّأْن[5] الذى قضى حُسْنُه أن تُسْلَب

الأرواحُ وتُؤْخَذ .

ومَنع حبُّه الكلامَ الألْسُن ، وكان الدليلُ على ذلك اعترافَ ابن أحْسن .

فإنه ذو النَّظَر العالى المُدرِك حقيقةَ الكُنْه ، فإذا تنوَّر من أذْرِعات[6] أدْنى ما تنوَّره

إلى قِيدِ شِبْرٍ منه .

فتأمَّل المملوكُ ما وقع من تلك المُعارضة ، التى أفضَتْ إلى التَّحكيم والمفاوضة[7] .

وإذا المُتعارضان قد مزَجا فى حُلْوٍ فكاهتهما شدةَ البأسِ فى البحث برِقَّة الغَزَل ،

وأخرجا الكلامَ لبلاغتهما على مُقتضى حالٍ من جِدٍّ وهَزَل .

---

(١) فى الأصول ، وخلاصة الأثر : « إمام » ، والمثبت فى سلافة العصر .

(٢) سورة لقمان ٢٧ .   (٣) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « بذكرهم » .

(٤) بعد هذا فى السلافة زيادات تنظر فيها ، صفحة ٦٠ .   (٥) فى سلافة العصر : « الشادن » .

(٦) أذرعات : بلد فى أطراف الشام ، يجاور أرض البلقاء وعمان . معجم البلدان ١ /١٧٥ .

وهو يشير إلى قول امرئ القيس :

تنوَّرْتُها من أذْرِعاتٍ وأهلُها   بيَثْرِبَ أدْنَى دارِها نَظَرٌ عالِ

ديوانه ٣١ .

(٧) فى الأصول : « والمعاوضة » .

وجَرَيا إلى غايةٍ حقَّقا عند كلِّ سابِقٍ أنه المَسبوق ، وأرَيا غُبارَهما لمن أراد اللُّحوق .

وكان الأحْرَى بالمملوك سَتْرُ عَوارِ نفسِه ، وحَبْسُ عِنانِ قلمِه أن يجرىَ فى مَيْدانِ طِرْسِه .

لكنْ لَمَّا كان تَرْكُ الجوابِ من الأمرِ المَحْظور ، لم يلتفتْ إلى ما يترتَّب على الواجب[1] من المَحْذُور .

فقال حيث كان الأمرُ على ما أسْنَده مولانا عن النَّاظِمِ وروَى ، من أنه قصَد التَّشْبيه فى حال بَقايا أثَرِ السَّقامِ بغُصْنٍ ذَوَى .

فعدَل إلى سَبْكِه فى قالَب صياغتِه ، وسَلْكِه فى سِلْكِ بلاغته .

فلا شكَّ أنه أتى بما لا يدُلُّ على المراد دلالةً أوْلَوِيَّةً[2] ظاهرة ، وكان كمن شبَّه الأغصانَ أمام البدرِ ببنت مليكٍ خلف شُبَّاكها ناظِرة .

وحينئذ فإطْلاقُ القولِ بأن البيتَ الثانى لا يدلُّ[3] على ما أُرِيد ، ربما تمسَّك الخَصْمُ فى عدمِ ثُبوتِ الحكمِ عليه[4] بأنه إطلاقٌ فى محَلِّ التَّقْييد .

كما أن للمُعترِض أن يتمسَّك فى ذلك باسْتِيفاء[5] الدَّلالة الأولويَّة[6] ، فيكون المَحكوم به هو المُتعارَض[7] فى القضيَّة .

وهذا أجْدَى ما رآه المملوكُ فى فَصْل الخطاب ، وأحْرَى ما تحرَّى فيه أنه الصواب .

مع اتِّهامِه نفسَه فى مُطابقةِ الواقع فى الفَهم ، لعلْمِه بدِقَّة نَظَرِ مولانا إذا قَرْطَسَ[8] أغراضَ المعانى مِن فَهْمه بسَهْم .

---

(١) فى سلافة العصر : « الجواب » ، وهى رواية حسنة . (٢) فى سلافة العصر : « أولية » .
(٣) بعد هذا فى ا زيادة : « إلا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .
(٤) ساقط من سلافة العصر . (٥) فى سلافة العصر : « بانتفاء » . (٦) فى سلافة العصر : « الأولية » . (٧) فى سلافة العصر : « التعارض » . (٨) قرطس السهم : أصاب به الهدف .

وتجويزه على نفسه العجزَ عن الوصول إلى مأخذِ المولى ومَدْرَكه ، واعترافِه بأنه لا يُجارَى فى نَقْد الشِّعر لأنه فارس مَعْرَكه[1] .

انتهى .

* * *

قولُه[2] فى أثناء الجواب : « كان كمن شبَّه الأغصان ، أمام البدر » ، يُشير به إلى قولِ الصَّلاحِ الصَّفَدِىّ :

كأنمــا الأغصانُ لمَّا انثنَتْ أمامَ بَدْرِ التِّمِّ فى غَيْهَبِهْ
بنتُ مَليكٍ خَلْفَ شُبَّاكِها تفرَّجتْ منه على موكبِهْ[3]

وله فيه أيضا :

كأنمــا الأغصانُ فى رَوْضِها والبدرُ فى أثنائها مُسْفِرُ[4]
بنتُ مَليكٍ سار فى مَوْكِبٍ قامتْ إلى شُبَّاكِهــا تنظُرُ

* * *

قال النَّواجِىّ : لا يَخْفَى ما فى هــذين [5] البيتين ، بل [5] المقطوعيْن من ضَعْفِ التركيب ، وكثرة الحَشْو ، وقلْب المعنى ، وذلك أنه جعل الأغصانَ مبتدأً ، وأخبر عنه ببنت المَليك ، وهو فاسد ، وإن كان قصدُه تشبيهَ المجموع بالمجموع ، إلا أن الإعراب لا[6] يساعده .

---

(١) فى سلافة العصر : « معركة » .

(٢) هذا النقل أيضاً عن السلافة .

(٣) الشباك : كوة مشبكة بالحديد ، مولد . شفاء الغليل ١٢٩ .

وفى ب : « تفرجت منه على كوكبه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، خلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٤) فى سلافة العصر : « فى أثنائها يسفر » .

(٥) ساقط من سلافة العصر .

(٦) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « لم » .

على أنه لم يخترعْ هـذا المعنى ، بل سبقه إليه القاضى مُحيي الدِّين ابن قُرْناص[1] ، فقال :

وحديقةٍ غَنَّاء ينْتظِم النَّدَى   بفُروعِها كالدُّرِّ فى الأسْلاكِ

والبدرُ مِن خَلَلِ الغصونِ كأنه   وجهُ المليحةِ طَلَّ من شُبَّاكِ[2]

فانظُر إلى حِشْمةِ هـذا التركيب وانْسجامه ، وعدم التَّكلُّف[3] والحَشْو ، واسْتيفاء المعنى فى البيت الثانى فَحسْب ، والصَّفَدِىّ لم يسْتوفِ المعنى[4] إلّا فى بيتين ، مع[5] ما فيهما .

فلو قال فى المقطوع الأوّل :

كأن بدرَ التِّمِّ لَمّا بدَا   من خَلَلِ الأغصانِ فى غَيْهَبِهْ

بنتُ مَليكٍ خَلْفَ شُبّاكِها   تفرّجتْ منه على موكبِهْ[6]

وفى المقطوع الثانى :

كأن بدرَ التِّمِّ فى روضـةٍ   من خَلَلِ الأغصانِ إذْ يُسْفِرُ

بنتُ مَليكٍ سار فى موكبٍ   قامتْ إلى شُبّاكِها تنظُرُ

[7] لتمَّ له من غيرِ تكلُّف [7]

* * *

---

(١) فى حاشية المنهل الصافى ١/١٢٢ ، عند ذكر مخلص الدين إبراهيم بن محمد ، ابن قرناص الحموى ، أن ممن يكنى بابن قرناص جماعة كثيرون كلهم من حماة ، وكأنهم من أسرة واحدة ، وأن منهم محي الدين ابن قرناص الحموى شاعر مجيد ، أديب مشهور ، تجد كثيراً من شعره فى «خزانة الأدب» ، لابن حجة الحموى ، وغيرها .

(٢) فى سلافة العصر : «يطل من شباك» . (٣) فى الأصول : «التكليف» ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، وسلافة العصر . (٤) زيادة من سلافة العصر . (٥) فى خلاصة الأثر : «على» .

(٦) فى ب : «على كوكبه» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٧) ساقط من خلاصة الأثر ، ومكانه فى سلافة العصر : «انتهى كلام النواجى» .

ومن شعر عليّ المذكور[1] :

هَذِى رِياضُ الحُسْنِ أغْصانُها غَرَّد بالدَّوْحـــةِ منه الهَزارْ
يهْتَزُّ فيها قَدُّ ذاتِ الرَّنَا رقيقة الخصْرِ على الاخْتصارْ[2]
بِتُّ ونارُ الشوقِ قد أُضْرِمتْ بمُهجةٍ أحْرَقَها الاسْتِعارْ[3]
رام عَذُولِى هَدَّ رُكْنِ الهوى يا كعبةَ الحسنِ بكِ المُسْتَجارْ[4]
غَضَيْتُ ذاكَ الطَّرْفَ عن ناظِرٍ هَيَّجه الوجدُ عَفِيف الإزارْ

* * *

وقول فى فتاة اسمها غَرْبيَّة[5] :

ولى جِهَةٌ غَرْبيَّـــةٌ أشْرقتْ بها لِعَيْنِى شَمسُ الأُفْقِ مِن غيرِ لا حُجْبِ[6]
ولاح بهــا بدرُ التَّمامِ لِناظِرِى ومن عجبٍ شَمسٌ وبَدْرٌ من الغَرْبِ

* * *

وقوله فيها أيضا[7] :

هَيْفـــاء كالشمسِ ولـكنّها غَرْبيَّةٌ يا قومِ عند الشُّروقْ
يفْتَرُّ منها الثَّغْرُ عن لُؤْلُؤٍ رَطْبٍ ويبدُو منه لَمْعُ البُروقْ
باللهِ يا عاذلُ عنِّى فـــذَا بارِدُه السَّلْسلُ فيه يَرُوقْ
رِفقًا فما فى العَذْلِ لى طاقةٌ يُمْكِن منها لِعَذُولِى الطُّروقْ[8]
غِبْتُ عن العـــاذلِ فيها فما هزَلٌ وجِدٌّ لِذَواتِ الفُروقْ

* * *

---

(١) الأبيات في خلاصة لأثر ٣/١٦٥ ، سلافة العصر ٦٢ . (٢) فى سلافة العصر : « ذات الربى »
(٣) فى خلاصة الأثر : « بمهجة قد أحرقها » . (٤) فى خلاصة الأثر : « بك الاستجار » .
(٥) البيتان فى : حديقة الأفراح ٤٥ ، ٤٦ ، خلاصة الأثر ٣/١٦٢ ، سلافة العصر ٦٣ .
(٦) فى خلاصة الأثر : « من غير ما حجب » . (٧) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/١٦٥ ، سلافة العصر ٦١ ، ٦٢ (٨) فى ا : « لعذولى الطريق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر

وقوله فيها أيضا[1] :

إنّ الأهِــلّةَ إذ بدَتْ غرْبيَّةً ... فالغَرْبُ منه ضِيا المَسرّة يُشرِقُ[2]

والشرقُ دَعْهُ فليس منه سِوَى ذُكاً ... تحْترّ في وَسَطِ النهارِ وتحْرِقُ[3]

* * *

وقوله أيضا ، مُشجِّراً[4] :

غزال كبدرِ التِّمّ لاح بوجْهِـــه ... هلالٌ رأتْه العينُ من أُفُقِ الشمسِ

رَنا طَرْفُه الفتّانُ يوماً لنــاظرٍ ... يَهيمُ به من حيث يُصْبِـحُ أو يُمْسِى

بَدَا لِيَ فى خُضْرِ الرياضِ بأسمرٍ ... به سُودُ هاتيك الحدائقِ فى لَبْسِ[5]

يُعلِّل بالتّسْويفِ قلبى فليْتــه ... رأى دَنِفاً ما زال يَقْنَعُ باللّمْسِ

هلَكتُ جوًى منه فمَن لِمُتيَّمٍ ... غريبٍ عن الأوطانِ يدْنُو من الرَّمْسِ

* * *

وكتب[6] لبعض أحبابه[6] فى صدر رسالة[7] :

على الحضْرةِ العَلْيــاء دام مَقامُها ... عَليًّا سلامٌ طيِّبُ النّشْرِ والعَرْفِ

إلى نَحْوِهــا حَمّلْتُه نَسْمةَ الصَّبا ... لتكْسِب وصْفاً من شَذا ذلك الوَصْفِ

❀

---

(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/١٦٢ ، سلافة العصر ٦٣ . (٢) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « مذ بدت غربية » . (٣) فى خلاصة الأثر : « فالشرق دعه » .

(٤) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/١٦٥ ، سلافة العصر ٦٢ .

(٥) فى ب : « فى خضر الرياض بأحمر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٦) فى ا : « لأحبابه » ، وفى ج : « إلى بعض أحبابه » ، والمثبت فى : ب .

(٧) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/١٦٦ ، سلافة العصر ٦٣ .

٢٧٢

محمد على بن إسماعيل الطَّبَرِىّ

أحدُ تلك الجِلّة الكرام ، وأوحدُ[1] أئمّةِ الحَرَم الذين وجَب لهم الاحترام .
سَما قَدْرُه فوق أعالى الجبال الشَّواهِق ، وبلغ غايةَ الكُهول وهو فى سِنِّ المُراهِق .
منزلةً لا يُكْتَنَه كُنْهُها ، ولا يُوجد فى العالم شِبْهُها .
إلى فضلٍ ثَنَى إليه عِنانَ الخطاب ، وأدبٍ جَنَى به الثناء المُستطاب .
ووراء ذلك رَوِيّةٌ أحسَنُ من كلِّ رَوِيّة ، وبَدِيهة أوْرَى من كلِّ فِكرةٍ ورَيّة .

بلفظٍ نَاهَبَ الحَلْىَ الغَوانِى وأهْدَى السِّحْرَ للحدَقِ الصِّحاحِ

وقد جئتُك من شِعْره بما يُعطِّر شامَّ النَّوْر العبِق ، ويُرَوِّق به كأسَه المُصْطَبِحُ على ماء النَّهْر والمُغتبِق .

فمنه قوله من قصيدة ، يمدح بها الشريف حسن بن أبى نُمَىّ[2] .

مطلعها :

أسَرتْنى بطَرْفِهـا الفتّانِ وبحُسْنٍ يفوقُ حُورَ الجِنانِ[3]
ذاتُ قُرْطٍ من طَوْقِها مَطلَعُ الشَّمْـ ـسِ فِدَا حُسْنِها البديع جَنانِى
ما تبدّتْ تختال إلّا أرَتْنا بدرَ تِمٍّ يُقِلُّه غُصْنُ بانِ
ما حكاها فى جَنّةِ الخُلْدِ حُورٌ لا ولا فى مَراتِعِ الغِزْلانِ
قلّدتْها يدُ الجمـالِ حُلِيًّا فاق حُسْنا قلائدَ العِقْيانِ
بخُدودٍ مُورَّداتٍ حِسـانٍ ما حكتْها شقائقُ النُّعْمانِ

---

(١) فى ب : «وواحد» ، والمثبت فى : ا ، ج (٢) تقدم التعريف به ، فى الترجمة رقم ٢٧٠ من هذا الجزء
(٣) فى ا : « يفوح حور الجنان » ، والمثبت فى : ب ، ج .

تَيَّمَتْنِي فَرَقَّ جِسمِي نُحُولًا ... مِن جَفاها فَمانَدِي لا يَرانِي
وأَذابَتْ قَلبِي المُنَى وجارتْ ... وصَلَتْنِي لَواعِجَ الأَشْجانِ
لَيتَها بَعْدَ بُعْدِها وصَلَتْنِي ... وكَفاها مامَرَّ من هِجْرانِ
أَرَّقتْ مُقْلتِي فأَذْرَيْتُ دَمْعاً ... كالغَوادِي دماً عَبيطاً قَانِي (١)
لا تَسَلْ ماجَرى على الخدِّ منها ... ياحبيبي فقد جرَى ما كَفانِي
فجُفونِي على الدَّوامِ دَوامٍ ... ودموعِي مَشارِعُ الغُدْرانِ
قيل مَهْلاً فَمَن صَباً صَيَّرتْه ... مُوجِباتُ الصِّبا أسيرَ الغَوانِي
حَبَّذا إن قَضيتُ فى الحبِّ وَجْداً ... وقضى حاكمُ الهوى بهَوانِي
ظَبْيــةٌ تَقْنِصُ الهِزَبْرَ فيُمْسِي ... وهْو لَيْثُ الشَّرَى الأسيرَ العانِي
تَتَّقِي الأُسْدُ فى العَرينِ سَطاهُ ... وهْو يَخْشَى من فَتْرةِ الأجْفانِ
كلمتْنِي بفَاتِراتٍ مِراضٍ ... سِحْرُ هارُوتِها قضَى بافْتتانِي
جاوَزَ الحدَّ لَحْظُها فَملاذِي ... حسَنٌ ذو الفخار والسُّلطانِ (٢)

* * *

وقوله من أخرى فى مدحه أيضا (٣) ، ومستهلها :

أَفْدِي مَهاةً تُلِينُ القولَ أحْيانَا ... فتسلُب العقلَ ممَّن كان أحْيانَا
أَماتَنا هَجْرُها المُولِي القلوبَ أسًى ... يُذِيب لولا رجاءُ الوصلِ أحْيانَا
لا عاش مَن يتمنَّى بعد نَشْوتِه ... مِن خمرةِ الحبِّ أن يصحُو ولا كانَا
بمُتْرَفِ الخدِّ جنَّاتٌ لناظرِها ... لكنّها أجَّجتْ فى القلبِ نِيرانَا
لولا سحائبُ جَفْنٍ سَحَّ وَابِلُه ... أجْرَى بِحاراً فأطفاها وغُدْرانَا

---

(١) فى ا : « كالغوانى دما عبيطا » ، والمثبت فى : ب ، ح .
و « قانى » هكذا لضرورة القافية .
ودم عبيط : خالص طرى .
(٢) فى الأصول : « حسن ذا الفخار » . (٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ح .

تُرِيكَ من وجهِها الضَّاحِي وقامتِهـا بدراً على غُصُنٍ يختال نَشْوانَا

جارتْ على قلبِيَ المجروحِ مُقلتُهـا وأتلفتْـه وما أضمرْتُ سُلوانَا

لا تُسْتمال وإن مالتْ مَعاطِفُهـا تحمَّلَتْ من رياضِ الحسْنِ أفنانَا

ترْنُو بفاترِ طَرْفٍ زاد صارِمُه فينا عن الحـدِّ مَسْنونًا فأفنانَا

كأنما سيفُ بَدْرِ الدين أوْدَعَـه من طَرْفِها الفاترِ الفتَّانِ أجْفانَا

ويحسَبُ الناسُ من أهلِ البَدِيعِ ومِن أهـلِ السليميَّةِ الغَبْرَا ومعكانَا [1]

أو آلِ خالد من أهـدى ضلالُهمُ نفوسَهم فغدَوْا هَـدْيًا وقُرْبانَا

وغرَّهم فيهمُ حتى غَـدَتْ فِئَةٌ قَيْئًا وأخرَى قضتْ لم ترْجُ غفرانَا

هذا مُكبَّلُ مأسُورٌ وذا وردَتْ به القنَا مِن حِياضِ الموت طُوفَانَا

وجرَّعتْهم كؤوسَ الحَيْنِ مُتْرَعةً وقائعٌ تتْرُك الوِلْدانَ شِيبانَا

لو أنهم عَقَـلُوا أمراً لَما شَهرُوا عَضْباً ولا اعْتقلُوا للحَرْبِ مُرَّانَا [2]

ولو يُرِيدون خَـيْراً أو يُرادُ بِهِم كانوا على مامضَى من قبلُ غِلْمانَا

لـكنْ قضَى اللهُ باسْتِئْصالِهم فبَغَوْا على نفوسِهمُ ظلْمًا وعُـدْوانَا

وشاهَدُوا جَحْفَلاً ذابتْ نفوسُهمُ مِن خَوْفِه مَلأَ الآفاقَ فرسانَا

تَسُلُّ أسيافَه أحـلامُ نائِمِهمْ عليه رُعْبًا ويلْقَى الموتَ يقْظانَا

* * *

هذا من قول أشْجَع السُّلَمِيّ [3] :

وعلى عَـدُوِّك يا ابنَ عَمِّ محمدٍ رَصَدانِ ضَوْءُ الصبحِ والإظْلامُ

---

(١) البديع : ماء عليه نخل ، وعيون جارية بقرب وادى القرى . معجم البلدان ١/٥٢٧ .

(٢) فى ج : « لما اشتهروا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

والمران : الرماح اللينة الصلبة .

(٣) البيتان فى التمثيل والمحاضرة ٨٤ ، خاص الخاص ٨٨ ، طبقات الشعراء ٢٥١ ، ٢٥٢ ، نهاية الأرب ٣/٨٧ .

فإذا تنبَّه رُعْتَــــــه وإذا غفَا   سَلَّتْ عليــــه سيوفَكَ الأحْلامُ

* * *

منها :

له من الرُّعْبِ أنْصارٌ مُؤيِّدةٌ   تُصَيِّرُ الليثَ مثــلَ الضَّبِّ حَيْرانَا

* * *

فى الأمثال « أحْيَرُ من ضَبٍّ » [1] ؛ لأنه إذا فارق جُحْرَه لم يهتدِ للرجوع .

* * *

يحُفُّه من بَنِيــــه أُسْدُ معركةٍ   تَرْوِى القَنا إن غَدا الضِّرْغامُ ظَمْآنا

بيتُ النُّبُوةِ بيتُ اللهِ مَن ورِثُوا   أمْرَ الخلافةِ سُلْطاناً فسُلْطانَا

يَفْنَى المَديحُ ولا تُحْصَى محامدُهمْ   فدَعْ زُهَيْراً ودَعْ كَعْباً وحسَّانَا [2]

⁂

(١) مجمع الأمثال ١/١٠٣   (٢) فى ا : « ولا تحصى مدائحهم » والمثبت فى : ب ، ح

٢٧٣

محمد جمال الدين بن عبد الله

الطَّبَرِيّ*

مُقدَّم فى المَقال وإن تأخَّر ، وإذا كان غيرُه بَحْراً يَفِيض فهو بحرٌ يزْخَر .
يتقدَّم حيث يتأخَّر الذَّابِل ، ويجُود إذا ماضَنَّ بجُودِه الوَابِل .
فرَوْضُ طبعِه تسْرح النَّواظرُ فى فَضاه ، ومَرْعَى بيانِه أيْنَع سَعْدانُه (١) ورَفَّ غَضاه .

وله ذَكاء مُتَطاير اللَّهَب ، وقَرِيض يُزْرِى بقُراضة الذهب .

* * *

وقد أثبتُّ له مايعلق من كعبة البَلاغة ، ويُعْرَف منه أنه لم يبلُغْ أحدٌ بَلاغَه .

فمنه قوله ، من قصيدة فى المدح :

مُذ لاح بدرُ الدُّجَى وأشْرَقْ   أغرقنى مَـــدْمَعِى وأشْرَقْ
ورُحْتُ من لَوْعتِى أُصالِى   جَوًى لقلبِى الكئيبِ أحْرَقْ (٢)
لا لَوْعَتِى تنطفِى وحِـــبِّى   فَرَّق شَمْـــلِى وما ترفَّقْ

ومنها :

لَمَّا رأيتَ الهـــوى هَواناً   وأننى فى يديْك مُوثَقْ
وأن جَوْرَ الغرامِ عَـــدْلٌ   وحاكَم الحبِّ ليس يُشْفِقْ
جاوَزْتَ فى الحـــدودِ ظُلْماً   ألستَ عَدْلَ الحسينِ تفْرَقْ (٣)

(*) ترجمه ابن معصوم فى سلافة العصر ٦٣ ، ٦٤ .

(١) السعدان : من أفضل مراعى الإبل ، وهو نبت له شوك .   (٢) فى ب : « جوى لقلب » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) لعله يعنى الحسين بن الحسن بن أبى نمى . انظر خلاصة الكلام ٦١ .

بدرُ الملوكِ الحُسَين مَن فى ... نَدَى يديْه البحارُ تَغرَقْ
ومَن له صَـــولةٌ وعَزْمٌ ... منها أُسودُ الحروبِ تُشفِقْ

ومنها :

لو لَمَستْ رَاحتاهُ عُـــوداً ... أثمرَ فى كفِّه وأَورَقْ
ولو ينال السحــــابُ فَيْضاً ... من بعضِ جَدْواهُ كان أغرَقْ
فلا تقِسْ بالحسين خَلْقاً ... فمثـــــلُه ما أظنُّ يُخْلَقْ
ومَن بنُورِ النبيِّ طٰه ... ضَمَّخَـــه ربُّه وخَلَّقْ [1]
أعظَمُ من قيصرٍ وكسرَى ... وتُبَّعٍ مَنصِباً وأعْـــرَقْ

* * *

وقوله فى الغزل [2] :

أسيرُ العيونِ الدُّعْجِ ليس له فَكُّ ... لأنّ سُيوفَ اللّحْظِ من شأنها السَّفْكُ
حَذارِ خَلِيَّ القلبِ من عَلَقِ الهوى ... وأوّلُها سُقْمٌ وآخرُها فَتْكُ [3]
ورُحْ سالماً قبلَ الغرامِ ولا تقِسْ ... علىَّ فإنّى هالكٌ فيــــه لا شَكُّ
ألم تَرَنِى وَدَّعتُ يوم فِراقِهمْ ... حَشاىَ لِعلْمِى أن مادونه الهُلْكُ
وكيف خَلاصِى من يدَىْ شادنٍ إذا ... بَدا أبيضٌ فى الدَّيْجُور من نُورِه الحَلْكُ
وهيْهات أن تُرْجَى لِمثْلِى سَلامةٌ ... وقد سَلَّ بِيضَ الهندِ ألحاظُه التُّرْكُ
يقولون تَرْكُ الحبِّ أسلمُ للفتى ... نعم صدقوا إن كان يُمكِنُه التَّرْكُ [4]
دَعُونِى وذِكْرِى بين بَاناتِ لَعْلَعٍ ... عُرَيْباً هوامٍ فى المَواقِفِ لى نُسْكُ [5]

---

(١) خلقه : طيبة بالخلوق . (٢) القصيدة فى سلافة العصر ٦٣ ، ٦٤ . (٣) فى سلافة العصر : « وآخرها سفك » . (٤) فى السلافة : « لو كان يمكنه الترك » . (٥) لعلع : ماء بالبادية . معجم البلدان ٤/٣٥٩ .
وفى سلافة العصر : « غريبا هوائم » .

وإن رُمْتُمُ إرشادَ قلبي فكرِّرُوا ... أحاديثَ عشقٍ طاب في نَظْمِها السَّبْكُ

أما والخدودِ العَنْدَمِيَّاتِ لم أحُــلْ ... وكلُّ الذى عنّى روَى عاذِلِى إفْكُ

وما بمَصُونِ الثّغْرِ من ماء كَوْثَرٍ ... وكأسِ عَقِيقٍ خَتْمُه خالُه المِسْكُ[1]

لقــد لَذّ لى خَلْعُ العِذارِ وطاب فى ... هوَى الخُرَّدِ الغِيدِ الدُّمَى عندىَ الهَتْكُ

***

قوله[2] : « لاشكُّ » قد يُتوهَّم أن فيه لَحْنًا ، على أن لا نافيةٌ[3] للجنس واسمها في ذلك مَبْنِيٌّ على الفتح .

ولا لَحْنَ فيه ، بل فيه وجهان :

أحدُهما ، مَنْعُ كونها نافيةً للجنس ، بل عاملة عملَ ليس ، والخبر محذوف جوازا، كقول الحماسِيِّ[4] :

مَن صَدَّ عن نيرانِهــا ... فأنا ابْنُ قَيْسٍ لا بَراحُ

والثانى ؛ أن تكون نافيةً للجنس ، إلّا أنها مُلغاة ، والرفع بالابتداء ، فلم[5] يجب تكرارها ، لجواز تركِه في الشعر .

***

وله تصْدِير وتعْجيز لقصيدة ابن الفارض ، وقفتُ منه على قطعةٍ ، وهى[6] :

ما بين ضَالِ المُنْحَنَى وظِلالِهِ ... رَشَأٌ سَبَى الألبابَ عَنْبَرُ خالِهِ[7]

فى ليلِ طُرَّتِه وصُبْحِ جَبِينِه ... ضَلَّ المُتَيَّمُ واهْتَدَى بضلالِهِ

وبذلك الشِّعْبِ اليَمَانِى مُنْيةٌ ... مابين سَفْحِ طُوَيْلعٍ وجِبالِهِ[8]

---

(١) فى سلافة العصر : « حاله المسك » .

(٢) نقل المحبى ذلك عن السلافة أيضا . (٣) فى ا : « النافيه » ، والمثبت فى: ب، ح، وسلافة العصر .

(٤) هو سعد بن مالك بن ضبيعة، جد طرفة بن العبد . انظر حماسة أبى تمام ٢/ ٧٧ ، وكلام التبريزى عليه . والبيت مع بيتين آخرين فى السلافة أيضا .

(٥) فى السلافة : «ولم» . (٦) قصيدة ابن الفارض فى ديوانه ٢/ ٢-٩ . (٧) الضال: نوع من السدر البرى . (٨) طويلع : هضبة بمكة، وماء لبنى تميم، ثم لبنى يربوع . معجم البلدان ٣/ ٥٦٣ .

مِن دونها حَتْفُ النفوسِ وبُغْيةٌ ‌ ‌ ‌ للصَّبِّ قد بَعُدتْ على آمالِه
ياصاحِبِي هذا العَقِيقُ فقِفْ به ‌ ‌ ‌ واحرُسْ فؤادَكَ من لِحاظِ غزالِه
فإذا وصلتَ الجِزْعَ طُفْ بِقِبابِه ‌ ‌ ‌ مُتوَلِّهاً إن كنتَ لستَ بِوالِه
وانظُرْه عنّى إن طَرْفِي عاقَنِي ‌ ‌ ‌ ياقوتَه بصَفا لَجِيْنِ رِمالِه
مارَام منــه ذاك إلّا صَدَّهُ ‌ ‌ ‌ إرْسالُ دَمْعِى فيه عن إرْسالِه
واسْألْ غزالَ كِناسِه هل عنده ‌ ‌ ‌ خَـبَرٌ بمَن أضْحَى قتيلَ نِزالِه
أو عنــده ممّا ألاقِي من أسًى ‌ ‌ ‌ عِلْمٌ بقلبِي فى هَـــواه وحالِه

* * *

وكتب إلى شيخه عبد الرؤوف بن يحيى الواعظ المَكِّىّ ، مُسائِلا بقوله :

يا أيهـــا الحَبْرُ يامَنْ ‌ ‌ ‌ منـــه العلومُ تفجَّرْ
ومُفْرَدَ العصرِ مَن قد ‌ ‌ ‌ لمسجـــدِ اللهِ أزْهَرْ
بالاشتغـــالِ دَواماً ‌ ‌ ‌ بقُرْبِ بيتٍ مُطهَّرْ
ما الحكمُ فى كلِّ قاتٍ ‌ ‌ ‌ وكَفتةٍ هو مُنْكَرْ(١)
أم لا لِنـــا فأبِينُوا ‌ ‌ ‌ لديكمُ الصَّعْبُ يظْهرْ
أنتم مَـــلاذٌ وأمّا ‌ ‌ ‌ فى الحكم كُلٌّ تحيَّرْ(٢)

* * *

فأجابه بقوله :

الحمــدُ لله حَمْــداً ‌ ‌ ‌ أفرادُه ليس تُحْصَرْ
ومنه خيرُ ثنـــاءٍ ‌ ‌ ‌ لأحمدَ الطُّهْرِ يُنْشَرْ
الحكمُ فى ذَيْنِ حِـلٌّ ‌ ‌ ‌ والتَّرْكُ للضُّرِّ أظْهرْ
عبدُ الرؤف وَشـــاهُ ‌ ‌ ‌ يرجُو الْمَزَلّاتِ تُغْفَرْ

*

(١) القات : نبت معروف في اليمن ، ولعله والكفته مخدران أو مفتران .

(٢) في الأصول : « أنتم ملاذا » .

٢٧٤
فَضْل بن عبد الله الطَّبَرِىّ *

ذاتُه كاسْمِه ، والفضل كلُّه برَسْمِه

أجَلُّ قَدْراً من أن لا يُعْرَف ، وحاشاه أن يكون نَكِرةً فيُعرَّف .

وقد سمعتُ مَن يقول عنه : هو العَلَمُ الذى عرَف العالَمُ فضلَه ، والفاضل الذى إذا اعْتُبِر فغيرُه بالنسبة إليه فَضْلَة .

* * *

وله من الأشعار كلُّ دُرَّةٍ فريدة ، هى رَوِىُّ فى طُلَا كلِّ وَليدة خَرِيدة .

فمنها قوله ، من قصيدة يمدح بها الشريف زيد بن محسن[1] ، أولها[2] :

يا مَىُّ حَيِّى الْحَيَا أحْيَا مُحَيَّاكِ ... هلاَّ بأعْتابِ عُتْبَى فاهَ لى فاكِ

مَن لى إليكِ وقد أوْدَى صُدُودُكِ بى ... ولا تَزالِين طَوْعاً لىَّ أفَّاكِ

يا هذه لم أزَلْ مِن بُعْدِهـا ودُنُوِّ ... م السُّقْمِ من بَعْدِها مَوْثوقَ أشْراكِ

تِيهِى أطِيلِى التَّجنِّى والجفاء وما ... أرَدْتِ فاقْضِيه بى فالحُسْنُ وَلَّاكِ

رِفقاً رُويْداً كأنى بالعَذُولِ على ... تَطاوُلِ الصَّدِّ فى ذا الصَّبِّ أغراكِ[3]

(*) فضل بن عبد الله الطبرى المكى .

مفتى الشافعية بالبلد الحرام ، وإمام مقام إبراهيم عليه السلام .

ولد بمكة ، وبها نشأ ، وأخذ عن أكابر الشيوخ .

وله شعر كثير ، ومن مؤلفاته « التبجيل لشأن فوائد التسهيل » فى العروض .

توفى بمكة ، سنة أربع وثمانين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٢٧١ ، ٢٧٢ ، سلافة العصر ٦٤ ، ٦٥ .

(١) تقدم التعريف به ، فى الجزء الثالث ، صفحة ٥٨٥ .

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٢٧٢ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « فى ذا الصب عزاك » .

منها :

حَسْبِي دليلاً على شوقِ المُبرِّح بِي ... أَنِّي لَثَمْتُ عَذُولِي حِينَ سَمَّاكِ

والجَفنُ في أرَقٍ والقلبُ في حُرَقٍ ... والعينُ في غَرَقٍ إنسانُها باكِي

يا مُهجةَ الصَّبِّ غيرِ الصَّبْرِ ليس وقد ... جَنَتْ عليكِ بما لاقيتِ عَيْناكِ[(١)]

منها في المديح :

قد زاد في شرفِ البَطْحاءِ أنَّكَ في ... جِيرانِها خَيْرُ فَعَّالٍ وتَرَّاكِ

مُولِي الجميلِ ومَنْجاةُ الدَّخِيلِ ومَنْـ ... ـجاةُ الخَذِيلِ سَرِيٌّ عَيْنِ أَمْلاكِ[(٢)]

* * *

قوله في مطلع القصيدة : « فاه لي فاك » ، جرى فيه على اللغة الضعيفة ، وهي لُزوم الألف للأسماء الخمسة في جميع الحالات ، كقوله[(٣)] :

* إنَّ أباها وأبا أباها *

* * *

ومن شعره قوله[(٤)] :

لا تُضيِّعْ سَبَهْلَلًا فُرَصَ الْـ ... ـعمرِ بلا طاعةٍ ولا تتعلَّمْ[(٥)]

سوف يَدْرِي الجَهُولُ عند انقضا ... ءِ العمرِ سُدًى كيف ضاع فيَنْدَمْ[(٦)]

---

(١) في ب : « غير الصب » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) في ج : « ومنجاة الخزيل » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٣) أي قول أبي النجم الفضل بن قدامة العجلي . انظر شواهد القطر للشربيني ٤٢ . وانظر شرح الشواهد للعيني ١/ ٧٠ .

(٤) البيتان في خلاصة الأثر ٣/ ٢٧١ . (٥) مشى سبهللا : إذا جاء وذهب في غير شيء . القاموس (س ب هـ ل ل) . (٦) في خلاصة الأثر : « كيف ضاع منه فيندم » .

٢٧٥

عبد الرحمن بن عيسى المُرْشِدِىّ*

مُفتِي القُطر الحِجازِىّ وعالِمُه ، وصدرُه الذى قامتْ به مَعالِمُه .

جَوادُ قلمِه فى مَيدان الطِّرْس مُرْخِىُّ العِنان ، وشَرْح نَمُوذج حالِه أجْلَى وأظهرُ من العِيان .

سلَّم له من كلِّ فَنٍّ أهلُ حَــلِّه وعَقْدِه ، وأذْعَن لبلاغته من كلِّ صَوْبٍ جَهابِذَةُ نَقْدِه .

وألْقتْ إليه الفصاحةُ مَقاليدَها ، وكتبتْ رؤساء البَراعة باسمِه تَقالِيدَها .

وهو الطَّوْدُ رَصانةً ، والطُّور رَزانةً .

(*) عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمرى المرشدى الحنفى .

مفتى الحرم المكى ، وعالم قطر الحجاز ، وأوحد أهله فى الفضل والمعرفة والأدب .

ولد بمكة ، سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن ، و « الألفية » ، و « كنز الدقائق » ، و « الجزرية » ، وغيرها .

وشرع فى الاشتغال ، سنة تسع وثمانين وتسعمائة ، فلازم عبد الرحمن بن حسان ، وأخذ عن على ابن جار الله بن ظهيرة ، وروى الحديث عن الشمس الرملى ، والمنلا حميد السندى ، وأخذ القراءات عن المنلا على القارى الهروى .

وولى تدريس مدرسة محمد باشا ، فى حدود سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، وولى التدريس بالمسجد الحرام سنة خمس وألف ، وتعاطى الفتوى على مذهب أبى حنيفة سنة اثنتى عشرة وألف ، وولى إمامة المسجد الحرام ، وخطابته ، والإفتاء السلطانى ، سنة عشرين وألف ، ثم تولى تدريس المدرسة السليمانية بمكة ، سنة سبع وعشرين وألف ، وورد إليه فى سنة إحدى وثلاثين وألف تفويض النظر فى قضاء مكة وأعمالها ، من لدن قاضيها يومئذ المولى رضوان بن عثمان ، ونال من سمو الشأن ، وعلو الرتبة ، ما لم يلقه أحد من معاصريه بالحجاز .

وله مؤلفات كثيرة ، ذكرها المحبى فى خلاصة الأثر .

قبض عليه الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة سبع وثلاثين وألف ، وسجنه ، ونهب داره وكتبه ، وأمر بخنقه يوم النحر ، فتوفى شهيدا حميدا .

تراجم الأعيان ترجمة رقم ١٤٣ ، حديقة الأفراح ٤٧ ـ ٤٩ ، خلاصة الأثر ٢/٣٦٩ ، خلاصة الكلام ٦٩ ، ٧٠ ، سلافة العصر ٦٥ ـ ٩٢ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤١٩ .

بِعِلْمِه يُقْتَدَى ، وبِحِلْمِه يُهْتَدَى .

وكان عصره يَرْبُو على العصور شَرَفًا ، ويرتقِى من المعالى فَنَنًا وشَرَفا .

بضُرُوبٍ من المآثِر والمَفاخر ، ازْدانتْ بها الأوائلُ والأواخِر .

يحْدِيها[1] حادِى الرِّفاق ، على مطالع الإشْراقَين من الآفاق .

حتى سمِعَتْها كلُّ أذن[2] صَمَّا ، ورأَتْها كلُّ عَيْنٍ عَمْيا .

وكان حِماه للقُصَّاد قِبْلَة ، وما أظنُّ أحداً بلغ مِثلَ شأنِه قَبْلَه .

يعتقد الحَجِيجُ قَصْدَه من غُفْران الخطايا ، ويُنْشَد ببابه تمامُ الحجِّ أن تقِفَ المَطايا .

وله من الآثار ما هو فى مَسامع النُّبَغاء شُنُف ، وفى مَجامِـع البُلَغاء رَوْضٌ أُنُف[3] .

ومن خبرِه على ما نقل ابنُ مَعْصوم[4] ، أنه لم يزَلْ مُمتطِياً صَهْوةَ العِزِّ المَكِين ، رَاقِياً ذِرْوَة طَوْدِ الجاهِ[5] الرَّكِين .

لايقاس به قَرِين ، ولا تَطأُ آسادُ الشَّرَى له عَرِين .

إلى أن تولَّى الشريف أحمد بن عبد المطلب[6] مكةَ المُشرَّفة ، ورفَل فى حُلَلِ ولايتِها المُفوَّفَة .

وكان فى نفسه من الشيخ المُشار إليه ضَغَن ، حَلَّ بصَمِيمِ مُهْجتِه وما ظَعَن .

فأمر أوَّلا بنَهْب دارِه ، وخفضِ مَحَلِّه ومِقْدارِه .

ثم قبض عليه قَبْضَ[7] المُعْتَمِد على ابن عَمَّار[8] ، وجَزاه الدهرُ على يديْه جَزاء سِنِمَّار[9] .

---

(١) كذا فى الأصول : « يحديها » ، والمعروف : « يحدوها » . (٢) فى ا : « آذان » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) روض أنف : لم يرع . (٤) سلافة العصر ٦٨ ، ٦٩ . (٥) فى ا : « الجواد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٦) تقدم التعريف به ، فى الترجمة رقم ٢٦٨ السابقة .

(٧) فى ا : « قبضة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٨) انظر خبر مقتل ابن عمار ، فى المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ١٨٦-١٨٩ . (٩) يضرب هذا مثلا للمحسن يكافأ بالإساءة ، انظر قصة مكافأة النعمان بن امرىء القيس لسنمار الرومى ، فى ثمار القلوب ١٣٩ .

إلا أن المُعتمدَ أعضَّ ابنَ عَمَّار بالحسام الأبيض ، وهذا طوّقه هلالَ فِتْرٍ من أنامل عبدٍ أسود ، فجرّعه كأسَ الموت الأحمر .

وكان قد أبقاه فى مَحْبَسِه إلى ليلة عَرَفة ، ثم خَشِىَ أن يسْعَى فى خَلاصِه مِن أكابر الروم مَن عرَفَه .

فوَجّه إليه بِزِنْجِىٍّ أشوَهَ خَلْقِ الله خَلْقا ، وتقدّم إليه بقَتْلِه فى تلك الليلة خَنْقا .

فامْتثل أمْرَه فيه ، وجَلّله من بُرْد الهَلاكِ بضافِيه .

فأقفرتْ لمَوْتِهِ المَدارس ، وأصبحتْ ربوعُ الفضلِ وهْىَ دَوارِس .

وذلك فى عام سبع وثلاثين وألف .

ومن الاتِّفاق أن الشريفَ المذكور قُتِلَ هـذه القِتْلة بعينها ، حين تقاضتْ منه الليالى ما سلَفتْ من دَيْنِها .

وفى الأثر : « كَمَا تَدِينُ تُدان » ، وهذا حالُ الدهر مع كلِّ قاصٍ ودَان .

* * *

وهذا حين أتْلُو من آياتِه ، وأُثْبِت مايدلُّ على بُعْدِ غاياتِه .

فأعظَمُها قصيدته التى مدح بها الشريفَ حَسنا [(١)] ، وابنه أبا طالب [(٢)] ، مُهَنِّيًا لهما

---

(١) تقدم التعريف به ، صفحة ٣٦ ، من هذا الجزء .

(٢) الشريف أبو طالب بن حسن بن أبى نمى الحسنى .

ولد سنة خمس وستين وتسعمائة .

آلت إليه إمارة مكة بعد أخيه الشريف مسعود ، نيابة عن أبيه ، ثم أمر أبوه أمراء الحجاز بأن يلبسوه الخلعة الكبرى ، وألبسوا أخاه عبد المطلب الخلعة الثانية ، واستصدر من السلطان محمد خان بن مراد ، تقريرا بذلك ، فأجيب إلى ملتمسه ، ولما مات والده ، وخلفه أخوه عبد المطلب استقل بالملك .

وكان حسن الهيئة ، شديد الهيبة ، كريما .

توفى سنة اثنتى عشرة وألف ، بمحل يقاله له العشة ، من جهة اليمن ، وحمل إلى مكة ، ودفن بالمعلاة .

تراجم الأعيان ١/٢٤٥ ، خبايا الزوايا لوحة ٨٣ ب ، خلاصة الكلام ٦٢ ـ ٦٤ ، خلاصة الأثر ١/١٣١ ـ ١٣٥ ، ريحانة الألبا ١/٣٩٧ ـ ٤٠٥ ، سمط النجوم العوالى ٤/٣٨٤ ـ ٣٩٢ .

بالظّفَر بأهل شمر ، وهو جبل بنَجْد (١) :

نَقْعُ العَجاجِ لَدَى هَياجِ العِثْيَرِ ... أذْكَى لدينا من دُخانِ العَنْبَرِ (٢)

وصَلِيــــلُ تجْرِيدِ الحُسامِ ووَقْعُه ... فى الهامِ أجْدَى نَغْمةً من جُؤْذُرِ (٣)

وسَنَا الأسِنَّـــةِ لامِعاً فى قَسْطَلٍ ... أسْنَى وأسْمَى من مُحَيًّا مُسْفِرِ (٤)

وتَسَرْبُلٌ فى سابِغاتٍ مُزرَّدٍ ... أبْهَى علينا من قَباء عَبْقَرِى (٥)

وتَتَوُّجٌ بقَوانِسٍ مَصْقــولَةٍ ... أزْهَى علينا من سُدُوسٍ أخْضَرِ (٦)

وكذاك صَهْوةُ سابِحٍ ومُطَهَّمٍ ... أشْهَى إلينا مِن أرِيكةِ أحْوَرِ

ولِقَا الكَمِىِّ مُدرَّعا فى مِغْفَرٍ ... كلِقَا الغَرِيرِ بمِقْنَعٍ وبمِخْمَرِ (٧)

ألِفَتْ أسِنَّتُنــــا الوُرُودَ بمَنْهَلٍ ... علِقتْ به عَلَقَ النَّجِيعِ الأحْمَرِ

وسيوفُنا هجَرتْ جِوارَ غُمودِها ... شَوْقاً لِهامَةِ كلِّ أصْيَدَ أصْعَرِ (٨)

فتَخالُها لَمَّــــا تُجَرَّد عندما ... هاجَ القَتامُ بَوارِقاً بِكَنَهْوَرِ (٩)

وصَهِيلُ جُرْدِ الخيلِ خِيلَ كأنه ... رَعْدٌ يُزَمْجِرُ فى الجَدَى المُثْعَنْجِرِ (١٠)

ودمُ العِــــدَى مُتقاطِراً مُتدفِّقاً ... كالوَبْلِ كالسيلِ الجُرافِ الجُوَّرِ (١١)

---

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢/٣٧٢ ـ ٣٧٤ ، سلافة العصر ٧٧ ـ ٨٠ ، سمط النجوم العوالى ٤/٣٨٦ ـ ٣٨٩ . (٢) فى الأصول : « على هياج العثير » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط .

والعثير : التراب والعجاج .

(٣) فى خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط : « أشدى نغمة من جؤذر » . (٤) القسطل : الغبار تثيره الحرب . (٥) فى السمط : « من سدوس أخضر » . (٦) لم يرد هذا البيت فى سمط النجوم العوالى .

والقوانس : جمع القونس ، وهو أعلى بيضة الحديد ، والسدوس : الطيلسان .

(٧) فى ا : « كلقا الغرير » ، وفى السلافة : « كلقا العربن » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وخلاصة الأثر ، والسمط .

(٨) فى الأصول : « كل أصيد أصغر » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط .

(٩) الكنهور من السحاب : قطع كالجبال ، أو المتراكم منه . القاموس (ك ن ه و ر) .

(١٠) الجدى : المطر العام ، أو الذى لا يعرف أقصاه ، والمثعنجر : السائل . (١١) فى السلافة : « كالسيل الجزاف » ، وسيل جراف : جحاف .

وفى السمط : « الجراف الحور » ، والجور من الغيث : الشديد صوت الرعد .

ورُءوسُهم تجْرِى به كجَنادِلٍ ... قذَفت به مَوْجُ السيولِ الهُمَّرِ (١)

غَشِيَتْهُمُ فى العـــامِ منَّا فِرقةٌ ... تركتْ فَرِيقَهم كسَبْسَبٍ مُقْفِرِ (٢)

أوْدَتْهُمُ قَتْـــلاً وأجْنَتْهم إلى ... أن حطَّم الهِنْـــدِىُّ ظَهْرَ المُدْبِرِ (٣)

تركتْ صَحاراهُم مَوائِدَ ضُمِّنَتْ ... أشْلاءَ كلِّ مُسَوَّدٍ وغَضَنْفَرِ (٤)

ودَعتْ ضُيوفَ الوحشِ تَقْرِيهمْ بما ... أفْنَى المُهَنَّدُ والوَشِيجُ السَّمْهَرِى (٥)

فأجابها من كلِّ غِيـــلٍ زُمْرةٌ ... تحْدُو مَنارَ عَمَلَّسٍ أو قَسْوَرِ (٦)

وأظلَّها ظُلَلٌ نَشاصُ سَحابِها الْ ... ـمَرْكومِ أجْنحةُ البُزاةِ الأنْسُرِ (٧)

فبَراثِنُ الآسادِ تضْبِثُ فى الكُلَى ... ومَخالبُ العِقْبانِ تنشَبُ فى الكُرى (٨)

شكَرتْ صَنيعَ المَشْرفِيَّةِ والقَنا ... إذْ لم تَضِفْها الهَبْرَ غـــيرَ مُهَبَّرِ (٩)

فغَـــدتْ قبورُهمُ بطونَ الوَحْشِ مِنْ ... ـها يُبْعَثون إذا دُعُوا المَحْشَرِ

وخلَتْ ديارُهمُ وأقْوَى رَبْعُهمْ ... وسَرى السَّرِىُّ مُشَمِّراً عن شَمَّرِ (١٠)

أنِفتْ من استقْصاء قَتْلِ شَرِيدِهمْ ... كَيْما يُخَــبِّرَ قائلاً من مُخْبِرِ (١١)

فثَنَتْ أعِنَّـــةَ خَيْلِنا أجْيادُها ... عن قَتْلِ كلِّ مُزَنَّدٍ وحَزَوَّرِ (١٢)

---

(١) فى السمط : « قذفت بها موج السيول القمر » . (٢) فى السلافة ، والسمط : « كسبسب أقفر » ، والسبسب : المفازة لا ماء فيها .

(٣) فى السمط : « أودتهم قتلا وألحقهم الى » ، وفى السلافة : والسمط : « أن حطم الخطى » .

(٤) فى السمط : « تركت صحاريهم » . (٥) فى السمط : « أفرى المهند » .

(٦) العملس : الذئب الخبيث ، والقسور : السبع . (٧) فى ا : « وأظلها ظل » ، وفى ج : « وأظلها طلى » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط ، وفى السمط : « نشاط سحابها » .

والنشاص : السحاب المرتفع ، أو المرتفع بعضه فوق بعض .

(٨) فى ب ، ج : « تنصب فى الكلى » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط .

وتضبث فى الكلى : تقبض عليها قبضاً شديداً .

(٩) الهبر بالفتح : بضع لحم لا عظم فيها ، وبالضم : جمع الأهبر ، وهو الكثير من اللحم ، وغير مهبر : غير مقطع . (١٠) فى السلافة ، والسمط : « مشمزا عن شمز » ، والشمز : نفور النفس مما تكرهه .

(١١) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « من مخبرى » ، وفى السمط : « عن مخبر » .

(١٢) فى السمط : « أعنة خيلنا أجيادنا » .

والمزند : الدعى ، والبخيل الضيق .

والحزور : الرجل الضعيف والقوى ، ضد .

حتى إذا حان القِطافُ لِيانِعٍ ... من أرؤسٍ تُرِكتْ ولَمّا تُؤبَرِ (١)

عصفَتْ بهـا رَيْبُ المَنُونِ فأُلقِحتْ ... وتحرَّكتْ بزَعازِعٍ من صَرْصَرِ (٢)

فدعَتْ سُراةَ كُماتِنا لقِطافِهـا ... بأناملِ القصَبِ الأصمِّ الأسمَرِ (٣)

فتجهَّزتْ لحصادِها فى فَيْلَقٍ ... لو يسْبَحون بزاخِرٍ لم يَزْخَرِ

مَلأٌ تتوق إلى الكفاحِ نفوسُهم ... توَقانها لِلِقَا الرَّداحِ المُعصِرِ (٤)

يغْشَوْن أبطالَ الخميسِ بَواسِماً ... كالليثِ إن يَلْقَ الفَريسةَ يَكْشِرِ (٥)

وتخالُهم فوق الجِيـادِ لَوابِساً ... سَدًّا يموجُ من الحديدِ الأخْضرِ (٦)

فإذا هم ازْدحَمُوا بجِزْعٍ وانثَنَوْا ... أوْرَى زِنادُ دُروعِهم ناراً تُرى (٧)

جيشٌ طَلائعُه الأوابدُ إن نُصِيخْ ... لوَجيبِه من قَيْـدِ شَهرٍ تنفِرِ

يقْتـادُه الملكُ المُشيحُ كأنه ... بين العَـوالِي ضَيْغَمٌ فى مزْأَرِ

مَلِكٌ تدرَّع بالبَسالةِ فاغتَـنَى ... يومَ الوَغَى عن سابِغٍ وسَنَوَّرِ (٨)

مَلِكٌ تتوَّج بالمَهابةِ فاكتَفَى ... عندَ الطِّعانِ لِقِرْنِه عن مِغفَرِ (٩)

مَلِكٌ تُذكِّرنا مَواقِـعُ حَـدِّه ... فى الهامِ وَقْعةَ جَـدِّه فى خَيْبَرِ (١٠)

مَلِكٌ إذا ماجالَ يومَ كَريهـةٍ ... لم تلْقَ غَـيرَ مُجدَّلٍ ومُعفَّرِ

مَلِكٌ يُجهِّز من جَحـافلِ رَأيِه ... قبلَ الوَقيعةِ جَحْفَلاً لم يُنظَرِ

مَلِكٌ تسنَّمَ ذِرْوةَ المجـدِ التى ... مِن دونِها المِرِّيخُ بل والمُشترِى

---

(١) فى السمط : « ولما تؤثر » . (٢) فى سلافة العصر ، وسمط النجوم : « ريح المنون » .

(٣) فى ا : « بأنامل القعاف » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط .

(٤) فى السلافة : « ملأ تشوق ... للقا الرواح » .

والرداح : الثقيلة الأوراك ، والمعصر : الجارية الشابة .

(٥) فى خلاصة الأثر ، والسلافة والسمط : « أبطال الوطيس » . (٦) فى السلافة : « سدا يمور »

(٧) فى السلافة : « نارا يرى » . (٨) السنور : لبوس من قد كالدرع .

(٩) فى الأصول والسلافة : « عند الطعان لقرمه » ، وفى السمط : « عند الطعان لفرقه » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (١٠) فى السلافة ، والسمط : « مواقع عضبه » ، ويعنى بجده الإمام على كرم الله وجهه (نفحة الريحانة ٥/٤)

الأشْرفُ الشَّهمُ الذى خضَعتْ له   شُمُّ الأُنوفِ وكلُّ جَحْجاحٍ سَرِى [1]

الأفضلُ السَّنَــدُ الذى أوْصافُه   أنْسَتْ سُمَا الوَضَّاحِ وابنِ المُنذِرِ [2]

الأكْرمُ المِفْضالُ مَن إحسانُه   أرْبَى على كسرَى الملوكِ وقيْصَرِ

ذُو الهِمَّةِ العَلْيا الذى قد نالَ ما   عنه تُقصِّرُ هِمَّــةُ الإسكَنْدَرِ

شَرَفًا تقاعَستِ الـكواكبُ دونَه   لو لم تُمَدَّ بنُورِه لم تُزْهِرِ [3]

هَبْهــا بمنطقةِ البرُوجِ مَقَرُّها   أمُناهِزٌ هــذا بُنُوَّةَ حَيْدَرِ

كَلَّا فكيف بمَن حَواها جامعًا   نَسبًا سَمَا بأُبُوَّةِ المُدَّثِّرِ

أعْظِمْ بهــا من نِسْبةٍ نَبَوِيَّةٍ   عَلَوِيَّةٍ تُنْمَى لأصــلٍ أطْهَرِ

قد شُرِّفت بَدْءًا بأشْرفِ مُرْسَلٍ   ونِهايةً بالسَّيِّدِ الحسَنِ السَّرِى

فَخْرُ الخـلائقِ دُرَّةُ التَّاجِ الذى   بِسواه هامُ ذوِى العُلَى لم يَفْخَرِ [4]

لم تَلْقَه يومَىْ وَغًى وعَطًا سوَى   طَلْقِ المُحَيَّا فى حُلَى المُستَبْشِرِ [5]

يعفُو عن الذَّنبِ العظيمِ مُجازيًا   جَازِيه بالحُسْنَى كأن لم يُوزَرِ

يا سيِّدَ الساداتِ دُونَك مِدْحَــةً   نَفَحت بعَرْفٍ من ثَنَاكَ مُعطَّرِ [6]

قد فُصِّلتْ بلآلِئِ المَدْحِ التى   يقفُ ابنُ أوْسٍ دُونَها والبُحْتُرِى [7]

وافتَكْ ترْفُل فى برُودِ بلاغــةٍ   وبراعــةٍ ببُرودِ صَنْعا تَزْدرِى

صاغَتْ حُلاها فكرةٌ قد صانَها   شَمَمُ الإباءِ عن امْتداحِ مُقصِّرِ [8]

---

(١) فى ب : « وكل جحجاح جرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط.

(٢) فى السلافة والسمط : « الذى بجنابه » .

والسما : الصيت البعيد الحسن .

والوضاح : هو جذيمة بن مالك الأبرش ، صاحب القصة مع الزباء .

وهو من ملوك الجاهلية ، عمر دهراً طويلا ، وكان إليه ملك العراق وأطراف كثيرة من بلاد العرب .

انظر خبره فى نهاية الأرب ١٥/٣١٦

(٣) فى السمط : « تقاعست الثوابت دونه » .

(٤) والسمط : « فخر الخلائف » ، وهى رواية حسنة   (٥) فى السمط : « يومى عطا ووغى سوى »

(٦) و السمط : « من نداك معطر » .   (٧) يعنى بابن أوس أبا تمام   (٨) فى السمط : « قد زانها »

ما شأنُها كَسْب القَرِيضِ تكسُّباً ... لولا مَقامُك ذُو العُلَى لم تَشْعُرِ (١)

فوردتُ مَنْهلَها الرَّوِىَّ فلم أجِدْ ... أحداً فنِلْتُ صَفاهُ غيرَ مُكدَّرِ

فنَهلْتُ منه وعَلَّنِى بنَميرِه ... وطَفِقْتُ وَارِدَه ولمَّا أصْدُرِ

خُذْها عَقِيلةَ كِسْرِ جَيْشِ فَصاحةٍ ... سَفَرتْ نِقاباً عن مُحيًّا مُسْفِرِ (٢)

جمعتْ بَلاغةَ مَنطقِ الأعْرابِ معْ ... حُسْنِ البيانِ ورقَّةِ المُسْتَحْضِرِ (٣)

لو سامَها قُسٌّ لمَا سُمِعتْ له ... بُعكاظَ يوماً خُطْبَةٌ فى مِنْبَرِ (٤)

شرُفتْ على مَن عارَضتْه بمَدْحِ من ... أضْحَى القَرِيضُ به كعِقْدٍ جوهرِى (٥)

فاسْتَجْلِها وَافتْ تُهنِّى بالذى ... نَفَحتْ بَشائرُه بمِسْكٍ أذْفَرِ

نصرٌ تَهُزُّ بُنودَه رِيحُ الصَّبا ... خَفَقتْ على هامِ الأشَمِّ الخَزْمَرِ (٦)

هو نَجْلُكَ المَنصورُ دامَ مُؤَيَّداً ... بك أيْنَما يُلْقِ العزيمةَ يظْفَرِ (٧)

لا زِلْتُما فى ظلِّ مُلْكٍ بَاذِخٍ ... وجنودُ مُلْككُم ملوكُ الأعْصُرِ (٨)

مُسْتمْسِكين بهَدْىِ جَدِّكمُ الذى ... بالرُّعْبِ يُنْصَرُ من مسافةِ أشْهُرِ

أهْدَى الإلٰهُ صَلاتَه وسلامَه ... لجَنابِه فى طَىِّ نَشْرِ العَبْهَرِ (٩)

❁

---

(١) فى خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط : « تظم القريض » ، وبعد هذا فى السلافة ، والسمط ، بيت يوضح القصد ، هو :

ما شأنُها إلّا اكْتساب فضائلٍ ... تُغْنيه عن شَرَفِ العِظامِ النُّخَّرِ

(٢) فى خلاصة الأثر : « عقيلة كسر خدر فصاحة » ، وكذلك فى السمط ، وفى السلافة : « عقيلة كسر كنز فصاحة » . (٣) فى السمط : « جمعت فصاحة منطق . . » ، وسقط من : ا : « منطق » ، وهو فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، والسمط .

(٤) فى خلاصة الأثر : « لما سمت به » .

وعكاظ : نخل فى واد ، بينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت تقام سوق العرب بموضع منه يقال له : الأثيداء . معجم البلدان ٣/٧٠٥ .

(٥) فى سمط النجوم العوالى : « على ما عارضته » . (٦) فى الأصول : « الأشم الجزمر » ، وفى السلافة ، والسمط : « الأشم الحزمرى » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر .

والخزمر : الملك . القاموس (خ ز م ر) .

(٧) فى خلاصة الأثر : « يلق الفريعة يظفر » ، وفى الأصول : « يلق المريعة » . والمثبت فى السمط

(٨) فى السمط : « فى ظل مجد باذخ » . (٩) العبهر : النرجس والياسمين . القاموس (ع ب ه ر) .

أخوه :

٢٧٦

القاضى أحمد شهاب الدين *

الشهابُ السَّاطِـع ، والحسام القاطِـع .

له المجدُ المُضاعَف ، والأملُ المُساعِف .

والتَّبَاهى فى التهذيب والتَّحْلِيم ، والتَّناهى فى التَّجْرِيب والتحـكيم .

وكان فى أيام صَدارة أخيه عَضُده الذى أَزْرُه به اشْتدّ ، ومُضاهِيه الذى تهيَّأ به لقيام تلك الحُرْمة واعْتدّ .

وولىَ[1] حـكمَ القضاء بالحرم فأضاءت العِقدَ دُرَّةٌ وكانت وَاسِطة ، وامْتدَّتْ يد من القوة وكانت بها[2] باسِطَة .

ولمـا قَبض ابنُ عبدِ المطَّلب[3] على أخيه ، أرْدَفه معه على ذلك الأدْهَم ، حتى جَرَّع أخاه تلك الـكأس فألْهَمه اللهُ فى إفْراجِه ما ألْهم .

فنُجِّىَ بعد ظَنِّه أنه[4] لم يـكن ناجيا ، وسُومِح بالجِناية التى اجْتُرِمتْ عليه وما أحسَبه عُدَّ جانِيا .

(*) شهاب الدين أحمد بن عيسى المرشدى الحنفى المـكى .

أحد فضلاء مكة ، وأدبائها .

كان مع أدبه فقيها متضلعا ، وولى القضاء نيابة بمـكة .

ولما قبض الشريف أحمد بن عبد المطلب على أخيه عبد الرحمن ، السابق ذكره ، أسره معه ، ثم خلى سبيله بعد قتل أخيه .

توفى سنة سبع وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ١/٢٦٦-٢٧١ ، سلافة العصر ٩٢-٩٩ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٥٧ ، ٤٥٨ .

(١) فى ا : « وله » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) تقدم ذكره فى الترجمة السابقة . (٤) فى ا : « أن » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فمتّع اللهُ به سائرَ أوِدَّائِه [١] ، ونوّلَهم بقاه إرْغاما لأعدائِه [٢] .

ثم انقضتْ دولةُ ابن عبد المطلب فانْهَشّ له الدهرُ وأراه وَجْها بَسِيطا،وساعفَه بُعَيْد ذلك التَّوانى فحَباه عِطْفا نَشِيطا .

وراشَ حالَه ، وأعاد منه ماغيّره وأحالَه .

فما برِح فى حالٍ حالِيَة ، وأيّامُه من النَّكَد خالِيَة .

إلى أن انْمَحى رسمُ عيشِه ودَثَر ، وانْفَصم عِقْدُ أيامِه المنظوم وانْتَثَر .

واتفق تاريخُ وفاتِه صدر هذا البيت [٣] :

مَن شاء بعدَك فَلْيَمُتْ فعليك كنتُ أُحاذِرُ

* * *

وله شِعر كرَأْدِ [٤] الضُّحى فى التألُّق ، وبهجةِ الرَّوْض الأرِيض فى التأنُّقِ .

أثبَتُّ منه مابه الكتاب عَبِق ، وخاطرُ المُتَرنِّح [٥] به عَلِق .

فمنه قوله من داليَّة مشهورة،مدح بها الشريفَ مسعود بن إدريس [٦] ، ومستهلها [٧] :

عُوجَا قليلاً كذا عن أيْمَنِ الوادِى واسْتوقِفا العِيسَ لايحْدُو بها الحادِى [٨]

---

(١) فى ا : « أواديه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ا : « أعاديه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) هذا البيت للصولى فى رثاء ابن له ، ذكر ذلك الخفاجى ، فى ريحانة الألبا ١/٣٠٧ ، وخطأ صاحب المواهب اللدنية ، فى نسبته إلى غيره ، انظر مع الريحانة الزرقانى على المواهب ٨/٢٨٧ . (٤) رأد الضحى : ارتفاعه . (٥) فى ا : « المرنح » ، والمثبت فى . ب ، ج . (٦) الشريف مسعود بن إدريس بن الحسن بن أبى نمى الحسنى .

نشأ فى كفالة أبيه الشريف إدريس .

وولى مكة بعد السيد أحمد بن عبد المطلب ، سنة تسع وثلاثين وألف ، وحمدت سيرته ، ورخصت الأسعار .

ووقع فى زمنه السيل المشهور ، فقام بتنظيف البيت الحرام وعمارته .

توفى سنه أربعين وألف ، ودفن عند قبر أم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها .

خلاصة الأثر ٤/٣٦١،٣٦٢ ، خلاصة الكلام ٧١ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٠٥،٤٢٦-٤٢٩ .

(٧) قيلت هذه القصيدة سنة تسع وثلاثين وألف .

وهى فى : خلاصة الأثر ١/٢٦٧،٢٦٨ ، سلافة العصر ٩٣-٩٥ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٣٠-٤٣٢ ، ومطلعها والبيت الثامن منها ، والثانى والثلاثون ، فى السمط أيضا ٤/٤٥٨ .

(٨) فى خلاصة الأثر : « واستوقف العيس » .

وعَرِّجا بى على رَبْعٍ صحِبتُ به — شَرْخَ الشَّبيبةِ فى أكْنافِ أجْيادِ[1]

واسْتَعطِفا جِيرةً بالشِّعبِ قد نزلُوا — أعْلَى الكَثِيب فهُم غَيِّي وإرْشادِي[2]

وسائِلاَ عن فؤادِى تبْلُغا أمَلِي — إن التَّعلُّل يشْفِي غُـلَّةَ الصَّادِي

واسْتَشفِعا تُشْفَعا نَسألْكُمُ فعسَى — يُقدِّر اللهُ إسْعافِي وإسْعادِي[3]

وأجْمِـلانى وحُطَّا عن قَلوصِكما — فى سُوحِ مُرْدِى الأعادِى الضَّيْغَمِ العادِى[4]

مسعودُ عينُ العُـلَى المسعودُ طالِعُهُ — قلبُ الكتيبةِ صدرُ الحَفْلِ والنَّادِى[5]

رأسُ الملوكِ يَمِينُ المُلكِ ساعِـدُهُ — زَنْدُ المعالى جَبِينُ الجَحْفلِ البادِى[6]

شهمُ السُّراةِ الأُلَى سارتْ عَوارِفُهمْ — شرقًا وغربًا بأغْـوارٍ وأنجادِ

نَرِدْ غِمارَ العُـلَى فى سُوحِهِ ونُرِحْ — أيْدِى الرَّكائِب من وَخْدٍ وإسْآدِ[7]

فلا مُناخَ لنـا فى غـيرِ ساحتِه — وجودُ كفَّيْه فيهـا رائحٌ غادِى

يَعْشَوْشِب العِزُّ فى أكْنافِ عَقْوتِه — ياحَبَّذا الشَّعبُ فى الدنيا لِمُرْتادِ[8]

ونجتنِي ثمرَ الآمالِ يانعـةً — من رَوْضِ مَعْروفِهِ من قبل مِيعادِ

فأىُّ سُوحٍ يُرَى من بعـدِ ساحتِهِ — وأىُّ قصدٍ لمقصـودٍ وقُصَّادِ[9]

---

(١) فى خلاصة الأثر: «فى أكناف أجواد».

وأجواد: موضع بمكة يلى الصفا. معجم البلدان ١/١٣٨.

(٢) فى ج: «فهم عزى وإرشادى»، والمثبت فى: ا، ب، وخلاصة الأثر، والسلافة، والسمط.

(٣) فى ج: «نسألكم فعسى»، وفى خلاصة الأثر: «واستشفعا واسعفا سؤالكم فعسى»، وفى السلافة: «واستشفعا تشفعا تسآلكم فعسى»، والمثبت فى: ا، ب، والسمط.

(٤) فى السلافة: «وأجلا لى وحطا»، وفى السمط: «وأجلا بى وحطا»، وفى خلاصة الأثر: «فى سرح مردى الأعادى». (٥) فى السمط: «صدر الجحفل البادى». (٦) فى السمط: «وعين الملك»، وسقط منه «الجحفل البادى»، وقد اختلط بما فى عجز البيت السابق.

(٧) فى الأصل: «نرد غمار العلى»، وفى خلاصة الأثر: «فرد عمار العلى... وأرح»، وفى السلافة: «نرد عمار العلى»، وفى السمط: «نرد غمار العلى ... ونرح»، ولعل الصواب ما أثبته. وفى السلافة: «من وخد وإيساد». (٨) فى السمط: «يعشوشب العشب ... يا حبذا العشب..»، وفى خلاصة الأثر: «فى أكناف ذروته».

والعقوة الساحة، وما حول الدار.

(٩) فى خلاصة الأثر، والسلافة، والسمط: «فأى سوح يرجى بعد ساحته».

لِيَهْنِ ذا المُلكَ أن ألبسْتَ حُلّتَه ... تُحْيي مآثرَ آباءٍ وأجْدادِ [1]

لبِسْتَها فكسَوْتَ الفخرَ مُرْسِلَها ... مُشهّراً يَبْهَرُ المصبوغَ بالجادِي [2]

عَلَوْتَ بيتاً ففاخَرْتَ النُّجومَ عُلاً ... والشُّهْبَ فَخْراً بأسبابٍ وأوْتادِ [3]

ولُحْتَ بَدْراً بأُفْقِ المُلكِ تَحسِده ... شمسُ النهارِ وهذا حرُّها بادِي

وصُنْتَ مكةَ إذْ طهّرتَ حَوْزَتَها ... من ثُلّةٍ أهلِ تَثْليثٍ وإلحادِ [4]

قد غَرَّ بعضَهم الإمهالُ يَحْسَبُه ... عَفْواً فعاد لإتلافٍ وإفْسادِ [5]

فذُدْتَهم عن حِمَى البيتِ الحَرامِ وهم ... من السَّلاسلِ فى أطْواقِ أجْيادِ

كأنهم عند رَفْعِ الزَّنْدِ أيديَهم ... يدْعُون حُبّاً لمولانا بإمْدادِ [6]

وما ارْعَوَوْا فشَهرتَ السيفَ مُحتسِباً ... يابَرْدَ حَرِّهم فى حَرِّ أكْبادِ [7]

غادَرْتَهم جزَراً من كلّ مُنْجَدِلٍ ... كأن أثوابَه مُجّتْ بفِرْصادِ [8]

سعَيْتَ سَعْياً جَنَيْنا من خمائلِه ... نَوْرَ الأمانِ لأرْواحٍ بأجْسادِ [9]

فكم بمكةَ من داعٍ ومُبْتَهِلٍ ... ومن مُحِبٍّ ومن مُثْنٍ ومن فادِي [10]

وعاد كلُّ عَصِيٍّ ذلّةً وصَلَى ... وكان من قبلُ صَعْباً غيرَ مُنْقادِ [11]

---

(١) فى خلاصة الأثر : « إذا ألبست حلته » ، وفى السلافة ، والسمط : « محي مآثر » .

(٢) فى السمط : « فكسوت الفخر ملبسها » .

وثوب مشهر : يختال به صاحبه ويشهر به . والجادى : الزعفران .

(٣) فى خلاصة الأثر : « علوت فخرا » . (٤) فى خلاصة الأثر : « أهل تعليب وإلحاد » .

(٥) فى السمط : « الإمهال يحسبه . . . فعادوا لإتلاف . . » .

(٦) فى السلافة : «يدعون حبا» . (٧) سقط من : ا : «وما ارعووا» ، وفى ح : «ومارعو» ثم سقط بقية شطر البيت ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط .

(٨) فى خلاصة الأثر : « غادرتهم حرزا فى كل منجدل » .

والفرصاد : صبغ أحمر .

(٩) فى السمط : « سعيا جنيا من خمائله » . (١٠) فى ج ، والسلافة : «ومن مثن ومن عادى» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، والسمط. (١١) رسم «وصلى» فى الأصول : « وصلا » .

وجاء البيت فى خلاصة الأثر :

وقُدْتَ كلَّ عَصِيٍّ ذلّةً وعَنًا ... وكان من قبلُ صعبًا غيرَ مُنْقادِ =

نَفَى لَذِيذَ الكرى عنهم تذكُّرُهم ... وقائعاً لك بين الخَرْجِ والوادِي (١)

أباح سَرْحَكَ أن يرعى منازِلَهم ... مُهمَّلا كلَّ مُمْوَجٍ ومُنْآدِ (٢)

مِن كلِّ أبيضَ قد صَلَّتْ مَضاربُه ... لَمَّا تَرَقَّى خطيباً مِنبَرَ الهادِي (٣)

وكلِّ أسمرَ نَظَّامِ الطُّلاَ وله ... إلى العِدَى طَفْرةُ النَّظَّامِ مَيَّادِ (٤)

وصانَ وَسْمَكَ فى حاشٍ مُخالطةٌ ... عن ربِّ غَزْوٍ تنضَّاه بأحْشادِ (٥)

وأسكنَتْ قلبَهم رُعْباً تذكُّرُه ... يُنْسِي الشَّفُوقَ المُوالِي ذِكْرَ أولادِ (٦)

أقبلْتَهم كُلَّ مِرْقالٍ وسابحةٍ ... يُسْرِعْنَ عَدْواً إلى الأعدا بأطْوادِ (٧)

من كلِّ شهمٍ إلى العلياء مُنتسِبٍ ... بسادةٍ قادةٍ للخيلِ أجْوادِ (٨)

= وجاء بعده فيه :

وعاد كلُّ شقيٍّ صالحاً وغدتْ ... أيَّامُنا بالهنا أيامَ أعْيادِ

ومكان هذا البيت فى السلافة قوله :

وعاد كلُّ عَصِيٍّ مُصْلَحاً وغدتْ ... أيامُنا بالهنا أيامَ أعيادِ

وقاد كلَّ قَصِيٍّ ذلَّةً وهلا ... وكان من قبلُ صَعْباً غيرَ مُنْقادِ

وورد البيت فى السمط على الطريقة التى ورد بها البيت الأول فى السلافة ، ومكان « عصى » فيه : « قصى » . ولم يرد فيها البيت الثانى ، وفى السمط خلط آخر ، فقد جاء عجز البيت المثبت فى الأصل عجزا للبيت التالى، وعجز البيت التالى عجزا للبيت بعده ، وسقط منه عجز البيت الثالث .

(١) الخرج : واد فيه قرى من أرض اليمامة ، فى طريق مكة من البصرة . معجم البلدان ٢ / ٤١٩ .

(٢) لم يرد هذا البيت فى : خلاصة الأثر .

(٣) فى الأصول: « لما تلى خطيبا »، والمثبت فى: خلاصة الأثر، والسلافة، والسمط .

(٤) فى السلافة ، والسمط : « نظام السكى » .

وهو يشير إلى النظام ومذهبه الكلامى ، وقد تقدمت الإشارة إليه كثيرا .

(٥) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر .

وفى ا : « وصاف وسمك » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة، وفى السمط : « فى جأش مخالطه » ، وفى موضع آخر فيه : « فى جأش يخالطه » ، وفى ا ، ج : « فى حاش مخالطه » ، والمثبت فى : ب ، والسلافة ، وفى موضع من السمط : « عن رب عز » ، وفى الموضع الآخر رواية تتفق مع المثبت ، وفى السلافة : « تنضاه بإحساد » .

وتنضاه : هزله ، وهى فى معنى هزمه .

(٦) فى خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط : « أسكنت » دون واو العطف .

(٧) المرقال : المسرعة .

(٨) فى السلافة خطأ : « إلى الأعداء منتسب » .

فهاكَ يا ابنَ رسولِ اللهِ مِدْحــةَ مَن ... أَوْرَتْ قَرِيحتُه من بَعْدِ إخْمادِ
فأَحْكمتْ فيك نظماً كلُّه غُرَرٌ ... ما أَحْرَزَت مثــلَه أقْيالُ بغْدادِ
أضْحتْ قَوافِيــه والآمالُ تَسْرَحُها ... روضَ البديعِ لإرْصادِ بمِرْصادِ [1]
تَرْوِيه عــــنِّى الثُّرَيَّا وهْى هازئةٌ ... بالأصْمَعِىِّ وما يرْوِى وحَمَّــادِ
وتَستحِثُّ مَطايَا الزَّهْرِ إن رَكَدتْ ... كأنها إبلٌ يحْدُو بهــــا الحادِى
وتُوقِظُ الرَّكْبَ مِيلاً من خُمارِ كَرًى ... والليلُ من طَوْقِ تَدْآبِ السُّرَى هادِى [2]
أتتْك تشْفَع إدْلالاً لِمُنشِئِهـــا ... فاقْبلْ تذلُّلَهـــا يانَسْلَ أمْجادِ [3]
وأسْبِلِ الصَّفْحَ سِــتْراً إن بَدا خَلَلٌ ... تَهتك به سِتْرَ أعــداءِ وحُسَّادِ [4]

* * *

وكتب إلى القاضى تاج الدين المالكىّ [5] ، من الطائف [6] :

لا هاجَ قلباً هــــام مِنْ ... بُرَحِ التفرُّقِ بانْصِداعِ [7]
غَــيمٌ أرقُّ حَواشِياً ... مِن بُرْدِ ضافِيةِ القِناعِ
زَجِلُ الرُّعودِ كأنهــــا ... نَغماتُ آلاتِ السَّــماعِ
والهَمْعُ مثلُ الدمعِ مِن ... عَينَىْ مُراءٍ أو مُراعِ [8]
يَهْمِى ويسـكُن كى يَمُرَّ ... بِرِيِّهِ شَعَفَ التِّــلاعِ [9]
والبرقُ يخفُق مثــلَ قَلْـ ... ـبِ الصَّبِّ فى يومِ الوَداعِ

(١) فى السلافة : « والآمال يشرحها » ، وفى السمط : « أضحت قوافيه والإحسان يشرحها . . . روض بديع . . . » . (٢) فى السلافة ، والسمط : « والليل من طول . . » .
(٣) فى خلاصة الأثر : « أتتك تسأل إقبالا لمنشئها » ، وفى السلافه : « أمتك تشفع . . » .
(٤) فى الخلاصة ، والسلافة : « وأسبل الستر صفحا إن بدا خلل » ، وفى الخلاصة : « واهتك به » ، وفى السمط : « ستر أعدائى وحسادى » . (٥) تأتى ترجمته فى هذا الباب برقم ٢٧٨ .
(٦) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١/٢٦٩ ، عدا الأبيات الأربعة الأخيرة ، سلافة العصر ٩٥ ، ٩٦ .
(٧) فى السلافة : « برح الفراق بالانصداع » . (٨) فى ا : « والدمع مثل الدمع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة . (٩) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « سعف التلاع » .
والشعفة : رأس الجبل .

ونَسيمُه قد رَقَّ مِن حَرِّ اشْتياقٍ والْتياعِ

لفِراق تــاجِ الدِّين ما ضِي الأَمْرِ قاضِينا المُطاعِ

مَن جُمِّعتْ فيه العُلَى وتوفَّرتْ فيه الدَّواعِي

ذي الفضــلِ بالمعنَى الأَعَمِّ م ولا أَخُــصُّ ولا أُراعِي

سبقتْ أنامِلُه الأنــا مَ فأحْرزَتْ قَصَبَ اليَرَاعِ

لَحَجلْتُ إذْ فاتحْتُه التَّـ رْسيلَ من سوءِ اصْطِناعِي[1]

مَن ذا يُبارِي ذَا البَيا نِ بِراقِمٍ ويَدٍ صَناعِ[2]

إذْ حــاكَ وَشْيًا لا يَحُو كُ بالابْتــكارِ والاخْتِراعِ[3]

لا زال محمودَ الخِصــا لِ ودام مشــكورَ المَساعِي

فإلَيْكها ابْنــةَ خاطرٍ أصْفَى من الذهب المُماعِ

تزْهُــو على دُرِّ النُّحو رِ وتزْدرِي وَدَعَ الوَداعِي

وعلى شهابِ الدِّين مَن يهْوى النُّزوعَ إلى النِّزاعِ[4]

منِّي تحيَّــةِ شَيِّقٍ مزَجَ الخلاعةَ بالخَــلاعِ

* * *

فراجعه بقوله[5]:

إنْ هَمَّ قلبُك صِينَ مِن بُرَحِ الفِراق بالانْصِداعِ[6]

فالقلبُ قد غادرْتَه شَــذَرًا بمُعْتَرَكِ الوَداعِ

---

(١) لم يرد هذا البيت في : خلاصة الأثر ، وسقط من ا : «لحجلت» ، وهو في : ب ، ح ، والسلافة .
(٢) في السلافة : « ذا لسان راقم » ، وفي الخلاصة : « ذا البنان براقم ويدى ضباع » .
(٣) في الخلاصة : « إذ حاك وشى ما يحوك » . (٤) في ب ، ح : « إلى نزاع » ، وفي السلافة : « إلى نزاعى » . (٥) القصيدة في : خلاصة الأثر ١/٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وسلافة العصر ٩٦ ، ٩٧ .
(٦) صدر البيت في خلاصة الأثر : « إن كان قلبك صيب من » .

إذ هاجَكَ الزَّجِــلُ الرَّعُو ... دُ سُرَى وأصبح فى اندِفاعِ[1]
وسمعت من نَغمــاتِهِ ... رَنَّاتِ آلاتِ السَّماعِ
فلقـــد رحلتُ بمقْلةٍ ... عَمْيَا وسَمْعٍ غــيرِ وَاعِى
ولئن يــكُنْ رَقَّ النَّسِيـ ... ـمُ بما تُجِنُّ من التِّيــاعِ[2]
فبِزَفْرَتِى اشْتَعَــل الهوَا ... ءُ من العَنانِ إلى اليَفاعِ[3]
كم قلتُ للقلبِ المُصَــدَّ ... عِ بالنَّوَى جُدْ بارْتجــاعِ
فأحـــالَ ذاكَ على انْتِظا ... مِ الشَّمْلِ فى سِلْكِ اجْتماعِ
عهدِى به لمّا أنِ انْـ ... ـتولّتْ عليه يدُ الضَّياعِ
أضْلَلْتُــــهُ فى موقفِ التَّـ ... ـوديعِ من دَهَشِ ارْتياعِى
ناشدْتــكُم نُشْـــدانَه ... لى بيْن هاتيك الرِّباعِ
تحت المَواطئِ مِن تَمرّ ... مِ صَديقِ الخِــلِّ المُراعِى
ياسيّدى وأخِى هوًى ... وجَلالةً ويَدِى وباعِى[4]
مَن أصبحتْ شمسُ العُــلَى ... بسَناه ساطعــةَ الشُّعاعِ
فخرُ القضاةِ وفَيْصــلُ الْـ ... أحــكامِ فى يوم التَّداعِى
بحرُ العلوم فإنْ أفا ... دَ ترَى له سَعةَ اطِّــلاعِ
قُل للمُحـــاوِلِ شأْوَه ... قَصِّرْ خُطَى هَذِى المَساعِى
فانْظُـــرْ لمِرآةِ الزّما ... نِ وقد غدتْ ذاتَ اتِّساعِ
لا غيرَ صورةِ مَجْـــدِهِ ... فيها تراه ذَا انْطِبــاعِ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « أوهاجكم زجل الرعود » .

(٢) فى خلاصة الأثر : « بما يجن من التياع » . (٣) فى ج : « اشتغل الهوا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، وفى خلاصة الأثر : « من العنان إلى البقاع » .
واليفاع : كل ما ارتفع من الأرض .

(٤) فى السلافة : « وجلاله وأخى وباعى » .

يا مُحْرِزاً بِبَنَانِه قَصَبَ السِّباقِ بلا دفاعِ[1]
ومُوَشِّياً حِبَرَ البلا غةِ والبراعةِ باليَراعِ[2]
أنَّى يُحاكَى وَشْيُها بحِياكتِي ذاتِ الرِّقاعِ
كان الحرِىُّ بها اشتما لِى ثوبَ صَمْتِى وادِّراعِى[3]
لكنْ أمَرْتَ بأنْ أجيـ بَكَ وامْتِثالُ الأمْرِ داعِى
فأتتْك من خَجَلٍ تجرُّ م الذَّيْلَ مُرْخِيةَ القِناعِ
فانشُرْ لها سِتْرَ الرِّضا الْ منسوجَ من كَرَمِ الطِّباعِ
لا زال مجدُك كلَّ وقْـ تٍ فى ازْديادٍ وارْتفاعِ[4]

* * *

وكتب يستدعِى جماعةً من الفضلاء ، وهم بجبل النُّور من المَلاة ، وهو بمِنًى[5] :

عليكمُ مِن مُحِبٍّ حَشْوُ أضْلُعِه ... وُدٌّ أرَقُّ إلى الظَّامِى من النُّطَفِ
تحيةٌ يرتضيها الفضلُ إن نفحتْ ... أرْبَتْ على نفَحاتِ الرَّوضةِ الأُنُفِ
حَواكُمُ الجبلُ العالِى بكم شرَفاً ... على المَعالِى التى تعلُو على الشَّرَفِ
نُظِمْتُمُ فيه نَظْمَ العِقْدِ مُتَّسِقاً ... على تَلِيلٍ كَعابٍ ظاهرِ التَّرَفِ[6]
وغادرتْ عقدَكم أيْدِى مُؤلِّفِه ... مُكبَّلا وحدَه فى رِبْقةِ الصَّدَفِ[7]
مِنًى هى الصَّدَفُ المُومَى إليه مُنًى ... للنفسِ فيها وفى أفْنائِها الوُرُفِ
ولا أنيسَ له إلَّا مُماثِلُكم ... على ثَبِيرٍ جميلِ السَّفْحِ والشَّعَفِ[8]

---

(١) فى السلافة : « يا محرزا ببيانه » .   (٢) فى السلافة : « والبراعة باليراع » .
(٣) فى خلاصة الأثر : « اشتمالى صوب سمتى » .   (٤) فى خلاصة الأثر : « لازال مجدك كل حين » .
(٥) القصيدة فى : سلافة العصر ٩٥ .   (٦) التليل : العنق .   (٧) فى الأصول : « أيدى مؤلفة » ، والمثبت فى السلافة .   (٨) فى السلافة : « على بثين جبل السفح والسعف » .

يُجيبُنى بصَدَى صَوتى فأرفعُه ... مِن قِلّةِ الإلفِ لا مِن كثرةِ الشَغَفِ[1]

فهل وَفِىٌّ مِن الخِلّان يُسْعِدُنِى ... فى الفجر أو بعد ما صُلِّى مع الحَنَفِى

يُجيبنى أو يُجيب الغَيْرَ عنه وما ... يُجيبُنى غيرُ مُحْيِى الدِّين أو شَرَفِ[2]

كُفوانِ يرْضاهما الإحسانُ إن نَطقَا ... أو أرْعِف الدَّنُّ للأقلامِ فى الصُّحُفِ[3]

* * *

ومن بديع نَظْمه ، ما كتبه فى ديوان قصر ابن عقْبة ، فى قرية السَّلامة[4] ، من أعمال الطائف ، وهى قصيدة فريدة ، لا يحضرنى منها إلّا قوله[5] :

قصرَ ابنِ عقْبةَ لا زالتْ مواصِلَةً ... منى إليك التَّحايَا نَسْمةُ السَّحَرِ

ولا عَدَتْك غَوادِى السُّحْبِ تَسحب فى ... رِحابِك الفِيح ذَيْلَ الطَّلِّ والمَطَرِ[6]

كم لَذَّةٍ فيك أرضيْتُ الغرامَ بها ... يوماً وأرْغَمْتُ أنفَ الشمسِ والقمرِ

وكم صديقٍ من الخِلّانِ حاوَرَنِى ... أطْرافَ أخبارِ أهلِ الكُتْبِ والسِّيَرِ

* * *

ويُعجبنى[7] من شعره قوله فى مطلع قصيدة مدح بها السيد شَهوان[8] ابن مسعود ، وهو :

---

(١) فى السلافة : « أو من كثرة الشغف » . (٢) فى السلافة : « أو يجيب الضير عنه » . ويعنى بـ « شرف » شرف الدين . (٣) فى السلافة : « أو أرعفا لدن الأقلام فى الصحف » .

(٤) السلامة : قرية من قرى الطائف ، بها مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم ، وفى جانبه قبة فيها قبر ابن عباس ، وجماعة من أولاده ، ومشهد للصحابة رضى الله عنهم . معجم البلدان ٣/١١٣ .

(٥) هذا قول ابن معصوم فى السلافة ، والمصنف ينقل عنه .
والأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٢٧١ ، سلافة العصر ٩٧ ، ٩٨ .

(٦) فى خلاصة الأثر : « غوادى السحب تسحبه » ، وفى ا : « ديل الدل والمطر » ، وفى ب ، ج ، والسلافة : « ذيل الظل والمطر » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٧) هذا قول ابن معصوم أيضا ، فى السلافة ٩٩ ، وهو فى خلاصة الأثر ١/٢٧١ .

(٨) فى السلافة : « شهران » .

فَيْرُوزجٌ أو وِشَــــامُ الغَادةِ الرُّودِ يبدُو على سِمْطِ دُرٍّ منه مَنْضُودِ[1]

وأعجب منها تخلصها ، وهو :

صَهْباء تَفْعلُ بالألْبابِ سَوْرَتُها فِعْلَ السَّخاء بشَهْوانِ بن مسعودِ[2]

* * *

ومن شعره قوله فى البُرْقع الشَّرقىّ ، المعروف عند أهل اليمن[3] :

وخَوْدٍ كبدرِ التِّمِّ فى جُنْحِ مِصْوَنٍ حَماها عن الأبصارِ بُرْقُعُها الشَّرْقِى[4]

سِوَى طُرَّةٍ مثْــــلِ الهلالِ بَدَتْ لنا على شَفَقٍ والفَرْقُ كالفجرِ فى الأُفْقِ[5]

فقلتُ هِــــلالٌ لاحَ والفجرُ طالعٌ من الغربِ أمْ لاح الهلالُ من الشَّرْقِ[6]

* * *

وقوله فى مثل ذلك[7] :

بالبُرْقِـــعِ الشرقىّ تحـ ـتَ المصْوَن الباهى الجمالْ

أبْدَتْ لنــــا شَفقاً وكيْـ ـلاً لاحَ بينهما الهـــلالْ

* * *

وقال معللاً تسمية القدَح قدحًا[8] :

مُذْ صَبَّ ساقينــــا الطِّلَا حتى تناثَر وانتضَـــحْ[9]

---

(١) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « أو وشام » ، وفى ا : « على السمط در » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة. (٢) فى السلافة : « بشهران بن مسعود » .

(٣) فى السلافة : « الحجاز » .

الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٢٧١ ، سلافة العصر ٩٨ .

(٤) هكذا فى الأصول : « فى جنح مصون » .

(٥) فى الأصول : « سرى طرة » ، وفى خلاصة الأثر : « ترى طرة » ، والمثبت فى : السلافة ، وفى ب : « بدالنا » والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة. (٦) فى الخلاصة : « والبدر طالع » .

ويعنى بـ « الشرق » مطلع الشمس ، والبرقع الشرق .

(٧) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٢٧١ ، سلافة العصر ٩٨، ٩٩ . (٨) خلاصة الأثر ١/٢٧١ ، سلافة العصر ٩٨ . (٩) فى السلافة : « حتى تناثر والضح » .

خــــالوا شَرَاراً ما رأَوْا   فلأَجْــــلِ ذا قالوا قَدَحْ

* * *

وله فى صُوفيّة عصره [١] :

صُوفيَّةُ العصرِ والأوانِ   صُوفِيَّةُ العَصْرِ والأوانِى

فاقُوا على فعلِ قومِ لُوطٍ   بنَقْرِزَانٍ لِنَقْرِزَانِ [٢]

* * *

وله ، وهو معنى مُبْتــكَر [٣] :

ألا انظُر إلى هــذا الصَّفاءِ لِبِرْكَةٍ   تقول لِمَن قد غاب عنها من الصَّحْبِ

لئِن غبْتَ عن عينِى وكدَّرْتَ مَشْرَبِى   تأمَّلْ تجِدْ تِمثالَ شَخْصِك فى قَلْبِى

*

---

(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٢٧١ ، سلافة العصر ٩٨ . (٢) « نقرزان » الأولى مؤلفة من « نقر » ، و « زان » وهو الزانى ، والثانية : الآلة الموسيقيه . (٣) هذا قول ابن معصوم أيضا . والبيتان فى سلافة العصر ٩٥ .

٢٧٧

حَنِيف الدِّين بن عبد الرحمن*

المُنِيف فى دَوحة النُّبْل فَرْعُه ، الحَنِيف فى مِلّة الفضل شَرْعُه .

قام مَقام أبيه بعده ، فصدَق فيه الدهرُ وَعْدَه .

بِمَرْأًى كالصباح إذا وضَح ، ووَجْهٍ لو قابلَه البدرُ فى تِمّه افتَضح .

وفكرٍ أسرعَ فى تدبُّر الأشياء من الوَهْم ، ورأيٍ يفعل عَزْمُه الشَّهمُ مالا يفعله السَّهْم .

فاستقرَّ فى مركز أبيه مُكمِّلا لكَمالاته ، وهو بدرُ سمائه ومِن عادة البدر أن لا يخرج عن هالاتِه .

فلم تنطق الأفْواهُ بمدحه إلا وقفتْ وفيه كثرة الفكر ، واستَبقت السُّراة إلى سُؤْددٍ إلّا تناهت وله مُحكَم الذِّكْر .

وهو فى الفضل ،

تجاوَز قَدْرَ المدح حتى كأنه   بأحْسنِ مايُثْنَى عليه يُعابُ

(*) حنيف الدين بن عبد الرحمن بن عيسى المرشدى العمرى الحنفى المكى .

مفتى الحنفية بالديار الحجازية .

ولد بمكة ، سنة أربع عشرة بعد الألف .

وكان دينا ، عفيفا ، ملازما للعبادة .

أخذ عن والده ، وعبد العزيز الزمزمى ، وأبى العباس المقرى ، وعبد الرحمن الخيارى ، وخالد المالكى ، وغيرهم .

ولى بعد والده خطابة الجمعة بالمسجد الحرام ، والتدريس خلف مقام الحنفية ، وتدريس مدرسة محمد باشا ، ثم ولى الإفتاء السلطانى بالديار الحجازية ، سنة أربع وأربعين وألف .

وصنف عدة كتب ، منها : شرح « مناسك الوسيط » المنلاعلى ، و « بغية السالك فيما يتعلق بآداب السفر وأدعية المناسك » ، و « شفاء الصدر ببيان ليلة القدر » .

توفى سنة سبع وستين وألف بالمدينة ، ودفن ببقيع الغرقد .

خلاصة الأثر ٢/١٢٦ — ١٢٨ ، سلافة العصر ٩٩ — ١٠٥ .

وفى الأدب،

تبوَّأ أسْمَى منزلٍ فازدهَتْ به ... هضابٌ تسامَتْ للعُلَى وشِعابُ

* * *

وله أشعار بحبر الرِّقَّة مُوَشَّاة، كأن صحائفها بنقوش الزَّبَرْجَد مُحَشَّاة.

فمنها قوله، مراجعا عن لسان أبيه لبعض الأدباء [1]:

تبـدَّى لنا بَرْقٌ بأُفْقِ رُبَا نَجْدِ ... فأذْكَرنى عَهْـداً وناهِيكَ من عهدِ

وهَيَّجَنِى شوقاً وزاد بِىَ الأسَى ... وأضْرَم لى نارَ الصَّبابةِ والوجْدِ [2]

وجـدَّد لى ذِكرَ الليالى التى خَلَتْ ... وطِيبَ زمانٍ بالحِمَى طَيِّبِ الوِرْدِ

زماناً جلاَ ذو الحسن شمْسَ جمالِه ... علينا فشاهدْنا به الشمسَ فى بُرْدِ [3]

وأبدَتْ لنا ذاتُ الجمال جَبِينَهـا ... فأخجَل بدرَ الأُفْقِ فى طالِعِ السَّعْدِ

هى الروضُ تبْـدو للأنام بوَجْهِها ... فتقْطفُ زهرَ الوردِ من خدِّها الوردِى

وفاح لنا نَشْرُ الخزامَى برَوضةٍ ... شَدَتْ وُرْقُها شوقاً على الأغصُنِ المُلْدِ

تغنَّتْ على غصنِ الأراكِ بمَدْحِ مَن ... علا قَدْرُه السامِى على ذِرْوةِ المجدِ

كمالُ قُضــاةِ المسلمين إمامُهم ... ومُوضِحُ مِنْهاجِ الرَّشادِ لِذى الرُّشْدِ [4]

عليــه مَدى الأيام منِّى تحيَّةٌ ... تفُوق فَتِيتَ المِسْكِ والعُودِ والنَّدِّ

* * *

وقال فى مثل هذا الغرض [5]:

---

(١) القصيدة فى: خلاصة الأثر ٢/١٢٧، سلافة العصر ١٠٣، ١٠٤. (٢) فى خلاصة الأثر: «وأضرم بى».

(٣) فى السلافة: «فشاهدنا به الشمس فى البرد». (٤) فى الأصول، والخلاصة: «لدى الرشد»، والمثبت فى السلافة. (٥) القصيدة فى: خلاصة الأثر ٢/١٢٧، ١٢٨، سلافة العصر ١٠٤، ١٠٥. ومكان «الغرض» فى السلافة «المعرض».

غنَّتِ الوُرْقُ فى المَسَا والبُكورِ ساجِعاتٍ على غُصونِ الزهورِ

وتبــــدَّتْ من كَلَّةِ الحُسْنِ خَوْدٌ تُخْجِلُ الشمسَ مَعْ سَناءِ البدورِ (١)

قد تحلَّتْ من الجمــــالِ بعِقْدٍ جَلَّ فى الحُسْنِ والبَها عن نَظِيرِ (٢)

فاقتطفْنا من خَـــدِّها زَهْرَ وَرْدٍ فاق نَشْرَ النِّسْرِينِ والمَنْثورِ (٣)

وارْتَشَفْنا من ثَغْرِها العَــذْبِ شُهْداً فانتَشَوْنا لا نَشْوَةَ المخمورِ (٤)

برَّدتْ بالوِصالِ قلبَ كَئِيبٍ كان فيــــه للهجرِ نارُ السَّعيرِ

يالَها عَــــذْبَةَ الثَّنايا رَداحاً قد تبــدَّتْ فى زِىِّ ظَبْىٍ غَرِيرِ (٥)

قد أتتْنا من عالِمِ العصرِ مَوْلًى قد تَسامَى على السُّهــــا والأثِيرِ

قـــد أتانى مولاىَ منك كتابٌ ذُو نظامٍ حكى عُقــودَ النُّحُورِ

ففَضضْتُ الختامَ عن كَنْزِ عِـــلمٍ حاز منــــه الغِناء كلُّ فقيرِ (٦)

فتأمَّلتُ فى رياضِ حِمــــاهُ وتنسَّمْتُ مابه من عَبِيرِ (٧)

فبـــدا نَظْمُ طِرْسِه مع نَثْرٍ ذِى بَيانٍ فسُرَّ منه ضَمِيرِى (٨)

دُمْتَ يا أوْحَـــدَ الزمانِ فريداً فى أمانٍ بحِفْظِ ربٍّ خَبِيرِ

* * *

ومن بديع شعره قولُه (٩) :

أُمْسى وأُصبح من تَذْكارِكم وَصِباً يرْثِى له المُشْفِقان الأهــلُ والولدُ

---

(١) فى السلافة : « وتبدت فى كلة الحسن » .
والخود : المرأة الشابة الناعمة .

(٢) فى ب : « قد تجلت » ، والمثبت فى : ا ، ح ، والخلاصة ، والسلافة . (٣) فى السلافة : « واقتطفنا » .

(٤) كذا فى الأصول ، والخلاصة ، والسلافة : « فانتشونا » . (٥) الرداح : الثقيلة الأوراك .

(٦) « الغناء » ممدود « الغنى » . (٧) فى السلافة ، والخلاصة : « وتأملت » .

(٨) فى السلافة : « مذ بدا نظم طرسه » . (٩) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٢/١٢٨ ، سلافة العصر ١٠٣ .

قدْ خدَّدَ الدمعُ خدِّى من تذكُّرِكمْ ... واعتادَنِى المُضْنِيانِ الوجدُ والكَمَدُ[١]

وغابَ عن مُقْلتِى نومِى لغَيْبتِكم ... وخانَنِى المُسْعِدانِ الصبرُ والجَلَدُ

لا غَرْوَ للدمعِ أن تجرى غَوارِبُهُ ... وتحتَه المُظْلِمانِ القلبُ والكَبِدُ

كأنما مُهْجتى شِلْوٌ بمَسْبَعةٍ ... ينتابُها الضَّارِيانِ الذئبُ والأسدُ

لم يَبْقَ غيرُ خَفِىِّ الرُّوحِ فى جسدِى ... فِدًى لك الباقيانِ الرُّوحُ والجسدُ

☆☆☆

(١) فى ا : «قد خرد الدمع» ، وفى السلافة : «قد حدد الدمع» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر.

٢٧٨

القاضي تاج الدين المالِكِيّ *

إمامُ الحرمَيْن وقاضيهما الفاضِل ، ولَوْذَعِيّ خلّهما الذى سلّم له المُناظِر والمُناضِل .

فشرَفُه على سَمْك السِّماك (1) مكان ، ومجدُه كعبةُ أخلاقِه لها أركان .

وقد زَيَّن مُدَّةً مَراقِيَ المنابر ، وأمَدَّ الفضلا بخُطَبه التى تنافسَتْ فى نَسْخِها الأقلامُ والمَحابر .

* * *

وهو فى الإنشاء تاجُ رأسِ أهلِه ، والمُقدَّم فيهم وإن كان جاء على مَهلِه .

فالصاحبُ على ذِكْره محشور ، وكأن الصَّابِي من طِيب نَشْرِه مَنْشور .

وأما البديعُ فلو أدركه لكان بمَنْزِلةِ غُلامه ، وعبدُ الحميد لو عاصَره لكان بارِيًا لأقلامه .

وآثار أقلامِه حِلْيةُ الآداب العَواطِل ، إذا ذُكِرتْ كاثَرت السحبَ الهَواطل .

وقد وقفتُ على رسائله التَّاجِيّة فرأيتُ اللفظَ المُعجِب ، والقولَ المُنْجِب .

وشاهدتُ الفضلَ عَياناً ، وعاينتُ التاجَ قد نُثِر عِقْياناً .

* * *

(*) تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم المالكى المدنى ، ثم المكى ، ويعرف بابن يعقوب .

ولد بمكة ، وبها نشأ ، وأخذ عن أكابر شيوخ عصره ، مثل العلامة : عبد القادر الطبرى ، وعبد الملك العصامى ، وخالد المالكى ، وغيرهم ، وأجازه عامة شيوخه .

وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام ، وكان بمكة من صدور الخطباء والمدرسين ، ومن أكابر العلماء المحققين .

وكان إمام الإنشاء فى عصره ، وله ديوان إنشاء ، ومجموع فى خطب الجمع والعيد والاستسقاء ، وله فتاوى فقهية جمعها ولده أحمد فى مجموع سماه « تاج الجاميم » ، وله مصنفات فى علوم شتى .

توفى بمكة ، سنة ست وستين وألف .

حديقة الأفراح ٤٤ ، ٤٥ ، خلاصة الأثر ١/٤٥٧ ـ ٤٦٤ ، سلافة العصر ١٣٣ ـ ١٥٨ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٠٧ ـ ٤٠٩ ، ٤١٤ ـ ٤١٦ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(1) السماك : أحد نجمين نيرين ، يقال لأحدهما الأعزل ، وللآخر الرامح .

وأما نَظْمُه فقد نظَم فى لَبَّةِ الإحسان منه [١] عِقْدا ، كاد يتميَّز عليه سِمْطُ الثُّرَيَّا غَيْظا وحِقْدا .

وقد جِئْتُك من بدائعه بما أشرقَ بدرُه فى مطالِـعِ تِمِّه ، وأخذتْ أطرافُه بأجلّ الحسْنِ وأتمِّه .

فمنه قوله من داليَّة [٢] عارضَ بها داليَّة [٢] أحمد المُرْشِدِىّ التى ذكرتها [٣] ، وسيأتى مُعارضة ثالثة [٤] لها ، فى ترجمة محمد بن حَـكِيم المُلْك [٥] .

وصاحب الترجمة مدح بقصيدته الشريف مسعوداً [٦] أيضا ، ومطلعها [٧] :

غُذِيتُ دَرَّ الصِّبَـا مِن قبلِ مِيلادِى	فلِمْ تَرُمْ ياعَذُولِى فيه إرْشادِى [٨]
غَىُّ التَّصابِى رَشادٌ والعَذابُ به	عَذْبٌ لداء كبَرْدِ الماء للصَّادِى [٩]
وعاذِلُ الصَّبِّ فى شَرْعِ الهوى حَرِجٌ	يرومُ تبديلَ إصلاحٍ بإفْسادِ
ليت العَـذُولَ حوَى قلبى فيعذِرُنى	أوليت قلبَ عَذُولِى بين أكْبادِى
لو شام بَرْقَ الثَّنايا والتَّدَنِّىَ مِن	تلك القُدودِ انْثنَى عِطفاً لإسْعادِى [١٠]
ولو درَى هادِىَ الجَيْداء كان درَى	أن اشتياقَ الهُدَى من ذلك الهادِى [١١]
كم بات عِقْداً عليـه ساعِدِى ويَدِى	نطاقُ مُجتمَعِ المَخْفِىِّ والبادِى [١٢]
إذْ أعْيُنُ العِينِ لا تنفكُّ ظامِئةً	لوِرْدِ ماء شَبابى دون أنْدادِى [١٣]

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٣) تقدمت فى ترجمته رقم ٢٧٦ من هذا الجزء . (٤) فى الأصول : « ثلاثة » ، ولعل الصواب ما أثبته
(٥) تأتى ترجمته وهذا الباب ، برقم ٣١١ . (٦) تقدم التعريف به فى ترجمة أحمد المرشدى من هذا الجزء .
(٧) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١ / ٤٥٨ – ٤٦٠ ، سلافة العصر ١٥٢ – ١٥٤ ، سمط النجوم العوالى ٤ / ٤٣٢ – ٤٣٤ . (٨) فى الخلاصة ، والسلافة ، والسمط : « غذيت در التصابى ... فلا ترم .. » ، وهو الأولى
(٩) فى ب : « عذب لدائى » ، وفى الخلاصة والسلافة ، والسمط : « عذب لدى كبرد الماء » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(١٠) فى خلاصة الأثر : « تلك القدود نى » ، وفى السلافة ، والسمط : « تلك القدود اننى » ، وفى السلافة والسمط : « لإسعاد » . (١١) فى الخلاصة ، والسلافة ، والسمط : « ولو رأى هادى الجيداء » .
(١٢) فى السمط : « نطاق مجتمى » . (١٣) فى السلافة : « دون أورادى » .

فيازمانَ الصِّبا حُيِّيتَ من زمنٍ ⁂ أوقاتُه لم نُرَعْ فيهــا بأنكادِ

ويا أحِبَّتَنا روَّى معاهِـــدَكم ⁂ من العِهادِ هَتونٌ رائحٌ غادِ

مَعاهداً كُنَّ مُصْطافِي ومُرْتَبَعِي ⁂ وكم بها طال بل كم طاب تَرْدادِي (1)

ياراحِلين وقلبي إثْرُ ظُعْنِهِمُ ⁂ ونازِحين وهم ذِكْري وأوْرادِي

إن تطلبُوا شرحَ ماأيدِي النَّوَى صنَعتْ ⁂ بمُغْرَمٍ حِلْفِ إيحاشٍ وإيحادِ (2)

فقابلُوا الرِّيحَ إن هبَّتْ شآميةً ⁂ تَرْوِي حديثي لكم موصولَ إسْنادِ

والهفَ نفسِي على مَغْنًى به سلَفتْ ⁂ ساعاتُ أُنْسٍ لنا كانتْ كأعيادِ (3)

كأنهـــا وأدام اللهُ مُشْبِهَهـــا ⁂ أيامُ دولةِ صدرِ الدَّسْتِ والنَّادِي

ذو الجود مسعودٌ المسعودُ طالِعُه ⁂ لا زال في بُرْجِ إقْبالٍ وإسْعادِ

عادتْ بدولتِـــه الأيامُ مُشرقةً ⁂ تهزُّ مُختالةً أعطافَ ميَّادِ (4)

وقلَّد المُلْكَ لمَّا أن تقـــلَّدَه ⁂ فخراً على مرِّ أزمانٍ وآبادِ

وقام باللهِ في تدبيره فغـــدا ⁂ مُوَفَّقاً حالَ إصْـــدارٍ وإيرادِ

حقٌّ لك الحمدُ بعد اللهِ مفترضٌ ⁂ في كلِّ آونةٍ من كلِّ حمَّادِ

أنقذتَهم من يدِ الأعداءِ مُتَّخِذاً ⁂ عنـــد الإلهِ يداً فيهم بإنجادِ

دارَكْتَهم سُهَّداً رَمْقَى فعادَ لهم ⁂ غَمْضٌ لجفْنٍ وأرواحٌ لأجسادِ

بُشْراك يادهرُ حازَ المُلْكَ كافلُه ⁂ بُشْراكَ يادهرُ أخرى بِشْرُها بادِ

عادت نجـــومُ بني الزَّهراء لا أفلَتْ ⁂ بعوْدةِ الدولةِ الزَّهْـــرا لمُعتادِ

واخضلَّ رَوضُ الأماني حين أصبحتِ الْـ ⁂ أجْوادُ عِقْـــداً على أجيادِ أجْيادِ (5)

---

(1) في السلافة : «وكم بها طال كم قد طاب تردادي» . (2) في الأصول: «حلف إيحاش وإيجاد»، وفي السلافة : «حلف إيحاش وإنجاد» ، والمثبت في : خلاصة الأثر ، وسمط النجوم العوالي .

(3) في ا : «والهف نفسي على معنى» ، وفي ج : «على مضنى» ، والمثبت في : ب ، والخلاصة، والسلافة.

(4) في السلافة : «تهتز مختالة» .

(5) في السلافة : «على الأجياد أجياد» ، وفي السمط : «على جياد جياد» .

وأجياد : موضع بمكة يلي الصفا . سبقت الإشارة إليه .

وأصبح الدِّينُ والدنيا وأهلُهما ... في حِفظِ مَلْكٍ لظلِّ العدلِ مَدّادِ [(١)]

يُبيحُ هامَ الأعادِي مِن صَوارِمِه ... ما استَحْصدَتْ بالتّعاصِي كلَّ حَصّادِ [(٢)]

فيهم أيادِي أيادِيهِ ونائـــلُه ... على الورَى أصبحتْ أطواقَ أجيادِ [(٣)]

بَذْلُ الرَّغائبِ لا يعتـــدُّه كرماً ... مالم يـكنْ غيرَ مَسْبوقٍ بميعادِ

والعَفْوُ عن قُدْرةٍ أشهَى لِمُهْجتِه ... صِينَتْ وأشْفَى من اسْتيفاءِ إيعادِ [(٤)]

مَآثِرٌ كالدَّرارِي رِفعـــةً وسَناً ... وكَثْرةً فهي لا تُحْصَى بمَدّادِ [(٥)]

فأنتَ مِن مَعْشرٍ إن غارةٌ عَرضتْ ... خَفّوا إليها وفي النادِي كأطْوادِ

كم هَجْمةٍ لك والأبطالُ مُحْجِمةٌ ... ووقفةٍ أوْقفتْ لَيْثَ الشَّرَى العادِي

بكلِّ أبيضَ مَعْضُودٍ لمُضْطَهِدٍ ... وللمَرائرِ والمُرّانِ قَصّـــادِ [(٦)]

وكلِّ مُجتمِعِ الأطْرافِ مُعْتـــدلٍ ... لَدْنٍ لِعِرْقِ نَجِيعِ القِرْنِ فَصّادِ [(٧)]

فَخْرَ الملوكِ الأُلَى فَخْرُ الزمانِ بهم ... دُمْ حائزاً مُلْكَ آباءٍ وأجدادِ [(٨)]

ولْيَهْنِ حُلّتَـــهُ إذْ رُحْتَ لابِسَها ... أنْ أصبحتْ خيرَ أثْوابٍ وأبْرادِ [(٩)]

واستَجْلِ أبْكارَ أفـكارٍ مُخدَّرةٍ ... قد طالَ تَعْنِيسُها مِن فَقْدِ أنْدادِ [(١٠)]

كم رُدَّ خُطّابُها حتى رأتْكَ وقد ... أتتْك خاطبـــةً يا نَسْلَ أمْجادِ [(١١)]

---

(١) في خلاصة الأثر : « في ظل ملك » ، وفي السلافة : « أظل العدل عداد » .

(٢) في السمط : « ما استحصدت بالتقاضي .. » . (٣) في الخلاصة : « فهم أيادي أياديه » ، وفي السلافة ، والسمط : « شهم أيادي أياديه » ، وهي رواية حسنة . (٤) في الأصول : « من استيفاء ميعاد » ، وفي السلافة : « من استيذا أبعاد » ، والمثبت في : الخلاصة ، والسمط .

(٥) في خلاصة الأثر : « لا تحصى بأعداد » ، وفي السلافة : « لا تحصى لعداد » ، وفي السمط : « لا تحصى بتعداد » . (٦) لم يرد هذا البيت في خلاصة الأثر . وفي الأصول : « معضود لمضطهر » ، وفي السلافة : « مقصود لمضطبر » ، وفي السمط : « مقصود لمضطهد » ، ولعل الصواب ما أثبته . والمضطهد : الأسد . والمران : الرماح اللدنة الصلبة .

(٧) لم يرد هذا البيت في السمط ، وفي خلاصة الأثر : « بكل مجتمع الأطراف » .

(٨) في خلاصة الأثر : « فخر الملوك الألى ترمومناقبهم » . (٩) في السلافة والسمط : « إذ أصبحت » وفي خلاصة الأثر : « فأصبحت » . (١٠) في السلافة : « قد طال تعيينها في فكر نقاد » .

(١١) في خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط : « أمتك خاطبة »

أَفْرَغْتُ فى قالَبِ الألفاظِ جَوْهرَها   سَبْكاً بذهنٍ وَرِىِّ الزَّنْدِ وَقَّادِ

وصاغَها فى مَعاليكم وأخْلَصها   وُدٌّ ضميرُكَ فيه عَدْلُ أشْهادِ (١)

يَحْدُو بها العِيسَ حَادِيها إذا رزَحتْ   مِن طُولِ وَخْدٍ وإرْقالٍ وإسْآدِ (٢)

كأنّها الرّاحُ بالألْبابِ لاعبةٌ   إذا شَدا بين سُمّارٍ بها شادِى

بفضْلِها فُضَلاءُ العصرِ شاهدةٌ   والفضلُ ما كان عن تسْليمِ أضْدادِ

فلو غَدَتْ من حبيبٍ فى مَسامِعِه   أو الصَّفِىِّ اسْتحالاَ بعضَ حُسَّادِى (٣)

واستنْزَلا عن مَطايَا القومِ رَحْلَهُما   واستوْقَفا العِيسَ لايحْدُوبها الحادِى (٤)

وحَسْبُها فى التّسامِى والتقدُّمِ فى   عَدِّ المَفاخرِ إذ تَغْدُو لعَدّادِ (٥)

تَقْرِيظُها عندما جاءتْ مُعارِضةً   عُوجَا قليلاً كذا عن أيْمَنِ الوادِى (٦)

* * *

وكتب إلى القاضى أحمد المُرْشِدِىّ (٧) ، مُعتذِراً عن وُصولِه إليه بعد وعده له ؛ لعروض مانعٍ مَنَعَه (٨) :

أيُّها المَعْشَرُ الذين إليهمْ   وَاجِباً أن يكون سَعْياً براسِى

لا تظنُّوا تَرْكِى الوصولَ إليكم   لِمَلالِ وِدادَكم أو تَناسِى (٩)

(١) فى السلافة : « ود ضميرك منه عدل أشهادى » ، وفى السمط : « ود ضميرى فيه » .

(٢) فى ب : « إذا زجرت » ، وفى الخلاصة : « إذا رزمت » ، وفى السلافه : « إذا زرجت » ، وفى السمط : « إذا زحرت » ، والمثبت فى ا ، ج . وفى السمط : « وإرقال وإشهاد » .

والوخد : الإسراع ، وكذلك الإرقال ، والإسئاد : سير الليل كله .

(٣) فى خلاصة الأثر : « بعض حساد » .

وحبيب هو أبو تمام ، والصفى هو صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى .

(٤) فى السلافة ، والسمط : « عن مطايا القول » ، وهى رواية حسنة.   (٥) فى ج : « إذ تعدو لتعداد » ، وفى السمط : « إذ تغدو لتعداد » .   (٦) فى الأصول ، والخلاصة : « تقريضها عند ما جاءت » ، والمثبت فى : السلافة ، والسمط .

وهو يشير إلى مطلع قصيدة أحمد بن عيسى المرشدى ، التى سبقت .

(٧) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٦   (٨) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٦١ .

(٩) فى خلاصة الأثر : « لملالى ودادكم » .

أو تغالٍ عنكم وإن كان عُذْرِى … هوأنى شُغِلْتُ من بعض ناسِ[١]

* * *

فأجابه بقوله بَدِيها[٢] :

قد أتانى اعْتذارُكم بعد أنِّى … بِتُّ من هَجْرِكم عديمَ حَواسِى[٣]

فتلقَّيْتُه بصدرٍ رَحِيبٍ … ولصَقتُ الكتابَ عِزًّا برِاسِى

غيرَ أنِّى لا أرْتضيه إذا لمْ … تُنعِموا بالوصالِ والإِيناسِ

وأقِلنى العِثارَ فى النظم إنى … قلتُه والفؤادُ فى وَسْواسِ

* * *

وكتب إلى صاحبيْن له استدْعياه، فتعذّر عليه الذهابُ إليهما[٤] :

يا خليلىَّ دُمْتُما فى سرورٍ … ونعيمٍ ولذَّةٍ وتَصافِى

لم يكن تَركىَ الإجابةَ لمَّا … أن أتانى رسولُكم عن تَجافِى[٥]

كيف والشوقُ فى الحشاشةِ يقْضِى … أننى نحوَكم أجوبُ الفَيافِى[٦]

غيرَ أن الزمانَ للحظِّ منى … لم يزَلْ مُولَعًا بحُكْمِ خِلافِى[٧]

عارَض المُقتضِى من الشوقِ بالما … نِعِ والحكمُ عندكم ليس خافِى[٨]

فسلامٌ عليكمُ وعلى مَن … فُزْتُما مِن ثِمارِه باقْتطافِ

* * *

وكتب إلى القاضى محمد بن[٩] دراز[١٠] يسْتدعيه[١١] :

---

(١) فى خلاصة الأثر : «أو تراخ عنكم . . . هو أنى ندبت خير أناس» . (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٦١ . (٣) فى ب : «عديم حواس» ، وفى خلاصة الأثر : «بت من هجرك الأيام أناسى» . (٤) خلاصة الأثر ١/٤٦٢، ٤٦٣ . (٥) فى ا : «ترك الإجابة» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) فى ب ، ج: «فى الحشا منه يقضى» ، والمثبت فى: ا ، وخلاصة الأثر . وفى الأصول : «أجيب الفياف» ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٧) فى ا ، ج : «بحكم خلاف» ، والمثبت فى: ب ، وخلاصة الأثر . (٨) «ليس خاف» كذا لضرورة القافية . (٩) زيادة من خلاصة الأثر . (١٠) صاحب الترجمة التالية . (١١) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٦٣ .

رَقَّ النَّسِيمُ وذيلُ الغَيمِ مُنسدِلٌ   على الوُجوهِ وطَرْفُ الدهرِ قد طَرِفَا
فاغْنَمْ مُعاقرةَ الآدابِ واغْنَ بهـــا   عن المُدامِ وخُذْ من صَفْوِها طُرَفَا
وانْزَعْ إلينا لنجنِيَ من خمائلِهـــا   وَرْدًا ونجذبَ من مِرْطِ الوفا طَرَفَا

* * *

ومن شعره قولُه(١) :

غَنِيَتْ بحِلْيةِ حُسْنِها   عن لُبْسِ أصنافِ الحُلِي
وبدتْ بهيكلِها البديـ   ـعِ تقولُ شاهِدْ واجْتلِ
تجِدِ المحاسنَ كُلَّهـــا   قد جُمِّعتْ فى هَيكَلِي

* * *

ولما وقف عليها السيد أحمد بن مسعود(٢) ورآها ، وَشَّاها(٣) وِشَاها(٤) .
وشيَّد كلَّ بيت مِن أبياتِه قَصْرًا ، وابتزَّ ذلك المعنى باسْتحقاقِه قَسْرًا .
فقال(٥) :

للهِ ظَبْيٌ سِرْبُهُ   يزْهو به فى المَحْفَلِ
قَنَص الأُسودَ بغالبِ   قَيْدِ الأوابدِ هَيكَلِ(٦)
وله الجَوارِ المُنْشآ   تُ جَوَى الحُشاشةِ للْخَلِي
من كلِّ رُودٍ لَحظُهـــا   يسْطُو بحَدِّ المُنْصُلِ(٧)
مُشْتاقُها من ثَغْرِها   وأثيثِها فى مُشْكِلِ

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٦٢ ، سلافة العصر ٢٥ . (٢) تقدمت ترجمته ، برقم ٢٦٨ ، فى هذا الجزء . (٣) فى ا : « وشاءها » ، وفى ب : « وشآها » ، والمثبت فى : ج .
(٤) جمع الوشى، وهو نقش الثوب . (٥) الأبيات فى: خلاصة الأثر ١/٤٦٢ ، سلافة العصر ٢٥ ، ٢٦ .
(٦) فى السلافة : « قنص الأسود بغالب » . (٧) لم يرد هذا البيت والبيتان التاليان له فى خلاصة الأثر .
وفى السلافة : « من كل بكر لحظها » .
وجارية رؤد : ناعمة . أساس البلاغة (رأد) .

فاق الغَوانِي حَالِيا ... تِ عاطلٌ فى هَيكَلِي[١]
ما قال فى ظَلْمائِه ... يا أيُّها الليلُ انجَلِ[٢]

* * *

وحَذا حَذْوها القاضى أحمد المُرْشِدِىّ[٣] ، فقال[٤] :

يا ربَّةَ الحُسنِ الجَلِي ... لمؤَمِّلِ المُتأمِّلِ[٥]
صدرى ووجهى مُنْيَةُ ... المُجتنِي والمُجتَلِي
فالحَظْ بديعَ مَحاسنِي ... من تحتِ أنواعِ الحُلِي
تَجِدِ المياكلَ والحُلِيَّ ... م جمالها من هَيكلِي

* * *

وكتبَ إلى بعض أصدقائه قولَه[٦] :

مَن كان بالوادى الذى هو غيرُ ذِى ... زَرْعٍ وعَزَّ عليه ما يُهْدِيهِ
فلْيُهْدِيَنَّ من المُفاكهةِ التى ... تحلُو فواكهُها لكلِّ نَبِيهِ[٧]

* * *

وله فى غربيَّة المتقدّم وصفُها[٨] :

خالفتُ أهلَ العشقِ لمَّا شرَّقُوا ... فجعلتُ نحوَ الغربِ وحدى مَذْهبِي
قالوا عدَلْتَ عن الصوابِ وأنشدُوا ... شَتَّان بين مُشرِّقٍ ومُغرِّبِ
فأجبتُهم هذا دليلى وانظرُوا ... للشمسِ هل تسْعَى لغيرِ المغْربِ[٩]

* * *

---

(١) فى السلافة : « عاطلا فى هيكلى » . (٢) فى خلاصة الأثر : « قد قال فى ظلمائه » .
(٣) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٦ . (٤) الأبيات فى: خلاصة الأثر ١/٤٦٢ ، سلافة العصر ٢٧ .
(٥) فى خلاصة الأثر : « لمؤمل المتأمل » ، وفى السلافة : « أمأربة . . لمؤملى المتأمل » .
(٦) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٤٦٢ . (٧) فى خلاصة الأثر : « فليهدين ألفاظه الغر التى » .
(٨) انظر صفحتى ٤٨ ، ٤٩ .
والأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٤٦٢ .
(٩) فى خلاصة الأثر: «دليلى فانظروا» .

وله فى المُفاخرةَ بين الإبرة والمِقَص (١) :

فاخَرَتْ إبرةٌ مِقَصًّا فقالتْ   لِىَ فضلٌ عليكمْ بادٍ مُسَلَّمْ
شأنُكَ القطعُ يا مِقَصُّ وشأنى   وصلُ قطعٍ شتَّانَ إن كنت تفهمْ (٢)

* * *

وأصله قولُ بعضهم (٣) :

إنَّ شأنَ المِقَصِّ قَصٌّ وِصالٍ   فلهــذا يَضِيعُ بين الجُلوسِ
وترى الإبرةَ التى تُوصِل الْ   قَطْعَ بِعِزٍّ مغروسةً فى الرُّءوسِ

* * *

وله فى الفَوَّارة (٤) :

وفَوَّارةٍ من مَرْوةٍ قام ماؤُها   كَبَزْبُوزِ إبْرِيقٍ وليس له عُرْوَهْ (٥)
بَدالىَ لَمَّا أن وردتُ صَفاؤُها   ولا غَرْوَ أن يبدُو الصَّفاء من المَرْوَهْ

* * *

ومن فوائده ، أنه سُئل عن قول الصَّفِىِّ الحِلِّىِّ (٦) :

فلئن سطَتْ أيدِى الفِراقِ وأبعَدتْ   بَدْرًا تَحجَّبَ نِصْفُه بنَصِيفِ
فلقد نَعِمْتُ بوَصْلِه فى مَنْزِلٍ   قد طاب فيه مَرْبَعِى ومَصِيفِى (٧)

فأجابه بقوله (٨) :

لا يخفَى أن النَّصِيف هو الخِمار ، فكأن الشاعر تخيَّل أن الجبينَ بدرُ تمامٍ (٩) كاملُ الاستدارة ، ستر الخِمارُ نصفه الأعلى ، فلما تخيل ذلك قال :

* بدراً تحجَّب نصفُه بنَصيف *

---

(١) خلاصة الأثر ١/٤٦٣ . (٢) فى خلاصة الأثر : « إن كنت تعلم » . (٣) خلاصة الأثر ١/٤٦٣
(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٤٦٣ . (٥) البزبوز : القصبة أو القضيب المجوف ، وهى هنا مخرج الماء من الإبريق . انظر المحكم فى أصول الكلمات العامية ٣١ . (٦) البيتان فى : ديوانه ٥٢٤ ، خلاصة الأثر ١ / ٤٦٠ . (٧) فى الديوان : « فلكم نعمت » .
(٨) الجواب أيضا فى خلاصة الأثر ١/٤٦٠ . (٩) فى خلاصة الأثر : « تام » .

ثم ضمّنه بقوله :

أفدِى التى جلَب الخمارَ جبينُها ... تحت الخمارِ لقلبِىَ المشْغُوفِ [١]

فصَبـــا له لمَّا تحقق أنه ... بدرٌ تحجَّب نِصْفُه بنَصِيفِ

* * *

وقد سئل [٢] عنه أيضا الإمام زين العابدين الطَّبَرِىّ [٣] ، فأجاب بما نصُّه :

النَّصيف الخِمار ، وكل ما يغطَّى به الرأس ، والوجهُ هو البدر فى التَّشبيه ، فمُراد الشاعر أنها تلثَّمت ببعض النصيف الذى على رأسِها ، فسارت [٤] بذلك ، ساترةً لنصف وجهِها الأسفل المُشبه بالبدر ، فصار نَصِيفا ونِقابا .

والنقاب ما تَنْقَبُ به المرأةُ ، كما فى القاموس [٥] ، وهو شاملٌ لِما كان مُستقِلاً وبعضِ شىء آخر ، كما يُقال بمثله [٦] أيضا فى النَّصيف ، فهو نَصيف وإن غطّى رأسَ الرَّأس [٧] مع الرأس [٧] .

وهذا الذى ذكرْنا هو عادةُ غالِب النساء الحِسان فى قصور [٨] العرب ؛ فإن الواحدة منهن تنتقَب بفاضِلِ خِمارها ، فتفتِن العقول بما ظهَر من لواحِظها وأسْحارها .

انتهى .

*

---

(١) فى ب، ج، والخلاصة : «جلب الغرام»، والمثبت فى : ا .

وفى هامش ب : « الظاهر : شر الخمار . فليتأمل » .

(٢) خلاصة الأثر ١/٤٦٠ ، ٤٦١ . (٣) تقدم التعريف به أثناء الترجمة رقم ٢٧٠ .

(٤) فى الخلاصة : « فصارت » . (٥) القاموس ١/١٣٣ . (٦) فى الخلاصة : «مثله» .

(٧) زيادة من خلاصة الأثر . (٨) فى خلاصة الأثر : « قطر » .

٢٧٩

القاضى

محمد جمال الدين بن حسن

ابن دراز *

جُمْلةُ جَمال، وتكمِلةُ كَمال.

رتَع فى رياض الفنون فهَصر أفنانَها، وأجال جوادَ فكرِه فى مَيْدان العلوم فملك عِنانَها.

أما الشعرُ فهو مُنَمْنِمُ حُلّتِه وناظمُ حَلْيِه، وأما النثرُ فهو مُبْدِعُ زَهْرِه ومُنمِّق وَشْيِه.

وكان فَيصل أحكام، ومصدرَ إتْقانٍ وإحكام.

ولما دخل اليمن فى دولة الرُّوم، قام له حاكمُها بكلّ ما يروم.

فحلَّاه بحِلْية القضا، وأرْهف حُسامَ أملِه بذلك المَضا.

ولم يزلْ مُجتلياً وجوه أمانيه مُشرقة، مُجْتنِياً من رياضِها أغصانَ حُظْوةٍ مُورِقة.

إلى أن فجعه الدهرُ بمخدومِه، وعاجلَه أمرُ القضاء والقدر بمحتُومِه.

هنالك انْقلب إلى وطنِه، شاكياً ما حلّ به من ضِيقِ عَطَنِه.

ولَقِيَ بعد ذلك أحوالاً ركب صَعْبَها ورَكُوبَها، وأهوالاً امْترَى أخْلافَ شآبيبها مُنهلَّها وسَكُوبَها.

(*) محمد جمال الدين بن حسن بن دراز المكى، القاضى.

أديب بارع، وشاعر مشهور.

رحل إلى اليمن، وتولى بها القضاء زمن سنان باشا، وبعد ودنه عاد إلى مكة، واشتغل بالتدريس فى البلد الحرام.

كان موجودا سنة اثنتى عشرة وألف، ولم يعش بعدها كثيرا.

حديقة الأفراح ٥٢، ٥٣، خلاصة الأثر ٣/٤٢٠ – ٤٢٢، سلافة العصر ١٠٧ – ١٢٢.

وجاء اسمه فى الأصول: «محمود»، والمثبت عن المصادر السابقة.

كما أفْصَح عن ذلك فى رسالة كتبها لبعض كُبَراء الحجاز ، يقول فيها[(١)] :

ولما قفلتُ[(٢)] عائداً من اليمن ، بعد وفاة سنان باشا[(٣)] وانقضاءِ ذلك الزمن .

اخْترتُ الإقامةَ فى الوطن ، بعد التشرُّف بمجلس القضاء فى ذلك العَطَن[(٤)]

إلا أنه لم يَحْـلُ لىَ التخلّى عن تذكُّر ما كان فى تَذْكِرة[(٥)] الخيال مَرْسوما ، وتفـكُّر ما كان فى لَوح المُفـكِّرة مَوْسوما .

فاخترتُ أن أكون مُدرِّسا فى البـلد الحرام ، ومُمارِسا لما آذنَ غِبَّ الحصول بالانْصِرام[(٦)] .

ولم يكن فى البلد الأمين كِفاية ، ولا ما يقوم به الإتمام والوفاية[(٧)] .

انتهى .

وما زال مُقيما فى وطنه وبلَدِه ، مُتدرِّعا جِلْبابَ صَبرِه وجَلَده .

حتى انصرمتْ من العَيْش مُدَّتُه ، وتمَّت من الحياة عِدَّتُه .

* * *

وها أنا مُثْبِتٌ من بديع إنشائه ، ما يدعو لطرَب اللبيب وانْتشائه .

وأُتْبِعه من عالى نِظامه ، ما يُغْنِى عن مجلسِ الأُنْس وانْتظامِه .

---

(١) الرسالة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٢١ ، سلافة العصر ١٠٧ . (٢) فى السلافة : «حصلت» .

(٣) سنان باشا ، الوزير الأعظم ، صاحب الآثار العظيمة فى البلاد الإسلامية .

ولى الحكومة فى مصر أيام السلطان سليم بن سليمان ، ثم عينه السلطان لإعادة الاستقرار إلى اليمن ، بعد عصيان مطهر بن شرف الدين يحيى الزيدى ، فتوجه وأصلح ما كان اختل ، واستنقذ ما كان مطهر أخذه ، بعد وقائع وأمور كثيرة .

وانتصر المسلمون تحت قيادته على الفرنج ، وأخرجوهم من تونس ، كما عينه السلطان لحرب النمسا .

توفى سنة أربع بعد الألف .

خلاصة الأثر ٢/٢١٤ - ٢١٧ .

(٤) فى ب : «الفطن» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة . (٥) فى السلافة : «خزانة» .

(٦) فى خلاصة الأثر : «بالانضمام» . (٧) فى خلاصة الأثر : «والوقاية» .

فصل من كتاب لبعض أصحابه [١] :

يُنْهِى المملوكُ [٢] أنه لا يزال ذاكراً لتلك الأيام الماضية ، شاكراً لهاتيك الأعوام التى حلَت [٣] بفضلِ مولانا ولا أقول مَرّت بمَسَرّاتٍ لا تزال النفسُ لدَيْنِها مُتقاضية .

كم أردْنا هــذا الزمانَ بذَمٍّ   فشُغِلنا بمــدحِ ذاك الزمان

أقفر [٤] الصَّفا من إخوان الصفا ، وخَلا الحَطِيم من رَضِيع الأدب والفَطِيم .

وأقْوَتِ المَشاعر ، من أرباب الإدْراك والمشاعر .

كأن لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصَّفا   أنيسٌ ولم يسْمُرْ بمكّةَ سامِرُ [٥]

[٦] وكان علم مولانا [٦] محيطاً بحالى ، إذ كنتُ آنَس بأولئك الجِلّة وأرْباب المعالى [٧] .

فلم يبْقَ مَن يُدانيهم ، فَضْلاً عمَّن يُساويهم ، [٨] ولا مَن يُباريهم [٨] ، فكيف [٩] بمَن يُماريهم [١٠] .

ولقد ذكرتُ هنا قولَ بعضهم :

دجَا الليــلُ حتى ما يبين طريقُ   وخوّف حــتى ما يقرّ فَريقُ

وجرّدت يا برْقَ المنون مَناصِــلاً   لها فى قلوبِ المُبصرين بَرِيقُ [١١]

---

(١) هذا الفصل فى: خلاصة الأثر ٣/٤٢١ ، سلافة العصر ١٠٧، ١٠٨ .   (٢) ساقط من الأصول، وهو فى: الخلاصة، والسلافة .   (٣) فى ب، ح : « خلت » ، والمثبت فى: ا ، وخلاصة الأثر، والسلافة.

(٤) فى الأصول : « أقفرت» ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة .

(٥) البيت لمضاض بن عمرو الجرهمى يتشوق مكة ، والحجون : جبل بأعلى مكة . معجم البلدان ٢/٢١٥ ،

(٦) فى السلافة : « ولما كان مولانا » .   (٧) فى السلافة ١٠٨ بعد هذا زيادة .

(٨) لم يرد هذا فى السلافة ، وفى الأصول : « ولا عن » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٩) فى ب : «فضلا» ، والمثبت فى : ا ، ح ، وخلاصة الأثر ، والسلافة   (١٠) فى خلاصة الأثر : « يجاريهم » ، وفى السلافة : « يباريهم » .   (١١) فى الأصول : «يابرق المنون» ، والمثبت فى خلاصة الأثر ، والسلافة .

وزَعْزعْتَ يا رِيحَ الرَّدَى كلَّ شاهِقٍ ... عليــــه لأنفاسِ النفوسِ شَهِيقُ
ســــلامٌ على الأيام إنّ صَنِيعَها ... أساء فهل لى بالنّجــــاةِ لُحوقُ[1]

* * *

فصل ، من كتاب إلى كاتب الحضرتين الشّريفتين ؛ الحسَنيّه والطّالبيّة[2] عفيف الدين[2] يُعزِّيه بمَوْت الشريف أبي طالب[3] ، فى سنة اثنتى عشرة بعد الألف[4] :

كتبتُ إليك ، كتب اللهُ لك سَعداً لا يزال يتجدَّد ، ومجْداً لا ينقطع بانقضاء ملِك إلّا واتّصل بملِك مَلَكِيّ مُؤيَّد[5] .

وإنما كتبتُ بدمِ الفؤاد ، وأمْدَدْتُ اليَراعَ سُوَيْدائِى وشفَعها اللّحْظُ بما فى إنسانِه من السَّواد .

والكونُ ، عِلمَ اللهُ ، كأنما هو بحرٌ من مِداد ، والقلوبُ ، ولا أقول الأجساد مُسَرْبَلَة بلِباس الحِداد .

لا يُسمَع إلّا الأنين ، ولا يُصْغَى إلّا لمن[6] تَفْصح[7] بنَمِيها[8] ذواتِ الحنين .

أضْحَى النَّقْع[9] من مُثار النقع كليلةٍ من جُمادَى ، ورَبّاتُ الخدود يلْطِمْن[10] الخدودَ مَثْنَى وفُرادَى .

وذو الحِجَى يغوص فى لُجَةِ الفِكر فيُسْمَع له زفير ، وليثُ العَرِين كاد من صَدْمة هذا المُصاب أن يتفطّرَ[11] من الزئير .

---

(١) انظر السلافة ١٠٨ ، فالرسالة فيها بقية . (٢) ساقط من خلاصة الأثر وتأتى ترجمة عفيف الدين فى هذا الباب برقم ٢٨٨ . (٣) تقدم التعريف بالشريف أبى طالب فى الترجمة رقم ٢٧٥ . (٤) الفصل فى : خلاصة الأثر ٣/٤٢٢ ــ ٤٢٤ ، سلافة العصر ١١٢ ــ ١١٤

(٥) فى السلافة : « مؤيد » .

(٦) فى ب ، وخلاصة الأثر بعد هذا زيادة : « لم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

(٧) فى ا : « تنصح » ، وفى ب : « تنضح » ، وفى ح : « تنضح » ، والمثبت فى خلاصة الأثر ، والسلافة .

(٨) فى الأصول : « بسمها » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر والسلافة . (٩) النقع : موضع قرب مكة فى جنبات الطائف . معجم البلدان ٤/٨٠٥ . (١٠) فى ب « يلطخن » ، والمثبت فى : ا ، ج وخلاصة الأثر ، والسلافة . (١١) فى ا : « ينفطر » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وخلاصة الأثر ، والسلافة

وشارَف الحطيم أن يتحطم ، وأبو قُبَيس[١] أن يتقطم ، وبيتُ الله لولا التُّقَى لقلتُ وَدّ أن[٢] يتهدّم[٣] .

وأخال أن الحِجْرَ أسِف حيث لم يكن تابوتاً لذلك الجُثْمان وتندم .

أيُّ داهيةٍ دَهْياء أصابت قُطّان ذلك الحرم ، وأي بَلِيَّةٍ نزلت بلازِمِى[٤] أذْيال ذلك المُلْتَزَم .

﴿ إنّ للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ[٥] ﴾ كلمةٌ تُقال عند المصائب ولم نجدْ المصيبة مِثْلا ، ولم تشاركنا فيها حَزِينةٌ ولا ثَكْلَى .

بأىِّ لسانٍ نُناجى وقد أخْرسنا هذا النازل ، بأىِّ قلبٍ نُحاجِى وقد بلغَنا هذا الجِدُّ[٦] الهازِل .

بينْا نحن فى سرور وفرح ، إذ نحن فى هموم وتَرَح .

أشكو إلى مَخدومى ضَحْوةَ يومٍ شمسُه كاسِفة ، ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ[٧] ﴾ .

أقْبل نَعْشُ لابس أثوابِ المَرْحمةِ بعد الخلافة ، لِتلقَّى رُوحَه الملائكةُ[٨] مع الحور على الأرائك[٩] تُتْحِفُه بالسُّلافة[٩] .

والأيدى مُمْتدَّةٌ إليه تُشِير بالعَوِيل[١٠] ، والحُجّاج وأربابُ الفِجاج يَضِجُّون بالنَّحِيب الطويل .

وكادت آماقُنا واللهِ أن تسيل ، وأضْحتْ جَلامِيدُ القلوب كضحاضِحَ المَسِيل .

---

(١) أبو قبيس : جبل مشرف على مكة ، من شرقيها . معجم البلدان ١/١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) فى السلافة : « لو » . (٣) بعد هذا فى السلافة ١١٢ زيادة ، انظرها .

(٤) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « بلازم » .

(٥) سورة البقرة ١٥٦ . (٦) فى السلافة : « الجد » (٧) سورة النجم ٥٧ ، ٥٨ .

(٨) فى السلافة : « الملائك » . (٩) فى خلاصة الأثر : « تتحفهم السلافة » .

(١٠) فى ا : « بالعوامل » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وخلاصة الأثر ، والسلافة .

فلم نجدْ أحداً [١] من الرَّعايا إلا وهو مخرور ، وذو قرابته فى الحىِّ مسرور .

إنا للهِ من هذه الطَّامة ، التى أدهشت العامة ، وأذهبت الشامَة .

ليت شِعْرِى أبَعْدَه السَّلاهِبُ [٢] تُركب ، أم الجنائبُ تُجْنَب ، أم المُقْرَبات [٣] تُقْرَب ، أم المَنابِرُ يُتْلَى عليها غيرُ اسْمِه ويُخطَب

* وَاحرَّ قَلْبَاه مِمَّن قلبُه شَبِمُ [٤] *

مضَى مَن أقام الناس فى ظِلِّ عَدْلِه ... وآمن من خَطْبٍ تدبُّ عَقارِبُهْ

فكم من حِمًى صَعْبٍ أباحتْ سُيوفُه ... ومن مُسْتباحٍ قد حَمَتْه كتائبُهْ

أرى اليومَ دَسْتَ المُلْكِ أصبح خالياً ... أما فيكمُ مِن مُخبرٍ أين صاحبُهْ

فمَن سائلِى عن سائلِ الدمعِ لِمْ جَرَى ... لعل فؤادِى بالوَجيبِ يُجاوِبُهْ

فكم من نُدوبٍ فى قلوبٍ نَضيجةٍ ... بنارِ كُروبٍ أجَّجَتْها نَوادِبُهْ [٥]

سقتْ قَبْرَه الغُرُّ الغَوادِى وجادَهُ ... من الغَيْثِ سارِيه المِلْثُ وسارِبُهْ [٦]

* * *

فما كان إلا كلَمْحة طَرْف ، أو حُلول حَتْف .

وقد وُضِع على الباب الشريف ، وسُمِع من أجْنحة الملائكة حَفِيف ، وتُليتْ ولكنتُ [٧] أوَدُّ أن أكون المُصَلِّى ولا أقول التَّالى فى جميع ذلك التَّرْصِيف [٨] .

---

(١) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « شخصاً » (٢) السلهب من الخيل : الطويل .
(٣) المقرب من الخيل : ما يقرب معلفه ومربطه لكرامته . (٤) صدر بيت أبى الطيب الذى عجزه :

* ومَن بجسمِى وحالى عنده سَقَمُ *

ديوانه ٣٢٢ .
(٥) فى السلافة : « أججتها نوادبه » (٦) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « الغوادى وجادها » .
والملث : المتتابع .
(٧) فى ا : « ولكن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة
(٨) فى الأصول : « الرصيف » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة .

فما ترك الرئيس لقباً من الألقاب إلا وحلاه بدُرِّه، وعلّه[١] بدرِّه.

حتى كاد النهار أن ينتصف، والمُقَل[٢] تسحُّ بالدموع وتكِف.

ومن عَدَم إنصاف الدهر الخؤون، أن لم يُطَفْ به سَبْعاً وهو لِمَليك[٣] هذا البيت[٤] مسنون.

ثم ازْدحم على رَفْع جنازته قاضى الشَّرْع والسَّادة، فذادُوه عنها ورفعُوه على أعْناق السَّلاطين والقادة.

وقلتُ فى ذلك المَقام، وعَيْناى تهْمِل ولا همول الغَمام.

يَعِزُّ علىَّ أن أراك على غير صَهْوة، وأن تُنادَى يامُرْغِمَ الأنوف ولا تُجيب دَعْوة.

وأن تحُفَّ بك الصَّفْوة[٥]، ولا تَدعُ لكرِّك فيها فَجْوة.

فطالَما ضَرَعت[٦] لك السلاطين، وخضَعت لك الأساطِين، وأرْعدْتَ الفرائِص، وأوْهنْتَ القلائِص.

وحميْتَ الحِمَى ولم يرُعْه[٧] جسَّاس، واقْتنصْتَ حتى لم تدَعْ شادِناً فى كِناس، أو ليْثاً فى افْتِراس.

فلِلّهِ جَدَثٌ ضمّك وقد ضاقت الأرضُ عن عُلاك، ولِلّهِ لَحْدٌ علاك وقد اتّخذْتَ أنْعُلَك[٨] من السِّماك[٩].

وكيف بك تحُلُّ فى الثَّرَى فبالأثير[١٠] مَلْعَب جُرْدِك[١١]، والسِّدْرةُ مِضْمار أسْلافِك، والنُّبُوّة لُحْمة بُرْدِك.

---

(١) فى خلاصة الأثر: « وعمه ».
(٢) بعد هذا فى خلاصة الأثر، والسلافة زيادة: «أن».
(٣) فى الأصول، والسلافة: «الملك»، والمثبت فى خلاصة الأثر.
(٤) فى السلافة: «لبيت».
(٥) فى خلاصة الأثر، والسلافة: «الصفوف»، وهى رواية حسنة.
(٦) فى ج: «صرمت»، والمثبت فى: ا، ب، وخلاصة الأثر، والسلافة.
(٧) فى خلاصة الأثر: « يرعك ».
(٨) فى خلاصة الأثر: « نعلك ».
(٩) السماك: أحد نجمين نيرين هما الأعزل والرامح.
(١٠) فى خلاصة الأثر: «وبالأثير».
(١١) فى السلافة: «جودك».

فَلكَ بِجَدِّكَ فى ارْتقائِك إلى العالَمِ العُلْوِىِّ أُسْوة ، ولنـا بفَقْـدِك الجَزَعُ الذى لا يعقبه سَلْوة .

فأنت لقيت الحبيب ، ولقينا بعدك مايَلقى الـكئيب .

فلكَ البُشْرَى بلُقْياك [١] ربك ، ولنا [٢] بك اللُقيا على الـكَوْثر وأنت فَرِحٌ بشَرابِك وشَرْبِك .

ثم ياعَفيف لا تسَلْ عن نَعْشٍ حفَّه الوَقار ، وتقـدَّمه [٣] الرُّوح الأمِين والملائـكةُ الأبْرار .

فَوائحُ [٤] المِسْك الأذْفَر تنفح من كلِّ جانب ، كأنّمـا يُنفَض [٥] من غدائر خُرْعوبٍ [٦] كاعِب .

وبالله أُقْسِم أن طِيبَه نفَحنِى وأنا فى الخَلْوة ، وهُم فى تجْهيز تلك الذّات على هاتيك العَلْوة .

وحاصلُ ما أقُصُّ عليك من القصص ، أنّ أوْدَعْنا فى كَنَف الرحمن ذلك القفَص .

وعُدْنا ونحن كما يُقال : شاهَت الوُجوه ، حَيارَى لا نعلم مَن [٧] تُؤمِّله وتَرْجُوه [٧] .

وقد أظْلَمَ [٨] قَتامُ العِثْيَرِ [٩] ، ودَجا النَّقْعُ حتى خُيِّـل [١٠] لم يـكن قَطُّ [١١] صُبْحٌ أسْفَر

وحين هجوم هـذا الخبر المُهِيل ، كادت [١٢] البلدة تذْتَر [١٢] لولا تسْهِيلُ [١٣] بعضِ [١٤] ماصُعِّب فى [١٤] التَّسْهيل .

---

(١) فى خلاصة الأثر : « بلقيا » . (٢) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « ونرجو » .

(٣) فى السلافة : « وتقدم » . (٤) فى السلافة : « وفوائح » . (٥) فى خلاصة الأثر : « ينفض » . (٦) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « خرعوبة » .

والخرعوب والخرعوبة : الشابة الحسنة الخلق الرخصة .

(٧) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « نؤمله ونرجوه » . (٨) فى السلافة : « اطلخم » .

(٩) العثير : الغبار تثيره الخيل . (١٠) فى خلاصة الأثر بعد هذا زيادة : « لنا أنه » .

(١١) ساقط من السلافة. (١٢) فى خلاصة الأثر : « البلاد تنهب » ، وفى السلافة : « البلدان أن تنهب » .

(١٣) فى ب ، ج : « تسهل » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر ، والسلافة. (١٤) فى السلافة : « بأصعب فيه » .

والنِّداء من الحاكم بالعافية ، والأعْيُن قد امْتلأتْ من الهاربين بالسَّافية .

وغُلِّقت الأبواب ، وانقطعت الأسْباب .

حتى ـ والله ـ كأن القيامة قد قامتْ ، وحقَّتْ كلمة [١] ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ ﴾ [٢] والأنفُسُ قد حامَتْ .

وحال بيني وبين الخلْوة طريقٌ طالَما [٣] [٤] صاحَبَ الرَّبَّا [٤]، وسبيلٌ وَبِيلٌ صرتُ أقطعُه وَثْبا .

فكلُّ مَن لاقيتُه لا يُجيب ، ومَن كان من ورائى فكأنما هو طَرِيدٌ أو سَلِيب .

وبعدَ الدَّفْن كثُر القالُ والقِيل ، ونُودِىَ كما بلَغكم وصَلِيلُ السيوف مَنَعَنا المَقِيل .

وزَفَّ المُنادِى عُصْبةً مشهورةَ القواضِب ، مَعْنوقةَ [٥] الشَّوازِب [٦] .

والأسواقُ من السُّكّان خالية ، فكأنما هى خَوْد أضْحَتْ عاطِلةً بعد أن كانت حالِيَة .

ودُور مكة كأنها ـ وبالله أُقسِم ـ دُورُ البَرامكة ، وكأنها لم يتعزَّل فيها بُرْهة كدارِ عاتِكةَ [٧] .

ولقد تذكَّرتُ فيها قينة [٨] الأمين ، وقولَها كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا أنِيسٌ [٩] غيرَ الأنين .

---

(١) فى ا ، ب : « كسائغة » ، وفى خلاصة الأثر ، والسلافة : « كريهة » ، والمثبت فى : ج .

(٢) سورة عبس ٣٤ .

(٣) بعد هذا فى السلافة زيادة : « عهدته » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « صاحب للزبا » .

(٥) فى ا ، والسلافة : « معنونة » ، وفى ج : « معنوية » ، وفى خلاصة الأثر : « مسنونة » ، والمثبت فى : ب .

(٦) فى خلاصة الأثر : « الشواذب » . والشوازب : الخيل المضمرة .

(٧) يشير إلى قول الأحوص :

يا بيتَ عاتكةَ التى أتعزَّلُ   حذَرَ العدى وبه الفؤادُ مُوكَّلُ

التمثيل والمحاضرة ٢١٢ ، زهر الآداب ١/٢٠٠ .

(٨) فى الأصول : « فتنة » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة .

(٩) يشير إلى بيت مضاض ، الذى تقدم قريبا .

هذا وقد أطَلْتُ عليك ماينبغى أن يُقتصَر فيه مع عُلوّ مَـكانك ، ومَشِيد مَبانيك فى البلاغة وأرْكانك .

والله تعالى يُلهِمك صَبْراً جميلاً على هـذا المُصاب ، ويُوليك أجراً جزيلا على فقْد ذلك المَلِيك المُهاب .

ولا يُسْمِعُنا وإيّاك بعدها صَوْت عَزاء[1] أحـدٍ[2] من الأعِزّا ، ولا يُحمِّلنا مالا طاقةَ لنا به مِن[3] مثل هذه الأرْزَا ، فوَا الرّحمنِ لَهُوَ الرُّزْء الذى كلُّ رُزْء بالنِّسْبة إليه أقلُّ الأجزا .

والسلام .

* * *

وكتب[4] إلى الإمام عبد القادر الطَّبَرِىّ[5] ، يسأله عمَّا يرِدُ على كلامٍ للسُّبْكِىّ ، ذكَرَه فى « الطّبقات الكبرى » ، فى استخْراج المَلَك العَلَقة التى فى صدره صلَّى الله عليه وسلّم :

مولانا الإمام الذى إليه هـذا الحديث يُساق ، الهمام الذى تُشَدُّ إليه يَعْمَلات البلاغة ببدائع السِّياق[6] .

فله السَّلَف الذين تتنازَل الثُّرَيَّ دون مَقاماتِهم الرفيعة ، وينْحَطُّ الأثير عن مَـكاناتِهم[7] التى هى للفَخار شَفِيعة .

على أنه العِصامِىُّ الذى به تفتخر الأبْنـا ، وتتبَخْـتر فى مَطارِف سُؤْددِه الأعمامُ والأصْنا[8] .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، وبعد هذا فى السلافة زيادة : « ولا فقد » .

(٢) فى خلاصة الأثر : « ولا أحدا » .   (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة .   (٤) هذا الفصل أيضا فى خلاصة الأثر ٣/٤٢٥ — ٤٢٧ .

(٥) تقدمت ترجمته فى هذا الباب برقم ٢٧ .   (٦) بعد هذا فى خلاصة الأثر ٣/٤٢٥ زيادة ، انظرها .

(٧) فى الأصول : « مقاماتهم » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .   (٨) الأصناء : جمع الصنو ، وهو الأخ الشقيق أو العم .

فالمُزَنِىّ[1] لا يُبارِى جُودَ مُزْنِهِ ، والرَّازِىُّ[2] أضْحَى[3] فى تقديمه منتظراً فَضْلَ مَنِّه[3] .

هدانا الله إلى سَواء السبيل ، وأغنانا بسَلْسالِ فوائده عن رَقْراق السَّلْسبيل .

قال السُّبكِىّ[4] : سمعتُ الوالدَ يقول ، وقد سُئِل عن العَلَقة السَّوداء التى أُخْرِجتْ من قلبِ النبىِّ صلى الله عليه وسلم فى صِغَرِه حين[5] شُقَّ فؤادُه ، وقولِ المَلَك « هذا حَظُّ الشيطانِ منك » : إن تلك العَلَقة التى[6] خلقها اللهُ فى قلوب البشر قابلةٌ لما يُلْقيه الشيطانُ فيها ، فأُزيلتْ من قلبه صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق فيه مكانٌ قابلٌ لأن يُلقِى الشيطانُ فيه شيئا .

قال : هذا معنى الحديث ، ولم يكن للشيطان فيه[7] صلى الله عليه وسلم حَظٌّ قَطُّ ، وإنما الذى نفاه المَلَك أمرٌ هو فى الجِبلاَّت البشريَّة ، فأُزِيل القابلُ ، الذى لم يكن يلزم من حصولِه حصولُ القَذْف فى القلب .

قال : فإن قلت فلِمَ خُلِق هذا القابلُ فى هذه الذَّات الشريفة ، وكان المُمْكِن[8] أن لا يُخْلَق فيها ؟

قلتُ : لأنها[9] من جملة الأجزاء الإنسانية ، فخُلِقت[10] تكملةً للخَلْق الإنسانِىّ ،

---

(١) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزنى الشافعى .
صاحب الإمام محمد بن إدريس الشافعى ، وناشر مذهبه .
وكان جبل علم ، مناظرا ، محجاجا .
توفى سنة أربع وستين ومائتين .
طبقات الشافعية الكبرى ٢/٩٣ ــ ١٠٩ .

(٢) لعله يعنى الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى الشافعى ، المتوفى سنة ست وستمائة .
انظر طبقات الشافعية (الطبقة السادسة) ٥/٣٣ ــ ٤٠ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « رزية من حزنه » .

(٤) فى ترجمة والده ، فى الطبقة السابعة . طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٥) فى الطبقات : « حيث » .

(٦) ليس فى الطبقات .

(٧) فى الطبقات : « منه » .

(٨) فى خلاصة الأثر : « يتسكن » ، وفى الطبقات : « يمكنه » .

(٩) فى الطبقات : « لأنه » .

(١٠) فى الخلاصة ، والطبقات : « فخلقه » .

فلابدَّ منه ، ونَزْعه أمرٌ ربانيّ طرأ بعده .

انتهى كلام السُّبكيّ .

أقول : يُعارَض هذا بختانه صلى الله عليه وسلم ، فخَلْقُه تكملةٌ للخلْق الإنسانيّ ، ولا شَكَّ أن بقاءه على تلك الفِطرة الإنسانية ، ثم إزالتها بعد ذلك ، فيه تعليمٌ للخَلْق باتِّباعه .

فإن قلت : ثَمَّ فارقٌ ، وهو القابِل الذى تؤثِّر فيه الوَسْوسة .

قلتُ : الأكملُ والأشرفُ عدمُ خَلْقِ القابِل ، كعدَم خلقِ القَلَفة وسَلامته من الانزعاج الذى حصَل له عند شَقِّ المَلَك صدرَه الشريف صلى الله عليه وسلم ، خُصُوصا فى سِنِّ[1] الطفوليَّة .

فالمسئول خِلاصُكم[2] السُّبكىّ[3] ، والخلاصُ من شِباك سيِّدنا السبكيّ .
ولمولانا مُناسبة بهذا الفن موروثة ، وفى البقيَّة دُرَرٌ على طَنافِس الفضل مبثوثة .

* * *

فأجابه الطبرى بما نصُّه :

« مولانا الذى يهطِل[4] بوَاكِفٍ تُرْفَع لِتلقِّيه الأكفُّ المبسوطة ، ويتألَّق عن بارِقٍ يُضِئُ به مظلمُ وجهِ الأرض البسيطة .

ويُرعِد بما يُنْتجَع إليه إذا سُمِع ثقةً بوعدِه ، ويُشرِق بذُكاءِ ذَكاءٍ أكسبتْ البدرَ ساطعَ ضِيائه وطالِعَ سَعْدِه .

ويُرْهِفُ سَمْهَرِىَّ القلمِ فى كَتيبة الكتابة بالمِداد الأسْود والأحمر[5] ، ويُرْعِف

(١) فى خلاصة الأثر : « فى أوان سن » . (٢) الخلاص ، بالكسر : ما اتقى عنه الغش من الذهب أو الفضة . (٣) فى خلاصة الأثر : « للسبكى » .
(٤) فى خلاصة الأثر : « مولانا الذى إليه مطايا آمل الأفاضل تزجى ، ومن سحائب فضله الغيوث المغدقة تؤمل وترجى ، فيهطل » . (٥) فى ا : « والأسمر » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وخلاصة الأثر .

عَضْبَ اللِّسان فى مَعْرَكِ المُناظرة والمُناضلة فنال ما لم ينَلْه اللَّدْنُ الأسمر .

إمام البلاغةُ ، ربُّ الكمالات المُصاغَة .

دامت فرائدُ فوائدِه [١]عُقُوداً للنُّحُور[١] ، واستمرَّتْ وطْفَاء[٢] غَيْثِه مُمِدَّةً للبُحور .

وافَى المُشرِّف[٣] المُشرَّف ، المُدَبِّجُ المُفَوَّف .

فوقفتْ[٤] له أقدامُ الأفهام حَيارَى ، وأضحتْ تالِيَة : ﴿ وترَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى[٥] ﴾ .

غيرَ أنها دَاوَتْ[٦] ما ألَمَّ بها بارْتِشاف سَلْسَبِيله ، واسْتضاءتْ بمِصْباحه[٧] لسُلوكِ سَواء سَبِيله .

فرأتْ[٨] بعد التكلُّف[٩] فى التوفيق بين عبارةِ مولانا وبين مُرادِه ، أنه لا مُعارضةَ بما أشار إليه من خِتان مَن مَنَح اللهُ تعالى الخلْقَ بإسعافِه وإسْعادِه .

أمَّا أوَّلًا ، فلأنهم اختلفوا فى أنه هل[١٠] ولد مَختونا أو أنه خُتِن بعد وَلادتِه ؟

وقد قال بكلٍّ من القولين طائفةٌ :

فأمَّا على القول الثانى فلا اعْتراض بالمُعارضة المذكورة .

وأما على الأوَّل فالكلام فى جزء من الخِلقة البشريَّة ، [١١]من الأجزاء الشريفة[١١] ، التى لا تُمكِن الحياةُ بدونِها فى العادة ، فإنها هى المكمِّلة للخِلْقة فى الحقيقة ، وأما القلفةُ

(١) فى ا : « عقود النحور » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة مائها . (٣) فى خلاصة الأثر : « المشوق » . (٤) فى ا ، ب : «وقفت» ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر . (٥) سورة الحج ٢ . (٦) فى ب ، ج : « دارت » ، وفى الخلاصة : « ذرأت » ، والمثبت فى : ا . (٧) فى ب : « بصباحه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة.
(٨) فى خلاصة الأثر : « فرأيت » . (٩) فى ا ، ب : « التكليف » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر . (١٠) فى الأصول : « ما » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .
(١١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسقط من ج كلمة : « من » .

فهى كالأظفار والشُّعور ، ممّا لا يترتَّب على وجُودِه ما يترتَّب على مثلِ العَلَقة المُستكِنّة فى ذلك الموضع بالنسبة إلى الحياة .

وأيضا الكلامُ فيما يترتَّب عليه الأحكام ، فإن العَلَقة حيث كانت مَحلَّ وَسْوسةِ الشيطان فى البشَر ، ربما يترتَّب عليه عدمُ الإيمان ، عِياذاً بالله ، ولا كذلك القَلَفة .

وأيضا خَلْقُ القَلَفة وإزالتها بعد ذلك قد وقع لغيرِه صلى الله عليه وسلم ، كإبراهيم عليه السلام ، فلو وُجِدتْ فيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أُزِيلتْ لم يكن فى ذلك كبيرُ مَزِيَّة بخلاف الشَّقِّ المذكور ، وإخراجِ العَلَقة المذكورة .

نعم ، يَرِد على كلامِ السُّبْكِيّ ، حيث قرَّر أنه لم يكن للشيطان حظٌّ منه صلى الله عليه وسلم ، وأنَّ خَلْقَ العَلقة فيه لتكْمِيل الخلْق ، أنَّهُ لا معنى لإزالتها بعد ذلك ، حيث لم تكن منه صلى الله عليه وسلم مَظِنّةٌ له ، فلا يتمّ حينئذ[1] ما قرَّره على ذلك النَّمط .

هذا ما لَاح ، ودعا إليه الفَلاح

* * *

قلت : فيه مناقشة

أما نَقْلُه الاختلافَ فى كونه وُلِد مَخْتونا ، فلم يكن إليه دَاعٍ ، إذ الإشكالُ إنما هو واردٌ على مُقابلِه ، فلا معنى لنَفْى الاعْتراض .

ودعوى كَوْن العَلَقة من الأجزاء التى لا يُمكن بقاء الحياة بدونها ممنوعة .

وما أورد على كلام السُّبْكىّ ، ليس بواردٍ عليه ، فإن فى إزالتها مع[2] مَنْع

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

الشيطان عنها حكمةٌ هى[1] قَطع وُصولِه إليه .

ولقد أجاد الشِّهابُ الخفاجيُّ فى تعليله الشّقّ بقوله :

شُقَّ منه صَــدْرٌ فأُخْرِج منه ··· عَلَقَةٌ فى صَمِيمِه سَوْداءُ[2]

وبه تَمَّ خَلْقُه وتَقَوَّى ··· قلبُــه فِطْرَةً وزاد النَّماءُ

فــلِذا حاز جُرْأَةً فى اعْتدالٍ ··· وله حَبَّب الفتــاةَ الفَتاءُ

ما انْتفتْ هذه لتَكْمل خَلْقًا ··· نُكْتةٌ ما اهْتدَى لها الحُكَماءُ

فعلى القلبِ دِرْعُ عَزْمٍ حَصِينٌ ··· ولِلُبٍّ عليــه لَامٌ وباءُ[3]

* * *

ومن شعر القاضى محمد قولُه[4] :

سلامٌ على الدارِ التى قد تباعدَتْ ··· ودمعى على طولِ الزمانِ سَفُوحُ[5]

يعِزُّ علينا أن تشِطّ بنا النَّوَى ··· ولِى عندكم دُون البَرِيّةِ رُوحُ

إذا نَسَمتْ من جانبِ الرَّمْلِ نفحةٌ ··· وفيها عَرارٌ للغُوَيْرِ وشِيحُ

تذَكّرتُكم والدمعُ يستُر مُقْلتِى ··· وقلبى مَشُوقٌ بالبِعاد جَرِيحُ

فقلتُ ولِى من لَاعِجِ الشوقِ زَفْرةٌ ··· لها لَوْعةٌ تَغْدُو بها وتَرُوحُ[6]

ألا هل يُعيد اللهُ أيّامَنا التى ··· نَعِمْنا بها والكاشِحون نُزُوحُ[7]

* * *

---

(١) فى ا : « على » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى ب ، ج : « علق فى صميمه » ، والمثبت فى : ا .

(٣) كلمة « لب » مكونة من اللام والباء ، واللأم : الدرع .

(٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/ ٤٢٥ ، سلافة العصر ١٢٢ .

(٥) فى ا : « ودمع على طول الزمان » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٦) فى ج ، والخلاصة ، والسلافة : « من لاعج الوجد » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٧) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة .

وفى السلافة : « يعيد الدهر » .

وقوله أيضا ، فى جواب كتابٍ ورد إليه[١] :

هــذا كتابُك أم دُرٌّ بمُتّسِقِ ... أم الدَّرارِى التى لاحتْ على الأُفُقِ[٢]
وذا كلامُك أم سِحْرٌ به سُلِبَتْ ... نُهَى العقولِ فتتْلُو سورةَ الفَلَقِ
وذا بيانُك أم صهْباء شَعْشَعَها ... أغنُّ ذو مُقْــلةٍ مكحولةِ الحَدَقِ
بتاجِ كلِّ مَليــكٍ منه لامعةٌ ... وجِيدِ كلِّ مُجيدٍ منه فى أُفُقِ[٣]
رَوْضٌ من الزهْرِ والأنوارُ زاهيةٌ ... كأنجُمِ الأُفْقِ فى اللّألاءِ والنَّمَقِ
وذِى حمائمُ ألفاظٍ سَجَعْنَ ضُحًى ... على الخمائلِ تحت العارضِ الغَدِقِ[٤]
رســالةٌ كفَرادِيس الجِنانِ بها ... من كل مُؤْتَلِقٍ يُلْهِى ومُنْتَشَقِ[٥]
كأنمــا الألِفاتُ المائِداتُ بها ... غصونُ بانٍ على أيْكٍ من الوَرَقِ[٦]
تَعْلُو مَنابرَها الهمَزاتُ صادِحةً ... كالوُرْقِ ناحتْ على الأفْنانِ من حُرَقِ
مِيماتُها كثُغورٍ يبتسِمْنَ بمــا ... يُزْرِى على الدُّرِّ إذْ يُزْهِى على العُنُقِ[٧]
فطِرْسُها كبياضِ الصُّبْحِ من يَقَقٍ ... ونِقْسُها كسوادِ الليلِ فى غَسَقِ[٨]
يا ذَ الرِّســالة قد أرسلْت مُعْجِزةً ... رَدَّتْ بلاغتُها الدَّعْوَى من الفرقِ[٩]

---

(١) فى ب ، ج : « عليه » ، والمثبت فى : ا .

والقصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٢٤ ، ٤٢٥ ، سلافة العصر ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) فى السلافة : « أم در بمتسق » . (٣) فى السلافة : « منه فى أنق » .

(٤) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « غب العارض » . (٥) فى ا : « من كل مؤتلف » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، وفى ا : « يلهو ومنتشق » ، وفى السلافة : « يانق ومنتشق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) فى ج ، والسلافة : « على أيد من الورق » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٧) فى ا ، ب ، والسلافة : « يبتسمن بها » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة .

وفى ا ، ب : « أن يزهى » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٨) اليقق : الشديد البياض .

وفى ا « ويقسها كسواد الليل » ، وفى ج ، وخلاصة الأثر : « ونقشها » ، والمثبت فى : ب ، والسلافة .

والنقس : المداد .

(٩) فى ا ، ب : « من الفرق » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة ، والسلافة .

ويا مَليكَ ذوِى الآدابِ قاطبــــةً ويا إماماً هَدانا أوْضحَ الطُّرُقِ
مَن ذا يُمارِض ما قد صاغ فكرُك مِن حَلْىِ البيانِ ومَن يقفوك فى السَّبقِ
أنت المُجَلّى بمضمارِ العـــلومِ إذا أضحَى قُرومُ أُلِى التحقيقِ فى قَلَقِ
صَلَّى أئمــةُ أهلِ الفضلِ خَلفَك يا مَوْلَى المَوالى وربَّ المنطقِ الذَّلِقِ
مُسلِّمين لما قد حُزْتَ من أدبٍ مُصدِّقين بما شُرِّفْتَ من خُلُقِ
مَهْلاً فباعِى من التقْصيرِ فى قِصَرٍ وأنت فى الطَّوْلِ والإحْسانِ ذو عُمقِ
سبحان بارئ هذِى الذاتِ من هِمَمٍ سبحان فاطرُ ذا الإنْسان من عَلَقِ
ياليتَ شِعْرِىَ هل شِبْهٌ يُرَى لكمُ كلاَّ وربِّى ولا الأمْلاكُ فى الخُلُقِ
عُــذْراً فما فِكْرتى صَوَّاغةٌ دُرَراً حتى أصُوغَ لك الأسْلاكَ فى نَسَقِ
واسْلَمْ ودُمْ وتعــالى فى مَشيد عُلاً تسْتنْزِل الشُّهْبَ للإنْشا فلم تُعَقِ

* * *

وقوله فى صدر كتاب(١) :

بحقِّ الوفَا بالوُدِّ بالشِّيمةِ التى عُرِفتم بها بالجودِ والكرمِ الجَمِّ
بتلك الخِصالِ الأشْرفيّاتِ بالنُّهَى بعِزَّتك العَلْيــــا على قِمّةِ النَّجْمِ
بذاك المُحَيّا الهَشِّ بالمنطِقِ الشَّهِى بما فيك من خُلْقٍ رضِيٍّ ومن عَزْمِ
أجِرْنِى من التكْليفِ واقبَلْ تحيّتِى بتقْبيل أرضٍ لم تزَلْ مُنْتهى هَمِّى
فدهرِى من الإسْهابِ أمْنَعُ مانِــعٍ ووقْتِى عن الإطْنابِ أضْيَقُ من سَمِّ(٢)
وماذا عسَى فى الوصفِ يبلُغ مِقْوَلى ولو مُدَّتِ الأقْلامُ من مَدَدِ اليَمِّ

☆☆☆

---

(١) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/٤٢٥ ، سلافة العصر ١٢٢ . (٢) السم : الثقب ، وهو يعنى ثقب الإبرة .

٢٨٠

محمد على بن محمد بن عَلاَّن الصِّدِّيقِى *

عَلَمٌ حديثُ فضلِه أحسنُ الحديث ، وإليه انتهى فى قُطْر الحجاز فَنُّ التَّحْديث(١) .

فهو سَبَّاق غايتِه ، وحامل رايتِه ، وحافظُه الذى ملَكَ جُلَّ(٢) رِوايتِه ودِرايتِه .

شرَح اللهُ لتحفُّظِه صَدْرَه ، وأعْلَى به فى الخافقَيْن قَدْرَه .

فحدِّث إذا حدَّثت عن البحر ولا حَرَج ، وانْظُر روضةً من رياض الجنَّة طَيِّبةَ الأرَج .

إلى ماحَوَى من فنون أرْبَى فيها على خُلَفائه ، وهناك حُسْنُ حالٍ مع الله أَلْحَقه بأتقياء الدِّين وحُنَفائه .

تتَّعِظ به النفوسُ فى التكلُّم والسكوت ، ودعوته لا تُحْجَب عن الملك والملَكوت .

(*) محمد على بن محمد علان بن إبراهيم بن محمد بن علان البكرى الصديقى العلوى .
ولد سنة ست وتسعين وتسعمائة ، بمكة ، وبها نشأ .
وحفظ القرآن بالقراءات ، وحفظ عدة متون فى كثير من الفنون ، وأخذ عن جلة علماء عصره ، وأجازه كثير من الشيوخ .
تصدر للإقراء ، وله من السن ثمانية عشر عاما ، وباشر الإفتاء ، وله من السن أربع وعشرون سنة ، وجمع بين الرواية والدراية ، والعلم والعمل .
وكان إماما ثقة ، من أفراد أهل زمانه معرفة وحفظا وإتقانا وضبطا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عالما بالتفسير ، ضليعا فيه .
وله مؤلفات كثيرة ، منها تفسيره «ضياء السبيل إلى معالم التنزيل» ، و «شرح الأذكار للنووى» .
توفى بمكة ، سنة سبع وخمسين وألف ، ودفن بالمعلاة .
تراجم الأعيان ، ترجمة رقم ١٧٧ ، خلاصة الأثر ٤/١٨٤ – ١٨٩ .
وجاء فى ج ضبط «علان» بكسر العين واللام المشددة ، ضبط قلم . وانظر المشتبه ٤٧٨ .

(١) فى ا : «الحديث» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : «خيل» ، وفى ج : «حل» ، والمثبت فى : ب .

وله تصانيف تُشَنَّف بها آذانٌ ومَسامِع ، ووَدَّت [١] صحائفُ الأذهان لو أنها لها دفاترُ ومَجامِع .

* * *

وله شعرٌ ربما أجاد فيه ، فلم يَحْكِ مثالَه من الزُّلال العَذْب صافِيه .

فمنه قوله [٢] :

وزمزمَ قالوا فيـــه بعضُ مُلوحةٍ ومنه مِياهُ العَيْنِ أحْـــلَى وأمْلَحُ
فقلت لهم قلبي يَراها مَلاحــــةً فما برِحتْ تحـــلُو لقلبِي وتَمْلُحُ

* * *

وقوله [٣] :

يارَبِّ أنت حبسْتَ الحُسْنَ في قمرٍ حُلْوِ الشَّمائلِ لايرْثِي لمن عَشِقَهْ
أكاد أدعو عليه حين يهجرُني لـكنْ لِفَرْطِ غرامى تمنعُ الشَّفَقَهْ

* * *

وقوله [٤] :

يا مالِـكاً رِقَّ قلـــبي رِفقاً بنفسِ رَفِيقِكْ [٥]
اللهُ بيـــنى وبين الـ ـلَّ والِكِ في رَشْفِ رِيقِكْ

* * *

وقوله [٦] :

يامَن يلوم مُحِـــبًّا ولا يُراعِي الجمَـــالَا [٧]

---

(١) في ب : « وددت » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) البيتان في خلاصة الأثر ٤/١٨٨ .
(٣) خلاصة الأثر ٤/١٨٨ .
(٤) البيتان في خلاصة الأثر ٤/١٨٨ ، ١٨٩ . (٥) في الخلاصة : « بنفس رفيقك » .
(٦) البيتان في خلاصة الأثر ٤/١٨٩ . (٧) في الخلاصة : « يا من يلم في هواه » .

بالله دَعْــــنِي فإنّي لقـــد فَنِيتُ انْتحـــالَا

* * *

وقوله مضمِّناً (١) :

كتَبْتُه ولهيبُ الشوقِ فى كَبِدِى والدمعُ مُنْسَكِبٌ والبالُ مَشْغولُ
وقلتُ قد غاب مَن أهْواه وَا أَسَفِى بانتْ سعادُ فقلبى اليومَ مَتْبُولُ

* * *

ومن زَهْرياته ، قولُه فى عَقْد الحديث (٢) :

إذا أمْسَيْتَ فابْتــدِرِ الصَّباحَا ولا تُمْهِلْه تنتظرُ الصَّباحَا (٣)
وتُبْ ممَّا جَنَيْتَ فكم أناسٍ قَضَوْا نَحْباً وقد ناموا صِحاحَا (٤)

* * *

ومما يُعجِب فى هذا المعنى قولُ الشِّهاب :

ألا أيُّها المغرورُ فى نومِ غَفْــلةٍ تيَقَّظْ فإن الدهرَ للناس ناصِحُ
فكم نائمٍ فى أوّلِ الليلِ غافلٍ أتاه الرَّدَى فى نَوْمِه وهْو صَابِحُ
فشَقَّ عليه الليلُ جَيْبَ صَباحِه وقامتْ عليــه للطيورِ نَوائِحُ

* * *

وأنشد له بعضُهم هذه الأبيات ، وهى قولُه (٥) :

الموتُ بحرٌ مَوْجُــــه طافحُ يغْرَق فيه الماهرُ السابِحُ
وَيْحَكِ يانفسُ قِفِى واسْمعِى مَقالةً قد قالهـــا ناصحُ
ماينفعُ الإنسانَ فى قبرِه إلّا التقى والعمـــلُ الصالحُ

---

(١) خلاصة الأثر ٤/١٨٩ . (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/١٨٩ . (٣) فى الخلاصة : « تنتظر الصباحا » . (٤) فى الخلاصة : « فكم أناسا » .
(٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/١٨٩ .

٢٨١

عبد الملك بن جمال الدين العِصامِي *

حَفِيدُ العِصام الإسْفَرايِنِيّ (١) ، رحمهُ الله رحمةً تَبْرِد ضَرِيحَه ، وتُقدِّسُ رُوحه ورِيحَه .

المُتَّصِف بصفاتِه ، الجارِي على نَهْجِه فى مُصنَّفاته .

رَسَا أصلُه فى الثَّرَى ، ورافق عَزْمُه النجمَ فى السُّرَى .

فلا مَجْدَ إلّا إليه انْتِسابُه ، ولا جُود إلا إليه انْسِيابُه .

وهو والفضلُ رُوح وشَخْص ، وكلُّ وَصْفٍ من أوصافِه الكمالُ به مُخْتَصّ .

عَفُّ السَّرِيرة طاهرُ الأثْواب ، مُقسِّم الآنَات بين الطاعةِ ونَيْل الثَّواب .

وله من الآثار مالا تَزال الرُّواةُ تدرُسُه ، والتَّواريخ على مَدَى الأيام تحرُسه .

* * *

(*) عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين العصامي الإسفرايني ، المشهور بملا عصام .
ولد بمكة ، سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، ونشأ بها .
وأخذ عن والده ، وعن عمه القاضي على بن صدر الدين الشهير بالمهيد ، وعن عبد الكريم بن محب الدين القطبي ، والسيد العلامة محمد الشهير بمير باد شاه ، وغيرهم .
ولازم الإقراء والتدريس حتى فاق واشتهر .
وله تآليف كثيرة ، زادت عن ستين كتابا ، منها : « شرح الشذور » ، و « شرح الإرشاد » فى النحو ، و « حاشية على الشرح الجديد على الكافية » .
توفى بالمدينة المشرفة ، سنة سبع وثلاثين وألف ، ودفن ببقيع الغرقد .
البدر الطالع ١/٤٠٣ ، خلاصة الأثر ٣/٨٧ ، ٨٨ ، سلافة العصر ١٢٢-١٢٤ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٢٠ ، ٤٢١ .

(١) عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عربشاه الإسفرايني .
من علماء البلاغة ، وهو صاحب « الأطول » فى شرح تلخيص المفتاح للقزوينى .
توفى سنة خمس وأربعين وتسعمائة .
شذرات الذهب ٨/٢٩١ ، كشف الظنون ١/٤٧٧ ، معجم المطبوعات ١٣٣٠ ، وانظر حاشية الأعلام ١/٦٤ .

فمنه قوله مُضَمِّنا [١] :

أهْـــدِى لمجلسِه الـكري   ـمِ فرائداً تُهْدَى إليْهِ
كالبحـــرِ يُمطِرُه السَّحا   بُ وماله فضـــلٌ عليْهِ

* * *

وهو من قَوْل البَدِيع الأَسْطُرْلابِىّ [٢] :

أهْــدِى لمجلسِه الـكريمِ وإنما   أهْدِى له ماحُزْتُ من نَعْمائِهِ [٣]
كالبحرِ يُمطِرُه السحابُ ومالَه   فضلٌ عليــه لأنه من مائِهِ [٤]

* * *

وكتب إليه القاضى تاج الدين المالِـكِىّ [٥] مُسائِلاً [٦] :

ماذا يقولُ إمامُ العصرِ سيدُنا   ومَن لدَيْه يرَى التحقيقَ طالبُه [٧]
فى الدارِ هــل جائزٌ تذْكيرُ عائدِها   فى قَوْلِنا مثلاً فى الدارِ صاحبُه
وفى إبانةِ هَمْز ابنِ أراد فهـلْ   يكون موصوفُه إسْما تُطالبُه [٨]
أم كَوْنُه عَلَماً كافٍ ولو لَقَباً   أو كُنْيةً إن أراد الحذْفَ كاتبُه

---

(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٧٧ ، سلافة العصر ١٢٣ .
(٢) هبة الله بن الحسين الأسطرلابى ، المعروف بالبديع .
من شعراء «زينة الدهر» للحظيرى ، فيلسوف ، طبيب ، فلكى من أهل بغداد .
توفى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة .
طبقات الأطباء ١/٢٨٠ ، فوات الوفيات ٢/٦١٤ معجم الأدباء ١٩/٢٧٣ ، النجوم الزاهرة ٥/٢٧٥ ، وفيات الأعيان ٥/١٠١ .
والبيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٨٨ ريحانة الألبا ١/٩٦ ، سلافة العصر ١٢٣ ، فوات الوفيات ٢/٦١٥ ، وفيه : « وقد قيل : « إنهما لغيره » ، معجم الأدباء ١٩/٢٧٥ ، وفيات الأعيان ٥/١٠١ .
(٣) فى ريحانة الألبا ، ومعجم الأدباء ، والنجوم الزاهرة : « أهدى لمجلسك الشريف وإنما » .
(٤) فى ريحانة الألبا ، والنجوم الزاهرة : « من عليه » .   (٥) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٨ .
(٦) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/٨٧ ، ٨٨ ، سلافة العصر ١٢٣ .   (٧) فى خلاصة الأثر : «إمام العصر عالمه» .   (٨) فى السلافة : «ومن إبانة ... إسما نطالبه» .

أَفِدْ فما إنْ رأينـــا الحقَّ مُنْخفِضاً ... إلَّا وأنتَ على التحقيقِ ناصبُهُ

***

فأجابه بقوله(١) :

يا فاضلاً لم يزَلْ يُهْدِى الفرائدَ مِنْ ... عُلومِـــــه وتُروِّينا سَحائبُهُ

تأنيثُك الدارَ حَتْمٌ لا سبيلَ إلى التَّـ ... ذكيرِ فامْنَعْ إذاً فى الدارِ صاحبَهُ

والابْنُ مَوْصوفُه عَمٌّ فإن لَقَباً ... أو كُنْيَةً فارْتِكابُ الحذْفِ واجبُهُ(٢)

هذا جَوابِىَ فاعْذِرْ إن تجِدْ خَلَلاً ... فمصدرُ العَجْزِ والتَّقْصِيرِ كاتبُهُ(٣)

لا زِلْتَ تاجاً لِهاماتِ العُلَى عَلَماً ... فى العلمِ يَحْوِى بك التحقيقَ طالبُهُ

(١) خلاصة الأثر ٣ / ٨٨ ، سلافة العصر ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) فى ا ، ج : « فارتكاب الحذف أوجبه » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر ، والسلافة .

(٣) فى السلافة : « إن ترى خللا » .

ابناه :

٢٨٢ ، ٢٨٣

شرف الدِّين يحيى *

و

بدر الدين حسين *

لما تُوُفِّى أبوهما فى المدينة قرَّا بها قَرار أُحُدٍ وسَلْعٍ [١] ، ورسَخا رسُوخَ الباسِقات ذواتِ الثَّمَر والطَّلْع .

وهما قمَران طَلَعا معاً فأشرقا ، ورَوضان سُقِيا ماء النَّباهة فأوْرقا .

وكلٌّ منهما أديبٌ أرِيب ، له فى المَعارف ضرائبُ ماله فيها ضَرِيب .

إلى أشعارٍ تَرُوق كما راقتْك عُهود الشَّبائِب ، وتَشُوق كما شاقتْك ذِكرى الحبائِب .

* * *

فمما ظفِرْتُ به من أشعار شرف الدين ، قوله وقد [٢] أهدى نبقًا وفُلاًّ [٣] :

(*) يحيى بن عبد الملك بن جمال الدين العصامى الإسفرايينى المكى .
أديب ، شاعر ، له مؤلف سماه : « أنموذج النجباء من معاشرة الأدباء » .
توفى بالمدينة ، سنة أربع وسبعين وألف ، ودفن ببقيع الغرقد .
خلاصة الأثر ٤/٤٧٢ ــ ٤٧٤ ، سلافة العصر ٢٧٢ ــ ٢٧٥ .

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٢٧٦ ، وذكر أنه حفظ « مقامات الحريرى » بحسن إنشاؤه وقريضه .
وأورد له هذه الأبيات ، التى قرظ بها « رحلة » السيد محمد كبريت المدنى :

جمعتَ فى رحلةٍ أنشأْتَها أدبًا ... وكان مِن قبلُ فيه أىّ تشتيتِ

وقد أقرَّ لك الرّاوون حِين بدَتْ ... تَميسُ فى حُلَّتَىْ دُرٍّ وياقوتِ

لا تعجَبوا أن جَلَتْ عنكم غياهِبَكمْ ... فإنها جَذْوةٌ من نار كبريتِ

(١) سلع : جبل بسوق المدينة . تقدم كثيرا . (٢) سقطت « قد » من : ا ، وهى فى : ب ، ج ، والسلافة . (٣) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٤٧٤ ، سلافة العصر ٢٧٥ .

أهديتُ نَبقًا لتبــقَى فى الودادِ على   صِدْقِ الوِدادِ وإرْغامِ العدى أبدَا
ومَعْه ياسيِّدى فُلٌّ يبشِّرُكم   بأنَّه فُلَّ مَن يَشْناكمُ كَمَدَا

* * *

الفُلُّ : نوع من الياسَمين ، بلغة أهل اليمن ، ذكىُّ الرائحة .
ولم يذكره أهلُ اللغة ، فلعله مُولَّد ، وسمَّاه ابن البَيْطار فى « مفرداته » النَّمارِق[1]

* * *

وكتب على « سفينة شعر » ، لأديب يُعْرَف بعارف ، قولَه[2] :

سفينةُ أشعــارٍ هى البحرُ دُرُّها   نتائج أفــكارٍ وشتَّى معارفِ
بها اللفــظُ كأْسٌ والمَعانى مُدامةٌ   وما ذاق منها نشوةً غيرُ عارفِ

* * *

وله[3] :

رأى سَقَمَ الكتابِ فمال عنــه   سقيمُ الجفْنِ ذو حُسْنٍ بديعِ[4]
فقلتُ له فَدَتْكَ الرُّوحُ هــلاَّ   مُراعاة النَّظيرِ من البــديعِ[5]

* * *

أين هذا من قول البعضِ فى مليحٍ احمرَّتْ عيناه ، وهو[6] :

---

(١) هذا نقل عن الريحانة ٢/٤٢ ، وانظر شفاء الغليل ١٧٣
(٢) سلافة العصر ٢٧٥ .
(٣) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٤٧٤ ، سلافة العصر ٢٧٥ .   (٤) فى خلاصة الأثر : « رأى سقم الكتْب » .   (٥) فى ا : « من البديع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
ومراعاة النظير من أقسام البديع ، ويسمى التناسب والتوافق والائتلاف والمؤاخاة ، وهو جمع أمر وما يناسبه ، مع إلغاء التضاد ، لتخرج المطابقة ، مثل قول البحترى :

كالقِسِىِّ المُعْطَفاتِ بل الأَسْـ   ـهُمِ مَبْرِيَّةً بل الأوتارِ

انظر معاهد التنصيص ١/٢١٦ ، ٢١٧ .
(٦) سلافة العصر ٢٧٥ .

ليس احمرارُ لِحاظِه من عِــلَّةٍ   لـكنْ دمُ القتْــلَى على الأسْيافِ
قالوا تَشابَهَ طَرْفُه وبَنَــانُه   ومن البــديعِ تَشابُه الأطْرافِ

* * *

وقوله مُعارِضاً بيْتَيِ القاضى تاج الدين المالـكِىّ [(١)] :

وخَوْدٍ من الأعْرابِ لمــا تلثَّمتْ   ببُرْقُعِهــا الشَّرْقِيِّ فى مَعْشَرِ العِشْقِ
وشَرَّق خَــدَّيْها الحياءُ بحُمْرةٍ   أرَتْنا هلالَ الأُفْقِ يبْدُو من الشَّرْقِ

* * *

وله [(٢)] :

قالوا أضافَكَ يايحْيى لِخدْمتِــه   حبيبُ قلبِك فى سِرٍّ وفى عَلَنِ
فقلتُ لَمَّا رآنى غــيرَ مُنْصرِفٍ   عن حُبِّه رام كَسْرِى فهْوَ يَجْبُرنِى

* * *

وله مُوجِّهاً بأسماء الأنْغام ، فيمن اسمه حسين ، وقد ورد المدينة من مكة [(٣)] :

أقول لِمَعْشَرِ العُشَّاقِ لَمَّــا   بدا رَكْبُ الحِجازِ وقَرَّ عَيْنِى
أمِنْتُم من نَوَى المحبوبِ فاسْعَوْا   له رَمَــلاً وغَنُّوا فى حُسَيْنِى

* * *

وما أَلطف قول ابنَ جابر الأندلِسىّ [(٤)] ، فى مثل ذلك [(٥)] :

---

(١) تقدمت ترجمة تاج الدين المالـكى ، برقم ٢٧٨ ، وانظر البيتين هناك .
وبيتا شرف الدين العصامى فى سلافة العصر ٢٧٥ .

(٢) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٢٧٤ ، سلافة العصر ٢٧٥ .

(٣) خلاصة الأثر ٤/٤٧٣، ٤٧٤، سلافة العصر ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن جابر الأندلسى الهوارى .
شاعر أندلسى ، ضرير ، ضليع فى علوم اللسان .
رحل إلى المشرق ، واستقر بالشام ، وتوفى بها سنة ثمانين وسبعمائة .
بغية الوعاة ١/٣٤ ، الدرر الـكامنة ٣/٤٣٩ ، نفح الطيب ١٠/١٦٢ ، نكت الهميان ٢٤٤ .

(٥) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٤٧٤ ، سلافة العصر ٢٧٤ .

يا أيها الحادِى اسْقِنِى كأسَ السُّرَى   نحــوَ الحبيبِ ومُهجتِى للسَّاقِى
حَىَّ العِراقَ على النَّوَى واحمِلْ إلى   أهلِ الحِجازِ رسائلَ العُشّاقِ

* * *

وله (١) تأليف سماه « أُنموذج النُّجَبا من معاشرة الأُدَبا » تكلَّم فيه شارحاً لقول القائل :

حاشا شمائلَكَ اللَّطيفــةَ أن تُرَى   عَــوْناً علىَّ مع الزمانِ القاسِى

غيرَ أنه لم يعرف قائلَه ، فقال : ولَعَمْرِى ، إنه ، وإن جُهِل بانيه (٢) ، من البيوت التى أذِن الله أن تُسْكَن ، فما اللفظُ إلّا بمعانيه ، وإن كان (٣) قائله ألْكَنْ .

ثم قال : وهذا البيتُ ممَّا يُكثر الاسْتشهادَ به أهلُ الآداب ، فى مُحاضرة الأصدقاء والأحباب .

وهو من أربعة أبيات مَعْمورة بلطيف العتاب ، (٤ وتنْزِيه شمائلِ الأنجاب ٤) ، مَبْرورة بصدقِ المنطق وافْتضاح الصَّواب .

مَحاسنُها غُرَر فى جِياد (٥) القصائد ، (٦ ولمعانى البديع ٦) بها صلةٌ ومِن (٧) مُفْرداتها عائد .

تُشرِق شموسُ التهذيب فى سماء بلاغتها ، وترتشِف (٨) الأسماعُ على الطرب من رَقيق (٩) سُلافتها .

---

(١) هذا الفصل منقول عن سلافة العصر ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، وهو فى خلاصة الأثر ٤/٢٧٣ .
(٢) فى الخلاصة بعد هذا زيادة : « فهو » .   (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .   (٤) ساقط من : خلاصة الأثر .   (٥) فى خلاصة الأثر : «أجياد» .
(٦) فى خلاصة الأثر : « والمعانى البديعة » .   (٧) سقطت « من » من خلاصة الأثر .
(٨) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « وترشف » .   (٩) فى خلاصة الأثر : « ريق » .

فما أحقَّها بقول القائل :

أبياتُ شِعْرٍ كالقُصو ... رِ ولا قصورَ بهـا يَعُوقُ
ومن العجائبِ لَفظُهـا ... حُرٌّ ومعناها رقيقُ [١]

وهى :

إنِّى لأعْجبُ من صدودِكَ والجفَا ... من بعد ذاكَ القُرْبِ والإيناسِ
حاشَا شمائلكَ اللطيفةَ أن تُرَى ... عَـوْنًا علىَّ مع الزمانِ القاسِى
أو نَفْرَكَ الصافِى يَرُدُّ حُشاشةً ... تشْكو لَهيباً من لَظَى أنْفاسِى
تاللهِ ماهذا فِعالُك فى الهوى ... لـكنْ حُظوظٌ قُسِّمتْ فى الناسِ

انتهى كلامه .

قال ابنُ مَعْصوم :

قلتُ : وقد وقفتُ أنا بالدِّيار الهِنْدية على « مجموع » بخط أبى البقاء الوَفائىِّ [٢] الوَداعِىِّ الحنفىِّ قديمٍ ، يقول فيه : القاضى علاء الدين على بن فَضْل الله أبو [٣] الحسن ، صاحب ديوان الإنشاء ، أخو القاضى شهاب الدين أحمد [٤] العُمَرِىّ ، وقف على بيتَيْن للصلاح الصَّفَدِىّ .

وهما :

إنِّى لأعجبُ من صُدودِكَ والجفَا ... من بعد ذاكَ القُرْبِ والإيناسِ
حاشَا شمائلَكَ . . . . الخ

فقال مُجيزاً لهما :

---

(١) فى خلاصة الأثر : « ومعناه رقيق » .

(٢) فى ا : « الوفاء » ، وفى ج : « الوفى » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة ، والسلافة .

(٣) فى السلافة : « أبى » . (٤) فى السلافة بعد هذا زيادة : « بن فضل الله » .

أو تَغرُك الصاق يرُدُّ حشاشتى . . . . البيتين [١] .

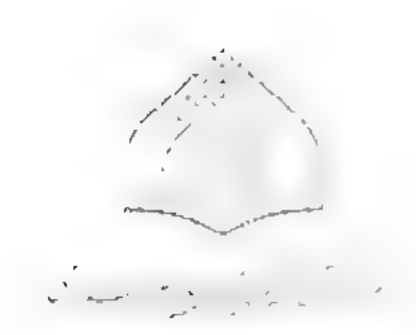
انتهى .

فعُلِم بهذا [٢] أن البيتَ الذى شَرحه للصلاح الصَّفَدِىّ .

وقوله : إنه من أربعة أبيات ليس بصوَاب ؛ لإيهامِه أن الأربعة الأبيات [٣] قائلَها واحد ، وقد علمتَ أنها لشاعريْن .

والله أعلم .

☆☆☆



(١) كذا فى الأصول والسلافة : « حشاشتى » ، وفى الخلاصة : « حشاشة » ، وهو موافق لما سبق.
(٢) فى خلاصة الأثر : « من هذا » . (٣) ساقط من : خلاصة الأثر ، وفى السلافة : « أبيات ».

٢٨٤

عبد الملك بن حسين العِصامِىّ*

هو بمنزلة الغُرّة بين البصر والجبين ، رمَقتْه عينُ العِناية منذ أُطلِق عليه لفظُ الجَنين .

فنشأ مُترَدِّيًا من النعمة ثوبا سابِغًا ، ومُتروِّيًا من الرّفاهة شرابًا سائغا .

لا دَأب له إلّا توسُّم وُفودِ الآداب فى سُوقِ عُـكاظِها ، ولا شُغْلَ له إلا اسْتكشافُ وُجوه المعانى المُخبَّأة تحت بَراقِـع ألفاظِها .

مُشتمِلًا بحُلِىِّ الـكمالات وبُرودِها ، رافلا بين عقيق[1] الفضائل وزَرُودِها .

حتى طَنَّتْ حَصاةُ عُلاه ، وعجزَتْ حُصاة حُلَاه .

فما الدهرُ إلّا من رُواة مَعاليه ، وما بديعُ الزّمان إلا من خَدَمَة مَعانيه .

وناهِيك بعِصامِىِّ النَّفْس والجدّ ، وماجدٌ جَدَّ فى المعالى فساعَفه على نَيْله الحظُّ والجَدّ .

وقد صحِبتُه أيامَ المُجاورة ، واغتنَمتُ من نَشْوة المحاضرة والمُحاورة .

فى أوقاتٍ لا أحسِب من عُمرِى غيرَها ، ولا أنْسَى مدةَ عمرِى خيرَها ومَيْرَها .

* * *

وقد أخذتُ عنه من بِدَعِه ، ومُختَرَعِه فى مَحاسنِ الشعرِ ومُبتدَعِه .

(*) عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامى الشافعى المكى .
ولد بمكة ، سنة تسع وأربعين ومائة ، ونشأ بها .
واشتغل بفنون العلوم ، حتى نبه ، وتصدر للتدريس فى المسجد الحرام مدة عمره .
وهو صاحب « سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى » .
توفى بمكة ، سنة إحدى عشرة ومائة وألف ، وقيل : سنة ثمان ومائة وألف .
البدر الطالع ١/٤٠٢ ، ٤٠٣ ، سلك الدرر ٣/١٣٩ ، عنوان المجد ١/١٢٠ .
وللمترجم شعر كثير ، أورده فى كتابه سمط النجوم العوالى ، الجزء الرابع ، صفحات ٤٨٦ ـ ٤٨٨ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٨٠ ـ ٥٨٢ .

(١) فى ا : « عميق » ، والمثبت فى : ب ، ج . ومن المشهور المقابلة بين العقيق وزرود .

ما تتوالَد من غُصون حضيرته[1] وُلْدان القَريض ، وتُقتطَف أزهارُ الأدب الغَضّ من غصون روضه الأرِيض .

فمن ذلك قولُه من قصيدة مدح بها الشريف سعد بن زيد[2] ، مطلعها[3] :

سقى الغَيْثُ ذَيَّاكَ الأُبَيْرِقَ والسِّقْطَا   فأنبتَ فى أرْجائِه الرَّنْدَ والأرْطَا[4]

وحَيَّى رُبًا تلك المعاهد فاكْتسَتْ   رياضٌ لهـا من نَسْجِ إبْرَتِه بُسْطَا[5]

مَعاهدُ لَمْياءِ البَدِيدِ تعطَّرتْ   دماثُ مَيْثاهَا بمـا تسْحب المِرْطَا[6]

لهـــا بشَرٌ كالماء إذ قلْبُها صَفَا   وناظرُها كالسيفِ لكنَّه أسْطَى

إذا مادجَا ليـلٌ حكى لَيْلَ شَعْرِها   وإن لاح نجمُ الأُفْقِ شِمْنَا به القُرْطَا[7]

رَدَاحٌ إذا لاحتْ فـكالبدر أو رَنَتْ   فـكالظَّبْيِ أوماسَتْ تُرِى الحَلَّ والرَّبْطَا[8]

أراشَتْ لأحْشائى رَواشِقَ مُقْلةٍ   ترى نَبْلَها يُصْمِى الفُؤادَ إذا أخْطَا

منها :

رَمَاها ومَرْباها مُلِثٌّ من الحَيَا   ورَوَّى على أكْنافِها الأثْلَ والخَمْطَا[9]

فَوا شَوْقَ أحْشائى للحظَةِ لَحْظِهَا   وأنَّى بهـــا إذْ قد نأَتْ دارُها شَحْطَا

---

(١) الحضيرة : جماعة القوم .   (٢) كانت تولية الشريف سعد بن زيد بن محسن بن حسين ، سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

انظر خلاصة الكلام ٨٠ ، سمط النجوم العوالى ٤/ ٤٨١ .

(٣) القصيدة فى سمط النجوم العوالى ٤/ ٤٨٦ـ٤٨٨ .   (٤) السقط . ناحية الخباء . والأرطاة : شجرة ثمرها كالعناب .   (٥) فى ا : «رياضا لها» ، والمثبت فى : ب ، ح ، والسمط .

(٦) فى الأصول : « لمياء البريد » ، والمثبت فى السمط ، ولعله يعنى بالبديد الثغر المفلج .

وفى ج : « دمائث ميساها » ، وفى السمط : « ومائث ميثاها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

والميثاء : الأرض السهلة .

(٧) فى السمط : «حكى ليل جورها ... سمنا به القرطا» .   (٨) فى السمط : «فـكالشمس أورنت» .

والرداح : العظيمة الأوراك .

(٩) فى السمط : « سحوح من الحيا » .

والملث : المتتابع . والخمط : كل شجر لا شوك له .

بلَى قد نأتْ عنِّى ولا بَيْنَ بيننا ... وبُدِّلْتُ من عَيْنِ الرِّضا بالجفا سُخْطَا[١]

كذلك أخلاقُ الغوانِى ومَن يرُمْ ... بهنّ الوفا كالمُبتغِى فى الإضا قُرْطَا[٢]

ومن لم يذُد دون التَّصابِى وشِرْبِه ... فَصاراه فيها أن يَذِلّ ويَنْحَطّا[٣]

ويُمْسى صَرِيعَ العينِ لا ناصرٌ له ... سوى عَبْرةٍ يَرْوِى تفجُّرُها سَبْطَا[٤]

نعم لو نَحَا فى كلّ أمرٍ يؤُودُه ... مَليكَ الورى سَعْدَ بن زيدٍ لَما شَطَّا

مَليكٌ له من طِينةِ المجـــدِ جوهرٌ ... به ازدانَتِ الدنيا وقِدْمًا هى الشَّمطَا[٥]

شريفُ العلَى والذّاتِ فى الوصفِ مُنْتَمٍ ... إلى خيرِ أصلٍ طاب فى قِنْسِه رَبْطَا[٦]

منها :

طويلُ البِنا رَحْبُ الفِنا مُنْهِل الغِنَى ... مُزِيلُ العَنَا مُولِى المُنَى لِلُّهَى سَفْطَا[٧]

لقد حُطْتَ أكْنافَ الخلافةِ عَزْمةً ... وقُمْتَ بها حِفْظًا وشَيَّدْتَها ضَبْطَا[٨]

منها :

أبَى اللهُ إلّا أن تحُلّ مَحلّهُ ... بمرْتبةٍ عَزّتْ لغيرِك أن تُمْطَى[٩]

فوَافاكَ بالتّأييد ما كان كامِنًا ... من الأزلِ العُلْوِىّ ينتظِر الشَّرْطَا[١٠]

فمـــا خَطّ تقليدًا على الطِّرْسِ كاتبٌ ... ولـكنْ قضاء اللهِ من قبلِه خَطّا

---

(١) فى ا : « وبدلت من عبنى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسمط . (٢) الإضاء : الأجمة من الخلاف المندى . والأضاة : المستنقع من سيل وغيره . (٣) فى السمط : «دون التصابى وسربه» .
(٤) السبط : الغزير . وفى السمط : « يروى تفجرها سطا » . (٥) فى ب : « وقد ناهز الشمطا » ، وفى ج : « وقد ماهر الشمطا » ، والمثبت فى : ا ، والسمط .
(٦) القنس ، بالفتح ويكسر : الأصل .
(٧) فى السمط : « رحب القنا » ، وفى ا : « نهل الغنى » ، والمثبت فى : ب ، ح ، والسمط ، وفى السمط : « باللهى سفطا » .
واللهى : العطايا . والسفط : وعاء كالجوالق . يعنى أنه مصدر العطاء .
(٨) فى الأصول : « لقد حط » ، والمثبت فى : السمط . (٩) فى الأصول : « أن تحل محلة » ، والمثبت فى السمط ، ويعضده الأبيات السابقة على البيت فى السمط ، والحديث فيها عن سابقه .
(١٠) يشير إلى المرسوم السلطانى . انظر سمط النجوم العوالى ٤/٤٨٥ ، ٤٨٦ .
وفى ا : « ما كان كافيا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسمط .

منها وهو آخرها :

سأملأُ ديوانى بمَدْحِك مِدْحةً ... لِشعْرِى لكى يستوجبَ الحمدَ والغِبطَا(١)

فدُمْ وابْقَ واسْلَمْ لا برِحْتَ مُؤيَّدًا ... على العِزِّ مهما أنْ تحاوِلَه تُعطَى

* * *

وله من أخرى أولها :

على مُهْجةِ المَعمودِ والعاشِقِ المُضْنَى ... أعِدْ نَظْرةً تَشْفِيه يا مَن له الحُسْنَى

بدا قدُّكَ المَيَّاسُ فى حُلَلِ البَهـا ... فألبَسنِى جِلْبابَ سُقْمِىَ والحزْنا

أجِيءُ إلى الأعْتابِ فى غَسَقِ الدُّجَى ... وما خِلْتُه ألّا يزيدَ بى الوَهْنا

لواه وَلائى تحت قَبْضِ يَمينِه ... وإن كان عن رِقّى بغيرِى قد استغْنَى(٢)

وَدِدْتُ لخدِّى تحت نَعْلَيْه مَوْطِئًا ... فياليْتَه يرْضَى وَضمتُ له الجفْنا

أيُشبِه غُصْنُ البـانِ لِين انْعِطافِه ... فلا الصَّعدةُ السمراءُ تحْكِى ولا الغُصْنا(٣)

به فى فؤادِ الصَّبِّ سُقْمٌ مُبرِّحٌ ... فلله سُقْمٌ ما ألذَّ وما أهْنا

نحيفُ قَوامٍ لا من السُّقْمِ رِقّةً ... بها صِرْتُ رِقًّا بالنُّحُولِ له قِنّا

حريقُ فؤادى لا يزال مُؤجَّجًا ... ومَدْمَعُ جَفْنِى وابلُ السَّحِّ لم يفْنا(٤)

سَماحُ مُحيّاه دليـلٌ على السَّخا ... فمـا بالُه بالوصلِ عن عبْدِه ضَنّا

نَبِىُّ جمـالٍ مُعْجِزٌ بجمالِه ... ومُعجِزُ لحْظَيْه عن الكلِّ قد أغْنَى

إليـه إشاراتُ المحِبِّين حيثما ... تولَّى وكلٌّ فى هَواه به مُضْنَى

به كلُّ أوصافِ الجمالِ تجمَّعتْ ... فمِن أجْلِه فى الحبِّ صرتُ له رَهْنا

نَأَى وَسَبَى عنِّى وذوَّب مُهْجتى ... وحَنَّ فؤادى للوِصالِ وما حَنّا

عُبَيْدٌ له لا أبتغِى العِتقَ دائمـا ... فياليْتَه يرضَى حُلولِىَ فى المَغْنَى

---

(١) فى السطر : « لشعرى كى » . (٢) فى ا : « ولاه ولائى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) الصعدة : القناة المستقيمة . (٤) لعل الألف فى : « يفنا » للاطلاق .

له فى حَشاىَ منزلٌ ومَودَّةٌ مُشيَّدَةُ الأركانِ مُحكَمَةُ المبْنَى
يَهِيمُ به عقلى فسِرِّى تَهتُّكِى ورُشْدِى ضَلالى فى هواه ولا مَنَّا
أبُثُّ له شوقى فيَلوِى ويَنثنِى بِتيهٍ تَثَنٍّ يُخجِلُ الذابِلَ اللَّدْنا
لمــاذا تُطيلُ الصَّدَّ ياغايةَ المُنَى ومُغرَمُكَ الوَلهانُ أفنيتَه حُزْنَا
نَهتِنِىَ عُذّالِى وبِى يتمَسْخَرُوا يقولون يا وَلْهانُ إرْعَ لنا الظَّعْنَا[1]
زمانَك يامجنــون ضــاع بحُبِّه ولم تر أهــلَ العشقِ مثلَك قد جُنَّا
يصُــدُّ ويجْنِى فى فِراقِك دائمــا فقلتُ فعنــدى ذاك أطيبُ ما يُجْنَى
إلى كم جفاً حتى متى تَرْض باللِّقــا وتُطفِى لَهِيباً لا عجَباً مُهجــةَ المُضْنَى
هنيئاً اقتلى مات فيــك مَحبّةً بمــا يُرْضِى الرحمن والإنْسَ والجِنَّا
وما عِشْقِى فيــه قبيحاً ولا خَنًا ولــكنّها للهِ خالصــةُ المعنَى

* * *

وله من أخرى فى الغزل ، أولها :

أمالَ عِطفاً وطُــلاه لَوَاهْ وأخْفقَ الحسنُ عليه لِوَاهْ[2]
عِطفٌ حكى الصَّعْدةَ فى صَدْعِها والغُصن المائسُ يحكى انثناهْ
يتْــلوه لَحظٌ نافِثٌ تالياً سِحْراً فيا وَيْلاه ممّا تَلاهْ
فى كلِّ يومٍ منــه لى آية لو أنّها للطَّوْدِ حَصباً تَرَاهْ
وكم به كلّمنى إذْ مضَى فمُــذْ دَعاه القلبُ وَافَى وجاهْ
فدَيتُها من لَحظةٍ لى بها من المَنــايا وشَهِىَّ الحياهْ
لا صبرُ لى عنها ولا طاقةٌ عندى لها والأمرُ فيه اشتباهْ
من حَسبِها عَقربَ صُدْغٍ بها قلبىَ مَــلْدُوغٌ وما من رُقَاهْ

---

(١) كذا ورد : « يتمسخروا » . (٢) الطلاة : العنق .

دبَّتْ له دَبَّ لذيذِ الـكرَى   فى مُقلةٍ أوْدَى بهـا الانْتباهْ

ثم تحرَّتْ فى سُوَيْداه أن   تشُـوكَه وَيْلاه وا ويلتاهْ(١)

بدرٌ ثنانِى حبُّه فاغتـدَى   فـكرِى بِنانِى دَيْدَنًا فى ثناهْ

ظَبْىٌ وعنه لم يزلْ ناهِياً   كلٌّ جَهُولٍ عارِياً عن نُهاهْ

فى ثغرِه العَذْبِ وسِلْكِ الْجُما   نِ الرَّطْبِ فانْظُر للحُلَى فى حلَاهْ

وفى شِفاهُ اللَّمْسِ خمرٌ حَـلَا   لـكنَّ لَحْظَيْه هما حَرَّماهْ

بمنطقٍ ذِى غُنَّةٍ خِلتُهـا   صَليلَ عَضْبٍ فى حَشاىَ فَرَاهْ

لجيـدِهِ جُدْتُ بِرُوحِى وبا   آباءِ والبيْتِ وما قد حَواهْ

فتـاه بالْحُسْنِ وما ضَرَّه   لو أنَّ بالْحسْنِ يُوَاتِى فَتَاهْ

لا غَرْوَ أن تاه على مَن له   ليلاً صَباحاً بالشَّجَى أتَّاهْ

لِمْ يا خليـلىَّ تلوما لِمَا   لُمَا جَهُولًا عاذَلى عن أماهْ(٢)

كم ليلةٍ أمسيْتُ ذا جَذْوةٍ   تُسوء ظَنى لا عِجِى لا عَجَاهْ(٣)

وسيِّدى عَـنِّى لَاهٍ ولم   أحِزْ سَداداً والحِجا فيه لَاهْ

آهِ لقـلبى آهِ آهاً له   آهِ لقـلبى آهِ آهاً وآهْ

ذا لُؤْلُؤِى ثغرِه جِسْمه   ولُؤْلُؤِىُّ الثَّوْبِ قلبى لَواهْ

يا رَشأً بالـكُمِّ عنِّى أراهْ   يستُرُ لحظًا فاتِـكاً بالـكُماهْ

أفْدِيكَ من خَجْلانَ لا عنكَ لى   مُسْتَبْدَلٌ لا والعَلِى فى عُـلَاهْ

صَبْراً لهجْرِى إن به تَرْضَ لى   يوماً فيوماً ثم ماهاً فماهْ

وهـكذا يقضِى زمانِى به   لا حولَ لى ما شاء ربِّى قضاهْ

❀

(١) فى ا : « ثم تخيرت » ، وفى ب : « ثم تحترت » ، والمثبت فى : ج .

(٢) « عاذلى » مؤلفة من : « عاذ » الفعل ، و « لى » ، و « عاذلى » اسم فاعل من العذل .

(٣) اللاعج : المحرق الشديد . وعجاه : أخره ومنعه .

٢٨٥

تقىّ الدين بن يحيى
ابن إسماعيل بن عبد الرحمن بن مصطفى
السِّنْجارِىّ *

الاسم تَقِىّ والعِرْضُ نَقِىّ ، والخُلُق رَضِىّ ، والفعلُ بحمدِ الله مَرْضِىّ .

تميَّز بهذا الشأن على وُفور حَلْبتِه ، وفرَّع فيه البيانَ على سُمُوِّ هَضْبته ، وفوَّق سَهْمَه إلى نَحْرِ الإحسان فأثبتَه فى لَبَّتِه .

مع أدبٍ غاصَ فى لُجَّةِ بحرِه ، فاستخرج دُرَرَه وأثبتها فى جِيدِ الدهر ونَحْرِه .

* * *

وقد أثبتُّ له ما يُغْنِى عن ارْتشاف ثُغورِ الأقْداح ، ويكفى عن اسْتنشاقِ عَرْفِ الرياضِ تفتَّح فيه الوَرْدُ والأقاح .

فمنه ما كتبه إلى القاضى تاج الدين المالِكىّ [1] ، مُلْغِزاً فى نخلة :

أيها المِصْقَعُ الذى شرَّف الدَّهْـ　　ـرَ وأحْيَى دَوارِسَ الآدابِ [2]

والهمامُ الذى تسامَى فَخاراً　　وتناهَى فى العــلمِ والأحْسابِ

(*) تقى الدين بن يحيى بن إسماعيل السنجارى المكى الحنفى .

فاضل ، أديب ، نبيل ، نبيه .

ولد سنة عشر بعد الألف بمكة ، ونشأ بها ، فأجهد نفسه فى تحصيل الأدب واكتسابه ، حتى أصبح فيه علماً .

وفى سنة سبع وخمسين وألف ، ودفن بالمعلاة .

خلاصة الأثر ١/٤٧٥ ــ ٤٧٩ ، سلافة العصر ٢٣٠ ــ ٢٣٤ .

وسنجار التى ينتسب إليها : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام .

معجم البلدان ٣/١٥٨ .

(١) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٨ .

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ١/٤٧٧ ، سلافة العصر ٢٣١ ، ٢٣٢ (نفحة الريحانة ٩/٤)

والخطيبُ الذى إذا قال أمَّا بعـــدُ أشفَى بوَعْظِه المُستطابِ

والإمامُ الذى تهـــذَّب طِفْلاً وزَكا فى العلومِ والأنسابِ [1]

إن تُصحِّفْه كان فيــــه شِفاء وبه النصُّ جاءنا فى الكتابِ

ولكَ الفضـــلُ إن تُصحِّفْه أيضا بالعَطا لا بَرِحْتَ سامِى الرِّحابِ

مُفْرَداً إن حذَفْتَ منــه أخيراً صار جمعاً له بغـــير ارْتيابِ [2]

أو وصلتَ الأخيرَ منـــه بصَدْرٍ كان عَدًّا برأْيِ أهـــلِ الحسابِ

وبثَانٍ إن ضُمَّ تالٍ إليــــه فهو خِلٌّ من أعظمِ الأحْبابِ [3]

وإذا ماصحَّفْتَـــه لَذَّ للنفْـ ـسِ مَذاقاً فى مَطْعَمٍ وشَرابِ

خَلِّ نِصْفاً يُحَلُّ عنـــه وبادِرْ قَلْعَ عَيْنٍ ما إنْ لها من حسابِ

قلَع اللهُ عينَ شانِيكَ يامَن قَدْرُه قد سمَا عن الإسْهابِ [4]

وابْقَ فى عِزَّةٍ وعِزٍّ مَنِيعٍ ماحَدَا بالحِجازِ حادِى الرِّكابِ [5]

* * *

فأجابه بقوله [6] :

يا إماماً صـــلَّى وسلَّم كُلٌّ خلفَـــه من أئمةِ الآدابِ

وخطيباً رقَى فضمَّخ طِيباً مِنبَرَ الوعظِ منـه فَصْلُ الخطابِ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « وذكا فى العلوم » .

وبعد هذا فى السلافة بيتان ، يتضح بهما سياق القصيدة ، وهما :

وحوَى ما حوى الأصولَ إلى أن حازَ مالا يُحَازُ بالاكْتسابِ

جئتُ أرجو كَشْفاً لشىء تناهَى فى العلى واكْتفَى عن الحُجَّابِ

(٢) فى السلافة : « مفرد إن حذفت » ، وفى الخلاصة : « صار جنساً له » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « أوبثان » . (٤) فى السلافة : « من الإسهاب » .

(٥) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « وابق فى نعمة وعز منيع » . (٦) الجواب فى خلاصة الأثر ١/٤٧٧، ٤٧٨ ، سلافة العصر ٢٣٢، ٢٣٣ .

لم يُنافَس لَدَى التَّقدُّم إلّا ... قال مِحْرابُه هــو الأحْرَى بِي

أشرقتْ شمسُ فضلِه لا توارتْ ... عَيْنُهــــا عن عِيانِنا بحِجابِ

وأتى رَوْضُ فكرِه بعَرُوسٍ ... قد أُمِدَّتْ أنهارُها من عُبابِ

تقتضى مِنِّىَ الجوابَ وعُــذْرِى ... فى جوابى حُوشِيتَ أنّ الجوَى بِي

شَبَّـــهُ فى حَشاىَ فَقْدُ فتاةٍ ... رحلتْ تمتطِى مُتونَ الرِّقابِ[1]

وانطوتْ بعد بَيْنِها بُسْطُ بَسْطِى ... وانقضتْ دولةُ الصِّبا والتَّصابِى

ليت شِعْرِى بمن أهِيمُ وشمسِى ... مالها فى أُفُولِهــــا من إيابِ

كيف أصْبُو ووردةٌ كان رَوْضُ الْـ ... أُنْسِ يزْهُو بها تَوتْ فى التُّرابِ[2]

لا وعَيْشٍ مضَى بهــــا فى نعيمٍ ... لستُ أصْبُو من بَعْدِها لـكَعابِ[3]

هاتِ قُلْ لى ياملْعَبَ السِّرْبِ مالِى ... لا أرى فيك ظَبْيةَ الأتْرابِ[4]

قال سَلْ حاسِبَ الـكواكبَ عمَّا ... حار فى دَفْعِه أولو الألبابِ

أصبحتْ من بَناتِ نَعْشٍ وكانتْ ... بدرَ تِمٍّ فهل ترَى من جَوابِ[5]

فابْسُطِ العُذْرَ ياأخا الفضلِ فَضْلاً ... إن تجِدْنى أخطأتُ صَوْبَ الصوابِ

أتُصِيبُ الصوابَ فكرةُ صَبٍّ ... يحْتسِى كأسَ فُرْقةِ الأحْبابِ

وتطَوَّلْ وأسْبِلِ السِّتْرَ صَفْحاً ... فهو شأنُ الخِلِّ المُحِبِّ المُحابِى

فى جَــــوابٍ عن نَحْلةٍ قد أتتْنا ... بِجَنَى النحْلِ فى سُطورِ الـكتابِ

أتحفتْنـــا باللُّغْزِ فى اسمِ أُخْتٍ ... لأبِينا خُصَّتْ بذا الانْتسابِ[6]

---

(١) فى سلافة العصر : « بنه فى حشاى فقد مهاة » .

(٢) فى السلافة : « وورده كان » . (٣) فى ب : « لا وعيشى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، خلاصة الأثر ، والسلافة . (٤) فى السلافة : « طبية الأتراب » . (٥) فى السلافة : « من ت نعش فكانت » .

وبنات نعش الكبرى : سبعة كواكب ، أربعة منها نعش ، وثلاث بنات ، وكذا الصغرى . القاموس (ن ع ش) .

(٦) فى خلاصة الأثر : « فى اسم لأخت » .

وكَساها المَرْوِيُّ من شَبَهِ المُؤْ ... من فَضْلاً فى سائرِ الأحْقابِ (١)

وهْىَ ترْقَى من غير سَوْء فطَوْراً ... يستحِقُّ الجانِى أليمَ العذابِ (٢)

ثم طَوْراً وهو الكثيرُ يُرَى الجا ... نِى عليها من أفضلِ الأصْحابِ (٣)

ولها إنْ تَشَا تَصاحِيفُ منهـا ... مُفْرَدٌ فيـه غايةُ الإغْرابِ

جاء قَلْبُ اسمِ جِنْسِه وهْو لَحْنٌ ... لا تُنافِيـه صَنْعةُ الإعرابِ

ومُسَمَّى التصْحيفِ هذا إليه اللّـ ... ـهُ أوْحَى سُبحانَه فى الكتابِ

وهْو ذُو شَوْكةٍ وجُنْدٍ عظيمٍ ... خَلْفَ يَعْسُوبِه بغـيرِ حسابِ

ذُو دَوِيٍّ فى جَحْفَلٍ يَمْلأ الجوَّ ... كرَعْدٍ فى مُكْفَهِرِّ السحابِ

حيوانٌ وإن تُصحِّفْ جَمادٌ ... مُفْصِحٌ عن مُرادِ سامِى الجَنابِ

ياخليـلِى بل يا أنا فاتِّحادِى ... بك يقْضِى بذا بغيرِ ارْتيابِ (٤)

إنَّ صُنْعِى فى حَـلِّ اللغزِ باللُّـ ... ـغزِ بديعٌ فلا تَفُه بِعتابِ (٥)

وابْقَ فى نعمةٍ وفى جَمْعِ شَمْلٍ ... ببَنِيكَ الأفاضـلِ الأنْجابِ

ماسَرَتْ نَفْحةُ الأزاهرِ تَرْوِى ... ضَحِكَ الروضِ من بُكاءِ السحابِ

* * *

وأعْقَب ذلك بنثرٍ صورتُه (٦) :

---

(١) فى السلافة : « من شبه المسلم » .

وهو يشير إلى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالنَّحْلَةِ لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَلَا تَضَعُ إِلَّا طَيِّبًا » انظر التمثيل والمحاضرة ٢٤ .

(٢) فى ا : « وهى ترقى من غير سؤر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٣) فى السلافة : « من أنعم الأصحاب » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « بك عينى بدا بغير ارتياب » .

(٥) فى ا : « بحلى اللغز » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، وفى الخلاصة : « فلا تفه بعتابى » .

(٦) هذا الفصل فى خلاصة الأثر ١/٤٧٨ ، ٤٧٩ ، سلافة العصر ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

المولى الذى إذا أخذ القلمَ ووشَّى (١) ، وأرى غبارَه أرْبابَ البلاغة والإنْشا .

لا يرَى (٢) على مَن رَماه الدهرُ بسَهْمِه ، ولعِبتْ صَوالِجُ الأحزان بكُرَةِ فَهْمِه .

فمزَج (٣) المدحَ بالرِّثا ، وقابَل النَّضْرَ بالغُثا .

فقد بان عُذْرُه ، واتَّضح فِعْلُ الزمانِ به وغَدْرُه .

وقد كنتُ قبلَ إدْراج هذا الرِّثاء فى أثْناء الجواب ، أرِقْتُ ذاتَ ليلةٍ من تجرُّع صَابِ ذلك المُصاب .

فنفَثَت القريحةُ ، فى تلك الليلة التى كاد أن لا يكون لها صَبِيحة :

لقد كان رَوْضُ الأُنْسِ يزْهُو بوردة ... شَذَا كلِّ عِطْرٍ بعضُ نَفْحةِ طِيبِهاَ (٤)

فمَدَّ إليهــا البَيْنُ كفَّ اقْتطافِهِ ... وأمْحَلَ ذاكَ الرَّوْضُ بعــد مَغِيبِهاَ

ولم يصْفُ لى من بعــدِها كأْسُ لَذَّةٍ ... وكيف تَلَذُّ النفسُ بعد حَبِيبِهاَ

فرَوَّى ثَراها ياسحائبَ أدْمُعِى ... ومَن لى بأن ترْوَى بسَحِّ صَبِيبِهاَ

فقصدتُ أن أُثْبِتَها فى ذيْل الجواب وأُخْرَياتِه ، لِما عَسى أن يكون من محفوظات مَوْلانا ومَرْوِيَّاته .

وقد طال هذا الهُذَا ، وطغَى القلمُ (٥) بما هو للعيْن قذَى .

فلْنَحْبِس عِنانَه ، ونُرِحْ (٦) سَمْعَ المولى وعِيانَه .

☆☆☆

---

(١) فى الخلاصة ، والسلافة : « وشى » دون واو العطف .

(٢) فى السلافة : « يرى » ، وهو أولى . (٣) فى السلافة : « فمن مدح » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « بعد نفحة طيبها » . (٥) فى الأصول : « العين » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة . (٦) فى السلافة : « ويرح » .

٢٨٦

حفيده عليّ بن تاج الدين

فاضلٌ نشَرَ أدبَهُ فأدْهَش مَخْبَرُه ، ونَسَّم صَبا خُلُقِه فعطَّر المَشَامَّ مِسْكُه وعَنْبَرُه .

نشأ فى حِجْر الكرم ، مُتفيِّئاً ظِلَّ حَرَمِ المجد المُحْترَم .

فطلع وَفْقَ ما اقتضَتْه العِناية ، ودلَّتْ عليه كلمةُ الفضل بالصَّريح والكِناية .

وقد رأيْته وليس بينه والمُنَى حِجاز ، وحقيقةُ فضائلِه لا يطرُقها مَجاز .

فاستضأْتُ حيناً بمَنظرِه البَهِيّ ، وتمتَّعْتُ آونةً بلفظِه الشَّهِيّ .

ورأيت أدباً كالعُمْر فى رَيْعانه ، وسمعتُ شِعْراً كالشَّباب فى رَوْنقِه ولَمَعانِه .

* * *

فمما تناولتُه من شعره ، قوله من قصيدة أولها :

على مِثْلِها من أعْيُنٍ كَحلُها السِّحْرُ ... يهُون الذى نَلْقَى وإن عَظُمَ الأمْرُ

فمَنْ إلى غيرى العداةِ عَواذِلِى ... فلى شِرْعةٌ فى الحبِّ لستُم بها تَدْرُوا[1]

دَعُونى وما أَلْقاه من حُبِّ شادِنٍ ... مَحاسنُه لى فى الغرامِ به عُذْرُ

مِن التُّرْكِ لَمَّا فى الحِياصَة قد بدَا ... رأتْ هالةً عَيْنِى ومنه بها بَدْرُ[2]

يُرِيكَ جَنِىَّ الوردِ من وَجَناتِه ... ويبسَم عن زَهْرِ الأقاحِ له الثَّغْرُ

تعلَّقْتُه بادِى النِّفارِ كأنه ... غزالٌ قد اسْتوْلَى على قلبِه الذُّعْرُ

فما زلتُ أسْقِى قاسِياً من طباعِه ... مُدامةَ لُطْفِ مَزْجُ أكْؤسِها التِّبْرُ

---

(١) كذا فى الأصول : « تدروا » للقافية .

(٢) فى ا : « لما فى الحياضة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

والحياصة : سير يشد به حزام السرج . القاموس (ح و ص) ، ولعل الغلمان كانوا يستعملونه .

فرقٌ وقد رقّتْ مَعانِى تغــــزُّلِى فلمـــا رَنَا لم أدْرِ أيُّهما الشِّعْرُ
عشيّةَ وافانِى على غــــيرِ مَوْعِدٍ وجُنْحُ الدُّجَى من دونِ حُرّاسِه سِتْرُ
فقبّلْتُ منه راحَ كَفٍّ أُجِلُّهـــا عن الرّاحِ حاشَ أن يُلِمَّ بها وِزْرُ
وصارتْ يَمِينِى كالنِّطاقِ لخصْرِه على رَغْمِ مَن قد قال بان له خَصْرُ
وقال وقد رُمْتُ ارْتِشافَ رُضابِه متى بحياتى قد أُحِلَّتْ لك الخمْرُ
فلولاه ما كان الغــــرامُ بمُهْجتِى مُقيماً وقد سارتْ بأخْبارِه السَّفْرُ
سَلُوا الليلَ عنى كم سهِرْتُ ظَلامَه أُكابِدُ شوقاً دون حُرْقتِه الجمْرُ
أرى نجْمَه أدْنَى من الوصلِ مأخــذاً وأبْعَدَ من سَلْوَاىَ إن يمْحُه الفجْرُ
فما زلتُ أُزْجِيهـــا مَطايَا تصبُّرٍ بأرضِ الجَنَى حتى اسْتبان لِىَ البِشْرُ
وقال لِىَ الوصلُ الذى أنا طالبٌ له مَرْحباً فى الأمْنِ قد رحَل الهجْرُ

***

وأنشدنى من لفظه لنفسه :

إذا غاب كان المَيْلُ منِّى لغـــيرِه وإن لاح كان المَيْلُ مـــنِّى له حتْماً
كأنِّىَ هل فى النحوِ والفعلَ حُسْنُـــه وكلُّ الورى إن لاح محبوبِىَ الأسْمَا

***

يُريد به ماذكره النحويُّون ، من أن « هل » مختصَّـة بالفعـل إذا كان فى حَيِّزِها[1] ، فلا يجوز « هل زيد خرج » ؛ لأن أصلَها أن تـكون بمعنى « قد » ، كقوله تعالى[2] : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ ، و « قد » مختصة بالفعل ، فـكذا « هل » ، لـكنها لمّا كانت بمعنى همزة الاستفهام ، انحطَّت رُتْبتُها

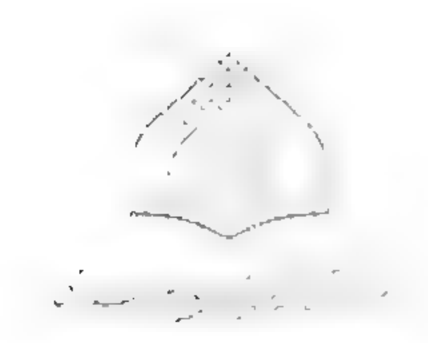
---

(١) انظر مغنى اللبيب ٢ / ٢٨ . (٢) سورة الإنسان ١ .

عن « قد » فى اختصاصها بالفعل ، فاختصَّتْ به فيما إذا كان فى حَيِّزها ؛ لأنها إذا رأتْه فى حَيِّزها تذكرتْ عُهوداً بالحِمَى ، وحنَّت إلى الإلْف المألوف ، ولم تَرْضَ بافتراق الاسم بينهما ، وإذا لم تَرَه فى حَيِّزها ، تسلَّتْ عنه ، وذهَلت ، ومع وُجودِه إن لم يشتغل بضميرٍ لم تقْنع به مُقدَّراً بعدها ، وإلَّا قنَعت به ، فلا يجوز فى الاختيار « هل زيداً رأيتَ » بخلاف « هل زيداً رأيتَه » .

انتهى [١] .

☆☆☆



---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

٢٨٧

القاضى

محمد بن خليل الأحْسائِىّ *

أديبٌ لا يُجارَى فى مَيدان إحسان [١] ، ولا يُبارَى فى صنعةِ يَدٍ ولسان .

وهو فى عِلْم العَروض خليفةُ الخليل ، وتحريرُه فيه الكافى عن شفاء العليل .

وكان ولى قضاء الطّائف فاكتستْ به جمالا ، وبلغتْ فى أهلِها مآرِبَ وآمالا .

فكثُر فيه المُطرِى والمادح ، وتفنَّن فى وصفِه الشّادِى والصَّادح .

* * *

وقد وقفتُ له على شِعْرٍ بهَر اتِّقادُه ، وصَحّ على زَيْف الأنام انْتقادُه .

فأثبتُّ منه ما يُقتطَف زَهْراً جَنِيًّا ، ويُتَّخذ لتعْليلِ النفسِ نَجِيًّا .

فمنه قوله ، مخاطبا للقاضى تاج الدين المالِكِىّ [٢] ، [٣] وقد طلب شيئاً من شعره [٣] :

لدَيْكَ أخا العَلْياء والفضـلِ والعلمِ ... ومَن جَلّ من بين الأجِلاَّء بالفَهمِ [٤]

(*) محمد بن خليل الأحسائى المكى .

أديب ، شاعر ، له معرفة باللغة والنحو ، صاحب قدم راسخة فى علم العروض ، وخط حسن .

تولى القضاء بالطائف .

وتوفى سنة أربع وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ٣/ ٤٦٠ ـ ٤٦٣ ، سلافة العصر ٢٢٧ ـ ٢٣٠ .

والأحساء التى ينسب إليها : مدينة بالبحرين معروفة مشهورة ، وببلاد العرب مواضع أخر يطلق عليها لفظ الأحساء . معجم البلدان ١/ ١٤٨ .

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٢) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٨ . (٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

والقصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/ ٤٦٣ ، سلافة العصر ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٤) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : «من بين الأخلاء بالفهم» .

تَحُلُّ رحالُ الظَّاعِنِين ومَن غَـــدا ... إليك بَدا فى حاملِى العلمِ كالنَّجْمِ (١)

لئن كان ربُّ الفضلِ كالرأسِ فى الورَى ... فأنتَ له تاجٌ يُضِيء بلا كَتْمِ (٢)

طلبتَ من النظمِ البديعِ لآلئاً ... فدُونَكَها كالعِقْدِ فى الحُسْنِ والنَّظْمِ

تُشَنِّفُ أسْماعَ الرُّواةِ بدُرِّهـــا ... وتقطع أفْلاذَ الغَبِىِّ من الغَمِّ (٣)

فيا أيُّهـــا القاضى المُولَّد طَبْعُه ... من العلمِ أفْنانًا تجلُّ عن العُقْمِ (٤)

نوائبُ هـــذا الدهرِ غالَتْ قَرِيحَتِى ... ودقَّتْ عظامِى بعـــد تمزيقها لَحْمِى

فلو أن هـــذا الدهرَ يُبْدِى تعطُّفاً ... لظَلَّ بديعُ النظمِ وَالنظمُ فى سَهْمِ (٥)

ولو أن جُزْءاً من هُمومِى مُفَرَّقٌ ... على الخَلْقِ عامُوا فى بحارٍ من الهَمِّ

وسامِحْ فمِنْدِيلُ القَرارِ مُقطَّعٌ ... ورقَّ لقلبٍ لا يقَرُّ من العَدْمِ (٦)

ودُمْ أبداً فى نِعْمـــةٍ ضِدُّها لها ... يُطَأْطِئُ رَأْساً فى الرَّغامِ على الرَّغْمِ

* * *

وكتب إلى القاضى أحمد بن عيسى المُرْشِدِىّ (٧)، يهنِّيه بزيارة النبىِّ صلَّى الله عليه وسلَّم:

زيارةٌ رفعتهـــا للقبولِ يَدٌ ... وسَفْرةٌ أسْفرَتْ فى طَيِّها مُدَدُ

يَهْنِيك زَوْرةُ خيرِ الخلقِ فى رَجَبٍ ... يامَن ربيـــعُ يديْه دائمًا لُبَدُ (٨)

اللهُ والشافِـعُ المُخْتارُ قد نظَرا ... إليك والرَّكْبُ إذ سايرْتَه سَعِدُوا

أخلَصْتَ للهِ فى هذِى الزيارةِ إذْ ... شدَدْتَ وَجْناءَ لا تشكو إذا تَخِدُ (٩)

(١) فى السلافة: «فمن غدا»، وفى الأصول: «إليك بدا»، والمثبت فى: الخلاصة، والسلافة.
(٢) فى الخلاصة: «لئن كان رب العلم»، وفى السلافة: «مضىء بلا كتم».
(٣) فى السلافة: «أفلاذ العبى».
(٤) فى الخلاصة: تجل من العقم». (٥) فى السلافة: «لظل بديع النثر والنظم فى حكمى».
(٦) فى ح: «لا يرق من العدم»، والمثبت فى: ا، ب، والخلاصة، والسلافة.
(٧) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٦. (٨) فى ا: «ربيع لديه»، والمثبت فى: ب، ج.
(٩) الوجناء: الناقة الشديدة، والوخد: الإسراع.

وفُزْتَ فى لَثْمِ أعْتابٍ مُقَرَّبَةٍ إليه قومٌ بهـــا فى زيِّهِمْ حمدُوا
نعمْ لـكم ذِمَّةٌ منـــه بتَسْمِيةٍ يَهْنِى مُحمّدَ من ذَا الحَمْدِ مايَجِدُ
قد سِرْتَ للهِ سيرَ الصالحين إلى نَبِيِّه وعلى الألطافِ تعتمِـــدُ
قصَدتَ سُوحَ إمامِ الرُّسْلِ سَيِّدِهم غَوْثِ العبادِ إذا فى حَشْرِهِم جُهِدُوا
ورُمْتَ من فضلِه فضلاً تَزِيد به فضائلاً هى فى عَلْيائِك السَّنَدُ
طابتْ بطَيْبةَ أوقاتُ الأُلَى قصَدُوا تقْبِيل تُرْبتِه والخيرَ قد وَجدُوا
هبَّتْ عليهم نُسَيْماتُ الرِّضا سَحَراً فزال عنهم لَهِيبُ القلبِ والـكَمَدُ
زاروا جُسوماً وزُرْنا نحنُ أفئدةً فى سَبْسَبِ الوجدِ والأشْواقِ تَطَّرِدُ
بُشْراكَ يازائرَ المُختارِ لابرِحتْ عليك منـــه مَبَرّاتٌ سمَتْ تَرِدُ
لا زِلْتَ تقصِـــده ماسار زائرُه إليـــه فى كلِّ عامٍ نَجْمُه يَقِدُ

* * *

فأجابه بقوله :

أذِى زهورُ رياضٍ زانَها النَّضَدُ أمِ الدَّرارِى التى فى أُفْقِهـــا تَقِدُ
أم ذِى جواهرُ تيجانِ المُلوكِ بَلَى جواهرُ التَّاجِ إذْ قِيستْ بها تَأَدُ[(١)]
أم العقودُ أم المنظومُ من كَلِمٍ أعان ناظِمَه التَّأْييـــدُ والمَدَدُ
أم ذِى عرائسُ أفكارٍ مُحجَّبـــةٌ أماطَتِ السِّتْرَ عنهـــا للأديبِ يَدُ
يدٌ طويلةُ باعٍ فى العلومِ لهـــا فى كلِّ ما يُعجِزُ الأفهامَ مُنْتقَدُ
كأنهـــا حين وافتْنِى على غِرَرٍ أرْىٌ قتيلِ الهوى عَذْبِ اللَّمَى الصَّرَدُ[(٢)]
قد أذْكرتْنِى أيّاماً حلَتْ وَخلَتْ واغتال لَذَّتَنا فى طَيِّهـــا الأبَدُ
وافتْ تُهــــنِّى مُحِبًّا لم يزَلْ قَلِقاً إلى لِقائِك صبًّا وهْو مُضطَهَدُ

---

(١) أود يأد : اعوج وانحنى . (٢) الأرى : العسل ، والصرد : الصرف .

وكان لما أتتْ أخرَى بتهنيةٍ بها لِمَا أطفأتْ من حرِّ ما يَجِدُ
وقلت فيها وزُرْنا نحن أفئـــــدةً مُعرِّضاً فانجـــلَى ما جَنَّهُ الخلَدُ
فالحمـدُ للهِ زار المصطفى الجسدُ مع الفؤادِ وحُقَّ الأجرُ والرَّشَـــدُ
هذا وأنتَ على العِلاتِ أجمِها لَدَى المُحِبِّ لموثوقٌ ومُعتمَدُ
لأنَّ كلَّ اعتدالٍ من سِواكَ يُرَى يفُوقُهُ منك عندى ذلك الأَوَدُ
عليـــك منِّى تحيَّاتٌ مُضاعَفةٌ من المُهيْمِنِ تترَى مالها أمَدُ

٭٭٭



٢٨٨

عفيف الدين بن عبد الله

ابن حسين الثَّقَفِيّ *

هذا من أهل الطَّائف ، أديبٌ كثيرُ اللطائف .

ثَقَفِيّ مُثقِّف قناة المجد ، جرَى إلى آماد الفُتُوَّة فبلغها بالجِدّ والجَدّ[1] .

وقد أطرَب بأناشيده مَن لم يكن يَطْرَب ، وأتى بما يُسكر من سَمِعه وإن لم يكن يشْرَب .

بعبارة مستغنيةٍ عن التصنُّع ، وبَدِيهة لم تُشَب بخطر التمنُّع .

مصقولةٍ بلا تَطْرية واسطة ، مَجْلُوَّة بلا مِنَّة ماشِطة .

وكلُّ كلامِه عليه مِسْحةُ النَّضارة ، وله مَلاحةُ البدَاوة وهي تفُوق[2] الحضارة .

* * *

وقد جئتُك من شِعره بمـا يصِفُ نفسَه إذا لاح ، وإذا ارْتصفَت دُرَرُ عُقوده تغايَرتْ عليها لَبَّاتُ المِلاح .

فمنه قوله من قصيدة[3] :

سَقَى طَلَلاً بين الأجارِعِ واللِّوَى ... وحَيَّى زماناً لم نُرَعْ فيـــه بالنَّوَى

ورَعياً لأيامٍ هنــــاك سوالِفٍ ... قضَيْنا بهـا عصرَ الشَّبيبة والهَوَى

بظِلِّ جَنابٍ والنَّدامَى عِصابةٌ ... كرامُ المساعى تُرغِم الخصْمَ إن غَوَى

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٢٣٧ ـ ٢٤٢ ، وسماه : « عفيف الدين عبد الله بن حسين بن جاشل الثقفى » .

(١) فى ب : « والحد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ب ، ج : « فوق » ، والمثبت فى : ا

(٣) القصيدة فى سلافة العصر ٢٣٨ .

على السَّفْحِ ما بين القُصَيرِ إلى الحِمَى ... إلى الحِصْنِ نَطْوِى الوُدَّ عنّا وما انطَوَى[1]

ليــالىَ لا تُخْطِى سهامُ رَمِيَّتِى ... ولا عاقَنِى الوالى الغَيُورُ وإن زَوَى

وأصبحتُ يَثْنِينِى الحِجَى عن هَوِيَّتِى ... ويمنعنى دهرٌ تمادَى وما ارعَوَى[2]

فللهِ كم من يومِ دَجْنٍ وصَلْتُه ... بلَيلٍ على الرَّبْعِ الجنوبِىِّ وما حَوَى

وساعاتِ أُنْسٍ كلمــا عَنَّ ذِكْرُها ... يُهَيِّجنى فَرْطُ الصَّبابةِ والجوَى

لكلِّ غَضِيضِ الطَّرْفِ أحْوى إذا رَنَا ... سَبالكَ النُّهى والصبرَ واستأثَر القُوَى

إذا افْتَرَّ عن ثَغْرٍ حكى الدُّرَّ نَظْمُه ... وإن لاح قلتَ الشمسُ حَلَّتْ فى الاسْتِوا

يُشِيــرُ فأدْرِى ما يقول برَمْزِه ... فأقْضِىَ على ما فى هَواه بمـا نَوَى

علــيم بعِلاَّتِ الغَوانِى وطِبِّها ... ومُفْتِى النَّدامَى فى مُحاوَرةِ الهَوَى[3]

* * *

وكتب إلى السيد على بن معصوم[4] :

برُوحِىَ مَجْبولاً على الحبِّ طَبْعُه ... وقلبِىَ مجبولٌ على حُبِّــه طَبْعَا

يُراقِبُ أيامَ المُحرَّم جاهِــداً ... فيُطلِعُ بدراً والمُحِبُّ له يَرْعَى

كَلِفتُ به أيامَ دهرِىَ مُنْصِفٌ ... ووجهُ الصِّبا طَلْقٌ وروضُ الهوى مَرْعَى

جَنَيْنا ثمارَ الوصلِ من دَوحةِ المُنَى ... ليـالىَ لا وَاشٍ ولا كاشحٌ يسعَى

فللهِ أيامٌ تقضَّتْ ولم تَعُدْ ... يَحِقُّ لعَيْنِى أن تَسِحَّ لهـا دَمْعَا

* * *

---

(١) القصير: مواضع بعضها فى بلاد العرب وبعضها فى مصر . انظر معجم البلدان ٤/١٢٦ .

(٢) فى ا : « يثنينى الهوى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .
وهويته : مقصده .

(٣) فى الأصول : « عليـه بعلات الغوانى » ، والمثبت فى السلافة .

(٤) تأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ٢٩٦ .
والأبيات فى سلافة العصر ٢٤١ .

فراجعه بقوله[١] :

بنفسيَ مَن قد حاز لَوْنَ الدُّجى فَرْعَا ... ولم يَكْفِه حتى تقمَّصه دِرْعَا
بَدَا فكأن البدرَ فى جُنْحِ ليلِه ... تعلَّم منه كيف يصْدعُه صَدْعَا
نَمَتْه لنا عَشْرُ المُحرَّم جَهْرةً ... يُطارِحُ أتْرابًا تكنَّفْنه سَبْعَا
تبدَّى على رُزْء الحسينِ مُسوَّداً ... ومازال يولى فى الهوى كَرْبَلا مَنْعا[٢]
وقد سَلَّ من جَفْنيه عَضْبًا مُهنَّداً ... كأنَّ له فى كلِّ جارحةٍ وَقْعَا
هناك رأيتُ الموتَ تَنْدَى صِفاحُه ... وناعِى الأسى يَنْعَى وأهلُ الهوى صَرْعَى

* * *

وكتب إليه ابنُ معصوم فى لابس أسود مُسْتجيزاً فى عَشْر المُحرَّم[٣] :

لا تَقُلِ البدرُ لاح فى الغَسَقِ ... هذا سوادُ القلوبِ والحَدَقِ
إنسانُ عينى بدَا بأسْودِها ... فعادَ لى إذْ رَمَقْتُه رَمَقِى[٤]
يا لابساً للسَّوادِ طِيبَ شَذاً ... ما المِسْكُ إلّا من نَشْرِك العَبِقِ[٥]
لبِسْتَ لَوْنَ الدُّجى فسرَّ وقدْ ... أغرْتَ ضوءَ الصباحِ فى الأُفُقِ[٦]
حتى بدا وهْو فيه مُنْفَلِقٌ ... يشُقُّ ثوبَ الظلامِ عن حَنَقِ[٧]

* * *

فأجازه بقوله[٨] :

رُوحِى فِدَا مَن أعاد لى رَمَقِى ... لمَّا بَدَا كالهلالِ فى الشَّفَقِ[٩]

---

(١) سلافة العصر ٢٤١ .
(٢) يشير إلى مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما فى كربلاء . (٣) الأبيات فى سلافة العصر ٢٤٠، ٢٤١ .
(٤) فى ا : « إن رمقته » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٥) فى ا : « بيض شذا » ، وفى السلافة : « طبت شذا » ، والمثبت فى: ب ، ج . (٦) فى السلافة : « أمرت ضوء الصباح» .
(٧) فى السلافة : « حتى بدا فيه وهو . . . . . من حنق » . (٨) سلافة العصر ٢٤١ .
(٩) فى ب : « من أعاد لى رمق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

يهتزُّ كالغُصْنِ في غَــلائلِه ويرشُــق القلبَ منه بالرَّشَقِ
قلتُ له مُذْ بدَا يُعــاتبني ويمزُج الهزْلَ منــه بالحَنَقِ
لو أنصَفَ الدهرُ يا شِفَا سَقَمِي ما بِتُّ أرْعَى النجومَ من أرَقِ[1]
لكن عسَى عَطفةٌ تُسَرُّ بهــا فيها سرورُ القلبِ والحَدَقِ[2]

* * *

ومن شعره في النَّسيب قولُه[3]:

للهِ دَرُّ ظِبــاءِ المنْدِكم تركتْ من ماجدٍ دَنِفِ الأحشاءِ مُضْطَرِمِ
نَواعِسٌ كلَّمــا فوّقْنَ أسْهُمَها تركْنَ أُسْدَ الشَّرَى لحماً على وَضَمِ[4]

* * *

وقوله[5]:

قلتُ لمَّا بدَا يميسُ بقَــدٍّ جَلَّ مَن صاغ حُسْنَه وتَبارَكْ
عَمِّرِ الوقتَ بالرَّجا أو بوَصْلٍ عَمَّر اللهُ يا حبيبي دِيــارَكْ

* * *

وقوله[5]:

لقد صــار لي مَدْمعٌ بعدَكمْ يفيضُ على وَجْنتِي كالعَقِيقْ
لِتَذْكارِ أيّامِنــا بالحِمَى وتلكَ الليالِي بوادِي العَقِيق[6]

*

---

(١) في ب : « ما شفا سقمي » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة .
(٢) في السلافة : « فيها سرور القلوب » . (٣) البيتان في سلافة العصر ٢٤١ .
(٤) الوضم : الخشبة التي يقطع عليها اللحم . (٥) البيتان في سلافة العصر ٢٤٢ .
(٦) في الأصول : « لقد كان أيامنا بالحمى » ، والمثبت في السلافة .

٢٨٩

أحمد بن الفضل باكثير *

الفضلُ والدُه ، وبه تَمّ له طارِفُ المجد وتالِدُه .

فمقدارُه فى النباهة جليل ، ومثلُ باكثير فى الناس قليل .

جَيِّدُ النثر والنِّظام ، كثيرُ الارْتباط فى سِلْكه والانتِظام .

وله قَرِيحةٌ سَيَّالة ، وطبيعةفى الافْتنان مَيَّالة .

* * *

وشِعْره بعيدٌ عن الـكُلَف ، نَقِيٌّ من النمش والـكَلَف .

فمنه قولُه مُصدِّراً ومُعجِّزاً قصيدةَ المُتنبِّى[١] ، يمدح بها السيد علىّ بن بركات الشريف الحسَنِىّ[٢] :

حُشاشةُ نفسٍ وَدَّعتْ يوم وَدَّعُوا وقلبٌ لأظْعانِ الأحِبَّةِ يَتْبَعُ[٣]

وصبرٌ نَوَى التَّرْحالَ يومَ رحيلِهم فلم أدْرِ أىَّ الظاعِنَيْنِ أُشَيِّعُ[٤]

أشارُوا بتسليمٍ فجُدْنا بأنفُسٍ تسيلُ مع الأنفاسِ لَمَّا ترَفَّعُوا

(*) أحمد بن الفضل بن محمد باكثير المكى الشافعى .

أديب فاضل ، له فى العلوم الفلكية وعلم الأوفاق والزايرجا يد عالية .

ومن مؤلفاته « حسن المآل فى مناقب الآل » .

توفى سنة سبع وأربعين وألف ، بمكة ، ودفن بالمعلاة .

خلاصة الأثر ١/٢٧١ ـ ٢٧٣ ، سلافة العصر ٢٠٤ ـ ٢١٣ .

(١) ديوان أبى الطيب ٢٢ ـ ٢٦ . (٢) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١/٢٧٢ ، ٢٧٣ ، سلافة العصر ٢١٠ ـ ٢١٣ . (٣) فى خلاصة الأثر : « وقلب لأظعان الأحبة اتبعوا » .

(٤) فى السلافة : « أى الظاعنين أودع » ، وهو مختلف عما فى ديوان أبى الطيب .

وساروا فظلّتْ فى الخدودِ عيونُنا   تسيلُ من الآماقِ والإسمُ أدْمُعُ (١)
حَشاىَ على جمرٍ ذَكِىّ من الهوى   وصَدْرِىَ مُذْ بانُوا عن الصبرِ بَلْقَعُ
وقلبى لَدَى التَّوْديعِ فى حَزْنِ حُزْنِه   وعَيْناى فى روضٍ من الْحُسْنِ تَرْتَع (٢)
ولو حُمِّلتْ صُمُّ الجبالِ الذى بنا   من الوجدِ والتَّبْريحِ كانت تضعْضَعُ
وأكبادُنا من لَوْعةِ البَيْنِ والنَّوَى   غَداةَ افترقْنا أوْشَكَتْ تتصدعُ
بما بيْن جَنْبَىَّ التى خاضَ طَيفُها   دموعِى فَوافَى بالتَّواصُلِ يطمعُ
تخيَّل لى فى غَفْوةٍ وجَّهتْ بهـــا   إلىَّ الدَّياجِى والخَليُّون هُجَّعُ (٣)
أتتْ زائراً ما خامَرَ الطِّيبُ ثوبَها   وخَمْرتُها من مِسْكِ دارِينَ أضْوَعُ (٤)
فقَبَّلتُ إعْظاماً لها فضـــلَ ذَيْلِها   وكالمِسْكِ من أرْدانِها يتضوَّعُ
فشَرَّد إعْظامى لهـــا ما أتَى بها   وفارقْتُ نَوْمِى والحشَا يتقطَّعُ
وبِتُّ على جمرِ الغَضا لفِراقِها   من النومِ والْتاعَ الفؤادُ المُفجَّعُ (٥)
فياليلةً ما كانَ أطولَ بِتُّها   سَمِيرَ السُّها حِلْفَ الجوَى أتضرَّعُ (٦)
يُجرِّعنى كأسَ الأسى فَقْدُ طَيفِها   وسمُّ الأفاعِى عَذْبُ ما أتجرَّعُ
تذلَّلْ لها واخْضَعْ على القُرْبِ والنَّوَى   لعلَّكَ تحْظَى بالذى فيه تطمعُ
ولا تأْنَفَنْ من هَضْمِ نفسِك فى الهوى   فما عاشقٌ من لا يذِلُّ ويَخضَعُ
ولا ثَوْبُ مَجْدٍ غيرَ ثوبِ ابنِ أحمدٍ   علِىَّ الذى أضْحَى له الفخرُ أجْمَعُ (٧)

(١) فى خلاصة الأثر : « وسارت فظلت . . . والسم أدمع » ، والمثبت فى الأصول ، والسلافة ، وفى ديوان أبى الطيب أيضا : « والسم أدمع » ، وهو بكسر السين : الاسم . انظر شرح العكبرى للديوان ٢/٢٣٥ . (٢) فى ا : «فى حزن حزبه» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة. وفى السلافة : « من الحسن تدمع » ، وهو مختلف عما فى ديوان المتنبى . (٣) فى السلافة : « تخيل لى فى عفوة » . (٤) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند ، تقدم ذكرها .
(٥) فى خلاصة الأثر : « الفؤاد المولع » ، وهو مختلف عما فى ديوان أبى الطيب .
(٦) فى السلافة : « حاف الدجى » . (٧) عجز البيت فى خلاصة الأثر ، والسلافة :

* علِىّ بن بركاتٍ به الفخرُ أجمعُ *

وقصيدة المتنبى فى مدح على بن أحمد الخراسانى .

عليه ضَفَا بالمَكْرُماتِ ولم يَكُنْ　　على أحَدٍ إلَّا بلؤمٍ مُرَقَّعُ
وإنّ الذى حابَى جَديلةَ طَيِّء　　بحاتِمِهم وهْو الجوادُ المُمنَّعُ[١]
حَبَى بعَلِىٍّ آلَ طه فإنّه　　به اللهُ يُعْطِى مَن يشاء ويمنعُ
بذِى كَرَمٍ ما مَرَّ يومٌ وشمسُه　　بغيرِ سَنًا منه تُضِئُ وتَسْطَعُ
ولا ليلةٌ تزْهُو به ونجومُها　　على رأسِ أوْفَى ذِمّةٍ منه تطْلُعُ[٢]
فأرْحامُ شِعْرٍ يتّصِلْنَ لَدُنّه　　فكم سِعْرُ شِعْرٍ فى مَعاليه يُرْفَعُ

ومنها فى الختام :

ألا كُلُّ سَمْحٍ غيرَكَ اليومَ باطِلٌ　　لأنك فَرْدٌ للكمالاتِ تجْمَعُ
وكلُّ ثناء فيك حَقٌّ وإن عَلَا　　وكلُّ مَديحٍ فى سِواكَ مُضَيَّعُ[٣]

***

واتَّفق له أنه سمع وهو محتضر رجلاً ينادى على فاكهة : « وَدِّعوا مَن دنا رحيلُه » فقال بَديهاً[٤] :

يا صاحِ دَاعِى المَنونِ وَافَى　　وحَلَّ فى حَيِّنا نزُولُهْ
وها أنا قد رَحلْتُ عنكم　　فودعوا مَن دَنَا رَحِيلُهْ

٭

(١) فى السلافة : « جديلة طيهم » ، وهو مختلف عما فى ديوان أبى الطيب .　(٢) فى الأصول : على رأس أوفى دمنة تطلع » ، والمثبت فى : السلافة ، وديوان أبى الطيب .
ولم يرد هذا البيت والذى يليه فى خلاصة الأثر .
(٣) فى السلافة : « حق وإن غلا » .　(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٢٧٣ .

٢٩٠

محمد بن سعيد باقشير*

وَحِيدُ نَسْجِه رَوِيّةً وإسْراعا ، ونَسِيج وَحْدِهِ ابتِكارا واختراعا .
بهرَ بمحاسِنِه التمائم ، قبلَ أن تُوضَع على رأسِه العَمائم .
فانجلَتْ به النَّواظِرُ وقرَّتْ ، وابتسمتْ به ثُغورُ الأمانى وافترَّتْ .
وقد سلك فى الشِّعر مسلَكا سهلا ، فقالت له غرائبُه مرحباً وأهلا .
فلبَّس(١) الشعر حِلْيةَ الحلاوة ، ووشَّاه برَوْنَق الرِّقَّة وطَلِّ الطَّلاوة .

* * *

وقد أوردتُ له ما يُطلِع بدره فى تِمِّه ، ويُرقِص زهرَه فى كِمِّه .
فمنه قوله ، من قصيدة فى الغزل(٢) :

أَلآلٍ ما أرى أم حَبَبُ ... أم أقاحٍ لا ولكن شَنَبُ(٣)
حُرِّمتْ وهْى حَلالٌ قد جرَى ... فى خلالِ الطَّلْع منها الضَّرَبُ(٤)
ما ورَى بارقُ ذَيَّاكَ اللَّمَى ... أن لى قلباً بها يلْتهِبُ(٥)
دَعْ لِما قد نقَل الرَّاوى لنا ... عن لَماه ما رَوتْه الكُتبُ
آهِ ما أعذبه من مَبْسَمٍ ... وهْو لو جاد به لى أعذَبُ

(*) محمد بن سعيد باقشير المكى .
أديب ، شاعر ، كثير النوادر والتحف .
صاحب قريحة وقادة ، لم يتكلف لها نحوا ولا عروضا .
توفى بمكة ، سنة سبع وسبعين وألف .
خلاصة الأثر ٣/٤٦٩ ـ ٤٧٢ ، سلافة العصر ٢١٨ ـ ٢٢٧ .

(١) فى ج : « فكسى » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٢) القصيدة فى سلافة العصر ٢٢٥ .
(٣) الشنب : بياض الأسنان وحسنها .
(٤) الضرب : العسل الأبيض الغليظ .
(٥) فى ب ، والسلافة : « به يلتهب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ليت لو أنَّ مَنالًا منه لى غير أن البرقَ منه خُلَّبُ

جُؤذُرٌ يرْنو بعينَىْ أغيَدٍ مِن مَهَا الرملِ أغَنٌّ أخلَبُ[1]

ومُحيًّا كَاف الْحُسْنُ به فغَــدا يُنشِد أين المَذْهَبُ

هزَّ عِطفَيه فلم يَدْرِ النَّقا أقنــاةٌ هزّه أم قُضُبُ[2]

رَقَّ فاسْتعبد أرْبابَ الهوى فله فى كلِّ قلبٍ مَلْعَبُ

يا لها من نِعمةٍ فى ضِمْنِها مَهْلَكٌ هان وعَزَّ المَطْلَبُ

* * *

وقوله ، من قصيدة يمدح بها السيد أحمد بن مسعود[3] ، أولها[4] :

عَلِقًا أظنُّكَ بالــكَعابِ الرُّودِ أمْ والِهًا بهوَى الظِّباءِ الغِيدِ[5]

أسْبلْنَ أمثــلةَ الغُدافِ غَدائرًا سُوداءَ تطولُ على الليالِى السُّودِ[6]

وسفَرْنَ عمَّا لو لَطَمْنَ بمثــلِه خَدَّ الظــلامِ لَمَا بدا بالبِيدِ

بِيضٌ يُرنِّحهنّ رَيْعانُ الصِّبا تِيهًا كخُوطِ البانةِ الأُمْلُودِ[7]

عذَر العَذُول على الهوى فيها وقد غنَّتْ لنا بين اللِّوى وزَرُودِ[8]

فطفِقْتُ أُنشِده على تأنِيبِه أرأيتَ أىَّ سَوالفٍ وخُدودِ

---

(١) فى ب ، ج ، والسلافة : « أغن أغلب » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى السلافة : « أقنا ما هزه » . (٣) تقدمت ترجمته ، برقم ٢٦٨ .

(٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٦٩ ، سلافة العصر ٢١٨ (٥) فى السلافة : «بالظباء الرود» .

والرود : الشابة الحسنة .

(٦) الغداف : غراب القيظ .

وفى الخلاصة : « سودا تطل » .

(٧) فى السلافة : « ريحان الصبا » .

والأملود : الناعم .

(٨) فى الأصول : « غنت لنا » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

وزرود : رمل بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان ٢/٩٢٨ .

تَرِبتْ يدُ اللُّوَّامِ كم ٱلْطَتْ حَشاً ... دَنِفٍ بألْهوبٍ من التَّفْنيدِ
أو ما دَرَوْا أن الجمالَ حَبائلٌ ... ما إن يُصاد بهنَّ غيرُ الصِّيدِ
ولرُبَّ مُخْطَفةِ الحشا بَهْنانةِ الْ ... مَتْنَيْنِ مُفْعَمةِ الإزارِ خَرُودِ[1]
ترْنُو فتحسب أمَّ خِشْفٍ تارَها الْ ... مِقْناصُ عن خَضْلِ الكَلَا مَخْضُودِ[2]
لله أحْداقُ الحسانِ وفعلُها ... فى قلبِ كلِّ مُتيَّمٍ مَعْمودِ
ألْحقْتَنِي البُرَحاء لكنِّى امْرُؤٌ ... وَزَرِى برُكْنٍ فى الملوكِ شَديدِ[3]

* * *

وكتب إليه ، يصف أمَةً له سوداء مُداعبا[4] :

أبَتْ صرُوفُ القضا المَحْتومِ والقدرِ ... إلّا إشابةَ صَفْوِ العيْشِ بالكَدَرِ
وإنَّ مِن نَكَدِ الأيامِ أن قَرُبَتْ ... دارُ الحبيبِ ولكن شَطَّ عن نَظَرِى
بِى من سَطَا البَيْنِ ما لو بالجبالِ غدتْ ... عِهْناً وبالسبعةِ الأفْلاكِ لم تَدُرِ[5]
نوَى الأحِبَّة والشوقُ الشديدُ ولى ... جَوًى تُجدِّدُه مهما انقضَى فِكَرِى
وزادنى الدهرُ همًّا لا يُعادِلُه ... هَمٌّ بسمراء ألْهتْنى عن السَّمرِ
زَنْجيةٌ من بنات الزَّنْجِ تحسبُها ... حَظِّى تجسَّم جُثْمانا من البشرِ
كأن قامتَها ليلِى ومِنْخَرَها ... ذيلِى فيالَكَ من طول ومن قِصَرِ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « منعمة الإزار حرود » .
والبهنانة المتنين : اللينة . والخرود : البكر لم تمس .
(٢) فى خلاصة الأثر : « ثارها القناص » .
والخضل : الندى المبتل .
(٣) الوزر : الملجأ . (٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٦٩ ، ٤٧٠ ، سلافة العصر ٢١٩
(٥) العهن : الصوف المصبوغ ألوانا . وهو ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ . سورة القارعة ٥ .

لها يدٌ أُلِفَتْ خَطْفَ الكسارِ ولو ... باتتْ تَحُوطُ بالهنــديةِ البُتُرِ [١]

تسطو على القِرْنِ سَطْوَى غيرِ ذى جُبُنٍ ... لو أنه بين نابِ الليثِ والظُّفُرِ

كم غادرتْنِيَ من جــوعٍ ومن سَغَبٍ ... حُزْنا أُعَضُّ بَنانَ النــادمِ الحصِرِ

ورُبَّ يومٍ غــدا مَوْتى يُجرِّعنى ... كاساتِه فيه حتى عِيلَ مُصْطَبَرِى [٢]

أَرُوضُها تارةً عَتْباً وأَزْجــرُها ... طَوْراً فلم يُجْدِ تأنيبى ومُزْدَجَرِى

وربما أفحمتْنِى القــولَ قائلةً ... وليس كلُّ مَقالٍ بالجوابِ حَرِى

تخشى الرَّدَى وبُنودُ المجــدِ خافقةٌ ... على ابنِ مسعودٍ فَرْعِ الفرعِ من مُضَرِ [٣]

* * *

وله من قصيدة [٤] :

بذى العلَمَيْن من شَرْقِىّ حاجِرْ ... تَوَقَّ أخا الغرامِ ظُبا المَحاجِرْ

فكم برُبَاه من صَبٍّ عَمِيــدٍ ... لسائلِ دمعِــه الثَّجَّاجِ ناهِرْ

به السُّودُ التى فى السُّودِ منهــا ... فِعالُ السُّمْرِ والبِيضِ البَواتِرْ

فأىُّ حَشًا يمرُّ به خَلِيًّا ... وقد رمقتْــه هاتيك الجآذِرْ

به البِيضُ الرَّعابيبُ السَّوافِرْ ... وآسادٌ بفَدْفَدِه قَساوِرْ [٥]

لَعَمْرُك ماسيوفُ الهنــدِ يوماً ... بأمْضَى من بواترِها الفَواتِرْ

عيونٌ ما مَنَحْنَ السُّقْمَ إلَّا ... لقَدِّ القلبِ أو شَقِّ المَرائِرْ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « حطب الكسار » .
والبتر : القاطعة .

(٢) فى الأصول ، والسلافة : « غدا موسى يجرعنى » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٣) الفرع من كل شىء : أعلاه . (٤) القصيدة فى سلافة العصر ٢٢٤ ، وذكر ابن معصوم أنه أصلح بعض أبياتها .

(٥) الرعبوبة : البيضاء الحسنة .
وفى الأصول : « وآساد بقسورة قساور » ، والمثبت فى السلافة .
والفدفد : الفلاة .

مَرِضْنَ ومامَرِضْنَ سُدًى ولكنْ ... لِسَلْبِ قلوبِ أربابِ البَصائرْ
بِأُمِّى ثم بي وأبي رَبيبٌ ... غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحولُ النَّواظِرْ
نَحيلُ الخصْرِ عَبْلُ الرِّدْفِ أَحْوَى ... أَزَجُّ الحاجبيْن أغرُّ نافِرْ (١)
يَميلُ بِمِثْلِ غُصْنِ البانِ لَدْنٍ ... تُرَنِّحه الصَّبا والغُصنُ ثامِرْ
ويُسْفِرُ عن مُحيًّا لو رآه ... صَباحاً ذو الهِدايةِ ضَلَّ حائرْ
ويبْسِم عن شَهِيِّ الظَّلْمِ عَذْبٍ ... تَرَقْرَق فيه سَلْسالُ الجواهِرْ (٢)
جَفَا جَفْنِي الكَرَى مُذ بان عَنِّى ... فجَفْنِي مُذْ نأَى ساهٍ وساهِرْ

* * *

وقال على مُصطلَح أرباب الحال ، وهى قصيدة غريبة (٣) :

ربَّما عاكفٍ على الخنْدَرِيسِ ... رَافِلٍ فى مَلابس التَّلْبيسِ (٤)
جَهْبَذٍ يملأ الدفاترَ عِلْماً ... لم يُنَلْ بالتَّقْريرِ والتَّدْريسِ (٥)
أيَّما خُطَّةٍ أردْتَ تَجِدْه ... قَهْرمانَ المَعقولِ والمَحْسوسِ
يملأ السابقين من عَهْدِ طَسْمٍ ... ويُفيدُ الطلاَّبَ عصرَ جَدِيسِ (٦)
علَمٌ لم يكن على رأسه نَا ... رٌ ولكنْ كالنورِ فى الحِنْدُوسِ
ماشياً عُمْرَه على نَهْجِ الصِّدْ ... قِ على مابه من التَّدْلِيسِ
دُغَةٌ مَرَّةً وآونةً قُسٌّ ... وطَوْرا يُمْلِيك عن إبليسِ (٧)
وعليمٌ بطبِّ عِلَّةِ بُقْرا ... طَ ويهْزُو بجدِّ جَالِينُوسِ

---

(١) فى سلافة العصر : « أغر نافر » . (٢) الظلم، بفتح : الريق . (٣) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٧٠ ، ٤٧١ ، سلافة العصر ٢٢٢ ، ٢٢٣ . (٤) الخندريس : الخمر .

(٥) فى خلاصة الأثر : « لم ينل بالتقرير » . (٦) طسم وجديس ابنا لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، نزلوا اليمامة . انظر المعارف ٢٧ .

(٧) فى السلافة : « دعة مرة » ، وفى الأصول : « وآونة قشر » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة . ودغة : امرأة من عجل تحمق . القاموس (د غ و) .

ارْمِه حيثُ شئتَ تلْقَ أخَا النَّجْـ ـدَةِ من آدمٍ ومن إدريسِ

لعِب الحبُّ منـه بالجبَلِ الرَّا سِي وبالضَّيْغمِ الهَمُوسِ العَبُوسِ[1]

مِن هوَى رَبَّةِ الجمالِ ومَن قد لعبتْ مِن دَلالِها بالنفوسِ

والتى خيَّمتْ على كلِّ قلبٍ ورمَتْ كلَّ مُهجةٍ برَسِيسِ[2]

وأبَتْ أن ترَى بعينِ مُحِبٍّ قَطُّ إلّا فى صورةٍ ولَبُوسِ

لاح مِن نُورِها الأغَرِّ سَناهَا فترَاءَى فى نارِه للمَجُوسِ

قد بدَتْ للكليمِ ناراً ولـكنْ لا بحَصْرٍ ففاب بالتَّقْديسِ[3]

وغَدا المَانَوِىُّ منهـا على رَأْ ىٍ صحيحٍ لـكن بلا تأسيسِ[4]

والنَّصارَى ظلَّتْ على صُوَرٍ شَتَّى فضلَّتْ برأيِهـا المعكوسِ

قيَّـدُوا مُطلَقَ الجمالِ فباتُوا فى قيودِ الشَّمَّاسِ والقِسِّيسِ[5]

كيف مَن قيَّـدتْ تُقيَّد والإطْـ ـلاقُ قيدٌ والقيْدُ غيرُ مَقِيسِ

شأنُها فى حِبِّهـا قَتْلُها الأكْـ ـبادَ من رائسٍ ومن مَرْءُوسِ[6]

رُبَّ قلبٍ قد تاهَ فيهـا فلم يَدْ رِ حَسِيساً ولم يَمِلْ لِلْحَسِيسِ

ظَلَّ فيها فى جَحْفلٍ من سرورٍ وخَميسٍ يلْقَى الأسَى بخَميسِ[7]

كلّما أسفرَتْ له عن نِقابٍ وفَنِي فى فِنـائه المَأنُوسِ

أشرقتْ مِن وراءِ ذاك لمُغْنِيـ ـه بمَعْنَى حُسْنِ الجمالِ النَّفيسِ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « لعب الجد منه » ، وفى ا ، ج : « المهموس العوس » ، والمثبت فى ب ، الخلاصة ، والسلافة . (٢) الرسيس : ابتداء الحب . (٣) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « ففاز بالتقديس » . (٤) المانوية أتباع مانى ، لمى كان يقول بأن للعالم أصلان هما النور والظلمة ، هما أزليان ، وكان ظهور مانى فى زمان سابور بن أردشير الملك الفارسى . انظر الأخبار الطوال ٤٧ ، الملل والنحل ٢/٧٢ . (٥) الشماس فى الرتبه دون القسيس .

(٦) فى ج : « شأنها فى حبها قتلها الأكباد » ، وفى الخلاصة : « شأنها فى محبها » ، وفى السلافة : شأنها من حبها » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٧) الخميس : الجيش .

فطوَى كَشْحَه على غُصَصِ الوَجْـ ـدِ تُقًى بين طامعٍ ويَؤُوسِ

***

ذكرتُ [١] مطلع هذه القصيدة ، ماحكاه البهاء الحارثيّ فى « كشكوله » [٢] ،
وهو أن تاجراً من تُجَّار نَيْسابور ، أودع جاريتَه عند الشيخ أبى عثمان الحِيرِىّ [٣] ،
فوقع نظرُ الشيخ عليها ، فعشِقها ، وشُغِف بها ، فكتب إلى شيخه أبى حفص الحدّاد
بالحال ، فأجابه بالأمر بالسفر إلى الرَّىّ ؛ لصُحْبة [٤] الشيخ يوسف .

فلما وصل إلى الرَّىّ ، وسأل الناسَ عن منزل الشيخ يوسف ، أكثروا من مَلامتِه
وقالوا : كيف يسألُ تقِيٌّ مِثلك عن [٥] بيت فاسق [٥] ؟

فرجَع إلى نَيْسابور ، وقصّ على شيخه القصةَ ، فأمره بالعَوْد إلى الرَّىّ ، ومُلاقاةِ
الشيخ يوسف المذكور .

فسافر مرّةً ثانية إلى الرَّىّ ، وسأل عن منزل الشيخ يوسف ، ولم يُبالِ بذَمِّ
الناس له وازْدرائِهم به .

فقيل له : إنه فى محلّة الخمَّارة .

فأتَى إليه ، وسلّم عليه ، فرَدَّ عليه السلام ، وعظَّمه .

ورأى إلى جانبه صَبِيًّا [٦] بارعَ الجمال ، وإلى جانبه الآخر زجاجةً مموَّهةً من شىء
كأنه الخمر بعيْنِه [٧] .

فقال له الشيخ أبو عثمان : ماهذا المنزِلُ فى هذه المحلّة ؟

فقال : إن ظالما شَرَى [٨] بيوتَ أصحابى ، وصيَّرها خمّارة ، ولم يحتجْ إلى بيْتى .

---

(١) هذا قول ابن معصوم فى السلافة ، والمؤلف ينقل عنه فى : الخلاصة ، والنفحة .

(٢) الكشكول ١/١٥٧ .

(٣) فى الخلاصة : «الحميرى» . (٤) فى الكشكول : «إلى صحبة» . (٥) فى الكشكول « بيت شقى فاسق » ، وفى الخلاصة بعد هذا زيادة «مثله» ، وفى السلافة : « بيت دسق شقى مثله »

(٦) فى السلافة : « غلاما » ، وعبارة الكشكول : « وكان إلى جانبه صبى . . » .

(٧) فى الكشكول : «بعينها» . (٨) فى السلافة : « اشترى » ، و« تشرى الشىء يجىء باعه وابتاعه

فقال : ماهذا الغلام ، وما هذه الجرّ ؟

فقال : أما الغلامُ فولدى من صُلْبى ، وأما الزجاجةُ فخَلّ .

فقال : ولِمَ تُوقِع نفسك فى مَحَلّ [١] التُّهْمة بين الناس ؟

فقال : لئلاّ يعتقدوا أنى ثِقةٌ [٢] ، فيستودعونى جواريَهم ، فأُبْتَلى بحِبِّهنّ .

فبكى أبو عثمان بكاء شديدا ، وعلم قَصْدَ شيْخه .

انتهى .

* * *

وبهذه الحكاية يظهر مَغْزَى [٣] صَدْرِ هذه القصيدة ، ويحصُل الجمعُ بين ما فى ظاهِرِها من المدح والقَدْح [٤] .

والله أعلم .

* * *

رجع .

ومن شعر باقشير ، وهو مختار من قصيدة له [٥] :

أتَعذِلُ فى لَمْياء والعُـــذْرُ أَلْيَقُ	تعشَّقْتُهـــا جهلاً وذو اللُّبِّ يعشَقُ
ولا عيشَ إلّا ما الصَّبـــابةُ شَطْرُه	وصوتُ المَثانِى والسُّلافُ المُعتَّقُ
وجَوْبُك أجْـــوازَ المَوامِى مُشمِّراً	إلى المجدِ يطْوِيها عُذافِرُ مُعْنِقُ [٦]
وأن تَتهاداكَ النَّعـــائمُ مُعلَماً	تُضِلُّك أو تَهْدِيك بيْداءُ سَمْلَقُ [٧]

---

(١) فى الكشكول ، والخلاصة ، والسلافة : « مقام » . (٢) فى الكشكول ، والخلاصة ، والسلافة بعد هذا زيادة : « أمين » . (٣) فى السلافة : «معنى» . (٤) فى السلافة بعد هذا زيادة : « وإنما نبهت على ذلك ؛ لأنى سئلت مرة عن معنى ذلك ، فخطر لى هذا الجواب ، والله الملهم للصواب » .

(٥) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٧١ ، ٤٧٢ ، سلافة العصر ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٦) الموامى : جمع الموماة ، وهى الفلاة الواسعة . والعذافر : العظيم الشديد من الإبل . ومعنق : مجد فى سيره .

(٧) فى السلافة : « وأن تتهاداك التنائق » .

والنعائم : من منازل القمر . والسملق : القاع المنصف .

وأن تَرِدَ الماءَ الذى شَطْرُه دَمٌ … فتسقَى برأي ابنِ الحُسَين وتُرْزَق (١)

وأسْوَغ مابَلّ اللّهَى بعدَ عَيْمةٍ … وأرْوَى من الماءِ الشَّرابُ المُروَّقُ (٢)

فدَعْ لَجَجَ التَّعْنيفِ وابكِ بذى اللِّوَى … دياراً كأنّهـا للتّقادُمِ مُهْرَقُ (٣)

أحالتْ مَغانِيها السّنون فأصبحتْ … قِوَى لهَرِيق الوَدْقِ والرِّيحِ مَخْرَقُ (٤)

وقفتُ بها والقلبُ بالوَجْدِ مُوثَقٌ … كُفِيتَ الرَّدَى والجَفْنُ بالدمعِ مُطْلَقُ

أُناشِدُها بَيْنُونةَ الحيِّ عن جَوًى … لقلبٍ إذا هَبَّ النَّسائمُ يخْفِقُ

شَجٍ تتصاباهُ الصَّبا وتُلوِّعُه الـ … جَنُوبُ ويشْجُوه الحَمامُ المُطَوَّقُ

إلى اللهِ أفعالَ الليالى بها وبى … لقد كنتُ منها دائمَ الدهرِ أفْرَقُ

فسِمْ سِمَةَ الصبرِ الجميلِ لعلّها … تُديلُ فإنْ لم تُغْنِ فالصبرُ أخْلَقُ (٥)

فلو سلِمتْ من حادثِ الدهرِ دِمْنَةٌ … تَمطَّى على هامِ الدهورِ الخَوَرْنَقُ

* * *

ومن محاسنه، قوله فى زَيّات بديعِ الجمال، وقد أجاد فى التورية (٦) :

أَفْدِيه زَيَّاتاً رَنَا وانْثَنَى … كالبدرِ كالشّادنِ كالسَّمْهَرِى

أحسنُ ما تُبْصِرُ بدرَ الدجى … يلعبُ بالمِيزانِ والمُشْتَرِى

* * *

وقوله (٧) :

كيف التخلُّصُ من حُبِّ المِلاحِ وقد … تبادرتْ لقِتالِى أعْيُنٌ سَحَرَهْ

تغزُو لَواحِظُها فى العاشقين كما … تغزُو جيوشُ بنى عثمانَ فى الكَفَرَهْ

☆

(١) فى السلافة : « فتسقى برأى » .

(٢) فى الخلاصة : « وأسوغ ما بل النهى » ، وفى السلافة : « بعد غيمة » .

والعيمة : شدة الشهوة إلى اللبن .

(٣) المهرق : الصحراء الملساء . (٤) القوى : مقصور القواء ، وهو قفر الأرض . والمخرق ، كمقعد : الفلاة . (٥) فى السلافة : « تديل فإن » . (٦) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٤٧٢ ، سلافة العصر ٢٢٦ . (٧) البيتان فى سلافة العصر ٢٢٧ .

٢٩١

أحمد بن محمد على الجَوْهَرِى*

جوهرٌ استخْرَجَتْه أفكارُ الليالى من بحورِها ، والتقَطَتْه أبكارُ المعالى لنُحورِها .
له ذاتٌ تخلَّصتْ من الكِبْر ، وخلُصت من الخُيَلاء خُلوصَ التِّبْر .
وأما أشعارُه فكلُّها قِطَعٌ من خالصِ الجُمان ، قلّد بها صدورَ الأيام وشنَّف آذانَ الزمان .

فإذا حدَّثتَ عن آثار قلمِه ، فارْوِ الصِّحاحَ عن جَوْهَرِىِّ كَلِمِه .

* * *

وقد جئتُك من كلماتِه بأنفَسِ نَفِيس ، فلا تذكرِ الدُّرَّ بعدها إن كنت ممّن يَقِيس .
فمن ذلك قوله[1] :

ما شِمْتُ بَرْقاً سَرَى فى جُنْحِ مُعْتكِرِ ... إلّا تذكّرتُ بَرْقَ المَبْسِمِ العَطِرِ[2]
ولا صَبَوْتُ إلى خِلٍّ أسامِرُه ... إلّا بكيتُ زمانَ اللهوِ والسَّمَرِ
شَلَّتْ يدٌ للنَّوَى ما كان ضائرَها ... لو غادرَتْنا نُقضِّى العيشَ بالوَطَرِ[3]
فى خِلْسةٍ من ليالى الوصلِ مُسْرِعةٍ ... كأنما هى بين الوَهْنِ والسَّحَرِ[4]
لا نَرْقُبُ النجمَ من فَقْد النَّدِيمِ ولا ... نستعجلُ الخطْوَ من خوفٍ ومن حَذَرِ[5]

(*) أحمد بن محمد بن على الجوهرى المكى .
أديب بارع ، وشاعر مجيد .
ولد فى مكة ، ونشأ بها ، ثم رحل إلى الهند فى عنفوان عمره ، ومكث بها خمسا وعشرين سنة ، ثم عاد إلى مكة ، فأنكر تقلب أمورها ، فانتقل منها إلى فارس .
وتوفى بالهند ، سنة تسع وستين وألف .
حديقة الأفراح ٤٣ ، ٤٤ ، خلاصة الأثر ١ / ٣٢٧ — ٣٣١ ، وفيه « محمد بن على » ، سلافة العصر ١٩٢ — ٢٠٤ .

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١/ ٣٢٨ ، سلافة العصر ٢٠٠ . (٢) فى الأصول : « برقاجرى » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة . (٣) فى ا : « تقضى الليل بالوطر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٤) الوهن : منتصف الليل أو بعده بقليل . (٥) فى خلاصة الأثر : « من خوف ولا حذر » .

وأهْيَفُ القَـــدِّ ساقِينا بِرَاحتِه ... كأنه صنمٌ فى هيكلِ البَشَرِ
مُنَعَّمين وشَمْلُ الأُنْسِ منتظِمٌ ... يربُو على نَظْمِ عِقْدٍ فاخرِ الدُّرَرِ
فما انْتهيْنا لأمرٍ قد ألَمَّ بنـــا ... إلاَّ وبُدِّل ذاكَ الصَّفْوُ بالـكَدَرِ
لا دَرَّ دَرُّ زمانٍ راح مُخْتلِسًا ... من بينِنا قمَرًا ناهِيك من قمَرِ
غزالُ إنْسٍ تحلّى فى حُلَى بَشَرٍ ... وبدرُ حُسْنٍ تجلّى فى دُجَى شَعَرِ
وغُصْنُ بانٍ تثنَّى فى نَقًا كَفَلٍ ... لا غصنُ بانٍ تثنَّى فى نَقَا مَدَرِ[1]
كأنَّ لَيْلِي نهـــارٌ بعـد فُرْقتِه ... مِمّا أقاسِى به من شدَّةِ السَّهَرِ[2]
يا ليت شِعْرِىَ هل حالتْ محاسنُه ... وهل تغيَّر ما باللَّحْظِ من حَوَرِ
فإن تـكنْ فى جِنانِ الخُلْدِ مُبْتهِجًا ... فاذْكُرْ مُعَنَّى الأمانِى ضائعَ النَّظَرِ[3]
وإن تأنَّسْتَ بالحُورِ الحسانِ فلا ... تَنْسَ الليالِى التى مَرَّتْ مع القِصَرِ

* * *

وقوله[4]:

كيف أسْلُو مَن مُهْجتِى فى يديْهِ ... وفؤادى وإن رحَلتُ لديْهِ
إن طلبتُ الشِّفاءَ من شفتيْهِ ... جادَ لى بالسَّقامِ من جَفْنيْهِ
إنَّ حِلْفَ السُّهادِ عينٌ رأتْهُ ... وجنَتْ وَرْدَ جَنَّتَىْ خدَّيْهِ[5]
كلمـــا رُمْتُ سَلْوةً قال قلبى ... لا تلُمْنِى على العـكوفِ عليْهِ[6]
لستُ وحدِى مُتيَّمًا فى هَواهُ ... كلُّ أهلِ الغرامِ تصْبُوا إليْهِ

* * *

(١) فى خلاصة الأثر: «لا غصن بان تثنى فى نقا المدر». (٢) و السلافة: «كأن ليلى نهارى».
(٣) فى السلافة: «بجنان الخلد . . . ضائع الخطر». (٤) الأبيات فى: خلاصة الأثر ١/٣٢٨، سلافة العصر ٢٠٠، ٢٠١.
(٥) فى الأصول: «ورد وجنتى خديه»، والمثبت فى: الخلاصة، والسلافة.
(٦) فى السلافة: «لا تلمنى فى ذا العـكوف عليه».

وله مَقاطِيع ، سماها « لآلئ الجوهرى » ، منها قوله[١] :

كيف يرجو العِرْفانَ باللهِ مَن قد ... قيَّدتْه الذنوبُ طولَ حياتِهْ
لا لَعَمْرِى أم كيف يُشْرِقُ قلبٌ ... صُوَرُ الكائناتِ فى مِرْآتِهْ

* * *

وقوله[٢] :

إذا مضتِ الأوقاتُ من غيرِ طاعةٍ ... ولم تكُ مَحزوناً فذا أعظمُ الخَطْبِ[٣]
علامةُ مَوْتِ القلب أن لا ترَى به ... حَراكاً إلى تقْوَى ومَيْلًا عن الذنبِ[٤]

* * *

وقوله[٥] :

إن حُزْتَ عِلْماً فاتَّخِذْ حِرْفةً ... تصُون ماء الوجهِ لا يُبْذَلُ
ولا تُهِنْهُ أن تُرَى سائلًا ... فشأنُ أهلِ العلم أن يُسْئَلوا

* * *

وقوله[٦] :

جانبِ اللهوَ والبَطالةَ واحْذَرْ ... مِن هوَى النفسِ إن أردتَ السَّعادَهْ
واعبُدِ اللهَ ما استطعتَ بصدقٍ ... مَطْلَبُ العارفين صِدْقُ العبادَهْ

* * *

وقوله[٧] :

قُلْ للذى يبْتغِى دليــــلًا ... من غير طُولٍ على المُهَيْمِن

---

(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٢٨، ٣٢٩ ، سلافة المصر ٢٠١ . (٢) خلاصة الأثر ١/٣٢٩ ، لافة المصر ٢٠١ . (٣) فى خلاصة الأثر : « إذا انقضت الأوقات » .
(٤) فى السلافة : « حراكا إلى النقوى » . (٥) البيتات فى : خلاصة الأثر ١/٣٢٩ ، لافة المصر ٢٠١ . (٦) البيتان فى سلافة المصر ٢٠١ . (٧) خلاصة الأثر ١/٣٢٩ ، لافة المصر ٢٠٢ .

مَا ذَرَّةٌ فِى الوجودِ إلاَّ   فيها دليـــلٌ عليـــه بيِّنْ

* * *

وقوله فى الغزل[1] :

ولقـد سقتْنا البابِلِيَّةُ إذْ رأتْ   أنَّا نُحدِّثُها لِنَسْبُرَ حُسْنَهَا[2]
خَمْرًا أدارتْها العيونُ فأذْهبَتْ   مِنَّا العقولَ ولم تُفارِقْ دَنَّهَا[3]

* * *

وقوله[4] :

لَمَّا بدا البـــدرُ يَجْلُو   دُجَى الظلامِ وأسْفَرْ
ذكرتُ وجهَ حبيبى   والشىءُ بالشىءِ يُذْكَرْ

* * *

وقوله[4] :

وأسْمَحُ النـــاسِ كَفًّا   مَن لا يقولُ ويفعلْ
وأعْذَبُ الشِّعْرِ بيتٌ   يرْوِيه عَذْبُ المُقَبَّلْ

* * *

وقوله[5] :

لا تعذِلونِيَ فى وقتِ السَّماعِ إذا   طَرِبتُ وَجْدًا فخيرُ الناسِ مَن عَذَرَا
حتى الجمادُ إذا غنَّتْ له طَرَبٌ   أمَا ترى العودَ طَوْرًا يقطعُ الوَتَرَا

* * *

وقف بعضُ أدباء عصرِه[6] على هذين البيتين ، فكتب إليه مُقرِّظا :

---

(١) خلاصة الأثر ١/٣٢٩ ، سلافه العصر ٢٠٢   (٢) فى الخلاصة : « ونسبر حسنها » .
(٣) فى الخلاصة : « ولم تفارق دنها » .   (٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٢٩ ، سلافة العصر ٢٠٢ .   (٥) خلاصة الأثر ١/٣٢٩ ، سلافة العصر ٢٠٣ .   (٦) هو ابن معصوم صاحب السلافة . انظرها صفحة ٢٠٣ ، وخلاصة الأثر ١/٣٢٩ .

وصل البيتان بل القَصْران[١] فما ألفاظُهما إلا الدُّرُّ النَّظيم ، فلا وحقِّك لم يفز[٢] بمثلهما القَمَران[٣] لا الحديثُ ولا القديم .

فلله دَرُّك ، ما أحْفَلَ[٤] دَرَّك ، وأبْهَج فى أسْلاك المعانى دُرَّك .

ولقد خاطبتُ بمعناهما عند سَماعِهما مَن عذَل ، وطربتُ لحُسنِ سَبْكهما طَرَبَ مَن مَنَح عند نَشْوته سَبيكَ النُّضار وبَذَل .

بل طرِب لهما حتى الجماد ، ومن ذا الذى سمعهما وما ماد .

فالله تعالى يُبْقيك للأدب كهفا يُرجَع إليه ، وذُخْراً يُعوَّل عند اشْتباه الألفاظ والمعانى عليه .

وقد نظمتُ البارحةَ أبياتاً فى العُود ، أحببتُ أن تلاحظَها بمُلاحظتِك لها السُّعود .

وهى :

وعُودٌ به عُودُ المَسَرَّةِ مُورِقٌ ... يُغنِّى كما غَنَّتْ عليهِ الحمائمُ
إذا حرَّكَتْ أوتارَه كَفُّ غادَةٍ ... فسِيَّانِ من شوقٍ خَلِيٌّ وهائمُ[٥]
يُرَنِّحُ مَنْ يُصْغِى إليهِ صبابةً ... كما رَنَّحتْهُ فى الرِّياضِ النَّسائمُ

***

فراجَعه بقوله[٦] :

يامولاىَ الذى إن عُدَّ أربابُ المجد عُقِدَتْ عليه الخناصِر ، وإن ذُكِر أصحابُ الفضل فلا يُدانيه مُتقدِّم ولا مُعاصِر .

لو أمَدَّنى ابنُ العَميد وأضْرابُه ، والصاحبُ بنُ عَبَّادٍ وأصحابُه .

ما استطعتُ تقريظَ أبْياتِكَ الأبيَّات إلَّا منك ، المُمْتَنِعات إلا عنك .

فأنت فريدُ دهرِك ، ولا أقول فى هذا الفن ، ووحيدُ عَصْرِك ، وليس ذلك عن ظَنّ .

---

(١) فى الأصول : «القطران» ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .
(٢) فى السلافة : «يفه» .
(٣) فى ا : «العضران» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
(٤) فى السلافة : «أحقد» .
(٥) فى خلاصة الأثر : «فسيان فى شوق» .
(٦) خلاصة الأثر ١ / ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠٣ .

وقد دعتْنِى داعيةُ الأدب ، إلى أن أقول إن[1] العُود يفُوق آلاتِ الطَّرب .
فمدحتُه كما مدحتَه ، ووصفتُه كما وصفتَه .

وقلت :

فاق كلَّ الآلاتِ فى اللحْنِ عُودٌ حين تعْلُو أصواتُها وتَرِنُّ
فكأن الحَمام دهراً طويلًا علَّمتْهُ أَلحانَها وهْوَ غُصْنُ

***

قلتُ[2] وهذا من قول أبى الفضل[3] أحمد بن يوسف الطَّيِّبِىّ[4] :

من أين للعُود هذا الصوتُ تأخذُه أطْرافُهُ بأطَاريفِ الأناشيدِ[5]
أظُنُّ حينَ نشَا فى الدَّوْحِ علَّمه سَجْعُ الحمائمِ تَرْجيعَ الأغاريدِ

ومثله قولُ مُعاصرِه الصَّفِىّ الحِلِّىّ[6] :

وعُودٍ به عاد السرورُ لأنهُ حوَى اللهوَ قِدْمًا وهْوَ رَيَّانُ ناعمُ
يُغرِّبُ فى تَغْرِيدِه فكأنما يُعِيدُ لنا ما أَلَّفَتْهُ الحمائمُ[7]

ولبعضهم فيه[8] :

وعُودٍ له نوعانِ من لَذَّةِ المُنَى فبُورِكَ جانٍ يجْتَنِيه وغارسُ
تغنَّتْ عليه وهْوَ رَطْبٌ حمامةٌ وغنَّتْ عليه قَيْنةٌ وهْوَ يابسُ

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٢) هذا قول ابن معصوم انظر السلافة ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، وخلاصة الأثر ١/٣٣٠ . (٣) فى السلافة : « أبى الفضائل »
(٤) أحمد بن يوسف الطيبى شمس الدين ، كاتب الإنشاء بطرابلس .
ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، ولعانى الآداب ففاق فى النظم والنثر .
وتوفى بطرابلس ، سنة سبع عشرة وسبعمائة .
الدرر الكامنة ١/٣٦٣ — ٣٦٥ ، النجوم الزاهرة ٩/٢٤٠ .
والبيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٣٠ ، الدرر الكامنة ١/٣٦٥ ، سلافة العصر ٢٠٣ ، ٢٠٤
(٥) فى الدرر الكامنة ، والسلافة : «هذا الصوت تطربنا» . وفى ب : «أطرافه بأناشيدالأناشيد» وفى السلافة ، والدرر الكامنة : « ألحانه بأطاريف الأسانيد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .
(٦) البيتان ليسا فى ديوانه وهما فى : خلاصة الأثر ١/٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠٤ .
(٧) فى السلافة : « يعذب فى تغريده » ، وفى الخلاصة ، والسلافة : « ما اقتنه الحمائم » .
(٨) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠٤ .

وأصلُه قول الوزير المَغرِبىّ[١] :

وطُنْبُورٍ مَلِيحِ الشكلِ يحكى ... بنَغْمَتِهِ الصَّلِيبةِ عَنْدَلِيبَا

رَوَى لما دَرَى نَغَماً فصيحاً ... حَواها فى تقلُّبِهِ قَضِيبَا

كذا مَنْ عاشَرَ العلماء طِفْلاً ... يكون إذا نَشَا شَيْخًا أديبَا

* * *

ومن « لآليه » المذكورة قوله[٢] :

لا تجْهَلَنْ قَدْرًا لنفسِكَ إنّها ... عُلْوِيَّةٌ تَرْقَى لما هو شِبْهُهَا

والنفسُ كالمِرْآةِ يَصْقُلُهَا التُّقَى ... قَسْرًا ويُظْلِمُ بالمعاصى وَجْهُهَا[٣]

* * *

وقوله[٤] :

فى المَنْعِ والإعْطَاءِ كُنْ شاكِرًا ... واستقْبِلِ الكلَّ بوجهِ الرِّضَا[٥]

فالخيرُ للعــارفِ فيما جرَى ... ورُبَّ مَنْعٍ كان عينَ العَطا

* * *

وقوله[٦] :

إذا الْتبَسَ الأمرانِ فالخيرُ فى الذى ... تَرَاه إذا كلَّفْتَهَ النفسَ تَثْقُلُ

فجانِبْ هَواها واطَّرِحْ ما تُرِيدُه ... من اللهوِ واللَّذَّاتِ إن كنتَ تعقِلُ

* * *

---

(١) أبو القاسم الحسين بن على الوزير المغربى .

ولد بمصر ، وتنقل بين الشام وبغداد والموصل ، واستوزره مشرف الدولة البويهى ببغداد ، ثم ترك الوزارة ، واضطربت أحواله ، إلى أن توفى بميافارقين ، سنة ثمان عشرة وأربعمائة .

دمية القصر ١/٩٤ ، وانظر حاشيتها .

(٢) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠١ .

(٣) فى الأصول : « يصقلها الفتى » ، وفى الخلاصة : « يصقلها الغنى » ، والمثبت فى السلافة ، وفى الأصول : « ويظلم بالمعالى » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

(٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠١ .

(٥) فى خلاصة الأثر : « كن راضيا » .

(٦) خلاصة الأثر ١/٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠١ .

وهذا من قول الأحنف بن قيس[(١)] :

كفَى بالرجلِ رأياً إذا اجتمع عليه أمران ، فلم يدرِ أيّهما الصواب ، أن ينظر أعجبَهما إليه ، وأغلبَهما عليه ؛ فيحذَرَه .

وقريب منه قول أبى الفتح البُسْتِيّ[(٢)] :

وإنْ هَمَمْتَ بأمرٍ ولم تُطِقْ تخريجَهْ
فقِسْ قياساً صحيحاً واحكُمْ بضدِّ النتيجَهْ[(٣)]

* * *

ومن الحِكَم المَرْوِيّة عن أبى العلاء المَعَرّىّ :

الخيرُ كلّ الخير فيما أُكرِهت النفسُ الطبيعيّة عليه ، والشرُّ كلّ الشر فيما أَكْرَهتْك النفسُ الطبيعيّة عليه .

* * *

ومن مَقاطيعه فى الغزل قوله[(٤)] :

وظَبْيٍ نافرٍ ممّا أراهُ يَذِلُّ لحُسْنِه المَلِكُ المَهِيبُ[(٥)]
عرفتُ مِزاجَه فانْقادَ طَوْعاً ومَن عرَف المِزاجَ هو الطبيب

* * *

وقوله[(٦)] :

وأهْيَفٍ كالسيفِ ألْحاظُه وقَدُّه العَسّالُ كالسَّمْهَرِى[(٧)]

---

(١) هذا أيضا فى : خلاصة الأثر ١/ ٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠١ .

(٢) البيتان ليسا فى ديوانه وهما فى : خلاصة الأثر ١ / ٣٣٠ ، ٣٣١ ، سلافة العصر ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٣) فى الخلاصة : « وخذ بضد النتيجة » .

(٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ١ / ٣٣١ ، سلافة العصر ٢٠٢ .

(٥) فى السلافة : « مما رآه » .

(٦) خلاصة الأثر ١/ ٣٣١ ، سلافة العصر ٢٠٢

(٧) فى السلافة : « وقده المياس » .

أخجلـــنِي ثغرٌ له باسمٌ　　فاعجَب لثغرٍ يُخجِلُ الجوْهَرِى[1]

* * *

وقوله[2] :

قال عَــذُولِى إذْ رأَى أخَا الغــزالِ الأغْفَرِ
هــذا الذى مَبْسَمُه فتَّتَ قلب الجوْهَرِى

* * *

وقوله[3] :

جرَح اللَّحْظُ خالَ خَدِّ غُلامٍ　　فضَح البَان قَدُّه باعْتدالِهْ
فإذا ثار طاعِناً لفــؤادِى　　قال خُذْها من طالبٍ ثارَ خالِهْ

* * *

وقوله :

تذكَّرتُ إذْ جاء الحجيجُ بمكَّةٍ　　ونحن وقوفٌ ننظُر الرَّكْبَ مُحْرِمَا
فصِرْتُ بأرضِ الهندِ فى كل مَوْسمٍ　　يُجدِّد تَذْكارِى لقلبِىَ مأْتَمَا

* * *

وقوله :

ولو أنَّ أرضَ الهندِ فى الْحُسْنِ جنَّةٌ　　وسُكَّانَها حُورٌ وأمْلِكُها وَحْدِى[4]
لَما قِسْتُها يوماً ببَطْحاء مــكةٍ　　ولا اخترتُ عن سُعْدَى بديلاً هوَى هندِ

* * *

وقوله[5] :

وقالوا بالْمَخَا خــيرٌ كثيرٌ　　فقلتُ صدقتمُ وبها الأمانُ[6]

---

(١) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « مخجل الجوهرى » .　(٢) خلاصة الأثر ١/٣٣١ ، سلافةالعصر ٢٠٢ .　(٣) البيتان فى : حديقةالأفراح ٤٤ ، خلاصةالأثر ١/٣٣١ ، سلافةالعصر ٢٠٢ .

(٤) فى ا : « أهل الهند » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والحديقة ، والخلاصة ، والسلافة . وفى ب : « فى الحسن بهجة » ، والمثبت فى : ا ، ح ، والحديقة ، والخلاصة ، والسلافة .

(٥) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٣١ ، سلافة العصر ٢٠٢ .

(٦) المخا : بلدة بساحل بحر اليمن . القاموس (م خ ى) .

ولـكن حَرَّها يشوِى البَرايا ... ولولا الرِّيقُ لاحْترق اللِّسانُ

***

وقوله [١] :

شبَّهتُ أمواجَ بحرِ الهندِ حين رستْ ... به السَّفائنُ من هندٍ ومن صِينِ

بأسْطُرٍ فوق قِرْطاسٍ قد انْتسقَتْ ... والسُّفْنُ فيه عَلاماتُ السَّلاطِينِ [٢]

***

وقوله [٣] :

إذا تـكنْ ناقِداً للرجـــالِ ... وصاحبْتَ مَن لا له تعرفُ

تخالِفْه فى بعضِ أقْـــوالِه ... فإنك عن خُلْقِه تـكشِفُ

---

(١) خلاصة الأثر ١/٣٢١ ، سلافة العصر ٢٠٢ . (٢) فى ب : «قد اتقنت» ، وفى خلاصة الأثر : « قد انسقت » ، والمثبت فى : ا ، ح ، والسلافة . (٣) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٢١ ، سلافة العصر ٢٠٣ .

٢٩٢

أحمد بن عبد الله بن أحمد

ابن عبد الرءوف بن يحيى الواعظ*

لَوْذَعِيٌّ وجهُ أدبِه سافر ، وخبرُ نَباهتِه فيما بين الخافِقَيْن مُسافِر .

له كَلَف بالفنون وعناية ، مع ديانة ارْتَدى بردائها وصِيانة .

فجِدُه مُشنَّف من عِقْد الثُّرَيَّا ، ولَدَيْه من نَسْج السجيَّة ما[١] يهزأ بِبُرْد الروضةِ الريَّا .

وأما أدبه فله رُواء الوجوه الحسان ، وله شعرٌ أُفْرِغ فى قالَب الحسن والإحسان .

فمنه قوله من نبويَّة[٢] :

يا صاحبيَّ حَقِّقا مِيعادِى ... وانْطلِقا لأخْصَبِ الوِهادِ

ولا حِظانى فى السُّرَى فإننى ... نِضْوُ هوًى مُقرَّحُ الأكْبادِ

قد تركَ الجَفْنَ مَفازةً فلا ... يضْوِى إليه وافدُ الرُّقادِ[٣]

وضَلَّ شَرْخُ العمرِ فى بياضٍ ... أشْرَق من أشِعَّةِ الأفْوادِ[٤]

(*) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرءوف المكى ، الشافعى ، الواعظ .

ولد بمكة ، وبها نشأ ، وحفظ القرآن والمتون .

وأخذ عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمى ، وعبد الله باقشير ، وغيرهما .

جلس فى مكة للفتاوى ، وللصلح بين الناس ، وهو شاعر عذب الشعر .

توفى سنة سبع وسبعين وألف .

خلاصة الأثر ١/٢٢٦ - ٢٢٩ ، سلافة العصر ٢٣٤ - ٢٣٧ .

(١) فى ا بعد هذا زيادة : « زال » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١/٢٢٧ - ٢٢٩ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « قد ترك الجفن منامه فلا » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « وطل شرخ العمر فى بياضه » .

فعرِّجا بمَسْرحِ السِّرْبِ الذى ليس له مَرْعًى سوى فؤادِى

وخفِّضا عليكما وخَلِّيا دمعِى السَّفِيحَ رائحاً وغادِى[1]

يرْمُل فى جَرْعائِها بمَسْفِها لا يعْتريه وَهَنُ الوِخادِ[2]

ويجعل الحصْباَ عَقيقاً أحمراً من النَّجيعِ الأحمرِ الفِرْصادِ[3]

ويترك القـــاعَ له أعِقَّةٌ يكْرَع منها كلُّ صَبٍّ صادِى[4]

وزَفْرةٌ قد غُرِست بمُهْجتِى وطَلْعُها فى لِمَّتَىَّ بادِى[5]

تتابعتْ حتى يُخـــالُ أننى من فَرَقٍ لِمُنْجِدٍ أُنادِى[6]

أذابت القلبَ سِوى ما أحْرزُوا ثم ثَوَى فى وسَط الفؤادِ[7]

وعاذلٍ يعبثُ بى لوَ أنَّه يُجْذِبه ما خُطَّ بلا مِـــدادِ

يُنمِّق العَذْلَ يُخـــالُ أنه يُمازِجُ التشكيكَ باعْتقادِ

كأنمـــا يرقُم فى كوثَرِ ما أفرغ فى الفؤاد من ودادِ

لا يقبلُ التَّعنيفَ فى الهوى سوَى مَن يقْتنِى غيرَ هوَى سُعادِ

واحَرَّ قلباه وبَرْدَ المُشتهَى هيهاتَ كيف تجمعُ الأضدادِ

ذادُوا السيوفَ عن وُرودِ هامِهِم زادتْ على الأنواء للوُرَّادِ[8]

ما حَنَّ طَرْفٌ جاد إذ قد ضَنَّ نَوْ ءُ الطَّرْفِ أن يحْمى عن المُرادِ[9]

هيهات لم يبرح يرُوم نَظْرةً من حضرةِ الإسعافِ والإسْعادِ[10]

---

(١) فى ب : « وخففا بمسرح السرب » ، والمثبت فى : ا ، ح ، والخلاصة ، والسلافة .

(٢) فى خلاصة الأثر : « يرمل فى جرعائها معتسفا » . (٣) الفرصاد : صبغ أحمر .

(٤) فى خلاصة الأثر : « ويجعل القاع » .

والأعقة : جمع العقيق ، وهو كل مسيل شقه ماء السيل . القاموس (ع ق ق) .

(٥) فى الأصول : « فى لمى نادى » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٦) فى خلاصة الأثر : « من فرق انجدهم أنادى » . (٧) عجز البيت فى خلاصة الأثر : « لما أتوا من وسط السواد » .

(٨) فى خلاصة الأثر : « ذادوا العيون » .

(٩) فى خلاصة الأثر : « ماحق طرف . . يحمى عن الميراد » . (١٠) فى خلاصة الأثر : « من حضرة الإسعاد والإمداد » .

من حضرةِ المختار طٰه أصْلِ مَبْ ... نَى الكونِ فى التَّعيين والإيجادِ[1]
مِن نُورِ ذى العرشِ الرفيعِ كُنْهُهُ ... تواتُرٌ قد جـاء بالآحادِ
فى قولِ لولاكَ إشارةٌ ولا ... خَفاء للمُرِيدِ فى المُرادِ
يدرِيه مَن يرى الشُّئونَ جُمِّعتْ ... فى مُفْرِدٍ مجتمعِ الإفـرادِ
فآدمُ الآبا وغـيرُه له ... فرعٌ على معنًى جَلِيِّ الرَّادِ[2]
وذاكَ معنَى أنه أصلُ الوجو ... دِ أوّلٌ فى البَسْطِ بالأعدادِ[3]
فاعْجَبْ له خَتْماً نبيًّا أوّلَا ... قد جاء بالتحقيقِ فى الإسْنادِ
الواضحُ الحقّ الصَّحيح حَسْبَما ... حَرَّره أئمّةُ الإرشـادِ
وبعد أن زان جمالُ وجهِه ... وجودَه جاء الـكمالُ هادِى[4]
فقـام بالتَّوحيدِ داعياً له ... وراقَب المُدْعوْنَ بالمِرْصادِ
ومَهَّد الشرعَ القديم للورَى ... مبيِّن الميعـادِ والإيعادِ[5]
وشَتَّ شَمْلَ الـكفرِ بانْتظامِنا ... فى سِلْكِه كالعِقْد فى الأجْيادِ
فابتَهج الـكونُ به نَضارةً ... وصدَحتْ فى دَوْحِها الشَّوادِى[6]
وخفَقتْ ألْوِيةُ النصرِ على ... سُكُونِ ريحِ الكفرِ والأعادِى[7]
وزَمْزَم الرعدُ على مَسْرَى الصَّبا ... وشقّتِ السُّحْبَ ظُبَا الفَوادِى[8]
وأضْحك الرَّوضَ بُكاؤُها على ... مَسرّةِ النِّتاجِ والإيلادِ[9]

---

(١) فى خلاصة الأثر : «فى الإتقان والإيجاد» .
(٢) فى خلاصة الأثر : «حلى الراد» . والرأد : ارتفاع الضحى .
(٣) فى خلاصة الأثر : «فى البسط للأعداد» .
(٤) فى خلاصة الأثر : «وجود مذ جاء الـكمال هادى» .
(٥) فى خلاصة الأثر : «الشرع القويم» ، وهى أولى .
(٦) فى خلاصة الأثر : «نضارة به» .
(٧) فى الأصول : «وخفضت ألوية النصر» ، والمثبت فى الخلاصة .
(٨) فى خلاصة الأثر : «على مسرى الظبا» . وفى الأصول : «ظبا الفوادى» ، والمثبت فى الخلاصة .
(٩) فى خلاصة الأثر : «وأضحك الروض مسرة على * بكاء ذى النتاج . . .» .

وأحْيتِ الأنوا مَواتَ الجذبِ مِن … مُرْتبَعِ التِّلالِ والوِهادِ
ونُتِجتْ من صُلْبِه أئمَّةٌ … قادوا إلى الإيمان والرَّشادِ[١]
مِن مَظْهرِ الزَّهراءِ ذاتِ الفَخْرِ في … حظائرِ التَّقديسِ والإسْعادِ[٢]
مِن حَيْدرٍ عليٍّ الطُّهْرِ أميـ … ـرِ المؤمنين سيِّدِ الأمجادِ
قد أعْرَضوا عمَّا به الناسُ عُنوا … وصرَفوا الوجْهَ إلى المَعادِ
تزهَّدوا وذاك مِن صِفاتِهم … ذاتاً وهل يخْفَى شَميمُ الجادِي[٣]
قد شرفوا على الورَى فحَسْبُهم … نَصُّ الكتابِ عن حَصا التَّعْدادِ[٤]
يا سيِّدَ الرُّسْلِ ويا خِتامَ من … قد خُصِّصوا بوافِرِ الأيادِي[٥]
يا خيرَ مبعوثٍ على ظهرِ الثَّرَى … بسَيْبه أخْصبتِ الأيادِي[٦]
يا مَن هو الأوْلى بكلِّ مُؤْمنٍ … من نفسِه من سائرِ العبادِ
أخْنتْ عليَّ حَوبةٌ جنيْتُها … قد جرَّعتْني غُصَصَ البِعادِ[٧]
وعرَّضتْني هدَفاً لأسْهُمِ الـ … إعراضِ لا أخلُو من العَوادِي
وأخْلَقتْ صَبْرِي وجَدَّ مطمعي … في أن أرَى في هذه النوادِي[٨]
وضاق ذَرْعِي فذَرِيعتي إلى … رِحابِك الفَيْحاءِ شَوْقٌ حَادِي[٩]
فحُلَّ عَقْدِي يا مَلاذِي مثلَما … حلَلْتَ عَقْدَ العُسْرِ بالإنْقادِ
وأطْلِقِ القَيْدَ المُحيطَ عَلَّني … في سُوحِكم أفُكُّ عن قِيادِي[١٠]

---

(١) في خلاصة الأثر : « إلى الإيمان والإرشاد » . (٢) في الأصول : « حضائر التقديس » ، والمثبت في الخلاصة . (٣) الجادى : الزعفران . (٤) في خلاصة الأثر : «على الورى فحبهم» .
(٥) في خلاصة الأثر : « ويا خاتم من » . (٦) في خلاصة الأثر : « أخصبت البوادى » .
(٧) في خلاصة الأثر : « خفف على حوبة » . (٨) في خلاصة الأثر : « وجدت مطمعى » ، ولعلها : « وجذت » . (٩) في ا : « شوق جادى » ، وفي الخلاصة : « شوق الحادى » ، والمثبت في : ب ، ج .
(١٠) في خلاصة الأثر : « أنفك من قيادى » .

فأنت كَهْفُ المُلْتجِفِين فى الورَى   وغيرِهم من زُمَرِ القُصَّادِ[1]

وأنت بابُ الله كلُّ مَن أتى   مِن غــــيرِهِ يُسامُ بالإبْعادِ

فمن دنَا مِن سُوحِهِ مُلْتمِساً   بادرَهُ العفـــوُ إلى المُرادِ

وعَمَّه الفضــلُ فقال شاكراً   قد كثُرتْ ذخائرُ الفُؤادِ[2]

صلَّى عليك اللهُ ما تَلألَأتْ   صِفاتُك البِيضُ على السَّوادِ

☆

---

(١) فى خلاصة الأثر : « كهف المرتجين . . . فى زمر القصاد » .

(٢) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ١ / ٢٢٩ ، أن هذه القصيدة عروض قصيدة الفتح ابن النحاس ، مطلعها :

قد نفِدتْ ذخائرُ الفؤادِ   فلِم أرُدُّ الدمعَ للسُّهادِ

وتقدمت القصيدة فى ترجمته ٢/٥٢٣ .

٢٩٣
محمد بن أحمد المُنوفيّ *

هو فى المَقام خليفةُ الشافعىّ ، وكلامُه فى العلوم كافِى المُهِمّ وشافِى العِىّ .
وكان آيةً فى قوّة الحافِظة ، قائما فى الإفادة بوظيفتى المُثابرة والمُحافظة .
ودخل الرُّوم فقام الدهر بحقوقِه ، ولم يَشُب بِرَّه بعُقوقه .
فاخْضرّت بالإدْرارات أكْنافُه ، وتجمَّلتْ أنواعُ رَعْيِه وأصْنافُه .
إلّا أنه عارَضه الأجل فى طريقِه ، وأغَصّته إذ ساغَت له أمانيه بِرِيقه .
فقَبضه اللهُ بالشام إليه ، فلا زالتْ رحمةُ الله مُنْهلّةً عليه .

* * *

قال سِبْطُه ابنُ معصوم : ولا يحضُرنى الآن من شعره غيرُ مارأيته منسوبا إليه بخط سيدى الوالد (١) :

عَتِبْتُ على دهرِى بأفعالِه التى … أضاقَ بها صدرِى وأضْنَى بها جِسْمِى
فقال ألم تعلمْ بأن حَــــوادثِى … إذا أشْكلتْ رُدّتْ لمن كان ذا عِلْمِ

وهذان بيتان لا يُشيِّد مثلَهما إلّا مَن شاد رُبوعَ الأدب ، وسارع لاقْتناصِ شواردِ القَرِيض وانتَدب .

(*) محمد بن أحمد المنوفى المصرى الشافعى .
نزيل مكة المكرمة ، وأحد الفضلاء الأعيان .
وكان يعانى التجارة ، صاحب ثروة ، وقد سافر إلى الروم ، ليسلم السلطان مرادا مفتاح الكعبة ونال ما يرجوه من هذه السفرة .
وفى سفرته هذه عقد حلقة تدريس فى الجامع الأموى ، كانت مثار جدل ونقاش .
مرض المنوفى فى دمشق بمرض الأمعاء ، وكان هذا سبب موته سنة أربع وأربعين وألف .
خلاصة الأثر ٣/٣٥٩ ــ ٣٦١ ، سلافة العصر ١٢٤ ، ١٢٥ .
(١) خلاصة الأثر ١/٣٦٠ ، سلافة العصر ١٢٥ .

وهما نموذج [١] براعتِه وبلاغته، واقْتدارِه على سَبْك إبْرِيز الـكلام وصياغتِه .
وقد صدَّرتُهما وعجَّزْتهما ، فقلتُ [٢] :

عَتبْتُ على دهرِى بأفعالِه التى ... بَرانِى بهـــا برْىَ السِّهامِ من الهَمِّ
ليصْرِف عـــنى فَادحاتِ نوائبٍ ... أضاق بها صدْرِى وأضْنَى بها جسْمِى [٣]
فقال ألم تعلمْ بأن حَـــوادثِى ... وأخْطارَها اللاتى تُلِمّ بذِى الفَهْمِ
يضِيقُ بها ذُو الجهلِ ذَرْعاً وإنمـــا ... إذا أشْكلتْ رُدَّتْ لمن كان ذا عِلْمِ

❊

---

(١) فى خلاصة الأثر : « أنموذج » .   (٢) خلاصة الأثر ٣/ ٣٦٠ ، ٣٦١ ، سلافة العصر ١٢٥ .
(٣) فى ا ، ج : « فادحات نوائب » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة ، والسلافة .

٢٩٤
ولده عبد الجوَّاد *

فاضلُ البيتِ بعد أبيه النَّبيه ، وأشبَه مَن تصدَّر فى مركز العِزَّة فَقيدَ المَثِيل والشَّبيه .

اشتملتْ عليه دَولة آل الحسَن ، اشْتمالَ الفمِ على اللِّسان ، والمُقلة على الإنسان .

وقامت فضائلُه فى رياض مَحامدِها تتلوَ آيةِ البيان ، بما تردَّد بين السمع والعيان .

وهو أديبٌ عُرِف بكَمال الفِطْنة من حين المِهاد ، وله خِلالٌ كلُّها روضٌ قريبُ العَهْد من صَوْب العِهاد[1] :

فتًى صَفَتْ من القَذَى مَوارِدُهْ ... وانْتثرتْ فى رَوضِــه فرائدُهْ
مَبْــذُولةٌ لوفدِه فوائدُهْ ... شاهدةٌ بفضــلِه مَشاهِدُهْ
منظومةٌ من شُكْرِه قلائدُهْ ... يحمــدُهُ وَلِيُّه وحاسدُهْ

* * *

وله شعر حسَن الأسلوب ، يرِفُّ على مائِه رَيْحانُ القلوب .

فمنه قوله ، من قصيدة يمدح بها الأمير محمد بن فَرُّوخ[2] أمير الرَّكْب الشَّامِىّ .

(*) عبد الجواد بن محمد بن أحمد المنوفى المكى الشافعى .

أديب فاضل ، حسن المذاكرة .

أخذ بمكة عن علمائها ، وتولى تدريس إحدى مدرسيها ، وناله من ورائها رزق ، فتعصب عليه جماعة ، فتركها إلى مصر ، ثم إلى الشام مع والده ، وحين توفى والده بهما رجع إلى مكة ، فبلغ عند شريفها رتبة عالية .

توفى بالطائف ، سنة ثمان وستين وألف .

حديقة الأفراح ٤٦ ، خلاصة الأثر ٢/٣٠٣ ـ ٣٠٥ ، سلافة العصر ١٢٥ ـ ١٣٣ .

(١) العهاد : أول مطر الربيع .

(٢) الأمير محمد بن فروخ ، أمير الحاج ، الشامى ، النابلسى . شهر بالشجاعة والكرم ، وتولى إمارة الحاج سنة إحدى وثلاثين وألف ، وأرهب العربان ، و[illegible] صيته ، وبقى فى الإمارة ثمانى عشرة سنة.

مستهلها [1] :

لأىّ كمالٍ من كمالِك أذكُرُ ... وأىّ جميلٍ من جميلِك أشكُرُ [2]

ألِلسّابقِ الآنِى به أنت لاحقاً ... أم اللاحقِ التّالى له يتكرَّرُ

تحيّرتُ فى هــذا الكمالِ ولم أزلْ ... أنا والنُّهَى فى ذا البَهــا نتحيّرُ [3]

جمعتَ كمالاً فى سِواك مُفرَّقٌ ... وأنت به فَرْدٌ وجمعُك أكثرُ [4]

رفعتَ لِواءَ الدِّين حتى خفقْتَهــا ... من الدُّونِ يومَ النصرِ بالفتحِ يظْهَرُ [5]

ألستَ الذى يوم ابنِ مَعْنٍ ونجْلِه ... تأزّرْتَ مجداً عنه غــيرُك يُزْجَرُ [6]

وصَوّمْتَه فيــه عن الفِطْرِ بالقَنا ... وقلبُ السّوَى منها بهــا يتفطّرُ

ويمّمْتَ إذ يمّمتَ للنصرِ مُسْرِعا ... وجوهاً تراها فى الوَطِيسِ تَعفّرُ

وصَلّيْتَهم من ذلك اليــومِ مَشهداً ... تأمّمْتَ صَفّاً فيــه أنتَ المُكبِّرُ

وأوْردتَ منهم مَعْشراً مَشرعَ الوَغَى ... وأصْدرْتَهم والسيفُ بالدَّمِ يقْطُرُ

فما الثَّمْرُ إلّا فى الوَغَى كغُصونِه ... بهامِ العِدَى سُمْراً من البِيضِ تُثْمِرُ

ولا عجبٌ هــذا فأىُّ محمدٍ ... تدِينُ لهــا أهلُ الدُّنا حين تُذْكَرُ

هــو البطلُ الحامِى الذِّمارَ ومَن به ... تُهَدُّ حصــونُ المارقين وتُهْدَرُ

فيا أيُّها الشَّهْمُ الهِزَبْرُ الذى إذا ... دَعاهُ امرُؤٌ أغناه إذْ هــو مُفْقِرُ

إلىّ فمالى غــيرَ سُوحِك مُنْجِدٌ ... أمَسُّ بوجْهِى بابَه وأعفِّرُ [7]

= توفى بنابلس ، سنة ثمان وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ٤/١٠٨ ــ ١١٠ .

(١) الأبيات ؛ الأول والرابع ومن الرابع عشر إلى الرابع والعشرين ، فى خلاصة الأثر ٢/٣٠٤ ، وذكر المحبى هناك أنه قالها سنة خمس وثلاثين وألف . (٢) فى خلاصة الأثر : « لأى كمال منك مالك أذكر » . (٣) فى الأصول : « متحير » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) فى خلاصة الأثر : « فى سواك مفرقا » . (٥) فى ا : « جمت لواء الدين » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) تقدم التعريف بابن معن ، فى الجزء الأول ، صفحة ٥٦ . (٧) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

وقد ضاقتِ الدنيا علىَّ بأمرِها ... وضِقتُ بها ذَرْعاً وقَفْرِى مُقْفِرُ (١)

وأنت لنــا غيثٌ إذا شحَّ ماطِرٌ ... وماسَحَّ يَرْوِى المُطَرِين ويُمْطِرُ

وأنت الذى قد عَمَّ وَاكِفُ كَفِّهِ ... بِوَزْنِ نُضــارٍ لا بِوَزْنٍ يُدَرَّرُ

وسائله نيـــــلا وسائله ترى ... مَقاصد عمَّن رامَها ليس تقصُرُ (٢)

إلىَّ وفرَّج ما انْطوَى فى جَـوانِحِى ... من الهمِّ حتى بعدُ لا أتأمَّرُ (٣)

فـكم لك فى يومِ الوغَى من مَعارجٍ ... ومن فُرَجٍ فَرَّجْتَها حين تَنْصُرُ (٤)

وكم لك فى الحُجَّاجِ آىٌ جميــلةٌ ... يُقصِّر عنها فى مُنَى الطَّوْلِ قَيْصَرُ (٥)

وكم لك فى ساداتِ مكةَ من يَدٍ ... ومن حَسَناتٍ فضلُها ليس يُحْصَرُ (٦)

وماذا عسى أُحْصِى صفاتِك والورَى ... بأجمعِهم عن وَصْفِ فضلِك تقصُرُ (٧)

* * *

ومن شعره قوله (٨) :

أتزعُم أنك الخِدْنُ المُفَــدَّى ... وأنت مُصادِقٌ أعْــداىَ حَقَّا

إلىَّ إلىَّ فاجْعلني صــــديقاً ... وصادِقْ مَن أصادقه مُحِقَّا

وجانِبْ مَن أعادِيه إذا ما ... أردتَ تـكونُ لى خِدْناً وتَبْقَى

* * *

---

(١) فى ب : « وتقرى مقفر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٢) لم يستقم لى أمر صدر هذا البيت . (٣) فى ا ، ج : « إلى وفرح ما انطوى » . (٤) فى خلاصة الأثر : « يوم الوغى من مفارج » . (٥) فى ا : « آى جليلة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وفى الخلاصة : « فى منى الفضل قيصر » .

(٦) فى خلاصة الأثر : « وكم لك فينــا أهل مكة من يد » . (٧) فى الأصول : « عن وصف فضلك يقصروا » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٨) الأبيات فى : حديقة الأفراح ٤٦ ، خلاصة الأثر ٢/٣٠٣ ، سلافة العصر ١٣٣ .

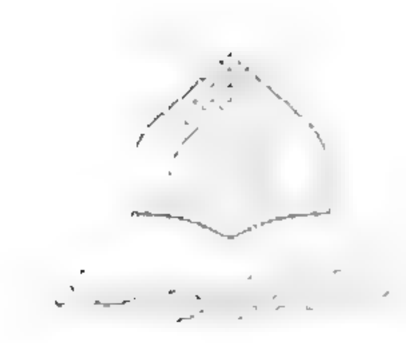
وهو ينظر إلى قول الآخَر [1] :

إذا صافَى صديقَك مَن تُعادِى   فقد عاداك وانفصَل الكلامُ [2]

***

وله « رسالة » فى شرح البيتيْن المشهورين [3] :

مِن قِصَرِ الليـــلِ إذا زُرْتِنِى   أشْـكُو وتشْكِين من الطُّولِ
عَـــدُوُّ عينيْك وشانِيهما   أصْبَحَ مَشْغولاً بمشْغولِ [4]



(١) خلاصة الأثر ٢/٣٠٣ ، سلافة العصر ١٣٣ ، وفيها مكان « الآخر » ، « الأول » .
(٢) فى السلافة : « إذا وافى . . . . وانقطع الكلام » .   (٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٠٣ .
(٤) فى الخلاصة : « عدو شانيك » .

٢٩٥

أحمد نظام الدين

ابن الأمير محمد بن نصير الدين بن

إبراهيم بن معصوم*

هذا النِّظام ، به تمَّ نِظام النِّثار والنِّظام .

فهو فى حَوْزة المعالى ذو قدرٍ معظَّم ، وفى صنعة النَّظم صاحبُ دُرٍّ مُنظَّم .

طَلاَّع أنجِدةٍ للمجدِ بَوارِى زَنْدِه ، مَصقول شَبا الفِكر كالسيف مع فِرِنْده .

تبلَّغ بالفضل غايةَ الاشْتهار ، وبَدا كما تبدو الشمسُ للمُبصرِ فى وسَط النهار .

حتى عشِقت أوصافَه الأسْماع ، وتوفَّرت للتملِّى من مُشاهدتِه الأطماع .

فاستدْعاه الملِك شاهنشاه صاحب حيدر أباد ، فدخل إليه الدِّيرة الهِنْدية ، متهيِّئاً لأن يتفيَّأَ كما يستحقُّه ظلالَ دولته النَّدِيَّة النَّدِيّة .

فلما رآه الملك اعْتَدَّ به واغْتَبَط ، وأكرم نزُله بمواهِبه فارْتبط .

ثم أمْلكَه بِنْتَه ، ورعَى غرْسَه ونَبْتَه .

فكثُر رِياشُه ، وحسُن مَعاشُه ، وتولَّتْه العِنايةُ فعظُم انْتعاشُه .

(*) الأمير نظام الدين أحمد بن محمد معصوم بن نصير الدين الحسينى .

ولد بالطائف ، سنة سبع وعشرين وألف .

واستدعاه السلطان عبد الله بن محمد قطب شاه ملك حيدر اباد وما والاها ، الذى يلقب شاهنشاه إلى الهند ، سنة خمس وخمسين وألف ، وقربه إليه ، وزوجه ابنته ، وانتهت إليه بسبب ذلك الرياسة ، وقصده الناس من البلاد النائية ، ثم أدرك الأجل السلطان ، وكان بعد لتولى النظام السلطنة ، ولكن الميرزا أبا الحسن من العجم سيطر على المملكة ، وقبض على النظام وسجنه حتى توفى سنة ست وثمانين وألف ، بمدينة حيدر اباد .

البدر الطالع ١/٩٨ ، ٩٩ ، حديقة الأفراح ٤٢ ، ٤٣ ، خلاصة الأثر ١/٣٤٩ ـ ٣٥٢ ، سلافة العصر ١٠ ـ ٢٢ .

فأقام وسوقُ الفضل به نافِق، وحظُّ الكرام بملاحظته لهم مُوافِق .

إليه مَطايا الأمل تُزْجَى ، ومن يده سحبُ المكارم تُرْجَى .

حتى ولَمتْ بالملِك يدُ الهُلْك ، واسْتولَى الميرزا أبو الحسن بعدَه على المُلْك .

عند ذلك صدَمه[1] الزَّمن المتقلِّب ، وانقلب عليه الدهرُ المتغلِّب .

فقبَض عليه أبو الحسن وسجَنه ، وخَلّاه رَهْنَ قَيْدِه وشَجَنه .

ثم قبضَه اللهُ إليه ، فانقبضت القلوبُ حُزْنا عليه .

فتَبًّا لدهرٍ لم يَفِ بضَمانِه ، ولم يصدُق بأمانِه .

فيسترجع مُعارَه ، ويَشُنُّ مَغاره .

وهكذا الدنيا دُوَل ، وما يُغْنِي الحَوْلُ فيها ولا الخَوَل[2] .

***

وقد وقفتُ له على أشعار نقَشها فكرُه وزخرفها ، وحَبَّر وَشْيَها فى بلاد الهند وفَوَّفها[3] .

فأثبتُّ منها ما يعظُم وَقْعُه عند الاختبار ولا يقع عليه النَّظَرُ إلا وقَع عليه الاختيار .

فمن ذلك قوله من قصيدة[4] :

مُثِيرُ غرامِ المُسْتهامِ ووَجْدِهِ ... وَمِيضٌ سرَى من غَوْرِ سَلْعٍ ونَجْدِهِ[5]

وبات بأعْلَى الرَّقْمتيْن الْتهابُه ... فظلَّ كئيبًا من تذكُّرِ عَهْدِهِ[6]

يحِنُّ إلى نحو اللِّوَى وطُوَيْلِعٍ ... وبَانَاتِ نَجْدٍ والحِجازِ ورَنْدِهِ[7]

---

(١) فى ج : « صدعه » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) الخول : الأنصار ، وهو يطلق على العبيد الإماء ، ومن بهم عون الرجل . (٣) فوف الثوب : رققه ، أو جعل فيه خطوطا بيضا بالطول .

(٤) القصيدة فى : حديقة الأفراح ٤٢ ، ٤٣ ، خلاصة الأثر ١/٣٥٠ ، سلافة العصر ١٩ .

(٥) فى السلافة خطأ : « من غدر سلم » .

وسلع : جبل بسوق المدينة . تقدم ذكره .

(٦) الرقمتان : قريتان بين البصرة والنباج . تقدم ذكرهما أيضا . (٧) طويلع : ماء لبنى تميم ، لبنى يربوع منهم ، وطويلع : هضبة بمكة . معجم البلدان ٣/٥٦٣ .

وضَالٍ بذات الضَّالِ مُرْخٍ غُصونَه ... تفيّاه ظَبْيٌ يَمِيسُ ببُرْدِه[1]

يَغار إذا ما قِسْتُ بالبــدرِ وَجْهَه ... ويغضَب إن شبَّهتُ وَرْدًا بخدِّه[2]

كثيرُ التَّجنِّى ذو قَوامٍ مُهَفْهَفٍ ... صَبِيحُ الُمحيَّا ليس يُوفِى بوَعْدِه[3]

مَليحٌ تَسامَى بالمَلاحةِ مُفرَدًا ... كشمسِ الضُّحى كالبدرِ فى بُرْجِ سَعْدِه[4]

ثَناياه بَرْقٌ والصَّباحُ جَبينُه ... وأما الثُّريَّا قد أُنِيطتْ بعِقْدِه

ففِى وَصْلِه سُكْنَى الجِنـانِ وطِيبُها ... ولـكنْ لَظَى النِّيرانِ من نارِ صَدِّه

تَراءَى لنـا بالجِيدِ كالظَّبْيِ تالِعًا ... أسارَى الهوى من حُـكْمِه بعضُ جُنْدِه[5]

روَى حُسْنَه أهلُ الغرامِ وكلُّهم ... يَتِيهُ إذا ما شاهدوا ليلَ جَعْدِه

يُمَنْعِنُ علمَ السحرِ هاروتُ لَحْظِه ... ويَرْوِى عن الرُّمَّانِ كاعبُ نَهْدِه[6]

مَضاه اليَمانِيَّاتِ دون لحاظِه ... وفِعْلُ الرُّدَيْنِيَّاتِ من دون قَدِّه

إذا ما نَضا عن وجهِـه البدرِ حُجْبَه ... صَبا كلُّ ذى نُسْكٍ مُلازِمُ زُهْدِه

وأبْدَى مُحَيًّا قاصِرًا عنـه كلُّ مَن ... أراد له نَعْتًا بتَوْصِيفِ حَدِّه[7]

هو الُحسْن بل حسنُ الورَى منه مُجتدَى ... وكلُّهم يُعْزَى لجَوْهرِ فَرْدِه

وما تفعل الرَّاحُ العَتِيقةُ بعضَ ما ... بمَبْسَمِه بالُمحْتَسِى صَفْوُ وِرْدِه

* * *

وقوله فى مليح اعتلّ طَرْفُه[8] :

يا جَوْهرًا فَرْدًا عَلَا ... من أين جاءك ذا العَرَضْ

---

(١) فى الأصول، والحديقة: «مرج غصونه»، وفى السلافة : «مرح غصونه»، والمثبت فى خلاصة الأثر

(٢) بين هذا البيت والذى بعــده تقديم وتأخير فى : حديقة الأفراح ، والسلافة .

(٤) فى السلافة : « صبيح المحيا لا وفاء لوعده » . (٤) فى السلافة : « بالملاحة مفرد » وفى الخلاصة : « والبدر فى برج سعده » . (٥) فى خلاصة الأثر : « كالظبى لفتة » .
والتلع : طول العنق .

(٦) فى السلافة : « يعلم علم السحر » . (٧) فى الأصول ، والحديقــة : « ورأى محيا » وفى السلافة : « يروحى محيا قاصر » ، والمثبت فى الخلاصة .

(٨) القصيدة فى : حديقة الأفراح ٤٣ ، خلاصة الأثر ١/ ٣٥٠ ، ٣٥١ ، سلافة العصر ١٩ ، ٢٠

وعلى مَ طَرْفُكَ ذا المري ... ضُ أعَلَّه هذا المَرَضْ

عهـــدِى به مِمَّا يُصِيـ ... ـبُ فكيف صار هو الغَرَضْ[(١)]

ها قلبِيَ المَعْمُودُ نُصْـ ... ـبٌ للنَّوائب يَرْتَـكِضْ

فاجْعَلْه يا كُلَّ المُنَى ... بَدَلًا لِمَا بك أو عِوَضْ

فاسْلَمْ مَدَى الأيَّام يا ... ذَا الحُسْنِ ما بَرْقٌ وَمَضْ[(٢)]

فمُذِ اعْتَلَلْتَ أخا المَهـــا ... فى الطَّرْفِ جَفْنِى ما غَمَضْ[(٣)]

ونَحِيلُ جسمى مُذْ وَنَيْـ ... ـتَ وحَقِّ عَيْنِك ما نَهَضْ[(٤)]

أنتَ المُرادُ وليس لى ... فى غيرِ وَصْفِك من غَرَضْ

* * *

وله مُشَجَّرا[(٥)] :

خِلْتُ خالَ الخـــدِّ فى وَجْنتِهِ ... نُقْطــــةَ العَنْبَرِ فى جَمْرِ الغَضَا[(٦)]

دامتِ الأفراحُ لى مُذْ أبْصَرتْ ... مُقْلتِى صُبْحَ مُحَيًّا قد أضَا[(٧)]

يتمنَّى القلبُ منــــه لَفْتَةً ... وبهـــــــذا اللَّحْظِ للعينِ رِضَا

جاهـــلٌ رام سُلُوًّا عنه إذْ ... حظَرَ الوصلَ وأوْلانى الغَضَا[(٨)]

هامتِ العينُ به لَمَّا رأتْ ... حُسْنَ وجهٍ حين كُنَّ بالإِضَا[(٩)]

* * *

---

(١) فى ا : «عمَّا يصيب» ، وفى الحديقة : «عمن يصيب» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٢) فى الحديقة : « واسلم » .

(٣) فى الحديقة والسلافة : « فى الطرف ما طرق غمض » ، وفى الخلاصة : « فى الطرف طرق ما غمض » .

(٤) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر . وفى السلافة : « مذ دنفت » .

(٥) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٣٥١ ، سلافة العصر ٢٠ .

(٦) فى ب : « فى جنب الغضا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٧) فى ا : « دامت الفرحة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، الخلاصة ، والسلافة .

(٨) فى ج : « وأولانى الغضا » ، وفى الخلاصة : « وأولاه الغضا » ، وفى السلافة : « وأولانى النظا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٩) الأضاة : المستنقع من سيل وغيره ، والإضاء : الأجمة من الخلاف المندى . القاموس (أ ض و) .

وقال فى الغزل [١] :

سلوا بطن مَرٍّ والغَمِيمَ ومَــوْزَعَا ... متى اصْطافَها ظَبْىُ النَّقَا وتَرَبَّعَا [٢]

وهل حَلَّ من شَرْقِيِّها أرضَ هَجْلَةٍ ... وقد جادَها مُزْنٌ فسال وأمْرَعَا [٣]

سَقَى تلك من نَوْءِ السِّماكَيْنِ جَحْفَلٌ ... سحائبُ غَيْثٍ مَرْبَعًا ثم مَرْبَعَا [٤]

تَظَلُّ الصَّبا تَحْدُو بهــا وهْى نُعَّمٌ ... وتُنْزِلُها سَهْلًا وحَزْنًا وأجْرَعَا [٥]

فتلك مَغَانٍ لا تزال تحُلُّهــا ... خَدَلَّجَةُ الساقَيْن مَهْضومةُ المِعَى [٦]

رَبِيبةُ خِدْرِ الصَّوْنِ والتَّرَفِ الذى ... يَزِيد على بَذْلِ اللَّيــالِى تَمنُّعَا [٧]

تروَّتْ من الحسن البَهِىِّ خُدودُها ... وقَامَتُها كالغُصْنِ حين تَرَعْرَعَا

قَطُوفُ الخُطَا مثلُ القَطَا حين ما مَشَتْ ... تقومُ بأرْدافٍ يُحَاكِينَ لَعْلَعَا [٨]

* * *

---

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١/١٠٣ ، سلافة العصر ٢٠ . (٢) فى ب : « بطن مرو للغيم » ، وفى الخلاصة والسلافة : « بطن مرو والغيم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وبطن مر : من نواحى مكة ، عنده يجتمع وادى النخلتين فيصيران واديا واحدا . معجم البلدان ١/٦٦٧ .

والغميم : موضع قرب المدينة ، أو بين مكة والمدينة . معجم البلدان ٣/٨١٧ ، ٨١٨ .

وموزع : موضع باليمن ، وهو المنزل السادس لحاج عدن . معجم البلدان ٤/٦٨٠ .

(٣) فى الأصول : « أرض هجلة » ، وفى الخلاصة : « أرض عجلة » ، والمثبت فى السلافة .

وفى معجم البلدان ٤/٩٠٤ : « هجول » بالضم : جمع هجل ، وهى الصحراء التى لا نبات بها ، وقيل الهجل : ما اتسع من الأرض وغمض ، وهو اسم جبل فى الحجاز يتلاقى هو والأخشبان فى موضع » .

(٤) فى الخلاصة : « من نوء السماكين جفل » ، وفى السلافة : « من نوء السماكين بكرة » .

وفى الأصول : « مربعا ثم مربعا » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

(٥) فى السلافة : « تحدو بها وهى سجم » . (٦) فى خلاصة الأثر : « مدملجة الساقين » .

والخدلجة : الممتلئة الساقين والذراعين .

(٧) فى خلاصة الأثر : « على بذر الليالى » . (٨) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر .

وفى الأصل : « مثل الفضا » ، والمثبت فى السلافة .

وفى ا ، ب : « يحاير لعلعا » ، وفى السلافة : « يحادين لعلعا » ، والمثبت فى : ج .

ولعلع : جبل ، تقدم ذكره .

وكتب إلى محمد الحشرىّ[(١)] الشامىّ رقعةً، صورتها[(٢)] :

يا مولانا عمّر الله بالفضل زمانَك، وأنار فى العالم بُرْهانك، سمَحتْ للعبد قَرِيحتُه، فى رقْم هذه صِفتُه، بهذين البيتيْن[(٣)] :

تَراءى كظَبْيٍ خائفٍ من حبائلٍ ... يُشيرُ بطَرْفٍ ناعِسٍ منه فاتِرِ[(٤)]

وقد مُلِئتْ عيناه من سُحْبِ جَفْنِه ... كنَرْجِسِ رَوضٍ جادَه وَبْلُ ماطِرِ[(٥)]

فإن رأى المولى أن يُجيزَهما ويُجيرَهما[(٦)] من البَخْس، فهو المأمول من خَصائل تلك النفس، وإن رآهما من الغَثّ فليدعْهما كأمْس.

ولعل الاجتماعَ بكم فى هـذا اليوم قبل[(٧)] الظهر[(٨)] أو بعد[(٨)] العصر، لنحُثَّ[(٩)] من كؤوس المحادثة ماراق بعد العَصْر.

والمملوكُ كان على جَناح ركوب، بَيْدَ أنه كتب هذه البطاقة وأرْسلها إلى سُوقِ أدبِكم العامرة التى مابرِح إليها كلُّ خير مجْلوب

فأسْبِلِ السِّتْرَ صَفْحاً إن بَدا خَلَلٌ ... تهتِكْ به سِتْرَ أعــــداءٍ وحُسَّادِ

* * *

فكتب إليه بهذين البيتيْن بَديهةً[(١٠)] :

ولرُبَّ مُلْتَفِتٍ بأجْيــــادِ المَهَا ... نحوِى وأيْدِى العِيسِ تنْفُثُ سَمَّها[(١١)]

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
وتقدمت ترجمة الحشرى ، فى الجزء الثانى ، صفحة ٣٤٦ .

(٢) صورة هذه الرقعة فى : خلاصة الأثر ١/٣٥١ ، ٣٥٢ ، سلافة العصر ٢٠ .

(٣) ذكر الشوكانى فى البدر الطالع ١/٩٩ هذين البيتين ، فى غلام له ضربه فبكى .

(٤) فى البدر الطالع : « كظبى نافر . . . بطرف فاتن » . (٥) فى السلافة : « ومذ ملئت » .

(٦) فى الأصول : « ويجيرها » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

(٧) فى خلاصة الأثر : « بعــد » . (٨) فى خلاصة الأثر : « وقبل » .

(٩) فى الخلاصة، والسلافة: «لنحسو». (١٠) البيتان فى: خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢١ .

(١١) فى ا : « ولرب ملفت » ، وفى ب ، ج : « ولرب ملتف » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة.

لم يَبْكِ من أَلَمِ الفِراقِ وإنمـــا … يشْقِى سيـــوفَ لِحاظِه ليسُمَّهَا

* * *

ثم نظَم المعنى بعينه ، فقال [١] :

ولقد يُشير إلىَّ عن حَـــدَقِ المَهَا … والرُّعْبُ يخْفِق فى حَشاهُ الضَّامِرِ

أَسْيانَ يفْحَص فى الحِبـــالِ كأنه … ظَبْىٌ يُخبِّط فى حَبالةِ جاذرِ [٢]

غشَّت نواظِرَه الدموعُ كأنهـــا … ماء ترقرق فى مُتُونِ ضَوامِرِ [٣]

رقَّتْ شمائـــــلُه ورَقَّ أديمُه … فتـكاد تشْربُه عيونُ النَّاظِرِ

* * *

وقال أحمد الجَوْهَرِىّ [٤] ، مُعارِضا له [٥] :

وظَبْىٍ غَريرٍ بالدَّلالِ مُحجَّبٍ … يرى أن سَتْرَ العَيْنِ فَرْضُ المَحاجِرِ

رَمانِى بطَرْفٍ أسْبَلَ الدمـــعَ دونه … لِئلاَّ أرى عيْنَيْه من دون ساتِرِ [٦]

* * *

ولما وقف أُدباء اليمن على بيْتَىِ النِّظام، تجاروا [٧] فى مِضْمارِهما بسوابقِ النِّظام .

فقال السيد حسن الجُرْمُوزِىّ [٨] :

ورِئمٍ فلا أصلُ المَحاسنِ فَرْعُه … تبدَّى كبدرٍ فى الدجَى للنَّواظِرِ

---

(١) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢١ .

(٢) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر. والجاذر : القاطع .

(٣) فى الخلاصة : « فى متون بواتر » .

(٤) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء برقم ٢٩١ .

(٥) البيتان فى : البدر الطالع ١/٩٩ ، وذكر الشوكانى أن الجوهرى هــذا وزيره ، خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢١ .

(٦) فى البدر الطالع : « من غير ساتر » .

(٧) فى الأصول : « تجاوروا » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٨) تقدمت ترجمة السيد الحسن بن مطهر الجرموزى ، فى الجزء الثالث ، صفحة ٣٩٠ . والبيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢١ .

سَبانِى بجَفْن أدْعج ماج ماؤه ... فطرَّز شُهبُ الدَّمْع ليلَ الغدائرِ [١]

* * *

وقال حسن بن على با عفيف [٢] :

وخِشْفٍ عليه الحسنُ أوْقف حُسْنَه ... له ناظرٌ يحْميه عن كلِّ ناظرِ [٣]

نظرتُ إليه ناثراً دُرَّ دَمْعِه ... فنَظَّام فكرِى هام فى دُرِّ ناثرِ [٤]

* * *

وقال عبد الله الزَّنْجِى [٥] :

وطَرْفٍ له فعلُ السيوفِ البَواترِ ... يُصيب به مُسْتَلْئِماً كلَّ حاسِرِ [٦]

رمَى ورَنَا فانْهَلَّ بالدمعِ جفْنُه ... كدُرِّ حَواه سِمْطُ نظمِ الجواهرِ

* * *

وقال السيد على بن النِّظام الناظم [٧] :

ولله ظَبْيٍ كالهـــلالِ جَبِينُه ... رَمانِى بسهمٍ من جفُونٍ فَواتِرِ

جرَتْ بمآقِيه الدموع كأنَّهـــا ... مِياهُ فِرِنْدٍ فى شِفاهِ بَواتِرِ

* * *

ومن نظم النِّظام فى الحماسة [٨] :

إلى كم تقاضَى الظُّبا وهْى ظامِيَهْ ... وتشْكُو العَوالِى جوعَها وهْى طاوِيَهْ [٩]

---

(١) فى ا : « فطور شهب الدمع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
وفى الخلاصة : « ليل البواتر » .

(٢) خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢١ . (٣) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « من كل ناظر » . (٤) فى الخلاصة : « ناظرا در دمعه » . (٥) فى الأصول : « الزيحى » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢١ ، والبيتان فيهما . (٦) فى خلاصة الأثر : « دون حاسر »

(٧) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢٢ ، وفيه أنه قالها سنة ثمان وستين .

(٨) القصيدة فى سلافة العصر ١٨ . (٩) فى ب : « العليا وهى ظاميه » ، والمثبت فى : ا ، ج والسلافة .

وتُشْجِى الجِيادُ الصافِناتُ صَهِيلُها مُتَيَّمَ وَقَعاتٍ على الدَّمِ طافِيَهْ(١)

فمن مُبْلِغٍ عنى نِزاراً ويَعْرُبًا أولئك قــومٌ أرتجيهم لِمَا بِيَهْ

حُماةٌ كُماةٌ قادةُ الخيــلِ فى الوَغَى ضَراغِمُ يومَ الرَّوْعِ تلْقاكَ ضارِيَهْ

بَهالِيلُ فى الْبأساء يومَ تَناضُلٍ إذا ما الْتقى الجيْشان فالعارَ آبِيَهْ

ثِيابُهمُ من نَسْجِ داوُدَ سُبَّغًا وأوْجُهُهمْ تحكى بدوراً بِداجِيَهْ(٢)

سَمَوْا لِدِراكِ المجدِ والثأرِ والعُلَى ورَوَّوا قَناهُم من دِما كلِّ طامِيَهْ(٣)

وساروا على مَتْنِ الخيولِ وسَوَّرُوا بذى شُطُبٍ عَضْبٍ وسَمْراء عالِيَهْ(٤)

عَلاء لهم لم يَبْرحُــوا فى حِفاظِه مدَى الدهرِ والأزمانُ عنه مُحامِيَهْ(٥)

فهم سادةُ الأقوامِ شَرْقًا ومغرِبًا وبَرًّا وبحراً والقُرومُ المُحامِيَهْ(٦)

فلا غَرْوَ أن كان النبىُّ محمدٌ إليهم ليُنْمَى فى جَرائِمَ سامِيَهْ

به افْتخروا يوم الفَخارِ وقَوَّضُوا بِناءَ العُلَى عن كلِّ قومٍ مُضاهِيَهْ

به كَسَرُوا كِسْرَى وفَلُّوا جموعَه لِكَثْرتِها فى العَدِّ لم تدرِ ماهِيَهْ(٧)

ونافُوا على الأطْوادِ عِزًّا ورِفعةً وزادُوا على الآسادِ بأسًا وداهِيَهْ

بَلاغًا صريحًا واضحًا كاشفًا له قِنــاعَ المُحيَّا فَلْيُلَبِّينَ داعِيَهْ(٨)

وإيَّاهمُ والرَّيْثَ عن نَصْرِ خِدْنِهِمْ ولا يأْمَنُوا الدنيا فليستْ بصافِيَهْ(٩)

وقُلْ لهمُ يسْرُونَ فوق جِيادِهِمْ خَفايا كما تَمْشى مع السُّقْمِ عافِيَهْ

***

(١) رواية السلافة للبيت :

وتدعُو الجِيادُ الصافناتُ قُرُومَها ليومٍ ترى فيه وَقَعاتٍ على الدمِ طافِيَهْ

(٢) فى السلافة : « من نسج داود أسبغت » . (٣) فى السلافة : « من دما كل طاغيه » .

(٤) ذو الشطب : السيف فى متنه خط أو طريقة . (٥) فى السلافة : « على لهم » .

(٦) فى السلافة : « والقروم المباهيه » . (٧) فى السلافة : « لكثرتها لم تدر فى العد ماهيه » .

(٨) فى السلافة : « فليبين داعيه » . (٩) فى السلافة : « ولا تأمن الدنيا » .

٢٩٦

والده السيد على*

« صاحب السلافة »

القولُ فيه أنه أبْرع من أظلَّته الخضرا ، وأقلَّته الغَبرا .

وإذا أردت عِلاوةً فى الوصف قلتُ : هو الغاية القصوى ، والآية الكبرى .

طلَع بدرُ سَعْدِه فنَسخ الأهِلَّة ، وأَنْهَلَ سحابُ فضلِه فأخْجَل السحبَ المُنْهَلَّة .

أخبرنى السيد علىّ بن نور الدين بمكة المشرَّفة ، قال : كان رفيقى فى التَّحْصيل ، وزميلى فى التَّفْريع والتَّأْصيل .

والصِّبا ينزِع أوَاخِينا ، والرغبةُ فى الاستفادة تَعقِد فى البَيْن تواخِينا .

وكلانا فى مَبْدأ صَوْب القَطْر من الغَمامة ، وباكورة خُروجِ الزَّهرة من الكِمامة .

فكنت أشاهد من حِذْقِه الغاية التى لا تُدْرَك ، ومن غرائب صَنائعِه المَنْزلة التى لا تُشْرَك .

هـذا وليلُ الشباب الجُونِ مُنْسَدِلٌ   فكيف حين يجىء الليـلُ بالسُّرُجِ

ثم فارق البيتَ والمَقام ، ودخل الهند فنهض حظُّه بها وقام .

وهو الآن مُتقلِّد خِدَمَ ملِكها الشَّريفة ، ومُتَفيِّئٌ فى عهدِه ظِلالَ النِّعَم الوَرِيفة .

(*) السيد على بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني ، المعروف بابن معصوم .
صاحب « سلافة العصر » ، و « أنوار الربيع » .
ولد فى الحجاز ، وانتقل إلى الهند ، حيث لحق بوالده فى عزه وجاهه .
وهو صاحب مؤلفات قيمة ، وله « ديوان شعر » .
توفى بشيراز ، سنة تسع عشرة ومائة وألف .
أبجد العلوم ٩٠٨ ، إيضاح المكنون ١/١٤٤ ، ٤٨٧ ، البدر الطالع ١/٤٢٨ ، ٤٢٩ ، حديقة الأفراح ٥٧ ، نزهة الجليس ١/٢٠٩ ـ ٢١٣ .

وقد ألّف تآليف تهفُو إليها الأفكار ، وتجنح إليها جُنوحَ الأطيار إلى الأوْكار .

منها كتابه المُسمَّى بـ « سلافة العصر » ، التى زف بها البكرَ ابْنةَ الفِكْر ، فى هَوْدَجِها الفَرِج ، وجِلبابها الأَرِج .

تباطَأْ عنها السَّوابِق، وتَتطأْطَأْ [1] عن سُموِّها السَّوامِق .

وجاء بها أصْفَى من ماء الشّباب فى غَضارته ، فى زمن لم يَبْقَ منه إلا رَدِئُ عُصارته .

إلّا أن الظُّنونَ مُرَجّمة ، وألْسنةَ الانتقاد عنها مُتَرْجمة ، والأقوال فيها كثيرة ، والعباراتُ للازدراء مُثِيرة .

وذلك لِمَا بدا منه من أغْراض ، كان حقُّها أن تُعامَل بالإعْراض .

فهو فى إيراد تلك الفصول ، مُعرِّض بنفسِه إلى وَصْمة الفُضول .

والحقّ أنه أحسَن ماشَا ، وأبْدع فيما أنْشَا ووشَّى .

وكم أورد من نادرةٍ مُسْتطْرَفة ، وأبْدَعَ من فائدةٍ مُستطرَفة .

وهو فى الأدب بحرٌ مالَه ساحل ، إذا قصَد أن يَدْنُوَ منه طَيْفُ الفِكْر أصبح دونه بمَراحِل .

* * *

وله شعر أرَقّ من كلّ رقيق ، وأحقّ بالقبول من غيرِه عند التحقيق .

فمنه قوله من خمرِيّة :

لَمعتْ ليلاً فقالوا لَهَبُ   وصفَتْ لَوْناً فقالوا ذهَبُ

وإذا ما اندفقَتْ من دَنّها   فى الدُّجَى قالوا طِرازٌ مُذْهَبُ

---

(١) فى ا : « وتطأطأ » ، والمثبت فى : ب ، ج .

قهوةٌ رَقَّتْ فلولا كأسُها ... لم يُشاهِدْ جِرْمَها مَن يشربُ

وتراهـا في يدِ السَّاعي بها ... كوكباً يسعَى بها لي كوكبُ[١]

ألبسَتْها الكأسُ طَوْقاً ذهباً ... وحَبَاباً باللآلي الحَبَبُ

عجبُوا من نُورِها إذْ أشرقتْ ... وسَناها من سَناها أعجَبُ

بِنْتُ كَرْمٍ كَرُمتْ أوصافُها ... أيُّ بِنْتٍ قام عنها العِنَبُ

***

وقوله مُعارضاً قصيدة أبي العلاء المَعَرِّي ، التي أولها[٢] :

هاتِ الحديثَ عن الزَّوْراء أوهِيتاَ ... ومُوقِدِ النَّارِ لا تَكرَى بتَكْرِيتاَ[٣]

وقصيدته هي هذه :

ياحاديَ الظُّعْنِ إن جُزْتَ المواقِيتاَ ... فحَيِّ مَنْ بِمِنًى والخَيْفَ حُيِّيتاَ

وسَلْ بجَمْعٍ أجَمْعُ الشَّمْلِ مُلتئِمٌ ... أم غالَه الدَّهرُ تفريقاً وتشتيتاَ[٤]

والثَمْ ثَرَى ذلك الوادي وحُطَّ به ... عن الرِّحالِ تنَلْ يا صاحِ ما شِيتاَ

عهْدِي به وثَراهُ فائحٌ عَبِقٌ ... كالمِسْكِ فَتَّتَه الدَّارِيُّ تفْتيتاَ

والدُّرُّ ما زال من حَصْبائِه خَجِلاً ... كأنَّ حَصْباءَه كانت يَواقِيتاَ

يؤمُّـه الوَفْدُ مِن عُرْبٍ ومن عجمٍ ... ويَسبُرون له البِيدَ السَّبارِيتاَ[٥]

يطْوُون عُرْضَ الليالِي طُولَ ليلِهمُ ... لا يهتدون بغير النَّجْمِ خِرِّيتاَ[٦]

من كلِّ مُنْخَرِق السِّرْبالِ تحسَبُه ... إذا تَسَرْبَلَ بالظَّلْماءِ عِفْرِيتاَ

---

(١) في ا : « يسعى بها لي كوكب » ، وفي ج : « يسعى إليها كوكب » ، والمثبت في : ب .

(٢) شروح سقط الزند ٤/١٥٠٣ ، وهو مطلع قصيدته التي خاطب بها القاضي أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي

(٣) في الأصول : « وموقدي النار » ، والمثبت في سقط الزند .

والزوراء : بغداد ، وهيت : موضع على شاطيء الفرات ، ولا تكرى : لا تنام ، وتكريت : موضع كانت إياد تحله .

(٤) جمع : هو المزدلفة . معجم البلدان ٢/١١٨ (٥) السبروت : القفر لا نبات فيه . القاموس (س ب ر ت)

(٦) الخريت : الدليل الحاذق .

لا يطعَمُ الماءَ إلّا بَلَّ غُلّتِهِ ... ولا يذُوقُ سِوى سَدِّ الطَّوَى بِيتاً[١]

يفْرِى جيُوبَ الفَلا فى كلِّ هاجِرةٍ ... يُماثِل الضَّبُّ فى رَمْضائِها الُحوتَا

ترى الحصاَ جَمَراتٍ من تلهُّبها ... كأنّما أُوقِدتْ فى القَفْرِ كِبْرِيتاَ

أجاب دَعْــــوةَ داعٍ لا مَرَدَّ له ... قَضَى على الناسِ حَجَّ البَيْتِ تَوْقِيتاَ

يرجو النَّجاةَ بيومٍ قد أهاب به ... فى موقفٍ يدَعُ المِنْطِيقَ سِكِّيتاَ

فسار والعَزْمُ يطْوِيه وينْشُره ... بِنَـــازِلِ البَيْنِ تصْبِيحاً وتبْيِيتاَ

حتى أناخَ على أُمِّ القُرَى سَحَراً ... وقد نضاَ الصبحُ للظّلْماءِ إصْلِيتاَ[٢]

فقام يقْرَعُ بابَ العَفْــو مُبْتهِلاً ... لم يَخْشَ غيرَ عتابِ اللهِ تبْكِيتاَ

وطَاف بالبيتِ سَبْعاً وانثنى عَجِلاً ... إلى الصَّفَــا حاذِراً للوقْتِ تفوِيتاَ

وراح مُلْتمِساً نَيْلَ الُمنَى بِمِنًى ... ولم يخَفْ غيرَ حِلّ الَخيْفِ تعْنِيتاَ

وقام فى عَرَفاتٍ عارفاً ودَعَا ... رَبّاً عَوارِفُهُ عَمّتْــــه تربِيتاَ

وعاد منها مُفِيضاً وهْو مُزْدَلِفٌ ... يرْجُو من اللهِ تمكِيناً وتثْبِيتاَ

وبات للجَمَراتِ الرُّقْشِ مُلْتقِطاً ... كأنه لاقِطٌ دُرًّا وياقوتاَ[٣]

وحين أصبح يومَ النَّحرِ قام ضُحًى ... يُوفِى مَناسِــكَه رَمياً وتَسْبِيتاَ[٤]

وقرَّبَ الهَدْىَ تَهْدِيه شرائعُــــه ... إلى الهُدَى ذاكِراً لله تَسْمِيتاَ[٥]

وملَّأتْه الليــــالى الَخيْفَ بَهْجَتَها ... تَحَجَّ للدِّين والدنيــــا مَواقِيتاَ

حتى إذا كان يومُ النَّفْرِ نَفّرَه ... وجَدَّ ينكُثُ فى الأحْشاءِ تنْكِيتاَ

ثم اغتدَى قاضِياً من حَجِّه تفَثاً ... يرجُو لتزكيةِ الأعمالِ تَزْكِيتاَ[٦]

---

(١) البيت : القوت . القاموس (ب ى ت) . (٢) الإصليت : السيف الصقيل الماضى .

(٣) فى ا : « كأنه لاقتا » ، وفى ب ، ج « كأنه لاقطا » والصواب ما أثبته .

(٤) التسبيت : ضرب العنق ، يعنى ذبح الهدى . (٥) التسميت : ذكر الله تعالى على الشىء .

(٦) التفث : التنظيف من الوسخ . انظر غريب القرآن للنيسابورى ٦٨ .

والتزكيت : الملء . القاموس (ز ك ت) .

وودَّع البيتَ يرْجو العوْدَ ثانيةً   ولَيْته عنه طولَ الدهرِ ما لِيتا (١)

وأمَّ طَيبَةَ مَثْوى الطَيِّبين وقد   ثَنَى له الشوقُ نحْوَ المصطفى لِيتا (٢)

فواصَــل السيرَ لا يلْوِى على سَكَنٍ   أزاد حُبّاً له أم زاد تمْقِيتا

حتى رأى القُبَّــة الخضراء حاكِيةً   قصراً من الفَلَكِ المُلْوِىِّ مَنْحوتاَ (٣)

فقبَّل الأرضَ من أعْتابِ ساحتِهــا   وعفَّر الخــــدَّ تعظِيماً وتشْمِيتاَ

حيث النبُوَّةُ ممدودٌ سُرادِقهــا   والمجــــدُ أنْبتَه الرحمنُ تنْبِيتاَ

مَقامُ قُدْسٍ يحارُ الواصِفون له   ويرجِـعُ العقــلُ عن عَلْياه مَبْهوتاَ

لو فاخَرَتْه الطِّباقُ السَّبعُ لانتكسَتْ   وعاد كوكبُها الدُّرِّىُّ مَبْكوتاَ

تستوقفُ العَيْنَ والأبصارَ بَهْجتُــه   وتجْمع الفضــلَ مَشْهوداً ومنْعوتاَ

يقول زائرُه هاتِ الحديثَ لنــا   عن زَوْرِه لا عَنِ الزَّوْراءِ أو هِيتاَ

وصِفْ لنا نُورَهُ لا نورَ عادِيةٍ   باتتْ تُشَبُّ على أيْدِى مَصالِيتاَ (٤)

مَثْوَى أجَلِّ الورَى قَدْراً وأرْحبِهم   صَــدْراً وأرْفعِهم يومَ الثَّنا صِيتاَ

نَبِىُّ صِدْقٍ هَدَتْ أنوارُ غُرَّتِه   بعد العَمَى للهُدَى مَن كان عِمِّيتاَ (٥)

وأصْبحت سُبُلُ الدِّينِ الحَنيفِ به   عَوامِراً بعد أن كانتْ أمارِيتاَ (٦)

أحْيَى به اللهُ قوماً قام سَعْدُهمُ   كما أماتَ به قَوْماً طَواغِيتاَ

لَوْلاه ماخاطب الرحمنُ من بَشَرٍ   ولا أبانَ لهم دِيناً ولَاهُوتاَ

له يدٌ لا نُرَجِّى غيرَ نائلِهــا   وقاصِدُ البحرِ لا يرْجُو الهَرامِيتاَ (٧)

فلو حَوَتْ ماحَوَتْه السُّحْبُ من كَرَمٍ   لَمَا سمِعْتَ بهــا للرَّعْدِ تَصْوِيتاَ

---

(١) لاته يليته : حبسه عن وجهه وصرفه . القاموس (ل ى ت) .   (٢) الليت : صفحة العنق .

(٣) فى ا : « القبة الحمراء » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٤) المصلت : الرجل الماضى فى الحوائج .

(٥) العميت : من لا يهتدى إلى جهة . القاموس (ع م ت) .   (٦) الأماريت : لعله جمع المرت ، وهى المفازة بلا نبات .   (٧) فى ج : « لا يرجى غير نائلها . » .

والهراميت : الركايا . القاموس (هـ ر م ت) .

فقُل لِمَن صَدَّه عنـــه غَوايَتُه ... لو اهتديْتَ إلى سُبْلِ الهـدى جيتَا
مارام حَصْرَ مَعاليه أخو لَسَنٍ ... إلّا وأصبح بادِى العِىِّ صِمِّيتَا
يا أشرفَ الرُّسْلِ والأمْـلاكِ قاطِبةً ... ومَن به شَرَّفَ اللهُ النَّواسِيتَا
سَمْعًا لدعوةِ نَاءٍ عنك مُكْتَئِبٍ ... فكَمْ أغثْتَ كئيبًا حين نُودِيتَا
يرجــوك فى الدِّين والدنيا لِمَقْصِدِه ... حاشا لِراجِيك مِن بأسٍ وحُوشِيتَا
أضْحَى أسيرًا بأرضِ الهندِ مُغْتَرِبًا ... لم يَرْجُ مَخْلَصَــه إلّا إذا شِيتَا
فنجِّنِى يافَدَتْك النفسُ مِن بَلَدٍ ... أضْحتْ لِقاحُ العُلى فيها مَقالِيتَا
وقد خدَمْتُك من شِعْرِى بقافيةٍ ... نَبَّتُّ فيهـــا بديعَ القَوْلِ تنْبِيتَا
وزانَها الفِكرُ من سِحْرِ البيانِ بما ... أعْيَى ببابِلَ هارُوتًا ومارُوتَا
جلَّتْ بمَدْحِك عن مثلٍ يُقاسُ بهـا ... ومَن يَقِيسُ بنَشْرِ المِسْكِ حِلْتِيتَا [(١)]
عليك من صَلَواتِ اللهِ أشرفُها ... وآلِك الطُّهْرِ ماحُيُّوا وحُيِّيتَا

* * *

وقوله ، من قصيدة أخرى ، أولها [(٢)] :

يادارمَيَّةَ باللِّوَى فالأجْــرَعِ ... حَيَّاكِ مُنْهَمِلُ الحَيَا من أدْمُعِى [(٣)]
ومَرَى نسيمُ الرَّوْضِ يسْحَبُ ذَيْلَه ... بمَصِيفِ أُنْسٍ فى حِماكِ ومَرْبَعِ [(٤)]
لو لم تَبِيتِى من أنِيسكِ بَلْقَعًا ... مابِتُّ أنْدُب كلَّ دارٍ بَلْقَعِ
لم أنْسَ عَهْدَكِ والأحِبَّـــةُ جِيرَةٌ ... والعَيْشُ صَفْوٌ فى ثَراكِ المُمْرِعِ
أيّامَ لا أُصْغِى لِلَوْمَـــةِ لائمٍ ... سَمْعًا وإن تُغْرِ الصَّبابةُ أسْمَعِ

---

(١) الحلتيت : صمغ الأنجذان ، وهو نبات يقاوم السموم . انظر القاموس (ح ل ت ، ن ح ذ) .
(٢) القصيدة فى سلافة العصر ٥٣٦ـ٥٣٧ . (٣) فى ا : « منهمل الاوى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة وفى الأصول : « من أدمع » ، والمثبت فى السلافة .
(٤) فى ا : « فى حباك ومربع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

حيثُ الرُّبَا تسْرِى بِرَيَّاها الصَّبا ... والرَّوضُ زاهِى النَّوْرِ عَذْبُ المَشْرَعِ

تحْنُو علىَّ عَواطِفاً أغصانُهـــا ... عند المَبِيتِ به حُنُوَّ المُرْضِعِ [1]

والوُرْقُ فى عَذَبِ الغُصونِ سَواجِعٌ ... تشْدُو بمَرْأًى من سُعادَ ومَسْمَعِ [2]

كم بِتُّ فيه صَرِيعَ كأسِ مُدامةٍ ... حِلْفَ البَطالةِ لا أُفِيقُ ولا أعِى

أصْبُـــو بقلبٍ لا يزال مُوَلَّهاً ... فى الحُبِّ بين مُتَيَّمٍ ومُقَنَّعِ

مُسْتهْتَرٌ طَوْعُ الصَّبابةِ فى هَوَى ... قَمَرَىْ جمالٍ مُسْفِرٍ ومُبَرْقَعِ

ما ساءنى أن كنتُ أوَّلَ مُغْرَمٍ ... بجمالِ رَبِّ رِداً ورَبَّةِ بُرْقُعِ

يقتادنى زَهْـــوُ الشبابِ وعِفَّتِى ... فيــه عَفافُ الناسِكِ المُتورِّعِ

للهِ أيامِى بمُنْعَرَجِ اللِّـــوَى ... حيثُ الهوَى طَوْعِى ومَن أهْوَى مَعِى

لم أنسَه والبَيْنُ ينْعَقُ بيننــا ... مُتصاعِدَ الزَّفَراتِ وهْو مُودِّعِى [3]

إن شَبَّ فى قلبِى الغَضا بفِراقِه ... فلقد ثَوَى بالمُنْحَنَى من أضْلُعِى

أتجَشَّم السُّلْوانَ عنــه تكَلُّفاً ... والطبعُ يغلِبُ شِيمةَ المُتطبِّعِ

***

وقوله من أخرى، أولها:

بين العُـــذَيْبِ وبين بَرْقَةِ ضاحِكٍ ... غَرَّاء تبْسِم عن شَنِيبٍ ضاحِكِ [4]

فى حبِّهــا للعاشقين مَصارِعٌ ... من هالكٍ فيهــا ومن مُتَهالِكِ

تسْطُو مَعاطِفُهــا وسُودُ لِحاظِها ... بمُثَقَّفٍ لَدْنٍ وأبيضَ فاتِكِ

لا تستطِبْ يوماً مَوارِدَ حبِّهــا ... ماهُنَّ للعُشَّاقِ غيـــرَ مَهالِكِ

---

(١) والسلافة : «عواطفا أفنانه» . (٢) عذب الغصون : أطرافها . (٣) فى ا : «وهو مودع» والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٤) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة . معجم البلدان ٣/٦٢٦ وبرقة ضاحك : باليمامة لبنى عدى . معجم البلدان ١/٥٨٣ .

فتكَتْ بألبابِ الرجالِ ولم تصِلْ ... بسِوَى فواتِنِ للقلوب فَواتِكِ
يُرْدِيك ناظِرُها ويُغضِى فاعْجَبَنْ ... من فاسِقٍ يحكى تعفُّفَ ناسِكِ
هجَرتْ وما أنَّستْ مَسالِكُ هجرِها ... إلّا وضاقتْ فى الغرامِ مَسالِكى
ولقــــد أبِيتُ على القَتادِ مُسهَّداً ... وتبِيتُ وَسْنَى فى مِهادِ أرائِكِ
لا تستعِرْ جَلَداً على هِجرانِهـــــا ... إن كنتَ فى دعوَى الغرامِ مُشارِكِى
واترُكْ حديثَ المُعرِضِين عن الهوَى ... ياصاحِبِى إن كنتَ لستَ بتارِكِى
وإذا دعاكَ لِتبيْعِ نفسِك سائِمٌ ... فى حبِّهـــــا يوما فبِعْه وبارِكِ
إن التى فتنتْك ليــلةَ أشْرقتْ ... إشْراقَ شمسٍ فى دُجُنّةِ حالِكِ
لا تصْطفِى خِــلاًّ سوى كلِّ امْرِىء ... صَبٍّ لأسْتارِ التنسُّكِ هاتِكِ
فاخلَعْ ثيابَ النُّسْكِ فيهــا واسْترِحْ ... من عَــــذْلِ لاحٍ فى الصَّبابةِ آفِكِ
أولا فدَعْ دعــوَى المَحبَّةِ واجتنِبْ ... نَهْجَ الغرامِ فلستَ فيـــه بسالِكِ
وإذا بدَا منهـــــا المُحيَّا فاستمِدْ ... من سافِرٍ لِدَمِ الأحبَّـــةِ سافِكِ
كم من مُحِبٍّ قد قضَى فى حبِّهـــا ... وَجْداً عليه فكان أهْوَنَ هالِكِ
ملكتْ نفوسَ أُلِى الغرامِ بأسْرِها ... هلاَّ اتَّقيْتِ اللهَ يا ابنةَ مالِكِ
حَسْبِى وُلوعاً فى هـــواكِ ولَوْعةً ... إن تطْلُبِى إقْتــلِى ظَفِرْتِ بذلكِ

* * *

وله من نونيَّة نبويَّة ، أولها[1] :

تذكَّر بالحِمَى رَشَأً أغنَّا ... وهاج له الهـــوى طرباً فغنَّى
وحَنَّ فؤادُه شوقاً لِنَجْــدٍ ... وأين الهنـــدُ من نجدٍ وأنَّى
وغنَّتْ فى فروعِ الأيكِ وُرْقٌ ... فجاوَبَه بزَفْرتِه وأنَّا[2]

---

(١) البيتان الثالث عشر والرابع عشر فى البدر الطالع ٤٣٩/١ ، والأبيات من الأول إلى السادس عشر فى حديقة الأفراح ٥٧ . (٢) أنَّ من الأنين .

وطارحَها الغرامَ لحين رنَّتْ ... له بتنفُّسِ الصُّعَداءِ رنَّا
وأورَى لاعِجَ الأشواقِ منه ... بُرَيقٌ بالأُبَيرِقِ لاح وَهْنَا (١)
مُعَنًى كلما هبَّتْ شَمالٌ ... تذكَّر ذلك العيشَ المُهنَّا
إذا جَنَّ الظلامُ عليه أبْدَى ... من الوَجْدِ المُبرِّح ما أجنَّا
سقَى وادِي الغَضا دمعِي إذا ما ... تهلَّل لا السَّحابُ إذا أرجحنَّا
فكم لى فى رُباه قَضيبُ حُسْنٍ ... تفرَّد بالملاحةِ إذْ تثنَّى
كَلِفْتُ به وما كُلِّفْتُ فَرْضاً ... فأوجَب طَرْفُه قتْلِي وسنَّا
وأبْدَى حبَّه قلبي وأخْفَى ... فصرَّح بالهوى شوْقاً وكَنَّا
تفنَّن حسنُه فى كلِّ معنًى ... فصار العشقُ لى بهواه معْنَى
بدا بَدْراً ولاح لنا هِلالاً ... وأشْرق كوكباً واهْتزَّ غُصْنَا
وثنَّى قدَّه الحسَنَ ارْتياحاً ... فهام القلبُ بالحسَن المُثنَّى (٢)
ولو أن الفؤادَ على هَواهُ ... تمنَّى كان غايةَ ما تمنَّى
بكيْتُ دماً وحَنَّ إليه قلبِي ... نخضِّب من دمِي كفًّا وحِنَّا
ألا ياصاحبَيَّ ترفَّقا بِي ... فإن البَيْنَ أنْصبنِي وعنَّا
ولم تُبْقِ النَّوَى لى غيرَ عزْمٍ ... إذا حفَّتْ به المِحَنُ اطْمأنَّا
وأُقْسِم ما الهوى غرَضِي ولكنْ ... أُعَلِّلُ بالهوى قلباً مُعنَّى
وأصْرِفُ بالتأنِّي صَرْفَ دهرِي ... وأعلمُ أن سيظْفَرُ مَن تأنَّى
وأدْفَعُ فادحاتِ الخطْبِ عنِّي ... بتفْويضٍ إذا ما الخطْبُ عنَّا (٣)
ولا واللهِ لا أرْجُو لِيُسْرِي ... وعُسْرِي غيرَ من أغنَى وأقْنَى

٭٭٭

(١) فى الحديقة : « بويرق بالأبيرق » .
والوهن : منتصف الليل أو بعده بقليل .
(٢) فى ا : « وثنى قده الغصن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والبدر الطالع ، والحديقة .
(٣) فى ج : « وأدفع قادحات الخطب » ، والمثبت فى : ا ، ب .
وفى ب : « بتفويض إذا ما » ، والمثبت فى : ا ، ج .

٢٩٧
أخوه محمد يحيى*

غصن طيّب النّما، أشبه بأخيه من الماء بالما.

فهو الرمحُ وأخوه سِنانُه، وكلاهما فى حَوْمةِ الأدب فارسٌ أُطْلِق عِنانُه.

وكان رحَل إلى أبيه للهنـد، فأقام فى كَنَفِه يتأدّب بآدابه، وكانت مُلازمتُه من دَابِه.

ولم يزل من كِفايتِه فى ظلٍّ غيرِ مُقَلّص، ومن حِفايتِه فى مَوْرِدٍ غيرِ مُنَغّص.

حتى غرَب نجمُه فى إبّان استنارتِه، وخسَف بدرُه فى بَدْء استدارتِه.

فأضْحَى ناظِرُ الأدب لفَقْدِه رَمِدا، وقلبُ الأمانى لحَيْنِه مُتفجِّعا كَمِدَا.

* * *

وقد ظفرتُ من شِعره بما هو أغرّ من الصُّدْغ المُرْسَـل، وأعذبُ من الرَّحِيق السَّلْسَل.

فدونَك منه ما لا يجِـدُ خاطِرُك فيه تعسُّفا، غيرَ أنى أراك تُـكْثِر على قِلّتِه تأسُّفا[1]:

تذكّرتُ أيامَ الحَجيجِ فأسْبَلَتْ جفونى دِماء واستجدّ بىَ الوَجْدُ[2]

(*) السيد محمد يحيى بن أحمد بن محمد معصوم الحسينى، المعروف بابن معصوم.

أخو صاحب «السلافة».

ولد سنة ثمان وأربعين وألف.

وكان صاحب أدب رفيع، وخلق عال.

ارتحل إلى والده بالهند، وأقام بها إلى أن توفى، سنة اثنتين وتسعين وألف.

خلاصة الأثر ٣/٣٩١ ـ ٣٩٣، سلافة العصر ٣٦ ـ ٤٢.

(١) البيتان فى: خلاصة الأثر ٣/٣٩١، سلافة العصر ٣٦.

(٢) فى خلاصة الأثر: «جفونى بماء».

وأيّامنا بالمَشْعَرينِ التى مَضتْ ... وبالخَيفِ إذْ حادِى الركاب بنا يحْدُو

* * *

وقوله أيضا [١] :

ألا يازماناً طال فيـــه تباعُدِى ... أما رحمةٌ تدْنُو بها وتجودُ [٢]

لألْقَى الذى فارقتُ أُنْسِىَ مذ نأَى ... فها أنا مسلوبُ الفـــؤادِ فريدُ

* * *

وقوله :

ألا لاسقَى الله البعادَ وجَـــورَهُ ... فإن قليلاً منه عنك خطيرُ [٣]

وواللهِ لو كان التَّباعُـــدُ ساعةً ... وأنت بعيـــدٌ إنه لـكثيرُ

* * *

وكتب إلى أخيه من قصيدة طويلة ، أولها [٤] :

أقِلْ أيُّهذا القلبُ عمَّ تُحاوِلُهْ ... فإنك مهما زِدْتَ زاد تَشاغُلُهْ [٥]

دَعِ الدهرَ يفعلْ كيف شاء فقلَّما ... يرُوم امرُؤٌ شيئًا وليس يُواصِلُهْ

وما الدهرُ إلَّا قُلَّبٌ فى أمورِه ... فلا يغْـــترِرْ فى الحالتَيْن مُعامِلُهْ

وياطالَما طاب الزمانُ لِواجِـــدٍ ... فسَرَّ وقد ساءتْ لَدَيْهِ أوائلُهْ

سَقَى ورعَى اللهُ الحجازَ وأهـــلَه ... مُلِثًّا تعمُّ الأرضَ سَقْياً هَواطِلُهْ [٦]

فإنَّ به دارى ودارِى عَزِيزةٌ ... علىَّ ومهما أشْغَل القلبَ شاغِلُهْ [٧]

---

(١) خلاصة الأثر ٣/٣٩١ ، سلافة العصر ٣٦ .
(٢) فى الأصول : « تدنو لها وتجود » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .
(٣) فى ا : « الفؤاد وجوره » ، والمثبت فى : ب ، ج ، الخلاصة ، والسلافة .
(٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٣٩١، ٣٩٢ ، سلافة العصر ٣٦، ٣٧ .
(٥) فى الخلاصة : « أفق أيهذا القلب » ، وفى السلافة : « أقل أيهذا القلب » .
(٦) فى الأصول : « ملث تعم الأرض » ، وفى السلافة : « بلث تعم الأرض » ، والمثبت فى خلاصة الأثر. والملث : المتتابع .
(٧) فى الخلاصة، والسلافة : « فإن به دارى ودار عزيزة » .

ولـكنَّ لى شوقًا إلى خُلَّتى التى ... متى ذُكِرتْ للقلبِ هاجتْ بَلابِلُهْ

أبِيتُ ولى منهـــا حَنِينٌ كأننى ... طَرِيحُ طِعانٍ قد أُصِيبتْ مَقاتِلُهْ

هَوًى لكِ ما أَلقاه ياعَذْبةَ اللَّمَى ... وإلّا فصَعْبٌ ما أتى اليوم حامِلُهْ (١)

أُكابِدُ فيك الشوقَ والشوقُ قاتِلِى ... وأسألُ عمَّن لم يُجِبْ مَن يسائِلُهْ (٢)

تَقِى اللهَ فى قَتْلِ امْرِىءٍ طال سُقْمُه ... وإلّا فإن الهجرَ لا شكَّ قاتِلُهْ (٣)

صِلِيه فقـــد طال الصُّدودُ فقلَّما ... يعيش امْرُؤٌ والصدُّ ممَّا يقاتِلُهْ (٤)

حَزِينٌ لِمَا يَلقاه فيك من الجـــوَى ... فهاهو مُضْنًى مُدْنَفُ الجسمِ ناحِلُهْ

بَلَى إن يــكنْ لى من علىٍّ وعَزْمِه ... مُعِينٌ فإنِّى كلَّ ما شئتُ نائِلُهْ

***

فراجعه بقوله (٥) :

إليك فقلبى لا تقرُّ بَلابِلُهْ ... إذا ماشدَتْ فوق الغصـــونِ بَلابِلُهْ

تُهيِّجُ لى ذِكْرَى حبيبٍ مُفارِقٍ ... زَرُودُ وحُزْوَى والعقيقُ منازِلُهْ (٦)

سَقاهُنَّ صَوْبُ الدمعِ مـــنِّى ووَبْلُهُ ... منازلَ لا صَـــوْبُ الغمامِ ووابِلُهْ

يَحُلُّ بهـــا من لا أُصرِّحُ باسْمِه ... غزالٌ على بُعْدِ المَزارِ أُغازِلُهْ

تقسَّمه للحُسْنِ عَبْــــلٌ ودِقَّةٌ ... فَرَنَّ وِشاحاه وصُمَّتْ خَلاخِلُهْ (٧)

وما أنا بالنَّاسِى ليــالىَ بالحِمَى ... تقضَّتْ ووِرْدُ العَيْشِ صَفْوٌ مَناهِلُهْ

---

(١) فى ا : « ما أتى اليوم عامله » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٢) فى السلافة : « وأسأل ممن » . (٣) فى ب ، ج : « تق الله » ، والمثبت فى : ا والخلاصة ، والسلافة .

وفى ا : « فى صب لقد طال سقمه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٤) فى خلاصة الأثر : « والصد ممن يقاتله » . (٥) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢٩٢/١ ، ٢٩٣ ، سلافة العصر ٣٧ ، ٣٨ .

(٦) تقدم ذكر زرود والعقيق ، وحزوى : موضع بنجد فى ديار تميم . معجم البلدان ٢٦٢/٢ .

(٧) فى الأصول : « تقسمه للحسن رقة دقة » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

لياليَ لا ظَبْيُ الصَّريمِ مُصارِمٌ ... ولا ضاق ذَرْعاً بالصدودِ مُواصِلُهْ

وكم عاذلٍ قلبي وقد لَجَّ فى الهوى ... وما عاذلٌ فى شِرْعةِ الحبِّ عاذِلُهْ

يلومون جَهْلاً بالغرامِ وإنما ... له وعليه برُّه وغَوائِلُهْ [1]

فلله قلبٌ قد تمادَى صَبابةً ... على اللَّوْمِ لا تنفكُّ تغلِي مَراجِلُهْ

وبالحِلّةِ الفيحاء من أبْرَقِ الحِمَى ... رَداحٌ حَماها من قَنا الخطِّ ذابِلُهْ [2]

تَميسُ كما ماس الرُّدَيْنِيُّ مائداً ... وتهتزُّ عُجْباً مثلما اهتزَّ عامِلُهْ

مُهَفْهَفةُ الكَشْحَيْنِ طاويةُ الحَشَا ... فما مائدُ الغُصْنِ الرَّطِيبِ ومائلُهْ

تملَّقْتُها عصرَ الشَّبيبةِ والصِّبا ... وما عَلِقتْ بى من زمانِى حَبائلُهْ

حذِرْتُ عليها آجِلَ البُعْدِ والنَّوَى ... فعاجَلنِي من فادِحِ البَيْنِ عاجِلُهْ

إلى اللهِ يا أسماءُ نفساً تقطَّعتْ ... عليكِ غراماً لا أزال أُزاوِلُهْ

وخطبٍ بِعادٍ كلّما قلتُ هذه ... أواخِرُه كرَّتْ علىَّ أوائلُهْ

لئن جار دهرٌ بالتفرُّقِ واعتدَى ... وغال التَّدانِى من دَهَا البَيْنِ غائلُهْ [3]

فإنِّى لأرجُو نَيْلَ ما قد أمَّلْته ... كما نال من يحْيى الرَّغائبَ آمِلُهْ

* * *

وخاطب أخاه أيضا بقوله [4] :

وما شوقُ مَقْصوصِ الجناحيْن مُقْعَدٍ ... على الضَّيْمِ لم يقدِرْ على الطيرانِ [5]

بأكْثَرَ من شوقِى إليك وإنما ... رَمانِى بهذا البُعْدِ عنك زَمانِى [6]

(١) فى الخلاصة : « يلوموه جهلا » . (٢) الرداح : الثقيلة الأوراك .

(٣) فى الأصول : « لئن جاد دهر » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

(٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٣٩١ ، سلافة العصر ٣٦ . (٥) فى خلاصة الأثر : « لم يقعد عن الطيران » . (٦) فى ا : « « بأكثر من شوق » ، والمثبت فى : ب ، ح ، والخلاصة ، والسلافة. وفى الأصول : «رمانى بهذا البعد» ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، وفى الخلاصة : «منك زمانى» .

٢٩٨

جمال الدين محمد بن أحمد الشاهد *

شاعر بيّض وجهَ الصحائف بسَواد نِقْسِه ، وكاتب أقام على فضلِه شاهداً كألفِ شاهدٍ من نفسِه .

فإذا أخذ القلمَ بيمينه ، جاء من مَعْدِن الدُّرِّ بثَمِينِه .

وكان فى رَوْنَق حَداثتِه ، ومَلاحة نَفاثتِه .

حيث بُرْدُ شبابِه قَشِيب ، ومِسْكُ ذَوائبِه لم يدِرَّ فيه كافورُ مَشِيب .

حليفَ كأسٍ وأليفَ دَنّ ، وله التَّصابى شُغْلٌ والخلاعةُ دَيْدَن .

لا [١] ينتقل من خمارٍ إلّا إلى خمار ، ولا يُقْلِع عن هَوَى ذِي عمامة إلّا [٢] إلى هوى ذات خِمار .

حتى بدَتِ الثَّمَراتُ البِيض ، وأخذت تُفْرِخ [٣] فى العارِض وتَبِيض .

ولم يَبْقَ فى إناء العُمْر إلّا صُبابَة ، يتدارك بها مافات أيّامَ لهو وصَبابة .

فأصبح شيخَ سَجّادة ومِحْراب ، بعد أن كان فتى دَسْكَرةٍ [٤] وشَراب .

ومُقْتنِيَ إنابة ودُعَا ، بعد أن كان متْروكَ إناءِ الرَّاح ووِعا .

قال السيِّد [٥] علىّ بن معصوم فى « سلافته [٦] » : وبلغَنِى أن الرّاح أوْرثَت يدَه رَعْشة ؛ لتعاطِيه لها ، فقلت :

لا تحسَبُــــوا الرّاح أورثتْ يدَه ... من سُوئِها رَعْشةً لهـــا اضْطَرَبا [٧]

(*) ترجمه السيد على بن معصوم ، فى سلافة العصر ٢١٣ – ٢١٧ .

(١) فى ا : « من لا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « نفرى » ، وفى ج : « تفرح » ، والمثبت فى : ب .

(٤) الدسكرة : بيوت الأعاجم ، يكون فيها الشراب والملاهى . القاموس (د س ك ر) .

(٥) فى ا ، ب : « الشيخ » ، والمثبت فى : ج . (٦) صفحة ٢١٣ . (٧) فى ا : « أودعه يده » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

لكنه لا يزال يَلْمُسُهـــا فالكَفُّ تهتزُّ دائماً طَرَبا [1]

* * *

ومما يُقارِب هذا قولُ الشِّهاب :

أقولُ لِمُدْمِنِ الرَّاحِ الذى ارْتعشَتْ كَفّاه إذْ راح من ثَوْبِ التُّقَى عارِى
كأن كَفّك مَقْرورٌ برَعْشَتِـــه وليس يصْلَى بغَــير الـكأسِ من نارِ

* * *

وأنا أقول : الأنسب أن يُنشِد بعد توبتِه ما اختلسْتُه من قول البعض :

لَعَمْرُكَ ما اهْتزَّتْ له الـكفُّ رَعْشةً ولـكنْ أرادتْ أن ينامَ خُمارُهُ
على أنَّ فيهـــا الـكأسَ يرقُص فَرْحةً بذِكْرَى زمانٍ طاب فيهـــا قَرارُهُ

* * *

وقد ذكرتُ من شِعره مايَشُوق ويرُوق ، وتحسده شمسُ الـكأس وشمسُ الأُفق فى غروب وشروق .

فمن ذلك ماراجع به السيد أحمد بن مسعود [2] ، وقد كتب إليه [3] :

وشادِنٍ وافَى وكان خُلْسةً من بَعْدِ ما أرَّقنى بمَطْلِهِ
لَمّا بدا مُحْتجِباً بمِرْطِه كيْما يَنِمَّ ضَوْءه لأهـــلِهِ
قلتُ له البـــدرُ إذا الغَيْمُ غَشَى أنوارَه ترجُو الورَى لِوَبْلِهِ
فقال لى مُسْتضْحِكاً يهزَأُ بى ما أحسنَ الشّاهِدَ فى مَحَـــلِّهِ

ياجمالَ العلم والأدب ، والناسُ إليهما من كلِّ حَدَب .

أشْرِفْ على هذه الأبيات ، وحَلِّ عاطِلَها بفوائد الصفات .

---

(١) انتهى هنا مقال ابن معصوم . (٢) تقدمت ترجمته ، فى الجزء ، برقم٢٦٨ .

(٣) صورة الرسالة فى سلافة العصر ٢١٣،٢١٤ .

وإن استدْعيْتَنا إلى مَحَلِّكَ ولا زال آهِل (١) ، وكواكبُ أُفْقِه بوجودك زاهرة ونَجْمُ أعدائك آفِل (١) .

قلنا : ما أحْسَنَ الشاهِدَ فى مَحَلِّه ، ولا بِدْع أن يرجعَ الفرعُ لأصلِه .

والسلام .

* * *

فأجابه بقوله (٢) :

لله ما أبْدَتْ وماذا أبْدَعتْ   من دُرِّ عِقْدٍ قد زَها مِن أهْلِه
بَدِيهةٌ لواحِــدِ العصرِ ومَن   حاز المَعالى ناشِياً كأصْلِه
نَظْمُ لآلٍ من مَليكٍ ماجِــدٍ   فاق الألَى هيهات دَرْكُ مِثْلِه
شرَّفنى بقطعـــةٍ من نَظْمِه   أحْــلَى من الحِبِّ وَفَى بوَصْلِه
أشار فيها أن يزُور منزلاً   مافيه إلّا ما نَما من فضــلِه
ماهُوَ إلّا روضــةٌ أمْطرَها   ماسَحَّ من هامِى مَطِيرٍ وَبْلِه
فإن يزُرْ شاهِــدَ معناه يقُلْ   ما أحْسَن الشاهدَ فى مَحَلِّه (٣)

ثم أعْقب الأبيات بنثرٍ ، قال فيه :

ناظمُ دُرِّها (٤) ، وناسِج حِبَرِها .

وصلَتْه الأبياتُ الشريفة ، من الحضرة العالية المُنيفة .

فحَيَّر عقلَه ماحبَّر مُنْشِيها ، وأدْهَش لُبَّه مادبَّج مُوَشِّيها .

فوالله لولا أن يُقال غالَيْت ، لكتبتُ تحت كلّ بيت : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ (٥) .

---

(١) كذا جاء فى الأصول .   (٢) سلافة العصر ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٣) فى السلافة : « شاهد نعماه يقل » ، وهى رواية حسنة .   (٤) فى السلافة : « دررها » .

(٥) سورة قريش ٣ .

كيف لا ومُفترِع بِكْرها مُفترِع الأبْكار البديعة النِّظام ، الفائقة بتقْديمها على من تقدَّمها من شعراء الجاهلية والإسلام .

ليثُ بنى هاشم الضَّراغِم ، وواسِطة عِقْد الأكارم أُلِى المكارم .

وحين سرَّحْتُ طَرْف الطَّرف فى مَيْدان رياضِها ، ونشَقْتُ عَنْبر عبيرِها من نَشْر غِياضِها .

واكْتحل ناظِرى بنَيِّر مِدادِها المَرْقوم ، ورشَف تَمْعِى من رَحِيق[1] مَعْناها المختوم .

أنْشَدت ، ولا بِدْعَ فيما أوردت :

فلله ما أدرِى أزَهْرُ خَميــلةٍ بطِرْسِك أم دُرٌّ يلُوح على نَحْرِ
فإن كان زَهْراً فهْو صُنْعُ سَحابةٍ وإن كان دُرًّا فهو من لُجَّة البحرِ

وما لَوَّح به سيدُنا من زيارة العبد فى الدار ، التى هى وما فيها من بعضِ فضلِه المِدْرار .

فلسانُ الحال ، يُنْشِد هذا المَقال :

قالوا يزورُك أحمدٌ وتزورُه قلتُ الفضائلُ لا تفارِقُ مَنْزِلَهْ
إن زارنى فبفضْــلِه أو زُرْتُه فلفضلِه والفضلُ فى الحالَيْن لَهْ

☆☆☆

(١) فى ا : « رقيق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

٢٩٩
أبو الفضل بن محمد المقاد*

ماذا أقول فيمن هو والفضلُ ابنٌ وأب ، وقد تبلَّغ بالصَّنعة حتى فاق مَن دَرَج ودَبّ .

لقبُه عقَّاد وهو لمُشكلات القرِيض حَلَّال ، فإذا تفوَّه أو كتب سحَر لكن بسحرٍ حلال .

دخل المغرب فى عهد الملك المنصور[١] ، فنال حُظْوة يمترف لسانُ اليَراعة عن حَصْر بواعثِها بالقصور .

فهو ممَّن غرَّب وأغرب ، وأدَّب فهذَّب .

وقابل تلك العصابة ، بخاطرٍ قَدح زَنْدَ الإصابة ، ورمَى غرض الأمانى فأصابَه .

فكُتِب اسمُه فى حسَنات الأيام ، كما كُتِب شعرُه فى حسَنات الأنام .

***

فمن شعره الذى ناظَر به نسيمَ الزَّهر فى السَّحَر ، وباهَى قضاء الوطَر على الخطر .

(*) أبو الفضل بن محمد المقاد المكى .

شاعر بارع ، سافر إلى المغرب لينتجع سلطانه أبا العباس المنصور أحمد الحسنى، فأقام عنده ومدحه .
توفى فى حدود الثلاثين بعد الألف .
خلاصة الأثر ١/١٤٣، ١٤٤ ، سلافة العصر ٢٤٢ـ٢٤٤ ، نفح الطيب ٩/٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٨ .

(١) المنصور أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الحسنى .

سلطان المغرب ، وله اشتغال بالعلم ، وقد حكم ثمانية وعشرين عاما ، حسنت فيها العلاقة بينه وبين سلاطين آل عثمان .
وكان عادلا ، عظيم القدر ، حسن التدبير ، أديبا ، له شعر جيد .
توفى سنة اثنتى عشرة بعد الألف .
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٥/٨٩ وما بعدها ، خبايا الزوايا لوحة ١٦٥ ب ، خلاصة الأثر ١/٢٢٢ ، ريحانة الألبا ٢١/٢٨٩ ، نزهة الحادى ٧٨ .

قوله من مُوشَّحٍ مدح به السلطانَ المذكور[1] :

ليت شِعْرِى هل أُروِّى ذا الظَّمَا من لَمَى ذاك الثُّغَيْرِ الألْعَسِ
وترى عيناىَ رَبَّاتِ الحِمَى باهياتٍ بقُـــدودٍ مُيَّسِ
فلقد طال بِعـــادِى والهوى ملَكَ القلب غراماً وأسَرْ[2]
هَدَّ من رُكْنِ اضطِبارى والقُوَى مُبْدِلًا أجفانَ عينى بالسَّهَرْ[3]
حين عَزَّ الوصل من وادِى طُوَى هَمَلتْ أدمـــعُ عينى كالمطَرْ[4]
فعساكم أن تجودُوا كَرَماً بلِقاكم فى سَوادِ الحِنْدِسِ
عـــلّه يشفى كَلِيماً مُغْرَماً من جِراحاتِ العيونِ النُّعَّسِ[5]
كلَّما جَنَّ ظَـــلامُ الغَسَقِ هزَّنى الشوقُ إليكم شَغَفَا
واعْترانى مِن جَفاكم قَلَقِى وتذكَّرْتُ جِيـــاداً والصَّفَا[6]
وتَناهتْ لَوْعتى من حُرَقِى ثم أغْرَى الوجدَ بى والتَّلَفَا[7]
فانْعِمُوا لى ثم جُودُوا لى بما يُطْفِئُ اليومَ لَهِيبَ القَبَسِ[8]
إننى أرْضَى رِضاكم مَغْنَماً لِبقاء نَفْسِى ومَحْيَ نَفَسِى[9]

---

(١) الموشح فى: خلاصة الأثر ١/١٤٣، ١٤٤، سلافة العصر ٢٤٢، ٢٤٣، نفح الطيب ٩/٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) فى نفح الطيب :

يُدْخِلون السُّقمَ من دارِ اللِّوَى كلَمَ الهجرُ فؤادًا وأسَرْ

(٣) فى نفح الطيب : «أجفان نومى بالسهر». (٤) فى نفح الطيب: «هملت أعين دمعى كالمطر». طوى : موضع بالشام، وموضع عند مكة، وتفتح طاء الثانى. انظر معجم البلدان ٣/٥٥٣.

(٥) فى نفح الطيب ورد صدر البيت هكذا : «وتداووا قلب صب مغرما».

(٦) جياد : لغة فى أجياد، وهو موضع بمكة يلى الصفا. معجم البلدان ١/١٣٨.

(٧) فى الخلاصة : «من حرق»، وفى الخلاصة، والسلافة : «ثم أغرى الوجد»، وفى نفح الطيب : «ثم زاد الوجد فى التلفا». (٨) عجز البيت فى نفح الطيب : «يطفء نيران الجوى ذى القبس».

(٩) فى نفح الطيب :

ساعة لى مِن رِضاكم مغنماً وتُداوِى جُثَّتى مع نَفَسِى

كنتُ قبلَ اليوم فى زَهْوٍ وتِيهٍ مَعْ أُحَيْبَابِى بِسَلْعٍ ٱلْعَبُ[1]

ومعى ظَبْىٌ بإحْدَى وجْنَتَيْه مَشرِقُ الشمسِ وأخرى مَغْرِبُ

فرَمــــانى بسهامٍ من يديْهِ قابِسُ البَيْنِ فقــلبى مُتْعَبُ[2]

لستُ أرجُـــو لِلِقَامِ سُلَّمَا غير مَدْحِى للإمام الأرْأَسِ

أحمدُ المحمودُ حقًّا مَن سَمَا الشريفُ بن الشريفِ الأكْيَسِ

* * *

قلتُ[3] : وقد حكى المَقَّرِىّ ، فى « نفح الطيب » أنه ممَّن اجتمع بالحضرة المنصورية ، أبو الفضل العَقَّاد المَكِّى المذكور ، والشريف المَدَنِىّ ، وهو رجل[4] وافِدٌ من أهل المدينة انتمى إلى الشّرف ، والشيخ [5] إمام الدِّين[5] الخليلىّ ، الوافِد على حضرته من بيت المقدس .

فقال إمامُ الدين هذا للمنصور : يا أمير المؤمنين ، إن المساجد الثلاثة التى تُشَدُّ إليها الرِّحال ، شَدَّ أهلُها إليك الرِّحال[6] .

* *

(١) فى نفح الطيب : « بسلع العسب » . (٢) فى ا : « قانس البين » ، وفى الخلاصة : « قاسى البين » ، وفى نفح الطيب : « ضارب البين » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

(٣) انظر : خلاصة الأثر ١/١٤٤ ، سلافة العصر ٢٤٤ ، نفح الطيب ٩/٢٨٨ .

(٤) فى الأصول: «راجل» ، والمثبت فى المصادر السابقة . (٥) فى الخلاصة: «الإمام إمام الدين» ، وفى السلافة هنا وفيما يلى : « الإمام غرس الدين » ، والمثبت فى الأصول ، ونفح الطيب ، والنقل عنه ، ولعله غرس الدين بن محمد بن أحمد الخليلى ،المتوفى سنة سبع وخمسين وألف . انظر خلاصة الأثر ٣/٢٤٦ .

(٦) فى المصادر السابقة بعد هذا زيادة : « هذا مكى ، وذاك مدنى ، وأنا مقدسى ، ثم أنشد :

إن أميرَ المؤمنين أحمـــدُ بحرُ الندى وفضلُه لا يُجْحَدُ

فَطيْبَــةٌ ومكةٌ أهلُهما والمسجد الأقصى بذاك شهدُوا »

هكذا ورد فى نفح الطيب « شهدوا » ، وفى السلافة : « يشهد » ، ولم يرد البيتان فى الخلاصة ولعل الصواب : « شُهَّدُ » .

٣٠٠

أحمد بن محمد الأسَديّ *

الشِّبْلُ بنُ اللَّيْث ، والوَبْل ابنُ الغَيْث ، والتَّيَّار ابنُ البحر ، والصَّباح ابن الفجر .

اشتمل بالمجد الصُّراح ، ولطُفت ذاتُه لُطْفَ الرَّاح .

ولما رأى أن المخالطةَ ، لا تُثمِر إلّا مَحْضَ المُغالطة .

انعكف فى زاويةِ العُزْلة ، وتفرّد فى حُجْرةٍ والعِزُّ له .

* * *

وقد ذكرتُ من شعره ما تُعوِّذه بالسَّبْع [1] ، وتعلم منه رِقّةَ الطبع .

فمنه قوله [2] :

دَعِ المُدامَةَ يعـلُو فوقَها الحَبَبُ ... رُضابُه وثناياه لنـا أرَبُ

نَزِّه فؤادَك من رَاحِ الكئوسِ وخذْ ... راحًا من الثَّغْر عنها يعجِز العِنَبُ

شتَّان بين حـلالٍ طيِّبٍ وحرَا ... مٍ حامضٍ يزْدريه العقلُ والأدبُ [3]

إذا تغزَّلت فى خمرٍ وفى قَدَحٍ ... فما مُرادِىَ إلا الثَّغْرُ والشَّنَبُ

(*) أحمد بن محمد الأسدى ، الشافعى ، المكى .

ولد بمكة سنة خمس وثلاثين وألف ، ونشأ بها ، فأخذ عن والده ، والشمس محمد بن علان ، وعلى بن عبد القادر الطبرى ، ومحمد الطائفى .

وتصدر للاقراء بالمسجد الحرام ، وكان كثير العبادة ، محبا للعزلة ، ونظم « شذور الذهب » وسمى نظمه « قلائد النحور بنظم الشذور » .

توفى سنة ست وستين وألف ، بمكة .

والأسدى : نسبة إلى أسد بن عامر ، أحد الفقهاء العامريين .

خلاصة الأثر ١/٣٢٥ – ٣٢٧ .

(١) يعنى السبع المثانى ، أى سورة الفاتحة . (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ١/٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « طيب عذب * وحامض . . . » .

لِلّهِ دَرُّ مُدامٍ بِتُّ أَرْشُفُهَا ... مِنْ فِي غَزَالٍ إلى الأَتْرَاكِ يَنْتَسِبُ
مُهَذَّبُ اللَّحْظِ زَنْجِيُّ السَّوالِفِ لم ... تَحْوِ الذى قد حَوَاه العُجْمُ والعَرَبُ[1]

منها[2] :

قالت مَبَاسِمُهُ للبرقِ حينَ سَرَى ... لقد حكيْتَ ولكن فاتَكَ الشَّنَبُ
وبِتُّ أَشْدُو على الغُصْنِ الرَّطِيبِ كذا ... بيْني وبينك ياوُرْقَ الحِمَى نَسَبُ[3]
يقولُ لَمّا رأى دمعِي جَرَى ذَهَبًا ... يامَطْلَبًا ليسَ لى فى غيرِهِ أَرَبُ
تَبَّتْ يَدَا عاذِلِى عَمَّنْ أُعَوِّذُهُ ... بالناسِ من نافثٍ أو غاسقٍ يَقِبُ[4]
إنَّ المُحَرَّم سُلْوانِى لِطَلْعَتِهِ ... فقُل لشَعْبَانَ عَنِّى إننى رجبُ
كيف السُّلُوُّ وعيْنِى كلّما نظرَتْ ... لَوامِعَ البرقِ قالتْ زالَتِ الحُجُبُ

* * *

قوله : « إن المحرم . . » إلى آخر البيت ، زاد فيه المُحرّم على قول القائل :

وشادنٍ مُبْتَسِمٍ عن حَبَبْ ... مُوَرَّدِ الخدِّ مَليحِ الشَّنَبْ
يلومُنى العـــاذِل فى حُبِّه ... وما درَى شعبانُ أنِّى رجبْ

والمراد من شعبان : العاذل ؛ ومن رجب : الأصَمّ ؛ لأن العرب كانت تُسمِّى[5] المُحرَّم : المُؤْتَمِر[6] ؛ وصفرَ : ناجِرا ؛ وربيعَ الأوّل خُوَّانا ؛ وربيعَ الآخِر : بُصَّانا ؛ وجُمادى الأُولى : الحُنَين ، وجُمادى الآخرة : الرُّنّة[7] ؛ ورجبَ : الأصَمّ ؛ وشعبانَ :

---

(١) فى خلاصة الأثر : « مهذب اللحظ » ، وهى أولى .
(٢) الأبيات متصلة فى خلاصة الأثر .
(٣) فى خلاصة الأثر : « الرطيب لذا » ، وهى أولى .
(٤) يشير إلى سور : المسد ، والمعوذتين ويقب : أى يدخل .
(٥) انظر فى أسماء هذه الشهور كتاب الأيام والليالى والشهور للفراء ، صفحات ١٧ — ٢١ .
(٦) فى ا ، ب : « المرتمر » ، وفى ج : « المرتمى » ، والتصويب من كتاب الأيام .
(٧) فى الأصول : « الرنة » ، والمثبت فى كتاب الأيام ، وفيه أيضا أنه يسمى « ورنة » .

العاذِل [١] ؛ ورمضانَ : النَّاتِق [٢] ؛ وشوَّال : وَعِلا [٣] ؛ وذا القَعْـدة : هُوَاعا ؛ وذا الحجَّة : بُرَكا .

وعلى ذِكر أسماء الشهور ، فلنذكُر أسماء الأيام .

وقد نظمها بعضُهم ، فقال [٤] :

أُؤمِّل أن أعِيش وأن يَوْمِى بأوَّلَ أو بأهْوَنَ أو جُبَارِ [٥]
أو التَّالِى دُبار فإنَّ فيهــا فمُؤْنِس أو عَرُوبة أو شِيَارِ [٦]

* * *

ومن شعره قوله معارضا قصيدة ابن المُعْتزّ التي أولها [٧] :

* سقَى المَطِيرة ذاتَ الظِّلِّ والشَّجرِ *

ومستهلها قوله [٨] :

ما ماسَ بَانُ الحِمَى مِن نَسْمةِ السَّحَرِ إلّا وقد أنْمَمتْـه طَيِّبَ الخَبَرِ
باللهِ يانَسْمةَ الأسْحارِ هل خَبَرٌ فإننى بالنَّبا أوْلَى من الشجرِ
ليلِي بمـا طال لا آوِى إلى سَكَنٍ هذِى نجومُ السما تُنْبِيكِ عن سَهَرِى
أباتُ أرْعَى السُّها فى الليلِ مُكتئباً وأدْمُعِى فى الثرى تَرْبُو على المطرِ

---

(١) فى كتاب الأيام أن « عاذل » اسم شوال . انظر صفحة ٢٠ ، وفيه أن اسم شعبان « وعل » .

(٢) فى الأصول : « العاق » ، والمثبت فى كتاب الأيام .

(٣) فى ا ، ب : « غلا » ، وفى ج : « عالا » ، والمثبت فى صبح الأعشى ٢/٣٦٩ ، وانظر اللسان (و ع ل) ١١/٧٣٢ .

(٤) البيتان فى كتاب الأيام والليالى والشهور ٦ غير منسوبين ، واللسان (هـ و ن) ١٣/٤٤٠ ، وذكر أنهما لبعض شعراء الجاهلية .

(٥) فى كتاب الأيام : « أرجى أن أعيش » ، وفى الأصول : « أوخبار » ، والمثبت من كتاب الأيام ، واللسان .

وأول : هو يوم الأحد ، وأهون : هو يوم الاثنين ، وجبار : هو يوم الثلاثاء .

(٦) فى كتاب الأيام : « أو التالى دبار فإن أفته » ، وفى رواية أخرى : « أو التالى دبار فإن يوى » ، وفى اللسان : « أو التالى دبار أم فيوى » .

(٧) ديوانه ٣/٤٩ ، وفيه : « سقى الجزيرة » ، وتقدم البيت فى الجزء الثانى ، صفحة ٩٩ .

(٨) هذه المقدمة زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب .

أفدِى الذين أذاقونى مودَّتهم ... حتى إذا ما رأونى هائمَ الفِكَرِ
ساروا بقلبِى وخلَّونِى حليفَ هوًى ... حَيْرانَ لا أهتدِى وِرْداً من الصَّدَرِ
واللهِ إنّ لهم فى القلبِ منزلةً ... ماحَلَّها قبلَهم شخصٌ من البشرِ
باللهِ يافَوْجُ صِفْنِي مُنعِماً لهمُ ... واذْكُرْ لهم طِبْقَ ماشاهدتَ من خَبَرِ
وقُل لهم قد غدا فى حُبِّكم شَبَحاً ... يكاد يخفَى على الرَّائين بالبصرِ
لعلَّهم أن يرقُّوا لى ويفتكرُوا ... تلك الذِّمامَ التى فى سالفِ العُمُرِ
ويرْحَموا مُدْنَفاً صَبّاً بهم كَلِفاً ... أسيرَ حُبٍّ لهم فى عالَمِ الصِّغَرِ
فاللهُ يُولِيهمُ عِزّاً ويحرُسهم ... مدَى الزمانِ من الأسْواءِ والغِيَرِ

***

وله مُلْغِزاً فى اسم علىّ :

أماتَ اصْطِبارِى حين أحيَى تولُّهِى ... رَشاً فى رياضِ الحُسْنِ بالتِّيهِ يمْرَحُ
ثلاثةُ أرباعٍ لوَصْفِي هو اسمُه ... فياليته بالوصلِ لو كان يسمَحُ

***

وله فى يوم شديدِ الحرّ :

ويومِ حَرٍّ دَهانَا ... مافيه طِيبُ هَواءِ
قالوا نهارٌ قَوِىٌّ ... فقلتُ من غيرِ هاءِ

***

وله :

خَطُّ العِذارِ نَهانِي ... عن عِشقِه حين دَبَّا
واللَّحْظُ بالعشقِ يُغْرِى ... والسيفُ أصْدَقُ أنبَا

***

وله مُضمِّنا :

ياقلبُ غرَّكَ محبوبٌ كَلِفْتَ به ... حتى طمِعتَ بوصلٍ دونَه الخطَرُ
وإن غُرِرتَ بمن تهْوَى فلا عَجَبٌ ... ما أنت أولُ سارٍ غرَّهُ قمرُ

٣٠١

إبراهيم بن يوسف المِهْتار *

فردُ الزمان فى فنّه ، أطاعَه الأدبُ إطاعةَ قِنّه .

فحلّق إلى الأوْج بعد الحَضِيض ، وحَدّق عن سِرّ البلاغة جَفْنَه الغَضِيض .

إن ذُكِرت الرِّقّة فهو سُوقُ رَقِيقِها ، أو الفصاحةُ فهو الذى نشأ فى سَفْح عَقِيقِها .

فلو سمع طَرَفةُ [1] شعرَه الرّقيق ، صار له كأبيه [2] العبد الرّقيق .

إلّا أن الأيام تلاعَبتْ به تَلاعُب العابِث ، واستطالتْ عليه استطالةَ العائث .

فحَمَل من عُقوقِها ماليس [3] يُنكَر ، وأقَلّ من عَثَراتِها ماليس يُذْكَر .

* * *

وهو أديبٌ كما وصَفْتُه ، وشاعرٌ عرفتُ قدرَه فأنصفْتُه .

فمن مختارِه الذى أطْلَعه مُورِقًا جَنِيًّا ، وألْمَع به لأهلِ الأدب مُشْرِقًا سَنِيًّا .

قوله [4] :

أرِحْ فؤادِى من العذابِ   بالرّاح والخُرّدِ العِـذابِ

(*) إبراهيم بن يوسف المكى ، المعروف بالمهتار .

شاعر مشهور ، من أكثر المكيين شعرا ، وكان أدباء الحجاز دائما يداعبونه ويمازحونه .

وقد حط ابن معصوم من قدره فى السلافة ، وذكر المحبى أن الداعى له إلى ذلك هو التحامل والعرض ، وعزى المحبى خمول قدر المهتار بين أدباء الحجاز إلى أن والده كان مملوكا .

وكانت وفاته بعد الأربعين بقليل .

حديقة الأفراح ٤٤ ، خلاصة الأثر ١/٥٣ ــ ٥٧ ، سلافة العصر ٢٤٤ ــ ٢٤٨ .

وتجد شعرا المهتار فى سمط النجوم العوالى ٤/٣٩٦ ، ٤٢٤ ــ ٤٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٤١ .

(١) يعنى طرفة بن العبد البكرى ، الشاعر الجاهلى .   (٢) سبق الإشارة فى ترجمة المهتار إلى أن أباه كان مملوكا .   (٣) فى ا : « لا » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٤) الأبيات فى : حديقة الأفراح ٤٤ ، خلاصة الأثر ١/٥٥ ، سلافة العصر ٢٤٦ .

وعاطِنِيهــا عروسَ دَنٍّ كالنارِ والعَسْجَدِ المُذابِ (١)
مِن كَفِّ لَمْياء إن تبــدَّتْ تَوارتِ الشمسُ بالحجابِ (٢)
دَعْجاء بَلْجاء ذاتُ حُسْنٍ لكلِّ أهلِ العقولِ سابِي (٣)
على رياضٍ مُدَبَّجــاتٍ حاكت سُداها يدُ السَّحابِ (٤)
بهــا القَمارِى مُغرِّداتٍ على الأفانِين والرَّوابِى (٥)
فبــادِرِ الأُنْسَ يانَدِيمِى وقُمْ إلى اللهوِ والتَّصابِى
أعْطِ زمانَ الشبــابِ حَظًّا فَلَذَّةُ العيشِ فى الشَّبابِ
واجْسُرْ ولا تيْأسَنَّ يوماً من رحمــةِ اللهِ فى الحسابِ

* * *

وقوله فى صدر قصيدة (٦) :

قِفْ بالمعاهــدِ من مَيْثاء مَلحوبِ شَرْقِىَّ كاظِمةٍ فالجِزْعِ فاللُّوبِ (٧)
واسْتَلْمِحِ البرقَ إذْ تبدُو لَوامِعُــه على النَّقا هل سَقَى حَىَّ الأعاريبِ (٨)
ياحبَّذا إذْ بدا يفْــتَرُّ مُبْتسِماً أعْلَى الثَّنِيَّةِ من شُمِّ الشَّناخِيبِ (٩)
والجوُّ مُضْطرِمُ الأرْجاء تحسَبُه بُرْداً أُصِيبَ حواشِيه بألْهوبِ (١٠)

---

(١) فى السلافة : « كالمسجد المذاب » .
(٢) فى الحديقة ، والسلافة : « فى الحجاب » . (٣) الدعج : شدة سواد العين مع اتساعها .
والبلج : الإشراق والضياء . (٤) فى خلاصة الأثر : « حاكت رداها » .
(٥) القمارى : جمع القمرية ، وهى ضرب من الحمام . (٦) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٥٤ ،
سلافة العصر ٢٤٥ . (٧) فى الخلاصة : « من بثاء ملحوب ... فالجذع فالاوب » .
والميثاء : الأرض اللينة السهلة .
وملحوب : اسم ماء لبنى أسد . معجم البلدان ٤/٦٣٢ .
واللوب : جمع اللوبة ، وهى الحرة . القاموس (ل و ب) .
(٨) فى ا ، ج : « واستملح البرق » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة ، والسلافة .
وفى الخلاصة : « إذ تخفى معالمه » ، وفى السلافة : « إذ تهفو معالمه » .
(٩) الشنخوب : أعلى الجبــل . (١٠) فى خلاصة الأثر : « مضطرم الأحساء . . .
أصيبت حواشيه . . . » .

يا بارِقاً لاح وَهْناً من دِيارِهِمُ كأنه حين يهفُو قلبُ مَرعوبِ

أذْ كَرْتَنِي مَعهداً كُنَّا بِجيرتِه نستقصِرُ الدهرَ من حُسْنٍ ومن طِيبِ

لم أنْسَ بالتَّلَعاتِ الجونِ مَوقِفَنا والحيُّ ما بين تقويضٍ وتطْنِيبِ[1]

وقد بَدا لِعيونِ الصَّحْبِ سِربُ ظِباً حفَّتْ ظُبِي ببيضِ الهند مَحْجوبِ

لم تبدُ تلك الدُّمَى إلا لسَفْكِ دمِي ولا العِذابُ اللَّمَى إلا لتعذِيبِي

* * *

ومن خمريّاته[2] :

قُمْ إلى بِنْتِ الكُرومِ واسْقِنِيها يانديمِي

ما ترى الليلَ تولّى وانْطفا ضوءُ النجومِ

وأضاءَ الصبحُ ما بيـ ـنَ تصاريفِ الغُيومِ[3]

وبَدا الطَّلُّ على الأغْـ ـصانِ كالعِقْدِ النَّظِيمِ

وشَدَتْ قُمْرِيَّةُ الأيْـ ـكِ على الغُصْنِ القَويمِ

وسَرَتْ رِيحُ الخُزا ى من رُبى ظَبْيِ الصَّريمِ

فأدِرْها خمرةً تُنْـ ـبِي عن العصرِ القديمِ

واسْقِنِيها لتُزيلَ الْـ ـيومَ عن قلبي همُومِي

هاتِها لي قهوةً من عهدِ لُقْمانَ الحكيمِ

واملأ الكاساتِ إنِّي في الصِّبا غيرُ مَلومِ

أيها النفسُ تصابَيْ ثم في العِصْيانِ هِيمِي

---

(١) هذا البيت ساقط من: ج ، وهو في: ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة.

(٢) القصيدة في : حديقة الأفراح ٤٤ ، خلاصة الأثر ١/٥٥ ، سلافة العصر ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٣) في الأصول : « مصاريف الغيوم » ، وفي الحديقة ، والسلافة : « مطاريف الغيوم » ، والمثبت في : خلاصة الأثر .

وعن الذُّلِّ تَوَلَّىْ وعلى العِـــزِّ أقيمى
واكْثِرِى الذنب فرَبِّى غافــرُ الذنبِ العظيمِ

* * *

وله من قصيدة(١) :

أذْكَى بقلــبى لاعِجَ الأشجانِ بَرْقٌ أضاء على رُبَا نَعْمانِ(٢)
أجرى مَدامعَ مُقْلَتِى أوْرَى زِنَا دَ صَبابتِى أشْجَى فؤادِى العــانِى
ما شــاقَنِى إلّا لأنَّ وَميضَه بِرُبَا الهوَى ومَعاهدِ الخِلّانِ(٣)
يا بَرْقُ جُدْ بالدَّمْــعِ فى أطْلالِهم عنى فَسَحُّ الدمــعِ قد أعْيانِى
لم أسألِ الأجفانَ سَقْىَ عُهودِهم إلّا وجادت لى بأحمــرَ قانِ
وَاهاً لأيامِ العُذَيْبِ إذِ اللِّــوَى وطنى وسكانُ الحِمَى جيرانِى
إذْ كنتُ طَوْعاً للهوى واللهو فى ظُلَلِ الشَّبيبةِ ساحبَ الأرْدانِ
تُشْجِينىَ الوَرْقاء إن صاحت على تلك الغصونِ بنَغْمةِ الألحانِ(٤)
ويشوقُنى بانُ النَّقا وحُلولُ وا دِيهِ وحسنُ الدارِ بالسُّكانِ

* * *

وله ، مُوجِّهاً بأسماء الأنغام(٥) :

سلامُ اللهِ من صَبٍّ مَشُوقٍ جَرِيحِ القلبِ باكِى المُقْلتيْنِ
على مَن حَلَّ من قلبِى السُّوَيْدَا لعِزَّتِه وحــلَّ سوادَ عَيْنِى
نأى بالصــبرِ لمَّا بان عنِّى وخلّفنى سَهيرَ الفَرْقَدَيْنِ(٦)

---

(١) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٥٤ ، ٥٥ ، سلافة العصر ٢٤٦ .

(٢) نعمان هو نعمان الأراك ، بين مكة والطائف . معجم البلدان ٤/٧٩٥ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « إلا لسكون وميضه » . (٤) فى خلاصة الأثر : « إن صدحت على » .

(٥) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٥٥ ، ٥٦ ، سلافة العصر ٢٤٧ . (٦) فى خلاصة الأثر : « سمير الفرقدين » .

فليت الرَّكْبَ قد وقفوا قليلاً على العُشَّاقِ يوم نَوَى الحسيْنِى[1]

***

ومن غَزَلِيَّاته قوله :

جفَت حِلالُ المَنامِ مُقلتيَهْ مُذ حَلَّ حبُّ الجمالِ مُهجتيَهْ[2]
وصار جسمى لمَن يرى شَبَحا وأضلُعِى بالسَّقامِ مُنحنيَهْ
وأحرَق القلبَ حرُّ نارِ جوًى وخَدَّد الخدَّ حرُّ دَمْعتيَهْ
فما تغنَّى الحمامُ فى غُصُنٍ إلَّا وسال الدِّما بوجْنتيَهْ
ولا تذكَّرتُ جيرةً نزلوا بالشِّعْبِ إلَّا نسِيتُ صِحَّتيَهْ
ياجيرة الشِّعْبِ هل لبُعْدِكمُ حَدٌّ يُرَى أم يطيلُ مُدَّتيَهْ
نأيْتمُ والحشَا به حُرَقٌ فقطَّر الدمعَ فَرْطُ حُرْقتيَهْ
فما نسِيتُ العهود بعدكمُ ولا تحوَّلتُ عن محبَّتيَهْ
ولستُ أسلوكمُ وحقِّكمُ هيْهاتَ زال الهوى بسَلْوتيَهْ
أنا الذى صِرتُ فيكمُ مَثلاً لاقيْتهُ بالغرام مُدَّعيَهْ
ورُبَّ ليلٍ طرقتُ حيَّكمُ أزورُ فى الحىِّ رَبْعَ مُنْيتيَهْ
مَن يسحرُ الطَّرْفَ حُسْنُ بهجتِها إذا بدت بالجمالِ مُرتديَهْ
خُرْعُوبةٌ بالمَهَا لها شَبَهٌ رُعبوبةٌ بالظِّباءِ مُزْدريَهْ[3]
ممشوقةُ القَدِّ غادةٌ وأرَى ألحاظَها فى النفوس مُعتديَهْ
أتيْتُها والعيونُ راقدةٌ وأنْصُلُ القومِ غيرُ مُنتضيَهْ
لمَّا رأتْنِى رَبَّ الجوَى عَلِمت غَدَتْ لَثْنِى الوِسادِ مُتَّكِيَهْ

---

(١) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « نوى الحسين » .

(٢) فى ب : « حلال المدام » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) الخرعوبة : الشابة الحسنة الخلق البيضاء الرخصة . والرعبوبة : الحلوة الناعمة .

قالتْ أما خِفْتَ قومَنــا فلقد   خاطَرْتَ لمّا قصدْتَ زَوْرَتِيَهْ
فقلت إنَّ الُمحِبَّ مُهجتُــه   للحَيْنِ فى الحبِّ غـير مُتَّقِيَهْ
فبِتُّ فى ليلتى أُسامِرُهـا   وبُتُّ فاها النَّقِيَّ عَشْرَمِيَهْ
حتى بَدَا صُبْحُها فَفرّقنـا   لا كان صبحٌ بدا بفُرْقَتِيَهْ

* * *

ومن مقطوعاته قوله [١] :

طِفلٌ من العُرْبِ أخْـوَى   خِـدْنُ الصِّبا والبَطالَهْ
بَدا بوَجْـهٍ كبدرٍ   فى جِيـدِه الطَّوْقُ هالَهْ

* * *

وقوله مُقْتبِساً فى مليحٍ فقير الحال [١] :

تَصُدُّ وكم تَصدَّى منك كَفٌّ   لِمَن لم يدْرِ قَدّكَ يامُفَـدَّى
وصَـدُّك عن أُلِى أدبٍ وأمّا   مَن اسْتغنَى فأنْتَ له تَصَدَّى [٢]

* * *

وقوله [٣] :

ألا لا تَفضبَنّ لمَن تَمالَى   ولا تُبْدِ الودادَ لِمَن جفا كَا [٤]
ولا تَرَ للرِّجالِ عليك حَقّاً   إذا هم لم يَرَوْا لك مثلَ ذا كَا [٥]

* * *

وقوله [٦] :

كم ذا أُغَمِّضُ عيْنى ثُمّ أفتحُها   والدهرُ مازال والدنْيا بحالتِهاَ

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٥٦ ، سلافة العصر ٢٤٧ .   (٢) اقتبس هذا من قوله تعالى :
﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ فى سورة عبس ٥ ، ٦ .
(٣) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٥٦ ، سلافة العصر ٢٤٧ .   (٤) فى السلافة : «لمن جفاك» .
(٥) فى السلافة : « مثل ذاك » .   (٦) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٥٦ ، سلافة العصر ٢٤٨ .

فليت شِعْرِىَ مامعنى مَقالتِهمْ ... مابيْن غَمضةِ عَيْنٍ وانْتباهَتِها

* * *

وقوله [١] :

وظَبْىٍ رَمانِى عن قِسِىِّ حَواجِبٍ ... بأسْهُم لَحْظٍ جَرْحُها فى الهوى غُنْمُ [٢]

على نَفْسِه فلْيَبْكِ مَن ضاع عُمْرُه ... وليس له منهـــا نصيبٌ ولا سَهْمُ

* * *

قد أكْثر الشعراء تضْمينَ هذا المِصْراع فى هـذا المَعْرِض ، والذى أخـذ بنصيبه وسَهْمِه القِيراطِىّ [٣] ، حيث ضمَّنه فى رياضِ دِمَشْق ، ومنهما مَحلاَّن ، يقال لهما النَّصِيب والسَّهْم [٤] :

دمشقُ بِواديهـا رِياضٌ نَواضِرٌ ... بها ينْجلِى عن قلبِ ناظِرِها الْهَمُّ

على نفسِه فلْيَبْكِ مَن ضَاع عُمْرُهُ ... وليس له مِنْها نصِيبٌ ولا سَهْمُ [٥]

* * *

وله [٦] :

أسألُ الرحمنَ ذا الفضْـ ... ـلِ إلهَ العَرْشِ رَبِّى

حُسْنَ نَظْمِ الأَرَّجانِى ... ثم خَـــطَّ المُتنبِّى [٧]

* * *

---

(١) خلاصة الأثر ١/٥٦ ، سلافة العصر ٢٤٨ .   (٢) فى ا : « فى الورى غنم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .   (٣) برهان الدين إبراهيم بن عبد الله القيراطى .

فقيه ، أديب شاعر .

ترك القاهرة ، وجاور بمكة فتوفى بها ، سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ١/٣٢ ، شذرات الذهب ٦/٢٦٩ .

(٤) البيتان فى نزهة الأنام فى محاسن الشام ٣١٧ .

وفيه أن السهم موضع متصل بأرض الصالحية ، وهو درب ما بين دور وقصور ، وفاكهة وزهور ، ومياه تجرى بهدير كالبحور .

(٥) فى نزهة الأنام : « وليس له فيها . . » .   (٦) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٥٦ ، سلافة العصر ٢٤٧ .   (٧) تقدم التعريف بالأرجانى ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٣٢

ومما رأيتُه بخطِّه ، وقد نسبه إلى نفسه ، قولُه فى تشبيه الحجر الأسود [١] :

الحجـــــرُ الأسودُ شبَّهْتُه خَالًا بخَدِّ البيتِ زَاهٍ سَناهْ
أو أنه بعضُ مَــــوالِي بنى الـ ـعباسِ بَوَّابٌ لِبَابِ الإلٰهْ [٢]

* * *

وله فى قناديل المَطاف :

تراءتْ قناديلُ المَطافِ لِناظِرِى على البُعْدِ والظَّلْماء ذاتُ تَناهِى
كدائرةٍ من خالِصِ التِّبْرِ وَسْطَها قَنِينةُ مِسْكٍ وهْى بيتُ إلٰهِى

* * *

وله فى المَنائر فى ليالى رمضان [٣] :

كأن المَنائرَ إذْ أُسْرِجَتْ قَنادِيلُها فى دَياجِى الظَّلامْ [٤]
عَرائِسُ قامتْ عليهـــا الحُلَى لتنظُرَ بيتَ إلٰهِ الأنامْ

***

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٥٧ .
(٢) فى ا : «لباب إله» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والعلاء
(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٥٧ .
(٤) فى ا : «قناديلها فى ليال الظلام» ، والمثبت فى: ب ،:

٣٠٢

إبراهيم بن محمد بن مشمل

العَبْدَلِيّ السَّالِمِيّ *

أرَقّ لُطَفاء الحجاز ، وأوْحد ذَوِى الإعجاز بالتَّطويل والإيجاز .

له طبع نقِيّ مُتَّقِد ، وشِعْر يختاره كل مُنْتَقٍ منتقِد [1] .

تناهبتْ محاسِنَه الشَّوادِى والحوادِى ، فحَثّت بها المُدامة فى الحانات والمَطايا فى البوادِى .

* * *

وقد أوردتُ له مايستخفُّ من الطَّرَب القُدود ، ويُغنِى عن الوَرْدَيْن وردِ الرياض ووَرْدِ الخدود .

فمن ذلك قوله [2] :

لا أرَّق اللهُ مَن بالسُّقْمِ أرَّقنِى	ولا شَفَى سُقْمَ لَحْظٍ منــه أسْقَمنِى
ولا طَفَى جَمْرَ خَدٍّ منـــه مُلْتهِباً	وإن يكُنْ بالجفا والصدِّ أحْرقنِى
وزاد فى ضِيق خَصْرٍ منـه ضِقْتُ به	ذَرْعاً وأنْحلَه إذ كان أنْحلنِى [3]
ولا عَدَا لُعْسَ هاتِيكَ الشِّفـاهِ لَمًى	وإن حَمَى رَشْفَها عنِّى وأعْطَشَنِى [4]

(*) برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مشعل العبدلى السالمى المكى .
أديب ماهر ، وشاعر حسن النظم ، لطيف الطبع ، رقيق النسج .
مدح الأشراف بالقصائد الطوال .
وتوفى سنة أربع وعشرين وألف بالطائف ، وقد جاوز السبعين .
خلاصة الأثر ١/٣٧ ـ ٣٩ ، سمط النجوم العوالى ٤/٣٩٨ .

(١) فى ب : « متقد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ١/٣٨ ، ٣٩ .

(٣) فى ب : « وزاد فى ضيق خصر منه أسقمنى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى الخلاصة : « ولا عدا اللعس » ، وفى ا : « هاتيك الشفاه بلى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

ولا اختفتْ من ثَنَاياه بَوَارِقُهـا | وإن بكيْتُ لها بالعارضِ الهَتِنِ [1]
وشَدَّ أقواسَ تلك الحاجِبيْن وإن | غدت بِنَبْلِ العيونِ النُّجْلِ ترشُقني [2]
ولم تزلْ شمسُ ذاك الحسنِ مُشْرِقةً | فى وجهِه لو بدمعِ العينِ شَرَّقنى
ودام أهْيَفُ ذاك القَدِّ فى مَيَدٍ | ولو أطار الحشا إذ صار كالغُصُنِ
وضاعَف اللهُ ذاك الحسنَ أجمَعَه | ولو رمانى بِضَعْف الضُرِّ فى البدنِ [3]
أبقاه فى دَوْلةٍ بالحُسْن زاهرةٍ | ولو جميـلُ اصْطِبارِى فى هَواه فَنِي
وزاد ذاك المُحَيَّا بهجـةً وسَنًا | وإن حَمَى عن جفونى لَذَّةَ الوَسَنِ
يامَن جميعُ مَعانيه فُتِنْتُ بهـا | لا أخْمَدَ اللهُ ماتُبْدِى من الفِتَنِ
أحْسِنْ بوجهِك فالإحسانُ أجمَعُه | يليقُ لا غيرُهُ من وجهِك الحَسَنِ

***

وله مُعارضاً قصيدة المِهْتار الهائيّة [4]

كم مُهجةٍ بالغرامِ مُنْسَبِيَهْ | ومالِمن يقتل الغرامُ دِيَهْ
فلْيَحْذرِ الحبَّ كلُّ مُحترِسٍ | به فقيه الحُتوفُ مُنطويَهْ
وفى رُبَا شِعْبِ عامرٍ رَشَأٌ | له عيونٌ بالسِّحرِ مُمْتَلِيَهْ
فى حُسْنِـه اليومَ صار مُنتهِياً | وعَشْقِى فيه غـير مُنتهِيَهْ
كم شمس حُسْنٍ عليـه مُشْرِقةٌ | منهـا بدورُ التَّمامِ مُختفِيَهْ [5]
إذا بدا مُقبِلاً ولاح فقـد | جعلتُ منه الجبينَ قِبلَتِيَهْ [6]

(١) المتن : المتتابع .
(٢) فى ا : « عدت بنجل العيون » ، والمثبت فى : ب ، ح ، والخلاصة ، وفى الخلاصة : « العيون السود ترشقنى » . (٣) فى خلاصة الأثر : « بضعف الضر فى بدنى » . (٤) تقدمت قصيدة المهتار فى ترجمته ، وهى السابقة على هذه الترجمة ، صفحة ٢١٥
وقصيدة السالمى فى خلاصة الأثر ١/٣٧ ، ٣٨ .
(٥) فى خلاصة الأثر : « بدور الجمال » . (٦) فى خلاصة الأثر : « ولاح ليه » .

لى مُهجــةٌ غرّها بغرّته ... آهًا له عن صيادِ غُرّتيهْ (١)

وما هَــدانى بصُبْح طَلْعته ... إلّا بلَيْلِ الشُّمورِ ضَلَّتيهْ

فحبَّذا ذلك الضــلالُ به ... لِمُهْجةٍ بالضلالِ مُهتديهْ (٢)

وأغيدٍ ذُبْتُ من محبَّتِــه ... ونفسُه بالجمــالِ مُلْتهيهْ

مُحسَّنِ الخلقِ أحْوَرٍ ترِفٍ ... خِلقتُــه بالكمالِ مُسْتويهْ

للحسنِ فى وَجْنتيــه كلُّ حلاً ... ماءٌ ونارٌ أحارَ فِكْرَتيهْ

فلم أنَلْ ماء وردِ وَجْنتــهِ ... ومن لَظاها أحْشاىَ مُلْتظيهْ

لا تعجَبُوا إن فَنِيتُ فيه هوًى ... فذاتُه للهــلاكِ مُقتضِيهْ (٣)

ووَجْنــةٍ بالجمالِ زاهرةٍ ... بنَرْجِسِ المُقلتيْنِ مُحْتميهْ (٤)

ورُبَّ خِــدْرٍ طَرقْتُ بَيْضتَه ... والليــلُ ظلْماه غيرُ مُنجليهْ

وحوْلَها من حُماتِها أُسدٌ ... على اضْطرابِ الحروبِ مُجْتريهْ

فانْتبهتْ من لذيذِ نَومتِهــا ... تقولُ مَن ذا يحُلُّ غرزتيهْ (٥)

فقلتُ صبٌّ أذبتِ مُهجتَه ... بالحسْنِ يابُغيتى ومُنْيتيهْ

قالت لقد رُمْتَ مَطلباً خَطِراً ... مِن دونه الموتُ يامُتيَّميهْ

أمَا رأيتَ الأسودَ رابضَــةً ... أما رأيت السيوفَ مُنتضيهْ

فقلتُ إن الحبَّ مُهجتَهُ ... بالموتِ فيمن يحبُّ مُرتضيهْ

وحبَّذا يا ابْنةَ الكرامِ إذا ... بلغتُ فى مُنيتى مَنيَّتيهْ

فيــا حياةَ النفوسِ أنا مَن ... أعْشَقُ فى الغانياتِ مِيتَتيهْ

---

(١) فى ا ، ب : « لى مهجة عزها بعزته » ، والمثبت فى : ح ، والخلاصة .   (٢) بعد هذا البيت الخلاصة زيادة بيتين .   (٣) فى خلاصة الأثر : « فذاته بالغرام مقتضيه » .

(٤) فى ب : « ووجنة بالجمار » ، وفى خلاصة الأثر : « ووجنة بالبهاء » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) فى خلاصة الأثر : « يحل حوزتيه » .

والغرز : ركاب الرحل .

فقالت الآنَ مَرحبًا بفتًى قد عشِق الموتَ فى محبَّتِيَهْ [١]

وأرْشفتنى رَحِيقَ رِيقتِها والنفْسُ منّى لذاك مُشْتهِيَهْ

فرُحْتُ نَشْوانَ من مُقبَّلِها وريقِها ما ألَذَّ سَكْرَتِيَهْ

وفى ثَنايا نَقِىِّ مَبْسِمِها شُهْدٌ عليه النفوسُ مُحتوِيَهْ [٢]

وما اجْتنَى الشُّهْدَ قطُّ من بَرَدٍ غيْرِى فيامَا ألَذَّ جَنْيَتِيَهْ

فعند ذا أنعمتْ وما بَخِلتْ ورُحْتُ أُثْنِى على مُحَبَّتِيَهْ [٣]

* * *

ومن مُقطَّعاته قوله [٤] :

شمسُ الطِّلا بدرِى غدا لم يصْحُ من تعْليلِهاَ

فالرَّاح قتلة قَتْلتِى وأنا قتيلُ قَتِيلِهاَ [٥]

* * *

ومثلُه قول الأديب محمد البونىّ [٦] :

يالقَوْمِى إنِّى قتيلٌ ببدرٍ هو أضحَى قتيلَ شمسِ العُقارِ [٧]

عَلِمَ اللهُ أنَّ قتْلِى حرامٌ فاشْغَلَنْهُ بهـا لتأخذَ ثارِى

☆☆

---

(١) فى خلاصة الأثر :

فقالت أهلاً ومرحبًا بفتى يعشق الموتِ فى محبَّتِيَهْ

(٢) فى خلاصة الأثر : « عليه النفوس مجتويه » . (٣) عجز البيت فى خلاصة الأثر : « بوصلها وهى غير مستحيه » . (٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٩ ، سمط النجوم العوالى ٤/٣٩٨ .

(٥) هكذا فى الأصول ، والخلاصة : « قتلة قتلى » ، وفى السمط : « قتلة قاتلى » ، ولعل الصواب « قتلت قاتلى » . (٦) صاحب الترجمة التالية .

والبيتان فى خلاصة الأثر ١/٣٩ .

(٧) فى ب : « شمس النهار » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

٣٠٣
محمد بن أحمد البونىّ

كوكبُ مجدٍ أضاء سَناه ، وحَلَّ بيتا من الفخر رَبُّه وبَناه .

بوجْهٍ أضاء نورا ، فملأ القلبَ فرحة وسرورا .

وسَجِيَّةٍ وَارِيةِ الزّناد ، ذِكْرُ عُلاها عطّر كلّ ناد .

* * *

وله شِعر فى الرُّتبة العالية ، يرخُص عند مِسْكِ مِدادِه الغالية .

أثْبَتُّ منه ما يفُوح فَوْحةَ الزَّهْرِ عَبَقا ، ويتمتّع به مَن كان مُمْتلِقا بالشعر الرَّقيق ومُسْتبِقا .

فمنــه قوله :

ما دام كأسُ المُحَيّا باسمَ الشَّنَبِ ... فَتَرْكُنَا لَثْمِى له من قِلَّة الأدبِ

فاستجْلِها بنتَ كَرْمٍ مَعْ ذوى كَرَمٍ ... مِن كَفِّ ساقٍ ببُرْدِ الحسْن مُحتجِبِ

كالبدرِ يسْعَى بشمسِ الرَّاحِ فى يدِه ... فاعْجَبْ لبدرٍ سعَى بالشمسِ لِلّهَبِ

إذا رَنا قلت خِشْفٌ فى تَلَفُّتِه ... وإن تثنَّى فغُصْنٌ ماسَ فى الكُثُبِ

مَن لى بها وهْى تُجْلَى فى زُجاجتِها ... ومِن سَنَا مُؤْنسٍ باللهوِ والطَّرَبِ[1]

مَعْ رُفْقةٍ كالنجُومِ الزُّهْرِ ساطعةٌ ... حازُوا جميعَ النُّهَى والذَّوْقِ فى العربِ

والوُرْقُ تشْدو على الأغْصانِ قائلةٌ ... باكِرْ صَبُوحَك بالكاساتِ والنُّجُبِ

* * *

وكتب إليه إبراهيم المهتار[2] قصيدةً ، مستهلُّها :

بقلبِىَ سيفَ اللَّواحِظِ سَنَّهْ ... وأفرَضَ وَجْدِى وهَجْرِىَ سَنَّهْ

* * *

(١) فى ب : « ومن سنا مؤنسى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) تقدمت ترجمته برقم ٣٠١ .

فأجابه بقصيدة ، أولها :

أجبْتُك مولاىَ من غيرِ مِنَّهْ ... فذَوْقُك قد خصَّنى الفضلَ مِنَّهْ

وإنِّى مُطيعُك فيما أمرتَ ... به ووِدادِى كما تَعْهدَنَّهْ

منها :

عجبتُ لسحرِ عيونِ الظِّبا ... تصيدُ القساوِرَ من غابِهِنَّهْ

وهُنَّ الدُّمَى الخُرَّدُ الآنِساتُ ... ومَن هُمُ الشُّعْبَ أضحَى مَظَنَّهْ

فكم دون أخْدارِها مَهْلَكٌ ... وكم حولَه من جِيادٍ مُعَنَّهْ

ببِيضِ الصِّفاحِ وسُمْرِ الرِّماحِ ... وصُفْرِ القِسِىِّ وزُرْقِ الأسِنَّهْ

فحَيِّي حِمَى الشِّعْبِ من عامرٍ ... حيًا هَمَّه سَقْىُ أطْلالِهِنَّهْ

فثَمَّ الغَوانِى المِلاحِ الصِّباحِ ... يَرِنُّ الوِشاحُ بأعطافِهِنَّهْ

إذا مِسْنَ ما بين تلك الخدُورِ ... تُحاكِى القَنا لِينَ قاماتِهِنَّهْ

فطيرُ الحَشا لم يزَلْ واجبًا ... عليهِنَّ إن لُحْنَ فى حَيِّهِنَّهْ

ومن ثَمَّ أحْوَى بديعُ الجمالِ ... حوَى اللُّطفَ والظَّرْفَ مِن بَيْنِهِنَّهْ

رَشًا خَصْرُه مُضْمَرٌ ناحِلٌ ... إذا قام والرِّدْفُ ما أرْجَحَنَّهْ

فوَجْنتُه منذُ دَبَّ العِذارُ ... حكَتْ يا ذوِى العِشْقِ نارًا وجَنَّهْ (١)

***

قوله : « فطير الحشا قد غدا واجبا » ، أحسن فيه وأجاد .

وطيور الواجب المتعارَفة عند أرباب القوس والبُنْدُق أربعة عشر ، وهى :

الكُرْكِىّ ، والشبيطر ، والعَنْز (٢) ، والسّوغ ، والمُرْزِم (٣) ، والغُرْنُوق (٤) .

---

(١) فى ب : «مذ دب العذار» ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) العنز : طير مائى ، وأنثى الحبارى القاموس (ع ن ز) .

(٣) المرزم : الأسد .

(٤) الغرنوق : طائر مائى أسود ، وقيل أبيض . القاموس (غ ر ن ق) .

وهذه السِّتَّة يقال لها : قِصار السَّبَق .

والنَّسْرُ ، والعُقاب ، والإوَزّ ، والتَّمّ ، واللَّغْلَغ [1] ، والأنيسة ، والسكوى .

ويقال لها : طِوال السبق .

وإنما قيل لها طيورُ الواجب ؛ لأن الرَّامِي كان لا يُطْلَق عليه لفظُ [2] الرَّامِي ، إلَّا بعد قَتْلِه هذه بأجمعِها بالبُنْدُق وُجوباً صِناعيًّا .

* * *

ومن مَقاطِيعه قوله :

أنحَلَ اللهُ خَصْرَ ذاتِ المِثـالِ فهْى واللهِ لا ترِقُّ لحالِي
وأرانى ألحاظَهـا فى انْكـارٍ ولَظَى جَمْرِ خـدِّها فى اشْتعالِ

* * *

وأصلُه قولُ ابنِ الرُّومِيّ :

أنحلَتْنـــــى حبيبتى أنحَلَ اللهُ خَصْرَهَا
كسَّرتْنى جفونُهـــــا ضاعَفَ اللهُ كَسْرَهَا

* * *

ومثلُه قول إبراهيم بن مشعل [3] :

أضعَفَ الجسمَ فاتِنِي ضاعَفَ اللهُ حُسْنَـهُ
سَقَمِى من جُفُـونِه لا عـدا السُّقْمُ جَفْنَهُ

* * *

وقوله :

لا طفَا اللهُ جَمْرَ خَدِّ حبيبٍ قد كَوانِى بهَجْرِه والصُّـدودِ
وحَمـاه من عارِض وأرانى سُقْمَ عينَيْه دائما فى مَزِيدِ [4]

(١) اللغلغ : طائر. (٢) فى ب : « اسم » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) صاحب الترجمة السابقة . (٤) فى ا : « من مزيد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٣٠٤
فخر الدين أبو بكر بن محمد الخاتونى *

أديبٌ مُنطبِع السَّليقة ، مُتكافئ الخَلْق والخَليقة .

قلّد الطُّروس فخراً بكَلِمه ، وحشَر (١) الصَّواب بين بَنانِه وقلمِه .

وجرى طَلْقاً فى مَيْدان القَرِيض ، فدلَّتْ على سَبْقِه كلمةُ الكلمةِ بالتَّصْريح والتَّعْريض .

* * *

وقد رأيتُ له قِطَعاً فَذَّة ، مَنازِعُها مُسْتلَذَّة .

فمنها قولُه فى غَرْبية المَكِّيَّة (٢) ، وقد هام بها هَيَمان المُعتمِد بالرُّمَيْكيَّة (٣) .

رُبَّ سَمْــــراءَ كالمُثقَّفِ لَمَّا   خطَرتْ فى الغلائلِ السُّنْدُسيَّهْ (٤)

غادةٌ تَسلُبُ العقــولَ ولا بِدْ   عَ وأعمالُ طَرْفِهــا سِحْرِيَّهْ

جُبِلتْ ذاتُهــا من المَنْدَلِ الرَّطْــ   ب ففاقتْ على الرِّياض الزَّكِيَّهْ (٥)

(*) أبو بكر فخر الدين بن محمد الخاتونى المكى .

الكاتب ، الشاعر .

ولد بمكة ، ونشأ بها ، وأخذ عن شيوخ عصره ، وبرع فى الأدب .

وكان عظيم الهيئة ، حسن الصورة ، وضئ الوجه .

توفى سنة نيف وخمسين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٢٧٠ ، ٢٧١ ، سلافة العصر ١٩٠ ـ ١٩٢ .

(١) فى ب : « وحشد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) تقدم فى هذا الباب شعر فى غربية هذه لشعراء الحجاز . انظر صفحات ٤٨ ، ٤٩ ، ٩١ .

(٣) هى اعتماد الرميكية ، زوج المعتمد بن عباد ، وله فى الغرام بها ، والولوع بما يرضيها قصص مأثورة .

توفيت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

انظر الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ٤١ .

وقصيدة الخاتونى فى : خلاصة الأثر ٣/٢٧٠ ، سلافة العصر ١٩١ .

(٤) فى الأصول : « بالمثقف لما » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٥) فى خلاصة الأثر : « على الرياض الذكية » .

مالَها فى الغُصونِ نِدٌّ وليس النَّ ـدُّ إلَّا من ذاتِهـــا المِسْكِيَّهْ

منها[1] :

هى للقلبِ مُنيــــةٌ ولــكم مِن صَـدِّها الصَّبُّ ذاقَ طعمَ المَنِيَّهْ[2]

ذاتُ لَحظٍ وَسْنانَ يَفعَـــل مالمْ يفعلِ السيفُ فى قلوبِ الرَّعِيَّهْ

ومُحيًّا مِن دونِه يخسَف البَدْ رُ إذا لاح فى الليـــالى البَهِيَّهْ[3]

حَـــوَتِ الحُسْنَ كلَّه فهْى ممّا أبْدَعَ اللهُ صُنْعَه فى البَرِيَّهْ[4]

شَبَّهوها عنـــد التلفُّتِ بالظَّبْ ـىِ وهيْهـــات ماهُما بالسَّوِيَّهْ

كلُّ شيْءٍ يَخْفَى إذا ماتبـــدَّتْ وهْى كالشمسِ لا تزال مُضِيَّهْ

ليت شِعْرِى وأىُّ شمسٍ بشرقٍ لك تَبقَى إذا بدتْ غَرْبِيَّهْ[5]

***

وله يرثى السيد أحمد بن مسعود[6] ، لما بلغه خبرُ موته[7] :

على فَقْدِ بدرِ التِّمِّ أحمدَ فلْتَجُدْ لَعُظْمِ الأسَى من كلِّ نَدْبٍ شُئونُهُ

وإلَّا فمن ياليت شِعْرِىَ بعـــدَه إذا هى لم تَسمَحْ تَسِحُّ جفونُهُ

فتًى كان والأيامُ للجَدْبِ كُلَّحٌ إذا أمَّـــه العافِى أضاء جَبِينُهُ

فتُبصِرُ بدراً منـــه قد تمَّ حسنُه وتنْشَق روضاً قد تناهَتْ فُنونُهُ

تجود وإن أوْدَى الزمانُ يَسارُه بمـا قد حوَتْ من كلِّ وَفْرٍ يَمِينُهُ

فقُل للذى قد جدَّ فى طَلَبِ النَّدَى رُوَيْدَك إن الجـودَ سارتْ ظُعونُهُ

وقد غاب من أفْقِ الـكمالِ مُنِيـــرُه كما غار من بحرِ النَّوالِ مَعِينُهُ

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٢) فى خلاصة الأثر : « من صدها الصب » . (٣) فى سلافة العصر : « بالليالى البهيه » .

(٤) فى ب : « صنعه بالبريه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٥) فى السلافة : « وأى شمس لشرق » . (٦) تقدمت ترجمته برقم ٢٦٨ .

(٧) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/ ٢٧٠ ، ٢٧١ .

وأصبح وجهُ المجـدِ للحُزْن كالِحاً كأنْ لم تـكن من قبلُ قرَّتْ عيونُهُ

سأبـكيه والآدابُ أجمعُهـا معى بدمعٍ تَوَدُّ السُّحْبُ يوماً تـكونُهُ

ولِمْ لا عليـه الفخرُ يبْـكى تأسُّفاً وقد حُقَّ منـه البَيْنُ وهْو خَدِينُهُ

فذاك الذى عن مِثْـلِهِ يقْبُح العزا ويحسُن إلَّا مِن هواه سكونُهُ (١)

عليـه من الله التحيَّةُ ما وفَتْ بفُرْقتِهِ من كلِّ حَىٍّ منونُهُ

ورحمـتُهُ ما حَنَّ أوْ ناحَ وَالِهٌ نأى عنه من بعدِ التَّدانِى قرينُهُ

* * *

وله فى الفَوَّارة :

ألا مِلْ إلى روضٍ به بِرْكَةٌ زَهَتْ بفَوَّارةٍ فيها كفَصٍّ من الْمَاسِ

إذا ما أتاها زائرٌ قام ماؤهـا فأجْلَسَه منها على العَيْنِ والرَّاسِ

---

(١) فى ج : « فذاك الذى من أجله » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

٣٠٥
على بن القاسم بن نعمة الله
المعروف بالمنلا*

وجدُّه الرابع من آبائه الشيخ ظَهِير الدِّين ، عَلَّامة شِيراز فى زمانه ، وسِرُّ التحقيق الذى أظهره الدهرُ بعد كِتْمانِه .

وعَلِيٌّ هذا فرعٌ من فروع دَوحتِه ، بان فضلُه من حين جِيئتِه ورَوْحتِه .

فظهر أوانَ الظُّهور وسَاد ، وشاد من دعائم مجدِه المُؤثَّل ما شاد .

بهِمَّةٍ إلى صِرْف العُلَى مَصروفة ، وشِيمَةٍ بإسْداء المعروف مَعْروفة .

وأمَّا فضلُه فالبراعةُ مَيدان مَجالِه ، والنَّباهةُ مَحلُّ رَوِيَّتِه وارْتِجالِه .

* * *

وله شِعر سهْل طريقُه وساغ ، فانساغ مع الرِّقَّة ألطفَ مَساغ .

فمنه قوله ، مُضمِّنا [1] :

ولمَّا أتتْنى من جَنابِك نَفْحــــةٌ ... تضوَّع من أنفاسِها المسكُ والنَّدُّ

وقفْتُ فأتبعْتُ الرسولَ مُسائِلاً ... وأنشدْتُه بيتاً هو العَــــلَمُ الفَرْدُ

وحدَّثْتنى يا سعدُ عنها فزِدْتــــنى ... شُجوناً فزِدْنِى من شجُونِك يا سعدُ [2]

* * *

(*) المنلا على بن القاسم بن نعمة الله الشيرازى المكى .
ولد بمكة ، ونشأ بها ، وأكب على طلب العلم وتحصيله حتى برع .
ورحل إلى بلاد العجم ، ثم إلى الهند ، وهناك وافته منيته سنة إحدى وخمسين وألف .
خلاصة الأثر ٣/١٧٨ ، ١٧٩ ، سلافة العصر ١٧٢ ــ ١٨٢ .

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٧٩ ، سلافة العصر ١٨٢ .

(٢) فى ديوان العباس بن الأحنف ٩٨ : « جنوناً فزدنى » ، وفى الديوان ، والخلاصة ، والسلافة : من حديثك ياسعد » .

والبيت المضمَّن للعبّاس بن الأحْنَف ، وبعده :

هَواها هَوًى لم يعرِف القلبُ غيرَه فليس له قَبْلٌ وليس له بَعْدُ[(١)]

* * *

وله ، وكتبه فى صدر كتاب[(٢)] :

أناخَ بسُوحِى جيشُ همٍّ وإبْطالِ وأضحَى قَرِينَ القلبِ من بعدِ تَرْحالِ[(٣)]

وما فَلَّ ذاكَ الجيشَ غيرُ صَحيفةٍ تجِلُّ لَعَمْرِى عن شَبيهٍ وأمْثالِ[(٤)]

أتَتْ تسلُب الألبابَ طُرًّا كأنها رَبيبةُ خِـدْرٍ ذاتُ مِمْطٍ وخَلْخالِ

أتَتْ من خَليـلٍ قربه غاية المُنى ومنظرُه الأَسْنى غدا جُلَّ آمالى

فلا زال محفوظًا عن الحُزْنِ والأَسَى ولا زال محفوفًا بعزٍّ وإجْلالِ[(٥)]

***

---

(١) فى الديوان : « لم يعلم القلب غيره » . (٢) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣ / ١٧٩ ، سلافة العصر ١٨١ . (٣) فى السلافة : « جيش هم وأوجال » ، وفى ب : « من بعض ترحال » والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٤) فى الخلاصة ، والسلافة : « عن شبيه وتمثال »

(٥) فى ا : « ولا زال محفوظاً بعز وإجلال » ، والمثبت فى : ب ، ح ، والخلاصة ، والسلافة .

٣٠٦

ولده أحمـــــد*

هو فى هذه الأخلاف ، يُذْكر بما يُذكر به كبارُ الأسْلاف .

من تقوى تعمَّر بها ظاهرُه ، ومن صِيانةٍ تجمَّلتْ بها مَظاهرُه .

وقد رأيتُه بمكةَ المُعظَّمة ، وفرائدُ آدابه بِلِيتِ[1] الزّمان مُنظَّمة .

وهو من النِّعْمة فى ظِلٍّ رطيبِ المَطارِح ، ومن الكرامةِ فى حِمًى رحيبِ المَسارح .

فتناولتُ من مَناظيمه قِطَعاً كحدائق الجِنان ، فدونك منها ما يتمتَّع به الطَّرْف والجَنان .

* * *

فمنها قوله ، من قصيدة أوّلها[2] :

يا أخِلاَّئى بجَرْعاءِ الحِمَى ... ما لِصافِى وُدِّنا عاد أُجاجَا

وليــــالٍ بمِنًى قَضَّيْتُها ... معْ نديمٍ لم يكنْ فى الحب دَاجَا[3]

ومليحٍ كاملٍ فى حُسْنِه ... يفضَح الأقمارَ حُسْناً وانبِلاَجَا[4]

فسَعَى فى شَتِّنا دهرٌ بَغَى ... بيننا من قادِح البَيْنِ رِتاجَا[5]

(*) ترجمه ابن معصوم فى سلافة العصر ١٨٢ ـ ١٨٧ .

وذكر المحبى فى ترجمة والده ، فى خلاصة الأثر ٣/١٧٩ ، أنه تزوج بأم السيد على بن معصوم ، صاحب السلافة ، واستولدها ولده أحمد بن المنلا ، أحد أدباء مكة الآن ، وهو فى الأحياء كامل الأدوات، لطيف الذات ، فهو أخو السيد على بن معصوم لأمه .

(١) الليت : صفحة العنق .

(٢) الأبيات فى سلافة العصر ١٨٤ . (٣) لعله يعنى بالداجى : من يستتر بحبه .

(٤) فى السلافة : « ومليح كغزال ناعس * يخجل الأقمار . . . » .

وفى ب : « حسناً وابتلاجا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

(٥) فى السلافة : « دهر ثنى » .

فتناءوْا وتبدَّلْتُ بهم فِتنةً حادتْ عن الحقِّ اعْوِجاجًا[1]

* * *

وقوله من أخرى[2] :

سقى اللهُ رَبْعًا بالأجارعِ من هنـدِ وحَيَّى الحَيَا وادِى الأراكةِ والرَّنْدِ[3]
مَغانٍ بها كانَ الزَّمانُ مُساعدِى بأفنانِ بِشْرٍ من أسِرَّتِه يُبْدِى
وريمٍ إذا ما لاح ضوء جَبينِه بفَرْعٍ حكَى لَيلَ التَّباعُدِ من هندِ[4]
أرَانا مُحَيًّا كالغزالةِ فى الضحى أو البدرِ فى بُرْجِ التَّكامُلِ والسَّعْدِ
له مُقْـلةٌ وَسْناء ترشق أسْهُمًا تُصِيب الحشَا قبلَ الجوارحِ والجِلْدِ
وثَغرٌ إذَا ما ضاء فى جُنْحِ دامِسٍ توهَّمْتَ دُرًّا قد تنضَّد فى عِقْـدِ
يُدِيرُ به ظَلْمًا كأنَّ مَذاقَهُ جَنَى الطَّلْعِ أو صِرْفُ السُّلافِ أو الشَّهْدِ[5]
وتالِعُ جيدٍ ما الغزالة إن عَطَتْ بمُنْعرجِ الجَرْعاء طالبـةَ الوِرْدِ
وصَعْدَةُ قَدٍّ إن تقُـل غُصُن النَّقَا يقول لها هيْهات ما ذاكَ من نِدِّى[6]
ورِدْفٌ تَشَكَّى الخصرُ أعْباءَ ثقْلِه فناء به حتى تضاءلَ عن جُهْدِ[7]
فللّـه هاتيك الليـالى التى خَلَتْ وعُوِّضْتُ عنها بالقَطِيعة والبُعْدِ
وأصبحتُ والأحشاء يذْكُو لَهِيبُها أليفَ النوى حِلْفَ الجوى دائمَ السُّهْدِ
أروح وأغْدُو واجِدًا بين أضْلُعِى لَهِيبَ جَوًى لم يَخْلُ حِينًا من الوَقْدِ[8]
أعَضُّ بَنـانِى حسرةً وتأسُّفًا وأنْدُب عصرًا لم أبِتْ خاليًا وحْدِى

---

(١) فى ب : « وتبدلت بهم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٢) القصيدة فى سلافة العصر ١٨٢–١٨٤ مدح بها النظام ابن معصوم ، وقد قصده بالديار الهندية ، سنة أربع وسبعين وألف .
(٣) فى السلافة : « بالأجارع من نجد » . (٤) فى ا : « بدر جبينـه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٥) الظلم بالفتح : الريق . (٦) الصعدة : الرمح المستوية .
(٧) فى السلافة : « إعياء ثقله » . (٨) فى السلافة : « لم يخل يوماً »

وأُرسِلُ دَمْعًا كالغمامِ إذا همى ... فهيهات أن يُغنى التأسُّف أو يُجْدِى
إلى الله أشكو جورَ دهرٍ إذا عدَا ... على المرء حاجاه بألسِنةٍ لُدِّ
وقائلةٍ والعيشُ يُزعِجُه النَّوَى ... وعَبْرتُها كالطَّلِّ يسقط فى الوَرْدِ[1]
لبئس المُنَى أن تقطعَ البِيدَ بالسُّرَى ... وترحلَ عن وادِ المُحصَّبِ للهِنْدِ[2]
فقلتُ لهـا ما القَصْدُ واللهِ مُنْيَةٌ ... ولا نَيْلَ سُؤْلٍ من عَرُوضٍ ومن نَقْدِ
ولكنْ لأقضِى شُكْرَ سالِفِ نِعْمةٍ ... مُشيَّدةِ الأركانِ بالأبِ والجَدِّ
لأكْرَمِ مَوْلًى ألبسَتْ يدُه الورَى ... مَطارِفَ نَعْماء تجِلُّ عن الحَدِّ

* * *

ومن شِعره قوله مُجيبًا لصاحب « السلافة » ، عن أبيات كتبها إليه ، لغرضٍ عرَض[3] :

أبا حسنٍ لا زال سَعْدُك غالبًا ... وجَدُّك مَسْعوداً ونَجْمُك ثاقبَا
ولا زالتِ العَلْياء تُجْنَى ثِمارُها ... لَدَيك وتَحْوِى فى المَعالى الأطايِبَا
أتانى قَرِيضٌ منك قد جرَّ ذيلَه ... على الأطْلَسِ الأعلَى وفاق الكَواكبَا
يُشِير إلى خِلٍّ تغيَّر وُدُّه ... وأصبح من بعدِ التَّحابِى مُحارِبَا[4]
أبَى اللهُ أن يَثْنِى عِنانَ وِدادِه ... ولو مَطرتْ سُحْبُ الغوادِى قَواضِبَا
ولكنه يامَفْخَرَ العربِ امْرُؤٌ ... يُجرَّع من هذا الزمانِ مَصائبَا
تجرَّد عَزْمًا للتَّجافِى عن الورى ... وأصبح مُنْحازاً عن الخلقِ جانبَا
فصبراً لهذا الدهرِ إنَّ صُروفَه ... لَعَمْرُك تُبْدِى من قضاها عجائبَا

---

(١) فى السلافة : « وقائلة والعيس يزعجها النوى » ، وهو أولى .

(٢) المحصب : موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب . معجم البلدان ٤/٤٢٦ .

(٣) القصيدة فى سلافة العصر ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٤) فى السلافة : « وأصبح من بعد صافى محاربا » .

سيصفو شرابٌ مرّ دهراً مُكدَّراً ... ويرضَى مُحِبٌّ ظلّ حِيناً مُغاضِباً [1]
فإن ضميرِى لا يزال مُنازِعِى ... بأنّك ترْقَى فى المَعالى مَراتِباً [2]
مَراتِبُ تسْمُو للسّماكَيْن رِفْعةً ... تقُود بها خَيْلَ الفخار جَنائِباً
فذلك عندى عن تَقِيّ مُكرَّمٍ ... صَدُوقٍ إذا ماقال لم يُلْفَ كاذِباً
ومازلتُ أرْعَى قولَه فى مَواطنٍ ... فألْفيْتُه ثَبْتَ المَقالةِ صائباً
ودُمْ رَاقِياً للمجدِ أرْفعَ رُتْبةٍ ... تُبيدُ الأعادى أو تُنيل الرّغائبا

٭٭٭

---

(١) فى ا ، والسلافة : « شراب مردهر محاربا » (٢) فى السلافة : « لا يزال منازعا » .

٣٠٧
أحمد بن أبى القاسم الخَلِّىّ (١)

من أولى الناس للمجدِ تفْصيلا ، وأحقِّهم للتَّرجيح تكْميلا وتفضيلا .

لم تُرفَع عن أحسنَ من محاسِنِه النقُب ، ولم تتشرَّف بأفضلَ من مآثرِه الِحقَب .

ولقد مُنِيتُ به فى إحدى ثلاثة مِنَى ، وحصُلْتُ منه على ما كنتُ أتوقَّمه من أُمْنِيَّةٍ ومُنَى .

فى هُنَيْئة أقْصرَ من رَجْعةِ طَرْف ، وأخْصرَ من كتابةِ حرف .

فرأيت فاضلاً ألقَى دَلْوَه فى بحرِ الأدب فنزَفه ، ومَدَّ يدَه إلى غُصنه الفَيْنان فقطَفه .

* * *

وأنشدنى من شعره ما تحسُد اتِّساقَه الثُّغور ، وتُغازِلُه شهبُ السماء فتغور .

فمنه قوله من قصيدة :

حَيَّى الحَيَا مَرابِعاً بنَجْدِ ... قد طاب فيها صَدَرِى ووِرْدِى

مَرابعاً كنتُ سميراً للدُّمَى ... بها وتِرْبَ ناهِداتِ النَّهْدِ

من كلِّ هَيْفاءِ القَوام غادةٍ ... يَبْسَم فَاها عن لآلِى عِقْدِ

إذا انْثَنَى بالدَّلِّ لَدْنُ قَدِّها ... فأين منه عَذَباتُ الرَّنْدِ

ثقيلةُ الرِّدْفِ هضيمةُ الحشا ... يحْكيهما تجلُّدِى ووَجْدِى

ضعيفةُ الخصْرِ ولكن فِعْلُه ... فى القلبِ أبْلانِى بضَعْفِ الجُهْدِ

---

(١) هذا الضبط من : ج ، ضبط قلم .

كثيرةُ الخلفِ فما لِصَبِّهـــا　　مَطْلُ وَعيــدٍ ونجازُ وَعْدِ
ميَّالةُ العِطْفِ لغــيرِ عاشقٍ　　مَلُولةُ الإلْفِ لغــيرِ الصَّدِّ
ريَّانةُ الجسمِ يظَلُّ شارِقاً　　دُمْلُجُها مِنهــا بماء الزَّنْدِ (١)
لهـــا مُحيًّا كالصباحِ أبْلَجٌ　　من فوقه ليلٌ أثيثٌ جَعْدُ (٢)
وناظرٌ أجْـرَى دموعَ ناظِرِى　　وَقْفاً على عامِـــلِ ذاكَ القَدِّ
وحاجبٌ حجبَ عن جَفْنِى الكرَى　　كأنه مُوَكَّلٌ بالسَّرْدِ
شكَوْتُ ما ألْقى لِقاسِى قَدِّها　　هيهات هــل تعْطِف من صَلْدِ
ياقلبَهــا إن كنتَ صخراً إننى الـ　　ـخَنْساء فارْحَمْ لَوْعتِى وسُهْدِى

* * *

وقوله من قصيدة نبويَّة ، مطلعها :

مَن لصَبٍّ فى الحبِّ أفْنَى زمانَهْ　　وهو إلْفُ استكانةٍ وزمانَهْ (٣)
قد براهُ الهــوى فصار خيالاً　　لو أتَى عائدٌ لضَلَّ مكانَهْ
لَذَّ ذُلُّ الهـــوى وهو حُرٌّ　　فهو يهوَى الهوَى ويهوَى هَوانَهْ
كلَّما هبَّتِ الصَّبا هام شوقاً　　لزَرُودٍ وهيَّجَتْ أشجانَهْ (٤)
يارعَى اللهُ عصرَ أُنْسٍ تقضَّى　　برُباها وما قضَيْتُ لُبانَهْ
وسقَى صَيِّبُ الغمامِ ثَراها　　لا دموعِى ودِيمَةٌ هتَّانَهْ (٥)
أنا أخْشَى من دمعِ عينى عليها　　قد رأيتُم يوم النَّوَى طُوفانَهْ
ياخليلِى إذا أتيْتَ إليهــا　　وتراءتْ تلك القِبابُ المُصانَهْ
قِفْ بها ساعةً وسَلْ عن فؤادى　　ساكِنِيها لعــل تعرفُ شانَهْ
أخــذُوه يومَ الوَداعِ الأحبا　　بُ كأنَّ الفؤادَ عنــدى أمانَهْ

---

(١) الدملج : المعضد . (٢) الأثيث : الملتف . (٣) الزمانة : عدم القدرة على الحركة ، والمرض الدائم ، وتطلق على الحب أيضاً . (٤) زرود : موضع تقدم ذكره كثيراً . (٥) هتن المطر : تتابع .

تركونى جسماً ولا قلبَ فيه ماحيـاتى واللهِ إلّا مَجانَهْ
ياعَذُولِى إليك عـنِّى فلا قلـ ب أراه فأرتجِى سُلْوانَهْ
أجنونٌ أصاب عاذِلىَ الغمْـ رَ وإلّا مثلى أضاع جَنانَهْ
ما درَى أن عَذْلَه يُضرِمَ الوَجْـ دَ أجَلْ لو درَى لألْوَى عِنانَهْ
أتُراه من بعد أن شِبْتُ فى الْحُبِّ م وأصبحتُ فى الهوى تَرْجُمانَهْ
ينتهى فى صَرْف قلبى الأما نى فالأمانى بُروقُها خَوّانَهْ
كيف صَرْفُ الفؤاد قُلْ لى وهذا حُسْنُ ليلَى عَمَّ الوجودَ فزانَهْ
لو رآها رأى الذى يبهر العَقْـ لَ وينْسَى الرّائى به أحْزانَهْ
إنّ داعِى جمالِها قام يدعـو مُوضِحاً للصَّبابهـا بُرْهانَهْ
جَلَّ مَن صاغَها طريقاً إلى الرُّشْـ دِ وأنْمُوذَجاً يُرِينا جِنانَهْ
نُزْهـةٌ للعيون ننظُر فيها قمراً مُشْرِقا على خُوطِ بانَهْ(١)
وجَبِيناً يحكِى الهلالَ وفَرْعاً مثلَ لَيْلِى إذا انثنَتْ غَضْبانَهْ
وعيوناً لا شكَّ عندى هى الدُّ نيا أراهـا قَتّالةً فتّانَهْ
وثنـايا كأنَّهنَّ اللّآلِى ورُضاباً أظنُّـه خمرَ حانَهْ
طالمـا أخمدَتْ به وَهجَ القلْـ بِ المُعَنَّى وأطفأتْ نيرانَهْ
وأتتْنى من غيرِ سابقِ وَعْدٍ تتهادَى كأنّهـا نَشْوانَهْ
فامتزجْنا من العِناقِ وبتْنا فى سرابيلِ عِفّةٍ وصِيانَهْ(٢)
نتعاطَى من الحديثِ كؤوساً هىَ أشهَى من أكْؤُسٍ مَلْآنَهْ
ثم قالتْ خُـذْ فى مَدائحِ طَه عَيْنِ هذا الوجودِ بل إنْسانَهْ

* * *

(١) الخوط : الغصن الناعم .
(٢) فى ا : « فى سراويل عفة وصيانه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وله من مُوَشَّح مُسْتَبْدَع ، مستهلُّه :

حتَّى متَى هذا الرَّشَا الأَكْحَلْ باهِى الجَبِينْ
غيرى يَفِى وها أنا أُهْمَلْ اللهُ يُعِينْ
ما حِيلتِى قد زاد بى البَلْبَالْ
ومُهْجتِى تقطَّعتْ أَوْصالْ
وعَبْرتِى كالعارِضِ الهَطّالْ
قد شَتَّتا نَوْمِى وقد أبْطَلْ حَوْلِى المَتِينْ
مَن مُنصِفِى منه وما أعمَلْ يا مسلمِينْ
هَوِيتُه حلوَ اللَّمَى أَرْعَنْ
شَتِيتُه كاللؤلؤ المُثْمَنْ
فليْته يبْتَجِى مِن أنْ
وَاحَسْرتَا إن كُنتُ لا أُهْمَلْ[(1)] مَن ذَا المُعِينْ
ويَنطفِى فى القلبِ ما أشْعَلْ وَجْدِى سِنِينْ
أصْمَى الحَشَا بطَرْفِه النَّبَّالْ
وأذْهشَا لُبِّى وعقلى زالْ
ولو يَشا ما صِرتُ فى ذا الحالْ
تفتَّنَا قلبى بما حَمَلْ أنتَ الضَّمِينْ
يا مُتْلِفِى ظُلْمًا وقد أَجْمَلْ حُلَّ اليَمِينْ
ما بَراحٌ عن حُبِّه كَلَّا
ولا سَراحٌ عن عِشْقِه أصْلَا
إلَّا امْتداحُ خيرِ الورَى أصْلَا

---

(١) فى ا ، ب : « لا أهمل » ، والمثبت فى : ج .

من قد أتى من ربِّنا مُرْسَـــلْ للعـالَمينْ
المُقْتـــفِي والسيِّدُ الأكْمَـلْ طهَ الأمينْ

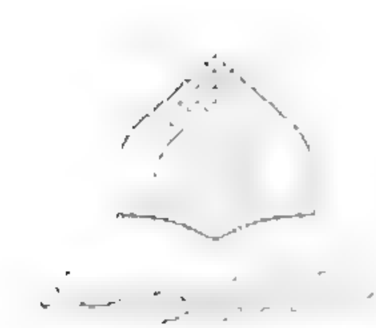
***

وله من آخر :

يا مَن لقتلِي ظُلْماً أحَـلَّا والقلبَ حَلَّا
مَن لدمِ المسـلمِ استحلَّا ما قَطُّ حَـلَّا
جَفاكَ طَعْمَ المَنونِ حَـلَّا والصبرَ حَـلَّا
لم يحْكِكَ الظَّبْيُ لو تجلَّى فأنتَ أحْـلَى
يا مُنيـةَ القلبِ كم تدورُ
على هَـلاكِي وكم تجورُ
هـذا من الدَّلِّ أم غرورُ
جرَّدْتَ من مُقْلتيْكَ نَصْلَا ورُشْتَ نَبلَا
أثخَنْتَ لمَّا أمِنْتَ عقلَا نَهْباً وقتلَا
اللهَ فى عاشقٍ غريبِ مُضْنًى كئيبِ
أضْحَى من النَّوْحِ والنَّحيبِ كمَنْدَليبِ
فارجِعْ إلى اللهِ من قريبِ وكُنْ مُجيبِى
وامْنَحِ المُسْتهامَ وَصْـلاَ فالقلبُ يَصْـلَى
حُمِّلْتُ ما لا يُطاقُ أصْلاَ عقْـلاً ونقْلاَ
يا كامـلَ الحُسْنِ والجمالِ
يا بارعَ الغـنْجِ والدَّلالِ
يا فاضـحَ الغُصْنِ والغزالِ

أنت من النَّيِّرينِ أعْـلَى ... سَنًا وأغْـلَى
وجْهُك للبدرِ لو تجـلَّى ... بــه تَمَـلَّى
أضعْتَ عُمْرَ الشَّجِيِّ قَصْدًا ... هَجْراً وصَـدًّا
لم ترْعَ لى يا مَـلُولُ وُدًّا ... وخُنْتَ عَهْدًا
وسِرْتَ تسطُو علىَّ عَمْداً ... لم تَخْشَ حَدًّا
حلَفتَ من قبل ذاك أنْ لَا ... تُسِيء فِعْـلاَ
نَسِيتَ لى ذِمَّـةً وإلًّا ... فاعطِفْ وإلَّا

☆☆☆



(١) الإل : العهـد .

٣٠٨
أخوه محمـــد

هو لرَوْضِه شَقِيق ، ومثلُه بالمدح حَقِيق .
مَشْحُوذُ سِنان البيان ، مَصقولُ أطْرافِ البَنان .
وأنا وإن لم أتَملَّ برُؤيةِ جمالِه ، فقـد استَمْلَيْتُ طَرَفاً من خَـبَرِ فضـلِه وكمالِه .

***

وقد أهْدَى إلىَّ تُحفاً من أشعاره الغَضَّة ، فأخـذتُ من رَاحِها بالمَصَّةِ ومن تُفَّاحِها بالعَضَّة .

فما جرَّدْتُه منها قوله :

بالله ياريحُ هُزِّى غُصْنَ قامتِــــه   وحَاذِرِى العارِضَ النَّمَّامَ فى السَّحَرِ
وشَوِّشِى رَوْضَ خَـدَّيْه على عَجَلٍ   ثم انْتَحِى نحو ذاك المَبْسَمِ العَطِرِ
وضَمِّخِى الكونَ من رَيَّاه وانْتهِزِى   لى فُرْصةً بين ذاكَ الوردِ والصَّـدَرِ
وعانِقِى قَدَّه الزَّاهِى فمـــا لِشَجٍ   إلَّاكِ شافيـــةٌ قد جاء فى الخَبَرِ
وحدِّثيه بأنِّى فى هَـــــواه لَقًى   قد حالفَتْنِى يدُ الأسْقامِ والغِيَرِ[1]
مُبَلْبَلَ البالِ أرْعَى النجمَ مُكْتئِباً   نَحِيلَ جسمٍ صَرِيعَ الدَّلِّ والحَوَرِ
كأنَّ عَيْنِىَ لاتَهْدِى بها رَمَـــدٌ   وأن أهْدَابَها قُدَّتْ من الإبَرِ
لعل مَسْراكِ يُطْفِى ماتضَمَّنَـــه   قلبٌ تَقَسَّم بين الوَجْدِ والفِكَرِ
للهِ أنتِ فكم طَوَّقْتِنِى مِنَناً   سَحْبانُ فى وَصْفِها يُعْزَى إلى الحَصَرِ
لأشْكُرنَّكِ ماغَنَّتْ مُطـــوَّقةٌ   على الغصونِ بذاتِ الضَّالِ والسَّمُرِ

(١) لقى : ملقى مطروح .

وما سرَى البَرْقُ وَهْناً من ديارِهمُ   وماهَمى العارِضُ الرَّجَّافُ بالمطرِ

* * *

وقد عارض بها أبيات الطُّغْرائِي ، التى أولها [١] :

بالله ياريحُ إن مُكِّنْتِ ثانيــةً   من صُدْغِه فأقيمى فيـه واسْتَتِرى

* * *

وقوله :

ولقــد ذكرتُك والنجومُ سَواهِمٌ   والجوُّ من نَقْعِ السَّلاهِبِ مُظلِمُ [٢]

والحَرْبُ تُسْعر بالحروب كُماتها   والبِيضُ تُنثَر والعــوالِي تُنْظَمُ

وكأنمــا خُضْرُ الدُّروعِ مَجَرَّةٌ   وسَنَا المَغــافِرِ فى سَنَاها أنْجُمُ

فغدَوْتُ أقتحِمُ المَدامِعَ إذْ حَكَتْ   مَمْــنَى لحسنِك أبلجاً يتبسَّمُ

* * *

هذا الأسلوب استعمله الشعراء كثيراً .

قال مجنون ليلى [٣] :

ذكرتُك والحَجيجُ له ضَجِيجٌ   بمكةَ والقلوبُ لهــا وَجِيبُ [٤]

مُصْعَب بن زُرارة :

ولقد ذكرتُكِ والمَنيَّـــةُ بيننا   تحت الخوافِقِ والقلوبُ خَوافِقُ

الوزير أبو الحسن بن القَبْطُرْنَة [٥] :

---

(١) ديوان الطغرائى ١١٤ .   (٢) السلاهب : الطوال من الخيل .   (٣) ديوانه ٦ .

(٤) فى الديوان : « والحجيج لهم ضجيج » .   (٥) فى الأصول : « القبطارية » ، والمثبت فى المطرب من أشعار أهل المغرب ١٨٦ ، وانظر المعجب ٢٣٧ .

وفى قلائد العقيان ١٤٨ : « القبطرنية » ، وفى المغرب لابن سعيد ١/٣٦٧ « القبطورنه » .

وهو أبو الحسن محمد بن سعيد بن القبطرنة ، كان كاتباً للمتوكل بن الأفطس .

والبيتان فى : قلائد العقيان ١٥٤ ، والمغرب ١/٣٦٨ ، وديوان الصبابة ١٨١ دون نسبة .

ذكرتُ سُلَيْمَى وحَــرُّ الوَغَى ... بقلبِيَ ساعــــةَ فارقتُهَا (١)
وأبصرتُ بين القَنــا قَدَّها ... وقد مِلْنَ نَحْوِى فقبَّلتُها (٢)

أبو طالب الرَّقِّىّ (٣) :

ولقــد ذكرتُكِ والظلامُ كأنه ... يومُ النَّوَى وفؤادُ مَن لم يَعْشَقِ

عطيَّة السُّلَمِىّ (٤) :

ولقــد ذكرتُكِ والرِّماحُ تنوشُنِي ... عنــد الإمامِ وساعدِى مَغْلُولُ
ولقــد ذكرتُكِ والذى أنا عبدُه ... والسيفُ بين ذُؤابتى مَسْلولُ (٥)

أبو حيَّان (٦) :

ولقد ذكرتُكِ والبحرُ الخِضَمُّ طَغَتْ ... أمْواجُه والورى منــه على حَذَرِ (٧)

مثلُه لابن رَشِيق (٨) :

ولقــد ذكرتُكِ فى السفينةِ والرَّدَى ... مُتوقَّعٌ بتلاطُمِ الأمــــواجِ
وعلَتْ لأصحابِ السفينةِ ضَجَّــةٌ ... وأنا وذِكْرُكِ فى ألَذِّ تناجِى

الصَّفِىّ الحِلِّىّ (٩) :

ولقــد ذكرتُكِ والجماجِمُ وُقَّعٌ ... تحت السَّنابِكِ والأكُفُّ تطِيرُ
والهامُ فى أُفُقِ العَجاجةِ حُــوَّمٌ ... فكأنَّهــا فوق النُّسُورِ نُسورُ (١٠)

---

(١) فى القلائد ، والمغرب : « كجسمى ساعة فارقتها » . (٢) فى القلائد ، والمغرب : « وقد ملن نحوى فعانقتها » ، وكذلك فى ديوان الصبابة . (٣) البيت فى ديوان الصبابة ١٨٣ ، وهو فيه لأبى طالب الرفاء . (٤) البيتان فى ديوان الصبابة ١٨٣ . (٥) هــذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

وفى ديوان الصبابة : « والسيف فوق ذؤابتى مسلول » .

(٦) البيت فى ديوان الصبابة ١٨٣ . (٧) فى ديوان الصبابة : « والورى منه على سفر » .

(٨) ديوانه ٤٨ ، ٤٩ ، وديوان الصبابة ١٨٢ . (٩) ديوان الصبابة ١٨٢ ، ١٨٣

(١٠) فى ديوان الصبابة : « فكأنما فوق النسور نسور » .

فظَنَنْتُ أنى فى مجالسِ لَذَّتِى والرَّاحُ تُجْلَى والكؤوسُ تدُورُ[(1)]

وقال أيضا[(2)] :

ولقــــد ذكرتُكِ والعَجاجُ كأنه مَطْلُ الغَنِيِّ وسوءُ عَيْشِ المُعْسِرِ[(3)]

فظننْتُ أنى فى صَباحٍ مُسْفِرٍ من ضَوْءِ وجهِكِ أو سَناءِ مُقْمِرِ[(4)]

الطُّغرائِيّ ، وما أرَقَّ قولَه[(5)] :

إنِّى لَأَذْكُرُكُم وقد بلَغ الظَّمَا مــنِّى فأشْرَقُ بالزُّلالِ الباردِ

وأقولُ ليت أحِبَّتِى عايَنْتُمُ قبل المَماتِ ولو بيومٍ واحــدِ

أبو عَطاء السِّنْدِيّ[(6)] الحماسِيّ[(7)] :

ذكرتُكِ والخَطِّيُّ يخطِر بيْنَنَــا وقد نَهِلتْ مِنَّا المُثَقَّفَةُ السُّمْرُ[(8)]

مثله[(9)] :

وإنى جُلْتُ فى جيشِ الأعادِى برُمْحِى وهْــو فى فكرِى يجُولُ

---

(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى ا ، ج . (٢) ديوان الصبابة ١٨٢ . والبيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج (٣) بعد هـذا فى هامش ا : « ومن هـذا القبيل قول عنترة العبسى :

ولقد ذكرتُكِ والرِّماحُ نَواهِلٌ مِنِّى وبِيضُ الهِنْدِ تقطُرُ من دَمِى

فوَدِدْتُ تقبيلَ السيوفِ لأنها بَرَقَتْ كبارِقِ ثَغْرِكِ المتبسِّمِ »

وهو كلام مقحم كما ترى .

(٤) فى ا : « فى هياج مسفر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، ديوان الصبابة ، وفى ديوان الصبابة : « أو ساء مقمر » ، وهو أولى . (٥) ديوان الطغرائى ١٠٨ ، وديوان الصبابة ١٨١ .

(٦) فى ب : « السندسى » ، وهو خطأ صوابه فى : ا ، ج .

واسم أبى عطاء أفلح بن يسار ، وقيل اسمه مرزوق .

من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، وهو شاعر فحل .

انظر سمط اللآلى ١/٦٠٢ ، الشعر والشعراء ٢/٧٦٦ .

(٧) البيت فى ديوان الصبابة ١٨١ . (٨) فى ديوان الصبابة : « وقد نهلت منى » .

(٩) فى ا ، ج : « وله » ، والمثبت فى : ب ، وفى ديوان الصبابة ١٨١ ، ١٨٢ أن البيت لابن تميم وقبله قوله :

ألا مَن يُبلِغِ المحبوبَ أنى وقفتُ واللَّظَى حولى ضئيلُ

مُجير الدِّين بن تميم :

ولقد ذكرتك حين أنكرتِ الظُّبا أغمادَها وتعارفتْ فى الهامِ

والنَّبلُ من خَلَلِ الغبارِ كأنه مُنهَلُّ قَطْرٍ من فُروجِ غَمامِ

فاستصغرتْ عيناىَ أفواجَ العِدَى والموتُ خلفِى تارةً وأمامِى

ابن مَطْرُوح [1] :

ذكرتُكمْ والعَوالِى فى الطُّلَى تَرِدُ فى مَوْقفٍ فيه يَنْسَى الوالدَ الوَلَدُ [2]

ومانسِيتُكِ والأرواحُ سائِلةٌ على السيوفِ ونارُ الحربِ تتَّقِدُ

وقال أيضا [3] :

ولقد ذكرتكِ والصَّوارِمُ لُمَّعٌ من حَوْلِنا والسَّمْهَرِيَّةُ شُرَّعُ

وعلى مُكافحةِ السيوفِ فِى الحَشَا شَوقٌ إليكِ تضيقُ عنه الأضلُعُ [4]

ومن الصِّبا وهَلُمَّ جرًّا شِيمَتِى حِفظُ العهودِ فكيف عنها أرْجِعُ [5]

☆☆☆

(١) الأبيات فى ديوانه ١٩٦ . (٢) فى الديوان : « أصدرتها والعوالى فى الطلى ترد » .

(٣) ديوان ابن مطروح ١٩٥ ، وفى ديوان الصبابة ١٨٢ أن الأبيات لابن تميم .

(٤) فى ا : « تضيق منه الأضلع » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وفى الديوان :

وعلى مُكافحةِ العَذُولِ فِى الحَشَا نارٌ إليكِ تفيضُ منها الأضلُعُ

وفى ديوان الصبابة : « وعلى مكافحة العدو » .

(٥) فى الديوان : « هذا الوفاء فكيف عنه أرجع » ، وفى ديوان الصبابة : « حفظ الوداد » .

٣٠٩

عبد الله بن حسين بن محمد بن أحمد بن مبارك بن طَرَفة السّالِمِيّ

ابن طَرَفة طُرْفة طَرْف ، لم يُهْجَر منه للبَراعة طَرْف .

فهو الشاعرُ الظريف ، الحائزُ من الكمال التّالِدِ والطَّرِيف .

تجمَّل بأهْداب الآداب ، تجمُّلَ الأجفانِ بالأهْداب .

فأقلامُه تصُوغ الدَّرارِى ،

وقَراطِيسُه يضُوع منها الدَّارِىّ[1] .

بعباراتٍ عَنْبَرِيَّة ، وإشاراتٍ عَبْهَرِيّة .

***

فدُونك منها أزهار[2] رياضٍ بعَرْفِ النَّشَق تتنَسَّم ، ولآلىء ثغورٍ عن ماء الحياة تتبَسَّم .

فنها ما كتبه إلى أحمد الخلِّىّ[3] المذكور آنفا :

مَن لقلبٍ دائمِ الحَزَنِ ليس يخْلُو الدهرَ من شَجَنِ
ضاق ذَرْعاً بالهمومِ فهل ماجدٌ يُنجِى من المِحَنِ
يشتكى الدهرَ عَلَّ عسَى يلتجِى منه إلى سَكَنِ
قد أضاعَ الوقتَ فى نَفَرٍ كالرِّياضِ الخضْرِ فى الدِّمَنِ

---

(١) أى المسك الدارى ، نسبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند .

(٢) ى ا : «أزاهر» ، والمثبت فى : ب، ج .   (٣) تقدمت ترجمته برقم ٣٠٧

ظـــاهراً راقُوا وقد خَبُثُوا   باطناً فَعْماً مِن الإحَنِ(١)
وغَنُوا بالمالِ عن أدَبٍ   وبهم فقرٌ إلى الرَّسَنِ(٢)
وغَـــدَوا عارِين من حَسَبٍ   واكْتَسَوا بالقُبحِ والدَّرَنِ
فأنا ما بين أظهُرِهــــمْ   كغريبِ الدَّارِ والوَطَنِ
صـــابرٌ عَلَّ الزمانَ يَفِى   بصديقٍ قَـــطُّ لم يَخُنِ
وهْـو فى ظَنِّى ابنُ قاسمٍ لا   خَيَّبَ المَوْلَى به ظِـــنَّنِى
أحمدُ المحمـــودُ سيِّدُنا   مالكُ الأفضـــالِ والمِنَنِ
من تسامَى أنْ يُحيطَ به   وَصْفُ مِنطِيقٍ من اللَّسَنِ
فاضـــلٌ لم يَألُ مجتهداً   فى طِلابِ المجـــدِ ليس يَنِى
فاق فى فضـــلٍ أُبُوَّتَهُ   وجَرى منهم على السَّنَنِ
وهمُ أبنـــاء مَحْمَدَةٍ   فِعلُهم يَرْوِى عن الحَسَنِ
شهدتْ فى ذا فضـــائلُه   وعرَفْنـــا العِرقَ بالغُصُنِ
ياشهابَ الدين صِـغْ لفتًى   وُدُّه باقٍ على الزَّمَنِ
ليس يرجُو منك غـــيرَ وَفَا   فاشْتَرِ عَبْــداً بلا ثَمَنِ(٣)
بيننـــا فى وُدِّنا نَسَبٌ   ليس يخفَى ذا على فَطِنِ
واحتَكِمْ ما شئتَ فيه على   وَفْقِ ما ترضَى له تــكُنِ
وابْقَ واسـْلَمْ ما تَغَنَّى فى   سَحَرٍ طَـيرٌ على غُصُنِ

وأتبعه بنثرٍ صورتُه :

يا سيدىَ الأعْلَى ، وكَنْزِىَ وشِهابىَ الأسْنَى ، وروضَتِى الغَنَّا .

---

(١) الفعم : الممتلىء .   (٢) الرسن : الحبل تشد به رأس الدابة .

(٣) فى الأصول : « فاشترى » ، وفى ا : « فاشترى العبد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

دام عُلاك ، وهُدِم بناء عِداك .
ولا زلْتَ مأمونَ الغوائِل ، مُعتمَد الوسائل ، يُوسُفِيّ الصَّباحة ، حاتِميّ السَّماحة .
فَلَكِيّ التأثير ، قَمَرِيّ التصْوير .
إبراهيميّ الْوَفا ، مُحَمَّدِيّ الأخلاق والصَّفا .

أنت راءُ الرِّضا وعينُ العطايا   أنت تاءُ التقى وصادُ الصَّلاحِ
أنت واوُ الوفا وميمُ المَعــالِي   أنت كافُ الـكمالِ سينُ السَّماحِ

المُوجِبُ لتسْطير هذه الخدْمة عِلْمُكم بأنه لا بُدَّ للإنسان من خِلٍّ يسكُن إليه ، فيشكو إليه حُزْنَه ، وينتصِر به على مَن ظَلَمه ، ويتوصَّل به إلى ما يشُقّ عليه بُلوغه بمُفردِه .

والمملوكُ قد تقرَّب إليك ، وعوَّل عليك ، ورضِيَ بك مالكا فهل ترْضَى به مملوكا ، وتأخُذ منه بذلك وثائقَ وصُكوكا .
(١ يراك كالشيخ إجْلالًا ، وكالوالد إكراماً ، والولدِ حُنُوًّا وإشفاقاً .
ويلتمسُ منك ثلاثة أمور ١) ، وأنت الآمرُ بذلك (٢ لا المأمور ٢) :
أولها : حفظُ الوُدِّ في الغَيْبة والحضور .
ثانيها : عدمُ سَماع كلام الواشِي والغَيور .
ثالثُها : رَفعُ سُجُفِ الحِشْمة وطَيُّ بِساط الـكلف(٣) في القَبْض والسُّرور .
هذا ما أحاط به عِلْمُك ، فرُبَّ أخٍ لم تلدْه أمُّك .

* * *

فكتب إليه مُجيبا :

ذِكْرُ الماضِي من الزمَنِ   خَفَقانُ البارقِ اليَمَنِي

---

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .   (٢) في ج : « والمأمور » ، والمثبت في : ا ، ب .
(٣) في ا : « التكلف » ، والمثبت في : ب ، ج .

فَهمتْ من مُقْلتِي دِيَمٌ　　نِيلُها أشفقتُ يُغْرِقني
يا نُزُولَ السَّفْحِ من إضَمٍ　　بُعْدُكم أفنى قُوَى بَدَني[1]
حبَّذا أيّامُنــا وبكم　　كانت الأقدارُ تُسعِدُني
حيث وجهُ الدهرِ مُنْبَلجٌ　　وخيولُ اللهوِ ليس تَني
وسرابيــلُ الصِّبا قُشُبٌ　　لم تُمزِّقْهــا يَدُ المِحَنِ
ليت شِعْرِي والرَّجا طَمَعٌ　　بكم الأيــامُ تجمعُني
يا ديارَ الأُنسِ جادَكِ مِن　　فَيْضِ دمعى هاملُ المُزْنِ
إن أكُنْ قد بِنْتُ لا بِرِضاً　　ففؤادى عنــكِ لم يَبِنِ
آهِ كم من ليلةٍ سلفَتْ　　فيكِ محفوظاً من الحَزَنِ
ليس يُنْسِينى تذكُّرَها　　غيرُ مَدْحِ المِصْقَعِ اللَّسِنِ
فاضلُ العصرِ الذى يدُه　　حلَّتِ الأجيادَ بالمِنَنِ
مَن به الآدابُ قد فخرتْ　　وبدَتْ فى منظرٍ حسَنِ
يُدْرِكُ الأشيا بفِطْنتِه　　وذَكاه وهى لم تَــكُنِ[2]
فِكْرُه كم حلَّ مُشكِلةً　　وقَفَتْ عنها ذَوُو الفِطَنِ
عُمْــدتِى فى كلِّ نازلةٍ　　جَرَّدتْ نحوِى ظُبا الفِتَنِ
يا عفيفَ الدِّين عبدُ هوًى　　بك لم يغدِرْ ولم يخُنِ
قُمْتَ تدعــوه بمُفْرَدةٍ　　أصبحتْ كالقُرْطِ فى الأُذُنِ
فاخْتبــرْنِى يا أبا حسَنٍ　　تَرَنِى المَخْبورَ بالحسَنِ
وتقبَّلْ مِدْحــةً برزَتْ　　مِن شَجٍ ناءٍ عن الشَّجَنِ
جُمِدتْ أفــكارُه زمناً　　فرُمِى بالعِيِّ واللَّكَنِ

(١) إضم : ماء يطأه الطريق بين مكة واليمامة ، عند السمينة ، تقدم ذكره .
(٢) فى ا : « يدرك الأحياء » ، والمثبت فى : ب ، ج .

رفَضَ الأشعارَ عنه فلو ... وَزَنُوا الأموالَ لم يَزِنِ
دُمْتَ سَمًّا للعِدَى سَنَداً ... لِيَ يا أُطْرُوفَةَ الزَّمنِ

لو دَعاني من غيرِ أرضِك داعٍ ... لغَرامٍ لكنتُ غيرَ مُلَبِّي

وأمّا أنت أيها الأخُ الشقيق . والصديقُ الشَّفيقُ .

سَمْعاً لأمرِك الواجبةِ إطاعتُه المفروضةِ إجابتُه ، الممتنعةِ مُخالفتُه ، المستحيلةِ مُجانبتُه .

لو قيل تِيهاً قِفْ على جمرِ الغَضا ... لوقفتُ ممتثِلاً ولم أتوقَّفِ

كيف وقد دعَوْتنى إلى شيء أتمنّى حصوله ، وأترقَّب وصوله .

وكنت أرى نَيْلَه كالمستحيل للسائل ، وطالما قلتُ : أين الثُّرَيَّا من يدِ المتناوِل .

فظهر لى قيامُ الحظِّ بعد قعودِه ، وتبدُّلُ نحوسِه المُلازمة بسُعودِه .

وطفِقْتُ أسحبُ ذيل الإعجاب مَرَحا ، وتزايدَ بى السرورُ حتى بكيتُ فرَحا .

يا قلبُ قَرَّ فمن تُحِبُّ م أتى على وَفْقِ المُرادِ

فثِقْ منى بخُلوصِ وُدٍّ لا يشُوبه غِشُّ الانفِصام ، حتى تفارق بعد[1] العمرِ الطَّبيعىّ أرواحُنا الأجْسام .

ألقِنى فى لَظًى فإن غيَّرتْنِى ... فتيقَّنْ أنى لستُ بالياقوتِ

والله المسئول أن يجعلَ عيونَ الحاسدين عنّا نائمة ، ويرزقَنا والمسلمين حُسْنَ الخاتمة .

* * *

---

(١) فى ا : « به » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وكتب إليه ، وقد وعده بمشترى تمرٍ له :

يا مالكَ الفضلِ ويا خِلَّ الأدبْ ويا كريمَ الأصلِ يا فخرَ العربْ
طال اشتياقى فاستمعْ مقالى لخضمِ تمرٍ كالزُّلالِ حالى[1]
شبَّهْتُه لم أعْدُ فى تشبيهِهِ طريقةَ القصْدِ لدى مُريدِهِ
مخازنٌ من العقيقِ نُبِتتْ أقفالُها من النُّضارِ جُعِلتْ
أو أنْمُلاتٌ للغوانى طُلِيَتْ بالزَّعفرانِ أُعجِبتْ وفَتَنتْ
وأكؤُسًا من النضارِ الصَّافِى تشربُها وخِلُّك المُصافِى
كأنه خُلْقُك فى حلاوتِهْ ولفظُك الباهرُ فى براعتِهْ
يا حُسْنَه حين يُرَى فى أدَمِهْ يُوجِدُ شخصَ الجوعِ بعد عدَمِهْ
أحبَبْتُه حُبَّ الصغيرِ أُمَّهْ ولا عجيب حُبُّ ابنِ العمَّهْ
فانعمْ به دُمْتَ مدَى الدهورِ تسحبُ ذيلَ الانسِ والحُبورِ
إلى معاليك العُلى ينتسِبُ ومن أياديك النَّدى يُنتخَبُ
نميلُ فى مطلبِنا عليكَا وتلتقِى آمالُنا لديكَا

* * *

فكتب إليه :

يا عُمدتى فى الصَّحْبِ والخِلَّانِ وعُدَّتِى إذا عدَا زمانِى
وطِبَّ دائى ودواءَ جُرْحِى وعينَ أعيانِى ورَوْحَ رُوحِى
وصارِمِى الصَّارمَ للأعداءِ وسَطْوتِى عند لِقَا الهيجاءِ
يا مَنْهلَ الفضلِ ويُنْبوعَ الأدبْ وبحرَه المُلْقِى إلينا بالعجَبْ
إليك ما كنتُ به وَعدتُ وإنْ أكُنْ أبطأتُ ما أخطأتُ
فالعُذْرُ يا مولاى ما رأيتَا فكُن لعُذرِى قابلًا بقيتَا

---
(١) الخضم : الطحن بأقصى الأضراس .

وهاكَها كوَجْنَةِ الحِسانِ في اللَّوْنِ أو كحُمْرَةِ الدِّنانِ
كأنه صِيغَ من العَقِيقِ وطَعْمُهُ كرِيقَةِ المَعْشُوقِ(١)
إذا شقَقْنا الظَّرْفَ عنــه يبْدُو بَيْضٌ من النُّضارِ فيــه نَدُّ
من ذاقه عافَ مَذاقَ الشُّهْدِ والضِّدُّ يبْدُو فضلُه بالضِّدِّ
فـكُلْ هَنيًّا ياشقيقَ رُوحِي وعِشْ مُعَمَّرًا كعُمْرِ نُوحِ

٭



(١) في ا : « كأنه صبح من العقيق » ، والمثبت في : ب ، ج .

٣١٠

السيد محمد بن حيدر بن على

فَرْعٌ من أشْرفِ نَبْعة ، نَمَت فى أشْرف بُقْعة .

فهو فى بيت الشَّرَف شمسٌ ذاتُ إشْراق ، وفى رَوْض الأدبِ غُصْنٌ تتفكَّه منه بثمار وتتَفيَّأُ بأوْراق .

فوجْهُ أدبِه سافِر ، وحَظُّه من البراعة وافِر .

إذا جرى فى مِضْمارٍ قصَّر مُجاريه ، وإذا بَرَى أقْلامَه فلا أحدَ يُباريه .

مع ما خَصَّه اللهُ من شمائل ، أرَقَّ من الشَّمُول وألطفَ من الشَّمال ، وخلائقَ أشْهَى من طِيب الوِصال ، وأوْقَع من مُوافقةِ الآمال .

* * *

وقد اجتمعتُ به فرَعتْ عينى منه فى مَرْعًى خَصِيب ، واستطلعتْ نفسِى منه مَطْلَعًا له من الحُسْن أوْفرُ نَصِيب .

فشاهدتُ من نَباهتِه ولُطْف رَوِيَّته وبَداهتِه ، ما تملَّك قلبى ، واستأثَر فى أن يخْلِب خِلْبِى[1] ويسلُب لُبِّى .

وحَبانِى من أشْعاره بكلِّ مَقْصِدٍ نامِى الغِراس ، وكلِّ مَخيلةٍ خامَرتْ العقلَ لأنها جاءتْ من أكرمِ بيتٍ راس .

فمن ذلك قوله :

نسيمٌ سرَى عن شِيحِ نجْدٍ ورَنْدِهِ ... وبَرْقٌ شَرى من غَوْرِ نجْدٍ ونَجْدِهِ[2]

فذلك مُورِي نارَ شَوْقِى بزَنْدِهِ ... وهذا مُثِيرٌ حَرَّ وَجْدِى بِبَرْدِهِ

وأذْكَرنِى صَوْبُ الغمامِ مَدامِعِى ... لتجْرِى وذِكْرُ الشيء يجْرى بِنِدِّهِ

---

(١) الخلب : حجاب الكبد.
(٢) شرى البرق : لمع وكثر لمعانه .

ولولا الهوى إن كنتَ تعلمُ ما الهوى ... لما زلزلتْ قلبي زَماجِرُ رَعْدِهِ
ووُدِّي لظَبْيٍ بالصَّرِيمةِ راتعٍ ... وفي بعض أفعالي وَفَيْتُ بوُدِّهِ
فيُنبتُ دمعي كلَّ بَقْلٍ برَوْضِه ... ويَحْرِق مَرْعاه زَفِيري بوَقْدِهِ
أُحبُّ عَذُولي حين ينطق باسمه ... وأبغضُ مَرْآهُ وَفاءً بعهدِهِ
وأُظهِر من خَوْفِ الوُشاةِ سُلُوَّه ... وإن كان لي قلبٌ يُنادِي بضِدِّهِ
وأقصِد بُعْدِي يَقْظةً عن مَزارِهِ ... وإن لم أُحِبَّ النومَ إلّا لقصْدِهِ
ويلهجُ نُطْقِي بالعُذَيْبِ وحاجِرٍ ... ويعدِل عن ذِكْرِي حِماهُ بجُهْدِهِ
وفي كلِّ عُضْوٍ لي لسانٌ مُوَلَّعٌ ... بذِكْراه في قلبِ المَزارِ وبُعْدِهِ
فهذا وَفائي في الهوى بحُقُوقِه ... فهل أرتجِي منه الوفاءَ بوَعْدِهِ
وكم بالرُّبَى صَبٌّ صَبا بالذي سَبَا ... فؤادي ولم يَمْنُنْ عليَّ بردِّهِ
من العُرْبِ طِفْلٌ دأبُه اللهوُ عابِثٌ ... بطِفْلِ سوادِ العينِ في مَهْدِهِ سُهْدِهِ (١)
وَهبتُ له رُوحِي وأعلمُ أنه ... يصُدُّ لكي أحظَى بلَفْتَةِ جِيدِهِ (٢)
وَنَيْلُ رِضاه مُنْتهَى ما أرومُه ... وما عاشقٌ من لم يقِفْ عند حَدِّهِ
أقول هو المَوْلَى المُطاعُ مُمَنِّيًا ... لنفسي بأني عند رُتْبةِ عَبْدِهِ
ووِرْدُ اللَّمَى المَعْسولِ عَزَّ وطالما ... حَلَا بفمِي طعمًا تخيُّلُ وِرْدِهِ (٣)
وإن كنتُ في روضٍ تحاشيْتُ أن أرى ... جَنَى وَرْدِهِ للإحترامِ لخدِّهِ
وإن مال غُصْنٌ فيه أغضَيْتُ هَيْبةً ... كفِعْلِي إذا ما ماس مائسُ قَدِّهِ
وأقطعُ أن الروضَ إذْ كان فيه ما ... يُشابِهُه يسمو بطالعِ سَعْدِهِ
وذُلُّ الهوى عِزُّ الكريمِ وإن غَدَا ... مَلِيكًا جليلَ القدرِ ما بين جُنْدِهِ
هو الحبُّ إن رُمْتَ المَخاضَ ببحرِه ... وإلّا دَعِ التيّارَ واقنعْ بثَمْدِهِ (٤)

* * *

(١) الطفل : الناعم . (٢) في ب ، ج : « بلفتة صدره » ، والمثبت في : ا .
(٣) في ا : « تحيل ورده » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) الثمد : الماء القليل .

وله معارضا :

* قُلْ للمليحة فى الخمارِ الأسْودِ *

قُلْ للمليحةِ فى القِناعِ المُصْفَرِى ياشمسُ ها شَفَقُ الشروقِ فأسْفِرِى

ولكِ الأمانُ من اللحاظِ إذا ارْتَمَتْ إن الشُّعاعَ يصُدُّ طَرْفَ المُبصِرِ

أوَما اكْتفيتِ بوَرْدِ خدِّك رَوْضةً عن رَوْضِ وَرْدِىِّ اللِّباسِ المُزْهِرِ

هذا القِناعُ سَما بفَرْقِك مَفْخَراً عن مِغْفرٍ قد ضَمَّ هامَةَ قَيْصَرِ (١)

وخَطَرْتِ فى مَوْشِيَّةٍ ذَهَبِيَّـــةٍ قد جانَسَتْكِ بلَوْنِهـــا فى المَنْظرِ

وبديعُ حُسنِكِ قد تناسَبَ عندما راعَى نَظِيراً فى المُحَيَّا الأنْضَرِ

أرأيتِ حين خطَرْتِ فى رَمْلِ الحِمَى مابين بَانِ لِوَى الكَثِيبِ الأعْفَرِ

فتأوَّدتْ أغْصـــانُه وتستَّرتْ بالأيْكِ من خَجَلٍ ولاتَ تَسَتُّرِ

كم أصْيَدٍ ملَكَتْ يمِينُك رِقَّهُ فأتى إليك بذِلَّةِ المُسْتأسِرِ (٢)

مافى الحِمَى إلَّا مَـــوالِى طاعةٍ فتملَّكِى أو دَبِّرِى أو حَرِّرِى (٣)

* * *

وله :

جادتْ غَـــوادِى المُزْنِ رَبْوةَ لَعْلَعٍ بهَواطِلٍ تهمِى بذاكَ المَرْبَعِ (٤)

واخْضَرَّ رَوْضُ جَنابِهـــا وتأرَّجتْ حُلَلُ النَّسِيمِ بنَشْرِه المُتضوِّعِ

ياطِيبَ أوقاتٍ مضتْ بِرُبُوعِهـــا والشَّمْلُ مُلْتئِمٌ بهـــا لم يُصْدَعِ

---

(١) فى ا : « عن مفخر قد ضم » ، والمثبت فى : ب ، ح .
والمغفر : الزرد يلبس تحت القلنسوة فى الحرب .

(٢) فى ب : « ملكت يمينك رقة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « فتملكى أو أدبرى » ، والمثبت فى : ب ، ح .
ودبر عبده : أعتقه بعد موته . المصباح المنير (د ب ر) .

(٤) لعلع : جبل ، وقيل : منزل بين البصرة والكوفة . معجم البلدان ٤/٣٥٩ .

حيثُ الزمانُ مُسالِمٌ ماراعَنـــا ... بِبِعادِ خِــلٍّ أو فِراقِ مُوَدِّعِ
وصُروفُه فى غَفْــلةٍ وصَفاةُ طِيـ ... ـبِ وِصالِنـا بخُطوبِه لم تُقرَعِ
ياسادةً بسِوَى عُقودِ عُـلاهمُ ... مانُظِّمتْ دُرَرُ الفَخـارِ بمَجْمَعِ
وبغـيرِ أُفْقِ مديحِهم ما أشرقَتْ ... شمسُ البلاغـةِ بالسَّنا المُتقشِّعِ
إنِّى لأعجزُ أن أبُثَّكمُ من الْـ ... أشواقِ ماضُمَّتْ عليـه أضْلُعِى
قلبى من الصبرِ الجميـلِ لبُعْدِكمْ ... أضْحَى خَــلاءً كالديارِ البَلْقَعِ
حَـلَّ السُّهادُ بجَفْنِ عَيْنى قاطِناً ... مُذْ سار عنه ظَعْنُ نَوْمِى المُزْمِـعِ
ولقـد رَقمتُ سطورَ طِرْسِ رسالتى ... وتـكاد تَمْحوهـا هَوامِى الأدْمُعِ
وبعثْتُها لتفوزَ فى تقْبيلِهـــا ... أقدامَـكم بذُرَى المَحَـلِّ الأرْفَعِ
فى طيِّهـا نَشْرُ الثَّناءِ يحفُّه ... إهْـداءُ مِسْكِىِّ السَّلامِ الأضْوَعِ
وَافتْ تُهنِّيـكم بُلوغَ مُناكمُ ... بزيارةِ الدَّاعِى الشفيعِ إذا دَعَا
وبما حَوَيْتُم من جَزِيلِ الأجْرِ إذْ ... شمِلتْكمُ بركاتُ ذاك المَضْجَعِ
دام الهَناءُ لـكم ودام لنَـا الهَنَا ... بـكمُ ودُمتمْ فى النَّعيمِ المُمْرِعِ

* * *

وله من قصيدة ، أولها :

رِقِّى لِصَبِّكِ ياسعـــادُ ودارِكِى ... وَلْهانَ ينـدُب رسمَ دَارِسِ دَارِكِ
جُودِى عليـــه فى المَنامِ بزَوْرةٍ ... إن لم تجُودِى يَقْظةً بوِصالِكِ
هيهات يغْشَى النومُ جَفْنَ مُتيَّمٍ ... عُقِــدتْ عُرَى آمالِه بحِبالِكِ
مازال ذِكْرُكِ دائراً فى بالِه ... أتُراه يخْطِر ذِكْرُه فى بالِكِ
اللهُ حَسْبُكِ كم تصُــول بمُهْجتى ... جَفْناكِ بالعَضْبِ الجُرازِ الفاتِكِ (١)
وتهزُّ قامتُك القَــويمةُ ذَابِلاً ... يسْطُو بطَعْنٍ فى الحَشا مُتـدارِكِ

---

(١) الجراز : « السيف القاطع » .

أو ما قنِعتِ وبعضُ ما بى مُقْنِعٌ ... بنَحِيلِ جسمى والفؤادِ المالِكِ
يا ربَّةَ الخِدْرِ التى تَهْفُو له ... فى الحبِّ أفئدةٌ تنالُ منالَكِ
هَلَّا رحِمتِ وليس عندك رحْمةٌ ... صَرْعَى هواكِ بنظْرةٍ لجمالِكِ
مالى ومالكِ كلَّما جذَبَ الهوى ... قلبى إليكِ صَدَدْتِ يا ابنةَ مالِكِ
حتَّى مَ أملِكُ كَتْمَ حبِّكِ فى الحشَا ... وهُمولُ دمعى ليس بالمُتَمالِكِ
وإلى مَ ألهجُ بالعُذَيْبِ وبارقٍ ... وأُغضُّ طَرْفِى عند ذِكْرِ دِيارِكِ
أنتِ المُرادُ برَغْمِ كلِّ مُعارِضٍ ... قولًا صحيحًا لستُ فيه بآفِكِ
قسمًا بمَنْظرِكِ الجميلِ وطَرْفِكِ الْ ... غَنِجِ الكَحِيلِ وسَلْسَبِيلِ رُضابِكِ
وبوَرْدِ وَجْنتِكِ النَّضِيرِ وبدرِ طَلْ ... عتِكِ المُنيرِ بلَيْلِ فَرْعٍ حالِكِ
وبدُرِّ مَبْسَمِكِ النَّظِيمِ وكَشْحِكِ النَّ ... رِفِ الهضيمِ ومُسْتقِيمِ قَوامِكِ
وبذِمَّةِ العهدِ القديمِ وحُرْمةِ الْ ... وُدِّ المُقيمِ بقلبِىَ المُغْرَى بِكِ
إنى على عهدِ الغرامِ وشاهدِى ... ما تشهدِينَ من السَّقامِ النَّاهِكِ
قلبى بحفظِ الوُدِّ قد عوَّدْتُه ... فلِمَا تقرَّر فيه ليس بتارِكِ

* * *

وله فى الغزل :

آهِ يا عبدَ الهوى ما أحْمَلَكْ ... هكذا يحكُم فاصْبِرْ مَن مَلَكْ
وَيْكَ يا قلبُ تكلَّفْ جلَدًا ... رُبَّ قلبٍ رَقَّ عِشْقًا فهلَكْ (١)
كيف لى فيك ومَن ينفعُنى ... آهِ لا بل فِيَّ قُلْ لى كيف لَكْ
يا فؤادى لك عقلٌ عاذِرٌ ... كنت صعبًا والهوى قد ذَلَّلَكْ
هَبْكَ فى الدهرِ أريبًا حازمًا ... أنا أدْرِى بالدَّهَا مَن ختَلَكْ
إنَّما غرَّتْك أحْداقُ المَهَا ... نصرَ اللهُ بها مَن خذَلَكْ

---

١) فى ا « ويك قلبى تكلف جلداً » ، والمثبت فى : ب ، ج .

يا عَذُولِى العشقُ داءٌ مُعْضِلٌ ... بالذى عافاكَ خَفِّفْ عَذَلَكْ

الهوى رُشْدِى فدَعْ نُصْحَك لى ... فلقد أضْلَلْتَ فيه سُبُلَكْ

لم تزلْ منذ زمانٍ جاهدًا ... هل رأيتَ السمعَ يوما قَبِلَكْ

يا شقيقَ البدرِ يا تِرْبَ الْمَهَا ... مَن كَساكَ النُّورَ أو مَن كَحَّلَكْ

إن يكُنْ يُشْبِهُك البدرُ سَنًا ... فعلى مثلِك ما دار الفَلَكْ

مَن بأشراكِك قسْرًا صادَنِى ... أنتَ فاعْذِرْ عارفًا ما سألَكْ

إن تقُلْ إنِّى مَلِيكٌ فى الهوى ... جارَ فى الحُكْمِ أقُلْ أنّى مَلَكْ

قلتُ دَبِّرْنِى فإنِّى هالِكٌ ... قال من دَبَّر عَبْدًا ما مَلَكْ

وَيْحَ مَن كُلُّ مُناه وَصْلُه ... أىُّ وادٍ فى الأمانى قد سَلَكْ

أخذَ الرُّوحَ وولَّى بَرِمًا ... أخْذُ رُوحِى لم يهُونْ مُلْكَكْ[1]

يا أخا الصَّهْباء فى رِقَّتِه ... مَن على قسْوةِ صَلْدٍ جَبَلَكْ

كان لى قلبٌ فأفناه الجوَى ... أعْظَمَ اللهُ لِىَ الأجْرَ ولَكْ

* * *

وله :

لولا مُحَيَّاكَ الجميلُ المَصُونْ ... ما كنتُ أُجْرِى من عيونى عُيُونْ

ولا عَرفتُ السُّقمَ لولا الهوى ... ولا تَبارِيحَ الجوَى والشُّجونْ

كم وقفةٍ لى فى طُلولِ الحِمَى ... روَّى ثَراها صَوْبُ دَمْعِى الهَتُونْ

يا رَبْعُ خَبِّرْ لا جفاكَ الحَيَا ... ولْهانَ لا يعرفُ غَمْضَ الجفونْ

هل كنتَ مَغْنًى للغزالِ الذى ... إليه أصْبُو والتَّصابى فُنُونْ

وأشْرقتْ فيك شُمُوسُ الضُّحَى ... من فوقِ قاماتٍ تفوق الغُصونْ

---

(١) فى ح : «وولى بربا» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ا : «أخذ اروح» ، والمثبت فى : ب ، ج ؛ وفى ب : «لم يهون ملكك» ، والمثبت فى : ا ، ج .

مِن كلِّ غَيْداءَ إذا أسفَرتْ ... يجْلُو مُحيَّاها ظلامَ الدُّجونْ

سُيوفُ لَحْظيْها إذا جُرِّدتْ ... تُغْمَدُ من أحْشائِنا فى جُفونْ

وعامِلُ القامةِ تسْطُو به ... فينا إذا ماسَتْ بأيْدِى المَنُونْ

والشَّامةُ السَّوداءُ فى خَدِّها ... تُعلِّمُ الصَّبَّ فنونَ الجنُونْ

مَنيعةُ الحجْبِ فَنَيْلُ اللِّقــا ... منها بَعيدٌ عن مَرامِى الظُّنونْ

حَسْبُكَ لَوْمًا يا عَذُولِى اتَّئِدْ ... إنِّى لِمَهْدِى فى الهوى لا أخُونْ

لا تطْلُبِ السُّلْوانَ من وَامِقٍ ... فذاكَ شىءٌ أبدًا لا يكونْ

فدَعْ سُكارَى كأسِ خمرِ الهوى ... ياصاحِ فى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونْ(١)

ظَنُّوا اتِّباعِى للهوى ضَلَّةً ... وهم لرُشْدِى فيــه لا يعلمونْ

أما ووَجْدِى يا أُهَيْلَ اللِّوَى ... وعهدِىَ الباقِى وسِرِّى المَصُونْ

وما لهم من مَنْزِلٍ عامرٍ ... بسَفْحِ قلبى هُمْ به نازِلُونْ(٢)

وطِيبِ أوْقاتٍ مَضَتْ بالحِمَى ... لفقْدِها تُذْرِى الدموعَ العُيونْ

لقد أطَعْتُ الحبَّ فى حُكْمِه ... ومِلْتُ عن طُرْقِ الأُلَى يَعْذِلُونْ

بذلْتُ فيــه مُهْجتِى طائعًا ... وبَذْلُها فى الحبِّ عندى يَهُونْ

* * *

ومن نُتَفِه ومَقاطيعه، قوله مُصدِّرًا ومُعجِّزاً :

لمَّا سرقْتُ بناظِرِى مِن لَحْظِهِ ... خَلَسًا من اللَّحظاتِ بالآماقِ(٣)

وجَنَيْتُ خدًّا إذْ جنَيْتُ بِرَوْضِهِ ... وَرْدًا حَمَتْه صَوارِمُ الأحْداقِ

قطَع الكَرَى عن ناظِرِى مُتعمِّدًا ... فوصَلْتُه بالمَدْمعِ المُهْرَاقِ

كيْلا يقولَ الناسُ إنَّك سارِقٌ ... والقطْعُ حَدُّ جِنايةِ السُّرَّاقِ

* * *

(١) فى ا : « ياصاح فى خمرتهم » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « وهم به نازلون » ، المثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « من لحظة » ، وفى ج : « بناظرى من ناظرى » ، والمثبت فى : ب

وقوله مُصدِّرًا أيضا :

وَلَمَّا رَقمتُ الطِّرسَ أشفق ناظري ... ومانعَ من سَبْقِ الكتابِ إلى الوَصْلِ
وقال لِيَ احْكُمْ أنتَ بالحقِّ بيننا ... وقال لِخَطِّي سوف أَمحوكَ بالهطْلِ
كِلانا سَوادٌ في بَياضٍ فما الذي ... يُميزُكَ والأهدابُ في مَوْضِعِ الشَّكْلِ
وهل ما أُقاسِي من سُهادٍ ومَدْمَعٍ ... خُصِصْتُ به حتى تُشاهِدَهم قَبْلِي

* * *

وقوله :

وحقِّك يا كُلَّ المَرامِ أنا الذي ... جعلتُ له حِصْنَ اليقينِ مُقاما
لأنك قد عوَّدْتَه لُطفَك الذي ... إذا زار لم يطْرُق كَراهُ لِماما
ولم يكُ مَنْسِيًّا لديك بحالةٍ ... ولا منك يخشى غَفْلةً وسآما
فكم آيةٍ أظهرتَها إثْرَ آيةٍ ... أيَعْمَى لها ذُو اللُّبِّ أو يتعامى
ومَن كان ذا أرضٍ سقى بذْرَها الحَيَا ... فقد حاز مَحصولَ الزُّروعِ وساما
ومن يكُ في مَهْدِ العِنايةِ وادِعًا ... يزِدْ عند تحريك الخطوبِ مَناما

* * *

وقوله :

وكأنما الثَّغْرُ الشَّهِيُّ رُضابُه ... ضِمْنَ الشِّفاهِ مع الوِشامِ الأخضرِ
دُرٌّ نَضِيدٌ ضِمْنَ حُقِّ زَبَرْجَدٍ ... وله غِطاءٌ من عَقِيقٍ أحمرِ

* * *

وقوله :

وباكيةٍ إذ وَدَّعتْنِي وقد بدَتْ ... بوَجْهٍ لهتْكِي في المَحبَّةِ سافرِ
جرى دمعُها لَمَّا تألَّق نُورُهُ ... كذا البَرْقُ إذ يَسْرِي دليلُ المَواطِرِ

هو الروضُ فيه نرجِسُ اللَّحْظِ ناثرٌ   على وَرْدِ خَدٍّ دُرَّ طَلٍّ مُباكِرِ

* * *

وقوله :

فتاةٌ لاطَفَتْنِي بابْتسامٍ   ونال كلامَها قلبي الكَسيرُ

بَدا من ثَغرِها دُرٌّ نَظيمٌ   ومن ألفاظِها دُرٌّ نَثيرُ

فراعيتُ النَّظيرَ بدُرِّ دَمعي   ولكن ذاك ليس له نَظيرُ[1]

* * *

وقوله :

بنُورِ مُحيَّاكَ الجميلِ إذا انجلَى   ونَوْرِ لآلاءِ ثغرِكَ البارِدِ الظَّلْمِ[2]

أعُثمانُ ذَا النُّورَيْنِ رِفقاً بمَن غدَا   شهيدَ الهوَى يشكو إليك من الظُّلْمِ

* * *

وقوله فى التُّنْباكِ[3] :

أُحِبُّ الشُّرْبَ للتُّنْباكِ طَبْعاً   وأُذْكِي نارَه أبداً عليْهِ

فلِى قلبٌ حَرِيقُ جوًى ووَجْدٍ   وشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إليْهِ

* * *

وكانت المقاديرُ جمعتْ بيننا فى الطَّائف ، بين روضٍ وغَديرٍ ، فتمتَّعتُ بمُؤانستِه ، واغتنمتُ أوقات مُجالستِه ، وكتبتُ إليه فى أثناء ذلك :

يا رَوْنَقَ المُنْتَسَبِ الشَّريفِ   أفْدِيكَ بالتَّالِدِ والطَّرِيفِ

---

(١) مراعاة النظير من فنون علم البديع ، وهو جمع أمر وما يناسبه مع إلغاء التضاد لتخرج المطابقة . انظر معاهد التنصيص ١/٢١٧ .

(٢) الظلم : الريق ، وعجز البيت مضطرب . (٣) انظر فى شرب الدخان والتنباك أيضاً أبياناً لصلاح الدين السكورانى الحلبى ، والشهاب الخفاجى ، فى ريحانة الألبا ١ / ٢٨٣ .

شُكْراً لأيّامى هـــذه التى   فُزْتُ بها فى ظِلِّكَ الوَرِيفِ

أسمعُ من لفظِك ما يبْهَر مَن   ينطِق بالأسمـــاء والحروفِ

من كلِّ زَهْراء لآلِى لفظِها   تُغْنِى عن العُقودِ والشُّنُوفِ

وأجتلِى من خَطِّك الرَّوْضَ الذى   أبْدَعْتَ فيه صَنْعةَ التَّفْوِيفِ[١]

طابتْ مَجانِيه فأثمـــارُ المُنَى   فى سُوحِـــهِ دانيةُ القُطوفِ

دُمْتَ تُحلِّى الدهرَ فخراً وأنا   وَصَّافُ حُسْنِ طَبْعِك الموصُوفِ

* * *

فراجعنى بقوله :

يا شمسَ أفْقِ الأدبِ المَوْصوفِ   ويا فريدَ عِقْـــدِه المَرْصُوفِ

ويا جمالَ النَّسَبِ السامِى إلى   عبدِ مَنافٍ بالسَّنا المُنِيفِ

يا مَن حَبانِى مِن صَفاءِ وِرْدِه   رَوْنَقَ ذاكَ الجوْهرِ اللَّطِيفِ[٢]

ومَن سَقانِى من غَـــدِير فضلِه   سُلافَ كَرْمِ رَوْضِه المَسْلُوفِ

ومَن أرانِى مِن خِصالِ ذاتِه   مَحاسِناً زادَتْ على الأُلوفِ

يا مُهْدِياً إلىَّ من أشْعارِه   تاجَ عُـــلاً تَمَّ به تَشْرِيفِى

إن زماناً بك قد جادَ لنـــا   جَدَّد جُودَ حاتمٍ المعروفِ

أحْسَن إحْساناً نسِينا عنده   ما مَرَّ من سُلُوكِه المأْلوفِ

قد كان مامضَى من العمرِ سُدًى   لا يُشْـــتَرى بالثمنِ الطَّفِيفِ

حتَّى حَبانا بك سَعْدٌ طالِعٌ   يزْهُو بنَجْمِ مَجْدِك الشَّرِيفِ

فعاد باقِى العُمرِ عَيْشَ خالدٍ   فى جَنَّـــةٍ دانيةِ القُطوفِ

---

(١) فى ب : « وأجتنى من خطلك » ، والمثبت فى : ا ، ج .
وتفويف الثوب : ترقيمه ، أو رقه بخطوط بيض على الطول .
(٢) فى ب ، ج : « من صفاء وده » ، والمثبت فى : ا .

فاسْلَمْ ودُمْ دامتْ مَعاليكَ تُرَى   أوْصافُهـا للسَّمْعِ كالشُّنوفِ

* * *

وبلغنى من بعضِ السادة ، أنه أنشأ مُحاكمة بين الغنَى والفقر ، فكتبتُ إليه أطلبُها منه :

بلغنى خَـبرُ المحاكمة ، التى أنشأها السيدُ مَقامَة ، وأفاد بها أن لا أحدَ يُساوِى مَقامَه .

فعرفتُ أنه أتَى بالعَجَبِ العُجاب ، واستأثر بما هنالك من الإغْراب والإعْجاب .

جَرْيًا على مايُعْهَد من طَبْعِه المُهذَّب ، وفـكرِه الذى يُنْشِيء الوَشْيَ المُذهَّب .

فـكم لَفَظَ منه بحرُ الفِـكْر ، أمْثالَ هذا الجوهرِ البِـكْر .

فأطْلَعَ الـكلامَ دُرًّا ، وبَيان البَنانِ سِحْراً .

وصيَّرَ بُطونَ المَهارِقِ بَوارِق ، ومابين مَدَبِّ الأقلامِ خَوارِق .

من قَوافٍ تُنيرُ حَنادِسَ الأفهام ، وتتلاعَب بالأفـكار تلاعُبَ السِّحْر بالأوْهام .

وفِقَرٍ أبْهَى من الغِنَى بعد الفقر ، وأشْهَى من الوطنِ غِبَّ مُقاساةِ وَحْشةِ القَفْر .

فللهِ تلك البَدِيهة النَّبِيهة ، والفِـكرة النَّزِيهة .

حيث أتتْ بمُسْتَبِينة الإعْجاز ، مُمَيِّزة للحقِّ على الحقيقة والمَجاز .

فأنْسَتْ بمحاسنِها آثارَ المُتقدِّم ، وصيَّرت المُجْتَرِىَ على مثلِها كالمُتندِّم .

فلعلَّ السيد يُمتِّع بها طَرْفِى وسَمْعِى ، ويجمع بسببها شَمْلَ فـكرِى وطَبْعِى .

فأغْنَى بها عن نَدِيمٍ ومُدامَة ، وأغْدُو من مُنادمتِها فى السَّلامة بلا نَدامَة .

هذا وشَوْقِى إلى ذلك المَنْظَر البَهِيج ، واجْتِـلاء بدائعِ منطقِه اللَّهِج ، شوقُ قارِظِىٍّ [١] إلى سُـكونٍ وسُـكْنَى ، والقَيْسِىِّ [٢] إلى لَبُونٍ [٣] ولُبْنَى .

---

(١) يضرب المثل بغيبة القارظى فى الذى لا يؤمل عوده . انظر مجمع الأمثال ١/١٤٢ .

(٢) يشير إلى قيس بن ذريح وصاحبته لبنى . انظر خبرهما فى تزيين الأسواق ٤٤ .

(٣) اللبون كالالبانة : الحاجة ، واللبون أيضاً ذات اللبن .

واعْتلاقِى بوصفِه الجميل ، اعتلاقُ « قِفا نَبْكِ » بالمَلِكِ الضِّلِّيل [1] .

وكيف لى بخُلسةٍ أشُدُّ عليها يَدَ الضَّنِين ، وتُنْسِينى هذا التأَوُّهَ والأنِين .

فإنِّى من حين الاجْتِماع ، والتَّلذُّذِ بذلك الخطاب والاسْتِماع ، هَجرتُ غيرَه من

القَوْل والإصْغا ، وجعلتُهما فى جانبٍ من الإزْراء والإلْغا .

فحالِى فيه كما قلتُ ، وعن نَهْجِ وُدِّه ماحُلْت :

ياسيِّداً من حين فارقتُه ... ماراقَنى مَرْأى ولا مَسْمَعُ

لاتحْرِمَنِّى نَظْرةً أمْكنَتْ ... فليس لى فى غيرِها مَطْمَعُ

* * *

فكتب إلىَّ مُجيبا :

مولاىَ قد قلَّدْتنى مِنَّةً ... يستغرِق الشكرَ حَياها العَمِيمْ

أهْديْتَ لى نثراً من الدُّرِّ بل ... من الدَّرارِى الزُّهْرِ طَىَّ الرَّقيمْ

بل نَفْحةً قُدْسِيَّةً عَطَّرتْ ... بطِيبِ أخلاقِك نَشْرَ النَّسيمْ

تمنع أن يُعْكَس تَشْبيه مَن ... يُشبِّه العِطْرَ بخُلْقٍ كريمْ

لا بل قد أهْديْتَ لى فى العُلاَ ... هِدايةً للمَنْهَجِ المُسْتقيمْ

تفتح عَيْنَ القلبِ حتى يَرَى ... تبلُّجَ الدهرِ بليْلٍ بَهيمْ

واللهِ لا أمْلِكُ شُكْراً لها ... إلَّا عُبودِيَّةَ قلبٍ سَليمْ

يامَولانا الذى شرَّف مَولاه بما أتْحفه ، وشَفاه بِطِبِّ الفضل من داء الجهل وقد أنْحفه .

ومدَحه حتى فضَّله وقدَّمه ، فشجَّعه حتى ثبَّت فى مَعارِك الأدب قَدَمَه ، وفهَّمه آداب السلوك وعلَّمه ، حتى حُقَّ له أن يُشْهِر لدَى مُلوك الكلام قلمَه ، وينْشُر فى مواكِبهم عَلَمَه .

(١) يشير إلى امرئ القيس وشهرته بالمعلقة.

أُقدِّم أوّلًا عُذرِى فى مقابلةِ الدُّرِّ بالمَدَر[١]، وَحَمْلِ التمرِ بل الحَشَفِ إلى هَجَر[٢]، وَجَلْبِ الدُّرِّ بل الصَّدَف إلى البَحْرين، وَإِهْداءِ تبرُّكاتِ المساجد إلى أهل الحرمَيْن.

ثم ماذكَره مولانا عظَّم اللهُ مَقامَه، من طلبِ ما أنشأتُه على لسان الغنى والفقر شِبْه مَقامَة.

فإن المُخلِص بَنَى فى ذلك وهدَم، حتى كاد[٣] يحلَم[٤] الأَدَم، ويُعِيد ما أخرجَه للوُجود إلى العَدَم، خوفًا من الإتيان بما يُوجب عند أهل المعرفة إلى الخجَل والنَّدَم.

وإلى وقت وصول الرَّقيم، والفِكرُ فى تِيه الحَيْرة مُقيم.

أيُبْرِزُه فى قالَب التَّمام، أم يستُر الأَدَب سَتْرَ الشمسِ المُنْكسِفة بالغَمام؟

وما قرأتُه منه على بعض المَخادِيم الكِرام، فقد نزَّلتُه منزلةَ أضْغاثِ أحلام، عند الانْتباه من المَنام.

لكن بعد أن أسعَفَه الطالِعُ المَيمون بإقبالكم، وأنارَ هِلالَه المُشبَّه بالعُرْجُون من شمسِ كمالِكم.

فقد جزَم المُخلِص برَفْعِه بعد خَفْضِه، وإبْرامِه غِبَّ نَقْضِه، وضَمِّ بعضِه إلى بعضِه.

حتى يقومَ شَخصًا كاملاً، ويَليق بأن يكون لديكم على قَدَمِ الخِدْمة ماثِلاً.

وبسَعْدِكم تلك المَخايِلُ ترْتقِى بتكامُلٍ حتى تعود شمائِلاً[٥]

بشَرْط أن أصِل أوّلاً إلى خِدمتِكم الواجبة وُجوبَ الفَرْض، وأُنْهِيه[٦] إلى نَظَرِكم الكريم بطريق العَرْض.

---

(١) المدر: الطين العلك الذى لا يخالطه رمل.

(٢) من أمثالهم فيمن يحمل الشىء إلى موطنه الذى شهر به: «كمبضع التمر إلى هجر».
وهجر: قصبة البحرين.

(٣) فى ا: «يكاد»، وفى ج: «كان أن»، والمثبت فى: ب.

(٤) حلم الجلد: وقع فيه الحلم، وهو دود يقع فى الجلد فيأكله فإذا دبغ وهى موضع الأكل. القاموس (ح ل م)

(٥) فى ب: «تلك المخائل تلتق»، والمثبت فى: ا، ج (٦) فى ا: «وأنهى»، والمثبت فى: ب، ج

ونبلُغ مع التَّحلِّى (١) بتهذيبكم ، أملَ التَّملِّى بكم .

فوَحَقِّ (٢ وِرْدِ وُدِّكم ٢) الصَّافِى من الأكدار ، إن شَوْقى مع قُرْب الدار :

كشَوْقِ ظامٍ بالحِبالِ مُوثَقِ لمــــاءِ مُزْنٍ باردٍ مُصفَّقِ

وأقول :

بل هو شَوْقٌ باللِّقاء يرْتَقِى يزْدادُ أن لا نَلْتقِى أو نَلْتقِى

ونسألُ الله أن يُنِيلنا تواتُرَ التَّردُّدِ لَدَيْكم ، كما أنالَنا تظافُرَ التَّودُّد إليكم .

وأن يُمتِّعَ جِيدَ الدهرِ بعِقْد مجدِكم الثَّمين ، ويحرُس حِمَى وُجودِكم الذى تهْوِى إليه الأفئدةُ كما تهوِى إلى الحَرَمِ الأمِين .

* * *

وبعَث إلىَّ بالمحاكمة ، وهاهى مُثْبَتة منقولة من خطِّه :

الحمدُ لله الحكيمِ القادرِ على الإخْلاق ، الباسِطِ المُقدِّر للأرزاق .

الذى جعل الفقرَ والغنى آيتَيْن من أبْدعِ آياته ، وغايتَيْن فى الحكمة من أبْدَعِ غاياته .

يتفكَّر فيهما ذو الفطنة والاعتبار فيتْلُو : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾ (٣) ، ويجرى إليهما العبدُ على جِياد الأقدار حالياً بزينة العقل أو عاطِلاً .

فيسعَد من يرشُد للتسليم إيماناً وتصديقا ، ويبعُد من يُنْشِد وهو المُلِيم :

هــــذا الذى تركَ الأوْهامَ حائرةً وصَــيَّرَ العالِمَ النِّحْريرَ زِنْديقَا (٤)

والصلاةُ والسلام على نَبيِّه المبعوث بالإسلام ، محمد الهادى للخلائق إلى أقْوَمِ الطَّرائق ، وأكرم الخلائق ، صلَّى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه الأغنياء بالله الفقراء إليه .

---

(١) فى ب : « التجلى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « ورودكم » ، وفى ج : « وردكم » ، والمثبت فى : ب . (٣) سورة آل عمران ١٩١ (٤) البيت لابن الراوندى كما جاء فى معاهد التنصيص ١/٥٣ ، ونسبه ابن السبكى إلى أبى العلاء المعرى ، فى طبقات الشافعية ٤/٢٣٢ .

وبعد :

فقد وقفتُ على مَقامة أنشأها بعضُ المتأخِّرين الأفاضل الأعاظم ، ووشَّاها بدُرَرِ الفوائد هَدِيةً لِكل ناثرٍ وناظم .

ابتدَعها عَلَى لسان الفقر والغنى كالمُفاخِر بينهما والمُفاضِل ، وأوْدَعها من الحُجَج التى يفْلَج بمثِلها المُناظِر [١] والمُناضِل .

فمدَّ بها فى العلوم باعَه الأطْول ، وأمدَّ الفهوم بمِصْداق « كم ترك الأوَّل » .

قاصداً بذلك رياضةَ العقول ، فى رِياض المَقول .

وتَبْرِيض [٢] اللسان ، بوقائع شَآبِيب البيان .

وتعرِيض الإحسان ، للقانع بالأثر عن العِيان .

فأيَّد فيها الفقرَ على الغنى ، وشيَّد له فى الفخر على البِنا .

وجعله سابِقَ الحَلْبة مُجلِّيا [٣] ، وأتلاه [٤] بالغِنَى بعد لأْيٍ مُصلِّيا [٥] .

حتى أقرَّ له بالتَّقدُّم تسْليما ، وأخلص لوِداده بعد التَّندُّم على عِنادِه قلبًا سليما .

هذا وإن كان الفقرعند أبناء [٦] الدُّنَا ، مَلِيًّا باكْتساب [٦] العَنا ، خَلِيًّا عن أسباب الغِنَى ، حَفِيًّا فى اقْتضاب المُنَى ، كَفِيًّا فى سَدِّ أبوابِ الهَنا .

وبينه وبين النفوس ، مابين تَغْلِب وَبكرٍ غِبَّ غَداة البَسُوس .

وقد أوْقَع فيها من المكروه وَالمَساءَة ، مالم يُوقِعه قيسٌ بابْنَىْ بَدْرٍ يوم الهَباءَة [٧] .

وَحَطَمها ولا تحْطيم الإبلِ المُجْفَلة ، جُيوشَ لَقِيطٍ يومَ جَبَلة [٨] .

---

(١) فى ا : « المناظم » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) التبريض : ترشف الماء . (٣) المجلى : هو الأول فى خيل السباق . حلبة الفرسان ١٤٤ . (٤) فى ا : « وأجلاه » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٥) المصلى : هو الثانى فى خيل السباق . حلبة الفرسان ١٤٥ . (٦) فى : ا « الدنيا عليا باكتساب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) الهباءة : أرض ببلاد غطفان ، قتل بها حذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان ، قتلهما قيس بن زهير . معجم البلدان ٤/٩٤٧ .
(٨) يوم جبلة لعامر بن قيس وحلفائهم من عبس ، على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد وغيرهما .
وجبلة : جبل طويل له شعب عظيم واسع لا يرقى الجبل إلا من قبله .
=

ووَسْمِها بالعار الباقي على الزَّمان، كما وَسَم به لَبيدٌ الربيعَ بن زياد في مجلس النُّعمان[1].

ونُفورها عنه ولا نفور الغَادةِ الفتيَّة عن مُقاربة الشَّيْب، والشِّنْشِنَة[2] الأَخْزَميَّة من مُقارنة العَيْب.

وبُعْدها عنه بُعْدَ العَزائم اليَقينيَّة عن شُبُهات الرِّيَب، والكَثائف الجِسْمانيَّة عن إدْراك مُحجَّبات الغَيْب.

هذا وعِقالُ المقول في تقْييد صِعابِ النفوس مَحْلول، وحُسامُ الفكر المَصْقول عن قَطْع أعصابِ الأهْواء مَفْلول.

والناسُ أَكْيَسُ من أن يمدحُوا رجلًا ما لم يَرَوْا عنده آثارَ إحْسانِ[3]

فلا جَرَم كاد ينعقد الإجماع، كما لا يخْفَى على ذِي نَظَر وسماع، على بُغْضِ الفقر وذَمِّه، وقَصْدِه بالصَّدِّ وأَمِّه، وتواتَرَ الدعاء بالهَبَل والثُّكْل على أُمِّه.

ومَن يجْعلِ المعروفَ من دون عِرْضِه يَفِرْهُ ومَن لم يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[4]

فكان ما اختاره رحمه اللهُ من هذا الصَّنيع، معدودًا في فن المُغايرة من البديع.

= وكان من أمر يوم جبلة أن قيس بن زهير العبسي أشار على قومه أن يحبسوا نعمهم في شعب جبلة، ويظمئوها أياماً، فلما اقتحم لقيط بن زرارة سيد بني تميم الجبل أطلق بنو عبس عليهم الإبل، وأنخسوها بالسيوف والرماح، فخرجت عطاشاً مذاعير تحطم كل شيء، وخبطت تميما ومن معها، فانحطوا منهزمين في الجبل، وجعلت بنو عامر يقتلونهم، فهزموهم شر هزيمة. انظر أيام العرب في الجاهلية ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٥٦

(١) وذلك أن وفد بني عامر أتوا النعمان بن المنذر أول ما ملك، في أسارى من بني عامر يشترونهم منه، فخلفوا لبيدا في رحالهم إذ كان صغيراً، ودخلوا على النعمان، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي، وكان نديم النعمان قد غلب على حديثه ومجلسه، فجعل الربيع يهزأ بهم لعداوة غطفان وهوازن، ورجعوا بحال سيئة، وأخبروا لبيداً، فعاد معهم، فانتهوا إلى النعمان وربيع وهما يأكلان، فكان مما أنشده لبيد للنعمان

* مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لا تأْكُلْ مَعَهْ *

* إنَّ استَهُ من بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ *

فأفسد ما بينه وبين الربيع بن زياد.

انظر ديوان لبيد ٣٤٣، والمعارف ٥٨١.

(٢) الشنشنة: الطبيعة. ومن أمثالهم «شنشنة أعرفها من أخزم».

(٣) البيت في التمثيل والمحاضرة ٣٠٥، وفيه: «أن يحمدوا رجلا * حتى يروا ....»

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى، من معلقته، ديوانه ٣٠، وفيه: «ومن لا يتق الشتم».

وفيه تسْلية لنفس البائِس الفقير ، وتقْوية لقلب الآيِسِ الحقير .

وإعانةٌ للمبتلَى بهذا الداء العُضال ، وإبانةٌ للغرض إن نَشِط للنِّضال .

لـكن حقيقةُ الحـال أن هذا الفاضلَ لمـا كان من كبار الأتْقياء الزاهدين ، وخيارِ الصلحاء العابدين .

ومعلومٌ أن غالبَهم قد اختار التقشُّفَ المَوصوف ، وشَيَّد بناء التزهُّد المَرْصوف .

وهجر أنواعَ زُخْرُفِ الدنيا وصُنوفه ، حتى قطع مَسافتَها وما بَلَّ بَحْرٌ صُوفَه[١] .

كانوا جمـــالَ زمانِهم فتصدَّعُوا فـكأنّما لبس الزمانُ الصُّوفَا[٢]

فبنى رحمه اللهُ تعالى على مُقْتَضَى طريقتهم، وفضَّل الفقرَ إذْ كان مُرْتضَى حقيقتهم .

وهو الحقُّ الذى لا رَيْب فيه ، والإنْصاف الذى يرْتضيه الأرِيبُ ويصْطفيه .

ولا يُعارضه فى مُرادِه ، مَفادُ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ[٣] ﴾.

فإن من راد[٤] نفسَه على حُلول هذه السَّاحة ، وخَشِيَ أن يغرق عند تلاطُم الأمواج وإن كان مُتْقِنا للسباحة ، لا يلزمه أنْ[٥] قال بالتَّحريم وعدم الإباحة .

وأحْزَمُ الناسِ مَن لومات من ظَمَأٍ لم يقربِ الوِرْدَ حتى يعرفَ الصَّدَرَا

وأما أرْبابُ العِصمة ، فهم البريئون من كلِّ وَصْمَة .

فإنهم شاهدوا حَظَّهم الأشرفَ الأسْمَى ، فلم يُثْبِتوا لما دونه رَسْما ولا إسما .

وقصَروا نظرَهم على الخالد الباقى ، وأنِفُوا أن تطأَ أقدامُهم الأرضَ وهم فى أعْلَى المَراقِى ، ومن ورَد البحر اسْتقلَّ السَّواقِى .

ولما تأمَّلتُ تلك المَقامة ، بَوّأَ اللهُ مُنْشِيها دار المُقامة .

رأيتُ مَبْنَى الأفضليّة فيها على أن جعل الفقرَ أمْهَرَ فى تحصيل العلوم والمعارف ، أكثرَ مَقِيلًا فى ظِلِّها الوارِف .

---

(١) صوف البحر : شىء على شكل الصوف الحيوانى . قال ابن منظور : « ومن الأبديات قولهم : لا آتيك ما بل بحر صوفة » . اللسان ٩/٢٠٠ (ص و ف) . (٢) البيت لأبى تمام ، وهو فى ديوانه ٢٠٠ ، وفيه : « كانوا رداء زمانهم » ، وانظر ريحانة الألبا ٢/٤٢٦ . (٣) سورة الأعراف ٣٢، فى الأصول : « التى أخرجها لعباده » . (٤) فى الأصول : « زاد » . (٥) فى ا : « أنه » ، المثبت فى : ب ، ج .

وأقدَر على إبْراز الصوابِ ، عند السؤال والجواب .

لا على إقامة الدليل والبرهان بالأفضلية، وجَعْلِ السابق في هذا الرهان صاحبَ الأوَّلية .

على أن هذا المَيْدان مَجْرَى العَوالِي ومَجْرَى السوابِق، وفيه تَزْدحم كتائبُ فرسان الحقائق ، وتلتحمُ مَناكبُ النَّظَّارة من الخلائق .

إذِ الناس لعدم خُلوِّهم من أحد الوصفَيْن، ينقسمون إلى صِنفين، وينتظمون في صَفَّيْن.

وكلٌّ يحتجُّ لصاحبِه بالصّفات الواقعيةِ المَرْضيَّة ، لا المَجازيَّةِ الفَرْضيَّة .

فأحبَبْتُ أن أجُول في هذا المَجال ، ولو بالمُحال[1] ، وأنسِج على هذا المِنْوال ، على وَهْن القدرة وضعف المَجال ، وقصورِ عامل الفضل على التسلُّط على هذه المَحالّ .

اعترافًا منِّي بالتقصير ، وإسعافا بطلب المُسامحة لباعِيَ القصير .

وَمَن يَعْصِ أطْراف الزِّجاج فإنَّه يُطِيعُ العَوالِيَ رُكِّبتْ كُلَّ لَهْذَمِ[2]

فبنَيْتُ هذا[3] المَقْصِد على وضعٍ غريب ، وترتيب يَهَشُّ له الأديب والأريب ، وأسلوبٍ يأخذُه الطبعُ السليم عن قريب .

وجعلتُ المُفاخرةَ بينهما على حقائقِ الأوصاف ، وذكرتُ ما يُقال من الطرفَيْن بنهاية الإنصاف .

ثم أنهيتُ المخاصمة إلى التَّراضي بالمُحاكمة ، فحكَّمْتُ بينهما مَناطَ التكليف ، ورِباطَ الفضل الذى اختُصَّ به النوعُ الشريف .

فحكم حُكْمًا يقضى منه الفريقان مآربَهم ، ويعلم كلُّ الناس مَشْربَهم ، ﴿ كلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ[4] ﴾ ، و﴿ كلُّ حِزْبٍ بما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ[5] ﴾ .

---

(١) المِحال ، بالكسر : الكيد وروم الأمر بالحيل ، وبالضم : غير الممكن .

(٢) البيت لزهير بن أبى سلمى ، وهو فى ديوانه ٣١ .

والزج : الحديدة التى فى أسفل الرمح ، ونقابل السنان ، والعوالى : الرماح ، واللهذم : القاطع . يقول : من عصى الأمر الصغير صار إلى الأمر الكبير .

(٣) فى ب : « بهذا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) سورة الأنبياء ٣٣ (٥) سورة الروم ٣٢ .

والحقّ واضح الغُرَرِ والأحجال لقوم يعرفون ، و ﴿ مَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (١) ﴾ .

حدّث الغزلُ الرّقيق ، عن المديح الأنيق ، عن السؤال الجميل ، عن النّوال الجزيل ، عن الخاطر المُطاع ، عن كريم الطِّباع ، قال :

حضرتُ مجلسا من المجالس السَّرِيَّة ، التى لم تزلْ تُعقَد بحضرة النفوس البشريَّة .

وقد حضَر وزيرُها العقل ، وحاجبُها الحِلم ، وقائدُها الفَهم ، وقاضيها العِلم ، وخازنُها الحِفظ ، ومُنْشيها الفكر ، وشاعرُها الخيال ، ونَدِيمُها الوَهْم .

ومَثَلتْ للخِدْمة أعوانُها المُتظاهرة ، وهى المَدارِكُ الخمسة الظاهِرة .

وانتظمتْ فى مَراتبها سائرُ القُوَى ، وغاب بحمدِ الله عَدُوُّها الهوَى .

واتّفق أن حضر المجلسَ الغِنَى والفقر ، وهما الضِّدّان المُتناقضان ، بل العَدُوّان المُتباغِضان ، والجَوادان المُتعارِضان ، بل القِرْنان المُتناهِضان .

إلّا أن النادى جمع بينهما ، وقرَّب على سبيل الاتّفاق بينهما .

وخاض القومُ فى مَجانِح الحديث ، من سوانِح القديم والحديث .

فأراد بعضُ مَن حضَر ، طِرادَ جِياد البحث والنَّظَر .

فتلطَّف بطَرْفِه ، ولَحَظَ الغِنَى بطرْفِ طَرْفِه .

وقال : إنّى أحفظُ بيتَين ، ورد الأوّلُ منهما على رِوايتَيْن .

يُبْتَنَى عليهما حُكْمٌ وأحْكام ، إذا تقرَّر مَفادُهما بإحكام .

وأنشد (٢) :

ولو أنّى وَلِيتُ أميرَ جيشٍ ... لما قاتلتُ إلّا بالسؤالِ (٣)

---

(١) سورة يونس ٣٢ ، وأول الآية : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ .

(٢) البيتان للأبيوردى ، وليسا فى ديوانه ، وهما فى خلاصة الأثر ١/ ٢٢٤ ، والأول منهما فى ريحانة الألبا ١/ ٢٩٦ . (٣) فى خلاصة الأثر ، وريحانة الألبا : « ولو أنى جعلت ... لما حاربت ... » .

لأن الناسَ ينهزِمون منه وقد ثبَتُوا لأطرافِ العَوالِي

ثم قال : والرواية الأخرى ، يعرفها مَن هو بإحْراز شرفِها أحْرَى .

قال كريمُ الطباع ، الرّاوى لهذه الأسجاع : فابتدَر الغِنَى لجوابِه ، وقد اسْتخرج دقيق التَّعْرِيض من جِرابِه ، فقال :

إنَّ بعضَ من أسْعده الجدُّ بخدمتى ، وأيّده الجِدْ بعزْمتى ، وسدَّده المجدُ بهمَّتى .

أنشده هذيْن البيتْين بعضُ نُدَمائه ، وجلّاهما كالنَّيِّرينِ فى سمائه .

فتفطَّن ذلك الرئيس[1] ، لمعنًى فيهما نَفِيس .

وأعاد إنْشادَها فى الحال ، وقد وضَع النَّوال موضِع السُّؤال .

فأظْهر شمائلَ هِمَّته العلية ، فى دلائل عِباراته[2] الجليَّة .

وسدَّد سهمَ الإصابة بساعدِ الكرم ، فكَنتُ قوسَه ووترَه ورمَى[3] مَقاتِل الفقرِ وما ظلم .

فأرْداه ووتَره ، وألبس البيتْين حُلَى الملوك بعد أن كانا فى أسْمال صُعلوك .

حتى أشرقَ معناها بالضِّياء المُسْتفاد من شمسى ، وأغْدَق معناها بالأنْوَاء الهاطِلة من سماء يومى وأمسِى .

قال : ثم تنبَّه إلى أن هذا الكَلام ، مِن بليغ الكِلام[4] .

وأنه بغى والبغْىُ مَرْتعه وَخِيم ، وأظْهر دعوَى الفضل ، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ[5] ﴾ .

فكَفَّ من غَرْبِه ، ورجع عن شَرْقِه وغَرْبِه .

واسترْجَع وسكت ، وأطْرَق[6] إلى الأرض ونكَت .

---

(١) هو المنصور بالله أبو العباس الحسنى ، وخبره فى ريحانة الألبا ١/٢٩٦ ، والذى أنشده هو الأديب الفشتالى.

(٢) فى ا : « عبارته » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « ورعى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) جمع كلم ، بفتح ، فسكون ، وهو الجرح . (٥) سورة يوسف ٧٦ . (٦) فى ا : « فأطرق » والمثبت فى : ب ، ج .

لـكنه قال فى أثناء ذلك : ما أُراني أَضْلَلْتُ المَسالِكَ ، وأنا ما قلتُ وإن فَخَرْتُ وطُلْتُ لِعنان الحقِّ مالِكٌ .

وليس بمَلُومٍ مَن نطق بالحق وصَدَع ، وإن شَقَّ قلبَ المُعاند وصدَع[1] ، والحقُّ أحَقُّ أن يُتَّبَع .

وما المرء إلَّا حيث يجعل نفسَه وإنِّى لها فوق السِّماكَيْن جاعلُ

قال الرَّاوِى : فاسْتَشاط الفقرُ من الغَيْظ ، وتلَظَّت أنفاسُــه أحرَّ من سُمومِ القَيْظ .

وأَنِفَ من الذُّلِّ والاسْتكانة ، إذ أنزله الغِنَى إلى هذه المـكانة .

وأنشد وقد أشْعل نارَ الحَمِيَّةِ تسْعيرها :

ونفسَك أكْرِمْ عن أمورٍ كثيرةٍ فمالك نفسٌ بعدها تستعيرُها[2]

ثم انبَرَى للمقاومة مُسترسِلا ، بعد أن تضرَّع إلى الله تعالى متوسِّلا ، وقال متمثِّلا :

إحْدَى لياليكِ فهِيسى هِيسِى لا تَنعَمِى الليـلةَ بالتَّعْرِيسِ[3]

إلا أنه خاطب خِطابَ مَن قَيَّد الحِلْمُ ألفاظَه ، وسدَّد العِلْمُ إيقاظَه .

فقال : أيها الغِنَى لقد صرَّحتَ وما كنَّيْت ، وعجِلتَ وما تأنَّيْتِ ، فبرَّحْت إذ تجنَّيْت .

ولَيْتك حين صدَدْتَ عن الإنصاف وأَبَيْت ، لم تعْمُر بيتاً بخراب بيت .

أَخْبِرْنى عن هذا الرئيس ، الذى ملأْتَ أنتَ له الـكيس .

فزعَمْتَ أنه إنما صار لِما ذكرتَ قائلا ، من حيثُ كان فى ظِلِّك قائلا[4] .

---

(١) فى ا : « وانصدع » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) البيت فى ريحانة الألبا ١/٥٩ ، وفيه : « فما لك نفس غيرها تستعيرها » .

(٣) البيت فى اللسان ٦/٢٥٢ (هـ ى س) دون نسبة . وهاس يهيس هيساً : سار أى سير كان .

(٤) من القيلولة .

فلو كان ظامِئَ العود من مِياه الكرم التى جرَت فيه ، جافَّ العُنقود عن حَلْبِ سُلافِ البلاغة التى رُشِفت مِن فيه .

أتُراه كان يقول ما قال ، ويتحمَّل ما يسْتلزمه نُطْقُه من الأثقال ؟

أو تُراه لو كان مَرْبوطًا بأشراكِ ، ومَخْرُوطا فى أسْلاكِ ، مَحُوطا بأفلاكِ .

ثم كان ممَّن تُشْتَقُّ أفعالُ الكرم من مصدرِ طَبْعِه ، [١] وتُشَقُّ قِسِىُّ الهِمَمِ [١] من غُروس نَبْعِه .

ألم يكُن ينطِق بمـا به نطَق [٢] ويُرْشِد إلى ما إليه أرْشَـد ، حين أنْشَد البيتَيْن مَن أنْشد .

فلا تجهل علوم الأخلاق وأنت خبيرها ،

فما الجودُ من فقرِ الرِّجالِ ولا الغنَى ولكنه خِيمُ الرِّجالِ وخِيرُهَا [٣]

وأما إزراؤك على الصَّعاليك ، لتَزيد بذلك فى معالِيك .

فكفاهم فخراً فى الدِّين ، قولُ عَلَم المُهتدين : « رُبَّ أشْعَثَ أغْبَر ذِى طِمْرَيْنِ لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأبرَّه [٤] » ، [٥] وما أشْبهَ هذا مما طرَق سَمْعَك غيرَ مرَّة [٥] .

[٦] وأمَّا باعتبار الدنيا، ورُتْبتِها الدُّنْيا [٧] .

فإن فيهم مَن عَلَا بالأوصاف قَدْرُه ، وغَلَا الأضْياف قِدْرُه ، حتى أشْرَق من أُفُقِ الشِّعر بدرُه .

---

(١) فى ا : « وتشق غروس الهم » ، وفى ج : « وقسى الهمم » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى ا : «منطق» ، والمثبت فى : ب ، ح . (٣) الخيم : الأصل . والخير : الكرم ، والشرف.

(٤) فى صحيح مسلم ٤/ ٢٠٢٤ (باب فضل الضعفاء والخاملين ، من كتاب البر والصلة والآداب) ، ٤/ ٢١٩١ (باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، من كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) ، رواية الحديث : « رُبَّ أشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأبَرَّهُ » . وانظر نحوه فى صحيح البخارى ٦/ ١٩٨ (تفسير سورة ن والقلم ، من كتاب التفسير) . (٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وبعده فى ج زيادة : « والسلام » . (٦) من هنا إلى قوله : « فى الروايات » الآتى ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٧) أى الحقيرة .

ولكنَّ صُعْلُوكاً صحيفةُ وجهِهِ   كضَوءِ شهابِ القَابِسِ المُتنوِّرِ [١]

إلى آخر الأبيات ، المعلومة فى الرِّوايات .

فيا أيها الفِتَى ، [٢] هَلَّا إذْ [٢] نطقْت ، تحمَّلت ما أطقْت .

ورفعتَ نفسك من حيثُ لم تخفِض سِواك ، وجلَوتَ ثغرَكَ بغير هذا السِّواك .

فإن الشريفَ الكريم ، ينقُص قدْراً بالتعدِّى على الشريف الكريم ، ووَلَعُ الخمرِ بالعقول رماها بالتَّنجيس وبالتَّحريم .

قال : فنظَرَ إليه الفِتَى شزَرا ، وأعاره لَحْظاً نزْرا .

وخاطَبه مُخاطبةَ مُتحكِّم ، ولاطفه مُلاطفةَ مُتهكِّم ، فقال :

عُذْراً أيها المسكين ، ورِفْقاً أيها المُستكين ، فما أنا بلَغتُ عَظمَك السِّكِّين ، ولست الذى [٣] أنزل شكلك هذا البيت من التَّسكين .

إنما قلتُ فىَّ وفيك ، ما كِلانا به حَقِيق ، ونسبْتُ إلىَّ وإليك ، ما انعقد عليه الإجماعُ بالتَّحقيق .

فاستمِعْ منِّى بعضَ أوصافِك ، وارْدُدْ جِماحَ [٤] أنفَتِك بلِجام إنْصافِك .

وإن لم تُصدِّق الناسُ ما أقول ، فبرِئتْ منِّى ذِمةُ المَعقول [٥] :

ألستَ حائِكَ شِقَقِ الهُون والإذْلال ، ومُوشِّيها بوَشْىِ الكُدْية والسُّؤال ، ومُفصِّل أوصالِها بمِقْراض الضَّجر والمَلال ، وخائطَ تَفاصِيلها بخُيوط الإلْحاح الطِّوال ، ومُقدِّرها على قاماتِ الرجال ؟ فمفرِّغها عليهم للزِّينة والجمال !

فاستجْلِ فيهم هذا الوصفَ الشَّنيع ، واستمْلِ منهم شكرَ هذا الصَّنيع .

---

(١) البيت من قصيدة لعروة بن الورد ، فى الأصمعيات ٤٦ ، وأوله : « ولله صعلوك » .

(٢) فى ا : « هل إن » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .   (٤) فى ا ، ب : « جماع » ، والمثبت فى : ج .

(٥) فى ا : « العقول » ، والمثبت فى : ب ، ج .

واعْفِنى من عِتابك ، فإنى أرْبأُ بنفسى عن خِطابك .

وإنَّ حِمَى عِزِّىَ المَنِيعُ المُحرَّم ، ومن لا يُكرِّم نفسه لا يُكرَّم .

ثم إنك مع ذا أردْتَ جَلاءَ العين فزِدْتَ قَذًى ، وأنزلْتَ مَعالِىَ الهُدَى فى مَغانى الهُذَا .

[1] وتكلَّمتَ فى حضرتى بشريف الآثار ، كلامَ مَن يظُنُّ أنه فيها ذو استِئثار ، وأنت[2] تعلم أنِّى فارسُ نَقْعِها المُثار .

واستشهدتَ ببعض الأشعار ، فأشهدْتَ أن لَمعانيها فى ذهنك أشعار ، وكلٌّ عارفٌ بأنى لا أركبُ فى مِضْمارِها الفَرسَ المُعار ، ولا أقْنعُ فى معرفةِ أسرارِها بالدِّثار[3] دون الشِّعار[1] .

وإن[4] كنت تستطيع مَعِىَ صَبْرا ، فسأُنَبِّئُك بما لم تُحِط به خُبْرا .

حَسْبِى وإياكَ صِيتاً وذِكْرا ، أن الله سمَّانى خيرا وسمَّاك شرًّا ، ﴿ إنَّ ٱلْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً[5] ﴾ .

وجعلنى من نِعَمِهِ التى ذكَر بها عبادَه كثيرا ، ﴿ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً[6] ﴾ .

بل يشمل سيِّدَ البشر هذا المعنى ، ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى[7] ﴾ .

وإنَّ مِن دلائل فَخْرِى وسعدى ، وهب لى مُلْكاً لا ينبغى لأحدٍ مِن بعدِى .

وجعلَك من المِحَن التى تُسْكَب عندها العَبَراتُ ، ولا تُقال فى حُزُونها

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٢) سقطت واو العطف من : ا ، وهى فى : ب .

(٣) الشعار : ما لامس الجسد من الثياب ، والدثار : ما كان فوقه للاستدفاء ونحوه .

(٤) فى ج : « فإن » والمثبت فى : ا ، ب . (٥) سورة المعارج ١٩ — ٢١ .

(٦) سورة الإسراء ٦ . (٧) سورة الضحى ٨ .

الثمرات ، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ[1] ﴾.

وإن شئتَ خفضتُك طبقةً أخرى ، ورويتُ لك : « كَادَ الفَقْرُ أنْ يَكُونَ كُفْرًا[2] » ، وما جرى هذا المَجْرَى .

فأنت المُبْعِد عن طاعةِ الخالق ، لما تُنْزِل بالخلائق ، من الكُرَب والمَضائق ، وهى القَواطِع والعَوائق .

وأنا الذى أُيَسِّر لهم سَنِيَّ البِضَاعات ، المُتوقِّف عليها كثيرٌ من الطَّاعات .

فلولا وُجودِى ، ووُجودُ جُودِى ، لم يظفَرُوا بثوابِ الزَّكَوات والصدقات ، وصِلةِ الأرْحام بالنَّفقات .

ومن أعْظمِ هذا المَرام ، حَجُّ بيتِ الله الحَرام .

وهل يستوِى الإيسارُ والإفلاس ، واللهُ لم يَدْعُ إلى بيتـهِ سِوَى المَياسِير من النـاس !

وتعلم كثرةَ دُعاء الأنبياء ، والمُقتدِين بهم من الأولياء ، بالاستعاذة من جوارِك ، والاستقالة من عِثارِك ، والتَّضرُّع إلى الله فى مَحْوِ آثارِك .

وأمّا الشعراء فقد هامُوا بهَجْوِك فى كلِّ وَاد ، وقاموا بِذَمِّك على رؤوس الأشْهاد .

وأمَرُوا للهربِ منك بالتغرُّب[3] فى البـلاد ، ومُقاساةِ الأيْن[4] فى ذلك والسُّهاد ، حتى

رأيتُ المُقامَ على الاقتصادِ قُنوعًا به ذِلّةً فى العبـادِ

[5]وحَسْبُك بيتٌ سار[6] مَسِير الأمثال فى الورَى ،

(١) سورة البقرة ١٥٥ . (٢) هذا حديث ضعيف . انظر تمييز الطيب من الخبيث ١٤٤ .
(٣) فى ا : « بالتغريب » ، والمثبت فى ب ، ج . (٤) الأين : التعب .
(٥) من هنا إلى قوله : « فتعذرا » الآتى ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
والبيت المذكور لربيعة بن الورد ، وهو فى العقد الفريد ٣/٣١ .
(٦) فى ا : « ساربه » ، والمثبت فى : ا .

فسِرْ فى بلادِ اللهِ والْتَمِسِ الغِنَى   تَعِشْ ذا يَسارٍ أو تموتَ فتُعْذَرا

وقال من أَنِفَ مِن قَدْرِك الحقير :

دَعِينى للغــــنى أسْعَى فإنِّى   رأيتُ الناسَ شَرُّهم الفقيرُ[1]

ولو عقلتَ ما فاخَرْتَ الأَقران ، وقد نَظَمُوك والكُفرَ فى قِران .

ما أحْسَنَ الدين والدنيا إذا اجْتمعا   وأقْبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجُلِ

وصَعاليكُ اليهود ، على هذا البيت من الشُّهود .

ولولا ذَمُّ الإطْرا وخَوْف المَلام ، وأن يقول بعضُ الفقراء « مادحُ[2] نفسَه يُقْرِيك السلام » ؛ لأوردتُ عليك ما نظَموه فىَّ من المدائح ، وصيَّرتُ لك دُرَّ الفرائد مِن أخلاف القرائح .

وكيف لا وأنا عِلَّتهم الغائيَّة فى نَظْم مَدائِحهم المحبَّرة[3] ، ونعوتِهم المحرَّرة ، وأغزالِهم الرائقة ، وتخيُّلاتِهم الفائقة .

وهل الممدوح إذا مثَّل المادحُ لديه ، إلا المَعهود الذى أقْدَره على إطْلاق يَدَيْه .

فخُذْ إليك غَيْضاً من فَيْض ، ولُمْعةً من رَوْض .

وإن أردت زيادةَ الخَوْض ، مَلأْتُ بهذا السَّجْل[4] لك الحوْض .

حتى تقول قَطْني[5] ، فقد ملأْتَ بَطْني .

قال الراوِى : فاسْتجاش الفقرُ وازْبأَرّ[6] ، وزَمْجر وزَأَر ، واستَوْفَز وأثار ، وقال : كلا لا مفرّ ﴿ إِلَى ربِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرّ[7] ﴾ .

---

(١) البيت فى الأغانى ٣/٧٥ ، والعقد الفريد ٣/٢٩ ، وهو لعروة بن الورد .
وفى العقد : « ذرينى للغنى . . . . » .

(٢) فى الأصول : « مادحا » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٣) فى ا : « المحرزة » ، والمثبت فى : ب ، ج

(٤) السجل : الدلو العظيمة . (٥) قطنى : كفانى . (٦) ازبأر الرجل : تهيأ للشر .

(٧) سورة القيامة ١٢ ، وسقط من ب : « يومئذ » ، وهو فى : ا ، ج .

الآن حَمِىَ الوطِيس ، والتفَّ الخميسُ بالخميس .

وتكلَّمت القلوبُ بألسنةٍ أحدَّ من الصِّفاح ، بل تكلمت ألسنةُ العذبات الحُمْرِ بأفواه الجراح .

مَن صدَّ عن نِيرانِها   فأنا ابنُ قَيْسٍ لا بَرَاحُ[1]

أيها الفِتَى ، أمِثْلِى تُذَلِّلُ صِعابَه[2] البُرَى ، ويركبُ أعجازَ الإبلِ وإن طال السُّرَى .

أقسمتُ بمن جعلنى فى خَلْقِه آية ، ورفع لى على الطاغين أشهرَ راية ، وجعلنى لِمَحْق الباغين أشأم من ابن داية[3] ؛ لتسْمَعنَّ منى ما يدَعُك تقرَع بأنامل النَّدم الثَّنايا ، وأنا ابنُ جَلا وطَلَّاع الثَّنايا .

أيها الناعِمُ فى لِباس العُجْب والتِّيه ، والزَّاعمُ أنه مُولِى الفضلِ ومُؤْتيه ، والنَّازِع إلى أخلاق اللُّؤْم والرَّداة ، والمُنازِع ربَّ الكِبْرياء رِداه .

لقد افتريْتَ فى وصفِى ووصفِك بمَيْنِك[4] ، وأبصرْتَ القَذاةَ فى عينى ولم تُبْصِر الجِذْعَ فى عَيْنِك .

وصدَفْتَ عن مناهجِ الحقِّ ومَشارِعِه ، وحرَّفْتَ الكَلِمَ عن مَواضِعِه .

ولو أنك شَدَّادُ بن عاد[5] ، ثم متَّعك الله تعالى بإرَمَ ذاتِ العِماد ، وفرعونُ ذو الأوتاد ، ثم نجَوْتَ من اليَمِّ بمَن معك من الأجْناد ، وكُلَيبُ بن ربيعة ولم يقْدِر عليك جَسَّاسٌ فى الحِمَى ، وأبْرَهَةُ ولم تَرْمِك طَيْرٌ أبابيل من السَّما ، وزُهَيْر بن جَذِيمة[6]

---

(١) تقدم هذا البيت فى صفحة ٥٦ . (٢) البرى : جمع برة ، وهو ما يجعل فى أنف البعير ليقاد به .

(٣) ابن دأية : الغراب . (٤) المين : الكذب . (٥) شداد بن عاد الحميرى .

ملك جاهلى ، اتفقت عليه حمير وقحطان ، فغزا البلاد ، وملك مدائن كثيرة ، وهو صاحب إرم ذات العماد ، التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

التيجان ٦٥ ، معجم البلدان ١/٢١٣ .

(٦) زهير بن جذيمة العبسى .

أحد رؤساء القبائل فى الجاهلية ، صاحب صولة وهيبة فى هوازن .

قتله خالد بن جعفر العامرى .

انظر خبره فى الأغانى ١١/٨٢ ، نهاية الأرب ١٥/٣٤٦ .

ولم تأخذك يدُ خالدٍ من قريب ، وأبو جهل بن هشام ولم تُسْحَب إلى القَلِيب ؛ لأنِفْتُ لك من هذا العُجْب والاستطالة ، وضجرتُ منك إذْ أطلْتَ هذه الإطالة .

لكن لا بِدْعَ فى ذلك فإنك مَنْبَعُ الطغيان ، بنصّ القرآن : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ (١) ﴾ ، ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢) ﴾ .

وإن الذى جمع مالًا وعدَّده ، وحسِب أنَّ مالَه أخلَده ، منك استمدَّ مَدَدَه ، وبك أعدَّ فى الكفر عُدَدَه .

وقد قالت أكابرُ قُرَيش حين لَفَحتها رِيحُك العَقِيم : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣) ﴾ .

وقد علِم مُفضِّلك[٤] أو مُساويك ، إن لم يُعْمِه حُبُّك عن مَساويك ، أن الخلقَ بك يخسرون ولا يُفلِحون ، وأنك من الذين يُفسِدون فى الأرض ولا يُصْلِحون .

فكم قد اقتضى غَيُّ أهوائك ، وعِيُّ أدوائك ، وسُكْرُ شرابِك ، ومُسْكِرُ سرابِك أن يُقطَع السارق ، ويُقمع المارق ، ويُرَوَّع الخائن[٥] ، ويُصْفَع المائن ، ويَدْفَع الغاصبُ القاسِط ، ويتبع المُحاسبُ المُغالِط .

وأن يُدنِّس بياضُ الأعراض ، بسَواد دَنايا[٦] الأغراض[٧] ، ويتحكَّم فى صِحاحِ العُقول عُضالُ الأمراض ، من الأطماع الحقيقة بالإهمال والإعراض .

ويُفصِحَ الحريصُ بالجريض[٨] ، عند الحثِّ على الجود والتَّحْريض .

وأن يرتكِبَ الحازمُ ، مُتونَ المآثم .

يُطيبُ[٩] الظُّنون ، ويُقْدِم السالكَ فى المَفاوز والمَهالك على رَيْب المَنُون .

---

(١) سورة العلق ٦ ، ٧ . (٢) سورة القلم ١٤ ، ١٥ . (٣) سورة الزخرف ٣١ .

(٤) فى ا : « مفضلوك » ، والمثبت فى : ب ، ج (٥) فى ب : « الخائن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٦) فى ا : « دنيا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) فى ج : « الأعراض » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٨) الجريض : الريق يغص به . (٩) فى ا : « يغيب » ، وفى ب : « نصيب » ، والمثبت فى : ج .

وكم أوقعتْ فِتْنتُك بين المرء وأبيه ، وخَليله وأخيه ، وصاحبته وبَنِيه ، وفَصِيلته التى تُؤْوِيه ، ، ومَن فى الأرض جميعًا ثم لا يُنْجِيه[1] .

ولعلَّك تقول : إن مَن ذكرتَ ، وشنَّعت عليهم وأنكرت ، منك هربُوا فلاذُوا بسابغِ ظِلِّى ، وفى حِماك أجْدَبُوا فاستَسْقوا وَبْلِى وطَلِّى ، فأنت الذى حملتَهم على أن يرتكبُوا ما ارتكبُوا ، حتى حادُوا عن القصْد ونكَّبُوا ، فعُوقِبوا ونُكِبوا .

كَلَّا ، إنَّ خَرْط القَتادِ[2] ، دوون هذا الإيراد .

فمن المعلوم أن كثيرًا ممَّن ظهرتْ غَواياتُهم ، وبَعُدت فى الفساد غاياتُهم ، قد يرضى لنفسِه بسِمَةِ القباحة ، مع كَوْنى لم أطْرُقْ له ساحة .

وإنما يقصد الزِّيادة من كَيْلِك ، أو التَّقْويمَ لأَوَدِك عند مَيْلِك ، فتغشَى عينُ بَصِيرتِه فى لَيْلِك .

وأما مَن سِواهُم ، وقليلٌ ما هم ، فلو كان قصدُه بأفعالِه الشَّنِيعة ، إفْلاتَه من حَوْزَتِى المَنِيعة ، لكنتَ تراه يكتفى بالطَّفيفِ الذى يُبعِدُه عَنِّى ، ولا يتأكد مَصاعد التَّمَنِّى والتَّعَنِّى[3] .

دليلُك أن الفقرَ خيرٌ من الغنَى ... وأن قليلَ المالِ خيرٌ من المُثْرِى[4]

لقاؤك شخصاً قد عصى الله للغِــنَى ... ولستَ ترى شخصًا عصى اللهَ للفقرِ

ويؤكِّد هذه الأحكام الجليلة ، ما أثبتَتْه الأدلةُ العقليَّة والنقليَّة ، أن جمعَ الأموال ، من وُجوهِ الحلال ، يكاد يدخُل فى المُحال .

أما تعلمُ أن مَن قابلنِى بالرِّضا ، والتسْليم للقضا .

وكَفَّ نظرَه عن الطِّماح ، وعامَل هواه بالزَّجْرِ لا بالسَّماح .

ظفِر بكنز القناعة ، وطفَر عن وِهادِ الذُّلِّ والخَناعة .

---

(١) ينظر فيا تقدم إلى الآيات ١٢ ــ ١٤ من سورة المعارج . (٢) القتاد : شجر له شوك .

(٣) فى ا : « والتمنى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ا ، ب : « وأن القليل المال » ، والمثبت فى : ج .

وهجر كَدَّ الطلب ووَبالَه ، وفرَّغ بطاعةِ مولاه خاطِرَه وبالَه .

وتمسَّك بأوْثقِ الوسائل ، لتحْصيل العلوم والفضائل .

واستحقَّ أن يُنشِد لسانُ افتخارِه :

غيرِى يغــيِّره فِعالُ الجــافِى ويحُول عن شِيَمِ الـكريم الوافِى[1]

ويرشد عند اخْتياره :

إن الغَــنِيَّ هو الغــنيُّ بنفْسِه ولَوَ أنَّه عارِى المَناكبِ حَافِى[2]

وأما من أبغضَك وأحبَّنى ، ورفَضك وقرَّبَنِي ، وأبعدك وأنت قائمٌ فى خدمتِه كبعْض عَبيده ، وطردَك وأنت باسِطٌ ذِراعيْك بوَصِيده ، فإنه رجلُ الدنيا وواحدُها[3] ، وطالب الأُخْرَى فواجدُها .

وحَسْبُك بإبراهيم بن أدْهَم بعــد نُزوله من أعْلَى القصور[4] ، وعمرو بن عُبَيْد وجلالةِ قدرِه عند المنصور[5] .

دَعْ أهلَ هذه الطبقة وما حوَوه من المَفاخر ، واتْلُ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ[6] ﴾ .

أليس قد ورَد عنه صادقُ النَّبَا ، بأنه قد[7] نَشَزَ عنك ونبَا ، وقد عُرِض عليه أن تصِير معه جبالُ تِهامة فِضَّة وذَهَبا ؟!

ثم من العجَب زَعْمُك أنك العزيزُ وأنا الذليل ، وأنَّى الحقير وأنت الجليل .

---

(١) البيت لأبى فراس الحمدانى ، وهو فى ديوانه ١/٢٥٦ ، وفيه : « الفعال الجافى » .

(٢) البيت أيضاً لأبى فراس الحمدانى ، من القصيدة التى سبق أولها . (٣) فى ا : « وأوحدها » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) ذلك أنه كان من أبناء الملوك والمياسير من أهل بلخ ، خرج متصيداً فهتف به هاتف ، فترك طريقته فى التزين بالدنيا ، ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع .

انظر طبقات الصوفية ٢٧ .

(٥) بلغ من جلالة قدره عند المنصور أن رثاه ، وكان عمرو بن عبيد زاهداً عالماً ، شيخاً للمعتزلة فى عصره .

انظر وفيات الأعيان ٣/١٣٠ .

(٦) سورة الأحزاب ٢١ . (٧) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

ولو كنتَ تُساوِى[1] عَفْطةَ[2] عنزٍ أو[1] قُلامةَ حافرٍ ، لَما متّع الله تعالى بك الفاسقَ والكافر .

وإن زعمتَ أن لك الفضلَ والنّعمة ، لأنّ مُصاحِبَك يُعَدُّ من أُلى النِّعْمة ؛ فإنّ معك من المِحَن والأكْدار ، وهُموم الخوف من طَوارق الأقْدار ، وتَوقّى سُوء السُّمعة فى هذه الدار ، ما لا ينْقطع ولا ينْتفِى ، ولا يسْتَتِرُ ولا يخْتفِى .

وَازنْتُ بين مَلِيحِها وقبيحِها   فإذا المَلاحة بالقباحةِ لا تفى

وأنّى يهْنأ بعَيْش مُستطاب ، مَن يعلم أن حلالَك حِسابٌ وحرامَك عِقاب .

وكيف يتحمّل منك الإفضالَ والإنعام ، مَن يسمع « يَدْخُلُ فُقَرَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهَا بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ[3] » .

فَدُونَكها غارةً شَعْواء ، تخبِط فى مَجاجِها خَبْط العَشْواء ، وداهيةً دَهْياء ، تُحقّق عندك أنّكَ[4] الداء العَياء .

تمنع الحدَثَ الغِرّ أن يصُولْ ، والهَرِمَ المُجرّب أن يقول :

يا ليْتنى فيها جَذَعْ   أخُبُّ فيها وأضَعْ[5]

وتُقرِّر فى العقول ، مَفاد المثَل المنقول :

ما طارَ طيرٌ وارْتفعْ   إلّا كما طارَ وَقعْ[6]

قد أصْدرتْها صِيانةُ المروءة الشرعيّة ، وحِياطةُ حقوقِ[7] النفسِ المَرعيّة ؛ لا بَوادِرُ

---

(١) ساقط من : ح ، وهو فى : ا ، ب .   (٢) عفطة العنز : ضرطتها .   (٣) رواه ابن ماجة فى سننه ٢ / ١٣٨٠ (باب منزلة الفقراء ، من كتاب الزهد) ، ولفظه : « يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ ، خَمْسِمِائَةِ عَامٍ » .

(٤) فى ا : « أن » ، وفى ج : « أنى » ، والمثبت فى : ب .   (٥) هذا رجز أنشده دريد بن الصمة يوم حنين . انظر السيرة ٢ / ٤٣٩ ، واللسان (ج ذ ع ، و ض ع) ٨ / ٤٥ ، ٣٩٨ .
والجذع : الشاب ، والخب والوضع : ضربان من السير .

(٦) انظر البيت فى التمثيل والمحاضرة ٣٦٣ .   (٧) فى ا : « حقول » ، والمثبت فى : ب ، ح .

القوّة الغضبيّة ، ونوادرُ النَّخْوة والحَميّة .

لتفيدك موعظةً حسنة ، وتتلُوَ : لا تَستوِى السَّيِّئَةُ والحَسَنة[1] .

وتُنْشِد البيتَ الدائر على الألْسِنة :

الخيرُ يَبْقَى وإن طال الزّمانُ بهِ والشَّرُّ أخبثُ ما أوْعَيْتَ مِن زادِ[2]

قال راوى الحديث : فلما أتمّ الفقرُ مَقالَه ، ورمى عن ظهرِه أثقالَه ؛ أقبل الغِنَى على رأسِ المجلس وصَدْرِه ، وشمسِ المحفل وبدرِه .

وقال : أيُّها النفسُ الشريفة ، مَدَّ الله تعالى بك ظِلالَ العقلِ الوَريفَة ، إن حالَ هذا الجاهل طَريفة أيّ طَريقَه .

لقد جهِل الجهلَ المُركَّب ، وركِب فى غيرِ سَرْجِه هذا المَركب .

وقصَد إذْ شوَّه وجهَ جَمالِى ، وأوَّد[3] غُصْنَ كَمالِى ، أن يُنشِد حُرٌّ كريم ، أو ذو أدب قويم :

كضَرائرِ الحسْناء قُلْنَ لوجْهِها حَسَداً وبُغْضاً إنه لَدَميمُ[4]

فيدخُل بفَحْوَى[5] العموم فى جملةِ أقرانِى ، ويصْعَد بهذا المفهوم إلى أوْجِ قِرانِى .

وهيهات هيهات ، أين الثُّرَيَّا من يَدِ المُتناوِل ، ومتى قال السُّها ياشمسُ أنت خفيَّة : وقال الدُّجَى ياصُبْحُ لونُك حائل .

ولو انثالتْ من جيوشِ الكلام هذه الجحافل ، فى أحْقَرِ الأندية والمحافل[6] ، لمِا

(١) نص الآية ٣٤ من سورة فصلت : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ .

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص وهو فى التمثيل والمحاضرة ٥٠ . (٣) أوده : حناه وعوجه .

(٤) البيت لأبى الأسود الدؤلى . البيان والتبيين ٤/٦٣ ، وفيه : « إنه لدميم » .

(٥) فى ا : « فى نحوى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

فى الحال بين البطل الشُّجاع ، والخَنِع[1] اليَراع[2] ، وأسْقِط سَقَطُ[3] المَتاع ، عُن رتبة سكاب[4] الذى لا يُعار ولا يُباع .

فكيف بهذا المجلس الذى انْتَشرتْ عليه غمائمُ الأدب والفضل ، وشَرِتْ[5] منه بَوارِقُ صَوارِمِ القول الفَصْل ، وارْتعدَتْ بصواعِق الجِدِّ فَرائصُ الهزْل،وهمَرتْ سيولُ النَّفع والضُّرّ فى شِعابِ التَّوْلِيةِ والعَزْل .

وإنى سأحْبِس عن القول عِنانى ، ولا آخُذُ إلَّا فيما عَنانِى ، حتى تنحسم أباطيل الأمانى ، وتمَّحِى عن صحائف الخواطر وساوسُ مانِى[6] ، وأجازِى بالشكرِ مَن عرَف قدرِى فأسْمانِى .

قال : فبادر الفقرُ قائلا[7] : رَبِّ إنى دعَوتُ هـذا الخصْمَ الرشادِ ليلاً ونهارًا ، ونصحْتُـه بالبيان المُستفاد سِرًّا وجِهارا ، فلم يزِدْه دُعائى إلّا فِرارًا ، وإصْرارا على الجوْر واسْتكْبارا .

ثم لم يكْتفِ بذلك حتى أخـذ يمْكُر بى مَكْراً كُبّارا ، ويتقرَّب للحضْرة السُّلْطانيّة اسْتظهارا علىّ واسْتنصارا[8] ، ويظُنُّ أن سَينال بذلك لَدَيْها إيثارا .

كلاَّ واللهِ ، تلك حضرةٌ شَوْطُ الباطل فيها قَصِير ، وهى للحقِّ وأهلِه بِمْتِ النَّصِير ، ولا يتميَّز عندها للمتربِّع فوق السَّرِيرِ ، على الجاثِى على الحصِير ، وقد وقفَ الكلامُ بمُنْتَهاه وغايتِه وصار إلى مَصِير .

ثم أقْبل على العقل ، وقال : يامولانا الوزير ، أنت المُدبِّر والمُشِير ، والحاكمُ على كلِّ مَأْمور وأمير .

---

(١) الخنع : الذليل . (٢) اليراع : الجبان . (٣) سقط المتاع : رديئه . (٤) كذا فى الأصول ، ولم أعرفه . (٥) شرى البرق : لمع . وفى ج : « وسرت » ، والمثبت فى : ا ، ح .
(٦) تقدم ذكر مانى فى صفحة ١٥٣ (٧) ينظر فيما يأتى إلى الآيات ٥ ــ ٩ ، ٢٢ من سورة نوح .
(٨) فى ب ، ح : « وانتصارا » والمثبت فى : ا .

وأنت لسانُ الملِكِ الناطقُ بلا اعتراض ، ويدُه المُتصرِّفةُ في سائر الأغراض ، وطبيبُ أحكامِه الشافي من كلِّ الأمراض ، ولك الأمرُ ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾[1] .

قال كريمُ الطِّباع ، الراوي لهذه الأسجاع : فلمَّا سمِع العقلُ ماقالاه ، ورأى أنهما ألزَماه الحكومةَ وإن عثَر ما أقالاه ، لبث هُنَيْهةً ينتظر الإذْنَ في الكلام ، ويُحرِّر من القوْل مايُخرِجه عن المَلام .

إجْلالا للحضرة السلطانيَّة وتبجيلا ، وعملا بما قيل :

إن الكلامَ لَفِي الفؤادِ وإنَّما　　جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلاَ

حتى حصُلتْ له الإشارةُ ، ووَصلتْ نتائجُ أفكارِه المُستشارة .

فاستعاذ من الشيطانِ الرجيم ، وقال : بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد ؛ فإنَّ الحكومةَ مِعْيارُ الذِّمَم ، ومِحَكُّ الهِمَم .

وميزان الفضل والمعرفة ، ومَيْدان الأفكار المُتصرِّفة .

ومَمَرُّ أنهار البلاغة والفصاحة ، ومَقَرُّ أطْواد الرَّصانة والرَّجاجة ، ومَصْرَع جُنوبِ المودَّة والصداقة ، لكن في معاركِ ذوِي الجهل والحماقة

والحقُّ يأبَى الجمعَ بين النَّقيضيْن ، والعقل يحرِصُ على الإصلاح بين البَغيضيْن .

والتوفيقُ عَزيز ، وخيرُ القولِ الجامعُ الوجيز .

وبحرُ المديح والقَدْح لا تفْنَى عجائبُه ،

ومَن ذا الذى تُرْضَى سَجاياهُ كُلُّها　　كَفَى المرءَ نُبْلاً أن تُعَدَّ مَعايبُهْ[2]

ومن هنا أيها الفقرُ والغِنَى ينبغِي أن تعلما أنكما أدخلتُماني في أضْيَق من سَمِّ الخِياط ، وكلَّفْتُماني المُرورَ على جهنَّم فوق الصِّراط ، وأشَقُّ المَسالكِ الشرعيَّة بابُ الاحْتياط .

---

(١) سورة طه ٧٢ .　(٢) البيت ليزيد بن محمد المهلبي الشاعر العباسي ، وهو في التمثيل والمحاضرة ٩٣ ، زهر الآداب ١/٥٥ ، نهاية الأرب ٣/٩٠ .

وأنا أستعينُ اللهَ تعالى وأستهديه ، وأسأله أن يُوفقَكما لقَبُولِ ما أُبْدِيه .

فقد أجبتُ السؤال وأطَمْت ، وما أريدُ إلا الإصلاحَ ما استَطَعْت [1] .

أما أنت أيها الغِنَى ؛ فإنك المحمودُ المذموم ، المَيْمون المَشْئوم ؛ المحبوب المَبغوض ، المطلوب المَرْفوض ؛ النافعُ الضَّارّ ، المُقيم الفارّ ، المُنَبِّه الغَارّ .

وأما أنت أيها الفقر ، فإنك العدوُّ الصديق ، المُسْعِف الرَّفيق ؛ المُشْقِي المُسعِد ، المُهبِط المُصعِد ؛ المُمْرِض المعافِي ، المُعْرِض الوافِي ، المُخِلُّ الكَافِي ، الناقصُ الوافِي .

وأنا أُفصِّل [2] لكما هذيْن الإجمالَيْن [3] ، وأرفعُ التّناقُض بين الاحتمالَيْن ، حتى تنزّهاني عن الجَهْل والمَيْن ، وتنقلبا بحقائق الأمورِ عالمَيْن .

اعلما أن الله لم يخلُق شيئاً عبثا ولعبا ، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ [4] أوْلَاه راحةً أو تعبا .

وجميعُ نِعَمِه ونِقَمِه ، منتظمةٌ فى أسلاكِ حِكَمِه .

وكلُّ ما أَوْدَعه فى عالم الكَون والفساد ، ذَرِيعةٌ للعباد إلى كَسْبِ الفَوْز فى المَعاد .

ومِلاكُ نتيجةِ كلِّ قضيَّة ، مايَهْدِى الله إلى اختيارِه حضرةَ النفسِ الإنسانيّة .

وقد أحلَّكما اللهُ تعالى بين عبادِه فى مَواقِع ، يُجوِّزها الشرعُ ولا يُدافِع ، مَن أوْفاها حقَّها ظَفِر بالعملِ النافع ، ومن قصَّر جُوزِىَ بعذابٍ واقع ، ماله من دافع .

فيكون الغِنَى مِنْحةً استوجَبها المُطِيع فحَواها ، أو مصلحةً لا يُصلِح العبدَ سواها .

أو مِحْنةً للاختبار والابتلا ، أو فتنةً للاستدراج والإملا .

ويكون الفقرُ نِقْمةً طِبْقَ الاستحقاق المَسْطور ، أو نعمةً لتنزيه النفوسِ الشريفة عن مَتاعِ الغُرور .

---

(١) ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ ، سورة هود ٨٨ .

(٢) فى ج : « أفقل » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) فى ا : « بالإجمال » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) سورة الكهف ٤٩ .

ويُشارِكُ الغِنَى فى الابْتلاء والاختبار ، والمصلحة التى يعلمها الحكيمُ المُختار .

فَحقُّ المَحْبُوِّ بالغِنَى أن لا يَأْلُوَ جُهْداً ، فى أن يُوالِىَ شُكْراً وحَمْدا .

وأن يتوصَّل به لِاكْتساب الأُخرى ، ويتصرَّف فيه بما هو الأَوْلى والأَحْرَى .

ويتخرَّج من عُهْدةِ النّوافل والحقوق ، ويتحرَّج عن وَصْمةِ التَّغافُل والعُقوق .

ويستعيذَ باللهِ من إملائِهِ وفِتْنتِهِ ، ويَحْذَرَ أن تغلِبَ الغَفلةُ على فِطْنتِهِ .

وإيّاه ثم إيّاه ، أن يشغَلَه عن مولاه .

وتحت هذا الإجمال تفصيلٌ طويل ، الوَيْلُ لمن أضْرب عنه والعَوِيل .

وحَقُّ المَمْنُوِّ بالفقر أن يأخذَ بالرِّضا والتسليم ، ويُقابلَ حُكْمَ الحكيم بقلبٍ سليم .

ويشكرَه على آلائِهِ ، حيث اخْتصَّه بشِعارِ أنْبيائِه وأوليائه .

ويُنيبَ إلى بارِيه بالتَّوبة ، ويستعيذَ به من شُؤْمِ الإثْم والحَوْبَة [١] .

ويَعتاضَ بعِزِّ القَناعة والكَفاف ، [٢] ويرتاضَ على الزهد والعفاف [٢] .

ويَعتصِمَ بحَبْلِ التُّقى [٣] ، ويَحْذَرَ من التخلُّص [٤] بالشَّفَا مِن الشَّقا [٤] .

ولا يَيْأَس من رَوْحِ الفَرج ، وإن عَزَّ فى الضِّيق المَخْرج .

ولا يدَع التلطُّف فى الحِيلة ، لتكلُّف المظاهر الجميلة .

فهذه السُّنَن المُتَّبَعة ، مُقْنِعة فى الخروج من عُهْدةِ المواقِع الأرْبعة .

إذا عُلِم هذا وتقرَّر ، وثبَت لديْكما وتحرَّر ، فاعْلَما أن كلَّ واحدٍ منكما جاوَر مَن هذه صِفاتُه ، وحاوَر من لا تُصْدَعُ بالجهل صَفاتُه [٥] .

فهو فى مَعْرَكِ المُفاخرة فارِس الصَّفَّيْن ، والحائزُ للقِسْم المحمود من الوَصْفَيْن .

---

(١) الحوبة : الهم والحاجة . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . وفى ا : « الزهد والكفاف » ، والمثبت فى : ب . (٣) فى ا : « النقا » ، والمثبت فى : ب ، ح .

(٤) فى ب : « من الشقاء بالشقا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) الصفاة : الحجر الصلد الضخم .

وإلَّا فهو المُتَّسِم بالوصف الأخير ، الحرِيُّ[١] وإن قُدِّم بالتأخير .

ثم إن أبَيْتُما ، إلَّا التَّمييز فى الصفات بينكما ، فأنت أيها الغِنَى كالسيفِ الصَّقِيل ، يُضِىء حَدُّه فى أعناق المعتدين والمُهتدين ، والجَوادِ الأصيل يصلُح حَدُّه[٢] لقَطْع السُّبُل[٣] ولإعْزاز الدِّين .

فلك الفخرُ الذى يُزاحِم الكواكبَ بالمناكب ، لكنْ بعدَ النَّظر إلى الضَّارب والراكب .

وأنت أيها الفقر كالبحرِ الأُجاج ، يجرى فيه الفُلْك مَواخِر ، ويُسْتَخْرَج منه الدُّرُّ الفاخر .

والقَفْرِ المَجاج ، ينجو سالِكُه[٤] مِن طَلَب أعْدائه ، ويرْجُو عند انْتهاء السيرِ لِقاء أودَّائه .

فأنت الحائزُ للمفاخر ، لكن باعتبار العواقبِ والأواخر .

ثم إنى أقول ولا أخْشَى مَلامة ، إن الفقرَ أدَلُّ على مَنْهج الاسْتقامة ، وأقربُ إلى ساحلِ السلامة .

وإن كان الغِنَى إذا كُشِف عن صاحبه الرَّيْن ، ووُفِّق على عِزَّةِ التوفيق لأحَدِ الاخْتيارَيْن ، فهو الظافرُ بسعادة الدارَيْن .

وبهذا التَّأصيل الوَثيق ، والتَّفصيل المُطابِق للتحقيق ، يرتفعُ التناقُضُ بين ماأورَدْتُماه من الحُجَج ، وقلْتُماه عند الخَوْض فى تلك اللُّجَج .

فتأمَّلاه بعَيْن البَصِيرة ، وتناوَلاه بيدٍ غيرِ قصيرة .

وعلى كلِّ حال فأنا المُمتحَن المُبتَلى بكما ، والمرآةُ المُجَلَّى فيها شَكْلُكما .

---

(١) فى ا : « الجرىء وأنى » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) فى ب : « جده » ، والمثبت فى : ا ، ج . والحد من كل شىء : حدته .
(٣) فى ج : « السبيل » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٤) فى ا : « سالك » ، والمثبت فى : ب ، ج

ولم يكفكما تكليفى المشاقَ مُنفردين ، حتى جئتمانى مُجتمعين ، وحمّلتمانى ما لو عُرض على الجبالِ لأَبَيْن .

وأنا أسألُ اللهَ تعالى أن يمنحَ حُكمِىَ القَبُول ، ويُوفّق بينكما بالإصْلاح وهيهات أن تتّفق الدَّبُورُ والقَبُول [١] .

قال راوى الحديث : فلما سمع الغِنَى والفقر ماجَلاه العقل من الدّلائل ، وعلِما أنه لم يُبْقِ مَقالًا لقائل ، ولا مَصالًا لصائل ، قاما حامدين للحُكومة راضيَين ، وانطلقا لشأنِهما كالسيفين الماضيَين .

وتفرّق أرْبابُ المجلس وكلٌّ يقول : هذا هو الحكمُ العَدْل ، والمنطقُ الفَصْل ، ولِواهبِ العقل جزيلُ الحمد والمِنّة والفضل .

☆

(١) الدبور : الريح تهب من الغرب ، والقبول : الريح تهب من الشرق ، وهى الصبا .

٣١١
محمد بن أحمد حكيم المُلك*

بضم الميم وسكون اللام

جَواد لا يُشَقُّ غُبارُه ، وكامل خَلَص من الزيف عِيارُه .

سَرَّح فى فنون العلم وسَام ، واجْتلَى وُجوهَ خَطاياه وهى نَضْرَةٌ وِسام .

وهو من بيت رياسةٍ وجَلالة ، وقوم لم يرِثوا المجد عن كلالة .

وكان لِسَلَفِه عند ملوك الهند آل تيمور ، مَحلٌّ بنَدَى أكُفِّهم معمور ، ومنزل بفائضِ عَوارفِهم مغمور .

ولما ورد جَدُّه مكةَ المشرَّفة ، قصَد آل الحسن السادة ، فأحَلُّوه المحلَّ الذى يُنبِيه أعْيُن الحسَّادة .

ووُلِد صاحبُ الترجمة بمكة ، فنشأ فى بيتِ مجدٍ عَلَا قدرُه ، ورضَع من ضَرْعِ ذلك المَحْتِدِ فلله دَرُّه .

فجمع بين تَليد المجد وطَريفِه ، وقال[1] مِن ظِلِّ الرِّعاية فى فَسيحِه ووَرِيفِه .

قال ابن معصوم : ولم يزل مُتَّبِعا[2] تلك الدار ، محمودَ الإيراد[3] والإصْدار .

(*) محمد بن أحمد حكيم الملك .

فارسى الأصل ، ولد بمكة ، ونشأ بها .

وكان لأسرته حظوة عند بنى حسن أشراف مكة ، وكانت له مكانته عند الشريف محسن ، ثم تغيرت الأحوال فى دولة الشريف أحمد بن عبد المطلب ، فكان ممن نهبت داره ، وسار مختفياً إلى اليمن ، وظل هناك حتى قتل الشريف أحمد . ولكنه لم يجد عند الشريف مسعود ما كان يؤمله ، فتوجه إلى الهند ، سنة تسع وثلاثين وألف .

وتوفى بها سنة خمسين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٣٦١ ـ ٣٦٦ ، سلافة العصر ١٥٨ ـ ١٧٢ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٦٣ .

(١) من القيلولة .　　(٢) فى السلافة : « متبوءاً » .

(٣) يعنى القاضى أحمد بن أبى دؤاد الإيادى ، صاحب فتنة القول بخلق القرآن .

وكان أثيراً لدى المعتصم العباسى .

توفى سنة أربعين ومائتين .

تاريخ بغداد ٤/١٤١ ، وفيات الأعيان ١/٦٦ .

مع تمسُّكه من سلطانها الشريف محسن بالعُرْوة الوُثقَى التى لا تنفصِم ، وحُلوله لديه بالمكانةِ التى ما حَلّها ابن دُؤاد عند المُعتصِم .

(١) حتى حصل عليه (١) من الشريف أحمد بن عبد المطلب ما حصَل ، (٢) لما انْحَلَّ (٢) عَقْدُ ولاية الشريف مُحسِن منها وانفَصل .

فكان ممّن نَهَب (٣) الشريفُ دارَه ومالَه ، وقطَع من الأمانِ أمانِيه وآمالَه .

فالْتجأ إلى بعض الأشراف ، فأمَّنه على نفسه بعد (٤) مُشاهدة الوقوف (٤) على الهلاك والإشراف .

ثم سار مُختفيا إلى اليمن (٥) ، واستمرَّ حتى قُتِل ابنُ عبد المطلب ، فلم يرَ من شريف مكة السيد مسعود ما كان يأمُله قبل ، فتوجَّه إلى الهند فألْقَى بها عصاه ، إلى أن بلغ من العمر أقصاه .

انتهى .

* * *

ومن شِعره الذى أخذ بكلِّ معنى ، وتعطَّر بمَشامِّ ذِكْره كلُّ مَغنى .

قوله (٦) :

صَوادِحُ البانِ وَهْنًا شَجْوُها بادِى ... فمن مُعِينُ فتًى فى فَتِّ أكْبادِ (٧)
صَبٌّ إذا غنَّتِ الورْقاء أرَّقهُ ... تذْكيرُها نغَمات الشادِنِ الشادِى

---

(١) فى سلافة العصر : « حتى حصل على مكة شرفها الله تعالى » .

(٢) فى السلافة : « وانحل » . (٣) فى السلافة : « أنهب » .

(٤) فى سلافة العصر : « مشاهدته الوقوع » . (٥) لم يرد فى السلافة المطبوعة ذكر سيره مستخفياً إلى اليمن ، وقد تصرف المحبى بعد هذا فى كلام ابن معصوم . (٦) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٣٦١ ـ ٣٦٤ ، سلافة العصر ١٦٢ ـ ١٦٥ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٧٥ ـ ٤٧٨ .

وذكر المحبى أنه عارض بها دالية أحمد المرشدى ، التى تقدمت .

والقصيدة فى رثاء الشريف محسن بن الحسين ، وكانت وفاته سنة ثمان وثلاثين وألف .

انظر خلاصة الكلام ٦٨ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٢١ .

(٧) فى سلافة العصر ، والسمط : « فمن عذير فتى » .

فبات يرعُف من جَفْنيهِ تحسَبُه | يُرَجْرِج المَدْمعَ الوَكّافَ بالجادِى (١)
جافِى المضاجعِ إلْفُ السُّهْدِ ساوَرَه | سَمُّ الأساوِدِ أو أنيابُ آسادِ
له إذا الليلُ وَاراهُ نَشِيجُ شَجٍ | وجَذْوةٌ فى حَشاهُ ذاتُ إيقادِ
سُمّارُه حين يُضْنيه تَوَحُّشُه | فيَشْرَئِبّ إلى تأسيسِ عُوّادِ (٢)
وَجْدٌ وهَمٌّ وأشجانٌ وبَرْحُ جَوًى | ولَوعةٌ تتلظَّى والأسى سادِى (٣)
أضْناهُ تفريقُ شَمْلٍ ظَلَّ مجتمِعاً | وضَنَّ بالعَوْدِ دَهْرٌ خَطْبُه عادِى (٤)
فالمرءُ ما بين ضَنٍّ ينقضِى وضَنًى | والدهرُ ما بين إيعادٍ وإبْعادِ (٥)
لا وَصْلَ سَلْمَى وذاتِ الخالِ يرْقُبُه | ولا يُؤمِّل من سُعْدَى لإسْعادِ (٦)
أضْنَى فؤادىَ واسْتَوْهَى قُوَى خَلَدِى | أقْوَى مَلاعبَ بين الهُضْبِ والوادِى (٧)
عفَتْ محاسنُها الأيامُ فاندَرستْ | واستَبْدلَتْ وَحْشةً من أُنْسِها البادِى
وعاثَ صَرْفُ الليالى فى مَعالِمِها | فما يُجيبُ الصَّدَى فيها سِوَى الصَّادِى (٨)
دَوارِجُ المَوْرِ مارتْ فى مَعاهدِها | فغادرتْها عَفَا السَّاحاتِ والنادِى
وصَوَّحتْ بالبِلَى أطلالُها وخَلَتْ | رِحابُها الفِيحُ من هَيْدٍ ومن هادِى (٩)

---

(١) فى السمط : « يرعف من عينيه » ، وفى ا : « يرجج المدمع » ، وفى السلافة ، والسمط : « يزبرج المدمع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة.
الوكاف : المنهمل . والجادى : الزعفران .

(٢) فى الخلاصة : « فيترتب إلى تأسيس عواد » ، وفى السمط : « فيشرئب إلى تأنيس عواد » .

(٣) فى السمط : « وأحزان وبرح هوى » ، وفى هامش خلاصة الأثر : « قوله : سادى ، بمعنى سادس »

(٤) فى الأصول : « دهراً خطبه عادى » ، والمثبت فى الخلاصة ، والسلافة ، والسمط .

(٥) فى السلافة : « ما بين ضر ينقضى . . . والدهر ما بين إبعاد وإبعاد » .

(٦) فى الأصول : « من سعد لإسعاد » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، والسمط .

(٧) فى السلافة ، والسمط : « أشجى فؤادى » ، وفى الأصول : « قوى خلدى » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، والسمط . وفى السمط : « بين النصب والواد » .

(٨) الصادى : الشديد الظمأ . (٩) فى السمط : « من هند ومن هادى » .
والهيد : المضطرب . القاموس (هـ ى د) .

كأنها لم تكنْ يوماً لبيضٍ مَهاً ... مَراتِعاً قد خلَتْ فيهنَّ من هادِ[١]
ولم تظَلَّ مَغانيها بغانيةٍ ... تُغْنِي إذا ما رَدَى من بَدْرِها رَادِي[٢]
ولا تثنَّتْ بها لَمْياء ساحِبةً ... ذَيْلَ النعيم دَلالاً بين أنْدادِ[٣]
فارقْتُها وكأنّى لم أظَلَّ بها ... فى ظِلِّ عَيْشٍ يُجلِّى عُذْرَ حسَّادِ[٤]
أجْنِي قُطوفَ فُكاهاتٍ مُحاضرةً ... طَوْراً وطوراً أُناغِي رُتْبة الهادِي[٥]
هَيْفاء يُزْرِى إذا ماسَتْ تمايُلُها ... بأمْلَدٍ من غصونِ البانِ مَيَّادِ[٦]
بجانبِ الجيدِ يَهْوِى القُرْطُ مُرْتمِداً ... مَهْواهُ جِدُّ سَحِيقٍ فوق أكْتادِ[٧]
شِفاهُها بين حُقِّ الدُّرِّ قد خَزَنتْ ... ذخيرةَ النَّحْلِ مَمْزُوجاً بها الجَادِي[٨]
إذا نَضَتْ عن مُحَيّاها النِّقابَ صَباَ ... مُسْتهْتَراً كلُّ سَجَّادٍ وعبَّادِ
وإنْ تجلَّتْ ففيها قد جَلَتْهُ دُجىً ... لنا به فى الدَّآدِى أيّما هادِي[٩]
وَمِيضُ بَرْقِ ثَناياها إذا ابْتسمَتْ ... بعارضِ الدَّمْعِ من مَهْجورِها حادِي[١٠]
وناظِرانِ لها يرْتدُّ طَرْفُهما ... مهما رَنَتْ عن قتيلٍ ما له وَادِي[١١]
وصُبْحُ غُرَّتِها فى ليلِ طُرَّتِها ... يوْمَاىَ من وصلِها أو هجرِها العادِي[١٢]
تلك الربوعُ التى كانت مَلاعبُها ... أخْنَى عليها الذى أخْنَى على عادِ
إلى مَلاعبِ غِزْلانِ الصَّرِيمِ بها ... يَحِنُّ قلبى المُعَنَّى ما شدَا شَادِي[١٣]

---

(١) يقال : ما له هيد وهاد ، أى حركة . (٢) فى خلاصة الأصل : « ولم تحل مغانيها » .
(٣) فى السمط : « لمياء ساحته » . (٤) فى السلافة ، والسمط : « فرقتها فكأنى » .
(٥) فى الخلاصة : « أناغى ربة الهادى » ، وفى السلافة : « أناغى زينة الهادى » ، وفى السمط : « أناجى زينة الهادى » . (٦) الأملد : الغصن الناعم . (٧) فى السمط : « فوق أكباد » . والكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان .
(٨) فى السمط : « شفاتهـا بين حر الدر » ، وفى الأصول ، والخلاصة : « ذخيرة النحل » ، والمثبت فى السلافة ، والسمط . (٩) الدآدى : الليالى الشديدة الظلمة .
(١٠) فى الخلاصة : « بعارض الدمع » . (١١) الوادى : من يدفع الدية . (١٢) العادى : من العدوان .
(١٣) فى السلافة ، والسمط : « إلى مراتع غزلان الصريم » ، وفى الخلاصة : « يحن قلب المعنى » .

بُعْدًا لدهرٍ رمـــانى بالفِراقِ بها ... ولا سَقَى كَنَفَيْه الرّائحُ الغادِى[١]

عَمْرِى لئن عظُمتْ تلك القَوادِحُ من ... خُطوبِه وتمـــــدَّتْ حدَّ تَعْدادِ

لقد نسِيتُ وأنْسَتْنى بَوائقُـــه ... تلك التى دَهْدَهتْ أصْلا وأطْوادِ[٢]

مَصارِعٌ لِبَنِى الزَّهْرا وأحمد قد ... أذْكَرْنَ فَخًّا ومَن أرْدَى به الهادى[٣]

لفَقْدِهم وعلى المَطْلولِ من دَمِهم ... تبكى السماء بمُزْنٍ رائحٍ غادِى[٤]

وشَقَّ جَيْبَ الغمامِ البَرْقُ من حَزَنٍ ... عليهمُ لا على أبْنـــاءِ عَبَّادِ

كانوا كعِقْدٍ بجِيدِ الدهرِ مُذْ قَرِطَتْ ... من ذاك وَاسِطةٌ أوْدَى بِبَغْدادِ[٥]

وهو المَلِيكُ الذى للمُلْكِ كان حِمًى ... مُذْ ماسَ من بُرْدِه فى خَزِّ أبْرادِ[٦]

كانت لجيرانِ بيتِ اللهِ دولتُـــه ... مِهادَ أمْنٍ بِسَرْحِ الخيفِ ذَوّادِ[٧]

وكان طَوْدًا لِدَسْتِ المُلْكِ مُحْتبِيًا ... ولاقْتِناصِ المَعالى أىَّ نَهّادِ[٨]

ثَوَى بصَنْعــا فياللهِ ما اشْتَملتْ ... عليه من مجدِه فى ضِيقِ ألْحادِ

---

(١) فى السلافة : « بالفراق لها » . (٢) فى السلافة ، والسمط : « فقد نسيت » .

(٣) فخ : واد بمكة ، كانت به وقعة بين أبى عبد الله الحسين بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب ، حين خرج يدعو إلى نفسه سنة تسع وستين ومائة ، وبين جنود الهادى ، وقد بذلوا له الأمان حين التقوا به يوم التروية ، ويقال إن مباركا التركى رشقه بسهم فمات وحمل رأسه إلى الهادى ، وقتل جماعة من عسكره وأهل بيته ، وبقى قتلاهم ثلاثة أيام حتى أكلتهم السباع ، ولهذا يقال : لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ .

الكامل ٦/٣٦ — ٣٨ ، معجم البلدان ٣/٨٥٤ .

(٤) فى السلافة ، والسمط : « بدمع رائح غادى » . (٥) فى ب : « لجيد الدهر » ، وفى السمط : « لجيد المجد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

وفى ا : « مذ فرطت » ، وفى ب : « مذ قرطت » ، وفى ج : « مذ قرطت » ، وفى الخلاصة : « قد قرطت » ، والمثبت فى : السلافة ، والسمط .

(٦) فى الأصول : « دعو المليك » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، والسمط .

وفى السلافة ، والسمط : « فى خير أبراد » .

(٧) فى السلافة : « مهادها من لسرح الخوف ذواد » ، وفى السمط : « لسرح الخيف » .

(٨) فى السلافة ، والسمط : « بدست الملك » .

فقــد حَوَيْتِ به صَنْعاء من شَرَفٍ　　كما حَوَتْ صَعْدةٌ بالسيِّد الهادِى [١]

فحبَّـــذا أنتِ ياصَنْعاء من بلدٍ　　ولا تَغَشَّى زياداً وَكْفُ رَعَّادِ [٢]

مُصابُه كان رُزْءا لا يُوازِنُه　　رُزْء ومِفْتاحَ أرْزاء وأسْبادِ [٣]

وكان رَأْساً على الأشْرافِ منذ هوَى　　تتابعُوا بعــده عن شِبْه ميعادِ [٤]

لَهْفَ المُضافِ إذا ما أزْمَــةٌ أزَمتْ　　من قطبِ نائبةٍ للمَتْنِ هَدَّادِ [٥]

لَهْفَ المُضافِ إذا ما أقْلحتْ سَنَــةٌ　　يَضِنُّ فى مَحْلِهــا الطَّائىُّ بالزَّادِ [٦]

لهفَ المُضاف إذا كَرُّ الجِيادِ لدَى　　حَرِّ الجِلادِ أثار النَّقْعَ بالوادِى

لهفَ المضافِ إذا مايُسْتباحُ حِمًى　　لفقدِ حامٍ بورْدِ الكَرِّ عَوَّادِ [٧]

لهف المضاف إذا جُلَّى به نزلَتْ　　ولم يَجِدْ كاشِفاً منهــا بمِرْصادِ [٨]

لهف المضاف إذا نادَى الصَّرِيخُ ولم　　يجدْ له مصرخاً كالغيثِ للصَّادِى [٩]

لهف المضاف إذا الدهرُ المَسُوفُ سَطَا　　بضَيْمِ جارٍ لنُزْلِ العزِّ مُعْتادِ [١٠]

بل لهفَ كُلِّ ذوِى الآمالِ قاطبةً　　عليهمُ خَــيرُ مُرْتادٍ لِمُرْتادِ [١١]

---

(١) صعدة : مخلاف باليمن ، بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً . معجم البلدان ٣/٣٨٨ ، ٣٨٩ .

(٢) فى الأصول : « وكف وعاد » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، والسمط .

(٣) فى الأصول ، والسلافة : «أرزاء واساد» ، وفى الخلاصة : « أرزاءواسآد » ، والمثبت فى السمط
والأسباد : الدواهى .

(٤) فى الأصول : « منه هوى » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، والسمط .

(٥) فى السمط فى هذا البيت والأبيات التالية : « كهف المضاف » .
وفى الخلاصة : « إذا ما أزمة أويت » ، وفى السلافة ، والسمط : « من خطب نائبة » .
وأزمت الأزمة : اشتدت .

(٦) فى السمط : « إذا ما أمحلت سنة » .
وأقلحت السنة : اشتد فيها الجدب .

(٧) فى السلافة ، والسمط : « متى ما يستباح حمى » .　(٨) فى السمط : « إذا الجلى به نزلت » .

(٩) فى الخلاصة : « كالليث للصادى » .　(١٠) فى السمط : « لنيل العز معتاد » .

(١١) فى السلافة ، والسمط : « بل لهف نفس ذوى الآمال » .

كانتْ بهم تزْدهِى فى السِّلْمِ أنْدِيةٌ ... وفى الوغَى كُلُّ قَدَّادٍ ومُنْآدِ (١)

على الأرائِك أقْمارٌ تُضِىءُ ومِن ... تحت التَّرائِك آسادٌ لمستادِ (٢)

تشكُوا عِدامٍ إذا شاكِى السِّلاحِ بدَا ... شَكَّ القَنَا ماضَغاً من نَسْجِ أبْرادِ (٣)

إلى النُّحورِ وما تحوِى الصدورُ وما ... وارَتْه فى جُنْحِها ظُلماتُ أجْسادِ (٤)

جَنَى جنًى قلقاً تحْوِى جآجِئُها ... مما يُقصَد فيهـــا كلُّ قَصَّادِ (٥)

بَادُوا فباد من الدنيا بأجمعِهــــا ... مَن كان فكَّاكَ أصْفادٍ بإصْفادِ (٦)

وقد ذَوتْ زَهْرةُ الدنيـــا لِفَقْدِهمُ ... وألْبِستْ بعــدهم أثوابَ إحْدادِ

واجْتُثَّ غَرْسُ الأمانى من فَجِيعتِهم ... وأنْشَد الدهرُ تقنيطاً لِرُوَّادِ (٧)

ياضيفُ أقْفَر بيتُ المَكْرُماتِ فخُذْ ... فى جَمْعِ رَحْلِك واجمعْ فَضْلةَ الزَّادِ (٨)

ياقلبُ لا تبْتئِسْ من هَوْلِ مَصْرَعِهمْ ... وعَزِّ نفسَك فى بُؤْسٍ وأنْكادِ (٩)

بمَن غدا خَلَفاً ياحبَّـــذَا خَلَفٌ ... فى المُلْكِ عن خيرِ آباءٍ وأجدادِ

بحائزٍ إرْثَهم حاوٍ مَفــــاخِرَهم ... كما حوَى الألْفُ من آحادِ أعْدادِ (١٠)

---

(١) فى ا : « كل قتاد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، والسمط .

وفى الخلاصة : « كل قداد وهناد » ، وفى السمط : « كل قداد ومياد » .

(٢) فى الخلاصة : « آساد لساد » ، وفى السلافة : « أسياد نساد » ، والمثبت فى الأصول ، والسمط ، ولم أعرف معنى : « لمستاد » .

والتريكة : البيضة يضعها المحارب على رأسه .

(٣) فى الأصول : « شك العنا . . . من نسل أبراد » ، وفى السلافة : « شد القنا ما ضفا من نسج أبراد » ، وفى السمط : « شك القنا ما صفا من نسخ زراد » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٤) فى السمط : « ظلمات جساد » . (٥) فى ا : « جناجر اقلما تحوى جاجرها * مما يقاصد » ، وفى ب : « جناجر اقلقا ... » ، وفى ج : « حناجر اقلقا ... » ، وهو اضطراب واضح ، وقد سقط البيت من الخلاصة ، والمثبت فى : السلافة ، والسمط ، والرسم فيهما : « جنا جنا قلقا » .

والجآجئ : الصدور . ولعله أراد بقوله : « مما يقصد فيها كل قصاد » مما يرى فيها من السهام التى لا تخطئ .

(٦) أصفاد : جمع الصفد ، وهو القيد ، وأصفده المال : أعطاه إياه ، وأصفاد أيضاً : جمع الصفد ، وهو العطاء . (٧) فى السلافة : « تقسطاً لرواد » . (٨) فى السلافة : « ياضيف أقفى لبيت المكرمات » .

(٩) فى السمط : « ياقلب لا تيأسن من هول مصرعهم » . (١٠) فى السلافة : « لحائز إرثهم » ، وفى الأصول ، والخلاصة : « حاو مفاخرهم » ، والمثبت فى : السلافة ، والسمط .

وذاكَ زيدٌ أدامَ اللهُ دولتَــــه ... وزاده منــــه تأييداً بإمدادِ (١)

سَمَا به النَّسَبُ الوَضَّاحُ حيث غـدا ... طَرِيفُه جامعاً أشتاتَ أتلادِ (٢)

لقد حوَى من رَفيعاتِ المَكارمِ ما ... يكْفِى لمَفْخرِ أجْدادٍ وأحْفادِ (٣)

أليس قد نالَ مُلْكاً فى شَبِيبتِه ... مانالَه مَن سعَى أعمارَ آبادِ

أليس فى وَهَجِ الهَيْجـا مَواقِفُه ... مَشْكورةٌ بين أعداءٍ وأضْدادِ (٤)

أليس أسْبَحَ فى التَّنْعيمِ سابِحَه ... لُجَّ المَنايا ليُحْيِى فَلَّ أجْنادِ (٥)

أليس يثْبُتُ يومَ اللَّيثِ إنَّ له ... وَثْباتُ لَيْثٍ يُزَجِّى ذَوْدَ نَقَّادِ (٦)

أليس يومَ العَطا تحْكِى أنامِلُه ... خُلْجانَ بحرٍ بفَيْضِ التِّبْرِ مَدَّادِ (٧)

أليس قد لاحَ فى تأْسيسِ دولتِـــه ... من جَـدِّه المصطفى رمزٌ بإرْشادِ

دامتْ مَعالِيه والنُّعْمَى بذاكَ له ... يَصُونُها وهْو مَلْحوظٌ بإسْعادِ (٨)

مالاحَ بَرْقٌ وما غَنَّتْ على فَنَنٍ ... صَوادِحُ البانِ وَهْنا شَجْوُها بادِى (٩)

* * *

(١) فى السمط : « تأييداً بإعداد » . (٢) فى السلافة ، والسمط : « طريقه جامعا » .
والطريف : المحدث ، والتالد : القديم .

(٣) فى الأصول ، والخلاصة : « يكفى لمثخن .. » ، والمثبت فى : السلافة ، والسمط .

(٤) فى السلافة : « فى وهج الهيجا مواقعه » .

(٥) فى السمط : « أليس أصبح » ، وفى الخلاصة ، والسمط : « بالتنعيم سابحه » ، وفى السلافة : « بالشعيم سابحه » ، وكل ذلك خطأ صوابه فى الأصول .

وفى الأصول ، والخلاصة : « ليحيى قبـل أجناد » ، وفى السمط : « ليحمى فل أجناد » ، والمثبت فى السلافة .

والتنعيم : موضع بمكة فى الحل ، بين مكة وسرف . معجم البلدان ١/ ٨٧٩ .

وسابحه ، يعنى فرسه ، والفل : الجماعة ، أو الجماعة المهزمون .

(٦) فى السمط : « أليس تثبت » .

والذود : السوق والطرد ، والذود من الإبل : عدد منه ، ثلاثة أبعرة إلى عشرة ، أو أكثر من ذلك .
والنقاد : راعى النقد ، وهو جنس قبيح من الغنم .

(٧) فى السلافة : « خلجان بحر تفيض التبر مبداد » . (٨) فى السمط : « والنعمى بدل له * يصونها .. » .

(٩) فى الأصول ، والخلاصة : « شدوها بادى » ، والمثبت فى : السلافة ، والسمط ، وهو يوافق مستهل القصيدة .

قوله [١] : « أليس قد لاح فى تأسِيس دَولتِه » ، يشير به إلى ماوقع للشريف زيد، فإنه لمّا ورد الأمرُ السُّلطانىّ بولايته الحرميْن ، وكان إذ ذاك بالمدينة المنوَّرة ، قصد زيارةَ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأراد الخدمُ أن يفتحوا الباب ، فوجدوه مفتوحاً ، وكانوا قد أغلقوه من قبل ، فعلم [٢] الناسُ أنه إشارةٌ إلى الفتح .

* * *

ومن لطائفه قوله من كتاب [٣] :

سقى الدمعُ مَغْنَى الوَابِليَّة بالحِمَى ... سَواجِمَ تُغْنِي جانبَيْه عن الوَبْلِ [٤]
ولا برِحتْ عينى تنوبُ عن الحَيَا ... بدمعٍ على تلك المَناهلِ مُنْهَلِّ
مَغانى الغوانِى والشَّبيبةِ والصِّبا ... ومَأْوَى المَوالِى والعشيرةِ والأهلِ
سَقاها الحَيَا من أرْبُعٍ وطُلولِ ... حكَتْ دَنَفِى من بعدِهم ونُحولِى
سَقَا صَوْبُ الحَيَا دِمَناً ... بجَرْعاء اللِّوَى دُرْسَا
وزاد مَحَلَّكِ المَأْنُو ... سَ يادارَ الهوَى أُنْسَا
لئِن درَستْ رُبوعُك فالْ ... هوَى العُذْرِىُّ مادَرسَا

إنمـا المحافظة على الرُّسوم والآداب ، والمُلاحظة للعوائد المألوفة فى افتتاح الخطاب ، لمن يملِكُ أمْرَه إذا اعْتَنّ ذكرُ زينب والرَّباب ، ولم تُحَكِّم [٥] عِقالَ عقْلِه يدُ النَّوَى والاغْتراب .

وليست لمن كلَّما لاح بارقٌ ببَرْقَةِ شَهْمَد [٦] ، فكأنه أخو جِنَّة مما يقوم ويقعُد .

(١) هذا النقل عن السلافة ١٦٥، ١٦٦ ، وهو فى الخلاصة ٣/ ٣٦٤ . (٢) فى الأصول : « فعلموا» المثبت فى : الخلاصة ، والسلافة . (٣) كتب به من الهند ، سنة سبع وأربعين وألف ، إلى القاضى تاج الدين المالكى ، والكتاب كاملا فى سلافة العصر ١٥٨ - ١٦٢ ، وما هنا فى خلاصة الأثر ٣/ ٣٦٥، ٣٦٦ .
(٤) فى السلافة : « عن المحل » . (٥) فى خلاصة الأثر : « تحل » . (٦) شهمد : جبل حوله ارق كثيرة فى ديار بنى غنى ، وقيل : شهمد فى ديار بنى عامر . معجم البلدان ١/ ٩٤٢ .

تتقاذفُه أمواجُ الأحزان ، وتترامَى به طوائحُ الهواجِس إلى كلِّ مكان .

فهو وإن كان فيما ترى العينُ قاطناً بحَيٍّ من الأحياء ،

يَوْماً بحُزْوَى ويوما بالعَقِيقِ وبالْ عُذَيبِ يوماً ويوما بالخُلَيْصاء[1]

لا يأتلِي مُقَسَّمَ العزَمات ، مُنْفصِمَ عُرَى العَزِيمات .

لا يقَرُّ قَرارُه ، ولا يُرَجَّى اصْطبارُه .

إن رَوَّح القلبَ بذِكْرِ المُنحنَى أقام الحَنِينُ[2] حَنايا ضُلوعِه ، أو اسْتَرْوَح رَوْحَ الفَرَجِ[3] من ذِكْرِ[4] الخَيْفِ بمِنًى أوْ مَضتْ بَوارِقُ زَفَراتِه تحْدُو بعارضِ دُموعِه .

مَن تمـنَّى مالاً وحُسْنَ مآلٍ فَمُناىَ مِنًى وأقْصَى مُرادِى[5]

فياله من قلبٍ لا يَهْدأ خُفُوقُه ولا تَنِي لامعةً بُروقُه ، ولا يَبرحُ من شَمُولِ[6] الأحزان صَبُوحه وغَبُوقُه .

يُساوِر هُموماً فما مُساورةُ ضَئِيلةٍ من الرُّقْش ، ويُناجِى أحْزاناً لو لابَس[7] بَعضُها الصَّخْرَ الأصَمَّ لانْهَشّ ، ويركبُ من أخطار الوَحْشة أهْوالا دونها رُكوب النَّعْش .

يحِنُّ إلى مواضع إيناسِه ،[8] ويرتاحُ إلى مواضع غِزْلان صَرِيمِه وكِناسِه[8] ، ويندُب أيامَ يستثمِر الطَّرب من أفْنانِ أغْراسِه .

---

(١) هذا البيت لعبد الله بن أحمد بن الحارث ، شاعر بنى عباد ، فى معجم البلدان ٢/٤٦٧ ، مع عنر اختلاف فى الرواية ، وهو فى ريحانة الألبا ١/٣٤٧ لابن الخازن .

وفى السلافة ، والخلاصة : « ويوماً بالعقيق وبالـ عذيب يوماً ... » .

(٢) فى الأصول : « العين » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة . (٣) فى الأصول : « الفزع » والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة . (٤) فى السلافة بعد هذا زيادة : « ليالى » .

(٥) فى ج ، والخلاصة : « وحسن منال » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة .

(٦) بعد هذا فى السلافة زيادة : « شمول » . (٧) فى السلافة : « لامس » .

(٨) ساقط من الأصول ، وهو فى : الخلاصة ، والسلافة .

* أيامَ كنتُ من اللُّغوبِ مُراحاً [١] *

أيامَ لا الواشِي يَعُدُّ ضَلالةً ... وَلَهِي عليه ولا العَذُولُ يُؤنِّبُ

أيَّامَ ليلَى تُريني الشمسَ طَلْعتُهـا ... بعـد الغروبِ بدَتْ فى أُفْقِ أزرارِ

أيامَ شَرْخُ شبابِي رَوضةٌ أُنُفٌ ... ماريعَ منه برَوْعِ الشَّيْبِ رَيْعانُ [٢]

أيامَ غُصْنِيَ لَدْنٌ من نَضارتِه ... أصْبُو إلى غيرِ جاراتِي وحاراتِى [٣]

* ثم انقضَتْ تلكَ السُّنون وأهْلُها [٤] *

لم يَبْقَ منها لِمُشتاقٍ إذا ذَكَرا ... إلَّا لَواعِجُ وَجْدٍ تبعثُ الفِكَرَا

ولم يُبْقِ منِّى الشوقُ إلَّا تفكُّرِى ... فلو شئتُ أن أبكى بكيْتُ تفكُّرَا

لم أكُنْ على مُفارقةِ الأحباب جَلْدًا فأقول وَهَى جَلَدِى [٥] ، وإنما وَهَى تجلُّدِى [٦] ، ممَّا حَمَلتُ من النوائب على كَتِدِي ، وفتَّتَ صُروفُ [٧] البَيْنِ المُشِتِّ من أفلاذ كبدِى .

جرَّبتُ من صَرْفِ دهرِى كلَّ نائبةٍ ... أمَرَّ من فُرْقةِ الأحْبابِ لم أجِدِ

فِراقاً قضَى أن لا تأسِّيَ بعدما ... مَضَى مُنْجِدًا صبرِى وأوْغلَتُ مُتْهِمَا

وفَجْعَةَ بَيْنٍ مثلُ صَرْعةِ مالكٍ ... ويقْبُحُ بى أن لا أكونَ مُتَمِّمَا [٨]

خليلَيَّ إن لم تُسْعِدانى على البُكا ... فلا أنتُمَا منِّى ولا أنا منكُمَا

وحَسَّنْتُمَا لى سَـلْوةً وتناسِيًا ... ولم تذكُرا كيف السبيلُ إليهمَا

⁂

---

(١) فى ب : «من اللغوب مراعا» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة ، وسقط نصف البيت كله من الخلاصة .

(٢) فى الخلاصة ، والسلافة : «بروع الشيب ريعانى» . (٣) فى الخلاصة : «جاراتى وخلانى» ، ى أن البيتين متصلان .

(٤) صدر بيت مشهور لأبى تمام ، وهو فى ديوانه ٢٧٩ .

(٥) فى السلافة : «تجلدى» . (٦) فى السلافة : «جلدى» . (٧) فى الخلاصة : «صرف» ، فى السلافة : «صرفة» .

(٨) مالك بن نويرة ، الذى قتل فى حروب الردة ، وقد بكاه أخوه مم بكاء مرا .

٣١٢

حفيدُه صالح بن إبراهيم الحكيم

رَوْح الرُّوح وثمرةُ الفؤاد ، ومَحلّه من الفضل مَحلُّ السُّوَيْداء من القلب والإنسانِ من السَّواد .

وقد مَنَّ الله تعالى فى الحرم الشريف بلقائِه ، وكنتُ قبل ذلك أسْتَرْوِح نسيمَ الوُدِّ من تلْقائِه .

فاتَّخذْتُه نَمَّةً نَجِيًّا ، وعاطَيْتُه رَيْحان الصَّداقة جَنِيًّا .

أسْتشْعر من جِهتِه نَفَسَ العافية ، وأتمسَّح منه باليدِ الشَّافية .

فهو للقلب نَجِىٌّ وللرُّوح سَمِير ، ويكاد يُؤكل بالمُنَى ويُشْرَب بالضَّمير .

يُفاوِح أرَجُه أزاهيرَ الأدواح ، ويبعث نَسِيمُه طِيبَ الحياة للأرواح .

إلى طلعةٍ نورُها فى فَلَك القَبُول شارِق ، وطبيعةٍ إذا ذُقْتَ جَناها وشِمتَ سَناها تذكَّرت ما بين العُذَيب وبارِق .

وله مُحاضرةٌ هى غَرامُ كلِّ صَبٍّ مُتيَّم ، ومُعاضَدةٌ إذا مَرِضت حاجةٌ كان لها ابنَ مريم .

وأما طِبُّه فلو عالَج الدهرَ لأمِن فى نفسِه النِّقَم ، أو داوَى الحياة لَمَا طاف بها السَّقَم .

***

وقد تناولتُ من أشعاره ما هو شفاءٌ للصدور ، وخَفَرٌ[1] فى وُجوه البدور .

فمن ذلك قوله من قصيدة :

يا مُخجِلَ البيضِ البَواتِرْ	بالسُّودِ من تلك النَّواظِرْ
الفاتِكاتِ القاتِلاتِ الذُّ	بْلِ الوُطْفِ الفَواتِرْ[2]
عَجبًا لهـا تُمْسِى الأسو	د وهُنَّ أجْفانُ الجآذِرْ

(١) فى ا : «وخصر» ، والمثبت فى : ب ، ح .   (٢) الوطف : الكثيرة شعر العينين والحاجبين

غازَلتُ منها مُقْــــلةً غزلت وحاكتْ كلَّ باترْ
يرْنو بها الرَّشأُ الأغَنُّ م الأحْورُ الخِشْفُ المُنافرْ
ظَبْىٌ حَشاىَ كِناسُه ومَقَرُّه حيث السَّرائرْ
قمَــــرَ العقولَ بحُسْنِه أفْدِيه من قَمَرٍ وقامِرْ[1]
لَمَعتْ بوارِقُ ثَغرِه فانْهَلَّ مِن جَفْنَىَّ ماطِرْ
بمَباسِمٍ قد نُظِّمتْ فى سِلْكِ مَرْجانٍ جَواهِرْ
وبدا صباحُ جَبينِه فانْجاب لى ليلُ الضَّفائرْ
واهتزَّ غصنُ قَوامِه وغدا الفؤادُ عليــه طائرْ
والرِّدْفُ أخْفَى خَصْرَه فلذا عليه الكَشْحُ دائرْ
يا قلبُ مالك سَلْوةٌ كلَّا ولا للوجدِ آخرْ
عذَل العَذولُ ومُذ رأَى باهِى الُمحيَّا عاد عاذِرْ[2]
أجْرَيْتُ وُقْفَ مَدامِعِى وإلى لِقاهُ الطَّرْفُ ناظِرْ
وكذا نَجِيعُ نُضارِها بتصَعُّدِ الأنْفاسِ قاطِرْ
هجَرَ الحبيبُ وليْتَه لو كان للهِجْران هاجرْ
أبْكِى فيضحكُ هازِئًا ولسائلِ العَبَرات ناهِرْ
يا رَبَّةَ الحُسْنِ الذى بجَمالِه بهَرَ النَّواظِرْ
رِقِّى لِرِقِّ طَرْفُه يرعَى السُّها والطَّرْفُ ساهِرْ
ما شامَ بارِقَ لَمْلَعٍ إلَّا غدا هامٍ وهامِرْ
حيثُ الظِّباءُ سَوانِحٌ غِيدٌ حَبائلُها الغدائرْ
من كلِّ رُودٍ كَحَّلتْ بالسِّحرِ هاتيك المَحاجِرْ[3]

---

[1] قمر العقول : غلبها .
[2] فى ب : « بات عاذر » ، والمثبت فى : ا ، ج .
[3] الرود : الشابة الحسنة .

سلبتْ فؤادى غادةٌ منهنَّ تلعب بالخواطِرْ
أفدِى مُحيَّاها الذى صُبْحُ الجبين عليه سافِرْ
سدَلتْ عليه جَمِيدَها والليــلُ للإصْباحِ ساتِرْ
لا تشترِى قمــرًا بدَا ليــلُ المحبِّ بغيرِ آخرْ

* * *

وقوله من أخرى ، أولها :

سَلُوا الرَّكبَ عن سَلْمَى وأين بها شَطُّوا وهل خيَّمت بالجِزْعِ أم دارُها الشَّطُّ
وهل عندها عِلْمٌ بما صنَع النَّوَى وما جدَّد الشوقُ المُبرِّحُ والشَّحْطُ
وهل نزَلتْ بالسَّفحِ من أيْمَنِ اللِّوَى وغرَّدها القُمْرِى وظلَّلها الخَمْطُ[1]
وهل ذكَرتْ يوم الوَداعِ وأدْمُعِى بخدِّى حكاه الرَّسْمُ خدَّده النَّقْطُ
وهل بارِقٌ ما شِمْتُه أم تبسَّمتْ سُلَيمَى فضاء الثَّغرُ أو لَمَع القُرْطُ
رَدَاحٌ لها فى كلِّ قلبٍ مخيَّمٌ وليس لمفتونٍ سوى حُبِّها قَطُّ[2]
أباح لها وَالِى الهوَى من قلوبنا فمهما تَشا من ذى السُّوَيْداء تختطُّ
لها مَبْسَمٌ حُلْوٌ تنظَّم دُرُّه على سِلْكِ مَرْجانٍ فضاء لنا السِّمْطُ
كأن مُذابَ الشُّهْد فى بَرَدِ اللَّمَى وفى ضِمْنِ هذا الألعَسِ العَذْبِ إسفَنْطُ[3]
تُسدِّد نحوى أسْهُمًا من جُفونِها مُرَيَّشَةً حَبُّ القلوبِ لهــا لَقْطُ
فتُصْمِى بها ظُلْمًا صَميمَ حُشاشتِى فوا عجبًا منها على دارِها تسْطُو
تُرنِّح لى قدًّا يميل به الصَّبا كغُصْنٍ أمالته الصَّبَا عندما تخطُو
وتضْفِر من ليــلِ الجَعيدِ ذوائبًا غدائر منها للنُّهَى الحَلُّ والرَّبْطُ
عَقيلةُ سِرْبٍ كالمَها فى التفاتِها تُعير الظِّبا طَرْفًا وجِيدًا إذا تَعْطُو[4]

---

(١) الخمط : شجر كالسدر ، أو كل شجر لا شوك له . (٢) الرداح : العظيمة الأوراك .
(٣) الإسفنط : من أسماء الخمر . (٤) عطت الظبية : مدت عنقها .

من الأمجريَّات اللَّواتي سَبَيْنَنَا ... بشَرْطٍ من الحُسن البديع له شَرْطُ[1]
من الناعماتِ السُّمرِ مَن عطَّر الحِمَى ... شَذاها إذا مَرّتْ به إثْرَها المِرْطُ
فَدَيْتُ تجنّيها ولُطفَ دَلالِهــا ... وإن راعَها مِنّى بعارِضِيَ الوَخْطُ
أعاذِلتى كُفّى المَلامَ فليس لى ... على بُعْدِها صَبْرٌ ولو دُونَهــا الخَرْطُ
ولم أدْرِ أنّ الحبَّ يقدَح زَنْدَه ... لقلبِى وأن النــار أوّلهــا سِقْطُ
سأركبُ مَتْنَ الصَّعْبِ فى طُرْقِ وَصْلِها ... ولو أنها العَشْوا وسَيْرِى بها خَبْطُ
وأغْشَى حِماها والمُهنَّدُ صاحِبِى ... ولو أن فى ذاك الحِمَى يَنْبُت الخَطُّ[2]
وأرْوِى ظَمًا حَرَّى ببارِدِ رِيقِهــا ... وألْوِى عليها الزَّنْدَ لو مَسَّها الضَّغْطُ
وأشكُو إليهــا ما لقِيتُ بحبِّها ... ومن فَرْطِ أشواقٍ بها أدْمُعِى فُرْطُ

* * *

وقوله من أخرى ، مستهلها :

مَغانِي الغوانِي لاعَدا الرَّبْعَ هَطَّالُ ... ولا زال مُخضَلًّا بكِ الشِّيحُ والضَّالُ[3]
ولا سجَعتْ وُرْقُ الحمامِ على سِوَى ... غصُونِك يا مَرْمَى به الغِيدُ نُزّالُ
سقاكِ وحَيّاكِ وحَيَّى منازِلًا ... لقد كان لى فيهنّ حَظٌّ وإقبالُ
أروحُ وأغدُو بالكَثِيب ولى به ... رَداحٌ لها من آلِ يافِثَ أخوالُ
مُعَسَّلَةُ الأنيابِ أمّا شَتِيتُها ... فدُرٌّ وأما رِيقُها فهو جِرْيالُ[4]
يجُولُ على تلك اللآلِى كأنه ... مُذابُ سَليلِ الشُّهْدِ أو هو سَلْسالُ
حَمَى رِيقَها المعسولَ أبيَضُ صارِمٌ ... من قَدِّها المشوقِ أسْمَرُ عَسّالُ
تُعِير المَها منهــا الْتِفاتًا ونَظْرة ... وتَرْنو كما يَرْنو إلى الخِشْفِ مِطْفالُ[5]

---

(١) لم أجد هذا اللفظ « الأمجريات » فى المعاجم ، وفى القاموس : « وامرأة ممجر : مُتِمّ » .
(٢) يعنى كثرة الرماح الخطية ، لكثرة الحامين لها . (٣) الضال من السدر : ما كان عذيا ، لسدر البرى . (٤) الجريال : الخمر . (٥) المطفال : ذات الطفل .

لها شَرْطُ حسنٍ فوق تُفّاحِ خَدِّها ... ومن فوق ذاك الشَّرْطِ مِسْكٌ هو الخالُ

ورُمّانتا نَهْدٍ على غُصن بانةٍ ... به قُرْطُ حُبّي إن تحقّق عُذّالُ

وتسْدِل من ليل الجعيدِ ذَوائبًا ... يُجاذِبُ هاتيك الذَّوائبَ خَلْخالُ

وتُقعِدها عند النُّهوض رَوادِفٌ ... تَميل بغُصْنِ القَدِّ والقَدُّ ميّالُ

فلا تهجُريني إنَّ هجْرِى ظُلامةٌ ... وجُرْحُ فؤادِي ماله اليومَ إدْمالُ

عسى عَطْفةٌ يُحيي بها مَيِّتُ الهوى ... رُبوعُ اصْطبارِي بعد بُعْدِك أطْلالُ

ويَفْنَى مُحِبٌّ دَأْبُه السُّهْدُ والبُكا ... كأن بعينيه المدامعَ أسْجالُ[(١)]

يَبيتُ على جَمْرِ الغَضا وهو فَرْشُه ... ويَصْلَى بنار الحبِّ والحبُّ فَعّالُ

صِلِيني أنا الوافِي المعودَ على القِلَى ... وجَوْرُ الهوى عَدْلٌ ومَيْلٌ إذا مالُوا

ولا الصَّبُّ إلّا ما يرى الصَّابَ شُهْدَه ... ويعلمُ أن الصبرَ حُلْوٌ إذا حالُوا

فَدَيْتُ الجفا منها وإن كان ضائِرِي ... وعشْقى سُلَيمى لا محالَة قَتّالُ

أُكتِّمُ جُهْدِي حُبَّها وهو ناحِلِي ... ويفضحني دمعٌ على الخدِّ سَيّالُ[(٢)]

أحِنُّ إلى سَلْمَى على قُرْبِ دارِها ... حَنِينَ فَقِيدِ الإلْفِ أضْناه بَلْبالُ

ويُنْشِد قلبي كلّما ارْتاع للنَّوى ... وأضْناه تَذْكارٌ وحالتْ به حالُ

أيا دارَها بالخَيْف إن مَزارَها ... قريبٌ ولكن دون ذلك أهْوالُ

* * *

وكتب إليّ هذه القصيدة ، طالبا مُراجعتي :

قَوامٌ أنْبتَ الرُّمّانَ نَهْدًا ... وغُصْنٌ ماسَ أم قَدٌّ تبدَّى

وبَرْقٌ ما أرى أم دُرُّ ثَغْرٍ ... يُنظِّمه بديعُ الحسن عِقْدًا

ووَجناتٌ على تُفّاحِ خَدٍّ ... متى أبْدَى لنا التفاحُ وَرْدًا

---

(١) غنى ، كرضى : نمس . القاموس (غ ف ى) . (٢) في ا : « وهو ناحل » ، والمثـ في : ب ، ج .

وآسُ سَوالِفٍ ما خِلْتُ أم ذا صَفاءُ الخـدِّ ظَلَّ الْهذب مَدَّا
ومالَكِ يا غَزالةُ من شَبيهٍ سوى شِبْهِ الضُّحَى والبدرِ نِدَّا
وأنكِ قد أعَرْتِ الظَّبيَ جيـدًا وعَيْنًا والغصونَ الهِيفَ قَدَّا
وما الحسنُ البديعُ وإن تناهَى سوى مِن بعضِ مَعْناكِ استمدَّا
بمَن أوْلاكِ مُلْكَ الحسن فينـا وصيَّر كلَّ حُرٍّ فيكِ عبدَا
صِلِي حبلَ الودادِ بحبلِ وَعْدِى لقد جاوَزْتِ فى التَّسْويفِ حَدَّا
وما سَكَنِى سِوَى عَهْدِى قديمًا وما أنا ناكِثٌ ما عِشْتُ عهدَا
مُقِيمٌ بالعَقِيقِ وبالمُصَلَّى أبوَّأُ منهمـا بانًا ورَنْدَا
أُغازِلُ فيـه أجْفانَ الغَوانِى وأَلْثِم زينبًا وأَضُمُّ هِنْدَا
وأرشُفُ من رُضابِ الغِيدِ رَاحًا تُعِيدُ لَهِيبَ ما أشكُوه بَرْدَا
وأنْظِمُ من ثَناياها عقـودًا كنَظْمِى مدحَ مولانا المُفَـدَّى
محمـد الأمين ومَن تسامَى شريفُ[illegible] علا كرمًا ومجْدَا
من القومِ الذين بَنَتْ مَعَـدٌّ بِهِم فوقَ السِّماكِ ثَنًا وحمـدًا[1]
أعَزُّوا الدينَ بالسُّمْرِ العَوالِى وحازُوا الفَخْرَ شِيبانًا ومُرْدَا
وقادُوا العـادِياتِ مُطَهَّماتٍ على صَهَواتِهـا تَحْمِلْنَ أُسْدَا
وأرْدَوا كلَّ غِطْرِيفٍ كَمِيٍّ بأسْيافٍ تَقُدُّ الْهـامَ قَدَّا[2]
وَرِثْتَهُمُ جمـالَ الدينِ حقًا عفافًا راسِخًا وتُقًى وزهدَا
فضائلَ قد علَوْتَ بهـا الثُّرَيَّا وآدابًا تبِعْتَ بهِنَّ جِدَّا
بآراءٍ يَحـارُ العقلُ فيهـا وأيَّ حِجًا يَحُلُّ لهنَّ عَقْـدَا
بحِلْمٍ لا يُعادِلُه ثَبِيـرٌ ونخرٍ ليس يُحْصَى أن يُعَدَّا[3]

---

(١) السماكان : نجمان نيران ، يقال لأحدهما الرامح ، وللآخر الأعزل . (٢) الغطريف : السيد .
(٣) ثبير : أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة . معجم البلدان ١/٩١٧ .

وأخلاقٍ شمائلُهـــا شَمُولٌ   يفوح عَبيرُها مِسْكاً ونَدًّا

تَوَقُّدُ فِطْنـــةٍ وتسيلُ لُطفًا   جمعتَ بهنّ يا مولاىَ ضِدًّا

ووَشَّيْتَ البديعَ بحُسْنِ نثرٍ   كمُخْضَلِّ الربيعِ شَذًا وأندَى

ودُرٍّ أنت تَعْرِفُه كِبـــارٍ   تُنظِّمه لجيـــدِ الدهرِ عِقْـــدَا

ذَكاءٌ لم يَجُزْه إياسُ كَهْلًا   وعَمْرٌو ما به يوما تحدَّى[1]

عظُمتَ جلالةً وعلَوْتَ قَدْرًا   فشاهدْنا الوقارَ لديكَ أُحدَا[2]

أَعُدُّك مصدرَ الأحكامِ فينـــا   هُمامٌ مذ أجار عُلاكَ نَقْدَا

وما للنَّقْدِ والذهبِ المُصفَّى   لقـــد حقَّقْتَ فى ذا النقـــدِ نَقْدَا

أمولانا أتتْك عروسُ فكرٍ   تَمُدُّ لمُمْتطَى نعْلَيْك خَدًّا

خَلَبْتَ شِغافَهـــا بنُعوتِ مجدٍ   لذا أضْحَتْ لعذْبِ لِقاكَ تَصْدَى[3]

لِيَهْنِ العرشَ رَبُّ العرشِ مَوْلًى   به اتَّسقَتْ أمورُ الدينِ نَضْدَا

وتبقَى صاعدًا ذرْواتِ عِزٍّ   بَنتْ أيدِى القضاءِ عليـــه سَدًّا

نأى غمٌّ يؤرِّخ عامَكم بل   غنائمُ أنتَ مَغْناهنّ قَصْدَا

ولم تبرح سِنِيكَ ومن تَرَدَّى   طِماعًا فى لَحاقِك ما تَرَدَّى[4]

* * *

فراجعتُه بقولى :

مُحِبٌّ فى المحبَّةِ ما تصدَّى   لسُلْوانٍ وإنْ يكُ مات صَدًّا

وهيْهات النجاةُ وما يُمانِى   هَوًى أدْناه إن لم يُفْنِ أرْدَى[5]

أما وعيونِك اللّاتى شَباها   أبَى إلّا شِغافَ القلبِ غِمْـــدَا

---

(١) كذا فى الأصول : « يحزه » ، ولعلها « يجزه » ، وهو يشير إلى ذكاء إياس بن معاوية المزنى القاضى ، وإقدام عمرو بن معديكرب الزبيدى ، وهما مما ضرب به المثل أبو تمام .

(٢) أى فى ثبات جبل أحد .

(٣) من الصدى ، وهو العطش .

(٤) فى ا : « سنيك من تردى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى ب : « ومن يمانى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

لأنت مُنَى الحياةِ فإن تكنْها ... فبعدَك للمُنَى سُحقًا وبُعْدًا
أيجمُل أن أُقضِّى فيك عمرى ... وما عفَّرْتُ فى مَمْشاك خدًّا
ولو أخطرْتُ ذِكْرَكَ فى خيالى ... خشيتُ بأن يُؤثِّر فيك حِقْدًا
فَدَيْتُكَ رَحْمةً لطريحِ عشقٍ ... إذا لم يقضِ سُقْمًا مات وَجْدًا
تذكَّر عهدَه فصَبا وآلَى ... بغيرِكَ ما رعَى للحبِّ عَهْدًا
إذا ما ليلهُ المُمتدُّ أرخَى ... سَتائرَه طَواه أسًى وسُهْدًا
يبيتُ وفى الحشا منه اشتعالٌ ... إذا قدَحت رعودُ البَرْقِ زَنْدًا
وليس له سميرٌ غيرَ مَدْحٍ ... يكون لصالحٍ شكرًا وحَمْدًا
فتًى قد ألبَسَ العَلْياء بُرْدًا ... ومثَّل شخصَه أدبًا ومجدًا
له الفكرُ الذى إن شاء أنشَا ... أفانينَ الهوى وبها تحدَّى
بدائعُ منه تُلْحَمُ بالمزايا ... وبالسحرِ الحلالِ غدَتْ تُسَدَّى
تعالى اللهُ قد أولاه طبعًا ... أغضَّ من الرياضِ رُوًّا وأندَى
وأنبتَ مِن أياديه ربيعًا ... يُنمِّق فيه رَيحانًا ووَرْدًا
أنادِرةَ الزَّمان فدَتْك رُوحِى ... ومَن لى أن تكون بها مُفَدَّى
أتتْنى منك خَودٌ من سَناها ... تَمنَّى البدرُ لو كان استمدَّا[1]
رَبيبةُ خِدْرِها فى الصَّوْنِ تأبَى ... يَدَىْ أملٍ إليها أن تُمَدَّا
منحْتَ بها الودادَ المَحْضَ خِلًّا ... يرى لك وُدَّه فَرْضًا ورَدًّا
وهالكَ ألُوكةٌ بَبنانك تاهتْ ... وفاحتْ مَندَلًا رَطْبًا ونَدًّا[2]
ولو وفَّيتُ مَدْحَكَ بعضَ حقٍّ ... إذًا نظَّمْتُ فيك الشُّهْبَ عِقْدًا
فعُذْرًا إن أخطارَ التَّنائى ... بَنَتْ بينى وبين الفكرِ سَدًّا
وهذى الأربعون بلغتُ منها ... أشُدًّا ساق لى خَطْبًا أشدَّا

(١) الخود: الحسنة الناعمة. (٢) الألوكة: الرسالة.

فلو كان الذى بى من سقامٍ   على جبلٍ لأَوْشَكَ أن يُهَدَّا
وغيرُكَ لا أراكَ لدفعِ ما بى   فقد أعْيَى دَواه الدهرَ جُهْدًا(١)
بَقِيتَ مُمَتَّعًا فى الفضـــلِ فَرْدًا   ولا لَقِيَتْ لكَ الأيامُ فَقْدًا

* * *

وكتب إلىَّ أيضا :

لا عَيْشَ إلَّا فى وِصالِكْ   فامْنُنْ بطَيْفٍ من خَيالِكْ
إن كان لى نَوْمٌ وإلَّا   م ليس أبْعَدَ من مَنالِكْ
يا هاجِرِى والهجرُ عَيْـ   نُ الوصلِ إن يكُ عن دَلالِكْ
إلَّا المـــلالَ فإنَّه   حَتْفِى أجِرْنِى من مَلالِكْ
يا مَن تمَلَّكَ مُهْجتِى   لا تُفْنِها وارفُقْ بمالِكْ(٢)
لا وَصْلَ أخطرُ لى سِوَى   إخْطارِ تَذْكارِى ببالِكْ
أنا فى هَوانٍ من هَوا   كَ ومن صُدودِكَ فى مَهالِكْ
تَلَفُ النفوسِ مُحقَّقٌ   فى بِيضِ سُودِكَ أو نِبالِكْ
وكذا السِّهامُ فإنهُنَّ   م أخَذْنَ ذلكَ عن نِصالِكْ
والحَتْفُ فى سُمْرِ القَنـــا   من مَيْلِ قَدِّكَ واعتدالِكْ
يا نُورَ إنْسانِ العيُو   نِ تركْتَ حالِى فيكَ حالِكْ
نارُ الجوَى مِن وَجْنَتَيْـ   ـكَ وذِى سُوَيْدايَ بخَالِكْ
وأرَى الجمالَ وإن تَنا   هَى مُستعارًا من جمالِكْ
هل من سبيلٍ لِلقـــا   ضاقتْ علىَّ به المَسالِكْ
يا بارِدًا من رِيقِه   واحَرَّ قلبِى من زُلالِكْ

---

(١) فى ا : « فتى راعى دواه . . » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) فى ب : « لا تضنم وارفق بمالك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أو يا مُحيَّاه الذى كالبدرِ سُقْمِى من هلالِكْ
يا ذابلًا فى الحسْنِ بل سلطانَ أربابِ الممالكْ (١)
الشمسُ أقربُ منك نَيْـ ـلاً وهى أبْعَدُ عن مِثالِكْ
امْنُنْ علىَّ بنظرةٍ إنِّى وحقِّك فيك هالِكْ
يا جَنَّتِى لا تُدْخِلَنِّـ ـى نارَ صَدِّكَ أنتَ مالِكْ
يا تاركِى شِبْهَ الخِلا لِ وما التَّجافِى من خِلالِكْ (٢)
عَلِّلْ بوعدٍ كاذبٍ يحْلُو وأمْعِنْ فى مِطالِكْ
فإلى الشريفِ تَوَجُّهِى وإليه أخْلُصُ من حِبالِكْ
مَدْحِى محمــدًا الأمِيـ ـنَ أحْرَى وأوْلَى لى بذلِكْ
البانِىَ المجدِ الأثِيـ ـلِ على المجرَّةِ من هُنالِكْ
صدرُ المجالسِ قلبُهـا عينُ المناصبِ والممالِكْ
يا شمسَ أنجُمِ كلِّ فَضْـ ـلٍ حينَ تطلُعُ فى كَمالِكْ (٣)
آياتُ فضلِك بيِّنا تٌ فى مَقالِك أو فِعالِكْ
أمَّا القَريضُ فزهْرُ روْ ضٍ إن تَدَبَّجَ من مَقالِكْ
وإذا تنسَّم عن شذًا كالمسكِ يروِى عن خصالِكْ
ورجالُ كلِّ فضيلةٍ قصُروا وليسوا من رجالِكْ
مَن ذا المناضِلُ والمُنا ظِرُ فى جِلادِك أو جِدالِكْ
كذب الزمانُ بما ادَّعَى إن قال يُوجَد من مِثالِكْ
كَرَمُ الطِّباعِ ولُطْفُها كلٌّ تفَيَّأ فى ظِلالِكْ
وترى المعالِى والمكا رمَ أنفقتْ من رأسِ مالِكْ

---

١) فى ا : « ياذائلا » ، وفى د : « ياذائلا » ، والمثبت فى : ج .
٢) الخلال : ما يتخلل به بين الأسنان . (٣) فى ا : « من كمالك » ، والمثبت فى : ب ، ج .

مولایَ إنِّی شاکرٌ لِمَزِیدِ فضلِك واحتفالِكْ
لا خِلَّ لی أصبُو إلیْ ـهِ سِوَی المَعالِی من خِلالِكْ
لا زلتَ فی أَوْجِ العلی والضدُّ فی دَرْكِ المَهالِكْ
ما دام رَضْوَی راسِخاً یَحْكِی وَقارَكَ مِن جَلالِكْ[1]

* * *

فكتبتُ إليه جوابَها قولی :

ما بین مَیْلِكَ واعتدالِكْ خَطَرُ التفاتِك أو دَلالِكْ
فَمَن السَّلِیمُ وكلُّنـــا منه تورَّطَ فی مَهالِكْ
یا مُوتِرًا قَوْسَ الحوا جبِ مَن لقلبی مِن نِبالِكْ
أَمْسِكْ فمهلَكَ مَن أرَدْ تَ یقِلُّ عن أدنَی انفعالِكْ
بأبی لَواحِظُك التی أوقَعْنَ قلبی فی حِبالِكْ
أَتُرَی علمتَ بحالتی فأخذتَنی فی جَنْبِ بالِكْ
لا والذی جعل ابتدا عَ الجَوْرِ من أقوَی اشتغالِكْ
كلُّ الخطوبِ حسِبْتُها إلّا اجتنابَك عن مَلالِكْ
هل كنتَ یا ثَمِلَ الجفو نِ بعثتَ طَیْفاً من خَیالِكْ
فیزورَ غصّـــانَ اللَّها ةِ دَواؤه صافی زُلالِكْ
یا مَن تملَّكَ مُهجتی اللهَ فی إتلافِ مالِكْ
إن كنتُ أطمعُ فی سِوا كَ فلا بلغتُ مُنَی منالِكْ
مالی وللأُفُقِ المُضِی ءِ وعنه كافٍ من كَمالِكْ
فالشمس تطلُع من یَمِیـ نِك والثُّرَیّا من شِمالِكْ
والبـــدرُ یُعْزَی للتَّما مِ إذا استدار علی مِثالِكْ

(١) رضوی : جبل بالمدينة ، تقدم كثيراً .

أمّا الهلالُ فما على مَن ظنّه إحدَى نِعالِكْ
وإذا تخيّلتُ الرّيا ضَ ذكَرتُ حسنَ رُواخِصالِكْ
فنسيمُها مهما سرَى مُتلطِّفاً أثرُ اختيالِكْ
وعَبيرُها مِن شَمّةٍ أهدَيْتَها من مِسْكِ خالِكْ
هذا وثَمَّ إذا ذكر تُ حُلًى تجِلُّ وراء ذلكْ
مِن أجلِها أنا شاعرٌ أجْرَى التغزُّلَ فى جَمالِكْ
ولأجْلِ مَدْحِي صالحاً يحْلو افْتنانِى فى خِلالِكْ[(١)]
ذاكَ الذى أسْلُو بِعِشْ رتِه الحميدةِ عن وِصالِكْ
مَولاىَ أنت المُرْتجَى للوُدِّ فى حُسْنِ اقْتبالِكْ
رجلُ المُروءةِ أنت لا أحَدٌ وَحقِّك مِن رجالِكْ
حُزْتَ المَعالِى قبل أن وُجِدَتْ بَنوها حَسْبَ حالِكْ
وملَكْتَ كلَّ فضيلةٍ أفْديك من مَلِكٍ ومالِكْ
فيكَ المَكارمُ شِيمةٌ والأرْيَحيَّةُ فى فِعالِكْ
فالطَّوْدُ يُلفَى ذَرّةً فى جَنْبِ حِلمِك واحْتمالِكْ
والبحرُ بعضُ رَشاشِه بالطبعِ تُؤْثَرُ عن نَوالِكْ
إنَّ الحكيمَيْن اللذَيْ نِ تظاهَرا فيما هُنالِكْ[(٢)]
لو عاصَراكَ تنافَسا بأقلِّ جرْىٍ فى مَجالِكْ
والبُحْتُرِىُّ أبو الفُتُوَّ ةِ لو تأمّلَ فى مَقالِكْ
أتحفْتَنِى بقصيدةٍ غرّاءَ من بِدْعِ ارْتِجالِكْ
وبعثْتَ لى كلَّ المُنى فكفَيْتَنِى أدْنَى سُؤالِكْ

---

(١) فى ح : « يحلو افتنانى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) يعنى بالحكيمين : أبا تمام والمتنبى .

قد كان جيدِى عاطِلاً ... لكنْ حَلا بحُلى احتفالِكْ
فإليـــكَ رُوداً من بَنا ... تِ الفكر حَبْرَى فى جَلالِكْ
ترْتاحُ فى مِرْطِ الثَّنا ... بصَباك زَهْواً أو شَمالِكْ
واعْذِرْ فطبْعِى لا يُزِ ... لُ صَداهُ عنه سوى صِقالِكْ
واسْلَمْ لبُغْيةِ آملٍ ... متفيِّئٍ بذَرَى ظِلالِكْ
فلأنتَ ظِـــلٌّ للمُنَى ... لا انْتاعَ قلبٌ من زَوالِكْ

***

وأنشدنى من نُتَفِه قولَه :

ظَبْىٌ من التُّركِ له مُقلةٌ ... ضَيِّقةٌ تُمْعِن فى قَتْلِى
يبْخَل بالوصلِ على صَبِّه ... وضِيقَةُ العيْنِ من البُخْلِ
ملَّـكتُه عيْنِى وأخْدمتُه ... إنسانَها لمَّا أبى وَصْلِى

***

هذا كثير فى الأشعار ، منه قول ابن النَّبِيه [١] :

يصُدُّ بطَرْفِه التُّرْكِيِّ عنِّى ... صدقْتُم إنَّ ضِيقَ العيْنِ بُخْلُ [٢]

وقوله [٣] :

بى ضَيِّقُ العيْنِ وإن أطْنَبُوا ... فى الحَدَقِ النُّجْلِ وإن وَسَّعُوا [٤]

وأصله قول البديع الهَمَذانِى :

أنادِيةَ الأعْرابِ أهْـلَكِ إنَّنى ... بنادِيةِ الأتْراكِ نِيطَتْ عَلائقِى
وأرضَكِ يانُجْلَ العيونِ فإننى ... فُتِنْتُ بهذا الفاتِرِ المُتضايقِ

---

(١) ديوانه ٤٣ . (٢) فى الديوان : « يميل بطرفه » . (٣) ديوان ابن النبيه ١٧ .
(٤) فى الديوان : « فى الحدق النجل وإن أوسعوا » .

٣١٣
السيد هاشم الأُزْوَارِيّ*

سيدٌ عِرْقهُ طاهر ، وفضله بَيِّن ظاهر .

أبْيَنُ من الكعبة للطائفين ، وأظْهر من المساجد للعاكفين .

وهو أديب شاعر ، له فى مَناسِك الفضل مَشاعر .

أُوتِىَ من البراعة أحسنَ كَلِمَ مَن عارضها سلَّمَ لها ومَن لم يعْترِض لها سَلِم .

وكان فى الغالب أيامَ المُجاورة سَمِيرِى ، ومَحَلُّه منِّى خَلَدِى وضميرى ، ونديمى ، ومكانه بين عَظْمِى وأدِيمِى .

فتملَّيتُ منه مُغتنِماً حظَّ اليوم والغد ، فى عهدٍ أنضرَ من رَوْقِ التَّصابى فى العيش الرَّغْد .

* * *

وقد أهدَى لى من طُرَفِه قصيدة فريدة ، لم تحظَ بمثلها « دمية » ولا « خريدة » .

وها هى ألذُّ من مُعاطاة الأحباب ، كأْسَ المُعاقرة طفَا عليها الحَباب :

ما لقلبى عنك سَلْوَهْ ... ولا ولا عن رَبْعِ سَلْوَهْ[1]

منزلٌ يجمعُ ما بَيْـ ... ـنِى وما بينك صَحْوَهْ

قد تسمَّى بانْتظامِ الشَّـ ... ـمْلِ فيه دارَ نَدْوَهْ[2]

كم به ليلةَ أُنْسٍ ... لِىَ مرَّتْ بك حُلْوَهْ

قد جلَا طَلْعتَها البَدْ ... رُ لنا أحْسَنَ جَلْوَهْ

(*) فى ج : « الأزرارى » ، والمثبت فى : ا ، ب .
وأزوارة ، بالضم ثم السكون : بليدة بنواحى أصبهان على طرف البرية . معجم البلدان ١/٢٣٤ .

(١) « سلوه » الثانية اسم محبوبته .   (٢) فى ا : « قد سمى بانتظام الشمل » ، والصواب فى : ب ، ح

وأرانا لِطِــلاهَا ... بالنُّجومِ الزُّهْرِ زَهْوَهْ[1]

ونهـــارٍ ألبسَ الأُفْـ ... ـقَ من السِّنْجابِ فَرْوَهْ[2]

وبلُطْفٍ فيـكَ عن جَدْ ... بِ الحَيا المُزْوَرِّ عَزْوَهْ

قد أخـــذْناه اغتصاباً ... من يدِ الدهرِ بقُوَّهْ

ووصلْنـــــاه برَوْحٍ ... وبرَيْحـــانٍ وقهوهْ

وبتوقيعِ سَمـــاعٍ ... ما نحَا مَعْبدُ نَحْوَهْ[3]

ومُديرُ الشمسِ بَدْرٌ ... يُحْلَى الطَّرْفِ مُنْوَهْ

أفْلجُ الثَّغرِ نَقِيُّ الْـ ... ـخَدِّ ألمَى فيــه حُوَّهْ[4]

يزدرِى بالحُسْنِ لُبْنَى ... والصِّفاتِ الغُرِّ عَلْوَهْ

ذو لِحاظٍ هى والسَّيْـ ... ـفُ على حَدٍّ وسَطْوَهْ

وقَوامٍ هوَ والرِّدْ ... فُ كغُصْنٍ فوقَ رَبْوَهْ

وعَجيبٌ لَيِّنُ العِطْـ ... ـفِ وفى أحْشاه قَسْوَهْ

ما رآه الطَّرْفُ إلّا ... وزَكَى منــه بشَهْوَهْ

لا تَلُمْنِى يا ابْنَ وُدِّى ... إنْ بدَتْ مِنِّى هَفْوَهْ

حيثُ لى من « نفحة الرَّيْـ ... ـحانة » الغَضَّةِ صَبْوَهْ

ولعقْلِى من شَذَاهَا ... بطِلَا الحــانةِ نَشْوَهْ

وأنا بينَ حبيبٍ ... وأباريقَ وخَلْوَهْ

طابَ لى الشُّرْبُ مساءً ... من أياديهِ وغُدْوَهْ

مِثْلَمــا طابَ مَديحِى ... وسمَا أرْفعَ ذِرْوَهْ

---

(١) فى ا : « الزهر زهره » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فروة السنجاب : يجمع لونها بين لون الرماد والزرقة . (٣) معبد بن وهب المدنى المغنى ، المتوفى سنة ست وعشرين ومائة . تقدم ذكره كثيرا

(٤) فى ا : « أفلج الصدر . . . فيه حلوه » ، والمثبت فى : ب ، ج .
والحوة : حمرة إلى السواد .

بأمينِ الفضلِ مَولَا ... نا الذى فى الفضلِ قُدْوَهْ
الشَّريفُ المُمْتطِى مِن ... صَافِنِ الرِّفْعَةِ صَهْوَهْ [١]
والسَّرِىُّ الشهمُ مَن لا ... يرْتضِي الهَقْعَةَ حَبْوَهْ [٢]
طَيِّبُ الأصلِ كريمٌ ... مُنْتَقًى من خيرِ صَفْوَهْ
أفصحُ الأمَّةِ لفظاً ... يزْدرِى كلَّ مُفَوَّهْ
فَيْصلٌ فى الشرعِ لا يَخْـ ... ـفَى عليه أمرُ دَعْوَهْ
كيف لا وهْو أمينٌ ... لم يَخُنْ فى أخْذِ رِشْوَهْ
جَلَّ ذاتاً وصِفاتاً ... وحَياءً ومُرُوَّهْ
وسَما عن أن يُدانيـ ... ـهِ امْرُؤُ القَيْسِ وعُرْوَهْ [٣]
بحرُ فضلٍ ونَوالٍ ... وكَمالاتٍ ونَخْوَهْ
من يَرِدْه وهْو ظَامٍ ... يرْتوِى عِلْماً وجَدْوَهْ [٤]
ومتى نَوْءُ سحابٍ ... بِـ ... تَسْتَمْطِرُ نَوَّهْ
فيه جَدْبُ الأراضِى ... عادَ بالخِصْبِ مَمُوَّهْ [٥]
ماجِدٌ سيفُ حِجاهُ ... قَطُّ ما فُلَّ بِنَبْوَهْ
كم عوَيصٍ فتحَ المُغْـ ... ـلَقَ منه الرَّأْىُ عَنْوَهْ
مِصْقَعٌ طِرْفُ ذَكاهُ ... ما له فى البحثِ كَبْوَهْ
أحْرَزَ السَّبْقَ وأوْشَى ... فى حَشَا الحُسَّادِ جَذْوَهْ [٦]
وغَدَا كلُّ أديبٍ ... عَجزاً يطلب عَفْوَهْ

---

(١) الصافن من الخيل : ما قام على ثلاث وحافر الرابع . (٢) الهقعة : ثلاث كواكب فوق منكبى الجوزاء كالأثافى . القاموس (هـ ق ع). (٣) لعله يعنى عروة بن الورد العبسى ، الذى يقال له : عروة للصعاليك ، من شعراء الجاهلية ، عرف بالشجاعة والجود .
انظر الأغانى ٣/٧٣ ، الشعر والشعراء ٢/٦٧٥ .
(٤) يعنى : علما وجدوى . (٥) مموه : أى فيه ماء . (٦) أوشى : بمعنى استخرج .

ذُو يَراعٍ لى به فى رِقَّةِ الألفـــاظِ أُسْوَهْ
قد بَراهُ الشوقُ مِثْلِى وحَشــاه انْشَقَّ جفْوَهْ
فخطَا وهْـــو نحيفٌ ولذَلك الخطْوِ خُطْوَهْ
كعَميدٍ يشْتِــكى بالضَّـرِّ فى الأطْراسِ شَجْوَهْ
كلَّمـــا أثبتَ عنه الْـفِـكرُ لا يُمْكِن مَحْوَهْ
يا ربيعَ الفضلِ يا مَن فضَل الناسَ فُتُوَّهْ
نَظْمُك الشُّهْدَ مُصَفًّى وسِواهُ فيـــه رَغْوَهْ
أنا ما بين مَصيفٍ من مَعانيـــه وشَتْوَهْ
فلسُقْمِى فيه بُرْءٌ ولضَعْفِى منه قوَّهْ
وإلى عَليـــاك وافَتْ من عرُوسِ الفكر فَحْوَهْ
فتحتْ من كل قلبٍ مُرْتجٍ للبَسْطِ فَجْـــوَهْ
وكَسَا وَصفُك طِيبَ الْـ ـعَرْفِ منها أىَّ كُسْوَهْ
لِصَفا وَجْهِكَ تسْعَى وهى لا تطْرُق مَرْوَهْ[1]
تَنْقُل الأقْدام تِيهاً خُطْوةً من بعد خُطْوَهْ
ذاتُ حُسْنٍ بك أضْحَتْ ولهـــا بالحُسْنِ ثَرْوَهْ
فاسْتمِعْها فهْى بِكْرٌ وأنِلْها منك حُظْوَهْ
واسْبِلِ السَّتْرَ متى إنْ شِمْتَ فى التركيبِ حَشْوَهْ
قد لعَمْرِى يغْلَط النا قِدُ للدُّرِّ بحَصْـــوَهْ
واشْتِباهُ الجِنْسِ أمْرٌ واضحٌ من غـــيرِ فَتْوَهْ
وابقَ واسْــلَمْ ما تغنَّى عَنْدَليبٌ بعد هَــدْوَهْ

(١) يشير إلى الصفا والمروة ، المكانين المعروفين ، وصفا : مقصورة صفاء ، والمروة : واحدة الحجارة الصلبة .

أو مُحِبٌّ قال يوماً لحبيبٍ بعد قَصْوَهْ
أنا أهـــواكَ وربِّى ما لقلبى عَنْكَ سَـــلْوَهْ

* * *

فكتبت إليه جوابها ، قولى :

لا تُمَنِّ القلبَ سَـــلْوَهْ فلقد جُـنَّتْ صَبْوَهْ
واحترزْ من أعيُنٍ تَرْ قُبُ للأخذَةِ هَفْوَهْ
فهْىَ فى بابلَ دَهْراً سُقِيَتْ بالسِّحرِ قهوهْ
وطِلَا أوضحَ من شَمْـ سٍ تجلَّتْ وقتَ ضَحْوَهْ
مِن وَلُوعٍ بالتَّثَنِّى فَتْـكَةٌ منه وخُطْوَهْ
سَلَّ سيفَ اللحْظِ لمَّا رامَ أخْذَ القلبِ عَنْوَهْ
راكباً فى دَرَكِ العِزَّ ةِ للعِزَّةِ صَهْوَهْ
أتُرَى يسمح منه اللَّـ حْظُ لِى حيناً بحُظْوَهْ
يُمْكِنِ الأمْرُ إذا أمْـ كَنَ تَهْوِيمٌ وغَفْوَهْ
أين ما تَمَّـــةَ إلَّا بُغْيَةٌ قُصْوَى ونَبْوَهْ
(١) . . . .

☆☆☆

(١) بياض فى الأصول .

٣١٤

على بن عمر بن عثمان المزداكى

من أفاضل المصر ، يضيقُ عن مَعاليه نِطاقُ الحصْر .

رأيتُه بالشام بعد عَوْدِى من الحجاز ، فرأيتُ شخصاً حقيقةُ فضلِه لا يتطرّقُها المَجاز .

وقد خرج من وطنِه قاصداً باب المُراد ، وله أمانٍ أرجو أن لا تفوتَه فى الإصْدارِ والإيراد .

***

وهو على كلّ حالٍ لم يزلْ فى الإجادةِ مُترقِّيا ، ولشواردِ المعانى من مَكامنِها مُتلقِّيا .

وقد أنشدنى من شعره هذا المقطوع :

رَوِّ رَوْضَ الكروم يا قَطْر نَيْسا ... نَ وخَلِّ الأصْداف منك خَوالِى[1]

قَطَراتٍ تصيرُ خَمْرًا أترْضَى ... عَمْرَكَ اللهُ أن تَصيرَ لآلِى

***

وقد تناوله من بيت السيد علىّ بن مَعْصوم ، عَرَّبه من الفارسية ، وهو :

يا قَطْر نَيْسَان والكَرْمُ مُكَرّمةٌ ... ففى الحَبابِ غِنًى عن لُؤْلُؤِ الصَّدَفِ

ولى ما هو منه ، ولا يبعد عنه :

ما عَزَّ شىءٌ فى شِبْهِه بَدَلٌ ... عنه وللعُسْرِ فُرْجَةُ اليُسْرُ

(١) نيسان : شهر الربيع ، وهو ما يعرف فى مصر بأبريل .

فى غُنْيةٍ من يَرى الحَبَاب إذَا ... مَا عاقَه عائقٌ عن الدُّرَّ

***

وأنشدتُه هذين البيتَيْن ، وكان أنشدنيهما السيد هاشم الأَزْوارِىّ[1] لنفسه ، فتعارَف عليهما ، وألزمنى أن لا أُثْبِتهما إلا له ، وهما قوله يمدح السيد عمرو بن محمد بن بركات[2] ، فى ليلة عيد ، بعد وفاة الشريف زيد :

يقولون مات الجودُ فى كلِّ بَلْدةٍ ... عجيبٌ ولم يُشْهَد له أبدًا قَبْرُ

فقلتُ لهم أحْيَى الذى مات فى الورَى ... بأُمِّ القُرَى من بعد زَيْدٍ لنا عَمْرُو

☆☆☆

(١) صاحب الترجمة المتقدمة .

(٢) له ذكر فى سمط النجوم العوالى ، الجزء الرابع ، صفحة ٥٣٧ ، وما بعدها .

٣١٥

السيد سالم بن أحمد بن شيخان*

هو الختْمُ الوارث لجدِّه سيِّد الأنام، وبه أرجو من الله سبحانه وتعالى حُسْن الختام .

فأما العلم فهو مَن خضَع له كلُّ عالِم، وأما الصَّلاحُ فحَسْبُه أنه من كل مَا يَشِين سالم .

نِسْبتُه إلى الشَّرَف نِسْبَةٌ أُولَى ، ويدُه فى المَكارم يَدٌ طُولَى .

تعترف به الأبْصارُ والأسماع ، وإن جَحدتْ عارَضَها الإجْماع .

طلَع فى سماءِ العلوم بدرًا مُشْرِقا ، وسارتْ مَناقبُه مَغْرِبا ومَشْرِقا .

فالعُلَى فَرْعُ عَلائِه ، والثَّنا وَقْفٌ على آلائِه .

ليس يختصُّ مَدْحُه بلسانِى ... مَدْحُ شمسِ الضُّحَى بكلِّ مَكانِ

***

وله تعاريف عِدَّة ، هى لأهل العِرْفان أجَلُّ[1] عُدَّة .

وأشْعارٌ على لسانِ أهلِ الطريقة ، تُجْتَنَى منها ثمارُ الحقيقة .

فمنها قوله ، مُصدِّرًا ومُعجِّزاً :

حُوَيْدِى الجمالِ إلى سُوحِكمْ ... وهادِى الرِّحال إلى مَن أُحِبّ[2]

رَفِيقُ الهوَى وفَرِيقُ النَّوَى ... يحِبُّ الجمَال ويهوَى الطَّرَبْ

(*) السيد سالم بن أحمد بن شيخان الحسينى المكى .

ولد سنة خمس وتسعين وتسعمائة .

ونشأ فى طلب العلم ، فقرأ «الإحياء» على الشيخ سعيد ببق ، وصحب الشيخ أحمد الشناوى ، وأخذ علوما جمة .

وله مؤلفات كثيرة ، منها : «بلغة المريد وبغية المستفيد» ، و «تعشية أهل اليقين على ذائقة التمكين» .

توفى سنة ست وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ٢/ ٢٠٠-٢٠٢ ، سمط النجوم العوالى ٤/ ٤٥٥ ، وفيه : «شيجان» مكان «شيخان» .

(١) فى ا : «أجد» ، والمثبت فى : ب ، ح .

(٢) حويدى : تصغير حادى .

ويسْعَى إليكم على رأسِه   بشَوقٍ وتَوْقٍ عظيمِ الخَبَبْ[١]
ويطْوِى القِيافِى بعَزْمٍ قَوِىٍّ   ويقْضِى لكم فى الهوى ما وَجَبْ
ويُنشِدُ فى حَقِّكمْ جَهْرةً   ألَا إننى عبدُ عالِى الرُّتَبْ
أتيْتُ إلى سُوحِه خاضِعًا   بدَمْعٍ جرَى وبقلبٍ وَجَبْ
سلامٌ عليكم أُهَيْلَ الحِمَى   أتتْكم وفودٌ بَراها الوَصَبْ
يُنادِى بحَىِّ أُهَيْلَ الحِمَى   أيَا مَن به قد بلغْنا الأرَبْ
إذا ما وقفْنا بأبْوابِكمْ   وزال اللُّغوبُ بها والنَّصَبْ[٢]
أنِيلُوا الغِنَى وأبِيدُو العَنَا   فذاكَ لدَيْنا أجَلُّ القُرَبْ[٣]
إليكم بكم سادتى جئتُكم   بحُسْنِ الرِّضا وبصِدْقِ الطَّلَبْ[٤]
ولا لى شَفِيعٌ سوَى حُبِّكم   فلا تُهمِلُوا مَن أساء الأدبْ
وقولُوا عفَا اللهُ عمَّا مَضَى   جزاءُ المُحِبِّ لنا أن يُحَبّ
فأنتم وجــودُ الوفَا والعَطا   وليس التفضُّل منكم عَجَبْ

***

ومن مَقاطِيعه قوله[٥] :

تراءى بَدِيعُ الحسنِ فى صُنْعِ خَلْقِهِ   جميلاً فظَنَّ المظْهَرَ النَّاظِرُ القَذِى[٦]
وما هُوَ إلَّا اللهُ بالصُّنْعِ بارِزٌ   على صِيَغِ التَّخْلِيقِ فى الظَّاهِرِ الذِى

***

وقوله[٧] :

...ن العبدُ سَهْمَ الوَهْمِ من قَوْسِ حُكْمِه   فأدْمَى خيــالًا فى مِنَصَّاتِه السَّبْعِ

(١) الخبب : ضرب من العدو . (٢) اللغوب : التعب والإعياء . (٣) فى الأصول : « وأبيدوا ... » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) فى ا : « بحسن الرضاء وصدق الطلب » ، والمثبت فى : ب ، ج.
(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٢٠٢ . (٦) القذى : الذى به القذى ، وهو الوسخ المعترض فى العين.
(٧) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٢٠٢ .

وليس إذا حقَّقتَ رامٍ سِوَى الذى أتاك بطَىِّ النّشرِ فى الطَّبْعِ والوَضْعِ

***

وقوله[1] :

كُنْ مُمْسِكاً بالصوم عن كلِّ السِّوَى واذْكُرْ بفِطْرِك مَن أتَى مَعْرُوفَهُ

وبفاطرٍ عن رُؤْيةِ الأغْيارِ صُمْ مَن صامَ عند اللهِ طاب خَلُوفُهُ[2]

***

وقد أنعم اللهُ علىَّ بروايةِ مؤلفاته ، عن ابنه المعمَّر السيد السَّنَد عُمر[3] ، أحْياهُ اللهُ وحَيَّاه ، ونوَّر الدنيا بطَلْعةِ مُحَيَّاه .

فى أمَلٍ لا يبْرَح يُطيعه ، والحادثاتُ فيه لا تستطيعُه .

فلله هو مِن سَرِىٍّ مُتَواضِعٍ على عُلُوِّه ، ممدوحٍ بإيغالِ المدحِ وغُلُوِّه .

ماء لُطفِه يكاد يتقطَّر ، وخُلُقه تتخلَّق به النَّسَمات وتتعطَّر .

إلى وَجْهٍ بالوضاءةِ مُتجلِّل ، يبْرَق برْقَ العارضِ المُتهلِّل .

ورَدْتُ مِراراً دارَه العامرة ، وحصَلْتُ على نِعمِه الدَّارَّة الغامِرة .

أسْتَنْجِد دُعاءه المُبارَك ، وأسْتَمِنِحُ اعْتناءه فى كلِّ حالٍ أن يُتدارَك .

وعندى له مِن الوَلاءِ فيه ما يُنْقِص ولاءَ زيادٍ[4] فى النُّعْمان ، ومن الحُبِّ لِبَيْتِهِ العُمَرِىِّ ما يُنْشِد قولَ الأوّل : أُحِبُّه حُبَّ قُرَيش عثمان .

⁂

(١) خلاصة الأثر ٢/٢٠٢ . (٢) الخلوف : رائحة الفم المتغيرة من صوم ونحوه .

(٣) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ٢/٢٠٢ ، أن ذلك كان سنة مائة وألف .

(٤) يعنى زياد بن معاوية ، النابغة الذبيانى ، الشاعر الجاهلى المشهور .

وهنا أذكر لى شيْخين ، وعَلَمَيْن فى العلم راسِخَيْن .

أخذتُ عنهما ، واستفدتُ منهما .

وهما : الحسن بن على العَجَمِىّ [١] ، وأحمد بن محمد النَّخْلِىّ [٢] .

كلٌّ منهما فى ذلك الأفُق قمرٌ باهِرُ السَّناء والسَّنا ، وقَصْدُه أسْنَى قَصْدٍ توخّاه المدح والثَّنا .

هِدايتهُ متكلِّفةٌ بإحْياء علوم الدِّين ، وإرشادُه يتولَّى مِنْهاج العابدين [٣] .

ودعاؤُه بظَهْر الغَيْب عُدَّة وعَدَد ، وبِرُّه حالَى الظَّعْن والإقامة مُعْتَمل مُعْتمَد ، ومَجالُ المعرفة بفضْلِه لا يحصرُه أمَد .

وردْتُ منهما حضرةَ الأنوار المُفاضــة ، وجعلتُ قَصْدَهما بحُجَّــة سَفَرِى طوافَ الإفاضة .

فأرَيانِى من الجِدِّ ما لو كان بظُبَة صــارمٍ ما نبَا له غِرار ، ومن البِشْر ما لو سال صَفْحةِ البَدْرِ ما خِيفَ عليه سِرار .

فلله هُما قد خلَصا للتَّناقد ، ورفَلا فى أُزُرٍ من الحمْدِ طَيِّبة المَعاقد .

ولِلعَهْدِ أنا لستُ أنساهُما فأذكرُهما ، وإذا ذكرتُهما فكلِّى ألْسِنةٌ تحمَدهما وتشكرهما .

وبهما أرجو من الله حُسْنَ المَتاب ، وأن أكون ممَّن تناوَل بيمينهِ الـكتاب .

* * *

---

[١] فى سلك الدرر ٤/٨٦ ، فى ترجمة المحبى ، أنه أخذ بالحرمين عن جماعة من علمائها ، منهم الشيخ ن العجيمى .   [٢] المتوفى سنة ثلاثين ومائة وألف .

انظر سلك الدرر ١/١٧١ ، ومقدمة التحقيق صفحة ٦ .

[٣] منهاج العابدين ، من كتب حجة الإسلام الغزالى أيضاً .

أدباء المدينة المنوَّرَة

لا بَرِحت ـ بحراسةِ الله ـ من الأَسْوَاءِ مُسوَّرة

٣١٦

السيد حسن بن شَدْقَم الْحُسَيْنِيّ *

الحسَن السَّمْت ، المُسْتحسَن الصَّمْت .

المَرْمُوق المُقْتنَى والمُعْتلَى ، المشوقُ المُجتنَى والمُجْتلَى .

تصدَّر من مركز السِّيادة فى الرُّتْبة المَكِينة ، وبلَغ فى العلم رُتبةَ أسْلافِهِ إلى أن ينْتَهوا إلى باب تلك المدينة .

وكان قد دخل الهند فى صِباه ، فأحبَّه بعضُ مُلوكها وحَباه ، وعقَد اسَماع كلماته حِبَاه .

ثم أملَكه كَرِيمَته فأرْدف تَكْرِيمَه بتَكْرِيره ، وأتْبع تَوْقيرَه بتوْفِيرِه .

فاجْتلَى عرائس آمالِه فى مِنصَّات نَيْلهـا ، واسْتطْلع أقْمارَ سَعْدِه فى نَوَاشِى لَيْلِها .

وكان من فِعْله الحسَن ما قدَّره بحَزْمِه ، ودبَّره فى تمْشِيه مآلَ حالِه بقُوَّة جَزْمِه ، إرْسالُه[1] فى كلِّ عام إلى بلدِه جُمْلةً من المـال ، فاصْطُفِيَتْ له بها حدائقُ وقصورٌ على وَفْقَ ما جنَح إليه ومال :

ولمـا مات الملك أبو زَوْجِه ، وسقَط قمرُ حياتِه من أوْجِه .

(*) السيد حسن بن شدقم المدنى الحسينى .

فاضل أديب ، دخل الديار الهندية فى عنفوان شبابه ، وأملكه أحد ملوكها بنته ، فنال مرتبة عالية ، وكان يرسل كل سنة إلى المدينة مالا لشراء القصور والضياع ، وظل فى الهند يشغل منصب رئيس الرؤساء ، حتى توفى أبو زوجته ، فعاد بأهله إلى المدينة ، ولم تطب له الحياة فيها ، فرجع إلى الهند .

وكانت وفاته سنة ست وأربعين وألف ، بالهند .

خلاصة الأثر ٢/٢٣، ٢٤ ، سلافة العصر ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(١) فى ا : « أرسلها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

انقلب بأهلِه إلى وطنِه مُصاحِباً رفاهيةً زاهية ، وأقام مُدّةً فى عَيْشِه بحُوَيْصَة نفسِه باهرةً باهِيَة .

إلّا أنَّ الرياسة التى فرّختْ فى أمِّ رَاسِه ، والمكانةَ التى شُدّتْ عُراها بأمْراسِه[1] .

لم يجدْ عنهما[2] عِوَضاً فى وَطَنِه ، فانتهى إلى الهند شاكياً ضِيقَ عَطَنِه .

***

فمن شِعره ما قاله حين أنِفَ من الإقامة فى بلده[3] :

وليس غريباً مَن نأى عن دِيارِه ... إذا كان ذَا مالٍ ويُنْسَبُ للفضلِ

وإنى غريبٌ بين سُكّانِ طَيْبَةٍ ... وإن كنت ذا مالٍ وعلمٍ وفى أهْلِي[4]

وليس ذهابُ الرُّوح يوماً مَنِيّةً ... ولكنْ ذهابُ الرُّوحِ فى عدَمِ الشِّكْلِ[5]

***

وهو من قول البُسْتِى[6] :

وإنِّى غريبٌ بين بُسْتَ وأهْلِها ... وإن كان فيها جيرَتِى وبها أهْلِى

وما غُرْبةُ الإنسانِ فى شُقّةِ النَّوَى ... ولكنها واللهِ فى عَدَمِ الشِّكْلِ

***

ولابن معصوم فى المعنى[7] :

وإنِّى غريبٌ بين قومى وجيرتِى ... وأهْلِيَ حتى ما كأنّهمُ أهلِى

---

(١) الأمراس : الحبال . (٢) بعد هذا فى ا زيادة : « حين » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢ / ٢٤ ، وسلافة العصر ٢٥٠ . (٤) فى ا : « وإن كنت ذا حلم وعلم » وفى ج ، والسلافة : « وإن كنت ذا علم ومال » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٥) فى سلافة العصر : « يوما منيته » ، وجاء هذا البيت بين بيتى البستى التاليين فى خلاصة الأثر .

(٦) لم أجد البيتين فى ديوانه المطبوع ، واليتيمة ، وهما فى : خلاصة الأثر ٢ / ٢٤ ، وسلافة العصر ٥٠ .

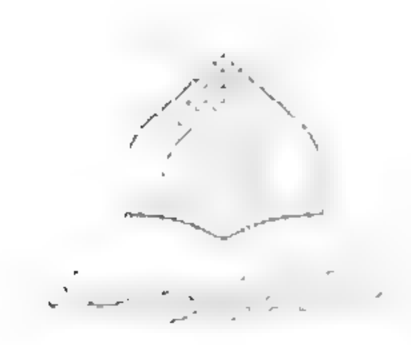
(٧) الأبيات فى سلافة العصر ٢٥٠ .

وليس غريبُ الدّارِ مَن راح نائياً عن الأهلِ لكنْ مَن غدا نائِيَ الشّكل
فمن لى بخِلٍّ فى الزّمـانِ مُشاكلٍ أُلفُّ به من بعدِ طُولِ النَّوى شَملِي

* * *

ومن شِعر السيِّد حسن قولُه[1] :

لا بُدَّ للإنسانِ مِن صاحبٍ يُبْدِى له المَكنونَ من سِرِّهْ
فاصْحَبْ كريمَ الأصلِ ذا عِفَّةٍ تأمَنْ وإن عاداكَ مِن شَرِّهْ



(١) البيتان فى : « خلاصة الأثر » ٢/٢٤ ، سلافة العصر ٢٥٠ .

٣١٧

ولده السيّد محمد*

فَرْعُ دَوْحةٍ زكَتْ مَغارِعُها ، وطابَتْ بطَيْبةَ الطَّيِّبةِ مَشارِعُها .
له خبرٌ تتعطَّر به المَجالس ، ويتَنادَم عليه المُنادِم والمُجالِس .

* * *

إلى ما تميَّز به من الشعر الرَّصين ، الذى يُباهِي بتَنميقه نُقوشَ الصِّين .
غرَّد به ساجِعُ إطْرائه وصدَح ، وأوْرَى زِنادَ البيان وقدَح .
فمنه قوله ، مُذيِّلا بيتَ أبى دَهْبَل[1] مُقْتفِيًا للشريف المُرتَضَى[2] :

وأبْرَزْتُها بَطْحاء مكةَ بعدَما ... أصاتَ المُنادِي بالصَّلاةِ فأعْتَمَا
فأرَّج أرْجاء المُعرَّف عَرْفُها ... وأضْوَى ضِياها الزِّبْرِقانَ المُعظَّمَا[3]
وحَيِّي مُحيَّاها المُلبُّون وانتَشوْا ... بنَشْرِ مُحيَّاها المُمنَّع واللَّمَى
وروَّض منها كل أرضٍ مشَتْ بها ... مجرُّ التَّصابِى بين أتْرابِها الدُّمَى[4]
هى الشمسُ إلَّا أنَّ فاحِمَها الدُّجَى ... هى البدرُ لكنْ لا يزال مُتمَّمَا
تجُول مِياهُ الحُسْنِ فى وَجَناتِها ... وتمنَع سَلْسالَ الرُّضابِ أخَا الظَّمَا

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٢٥٠ ــ ٢٥٣ .

(١) هو وهب بن زمعة الجمحى ، شاعر عفيف ، قال الشعر فى آخر خلافة على بن أبى طالب ، ومدح معاوية وعبد الملك بن الزبير .
أما كنيته فهى مشتقة من الدهبلة ، وهى المشى الثقيل .
الأغانى ٧/١١٤ ــ ١٤٥ ، أمالى المرتضى ١/١١٦ ، الشعر والشعراء ٢/٦١٤ ــ ٦١٧ .

(٢) فى الأصول : « الرضى » ، وهو خطأ ، يصححه السياق الآتى .
والقصيدة فى سلافة العصر ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٣) المعرف : موضع الوقوف بعرفة ، معجم البلدان ٤/٥٧٣ .
والزبرقان : القمر .

(٤) فى ا : « كل روض » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

وتسلُب يَقْظانَ الفؤادِ رَشادَه وتكسُو رِداءَ الحُسْنِ جِسْمًا مُنَعَّمَا
مَهاةٌ يَصيدُ الأُسْدَ سَهْمُ لِحاظِها ومن عَجَبٍ صَيْدُ الغَزالةِ ضَيْغَمَا
يُعلِّلُنى ذِكْرَ الحِمَى مُتَرنِّمٌ وما شَفَنِى لولا الغزالةُ بالحِمَى[1]
وأصْبُو لِنَجْدِىِّ الرِّياحِ تَعَلُّلًا ومَن فقَدَ المـــاءَ الطَّهُورَ تيمَّمَا

* * *

قال السيد المُرْتَضَى ، فى كتابه « الدُّرَر والغُرَر[2] » :

ذاكَرنى بعضُ الأصدقاء بقول أبى دَهْبَل :

وأبْرَزْتُها .... إلخ

وسألنى إجازةَ هذا البيت بأبياتٍ تنضَمُّ إليه ، وأجعل الكناية [3]فيه كأنها كناية عن[3] إمرأةٍ لا عن ناقة ، فقلتُ فى الحال :

فطيَّبَ رَيَّاها المَقــامَ وضَوَّأَتْ بإشْراقِها بين الحَطِيمِ وزَمْزَمَا
فيا رَبِّ إن لَقَّيْتَ وجهًا تحيّةً فَحَىِّ وجُوهًا بالمدينة سُهَّمَا
تَجافَيْنَ عن مَسِّ الدِّهانِ وطالَمَا عَصَمْنَ عن الحِنّاءِ كَفًّا ومِعْصَمَا
وكم من جَليدٍ لا يُخامِرُه الهوى شَنَنَّ عليه الوَجْدَ حتى تَتَيَّمَا[4]
أهان لَهُنَّ النفسَ وهْى كريمةٌ وألْقَى إليهِنَّ الحديثَ المُكتَّمَا
تسفَّهْتُ لمّا أن مَرَرْتُ بدارِها وعُوجِلْتُ دُون الحِلْمِ أن أتَحلَّمَا[5]
فعُجْتَ تَقَرَّى دارِسًا مُتنكِّرًا وتسألُ مَصْروفًا عن النُّطْقِ أعْجَمَا[6]
ويومَ وقَفْنا للوَداعِ وكلُّنـــا يَعُدُّ مُطيعَ الشوقِ مَن كان أحزَمَا[7]

---

(١) هذا البيت ساقط من : ح ، وهو فى : ا ، ب ، والسلافة . (٢) الجزء الأول ، صفحات ١١٤ ـ ١١٦ ، وسلافة العصر ٢٥١ ، والقصيدة فى ديوانه ٣/ ٢٠٠ ، ٢٠١ باختلاف فى بعض ألفاظها .

(٣) تكملة من الدرر والغرر . (٤) شنن عليه الوجد : صبّه .

(٥) فى الغرر والدرر : « أن تتحلما » . (٦) تقرى دارساً : تتبعه .

(٧) فى الأصول : « من كان أخزما » ، وفى السلافة : « من كان أخرما » ، والمثبت فى الغرر والدرر .

نُصِرْتُ بقلبٍ لا يُعَنِّف فى الهوى   وعَيْنٍ متى استَمْطَرْتَها قَطَّرتْ دَمَا[١]

قال السيِّد علىّ بن مَعْصُوم ، فى سلافته[٢] : وقلتُ أنا ناسجًا على هذا المِنْوال :

وأبْرَزْتُها بطْحاء مكةَ بعدَما   أصاتَ المُنادِى بالصلاةِ فأعْتَمَا

فَضوّأ أكْناف الحَجُونِ ضِياؤُها   وأشْرَق بين المَأْزِمَيْنِ وزَمْزَمَا[٣]

ولمّا سَرتْ للرَّكْبِ نَفحةُ طِيبِها   تغَنَّى بها حادِيهمُ وترَنَّمَا[٤]

فتاةٌ هى الشمسُ المنيرةُ فى الضحى   ولكنّها تَبْدُو إذا الليلُ أظْلَمَا[٥]

تعلَّمَ منهـا الغُصْنُ لَفْتةَ قَدِّها   وما كان أحْرَى الغُصْنَ أن يتعلَّمَا[٦]

وأسْفَرَ عنها الصبحُ لمَّا تلثّمتْ   ولو سفَرتْ للصُّبْحِ يوما تلَثَّمَا

إذا ما رَنَتْ لَحْظًا وماستْ تأوُّدًا   فما ظَبْيَةُ الجَرْعا وما بَانةُ الحِمَى

تَراءتْ على بُعْدٍ فكبَّر ذو التُّقَى   ولاحتْ على قُرْبٍ فصلَّى وسلَّمَا

وكم حَلَّلتْ بالصَّدِّ قَتْلَ أخِى الهوى   وكان يُرَى قبلَ الصُّدودِ مُحرَّمَا[٧]

وظَنَّتْ فؤادى خاليًا فرمَتْ به   هوًى عاد دائى منه أدْهَى وأعْظَمَا

ولو أنها أبْقَتْ علىَّ أطَعْتُه   ولكنّها لم تُبْقِ لَحْمًا ولا دَمَا[٨]

قال : وأنْشدنى صاحبُنا أحمد الجَوْهَرِىّ[٩] لنفسِه[١٠] :

وأبْرَزْتُها بَطْحاء مكةَ بعـدَما   أصاتَ المُنادِى بالصلاةِ فأعْتَمَا

فشاهدتُ مَن لو أبصر البدرُ وَجْهَها   لَكان بها مُضْنًى وَلُوعًا ومُغْرَمَا

---

(١) فى الأصول : « فصرت بقلب » ، وفى السلافة : « نظرت بقلب » ، والمثبت فى الغرر والدرر .
(٢) السلافة ٢٥١ ، ٢٥٢ . (٣) المأزمان : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة ، معجم البلدان ٣٩١/٤ . (٤) بعد هذا فى السلافة زيادة :

وشامَ مُحَيَّاهَا الحجيجُ على السُّرَى   فيمَّمَ مَغْناها وَلَبَّى وأحْرَما

(٥) فى السلافة : « أناة » . (٦) فى السلافة : « عطفة قدها » . (٧) فى ج : « وكم طلت » والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة . (٨) فى السلافة : « أبقت على أطقته » .
(٩) تقدمت ترجمته برقم ٢٩١ . (١٠) القصيدة فى سلافة العصر ٢٥٢ .

وَلو عرضتْ رَكْبَ الحجيجِ تصدَّه ... لَلَبَّى لِمَا يَدْعُو هَواها وأَحْرَمَا

وعَرَّف بالكُثبان مِن عَرَصاتِها ... وقال مِنًى لى دارُها حين يَمَّمَا[1]

فلا تعذِلُوا فى حُبِّ ظَمْياء إنها ... لها مَبْسِمٌ يشفِى الفؤادَ مِن الظَّمَا

وأعذَبُ من صَوْبِ الغَمامةِ مَرْشَفًا ... وأضوَأُ مِن لَمْعِ البُروقِ تبسُّمَا

وأجمَلُ من ليلى وسَلْمَى وعَزَّةٍ ... وسُعْدَى ولُبْنَى والرَّبابِ وكُلْثُمَا

وكم مَلِكٍ فى قَومِهِ كان قاهِرًا ... فأضحَى ذليلاً فى هواها مُتَيَّمَا

يَدِينُ بما تَهْوَى مُطِيعًا لأمْرِها ... وإن ظلمتْه لم يكُن مُتظلِّمَا

تظَلُّ الملوكُ الصِّيدُ تعفِّر بالثَّرى ... إذا قارَبُو أو شاهَدُوا ذلك الحِمَى

وممَّن ذَيَّل عليها العارف بالله تعالى السيد حاتم بن الأهدل اليمنِى[2] :

وأبْرَزْتُها بَطْحاء مكةَ بعدَما ... أصاتَ المنادِى بالصَّلاةِ فأعْتَمَا[3]

وسَرَّحْتُ عينِى فى رياضِ خدُودِها ... فشاهدْتُ رَوضًا كالربيعِ مُنَمْنَمَا

سَقتْه مِياهُ الحُسْنِ فازْداد بَهْجةً ... وغادرَ قلبِى بالحطِيمِ مُحطَّمَا

حُسَيْنِيةٌ حَسْناء لَمْياء نَحْوَها ... توَجَّه قلبِى بالغرامِ وأحْرَمَا

سَعيْتُ إليها بالصَّفاء مُسلِّمًا ... لِرُوحِى وقلبِى طاف سَبْعًا وزَمْزَمَا

غزالٌ يُعِيرُ الظَّبْىَ لَفتةَ جِيدِها ... وعن قدِّها المَيَّاسِ سَلْ بانةَ الحِمَى

فتاةٌ يُعيرُ الشمسَ بهجةَ وَجْهِها ... سَناها بغيرِ الحُسْنِ لن يتلَثَّمَا

عَدَا خَصْرُها جِسْمِى سَقامًا وجَفْنُها ... تعَدَّى على جَفْنِى وللنَّومِ حرَّمَا[4]

إليها ثَنَتْ قلبِى الثَّنايا صَبابةً ... فياما أُحَيْلَى ذلك الثَّغْرَ واللَّمَى[5]

---

(١) فى السلافة : « حين خيما » . (٢) تقدمت ترجمته برقم ٢٣٥ .
والقصيدة فى سلافة العصر ٢٥٢ .

(٣) فى ب ، ج : « أصاخ المنادى » ، والمثبت فى : ا ، والسلافة ، وهو ما تقدم .

(٤) فى ا ، ب : « غدا خصرها » ، وفى السلافة : « عدى خصرها » ، وفى ج : « على خصرها » ، وهو من العدوى . (٥) فى ا : « إليها تثنت » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

إذا حدَّثتْ فاحَ العَبيرُ وأظهرتْ   برمْزتها منّى الحديثَ المُكتَّمَا

وأما بيت أبى دَهْبَل ، المُذيَّل عليه ، فهو من قصيدة له يصف فيها ناقته ، حدَّث موسى بن يعقوب ، قال : أنشدنى أبو دَهْبَل يوما[1] :

أَلا عَلِق القلبُ المُتَيَّمُ كُلْثُمَا   لَجاجًا فلم يلزَمْ من الحُبِّ مَلْزَمَا[2]

خرجْتُ بها من بطْنِ مكةَ بعدَما   أصاتَ المُنادِى بالصَّلاةِ فأعْتَمَا[3]

فما نام من راعٍ ولا ارْتدَّ سامرٌ   من الحىِّ حتى جاوزَتْ بى يَلَمْلَمَا[4]

ومَرَّتْ ببطْنِ اللَّيثِ تَهْوِى كأنها   تُبادِرُ بالإدْلاجِ نَهْبًا مُقسَّمَا[5]

وجازَتْ على البَزْواء والليلُ كاسِرٌ   جَناحَيْن بالبَزْواء وَرْدًا وأدْهَمَا[6]

فما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى تبيَّنَتْ   بِعُلَيْبَ نَخْلًا مُشْرِفًا أو مُخيَّمَا[7]

ومرَّتْ على أشْطانِ رَوْقَةَ بالضُّحَى   فما حدَرتْ للماءِ عَيْنًا ولا فَمَا[8]

---

(١) القصيدة فى : الأغانى ٧/١٤٠ ، ١٤١ ، سلافة العصر ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، معجم البلدان ١/٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٣/٧١٥ ، والأبيات : الثانى ، والثالث ، والسادس ، فى الشعر والشعراء ٢/٦١٥ .

(٢) فى معجم البلدان : « لجوجا ولم يلزم » ، وفى الأغانى : « لجاجاً ولم يلزم » .

(٣) فى معجم البلدان : « للصلاة فأعتما » .

وأعتم : دخل فى العتمة .

(٤) يلملم : موضع على ليلتين من مكة ، وهو ميقات أهل اليمن ، وتقدم .

(٥) فى السلافة : « ببطن البث » ، وفى ا : « نهبا ومقسما » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والمصادر السابقة .

والليث : واد بأسفل السراة . معجم البلدان ٤/٣٧٤ .

(٦) فى الأصول : « وجازت على البزداء والليث ... فياحين بالبزدا وردا .. » . والمثبت فى : الأغانى ، والسلافة ، ومعجم البلدان ، وفيه : « جناحيه بالبزواء .. » .

والبزواء : موضع فى طريق مكة ، قريب من الجحفة . معجم البلدان ١/٦٠٦ .

(٧) فى ا : « بعسيب نخلا » ، وفى ب : « بيعسب نخلا » ، وفى ج : « بعيب نخلا » ، وفى السلافة : « بسايب نخلا » ، والمثبت فى : الأغانى ، ومعجم البلدان ، والشعر والشعراء .

وفى السلافة ، والشعر والشعراء ، ومعجم البلدان : « مشرفا ومخيما » .

وعليب : موضع بتهامة . معجم البلدان ٣/٧١٤ ، ٧١٥ .

(٨) فى الأغانى : « أشطان رونق بالضحى .. فما خزرت » ، وفى معجم البلدان : « فما جررت الماء » .

وما شرِبَتْ حتى ثنَيْتُ زِمامَها ... وخِفْتُ عليها أن تَجُرَّ وتُكْلَما[1]

فقلتُ لهـــا : قد نِلْتِ غيرَ ذَميمةٍ ... وأصْبح وادى البِرْكِ غَيْثاً مُدَيَّما[2]

قال : فقلتُ : ما كنتَ إلّا على الرِّيح .

فقال : يابنَ أخى ، إن عمّكَ كان إذا همّ فعَل ، وهى المَجّاجة[3] .

هكذا رواه أبو الفرج الأصْبَهانِىّ ، فى « الجامع الكبير » ، وفى رواية البيت المُذَيَّل بعضُ تغيير كما رأيت ، والرِّوايات تختلف .

☆☆☆

(١) فى الأغانى : « أن تخر وتكلما » ، وفى معجم البلدان : « أن تجن وتكلما » .

(٢) فى الأصول : « وأصبح وادى البرق غيثاء سدبما » ، والمثبت فى : الأغانى ، والسلافة ومعجم البلدان والبرك : ناحية باليمن ، وهو بين ذهبان وحلى ، وهو نصف الطريق بين حلى ومكة . معجم البلدان ١ / ٥٩٠ وفى الأغانى : « قد بنت غير ذميمة » ، وفى معجم البلدان : « قد بمت غير ذميمة » .

(٣) انظر هامش الأغانى ٧ / ١٤١ ، وما أثبته الأستاذ الشنقيطى صحيح ، وهو ما هنا ، والعجاج : الصياح ، أو مثير العجاج ، ولعل هذا اسم ناقته .

٣١٨

السيد حسين بن على بن حسن بن شَدْقَم *

غُصْن بَسَق من روضة الفُتُوّة ، وأشْبَه أصلَه مجداً فحقّق شواهدَ النُّبُوّة .

ما شئتَ من فضلٍ سَمَا باكْتسابِه ، وفخرٍ ما زال يعْنُو بانْتِسابِه .

وجَدٍّ أطاعَه أبيُّه وشَامِسُه ، وأدبٍ أنارَ به دَاجِيه وطَامِسُه .

وهو ممَّن دخل الهند كجَدِّه ، فعلا بها قدرُه فوق ما قَدَّرَه بجِدِّه .

* * *

وقد رأيتُ من شعره قطعتين ، فأثْبَتُّهما له حسَنتين .

فالأولى قوله من قصيدة نَبَوِيَّة أولها[1] :

أقِيمَا على الجرْعاءِ فى دَوْمَتَىْ سَعْدِ ... وقُولَا لحادِى العِيسِ عِيسَك لا تَحْدِى

فإنَّ بذاكَ الحىِّ إلفًا ألِفْتُهُ ... قديمًا ولم أبْلُغْ برُؤْيَتِه قَصْدِى

عسَى نَظْرةٌ منه أبُلُّ بها الصَّدَى ... ويسكُن ما ألْقاه من لَاعِجِ الوَجْدِ

وإلَّا فقُولَا يا أُمَيَّةَ إنَّنَا ... تركْنَا قتيلًا من صُدُودِكِ بالهِنْدِ

يحِنُّ إلى مَغْناكِ بالطَّلْحِ والغَضَا ... ويصْبُو إلى تلك الأُثَيْلَاتِ والرَّنْدِ

قِفَا نَنْدُبِ الأطلالَ أطْلالَ عامرٍ ... ونبكى بها شَوْقًا لعلَّ البُكا يُجْدِى

إلى ذاتِ دَلٍّ يُخْجِلُ البدرَ حُسْنُهَا ... مُرَنَّحَةِ الأعْطَافِ ميَّاسَةِ القَدِّ

سَقاها الحَيَا ما كانَ أطْيَبَ يوْمِنا ... بمَوْرِدِها والحىُّ وِرْدًا على وِرْدِ

وقد نثَرَتْ أيْدِى الغَمامِ مَطَارِفًا ... كَسَتْهَا أدِيمَ الأرْضِ بُرْدًا على بُرْدِ[2]

(*) ترجمه ابن معصوم فى سلافة العصر ٢٥٣ ــ ٢٥٦ ، وذكر أنه رحل إلى الديار الهندية ، وأطال فى الصلات التى كانت بينه وبين والده النظام ابن معصوم ، وترجمه الشروانى فى حديقة الأفراح ٥٥، ٥٦

(١) القصيدة فى سلافة العصر ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، وذكر الشروانى الأبيات النبوية من القصيدة ، فى صفحتى ٥٥ ، ٥٦

(٢) فى السلافة : « وقد نشرت أيدى الغمام » ، وهو أولى .

وقد رفعتْ فوق الحزوم سُرادقاً ... من الشَّعْر والأضيافُ وَفْداً على وَفْدِ[1]

بَدَوْتُ لِحَيَّيْهَا وإلَّا فإنَّنى ... مِنَ السَّاكنين الدَّنَ طِفْلًا على مَهْدِ

ومِلْتُ إلى ماء البَشَامِ لأجْلِهَا ... وأعْرَضْتُ عن ماءٍ مُضَافًا إلى الوَرْدِ[2]

وغادَرْتُ نَخْلًا بالمدينةِ يانِعاً ... ومِلْتُ إلى السَّرْحَاتِ من عارِضَىْ نَجْدِ

وحَارَبْتُ أقْوَامى وصادقْتُ قَوْمَها ... وبالَغْتُ فى صِدْقِ الوِدَادِ لهم جُهْدِى

فلا إثْمَ لى فى حُبِّهَا ولقومِها ... وإن يَكُ إن اللهَ يغفرُ للعَبْدِ

ولا سِيَّما إنْ جئتُهُ مُتَوَسِّلًا ... بمُرْسَلِهِ خيرِ النَّبِيِّينَ ذى المجدِ

أبى القاسمِ المبعوثِ من آلِ هاشمٍ ... نَبِيًّا لإرْشادِ الخلائقِ بالرُّشْدِ

دَنَا فتدلَّى من مَليكٍ مُهَيْمِنٍ ... كما القابُ أوْ أدْنَى من الواحدِ الفَرْدِ

ألا يارسولَ اللهِ ياأشرفَ الوَرَى ... ويا بَحْرَ فَضْلٍ سَيْبُهُ دائمُ المَدِّ

لَأنتَ الذى فُقْتَ النَّبِيِّينَ زُلْفَةً ... من اللهِ ربِّ العرشِ مُسْتَوْجِبِ الحمدِ

يُناجيك عَبْدٌ من عَبِيدِكَ نَازِحٌ ... عن الدَّارِ والأوْطَانِ والأهْلِ والوُلْدِ[3]

ويسألُ قُرْباً من حِماكَ فَجُدْ له ... بقُرْبٍ فقُرْبُ الدَّارِ خيرٌ من البُعْدِ

ليلثِمَ أعْتاباً لمسْجِدِكَ الذى ... به الرَّوْضَةُ الفَيْحاءُ من جَنَّةِ الخُلْدِ

فإنَّ له سَبْعاً وعشرين حِجَّةً ... غريبٌ بأرضِ الهِنْدِ يصْبُو إلى هِنْدِ

إذا الليلُ وَارَانى أهِيمُ صَبابةً ... إلى طَيْبَةَ الغَرَّاءِ طَيِّبَةِ النَّدِّ

وأُسْبِلُ من عَيْنَىَّ دَمْعاً كأنَّهُ ... عَقِيقٌ غدا وادى العَقِيقِ له خَدِّى

سَمِيراه فى لَيْلٍ غرامٌ وزَفْرَةٌ ... تُقَطِّعُ أفْلاذَ الحشاشةِ كالرَّعْدِ

عليك سلامُ اللهِ ما ذَرَّ شارقٌ ... وما لاحَ فى الخضْرَاءِ من كوكبٍ يَهْدِى

(١) فى ج : « وقد رضت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة ، وفى السلافة : « فوق الحزوم » .

(٢) فى ا : « مضافاً إلى ورد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

(٣) فى السلافة : « بالأهل والولد » .

كذا الآلُ أصْحابُ الكرامةِ حَيْدَرٌ ... وبِضْعَتُهُ الزَّهراءُ زاكيةُ المجدِ
وسِبْطاكَ مَن حازا الفضائلَ كُلَّها ... وسَجَّادُهم والباقرُ الصادقُ الوَعْدِ [1]
وكاظِمُهم ثم الرِّضا وجَوادُهم ... كذاكَ عليٌّ ذو المناقبِ والزُّهْدِ [2]
كذا العَسْكرِيُّ الطُّهْرُ ذو الفضلِ والتُّقى ... وقائمُهم غَوْثُ الورَى الحجةُ المَهْدِي [3]

* * *

والقصيدة الثانية مطلعها[4] :

هوايَ لِرَبَّاتِ الخُدُورِ العواتِقِ ... وخَيْلٍ جِيادٍ صافِناتٍ سَوابِقِ [5]
وقَوْمٍ ظُهورُ العادياتِ حُصونُهم ... ومِصْباحُهمْ لَمْعُ السيوفِ البَوارِقِ
غَطارِيفُ كم بَلَّ النَّجِيعُ ثِيابَهُمْ ... كُماةٌ غَداةَ الرَّوْعِ حامُو الحَقائِقِ [6]
أُسودٌ إذا مازارَهم ذُو تَهَوُّرٍ ... تَوَلَّى بقلبٍ بين جَنْبَيْهِ خافِقِ
بِضُمِّ القَنا تَذْرِي جُسُومَ عِداتِها ... وتَسْقِي ثَراها من دِماءِ المَفارِقِ [7]
إذا أَوْلَجتْ نحوَ العَدُوِّ خُيولَهم ... تَبارَتْ لُيوثُ الغابِ شِبْهَ الخَرانِقِ [8]

---

(١) فى ا ، ج، والسلافة : «من حاز الفضائل» والمثبت فى : ب.
وعرف بالسجاد على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، المتوفى سنة ثمان عشرة ومائة .
والباقر هو : محمد بن على زين العابدين بن الحسين ، المتوفى سنة أربع عشرة ومائة .

(٢) الكاظم : هو موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، المتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة .
والرضا : هو على بن موسى الكاظم ، توفى سنة ثلاث ومائتين .
والجواد : هو محمد بن على الرضا ، توفى سنة عشرين ومائتين .
ولعله أراد بعلى ، على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ، المتوفى سنة أربع وتسعين .

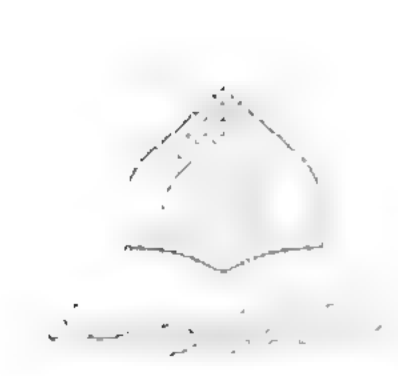
(٣) العسكرى هو : على بن محمد الجواد ، المتوفى سنة أربع وخمسين ومائتين .
وهل يريد بالقائم محمد بن عبيد الله ، ابن المهدى العبيدى الفاطمى ، المتوفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، أم يريد المهدى المنتظر ؟

(٤) القصيدة فى سلافة العصر ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، يمدح بها النظام بن معصوم .

(٥) الصافن من الخيل : ما قام على ثلاث وحافر الرابع . (٦) الغطريف : السيد العظيم .

(٧) فى السلافة : «وتشفى ثراها» . (٨) فى السلافة : «إذا أدلجت» .
والخرانق : جمع الخرنق ، وهو الفتى من الأرانب أو ولده . القاموس (خ ر ن ق) .

تنــــازلُهم مابين نجْدٍ ويثْرِبٍ ... جنُوباً وشاماً فى رؤوسِ الشَّواهِقِ
غُيوثٌ إذا حَلَّ النَّزِيلُ بأرْضِهم ... وإن أمَّها الْباغِى فهم كالصَّواعِقِ
كِرامٌ يُجــازُون الجميلَ بمثــلِه ... ويرْعَونَ وُدًّا للحَمِيم المُصَــادِق
مَنِيعُون إن لاذَ المُخــافُ بظِلِّهم ... كَسَوْه بِسربالٍ من الأمْنِ فائِق
وَدِدْتُهم إذ أشْبَهُوا بِفِعــالِهم ... فِعال كريم طاهر الأصل صادقِ



٣١٩

الخطيب عبد الله بن إلياس*

إمامُ المدينة وخطيبُها ،وعَرْفُها الذى طاب وطِيبُها .

أَتْهمَ فى التَّحَلِّى بشِعار الإمامة وأنجَد ، وقام فى حَفْل الفصاحة خطيباً يُزْكَم لإمامته ويُسْجد .

وقد الْتَحَف الفضل بُرْداً ، وأصبح فى الأدب عَلَماً فَرْداً ، مع خُلقٍ جانبُه لَدْن ، وطبع حضرته جنة عَدْن .

وهو إلى القلوب مُتحبِّب ، وعمَّا يُسِئ ويَشِين مُتجنِّب .

* * *

وله نثرٌ ونَظْم ، هذا تتضاءل له النجومُ فى أُفقِها ، وهذا تتستَّر البدُور حياء منه فى شَفَقِها .

فمن نظمِه قولُه فى العَرُوض[1] :

إن العَرُوضَ لَبحرٌ تعومُ فيه الخواطِرْ
وكلُّ مَن عام فيه دارتْ عليه الدَّوائرْ

* * *

وبخطِّ السيِّد محمد كبْرِيت[2] مانَصُّه : أنشدنى إجازة لنفسِه سيِّدى العَفِيف عبدُ الله بن الخطيب إلياس ،سَلِما من المكروه والباس :

ياسيِّدى قُم لى ولا تدَعِ الوقِيعةوالعَتَب[3]

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٢٧٠ ـ ٢٧٢ ، والمحبى فى خلاصة الأثر ٣/٣٩٨ ، فى أثناء ترجمة أخيه محمد بن إلياس ، نقلا عن ابن معصوم ، ولم يذكرا سنة وفاته .

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٣٩٨ ، سلافة العصر ٢٧١ . (٢) تأتى ترجمته برقم ٣٢١ .

وهذا أيضاً فى خلاصة الأثر ٣/٣٩٨ ، سلافة العصر ٢٧١ ، والمحبى فى الكتابين ينقل عن السلافة .

(٣) عجز البيت فى السلافة : « من غير أن أخشى العتب » ، وهو ما سيأتى عجز بيت لابن معصوم .

كَيْـلا يُقال مُقَصِّرٌ فأكون فيه أنا السَّبَبْ

فقلتُ[١] وإنْ لم يبلُغِ الظَّالِعُ[٢] شَأْوَ الضَّلِيع[٣]:

لِمَ لا أقـومُ لسيِّدِى مِن غيرِ أن أخْشَى العَتَبْ

وهـو الذى قامتْ له بثنائها عَلْيـا الرُّتَبْ

وقلتُ[٤] فى المعنى، من بحر الخَبَب:

أقُومُ على الرَّأسِ مَهْما بَدا جمالُكَ لا لاجْتنابِ العَتَبْ[٥]

ولِمْ لا أقومُ وأنت الذى لِعَلْياهُ قامتْ كِرامُ الرُّتَبْ

ولبعضهم فى المعنى[٦]:

قِيامِى والعزيزِ لَدَيْكَ فَرْضٌ وتَرْكُ الفضلِ مالَا يستقيمُ[٧]

فهل أحَدٌ له عَقْلٌ ولُبٌّ ومَعْرِفـةٌ يراكَ ولا يقومُ

وما ألطف قولَ بعضهم معتذراً عن عَدَم القيام[٨]:

عِـلَّةٌ سُمِّيَتْ ثمانين عاماً منَعتْنى للأصدقاءِ القِياماَ

فإذا عُمِّروا تمهَّد عُـذْرِى عندهم بالذى ذكرتُ وقاماَ

وللشِّهاب المَنْصُورِىِّ[٩]:

---

(١) أى ابن معصوم. (٢) فى الأصول: «الضالع»، والمثبت و الخلاصة، والسلافة. والظالم: المتهم، ومن به عيب.

(٣) فى السلافة: «الظليع». (٤) أى المحبى، والبيتان فى خلاصة الأثر ٣/٣٩٨.

(٥) فى خلاصة الأثر: «لما بدا».

(٦) البيتان فى: خلاصة الأثر ٣/٣٩٨، سلافة العصر ٢٧١. (٧) فى الخلاصة: «على فرض»، وفى السلافة: «إليك فرض». (٨) خلاصة الأثر ٣/٣٩٨، سلافة العصر ٢٧١.

(٩) هو أحمد بن محمد بن على، من ذرية العباس بن مرداس السلمى.

ولد بالمنصورة، سنة تسع وتسعين وسبعمائة، ورحل الى القاهرة، وذاع صيته، وجمع لنفسه ديواناً وكانت وفاته سنة سبع وثمانين وثمانمائة.

الضوء اللامع ٢/١٥٠، نظم العقيان ٧٧.

والبيت فى شفاء الغليل ١٨٨، والكلام الآتى منقول عنه.

وَمَن ذهبتْ بلُحْمتِه اللّيالِى ... أيُمْكِنُ أن يكون له قِيامُ

قِيامُ الثوب ، فى كلام العامّة : ما يُقابِل لُحْمتَه .

وذكرتُ هنا[1] ، ما حكاه أربابُ السِّيَر ، عن الصّاحب إسماعيل بن عَبّاد ، أنه لمّا كان ببغداد ، قصد القاضىَ أبا السّائب عُتْبة بن عُبَيد[2] لقضاء حقِّه ، فتثاقَل فى القيام ، [3]وتحفّز تحفُّزاً[3] أراه به ضَعْفَ حركتِه ، وقُصُور نَهْضتِه ، فأخذ الصّاحبُ بِضَبُعِه ، وأقامه ، وقال : نُعِينُ القاضى على حقوق إخوانه .

فخجِل القاضى ، واعْتذر إليه .

***

وبخطِّ السيد محمد كبْريت : كتبت إلى سُدَّته العَلِيَّة ، يعنى الخطيب[4] :

يا أيُّها المولى الذى فاق الورَى ... ببيانِ مَنْطقِه البديعِ الزَّينِ

هاتِ افْتِنا فى زيدٍ المخفوضِ فى ... ماقامَ إلّا زيدٍ المسْكينِ

فكتب مُجيباً[5] :

يامَن بِشَمْسِ عُلومِه زال الكرَى ... فغدا بمِصْباحِ الهُدَى كالعينِ

إنِّى أقولُ جوابُكم وبِىَ الجوَى ... فى فَرْدِ بَيْتٍ زان فى العَيْنَيْنِ

زيدٌ تُصُوِّرَ جرُّه بإضافةٍ ... للآلِ وهْو العهدُ للاثْنَيْنِ

حاكتْه أيادِى الوِداد بأناملِ الإخلاص ، وسبكتْها فى قوالبِ الاتِّحاد فما حاكَتْه سبائِكُ الخِلاص[6] .

---

(١) هذا نقل أيضاً عن السلافة ٢٧١ ، ٢٧٢ ، وهو فى خلاصة الأثر ٣/٣٩٨ ، ٣٩٩ .

(٢) أبو السائب عتبة بن عبيد الله بن موسى الهمذانى الشافعى ، قاضى القضاة ببغداد ، المتوفى سنة خمسين وثلاثمائة .

انظر طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣٤٣ .

(٣) فى الأصول : « وتحفر تحفراً » ، وكذلك فى الخلاصة ، وفى السلافة : « وتحفز تحفزاً » ولعل الصواب ما أثبته .

(٤) خلاصة الأثر ٣/٣٩٩ ، سلافة العصر ٢٧٢ .

(٥) الجواب كله فى خلاصة الأثر ٣/٣٩٩ ، والشعر فحسب فى سلافة العصر ٢٧٢ .

(٦) فى ا : « الإخلاص » ، والمثبت فى : ب ، ج ، خلاصة الأثر .

والخلاص : ما اتقى عنه الغش من الذهب والفضة .

إلى الحضرة التى يحقُّ لى أن أحِنَّ إليهـا وأشتاق ، ويليقُ بى أن أطيرَ مع حمائم البَطائق لأفِدَ عليها لو أن ذلكَ ممَّا يُطاق .

تهدَّلتْ أغصانُ دَوحةِ رياستِه ، وتهلَّلتْ جِباهُ[١] جلالتِه ونفَاستِه .

حُبٌّ مَوثوقٌ بالعُرَى ، وقلبٌ مَنبوذٌ بالعَرَا .

أأتَّخِذُ العراقَ هوًى وداراً ومَن أهواهُ فى أرضِ الشَّـآمِ

بَيْدَ أن له[٢] فى سَعَةِ الفضل رجا ، وفى اجْتماع الشمل ما تَحار فيه عقولُ أُلِى الحِجَى . ولا يزال يتذكَّر سُوَيْعاتٍ مَرَّتْ ما كان أحْـلاها ، وأُوَيقات ليس فى يده إلَّا أنه يتمنَّاها .

فياما كان أحْسنه زماناً ويا ما كان أطْيبَه ويامَا

وبعد كلِّ حالٍ فسلامةُ المولَى هى مُنْتهى الطَّلب ، إذا كان فى صِحَّـةٍ فما أنا إلَّا فيها أتقلَّب .

***

(١) فى ا : « شباه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٢) فى ب : « لى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

٣٢٠

غَرْسُ الدين بن محمد الخليليّ*

إمامُ العصر برَوْضة النبيّ ، والمقدَّم في حَلْبة البيان على رَغْم المخالف والأبِيّ .
بلَغ من الوجاهة مَبْلغاً تفرَّد فيه ، وقالتْ له الأيامُ حَسْبُ أملِك و يَكْفيه .
ماشئتَ من جِدٍّ يَعجِز النَّجْمُ عن لَحاقِه ، وأدب لو بلَغه البدرُ ماشِين قطُّ بمحاقِه .
اقْتنص بشَرَكِ بديهتِه مُتمنِّعات الأوابد الشَّوارِد ، وفَجَّر من بلاغتِه وبَراعتِه حِياضاً عَذْبةَ المناهلِ والموارِد .
وله تآليف سلَك فيها الطَّريقة السَّوِيَّة ، وجَنَح برأْيه إلى أحسن الرَّوِيَّة .

* * *

وشعرُه إن لم يكن كقَدْرِه في أعْلَى الدَّرَج ، فهو من خيرِ الأمور المأمونِ قائلُه من الحرَج .
فمنه قوله في مدح القَهوة[1] :

دَعِ الصَّهباءَ واشربْ صِرْفَ قِشْرٍ ... مُشَعْشَعـةً تدور بـكفِّ بَدْرِ
وإن شئْتَ الشفـا بادِر سَرِيعاً ... إلى حانٍ لهـا قد حان بَدْرِي

(*) غرس الدين بن محمد بن أحمد الخليلي المدني الأنصاري الشافعي .
محدث ، فقيه ، أديب .
أخذ بالقدس عن محمد الدجاني ، ويحيي بن قاضي الصلت ، ورحل إلى القاهرة ، سنة سبع بعد الألف وحضر بها دروس أبي النجا سالم السنهوري ، وأخذ عن الأستاذ زين العابدين البكري ، ثم رحل إلى الروم ، واجتمع بالوزير الأعظم ، فوجه له خطابة المدينة ، وعين له ما يكفيه ، فهاجر إلى المدينة ، وسكنها ، وتزوج بها ، وكانت له رحلة إلى دمشق ، سنة ثمان وأربعين وألف ، فأخذ عنه فضلاؤها .
ولغرس الدين مؤلفات كثيرة ؛ منها : « كشف الالتباس فيما خفي على كثير من الناس » في الأحاديث الموضوعة ، وله أيضاً : « نظم الكنز » ، و « نظم مراتب الوجود » .
توفي سنة سبع وخمسين وألف .
خلاصة الأثر ٣/٢٤٦ ـ ٢٥٤ ، سلافة العصر ٣٩٩

(١) القصيدة في خلاصة الأثر ٣/٢٤٩ ، ٢٥٠ .

فما الياقوتُ فى لونٍ نَضِيرٍ   وما لَوْنُ النُّضارِ ولونُ تِبْرِ[(١)]

دَعِ الفاروقَ إن رُمْتَ التَّداوِى   وخُذْها فهى للأسْقامِ تُبْرِى

كأنَّ حَبابَهــــا المَنظومَ عِقْدٌ   من الياقوتِ يُجْلَى فوق نَحْرِ

سأسْعَى نحوَ مَرْوَتِهــــا أُلَبِّى   ليصْفُو بالصَّفَا صَدْرِى ونَحْرِى

نَدِمتُ نَدامةَ الكُسَعِىِّ عليهــــا   لِمــــا قد فاتَ من أيَّامِ عُمْرِى[(٢)]

سأُدْمِنُ شُرْبَهــــا ما دمتُ حَيًّا   ولا أُصْغِى إلى زَيدٍ وعمرِو

وأجْلُو عَيْنَ أغيــــارِى وهَمِّى   بصَافِيهــــا سُحَيْرًا قبــــلَ فَجْرِ

هى الرَّاحُ المُرِيحُ لكلِّ رُوحٍ   ولم تُمْزَجْ ولم تُوجَد بعَصْرِ

وكلُّ مُخالِفٍ فيهــــا فإنِّى   أُسَفِّهُ قولَه من أهلِ عَصْرِى

فقُل إن قالَ ساقِيهــــا المُفَدَّى   حَبًا يا مَرْحبًا واشْكُرْ لشُكْرِ[(٣)]

وخُذْها من يديهِ فى حُضورٍ   مع السَّاقِى المَليحِ بغــــيرِ سُكْرِ

فلا غَوْلٌ ولا تأْثِيمَ فيهــــا   وليستْ مُرَّةً بل طَعمَ تَمْرِ[(٤)]

وإن غالَى المُحِبُّ وقالَ أشهدُ   أُجِيبُ نَعم إذا ما كانَ تَمْرِى[(٥)]

ولولا مِدْحَتِى لِلبُنِّ قَبــــلًا   لَمُدْتُ له بهَجْوٍ ثم هَجْرِ

لِيُبْسِ طِباعِهِ وسَوادِ قلبٍ   له فهو الحَرِىُّ بكلِّ هُجْرِ

* * *

---

(١) فى ا : « فما لون النضار » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٢) يضرب المثل بالكسعى فى كل نادم على ما جنت يداه ، وهو محارب بن قيس ، كسر قوسه حين ظن أنها أخطأت مراميه ، فلما رأى أسهمه أصابت ندم ، وشد على إبهامه فقطعها . انظر ثمار القلوب ١٣٣

(٣) حبا : أى سقيا . (٤) غول : تغتال العقول وتذهب بها . غريب القرآن للسجستانى ١٨٨ .

(٥) فى الخلاصة : « وقال شهد » ، ولعله الصواب .

وفى ب : « إذا ما كان تمرى » ، والمثبت فى : ا ، ب والخلاصة .

ومن لطائفه قوله مخاطبا الوزير الأعظم مصطفى باشا، يحثُّه على إزالة الخِصْيان من المسجد النَّبَوِىّ[1] :

يا مصطفَى بالمصطفَى العَدْنانِ ... وبآيِ قُرآنٍ عظيمِ الشَّانِ

لا تجْعَلَنَّ على المدينـةِ أسْودًا ... شيخًا على حَرَمِ النبِي العَدْنانِى

وكذلك الحُبْشانُ أيضا منهمُ ... فهُمُ همُ لا خيرَ فى الحُبْشانِ

بل جاء فى خبَرٍ رَواه بعضُهم ... ها لفظُهُ لا خيرَ فى السُّودَانِ[2]

قومٌ لهم طَبْعٌ شَدِيدٌ زائدٌ ... لا يشْبعون من الحُطامِ الْفَانِى[3]

لولا المَخافةُ منكمُ لأتاكمُ ... شاكُونَ من هَمٍّ ومن أحْزانِ[4]

وإذا أرَدْتُمْ أنَّكم تسْتَيْقِنُوا ... أحْوالَهم من غيرِ ما بُهْتانِ[5]

فلْتسألوا حَنَفِى أفندى عنهمُ ... يُخْبِرْكُمُ عن خُلْسةِ الغِرْبانِ

ما كلُّ ما يُدْرَى يُقالُ وأنتمُ ... أدْرَى بطَيْشِ السادةِ الخِصْيانِ

يسْتَنْزِلون لأخْذِ ما قد جاء من ... صَدقاتِ خيرٍ للفقـيرِ العانِى

فيُصيبُ أهلَ الفضلِ من صَدقاتِكمْ ... ما ساءهم من أسْهُمِ الحِرْمانِ[6]

فانظُر لنـا شَيْخًا نَقِيبًا صَالحًا ... مُسْتَنْزِهًا عن ذَا الحطامِ الْفانِى[7]

إن لم يَجُزْ إلا خَصِيًّا أسْودًا ... فاخْصُوا لنا شَيْخًا من البِيضانِ

يا وَيْحَكم إن لم تُراعُوا حَقَّنـا ... يومَ الحسابِ بحَضْرةِ الدَّيَّانِ

يومًا تكونُوا مثْلَنـا ما إنْ لكمْ ... فى الناسِ من أمرٍ ومن سلطانِ[8]

هَذِى نصيحةُ غَرْسِكم فى رَوضةِ الْ ... هادِى إلى الإسلامِ والإيمانِ

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٢٤٧ . (٢) فى الخلاصة : « لا خير فى الحبشان » .

(٣) فى الخلاصة : « لهم طمع » ، وهو المتفق مع السياق . (٤) فى الخلاصة : « لولا المخافة منهم

(٥) فى الخلاصة : أنكم تتيقنوا . (٦) فى الخلاصة : « فيصيب أهل الفضل » .

(٧) فى ب ، والخلاصة : « شيخاً تقياً » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٨) هكذا فى الأصول ، والخلاصة : « تكونوا » .

يدعُو لسُلْطانِ الورى ولمصطفَى   سيفِ الإلهِ وعاضِدِ السلطانِ

* * *

وذكر القاضى أحمد بن عيسى المُرْشِدِىّ[1]، فى « تذكرته » : ورَد علينا فى أثْناء عام خمسٍ وأربعين وألف الشيخُ الأوحدُ الأكمل غَرْسُ الدِّين[2] المَقْدِسِىّ، الخطيب والإمام بالرَّوضة المُشرَّفة، على صاحبها الصلاةُ والسلام، ولم يُوافِه[3] أهلُ مكة، فقال مُعرِّضا[4] :

علماء مكةَ جاوَزُوا الأفْلَاكَا   عِزًّا وحُقَّ لهم لعَمْرِىَ ذَاكَا[5]
لولا الرِّياسةُ فى رُءوسِ نُفوسِهِمْ   كانوا وحقِّك كُلُّهم أمْلَاكَا

وقال أيضا[6] :

جِيرانُ مكةَ جِيرانُ الإلهِ لِذَا   لا يَعْبَأُون بمَن قد غاب أو حَضَرَا[7]
لولا الطَّبِيعةُ عاقَتْهم لَكان لهم   إسْراء رُوحٍ بِسِرِّ السِّرِّ قد ظَفِرَا[8]

فقال[9] بعضُ السادة الأشراف، المُتَّصِل مَحْتِدُهم الزَّاكِى[10] بالمُغيرةَ عبدِ مَنافٍ[10]، نخرُ الشجرة التى أصلُها ثابت وفرعُها فى السما، أكْرِمْ به نسَبا ومُنْتمَى، على طريق الجواب عن الأوَّلَيْن[11] :

للهِ دَرُّكَ من أديبٍ بارعٍ   بذَكائِه ما يُعْجِزُ الإدْراكَا
أحْسَنْتَ إذ أتْحَفْتنا ببدائعٍ   بَهَرَتْ وإن جادتْ فدون مَداكَا[12]

---

(١) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٦ .
والنقل أيضاً فى خلاصة الأثر ٣/٢٥٠ .
(٢) فى الخلاصة بعد هذا زيادة : « الأزهرى » . (٣) فى الخلاصة : « ولم يؤانسه » .
(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٢٥٠ ، وسلافة العصر ٤٠٠ . (٥) فى السلافة : « لعمرك ذا كا » .
(٦) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٢٥٠ ، سلافة العصر ٤٠٠ . (٧) فى الأصول : «جيران الإله كذا» ، والمثبت فى : الخلاصة والسلافة . (٨) فى الأصول : « إسرار روح » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، وهو المتفق مع الردود الآتية . (٩) هذا النقل فى الخلاصة فحسب . (١٠) فى الخلاصة « بالمغيرة بن عبد مناف » وهو خطأ ، فقد قيل إن اسم عبد مناف بن قصى المغيرة ، وإن عبد مناف لقب له . انظر طبقات ابن سعد ١/٥٥ . (١١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٢٥٠ . (١٢) فى خلاصة الأثر : « فدون ندا كا » .

فَجَهابِذُ البيتِ الحرامِ مُذِيعةٌ ... بِأريجِ مَدْحٍ من بَدِيعِ ثَناكَا

وهمُ الجحاجِحُ والذين سَمَوْا بمَن ... حَرَمَ السَّما واستَخْدم الأمْلاكَا[1]

لا غَرْوَ أن جَازُوا الأثيرَ بفضلِهمْ ... وعَلَوْا بحقٍّ جَوازِه الأفلاكَا[2]

وعن الثَّانيَيْن[3] :

يامُفْلِقًا لم يزَلْ فى كلِّ غامِضةٍ ... يُبْدِى بها فَلَقًا بالحقِّ قد ظَهَرَا

وبحْرَ عِلْمٍ تحلَّى من فَرائِدِه ... جِيدُ البَلاغةِ عِقْدًا يفْضَحُ الدُّرَرَا

أثنيْتَ حقًّا وعينُ الفضلِ شاهدةٌ ... وأنتَ إنسانُها الرَّائى بغيرِ مِرَا[4]

لكنْ إليك اعتذارًا منهمُ فذَوُو الْ ... أفْضالِ يعْذِرِ مَن قد جاء مُعْتذِرَا

لم يتركُوك لإهمالٍ ومَنْقَصةٍ ... لكن حَجَبْتَهم فالذنبُ منك يُرَى

وأجابه أيضا القاضى تاجُ الدِّين المالكىّ[5] ، بقوله[6] :

جيرانُ مكةَ غَرْسُ الدِّين أيْنَعَ فى ... قُلوبِهم باسِقًا يهْدِى الهُدَى ثمَرَا

سَقَوْه من أنْهُرِ الإخلاصِ صافِيَها ... فاخْضَلَّ يُطْلِعُ من أكْمامِها زَهَرَا[7]

ومن يكُن رَوْضُ غَرْسِ الدِّين مُهْجَتَهُ ... أسْرَى وفازَ بسِرِّ السِّرِّ حين سَرَى

به قد اتَّحَدُوا إذْ كان بينَهمُ ... تَواصُلٌ مَعْنَوِىٌّ من ألَسْتُ جَرَى[8]

لحيثُ دارتْ كؤوسُ الاتِّحادِ على الْ ... أرْواحِ ما اعْتَبَرُوا الأشْباحَ والصُّوَرَا

---

(١) الجحجاح : المسرع إلى المكارم . (٢) فى خلاصة الأثر : « بحق جواره » . (٣) الأبيات فى خلاصة الأثر : ٣/ ٢٥٠ . (٤) فى خلاصة الأثر : « أثنيت حقا » . (٥) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٨ .

(٦) الأبيات فى : « خلاصة الأثر ٣/ ٢٥٠ ، ٢٥١ ، سلافة العصر ٤٠٠ .

(٧) فى سلافة العصر : « من أكمامه زهرا » .

(٨) قوله : « من ألست جرى » يعنى منذ بداية خلقهم ، وهو ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ سورة الأعراف ١٧٢ .

فأجاب الغَرْسُ معتذِراً [1] :

يا شَهْمَ مكةَ يا تاجَ الرُّءوسِ بها ... يا عُنْصُرَ الفضلِ قد بَكَّتَّ مَن عَذَرَا [2]

يا حَبْرَ عِلْمٍ يزيدُ الطَّالِبين بها ... يا بَحْرَ فضلٍ به نَسْتَخرِجُ الدُّرَرَا [3]

يا رَبَّ حِذْقٍ غَدا رَبُّ البَيانِ له ... عَبْدًا وألْقَى عَصا التَّسْليمِ مُفْتقِرَا

يا ألْمَعِيًّا أضاءتْ من لَوامِعِهِ ... مَشارِقُ الذِّهْنِ بالذَّوْقِ الذى بَهَرَا [4]

يا لَوْذَعِيًّا بلا عِيٍّ يُمازِجُه ... أعْيَى وأفْحَمَ كُلًّا قال أو شَعَرَا [5]

يا رَبَّ ظَرْفٍ ولُطْفٍ كَسَّرا خَطَأً ... أغْصانَ غَرْسِى على بُعْدٍ وما شَعَرَا

هل تَرْفِيَنَّ الذى أخْلَقْتَ من حُلَلِى ... أو تَقْبَلَنَّ الذى يأْتِيكَ مُعْتذِرَا [6]

فأجابه القاضى بقوله [7] :

كَلَّلْتَ إكْليلَ تاجِى بالثَّنا دُرَرَا ... لَمَّا بعثْتَ بعِقْدِ المدحِ مُعْتذِرَا

مُضمَّخًا طِيبَ شُكْرٍ عَرْفُ نَفْحتِهِ ... كرَوْضِ غَرْسِكَ حَيَّتْه الصَّبَا سَحَرَا

غَرْسٌ رَوَى حين رَوَّى الفضلُ مَنْبتَه ... للسَّمْعِ نُوَّارُه عن طِيبِه خَبَرَا [8]

غَرْسٌ من المَنْبَعِ الفَيَّاضِ قد سُقِيَتْ ... أعْراقُه فسَمَا يُهْدِى الهُدَى ثَمَرَا

إنِّى عَقَدْتُ وقد عَرَّضْتَ مُعْترِضًا ... لِعِرْضِ قومٍ ثناهُم لم يزَلْ عَطِرَا [9]

هذا إلى ما هُوَ الأحْرَى بنا وبهِ ... إذا اقْتفَيْنا طريقَ القَوْمِ والأثَرَا [10]

---

(١) جواب غرس الدين فى : خلاصة الأثر ٣/٢٥١ ، سلافة العصر ٤٠٠ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « ياشهم مكة قد بكت من عذرا » ، وفى سلافة العصر : « ياسهم بك قد بكت من عذرا »

(٣) فى خلاصة الأثر : « يفيد الطالبين » ، وفيها وفى السلافه : « يابحر فهم » .

(٤) سقط هذا البيت من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٥) فى الأصول : « ياألمعيا بلا عى » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، وفى سلافة العصر : « وأفحم من قد قال » . (٦) المعروف : رفا يرفو الثوب . (٧) جواب القاضى تاج الدين فى : خلاصة الأثر ٣/٢٥١ ، سلافة العصر ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٨) بين هذا البيت والتالى له تقديم وتأخير فى سلافة العصر .

(٩) لم يرد هذا البيت فى سلافة العصر . (١٠) فى سلافة العصر : « هدى إلى ما هو الأحرى » .

فخِرْقَةُ الفَقْرِ إن لم يُوفِ لَابِسُها بشَرْطِها نَبَذَتْه كاسِيًا بِعرَا

عَوْدًا لبَدْءٍ فمِمَّ الاعْتذارُ ولم تُقِرَّ إذْ قلتَ بَكَّتَّ الذى عَذَرَا

وقلتَ فى حَقِّ مَن جَازَى وعَرَّض لم يشعُرْ وأغصانُ غَرْسِى مُخطِيًا كَسَرَا[1]

قد حَصْحَصَ الحقُّ فاعلمْ أنَّما كُسِرتْ أغصانُ غَرْسِ الذى أخطَا وما شَعَرَا

أقْرِرْ بذنبِك ثم اطْلُبْ تَجاوُزَهمْ عنه فَجَحْدُكَ ذنبٌ غيرَ ما غَبَرَا[2]

قضى بما جَرَتِ الأقْلامُ منك بما جَرَى به القلمُ المَختومُ حين جرَى[3]

يَكْبُو الجوادُ ومَن يَعثُرْ يقُلْ كَرَمًا فنسألُ اللهَ غُفْرانًا لمن عثَرَا

* * *

وقال المُرْشِدِىُّ أيضا[4] : كان غَرْسُ الدِّين كتب إلى مولانا القاضى تاج الدِّين أبياتا ، ذكَرنى فيها مُجَرَّداً عن الناصِب والجازم ، بأن قال :

* وأحمدُ المُرْشِدِىّ فى ذاك قد حَضَرا *

ثم اعْتذر مِنِّى ، فكَتبتُ إليه سِتَّةَ أبيات ، وأردْتُ أُكْمِلَها ، فأكْمَلَها السيد أحمد بن مسعود[5] سِتَّةً أخرى ، وبعثْها إليه ، وهى :

غَرَسْنا لغَرْسِ الدين فى قلبنا الوُدَّا فأطْلَع من أكْمامِ أفواهِنا الوَرْدَا

فعطَّرَ لمَّا أن جَنَتْه يدُ الوَفَا وضَاعَ فأذْكَى عَرْفُه العَنْبَرَ الوَرْدَا

سَقَيْناه من عَذْبِ التَّصافِى زُلالَه وما كَدَّرتْ مِنَّا له جَفْوَةٌ وُدَّا

رعَى اللهُ مَن يَرْعَى أخاه إذا هَفَا ويُوسِعُه مِن أن يُقابِلَه حَمْدَا[6]

وذلك غَرْسُ الدِّين لا زال بَاسِقًا برَوْضةِ مَن يسْقِى غَرائِسَهُ المَيْدَا

ويذكُر عَهْداً أحْكَمتْ فى قُلوبِنَا أَوَاخِيه أيْدِى الوُدِّ أكْرِمْ به عَهْدَا[7]

---

(١) فى ب ، ج : « جازى وعرضى لم » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة ، والسلافة . (٢) فى الأصول : « فجحدك ذنب » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة . (٣) فى سلافة العصر : « قضى بأن جرت الأقلام » .
(٤) هذا النقل والقصيدة بعده ، فى خلاصة الأثر ٣/٢٥٢ . (٥) تقدمت ترجمته برقم ٢٦٨ .
(٦) فى خلاصة الأثر : « عن أن يقابله » . (٧) الأخية : حبل يدفن طرفه ، ويربط بطرفه الآخر الدابة .

إمامٌ سَمَا فوقَ السِّماكِ بأَخْمَصٍ   وجاوَزه حتى شَنَا الأَيْنَ والحدَّا
وناظِمُ أشتاتِ العـــلومِ بنَثْرِه   فينْظِمه فى جِيدِ أهلِ الحِجَى عِقْدَا[1]
وكاشِفُ ليلِ الجهلِ من صُبْحِ عِلْمِه   بشمسٍ فتكسُوه أشِعَّتُها بُرْدَا
أتيتَ بفضلٍ فاستحقَّيتَ شاهداً   لأحمدَ فاستَوْلَيتَ عنِّى به مجدَا
وأظهَرتَ بالإفضالِ ما كنتَ مُضمِراً   فكنتَ به أحرَى وكنتَ به أجْدَى
ولا عجَبٌ سَبْقُ الجِيـــادِ لأنها   مُعوَّدةٌ بالسَّبْقِ إن كُلِّفَتْ شَدَّا

فأجابهما بقوله[2] :

أقول وقد غَلَّبْتُ خـــيرَكما جَدَّا   وقاعــدةُ التغليبِ معروفةٌ جِدَّا
حَمِدْتُ إلٰهى أن غرَسْتَ لنا الوُدَّا   أيا أحمـدُ السَّامِى سِماكَ السَّما حَمْدَا
فأينَعَ غَرْسِى بعــد ما كان ذَاوِياً   وأطْلَعَ عن أكْمامِه الزَّهْرَ والوَرْدَا
وإن دامتِ السُّقْيا له مِن وِصالِكمْ   سيُثْمِرُ فى روضِ الرَّسولِ لكم وُدَّا
هنيئاً لغَرْسٍ صار أحمـــدُ ساقياً   له من عيونِ الوُدِّ كأسَ الصَّفا وِرْدَا
فظَلَّ يُراعِى عَهْدَه فى مَغِيبِـــهِ   ويَبْنِى له فى بيتِ مَحْتِدِه عَقْدَا[3]
وذَكَّره عَهْداً أواخِيـــه أحْكَمتْ   يَدُ الوُدِّ فى أرْواحِنا العَقْدَ والشَّدَّا
فعُذْراً لأنِّى قادمٌ وتَراهمُ   يقُولون فى الأمْثالِ والحقُّ لا يُعْدَى
لِكلِّ غَرِيبٍ قادمٍ دَهْشَةُ اللِّقا   بها يَدْرَأُ الحُذَّاقُ عن رَبِّها الحَدَّا
وهَبْنا تَجاوَزْنا الحــدودَ أَلَسْتُمُ   تُقيلون مَن أخْطَا ومَن قد جَنَى عَمْدَا
إذا لم تكونُوا هـــكذا فتخلَّقُوا   بأخْلاقِ مَوْلًى يملِكُ الغَىَّ والرُّشْدَا

---

(١) فى ا : « أشتات العيون » ، والمثبت فى : ب ، ج والخلاصة .

(٢) جواب غرس الدين فى خلاصة الأثر ٣/٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « فى بيت مدحته » .

والعقد ، بالكسر : معروف ، وبالفتح ، ما عقدت من البناء .

لَعَمْرِىَ لو كنتُ البليغَ خِطابُهُ | وأخْطَبَ مِن قُسِّ الإيادِيِّ مَن عَدَّا[1]
ورُمْتُ بأن أُحْصِي فضـائل أحْمَدٍ | لما اسْتَوْعبتْ نفسِي فضائِلَه عَدَّا
هو ابنُ الرَّسولِ المُصْطَفَى وذَوِى الصَّفَا | بنى حَسَنِ الحُسْنَى الذين سَمَوْا مَجْدَا
لهم حُرْمَةٌ يَعْنُو لهـا كلُّ مُسْلِمٍ | بها أخَذَ المولى علينا لهم عَهْدَا[2]
فللهِ آدابٌ بغـيرِ تَطَبُّعٍ | ولـكنَّ مِن سِرِّ الرَّسولِ بها مُدَّا
و « أدَّبـنى ربى » له منه قِسْمَةٌ | بفَرْضٍ وبالتَّعْصِيبِ من إرْثِه مدَّا
ولله شِعْرٌ جاوَزَ الشعرَ رِقَّةً | وجاوَزَ للشِّعْرَى العَبُورِ بما أبْدَى[3]
ولا عَجَبٌ من ذاك عندى ورَبِّه | بعِزَّتِه قد جاوَزَ الأيْنَ والحَدَّا
وناظِمُ عِقْدِ المَكْرُماتِ بِكَفِّه | وينْثُره جُوداً فيُحْيِي به فَقْدَا
وقد كان منك الفضلُ قِدْماً ومَقْدَماً | بسابِقةٍ تستوجِب السَّعْىَ والوُدَّا[4]
فأظْهَرْتُ بالأبْياتِ ما كان مُدْغَماً | ويَمَّمْتُ بالإخْفاء بيتاً حَوَى عَوْدَا
فشِمْتُ به تاجاً على الرأسِ مُشْرِقاً | فعانَقْتُه حُبًّا وهِمْتُ به وجْدَا
وداخَلـنِي منه حَياءٌ ودَهْشَةٌ | لِمَا كان من وَهْمٍ فأوْرَثَنا حِقْدَا
وقابلْتُه بالرُّحْبِ والبِشْرِ فَرْحَةً | ولم نَرَ منه حين حان اللِّقَا صَدَّا
ولا عَجَبٌ سَبْقُ الجِيادِ فإنها | مُعَوَّدَةٌ بالسَّبْقِ ما كُلِّفَتْ شَدَّا
ولَسْتُ بمُحْصٍ كما قال باهِتٌ | ولـكنْ خَليـلِيٌّ تَميمِيٌّ اسْتَهْدَى
وجَدِّى من الآباء فيما رُوِى أبو | سعيدٍ هو الخُدْرِىُّ أكْرِمْ به جَدَّا[5]

---

(١) فى الأصول : « وأحطيت من قس » ، وفى خلاصة الأثر : « وأخطات من قس » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٢) مكان هذا البيت فى خلاصة الأثر :

ملوكٌ ملوكُ الأرضِ رِقٌّ وَلائِهِمْ | وحُبُّهُمُ أنجَى وبُغْضُهُمُ أرْدَى

(٣) الشعرى العبور ، والشعرى الغميصاء : أختا سهيل . القاموس (ش ع ر) .

(٤) فى خلاصة الأثر : « قدما مقدما . . . السعي والعودا » . (٥) فى خلاصة الأثر : « وأكرم به جداً » .

وذاكَ من الأنْصارِ أنْصارِ جَدِّكُمْ ... رسولٌ به نِلْنَا عُلَا الجَدِّ والجِدَّا[1]

عليه صـلاةُ اللهِ ثم سلامُه ... وآلٍ وصَحْبٍ والمُحِبُّ لهم جِدًّا

أجِدَّكَ هذا القَدْحُ فيمَن يُحِبُّكمْ ... ويَحْمَدُكم مَدْحًا ويَمْدَحُكم حَمْدَا[2]

وما أصْلَتَتْ كَفَّاكَ يا مُصْلِتًا على الْ ... أعادِى سَيْفًا باتِرًا ماضِيًا حَدًّا[3]

فَحَسْبِىَ عِلْمُ اللهِ واللهُ عُـدَّتِى ... وذِمَّةُ خَيْرِ الرُّسْلِ تكْفِى مَن اسْتَعْدَى

* * *

ومن شِعره قولُه ، من أبيات كتبها فى صَدْر رسالة ، إلى يوسف المُسَيْلِى[4] القُدْسِىّ :

يا مَن إليـه تشَوُّقِى وتَشَوُّفِى ... قلبِى يُحَدِّثنى بأنَّك مُتْلِفِى[5]

هل قد عَرَفْتَ بأنَّنى لك مُصْطَفٍ ... رُوحِى فِداكَ عَرَفْتَ أم لم تعْرِفِ

ولقد أقول لِلَائِمِى فى حُبِّكمْ ... أيُلامُ مَن يهوَى الجمـالَ اليُوسُفِى

إن جئْتنى مِصْرًا فقد أسعَفْتنى ... يا خَيْبَةَ المَسْعَى إذا لم تُسْعِفِ

ما حَبَّنى بالصِّدْقِ شَخْصٌ غيرَكم ... حقًّا وكيف يُحِبُّ مَن لم يَعْرِفِ

أوْفُوا لوَعدِى سُرْعةً من فضلِكمْ ... كَرَمًا فإنِّى ذلك الخِلُّ الوَفِى[6]

لو قد وَهبْتُ مُبَشِّرِى بقُدومِكمْ ... رُوحِى وحَقِّ جَمالِكم لم أُنْصِفِ

ولقد كَلِفْتُ بحُبِّ أصْلِكمُ لِذَا ... كَلَفِى بكم خُلُقٌ بغيرِ تَكَلُّفِ

* * *

(١) الجد ، بالفتح : الحظ ، وبالكسر : إتقان العمل والاجتهاد فيه . والألف فيه للاطلاق ، نصبت الدال لضرورة القافية . (٢) فى القاموس (ج د د) : « وأجدك لا تفعل ، لا يقال إلا مضافا ، وإذا كسر استحلفه بحقيقته ، وإذا فتح استحلفه ببخته » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « يامطلقا على » . وفى ا : « ماضيا هدا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى ا : « الملى » ، وفى ب : « العسلى » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة ، والأبيات فيها ٣/٢٤٨ . والمترجم يشطر فى هذه الأبيات أبيات ابن الفارض المعروفة .

(٥) التشوف : التطلع إلى الشىء . (٦) فى ا : « وافوا لوعدى » ، وفى خلاصة الأثر : أوفوا لما واعدتمونى سرعة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ومن مُقطَّعاتِه قولُه :

مَن يطلُبِ الإنْصافَ فى عصرِنا ... فذاكَ من حُمْقٍ به مُنكَشِفْ

كيف وعَيْنُ الشرْعِ مَقْلُوعَةٌ ... وشَمْسُه فى أُفْقِه تَنْكَسِفْ

* * *

مثله لعبد البَرّ الفَيّومِىّ [1] :

مَن رَام فى ذا العصرِ إنْصافَهُ ... والشَّرْعِ من حُكّامِهِ لم يُصِبْ

قُضَاتُه قد قَلَعُوا عَيْنَه ... فشَرُّهم من نَقْصِهم مُنْتَصِبْ

* * *

وقوله [2] :

إذا رأيتَ وَلِيًّا ... مُغْرًى بحِرْصٍ وبُخْلِ

فليس ذاكَ وَلِيًّا ... للرَّبِّ بل عَبْدُ جَهْلِ

* * *

وقوله [3] :

إنى لأعْجَبُ مِمّا ... صارَ الزَّمانُ إليْهِ

إذْ ما بَكَيْتُ لدهرٍ ... إلَّا بكَيْتُ عليْهِ

* * *

هذا كالاخْتصار لقول ابن المُعْتَزّ [4] :

عَجَبًا للزَّمانِ فى حالَتَيْهِ ... وبَلاءٍ دُفِعْتُ منه إليْهِ

رُبَّ يَوْمٍ بَكَيْتُ منه فلمَّا ... صِرْتُ فى غيرِه بَكَيْتُ عليْهِ

*

---

(١) تأتى ترجمته برقم ٣٣٩ .

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٢٤٨ . (٣) خلاصة الأثر ٣/٢٤٧ .

(٤) كذا جاء فى الأصول . والبيت الثانى فى : التمثيل والمحاضرة ١٠٦ ، نهاية الأرب ٣/٩٨ منسو لابن بسام ، وهو فى التمثيل أيضاً ٢٤٧ دون نسبة ، ولم أجد البيتين فى ديوان ابن المعتز .

٣٢١

السيد محمد بن عبد الله
الشهير بِكِبْرِيت*

مُفْرَد قائمٌ بجَمْع ، وله خَبَرٌ حِلْيَةُ فَمٍ وسَمْع .

أكْثَرَ من الرِّحْلة والانتقال ، وتحمَّل بِنِحْلةِ أهلِ الحال الأعْباء الثِّقال .

طالبا نَشِيدةَ حَقٍ يَعْقِلُها ، وصَيْقَلًا[1] يفْتح عن[2] مِرْآتِه الصَّدِئةِ ويصْقُلُها .

ثم رجَع إلى وطنِه وأقام بها مُعْتَزِلا ، وقد تبَوَّأ من رياسةِ العلم مَحَلاًّ ومَنْزِلا .

وألَّف تآليف أحْسَن فيها ما شا ، وأتى فيها من الغَرائِب بما مازَج سُلافةَ طَرَبٍ وانْتِشا .

فتنبَّهَ له حِزبٌ رَمَوْه بشَرَرِ الانتقاد ، وزعَمُوا أنه قد أساء الاعتقاد .

ونَسَبُوا إليه كلِماتٍ هو من اعتقادِ ظاهرِها برِىءٌ ، وأنا ما أحقِّقُه إلَّا من كلِّ سُوءٍ عَرِىٌ .

ومِثْلُ هذا فيه لا يَقْدَح ، فما زالت الأشْرافُ تُهْجَى وتُمْدَح .

(*) السيد محمد بن عبد الله بن محمد الحسينى ، المعروف بكبريت .

ولد سنة اثنتى عشرة وألف بالمدينة ، وبها نشأ ، وحفظ القرآن ، واشتغل بالعلوم النقلية والعقلية ، وقرأ على جماعة منهم : عبد الملك العصامى ، وعبدالرحمن بن عيسى المرشدى ، وعبد الله بن ولى الحضرمى ، والأستاذ محمد بن زين العابدين البكرى .

ورحل إلى الروم سنة تسع وثلاثين وألف ، ودخل دمشق ، ثم رحل إلى القاهرة ، ثم رجع إلى المدينة وله مؤلفات كثيرة ؛ منها : « رحلة الشتاء والصيف » ، « نصر من الله وفتح قريب » .

توفى سنة سبعين وألف ، ودفن ببقيع الغرقد .

إيضاح المكنون ١/١٨٢ ، خلاصة الأثر ٤/٢٨ ـ ٣١ ، سلافة العصر ٢٥٦ ـ ٢٥٨ .

(١) فى ا : « وصقيلا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « من » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وداعيةُ ذلك ما قاله ابنُ مَعْصوم ، من أنه لم يكن له فى سائرِ العلوم ، رُسوخَ قَدَم معلوم .

قال : وأخبرنى الوالدُ بسَماعِه عنه ، أن أستاذَه خالَف فى تعليمه النِّظام ، فنقلَه من « الأجُرُومِيَّة » إلى « الكَشَّاف » ، وأبدَله « النَّشاف » من « الارْتشاف »[1] .

انتهى .

* * *

قلتُ : وهو فى الأدب ممَّن سَلَّم له أهلُه ، وله شِعرٌ يُعرَف منه مُنطبِع القَوْل وسَهْلُه .

فمنه قوله[2] :

هَبُوا أنَّ ذاك الحسنَ عَنِّى مُحَجَّبٌ ... أليس برَيَّاهُ سَرَتْ نَسْمةُ الصَّبَا

إذا رُمْتَ أن تُبْدِى مَصُوناتِ خِدْرِه ... فحدِّثْ بذاك الحىِّ عن ذلك الخِبَا

* * *

وقوله[3] :

أرى مُطالعَتِى فى الكُتْبِ ما نَفَعتْ ... لعل وجهَك يُغْنِينِى عن الكُتُبِ

فمن رأى وَجْهَك الباهِى وطَلْعَتَهُ ... فإنَّه فى غِنًى عن كلِّ مُكْتَسَبِ[4]

* * *

وقوله[5] :

وإذا جلستَ إلى الرجالِ وأشرقتْ ... فى جَوِّ باطِنِك المَعانى الشُّرَّدُ[6]

فاحْذَرْ مُناظَرةَ الجَهُولِ فرُبَّما ... تَغْتاظُ أنت ويستفيد فيحسُدُ[7]

---

(١) ارتشاف الضرب لأبى حيان النحوى ، والنشاف : الماء القليل. (٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/ ٢٩

(٣) خلاصة الأثر ٤/ ٢٩ . (٤) فى خلاصة الأثر : « وجهك الباهى وبهجته » .

(٥) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/ ٣١ ، سلافة العصر ٢٥٨ .

(٦) فى خلاصة الأثر : « وإذا جلست مع الرجال » . (٧) فى سلافة العصر : « ويستفيد فيجحد » .

وقوله مُضَمِّناً(١) :

مالى ولِلْمَجْدِ والأيّامُ عابِسةٌ ... والحظُّ والحظُّ طُولَ الدهرِ فى عَتَبِ
ما أصْعَبَ الشَّىْءَ تَرْجُوه فتَحْرَمُه ... لا سِيَّما بعد طولِ الجُهْدِ والتعَبِ

* * *

وقوله(١) :

يُنازِعنى شَوْقِى إلى الهندِ تارةً ... وأُخْرَى لأرْضِ الرُّومِ والشَّوْقُ لا يُجْدِى
وما الهندُ من قَصْدِى ولكنْ بِسُوحِها ... رأى قَصدَه فيها الفؤادُ من الوَجْدِ

* * *

وقوله(١) :

يا مَن يُؤمِّل راحةً من دهرِه ... صَبْراً على ما رُمْتَ من أمْرٍ عَسِرْ
فكُنِ اسْمَ فعلٍ لا يُؤثِّر عامِلٌ ... فيه وإلّا فالضَّمِيرَ المُسْتَتِرْ

* * *

وقوله(٢) :

يا لائِمِى فى حُبِّ مَنْ ... عَزَّتْ علىَّ رُبُوعُهُ
خَفِّضْ عليك وخَلِّنِى ... أحْلَى الهوَى مَمْنُوعُهُ

* * *

وقوله(٣) :

كم من يَدٍ قَبَّلْتُها ... ولو اسْتطعْتُ قطَعْتُها

* * *

وهو من قَول الأوّل(٤) :

---

(١) البيتان فى سلافة العصر ٢٥٨ .
(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/٢٩ .
(٣) البيت فى سلافة العصر ٢٥٨ .
(٤) سلافة العصر ٢٥٨ .

وكم من يدٍ قبَّلتُها لِتَقِيَّةٍ   وكان مُرادِى قَطْعَها لو أُمكِّنُ [١]

* * *

وقوله مُضَمِّناً [٢] :

يا من يقول بأنَّ طَعـ   مَ لَمَى الحبائِبِ لم يَرُقْ

وغَدا يُعنِّف فى الهوى   دَعْ عنك تَعنِيفى وذُقْ

* * *

وقوله ، مُوَرِّياً فى المولى عُشَّاق [٣] :

قد قلتُ للمجدِ مَن تَهوى تُواصِلُه   فكلُّنا لك ذو وَجْدٍ وأشْواقِ

فقال لى بلِسانٍ غيرِ مُعتذِرٍ   لا أشْتَهِى أن أُوافى غير عُشَّاقِ [٤]

* * *

وقوله [٥] :

ليست على الحُرِّ الكريمِ مَشَقَّةٌ   بأضَرَّ من أن لا يَرَى أمثالَهُ

ذاك الغريبُ وإن يكُنْ فى أهلِه   وارْحمتاهُ له لِمَا قد نالَهُ

* * *

وقوله [٦]

مَن قال لا فى حاجةٍ   مَطلوبةٍ فما ظَلَمْ

وإنما الظالمُ مَن   يقول لَا بعد نَعَمْ

* * *

---

(١) فى ا ، والسلافة : « لو أمكنا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) البيتان فى سلافة العصر ٢٥٨ .   (٣) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٣١ ، سلافة العصر ٢٥٨ ، ٢٥٩ . وفيهما : « موريا فى المولى عبد الرحمن العشاق » .   (٤) فى خلاصة الأثر : « بلسان غير مقتدر »

(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/٢٩ .   (٦) البيتان فى سلافة العصر ٢٥٨ .

وأنشد لنفسه فى « رحلته » مُضمِّنا[١] :

فارقْتُ مكةَ والأشواقُ تجذِبُنِي لما وعَمْتُ طهَ معْدِنَ الكَرَمِ
فهل دَرَى البَيْتُ أنِّى بعد فُرْقَتِهِ ما سِرْتُ من حَرَمٍ إلَّا إلى حَرَمِ[٢]

* * *

وسبَقه إليه العِمادِىّ[٣] ، فى قوله :

فارقتُ طَيْبَةَ مَشْغُوفاً بطَلْيِها وجئتُ مكةَ فى وَجْدٍ وفى أَلَمِ[٤]
فهل درَى البيتُ أنِّى بعدَ رُؤْيتِهِ ما سِرْتُ من حَرَمٍ إلَّا إلى حَرَمِ

* * *

وله يفتخر[٥] :

نشأتُ بفضلِ اللهِ فى ظِلِّ دَوْحَةٍ سَمَتْ بنَبِيٍّ كنتُ من بعضِ عِتْرَتِهْ
فإن شئتُ فى سَفْحِ العَوالِى وإن أشا بدارِ الذى طابتْ وطالَتْ بِهِجْرَتِهْ
فهاتيكَ دارٌ للحبيبِ وهذه بها مَنْزَهِى ياصاحِ من حول حُجْرَتِهْ

* * *

وقال فى تفضيل العَالية[٦] :

أراكَ تُعالِى فى العَوالِى وفى قُبَا وأنت على وَهْمِ الخيالِ تُعوِّلُ[٧]
إلى كَمْ تُرَى تَهْوَى الذى أنت سائرٌ إلى غيرِه إذْ أنت عنه تحوّلُ
فكُن سائرًا فى لَا مُقامَ فإنما تقلُّب فى شأنٍ لشأنٍ وتَرَحّلُ

* * *

(١) البيتان فى سلافة العصر ٢٥٨ .   (٢) هذا البيت المضمن فى ريحانة الألبا ١/ ٣٨٠ أيضاً .
(٣) لعله المولى عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادى الحنفى ، وتقدم ذكره .
(٤) فى ا : « مشغوفاً بطيبتها » ، وفى ج : « مشغوفاً لطيبتها » ، والمثبت فى : ب .
(٥) فى ب : « يفخر » ، والكلمة ساقطة من : ج ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة ٤/ ٢٩ ، ٣٠ ، والشعر فيها .
(٦) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/ ٣٠ .
وسيعرف المؤلف بالعالية فيما بعد .
(٧) قبا : قرية على ميلين من المدينة ، على يسار القاصد إلى مكة . معجم البلدان ٤/ ٢٣ .

العَالِية : أرضٌ ذات رياض فائقة .

قال فى « الوفا »[1] : هى من المدينـة ما كان فى جهة قِبلتها من قُباء وغيرها ، على مِيل فأكثر ، وأقصاها عمارة على ثلاثة أميال وأربعة إلى ثمانيـة أو ستة ، على الخلاف فى ذلك . انتهى .

ووَجْهُ التَّسْمية جَلِىّ ؛ لأن السيولَ تنحَدر من تلك النَّواحِى العالية ، إلى سَوافِل المدينة ، فعلى ذلك يُقال : نزلْنا من العَوالِى إلى المدينة ، وطلَعْنا إلى العوالى .

* * *

وله فى مَدْحها قِطَعٌ كثيرة غير هذه ، فمنها قولُه[2] :

فَضْــلُ العَوالِى بَيِّنٌ ولأهْلِها ... فضْــلٌ قَديمٌ نُورُه يَتهلَّلُ

مَن لم يقُل إنَّ الفضيلةَ طَنَّبَتْ ... أرْضَ العَوالِى وهْو حَقٌّ يُقْبَلُ[3]

إنِّى قَضَيْتُ بفضْلِهــا وأقولُ فى ... وَادِى قُبَـا الفضلُ الذى لا يُجْهَلُ

* * *

وقوله[4] :

إذا كنتُ فى أرضِ العَوالِى تشوَّقَتْ ... لأرضِ قُبَا نَفْسِى وفيهــا المُؤَمَّلُ

ولو كنتُ فيها قالت النفسُ ليت لِى ... بأرض العَوالى ياخليلِىَ مَـنْزِلُ

فياليتَ أنِّى كنتُ شَخْصيْن فيهما ... وماليْتَ فى التَّحْقِيق إلَّا تعَلُّلُ

* * *

وله من أبيات ، قالها بالرُّوم ، يتشوَّقُ[5] إلى مَعاهِدِه[6] :

ماأطْيَبَ الأيامَ فيهـا تَنْقَضِى ... والعَيْنُ قد قرَّتْ بوصلِ حَبِيبِهَـا

---

(١) الوفا ٤/١٢٦٠ ، ١٢٦١ بتصرف .   (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٣٠ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « إن الفضيلة طابت » ، وفى ا : « وهى حق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٣٠ .   (٥) فى ا : « يتشوف » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٦) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/٣٠ .

مَا العيشُ إلَّا فى حِمَاهَا ليت لى   مَأْوًى ولو فى سَفْحِها ورَحِيبِهَا

* * *

وله فى الشّام :

وما الشّام إلَّا فى البلادِ كشَامَةٍ   وأقْمارُ وَادِيه الشَّمِيم تِمامُ
فحَيَّى مُحيّاهـا الإلهُ وزَانَه   ولا زالَ بَرْقُ الحُسْنِ فيه يُشَامُ

* * *

ومن روائعه قولُه[١] :

الحمـــدُ للهِ على ما أرَى   من ضَيْعَتِى مابين هـذا الوَرَى
صَيَّرنى الدهرُ إلى حالةٍ   يَرْثِى لهـا الشَّامِتُ مِمَّا يَرَى
بُدِّلْتُ من بعد الرَّخَا شِـدَّةً   وبعـد خُبْزِ البيتِ خُبْزَ الشِّرَا
وبعد سُكْنَى منزلٍ مُبْهِجٍ   سكنتُ بيتاً من بيوتِ الكِرَا
ولو تحقَّقتُ الذى نالَـنِى   لانقَطَعَ الشَّكُّ وزَال المِرَا

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٣٠ .

٣٢٢

أحمد بن عبدالله بن أبي اللُّطف البَرِّيّ*

البَرُّ الوَصُول ، الزّاكي الفُروع والأُصول .

إذا قام على أرِيكةِ مِنْبَر ، شهِد ببلاغتة العالم من فاجِرٍ ومن بَرّ .

فلو رآه سَحْبان لاسْتحْيي من أن يقول أمّا بعد ، أو سمع ابن نُباتة خُطَبَه قال : هذا سَعْدٌ لم ينَلْه بنو سَعْد .

مع خطٍّ يحْسُن ويرُوق ، ولفظٍ تُومِض في حِبْرِه المعنى الأصيل بُرُوق .

وهو عالى الإسْناد ولا نَظِيرَ له في العَوالِي ، وأدبُه ممّا تحلَّتْ به العُصُر القريبةوخلَت عن مثله العُصُرُ الخوالِي .

* * *

وقد أوردتُ من شعرِه مايتأرّج في الآفاق شَذَى طِيبِه ، وتُجْتلَى في ذِرْوة الثّناء بلاغةُ خَطِيبِه .

فمنه قولُه من قصيدة أولها :

قامتْ تُرِيكَ البدر إذ تخْطُرُ ... عَذْراء مَن هام بهــا يُعذَرُ

بديعةُ الأوصافِ عُــذْرِيّةٌ ... يَغار منهــا الظَّبْيُ والجُؤْذُرُ

أخالُ ذاكَ الخال في خَـدِّها ... فَتِيتَ مِسْكٍ شابهُ عَــنْبَرُ

(*) أحمد بن عبد الله بن أبي اللطف البرى الحنفي المدني الخطيب .

ولد سنة عشرة بعد الألف بطيبة ، وبها نشأ ، وقرأ القرآن بالروايات .

ورحل إلى مكة ، وأخذ عن علمائها ، وأجازوه .

وله أشعار حسان ، ونثر جيد .

وتوفي سنة اثنتين وتسعين وألف ، ودفن في بقيع الغرقد .

حديقة الأفراح ٥٤ ، ٥٥ ، خلاصة الأثر ١/ ٢٣٠ – ٢٣٢ ، سلافة العصر ٢٥٨ – ٢٦٨ .

إذا تبدَّتْ وَدَّ بدرُ الدُّجى ... لو كان بالسُّحْبِ إذاً يُستَرُ

عادت بها أعيادُ عصرِ الصِّبا ... عصراً به تفتخرُ الأعصُرُ

أيامَ كان الأُنسُ فى قبضتِى ... يُصْغِى لما أنهَى وما آمُرُ

وكنتُ فى اللَّذَّاتِ مُسترسِلًا ... والعيشُ غضٌّ غصنُه أخضرُ

أجُرُّ ذَيلَ اللَّهوِ لا أرعَوِى ... ظنًّا بأن الغصنَ لا يُهصَرُ

فلم أُفِقْ مذ كنتُ فى عشقتِى ... إنِّى على العرْف بها المُنكَرُ

حتى أناخَ الشَّيْبُ فى لِمَّتِى ... والشيبُ ضيفٌ صار يُستنكَرُ

فقلتُ للنفسِ ألا فارعَوِى ... فقد أناخَ الصَّارخُ المُنذِرُ

* * *

وكان القاضى تاجُ الدِّين المالِكىّ[1]، توجَّه إلى المدينة، فى سنة أربع وخمسين وألف، فمدَح أهلَها بهذه الأبيات[2]:

ياساكِنِى طَيْبةَ فَخراً فقد ... طابتْ فروعٌ منكمُ والأصولْ

وآيةُ الأنصارِ فيكم سرَتْ ... كأنما المقصودُ منها الشُّمُولْ

تُصْفُونَ مَحْضَ الوُدِّ مَن جاءكم ... فما عسى مادحُكم أن يقولْ

وليَهْنِكُمْ ماقد خُصِصْتُم به ... فيالَها خصيصةً لا تزُولْ[3]

جاوَرْتُمُ المختارَ خيرَ الورَى ... وفُزْتُمُ فى سُوحِه بالحلولْ

* * *

فأجابه البَرَّىّ بقوله[4]:

أعظِمْ بأهل الرُّكْنِ مِن سادةٍ ... فى مَوْقِعِ العَلْياءِ جَرُّوا الذُّيولْ[5]

---

(١) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٨. (٢) خلاصة الأثر ١/ ٢٣٠، ٢٣١، وفيه أن ذلك كان سنة خمس وأربعين وألف، سلافة العصر ٢٦٦، ٢٦٧. (٣) فى السلافة: «فليهنكم»، وهكذا فى الأصول، والخلاصة، والسلافة «خصيصة». (٤) جواب البرى فى: خلاصة الأثر ١/ ٢٣١، سلافة العصر ٢٦٧.
(٥) فى خلاصة الأثر، وسلافة العصر: «فى مفرق العلياء».

جيرانِ بيتِ اللهِ مَن قَدْرُهمْ تَحارُ فى دَرْكِ مَداه العُقــــولْ
بمــكَّةَ حلُّوا فحلَّوا بهــا جِيدَ المَعالِى حِلْيَـــةً لا تزُولْ
مَن مثلُهم والفضلُ حقًّـا لهم ومنهمُ التــاجُ إمامُ النُّقول[1]
رئيسُ هذا العصرِ مِن جِـلَّةٍ سَمادِعٍ غُرٍّ كِرامٍ فحُولْ[2]
أخلاقُه كالرَّوضِ مِن لُطفِها ولُطْفُها تخجلُ منه الشَّمُولْ[3]
أكْرِمْ به إذْ قال مِن أجْلِنا طابتْ فروعٌ منكمُ والأُصولْ
وآيةُ الأنْصارِ فيــكم مَرَتْ لــكنَّنى بالإذْنِ منــكم أقولْ
يانُخْبةَ الأنْصارِ منــكُم لنا حتى شهِدْتُم وَصْفَـكُم لا يحُولْ[4]
وأنتمُ جِـيرانُ ذاكَ الحِمَى والآن أنتُمْ فى جِوارِ الرَّسولْ
جمعتُمُ فضــلاً إلى فَضْلِـكمْ فَسُدْتُمُ الناسَ وحَقَّ المَقولْ
فاللهُ ربُّ العرشِ سبحــانَه يُولِيكمُ الحُسْنَى وحُسْنَ القَبولْ
حتى تُوافُوا القَصْدَ فى نِعْمةٍ تَتْرَى وعمرٍ فى سُرورٍ يَطُولْ
ودولةُ الأفضــالِ تَسْمُو بكمْ وتزدِهى طَوْراً وطَوْراً تصُولْ
ماغَرَّدت وَرقاء فى روضـةٍ غَنًّا وغنَّت حين طاب الدُّخول[5]

***

ومن لطيف ماوقع[6] له مع القاضى تاج الدِّين المذكور، أنه رأى فى المنـام فى العام المذكور[7]، الذى زار فيه تاجُ الدين، كأنه فى مجلس دَرْسِه بالرَّوضة الشريفة، وإذا بالتَّاج داخِل من باب السَّلام، وهو قاصدٌ الحضرةَ النَّبويَّةَ، فلمـا

(١) فى خلاصة الأثر: «والفضل حق لهم». (٢) فى السلافة: «من جلة». والسميدع: السيد الكريم الشريف السخى.
(٣) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر. (٤) فى السلافة: «منكم بنا».
(٥) فى خلاصة الأثر: «فى دوحة»، وفى السلافة: «حين طاب الوصول».
(٦) القصة فى: خلاصة الأثر ٢٣١/١، ٢٣٢. (٧) تقدم أنه كان عام أربع وخمسين وألف.

قَضَى الوَطَرَ من التحية والزِّيارة ، جاء إلى المجلس وقعد ، فأنشد البَرِّىُّ بيْتَيْن بَدِيهاً ، وهما :

أمْوْلاىَ تاجَ الدِّين لا زِلْتَ ذا عُـلًا … على الهام والأوهامُ ليست لِذِى فِطَنْ[(١)]
إذا كنتُمُ فى مجلسٍ كان أهـلُه … بأجْمَعِهِم خُرْسـاً وأنت لك اللَّسَنْ

ثم انْتبه وقد حفظهما ، ثم لم تكن إلا نحو[(٢)] عشرة أيام من هذه الرؤيا ، حتى وصل التَّاجُ ، وكان دخوله للمسجدَ الشريف من باب السَّلام ، والبَرِّىُّ فى مجلسِ دَرْسِه ، على الصِّفَة التى كانت فى الرُّؤيا .

ثم لم يلبثْ أن جاء إلى المجلس ، فتلقَّاه ، وجلَس فى الموضِع الذى جلس فيه ، وأشار باسْتمرارِ القراءة ، فأنشده البَرِّىُّ البيتْين ، ثم أخبره بالرُّؤيا ، فقَضَى العجبَ ، واسْتَبْشَر ، ثم بعدَ قِيامه من المجلس أنشده مُعتذِرا ومُتشكِّرًا : .

لئن كـان قَدْرِى مِثلَما قلتَ عنـدما … تَواضَعْتَ إذ أطْبقْتَ كُتْبكَ فى الوَسَنْ[(٣)]
فقـد صحَّ بالأخْرَى اتِّصافُك بالذى … وَصَفْتَ به المملوكَ من ظَنِّك الحَسَنْ
لأنى وإنْ أحْرَزْتُ ذلك إننى … لَدَيْك أخو صَمْتٍ وأنت لكَ اللَّسَنْ[(٤)]

---

(١) فى خلاصة الأثر : « ليست بذى فطن » . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، الخلاصة ، والسلافة . (٣) فى الخلاصة ، والسلافة : « إذا طبقت كتبك » .
(٤) فى الخلاصة والسلافة : « ذاك فإنى » .

٣٢٣

إبراهيم بن عبد الرحمن الخِيَارِىّ*

هو للفَضْل خَلِيل ، ومَقامُه كمَقامِ أبيه جَلِيل .

فهما من خِيار الخِيار ، وبهما بَاهَتْ مدينةُ النبيِّ المختار .

وكان أبوه[1] سقى اللهُ عَهْدَه ، ووَطَّأَ فى الفِرْدَوْس مَهْدَه ، عَلَمَ عِلْمٍ وفضل ، ومَوْطِنَ رأْىٍ أَسَدَّ وقولٍ فَصْل .

فلم يختَرْ دارَ القَرار ، حتى وَافاه تَوْفِيةَ الصُّلَحاء الأبْرار .

فطلَع فى جبهةِ[2] الدهر غُرَّة ، يملأ عينَ بنى الفضل قُرَّة .

وقعَد مَقْعَدَه بين كتاب الله يُتْلَى ، وحديثِ رسولِه يُرْوَى .

(*) إبراهيم بن عبد الرحمن بن على الخيارى المدنى الشافعى .
ولد سنة سبع وثلاثين وألف .
واشتغل على والده ، وأخذ عنه ، وعن محمد بن علاء الدين البابلى ، وغيره .
رحل إلى دمشق ، والروم ، ومصر ، والقدس ، والخليل ، وغزة ، ثم عاد إلى المدينة المنورة .
وقد اشتغل بالتدريس بعد وفة أبيه ، وله مؤلفات ؛ منهـا : « تحفة الأدباء وسلوة الغرباء » ، و « خلاصة الأبحاث والنقول فى الكلام على قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول » » .
وكان مشهوراً بالبراعة فى الحديث ، والمعارف ، وفنون الأدب ، والتاريخ .
توفى سنة ثلاث وثمانين وألف بالمدينة فجأة ، ودفن بالبقيع .
خلاصة الأثر ١/٢٥ ــ ٢٨ .

(١) هو عبد الرحمن بن على بن موسى الخيارى الشافعى .
نزيل المدينة المنورة ، وخطيبها ، ومحدثها ، الإمام الجليل .
أخذ عن علماء مصر ، مثل النور الزيادى ، وأبى بكر الشنوانى ، وأحمد الغنيمى ، ومحمد الخفاجى وأجازوه ، وشهدوا له بالفضل ، وتصدر للاقراء بالجامع الأزهر .
ثم هاجر إلى المدينة المنورة ، وسكنها سنة تسع وعشرين وألف ، وانتفع به أهلها .
توفى سنة ست وخمسين وألف ، ودفن ببقيع الغرقد .
خلاصة الأثر ٢/٣٦٧ ، ريحانة الألبا ١/٤٤٥ .

(٢) كان دخوله دمشق أول مرة ، سنة ثمانين وألف . انظر خلاصة الأثر ١/٢٥ ، ٢٦ .

تُؤْثِرُه الرُّتَبُ على غيره ، وتَتباهَى المَعالى بِحُسْنِ سَيْرِه .

ونُظَراؤُه بنَباهتِه تَعْتَرِف ، وكأنه بحرٌ منه الألْبابُ تغْتَرِف .

ثم عَمَد لأمْرٍ دَعاه إلى الرِّحلة ، فشَدَّ إلى جهةِ الرُّوم رَحْلَه .

ولا مَطْمَحَ إلّا مِنَّةٌ من الله تَصُوب ، وعنايةٌ يسْتردُّ بها حَقٌّ مَغْصوب .

فورَدَ دِمَشْق ، وأقام بها قليلا ، ثم دخل الرُّوم فنال بها حَظًّا جليلا .

وأدرك أمَانِيه على العَجَل ، وبَرِئَ الدهرُ عنده ممَّا كان فيه من الوَجَل .

ثم قدِم دِمَشْق[1] فهوتْ إليه القلوبُ مُقْبِسةً من سَنَاه ، وتنافسَت الألسنة فى إحْرازِ مَدْحِه وثَناه .

وكنتُ ممَّن أسْرع إليه ، وأوْقفْتُ أمَلِى فى الاسْتفادة عليه .

فلزمتُه لُزومَ الظِّلِّ للشَّبح ، وأخذتُ عنه طرَفًا من الطُّرَف والسُّبَح .

سمعتُ القولَ الذاهبَ مَذْهَبَ الطَّيْفِ الوارِد ، وذُقْتُ الأرْىَ[2] الذائبَ خلالَ الجامد ، من بَرَد المُفْتَرّ البارِد .

ثم رحَل على مصر إلى ديارِه ، وألْقَى بها بعد هُنَيْدَةٍ عصَا تَسْيارِه .

فى حَظٍّ قد اكْتَمل ، واطِّلاعٍ على أخايِرِ الذَّخائر اشْتَمل .

لكنه لم يسْتدرِكْ ما فَاتَه، حتى قدَّر اللهُ تعالى وَفاتَه .

فلا برحت سحبُ الرحمةِ تُحَيِّى قبرَه وتجُودُه، حتى تتروَّى من ثَراه تَهائِمُه ونُجُودُه .

* * *

وقد أثبَتُّ من شِعره بدائعَ تُقْتَنَى ، وروائعَ بها على حُسْنِ الأُسلوب يُعْتَنَى .

فمن ذلك قولُه من قصيدة ، أوّلُها :

زارتْ على غَفْلةٍ من غيرِ ميعادِ ... جَيْداءُ تسحبُ تِيهًا خيرَ أبْرادِ

كالشمسِ إن وضَحتْ والبدرِ إن لَمَحتْ ... والوَرْدِ إن سَمَحتْ فى خَدِّها نادِى

---

(١) يعنى قدمته الثانية بعد رجوعه من الروم .

(٢) الأرى : العسل .

حَوْراءُ ما حلَّتْ لى نَظْرَةً حَرُمَتْ ... لـكنْ أذابتْ بَحَرِّ الهجْرِ أكْبادِى
يا وَيْحَ قلبى بها كم ذاق مِن حُرَقٍ ... حتى لقد شَيَّبَتْ بالْبُعْدِ أفوادِى
أبـكِى وأكتُمُ دمعى كاتماً لأَسَى ... نِيرانُه فى الحَشَا آلَتْ لِإيقادِ
يا صاحِبَىَّ إذا ما رُمْتُما سَكَنِى ... عُوجَا قليلًا كذا عن أيْمَنِ الوادِى
أو رُمْتُما شَرْحَ حالِى فى الهوَى فلقد ... غُذِيتُ دَرَّ الهوى من قبْل مِيلادِى
وصَادِحُ البَيْنِ إن يَخْفَ فلا عَجَبٌ ... صَوادِحُ البَيْنِ وَهْنًا شَجْوُها بادِى[1]
يا ضَرَّةَ الشمسِ يا مَن لا شَبِيه لها ... حُبِّيكِ أعذَبُ من عَذْبٍ إلى صَادِى
فإن يكنْ عَزَّ وَصْلٌ أو بَخِلْتِ به ... فَمَلِّينا ولو طَيْفاً بميعادِ

* * *

وقوله ، مُشَطِّرًا ومُعَجِّزاً قصيدة البَهاء زُهَير ، المنسوبة لابن الفارض[2] :

غيرِى على السُّلْوان قادِرْ ... إن رام هِجْرانَ الجآذِرْ
وأنا الوَفِىُّ بعهـــدِهِ ... وسِوَاىَ فى العُشَّاقِ غادِرْ
لى فى الغَرامِ سَرِيرَةٌ ... أكْنَنْتُها وَسْطَ الضَّمائِرْ
ومحبّــةٌ أسْرَرْتُهـــا ... واللهُ أعلم بالسرائِرْ
ومُشَبَّهٍ بالغُصْنِ قَلَّ ... تَصَبُّرِى إذْ قِيلَ نافِرْ[3]
قَدَّى وقلْبُك فى الهوى ... بِى لا يزالُ عليه طائِرْ
حُلْوُ الحديثِ وإنهـــا ... لَمَحاسِنٌ تَسْبِى النَّواظِرْ[4]

---

(١) الوهن : منتصف الليل أو بعده بقليل . (٢) القصيدة التى شطرها المترجم فى ديوان البهاء زهير ٦٤ ، ولم يرد لها ذكر فى شرح البورينى والنابلسى على ديوان ابن الفارض . (٣) بيت البهاء :

ومُشَبَّهٍ بالغصنِ قلْـ ... ـبِى لا يزَالُ عليه طائرْ

فانظر كيف تصرف فيه المترجم ! وهو تصرف حسن .

(٤) بيت البهاء زهير :

أبداً حديثى ليسَ بالْـ ... ـمَنسوخِ إلّا فى الدَّفاترْ

وانظر تعليق على هذا البيت فى ريحانة الألبا ١/٣٣ .

حالٍ يَمُرُّ وإنهـــا لَحلاوةٌ شقّتْ مرائرْ
أشكو وأشكر فعلَهُ بُعدًا ولمّا يدنُ زائرْ
حالان لى أرضاهما فاعْجَبْ لشاكٍ منه شاكرْ
لا تُنكروا خفقانَ قلْـ بى إن بدا بدرُ الدَّياجرْ
كلّا ولا تشتيتَ لُبِّـ ى والحبيبُ لدىَّ حاضرْ
ما القلبُ إلّا دارُهُ فلذاك بالأشواقِ عامرْ
ورُبوعُه فلأجلِ ذا ضُرِبتْ له فيها البشائرْ
يا تاركِى فى حُبِّه كهلالِ شكٍّ فى المناظرْ
ومُصيِّرى بين الورى مَثَلًا من الأمثالِ سائرْ
أبدًا حديثِى ليس بالْ متروكِ عند ذوى البصائرْ
كلّا وشرْعِى ليس بالْ منسوخِ إلّا فى الدفاترْ
يا ليـــلُ مالَك آخرٌ فتظلَّ ترْقُبُه النواظرْ
لا فيك وَصْلُ مُعذَّبٍ يُرْجَى ولا للشوق آخِرْ
يا ليـلُ طُلْ يا شوقُ دُمْ إنّى إلى المحبوبِ سائرْ
يا ليـــلُ أقصِرْ أو فطُلْ إنّى على الحالين صابرْ
لى فيك أجرُ مُجاهدٍ أضحَى لجيشِ الحبِّ ناصرْ
وثوابُ غازٍ فاتِكٍ إنْ صحَّ أنَّ الليـلَ كافرْ
طَرْفِى وطَرْفُ النّجمِ فى باهِى جمالِك ظلَّ حائرْ[1]
والقلبُ والعَيْنانِ فيـ ـك كلاهما ساهٍ وساهِرْ
يَهْنِيك بَدْرُك حاضرٌ مالَتْ لبهجتِه الخواطرْ

---

(١) بيت البهاء زهير :

طَرْفى وَطَرْفُ النجمِ فيـ ـك كلاهما ساهٍ وساهِرْ

(نفحة الريحانة ٤/٢٤)

قد لاحَ بَدْرُك مُشْرِقاً ... ياليتَ بَدْرِى كان حاضِرْ

حتى يَبِين لنــاظرى ... مَن منهمــا باهٍ وباهِرْ

ويشيعَ بين مَعاشِرى ... مَن منهمــا زاهٍ وزاهِرْ

بَدْرِى أرقُّ محاسِنــاً ... إذْ حُسْنُه للعقلِ ساحِرْ

كالليلِ أرْسَلَ شَعْرَه ... والفَرْقُ مثل الصبحِ ظاهِرْ[1]

ملكَ الجمالَ بأسْرِه ... كُلُّ المِلاحِ له عساكِرْ

سلطانُ حُسْنٍ قد سَما ... بحُسام ألحــاظٍ فواتِرْ

لا السُّمْرُ تذكَر عِنْدَها ... كَـلاَّ ولا البِيضُ البواتِرْ

قد نَفَذَتْ بين الورَى ... منــه النَّواهِى والأوامِرْ

ما تَخَلَّصَ من فَتْكِهِ ... بظُبـا اللَّواحِظِ والنَّواظِرْ

إلّا امْتِداحَ مُحَمَّــدٍ ... خيرِ الأوائلِ والأواخِرْ

* * *

وله مُشطِّراً ومُعجِّزاً نونيَّةَ ابنِ سَناءِ المُلْك[2] :

من ذا الذى مِن مُقْلَتيه يَقِينِى ... فَهْىَ التى بِسِهامِهــا تُصْمِينِى

يامَن يظنُّ الشِّرْكَ فى حُبِّى له ... هذا الذى أخْلَصْتُ فيــه يَقِينِى

رِيمٌ له فِعْلُ الرُّماةِ وإنمـا ... يُصْمِى فؤادَ المدنَفِ المحزُونِ[3]

فى القلبِ مَوْقِـعُ سَهْمِه لكنه ... يَرمِى بقَوْسَىْ حاجبٍ وعُيونِ[4]

يَبْرِى نِبالًا من فُتورِ لِحاظِهِ ... ويريشُها بالهُدْبِ للتَّمْكِينِ[5]

---

(١) إلى هنا ينتهى ما جاء فى ديوان البهاء زهير .

(٢) نونية ابن سناء الملك فى ديوانه ٢/٨٥٧ ــ ٨٥٩ ، وبعض الأبيات المشطرة ليست فى ديو ابن سناء الملك ، وسأشير إليها ، وترتيب أبيات القصيدة فى الديوان مختلف فى بعض الأبيات عن ما فى النا

(٣) فى ديوان ابن سناء الملك : « له خجل الرماة » . (٤) فى ديوان ابن سناء الملك : « حاجب وجفون

(٥) مكان صدر هذا البيت وعجز الذى يليه فى ديوان ابن سناء الملك :

ظَبْىٌ ضعيفُ اللَّحْظِ إلّا أنّهُ ... فى الفَتْكِ بالعُشّاقِ لَيْثُ عَرِينِ

ويُحيلُها بَارِى النفُوس بحُكْمِهِ   في القلبِ حَالةَ رَمْيِها تبْرِينى [1]

يَمشى فيدعوه القَضيبُ مُرَقّتِى   قَدِّى فَملْتَ ولا كَمَيْلِ غصُونِ

وإذا بَدَا فالبدرُ قال ظَلَمْتَنِى   وإذا رَنَا قال الغَزالُ عيُونِى

أَلِفُ ابنُ مُقْلَةَ فى الكتابةِ قَدُّه   حاشَا فَمادَله سَمَا بالِّلينِ [2]

والثغرُ ميمٌ كلُّنـا صادٍ له   والصُّدْغُ مثلُ الواوِ فى التَّحسِينِ [3]

وعلى الجَبينِ بِشَعْرِه سِينٌ بَدَتْ   سَلَبَ العُقولَ بطُرَّةٍ وجَبِينِ [4]

قد أَدْرَكتْ فى الحُسْنِ غايتَه لذا   حارَ ابنُ مُقْلَةَ عند تلك السِّينِ

والعَيْنُ مثلُ العَيْنِ لكنْ هذه   نَجْلاءُ فاقتْ عَيْنَ حُورِ العينِ

ولئن تبدَّتْ تلك مَن هى هذه   كُحِلتْ بحُسْنٍ وَقاحةٍ ومُجُونِ

سبحانَ مَن خلَقَ العيونَ بقَوْلِ كُنْ   فبدَتْ لِسَلْبِ نُفوسِنا فى الحِينِ [5]

وتبادَرت أَمْرَ الإلهِ مُطيعةً   فتكوَّنَتْ فى أحْسَنِ التَّكوينِ

سُودٌ رُقودٌ ما كُحِلنَ ولا بها   وَسَنٌ فيَدْعوها لفِعْلِ سُكُونِ [6]

زُرْقٌ شُهِرْنَ وما أَلَمَّ بجَفْنِها   نَوْمٌ ولكنْ قَصْدُها تَسْبِينى

يا للرِّجالِ ويا لَها مِن فِتْنةٍ   كم أَوْقَفَتْنِى فى مَواقِفِ هُونِ

حتى شَهِدْتُ بَديعَ حِكْمةِ خالقٍ   فى وَضْعِ ذاكَ النَّقْطِ فوقَ النُّونِ [7]

---

(١) فى ا : « ويحيلها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) تقدم التعريف بابن مقلة ، وشهرته فى الكتابة .
وفى ديوان ابن سناء الملك : « ألف ابن مقلة فى الكتاب كقده » .
وفى ا : « حاشا فماد له سما » ، وفى ج : « حاشا تعادله سما » .

(٣) الصاد : الحرف المعروف ، و « صاد » هنا بمعنى عطشان . (٤) صدر البيت فى ديوان ابن سناء الملك
وشعره لثغره سين بدت » . (٥) فى ديوان ابن سناء الملك : « سبحان من خلق العيون وقال كن » .

(٦) لم يرد صدر هذا البيت وعجز الذى يليه ، وهما بيت ابن سناء الملك ، فى ديوانه .

(٧) فى ديوان ابن سناء الملك : « وسط النون » .

فى ثَغْرِه شُهْدٌ وتحت شِفاهِهِ	بَرَدٌ أكادُ أُذِيبُه بأنِينِى (١)
وعلى الثَّنايا الدُّرُّ وَاشْفَقِى بها	خَمْرٌ جرَتْ من لُؤلُؤٍ مَكْنُونِ
كم قيل إن شِئْتَ الدُّجَى فغدائرى	فاقتْ على حَلَكِ اللَّيالى الْجُونِ (١)
وإذا طلبْتَ البدرَ فانْظُر طَلْعتِى	وإذا أرَدْتَ الصُّبحَ فهو جَبِينى
وإذا أرَدْتَ الرَّوْضَ فهو بوَجْنَتِى	مُتَنَضِّدٌ مُتناسِبُ التَّكْوِينِ (١)
يزْهُو بأبيَضِه وأحْمَرِه لِذَا	كم فيه من وَرْدٍ ومن نَسْرِينِ (٢)
أنا لا أُرِيدُ تَنَزُّها فى روضةٍ	حازتْ جميعَ الحُسْنِ بالتَّعْيِينِ
بل إن بَدَا حِبِّى لخالِى أننى	نَظَرِى إلى وَجَناتِه يكْفِينِى
لاقَيْتُه يوماً فقال أما تَرَى	ظَبْىَ الفَلاَ قد زاد فى التَّفْنِينِ
والشَّمْسَ ظَلَّتْ أن تُحاكِى فاستَمِعْ	ما قد جرى منهم لقد ظَلَمُونِى
طمِعَ الغزالُ بأن يُعارِضَ مُقْلَتِى	حَاشا وكَلَّا أن يكون قَرِينِى
والغُصْنُ ظَنَّ بأن قَدِّى مِثْلُه	والبدرُ أيضا رامَ أن يَحْكِينِى (٣)
فأجبْتُ إن فَعَلا فقد فضِحَا ولا	يَصِلانِ منك لِظَاهِرٍ وكَمِينِ (٤)
كَلَّا فغفْراً للذى فعَلا فلا	يُؤْذِيك فِعْلُهما ولا يُؤْذِينِى
فافْتَرَّ مُبْتسِما وأوْعَد باللِّقا	وَهْناً فقرَّتْ باللقاء عُيُونِى
وثَنَى لنا عِطفًا وجاد بوَصْلِهِ	يوماً ولا ثِقَةَ بوَعْدِ ضَنِينِ (٥)
اللهُ أكبرُ مِن قَساوةِ قَلْبِه	أنَّى يَميلُ لِمُذْنِبٍ مِسْكِينِ

(١) لم يرد صدر هذا البيت وعجز الذى يليه ، وهما بيت ابن سناء الملك ، فى ديوانه

(٢) فى ب ، ج : « يزهو بأحمره وأبيضه لذا » ، والمثبت فى : ا .

(٣) فى ديوان ابن سناء الملك : « والبدر أيضاً طامعاً يحكيى » .

(٤) من هنا إلى نهاية القصيدة ، لم أجد الأبيات التى شطرها المترجم ، فى ديوان ابن سناء الملك .

(٥) فى ج : « ولا ثقة بفعل ضنين » ، والمثبت فى : ا ، ب .

يقْسُو فلا عَطْفُ يُمِيلُ غَصُونَهُ ... مع ما يُرَى فى عِطْفِه من لِينِ (١)
علَّمْتُه بابَ المُضافِ تفاؤُلاً ... بوِصاله وطَمِعْتُ أن يُدْنِينى
فغَدَا يُعامِلنى بضِـــدٍّ مُذْ بدَا ... ورَقيبُـــه يُغْرِيه بالتَّنْوِينِ

* * *

وله فى الغزل :

تَعطَّفْ بِمُضْنَى عليـــلِ المَقالْ ... ودَعْ عنك هذا الجَفَا والمِطالْ
أَما قد علِمْتَ بأنى امْرُؤٌ ... أُحِبُّ الجميلَ وأهْوَى الجمالْ
وأغْشَى المَغانِى إذا ما حوَتْ ... لَطِيفَ البَنانِ حَلِيفَ الدَّلالْ
بسَهْمِ اللَّحـــاظِ إذا ما رَنَا ... أصاب فؤادِىَ دُونَ النِّصالْ
ووَرْدِىِّ خَـــدٍّ إذا لاح لا ... هَمَى الطَّرْفُ مِنِّى بمثْلِ اللآلْ
ووجهٍ يُبِيـــدُ سَناهُ البدورَ ... إذا ما تبَـــدَّى بجُنْحِ اللَّيالْ
فصُبْحُ الجَبِينِ وليلُ الشُّعورِ ... بهذا الهُدَى وبهذا الضَّلالْ
وجِسْمٍ حكَى الماءَ فى رِقَّةٍ ... عليـــه من الثغرِ مثلُ الظِّلالْ
فخُـــذْ ما صَفا لكَ مِن وُدِّهِ ... ولا تخْشَ عاراً ولا أن يقالْ
فما كُلُّ وَقْتٍ يُبِيحُ الزَّمانُ ... لِقَدٍّ عاطِلٍ هوَ بالحُسْنِ حالْ (٢)
ولا الدهرُ فى كلِّ ساعاتِه ... يُغيثُ الفقيرَ ببَذْلِ النَّوالْ
وإن لاح فاجْتَـــلِ أنوارَهُ ... فما كلُّ يومٍ يلُوح الهِلالْ
ولا تُمْهِلَنْ لَذَّةً أمكَنتْ ... وباكِرْ صَبُوحَكَ قبلَ الزَّوالْ

***

(١) فى الأصول : « يميل غصنه » ، ولعل الصواب ما أثبته ، وفى ا : « مع ما يرى من عطفه » ،
بت فى : ب ، ج . (٢) هكذا جاء عجز هذا البيت بالأصول ، وهو مضطرب الوزن .

ولهذا الشيخ ولدٌ اسمه :

٣٢٤

أحمـــد

نَبِيلٌ نَبِيه ، قائمٌ فى وَقْتِنا مَقام جَدِّه وأبيه .

وكنتُ قبل دخولى الحِجاز سمعتُ بفضلِه ، وبُلوغِه فى المَعالى مَرْتبةَ أصْلِه .

فسجدتُ لله شكراً ، وما زلتُ أُجَدِّدُ له ذِكْراً .

وأنا أشْوَقُ إليــه من المُحِبِّ إلى حبيبِه ، وأحَنُّ إليه من حَنِين المَرِيض إلى طَبِيبِه .

حتى لَمَحْتُه بالمدينة لَمْحَةً كشُرْبِ الطائرِ الوَجِل ، أو قَبْسةِ القابِسِ العَجِل .

لم تَزُلْ بها عِلَّة ، ولا تروَّتْ بها غُلَّة .

وقد بلغنى أنه الآن هو المُشـارُ إليه ثَمَّةَ بالبَنان ، الحائزُ قَصَبَ السَّبْقِ ف مَيْدان البَيان .

أشرقتْ فى سماء المجدِ مَطالِعُه ، ولم تتهيَّأْ إلّا لتحصِيل الـكمالِ مَطامِعُه .

فالله يُعِيذُه مِن عَيْن كالِه ، ويجعل أمامَه مَطاياه إلى آماله .

ولم يبلُغْنى له شِعرٌ أُنمِّقُ به الـكتاب وأُوَشِّيه ، وإذا بلغنى لم آلُ من أنى أذْهِّبَه وأُحَشِّيه .

٭٭٭

٣٢٥

إبراهيم بن محمد بن أبي الحرم*

فاضلٌ بلغ من المَعالِي مُرتقاها ، وله مَعارفُ تستقبلُها النفوسُ بالقَبُولِ وتتلقاها .

فمَناطِقُ الشكرِ له فصيحةُ اللِّسان ، ومَواهِبُ اللهِ تعالى به مَعْهودةُ الإحْسان .

لم يزلْ في عيشٍ مُوَشَّاةٍ حَواشِيه بسوَابِغ الكَرَم ، وهو في ظِلالِ حُرْمةِ نَبِيِّه آمِنٌ من حرامِ الحُرَم .

إلى أن انتقل إلى الدار الآخرة ، فلا زالت تُحَيِّي قبرَه سحابةُ الرحمةِ الزّاخرة .

* * *

وقد أوردتُ له من دُرَرِه ما أُلِّف نَظْمه بالشَّذَرِ في عُنقِ فتاة رُود ، فإذا نظرتَ رأيتَ أيَّ سَوالِفٍ وخُدود ، عنّتْ بين اللِّوَى فزَرُود[1] .

فمن ذلك قولُه فيمن لبس بَياضاً[2] :

لمَّا بَدَا مُبْيَضّـــا والقلبُ مُشْتاقاً إليْه[3]

ناديتُ هـــذا قاتِلِي والرّايةُ البَيْضاَ عليْه

* * *

(*) إبراهيم بن محمد بن محمد بن محمد بن أبي الحرم بن أحمد الصبيبي المدني .

ولد بالمدينة المنورة ، وأخذ عن والده ، وعن شيوخ عصره .

وكان واحد المدينة في زمانه علما وبراعة ، وكان يعرف فنونا تفرد بها .

توفي سنة ست وخمسين وألف بالمدينة ، ودفن بالبقيع .

خلاصة الأثر ١/٤٢ ـ ٤٤ ، سلافة العصر ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(١) تقدم التعريف بزرود كثيرا .   (٢) البيتان في خلاصة الأثر ١/٤٣ .

(٣) في الخلاصة : « والقلب مشتاق إليه » . والنصب على أنه مفعول « بدا » أيضا .

وقوله [١] :

صَادَفْتُهُ يجْلُو فَمًا حَشْوُهُ شُهْدٌ ودُرٌّ وعَقِيقُ المُدامْ [٢]
وقلتُ يا مولاىَ هل مَشْرَبٌ مِن رِيقِكَ العَذْبِ لِحَرِّ الغَرامْ
فقال جَوْرٌ منك أنت الذى تُدْعَى بإبراهيمَ طولَ الدَّوامْ
والنارُ بَرْداً وسلاماً غدَتْ عليك ماذا الحرُّ قلتُ السَّلامْ [٣]

* * *

وقوله [٤] :

جاء يسْعَى إلى الصلاةِ مَلِيحٌ يُخْجِلُ البدرَ فى لَيالِى السُّعُودِ
فتمنَّيْتُ أنَّ وَجْهِىَ أرضٌ حين أوْمَا بوَجْهِه للسُّجودِ

* * *

قلتُ [٥] : ذكرتُ هنا ما يُحْكَى عن بعض الظُّرَفاء ، أنه مرَّ بغُلامٍ جميل ، فعثَرتْ فَرَسٌ فى طينٍ ، أصابَ وَجْهَ الغلام منه نَزْرٌ ، فقال الظريفُ : ﴿ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴾ [٦] ، فسمعه بعضُ المَارِّين ، فقال للغلام : ما يقول هذا ؟
فقال : ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴾ [٦] .

* * *

وقال السيد محمد كبريت [٧] ، فى كتابه « نصر من الله وفتح قريب » ، فى مَعْرِض كلامٍ :

جرَتْ عادةُ الفَعَّال لما يُريد فى خَلْقِه ، أن كلَّ بلدةٍ فى الغالب تكون عونًا

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٣ .
(٢) فى الأصول : « صدفته يجلو » ، والمثبت فى الخلاصة ، وفيها : « ودر وعتيق المدام » .
(٣) فى خلاصة الأثر : « يا ذا الحر » . (٤) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٤٣ .
(٥) هذا القول أيضا فى خلاصة الأثر ١/٤٣ . (٦) الآية الأخيرة من سورة النبأ .
(٧) خلاصة الأثر ١/٤٣ ، ٤٤ ، سلافة العصر ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

لغَرِيبها ، حتى على ساكِنها[١] ، وعلى الخصوص المدينة المُنوَّرَة .

وكان المرحومُ العلَّامة الشيخُ إبراهيمُ بن أبى الحرم يقول : ليس من الرَّأْيِ تعظيمُ الوارِدِ إلى هذه الدار ، إلَّا بحسَب ما يقتضيه الحال ، فإنه بتَعْظِيمه يطَأُ غيْرَه ، ثم يتمرَّد على مُعَظِّمه ، فيطَأُه كذلك ، وتكون إساءتُه عليه أكثرَ ، وعلى الخصوص مَن لَفَظَتْه القُرَى ، وألِف النَّوال والقِرَى ، وقد اتَّفق لى[٢] شىءٌ من ذلك فكتب[٣] إلىَّ بعضُ أصحابى فى خُصوصِ هذا المعنى :

يا أهْلَ طَيْبَةَ لا زالتْ شمَائلُكم ... بلُطْفِها فى الورَى مأْمونَة العَتَبِ

لكنْ رِعايتُكم للغُرْبِ تحمِلُهمْ ... على تجاوُزِهمْ لِلحَدِّ فى الأدبِ[٤]

فكان الجوابُ عن ذلك بلسانِ الحال :

مَوْلاىَ إنَّ صُروفَ الدهرِ قد حكَمتْ ... وأعْوَزَتْ أن يَذِلَّ الرأْسُ للذَّنَبِ

كم مِن مُقَبِّلِ كَفٍّ لو تمكَّن مِن ... قَطْعٍ لها كان مِمَّن فازَ بالأرَبِ

٭٭٭

(١) فى السلافة : « سكانها » .

(٢) تكملة من : الخلاصة ، والسلافة .

(٣) فى الأصول : « فكتبت » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

(٤) فى الأصول : « للغرب تحملكم » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

٣٢٦
الأمير أبو بكر بن على الأحْسَائى*

أميرُ كلام ، وصاحب نَفَثاتِ أقْلام .

نَما فى مَنْبِت النَّجابة ، ودعا الأمل فأجابَه .

تحرُسه عَيْنٌ من الله وَاقِية ، وتحفظُه آثارٌ أبَدَ الآبادِ باقية .

وله علمٌ وعقل ، وضَبْطٌ لشَوارِد الفنون ونَقْل .

إلى مَفْخرةٍ يتوشَّح بردائها ، ومَأْثُرةٍ يترشَّح لابْتدائِها .

وقد فاز من الأدب بأوْفَرِ حِصَّة ، وغَدَتْ سِمَتُهُ[1] به صفةً مُخْتصَّة .

* * *

وله شِعر تتأرَّج فى رَوْضِ المعارف زَهراتُه ، وتُجْتَنَى من أغْصان السُّطورِ ثَمَراتُه .

فمنه قولُه ، من قصيدة يمدح بها الشريفَ زيد بن محسن[2] :

عَزَّتْ بِعِزِّ مَقـامِك العَلْياءُ ... وعليك فَضَّتْ عِقْدَها الجوْزَاءُ[3]

فالبدرُ كأسٌ والشموسُ عُقارُها ... فاشْرَبْ بكأسٍ شمسُه الصَّهْباءُ

(*) الأمير أبو بكر بن على الأحسائى ثم المدنى .

ولد بمدينة الأحساء ، فى حدود سنة ألف ، ونشأ على الاشتغال بالعلم .

ثم رحل صحبة والده إلى المدينة ، وتوطنها .

ذكر المحبى فى الخلاصة أنه أحد أسخياء العالم ، ونقل عن بعض التعاليق أنه كان ملازما للعبادة ، مواظبا لقيام الليل ، حتى إنه كان يجئ إلى المسجد النبوى فيقف ببابه نحو ساعة حتى يفتحه الخدام ، إلى أن أدركه أجله يوم عرفة بها ، وهو محرم ، فحمل فى محفة إلى مكة ، ودفن بالمعلاة ، وذلك سنة ست وسبعين وألف .

خلاصة الأثر ١/٩٠ ـ ٩٢ .

(١) فى ا ، ب : « سيمته » ، والمثبت فى : ج .

(٢) تقدم التعريف بالشريف زيد بن محسن ، فى الجزء الثالث ، صفحة ٥٨٥ .

والقصيدة فى خلاصة الأثر ١/٩٠ ، ٩١ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « زفت بعز مقامك . . . فضت راحها الجوزاء » .

وحَبابُها نُجُمُ السَّما فكأنَّها ... ذاتٌ وذاك بشكلِهِ الأسماء[1]

وأتتك بِكراً قبل فَضِّ خِتامِها ... يقتادُها رَاوُوقُها وذُكاء[2]

خضعت لعزِّك فاستقِمْ فى عَرْشِها ... ياظاهراً لا يمتريه خَفاء

وانصُبْ لِواءالحمد مُنْتَشِرَ الثَّنا ... قد ضُوِّعتْ بعَبيرِه الأرجاء[3]

يسعَى بظلٍّ أمانِه بين الورَى ... ذُو البَأْسِ والأمجادُ والضُّعفاء

فالدهرُ سَيْفُك فاتَّخِذْه مُجرَّداً ... مُتوشَّحاً بالنصرِ وهْو رِداء

وعُلاكَ قد شهد العدُوُّ بفضلِه ... والفضلُ ماشهدتْ به الأعداء[4]

وحِماكَ أمْنُ الخائفين تؤمُّه ... شُمُّ الأُنوفِ القادةُ الأكْفاء

ولقد حَظِيتَ من الإلهِ بنظرةٍ ... أرْدَتْ مُريدَالكَيْدِ وهْو هَباء[5]

وحُبِيتَ منه بما تقاعَسُ دُونَه ... هِمَمُ الملوكِ الصِّيدِ والعُظَماء

فالله أظهرَ ذا الجَنابَ بنصِّه ... فالخلقُ أرضٌ والشريفُ سَماء[6]

لو قيل لى مَن ذاأرَدْتَ أجِبْهمُ ... أوَ غيرُ زَيْدٍ تمدَحُ الشعراء[7]

وإذا أُدِيرَ حديثه فى مَحْفَلٍ ... فلمسْمَعِى من طِيبِ ذاك غذاء

مَلِكٌ إذا وعَد الجميلَ وَفَى به ... وإذا تَوعَّدَ شأنُه الإغضاء

فبِسَعْدِهِ أهدَى الزمانُ إلى الورَى ... كأساً هَنِيئاً ليس فيه عَناء

فالله يُبقِي مُلكَه السَّامى الذى ... قد كَلَّلَتْه بنُورِها الزَّهراء

* * *

(١) فى ج : « ذات وذاك بشكله الأسماء » ، والمثبت فى ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

(٢) ذكاء : هى الشمس .

(٣) فى خلاصة الأثر : « لواء العدل » . (٤) فى خلاصة الأثر : « قد شهد الحسود بفضله » .

(٥) فى خلاصة الأثر : « من الإله بنصرة * ردت مريد الكيد » . (٦) فى خلاصة الأثر : « والجناب سماء » . (٧) فى خلاصة الأثر : « هل غير زيد » .

وكتب إلى الشيخ الإمام عيسى بن محمد الجَعْفَرِىّ الثَّعَالِبىّ[1]، نزيل مكة، مادحاً بقوله[2]:

يامَن سَما فوقَ السِّماكِ مَقامُهُ ... ولقد يَراكَ الـكُلُّ أنتَ إمامُهُ

حُزْتَ الفضائلَ والـكمالَ بأسْرِهِ ... وعَلَوْتَ قَدْراً فيك تَمَّ نِظامُهُ

لو قيل مَن حازَ العلومَ جميعَها ... لأقولُ أنتَ المِسْكُ فيه خِتامُهُ[3]

كم صُنْتَ مِن بِكْرِ العلومِ خَرائداً ... عن غيرِ كُفْءٍ لم يجبْ إكْرامُهُ[4]

فاعلمْ بأنِّى غيرُ كُفْءٍ لائقٍ ... إن لم يكنْ ذا الفضلُ منك تَمامُهُ

ثم أتْبَعَه بنثرٍ، صورتُه:

لمَّا أضاء نورُ المحبَّةِ فى قناديل القلوب، صفَتْ مِرْآةُ الحقيقةِ فظهر المطلوب.

فاتَّضحت الرسومُ الطامِسة، وبانت الطُّرُقُ الدَّارِسة.

فاكتحلت عين القريحةِ[5]، فسالت فى نهر النُّطْق، فأثمرت بالمسطور، وهو المقدور.

---

(١) عيسى بن محمد بن محمد الجعفرى الثعالبى الهاشمى المغربى.

نزيل المدينة المنورة، ثم مكة المشرفة.

ولد بمدينة زواوة من أرض المغرب، وبها نشأ، وحفظ متونا فى العربية والفقه والمنطق والأصلين وغيرها، ورحل إلى الجزائر، فأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى تونس، فأخذ عن مشايخها، ثم وصل إلى مكة المشرفة وحج سنة اثنتين وستين وألف، ثم رحل إلى مصر، فأخذ عن جلة علمائها، وإلى منية ابن خصيب، فأخذ بها عن العارف بالله تعالى على المصرى، ثم عاد إلى مكة.

وكان ورعا، زاهدا، مفتنا، لقب بإمام الحرمين، وعالم المغربين والمشرقين.

وله مؤلفات؛ منها: «مقاليد الأسانيد» فى ذكر شيوخه المالكيين.

توفى سنة ثمانين بعد الألف، ودفن بالحجون.

خلاصة الأثر ٣/٢٤٠ – ٢٤٣.

(٢) القصيدة والنثر بعدها فى خلاصة الأثر ١/٩١. (٣) فى الخلاصة: «فض ختـامه»، وهى رواية حسنة. (٤) فى خلاصة الأثر: «كم صنت من بكر العلوم».

(٥) فى ا: «الحقيقة»، والمثبت فى: ب، ج، وخلاصة الأثر.

وأما المَقام فهو أعلى[1] من ذلك وأجلّ ، وليس يَدْرِى ذلك إلا من وَهَل[2]
وأما العبدُ فهو مُقِرٌّ أنه قد قصَّرتْ به الركائبُ عن بلوغِ ذلك ، وأعاقتْه عقباتُ الأسباب عن سُلوك هذه المسالك .

لكنْ حيثُ إن ثيابَ السَّتر من فضلِكم على أمثاله مَسْبُولة ، فيرجُو أن[3] يهَيِّئَ الله له[3] فى ضمن الامْتثال[4] مَطْلوبَهُ ومَأْمُولَه .

* * *

فأجابه بقوله[5] :

لله دَرُّك يافريد محامِدٍ	أربَى على البدرِ التَّمِّ تمامُهُ[6]
قد صُغتَ من سِرِّ البراعةِ مُفْرَدًا	فاق الفرائدَ نَثْرُه ونظامُهُ
وكَسَوْتَه من جَزْلِ لفظِك سابِغاً	وُشِيتْ بكلِّ لَطيفةٍ أكْمامُهُ
وجَلَوتَه يختالُ تِيهاً آمِناً	مِنْ أنْ يُشابِهَ فى الوجودِ قَوامُهُ
أعْرَبْتَ فيه عن اعتقادٍ خالصٍ	وتَمكينِ وُدٍّ أُحْكِمتْ أحكامُهُ
وصَبَوْتَ ذا شُكْرٍ ببثِّ قصيدةٍ	وبفصِّ خاتمِه العلِى أسوامُهُ[7]
أهْلاً به فَرْدا أتى من مُفْرَدٍ	وحَباً به ضيفاً يجلُّ مقامُهُ
حَتْماً علىَّ ولازماً تبجيلُه	فَوْرا وحَقًّا واجباً إكْرامُهُ
لكنْ على قَدْرِى فلستُ بكُفْءِ مَن	وَطِئتْ على هامِ العلَى أقدامُهُ
وإليكَها عذْرًا على مَهَلٍ أتتْ	خَجْلَى لمحتدِك العزيزِ مَرامُهُ[8]

(١) فى خلاصة الأثر: «أبهى» .
(٢) وهل إلى الشىء : ذهب إليه وهمه .
(٣) فى خلاصة الأثر : « يدخل » .
(٤) فى خلاصة الأثر : « الأمثال » .
(٥) جواب الجعفرى فى خلاصة الأثر ١/٩١ ، ٩٢ .
(٦) فى خلاصة الأثر : « يا فريد محاسن » .
(٧) فى خلاصة الأثر : « العلا أسوامه » .
(٨) فى ب ، ج : «خجلا لمحتدك» ، وفى الخلاصة : « خجلا لمرآك » ، والمثبت فى : ا .

فاصْفَحْ بفضلِك عن صَحِيفةِ نَقْصِها   فالفضلُ مُؤْتَمٌّ وأنت إمامُـهُ
واسْحَبْ رداءَ المجدِ غيرَ مُدافعٍ   فلأنتَ عُنْصُرُه وأنت خِتامُهُ

ثم أتبعه بنثر، صورته: هذه[1] ـ دام جَدُّك فى صُعود[2]، ومجدُك فى سعود[3] ـ عَجْرفةٌ أبرَزَها فاترُ الفِكْرِ الأعرَج، وقاصرُ الذِّهْن البَهْرَج.

تتعثَّر فى مُرُوطِ الخَجَل والوَجَل، وتتعارَض[4] لما بها من الخطأ والخطَل.

أتَتْ سُوحَ حضرتك الرَّحرَاحَـةِ[5] الأرْجَا، وأمَّلتْ أن تفوز من كالِ صَفْحِك عن زَيْفِها بتحقُّق الرَّجا.

فقابلْ إقبالَها[6] بالقبول والإغضا، وألْحِظها غيرَ مأمورٍ بعيْن التَّقْريب والرِّضا.

فإنك مَأْوَى الفضلِ ومُخَيَّمُه، ومُفْتَتَحُهُ ومُخْتَتَمُهُ.

ولولا نافذُ أمرِك المُطاع، وواجبُ تعظيمك المتمكِّن فى الأفئدة والأسماع؛ لما تراءى لِرَاءٍ عُجَرُها ولا بُجَرُها[7]، ولا بَانَ[8] لسامعٍ خَبَرُها ولا مَخْبَرُها.

ولـكن عند الأكابر تُلْتمس وُجوهُ المعاذِير، ولدَى أعيان الأفاضل يُرْتجى الصفحُ عن التَّقْصير.

والسلام.

⁂

(١) تكملة من خلاصة الأثر.   (٢) فى الخلاصة: «سمود».
(٣) فى الخلاصة: «سعود».   (٤) فى الخلاصة: «وتتمارج».
(٥) الرحراحة: الواسعة المنبسطة.   (٦) فى ا: «إهمالها»، والمثبت فى: ب، ج، والخلاصة.
(٨) عجرها وبجرها: عيوبها وأحزانها، وما أبدت وما أخفت. انظر القاموس (ع ج ر).
(٨) فى خلاصة الأثر: «استبان».

٣٢٧

أحمد بن محمد مَكِّيّ

فاضلٌ توقَّدَ ذَكاه، وتألَّق شِهابُه وذُكاه.

برَعَ واضحَ الغُرَّة والجَبين، ورفَع عمودَ الصبحِ المُبين.

وكُسِيَ نصَاحةَ الفصاحة، وتَفتَّق عن رَوْنَقِ البِشْر والصَّباحَة.

فلِلّهِ بَراعةٌ مَلَكَ، وطريقَ إجادةٍ سَلَكَ.

قَرَّتْ بها عيونُ أودّائِه، ومُلِئَتْ غَيظًا صدورُ أعدائِه.

وكان للقلوب فيه ظَنٌّ جميل، وللمَعالى رجاء وتأميل.

إلّا أن الأيامَ لم تُفسِح له مَدَى، فاقتطفَتْ زهرةَ حياتِه فى باكُورتِها يدُ الرَّدَى.

* * *

وقد أثبتُّ من بَواكِير طَبْعِه المطبوع، ما يدلُّ على نُبلِه دَلالةَ الماء على نَظافةِ اليَنبُوع.

فمن ذلك هذه الأبيات، كتب بها إلى الأستاذ زين العابدين الصِّدِّيقِيّ [١]:

لُؤلُؤُ الثَّغْرِ المُنضَّدْ ... فيه جِرْيالٌ مُبرَّدْ [٢]

بَسَمتْ عنه ثَنايَا ... رَشَإٍ أحوَى وأغيَدْ

أم رياضٌ عِقْدُ دُرِّ الْ ... مُزْنِ فيها قد تَبدَّدْ

أم نجومٌ مُزهِراتٌ ... مِن سَناها النُّورُ يُوقَدْ

أم نَسيمُ الصبح أبدَى ... طَيِّبَ النَّشْرِ من الوَرْدْ

لا ولكنْ ذا قَرِيضٌ ... لإمامٍ قد تفرَّدْ

سَيِّــدٍ حَبْرٍ هُمامٍ ... أوْحَدٍ من نَسْلِ أوْحَدْ

(١) تأتى ترجمة زين العابدين فى الباب التالى، برقم ٣٣٢.   (٢) الجريال: الخمر أو لونها.

مَن له حَالٌ وقَالٌ ... بِهِما الساداتُ تَشْهَدْ
وله فى المجـــدِ شَأْوٌ ... دونه النجمُ وفَرْقَدْ[1]
نَجْلُ أقْطابٍ كِرامٍ ... لَهُمُ غاياتُ سُؤْدَدْ
كم كراماتٍ شهِدْنَا ... مالَهـــا حَصْرٌ ولا عَدّ
يعجِزُ الواصفُ عنهـــا ... منهمُ جاءتْ بلا حَدّ
مَلأتْ شرقًا وغربًا ... وبدَتْ فى كلِّ مَشْهَدْ
عَبِقَ الكونَ ثناهُم ... كعَبِيرِ المِسْكِ والنَّدّ

* * *

وحكى لى صاحبُنا الفاضل مصطفى بن فَتْح الله ، قال :

كنتُ بالمدينة نظمتُ قصيدةً فى الغزَل، فَلامَنِى عليها بعضُ الناس، وبلغ ابنَ مَكّىّ ذلك ، فأتى إلى منزلى لِيُرَوِّحنِى ، فلم يجِدْنى ، فكتب :

أتيتُك من شوقٍ إليك مُسَلِّمًا ... وقد صار قلبى فى وِدادِك ذا شُغْلِ
فمِن سُوءِ حَظِّى ما تَمَنَّيْتُ ساعةً ... عَرَاكَ يا رَبَّ الفصاحةِ والنُّبْلِ[2]
فلا عَتْبَ لى إلَّا عليـــه فإنه ... على نَيْلِ ما أهْواه فى الدهرِ ذُو بُخْلِ
فيا مَن له طبعٌ أرَقُّ من الصَّبا ... لقد ساءنى ما قد لَقِيتَ من العَذْلِ
فلا تَسْتَمِعْ قولًا لِواشٍ وناصِحٍ ... ولا تَرْعَوِى عن حُبِّ ذِى الأعْيُنِ النُّجْلِ
فما أنتَ فى حُبِّ الجآذِرِ أوَّلًا ... أشاعَ الهوى أسْرارَه يا أخا الفَضْلِ
بِذا قد قَضَى شَرْعُ الغَرامِ بأهْلِهِ ... فنصْبِرُ فى حُكْمِ الغرامِ على القَتْلِ
إذا ما رَنَا مَن يُشْبِهُ الظَّبْىَ لَفْتَةً ... ومَاسَ كغُصْنٍ فوق دِعْصٍ من الرَّمْلِ[3]
وأظْهَر وَرْدًا فى شَقائِقِ خَدِّه ... وسار يجُرُّ الذَّيْلَ تِيهاً على مَهْلِ[4]

---

(١) الفرقد : « النجم الذى يهتدى به » . (٢) فى ا : « ما تمنيت ساعة » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) الدعص : كثيب الرمل المجتمع . (٤) فى ا : « وصار يجر الذيل » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وفاح شَذَا مِسْكٍ على الخالِ عَمَّهُ مَحاسِنُ أوصافٍ تَجِلُّ عن المِثْلِ
وأبسَمَ عن دُرٍّ تنظَّمَ فى طُلَى أَلَذُّ وأحلى رَشْفُها من جَنَى النَّحْلِ
فأىُّ فُؤادٍ ليس يصْبُو لِحُسْنِه ويشتاق من ذاكَ الغزالِ إلى الوَصْلِ
ألا أيُّها العُذَّالُ إنَّ بَنِى الهوَى رَأَوا اللَّوْمَ فى حُبِّ الحِسانِ من الجهلِ
ففى مَعْرَكِ الأحداقِ والمُهَجِ انْظُروا ولُومُوا ولِجُّوا بعد ذلك فى العَذْلِ
تَبارَكَ مَن حَبَّ الجمالَ وأهلَه ومَن خَلَقَ الإنسانَ فى أحْسَنِ الشَّكْلِ
إليك أخا الأفضالِ سارتْ شَقائقٌ مُداعِبَةٌ تَرْوِيكَ بالجِدِّ والهَزْلِ
فكُن فاتِحًا بابَ الرِّضَا لقبولِها وأصْلِحْ مَعانيها من القولِ والفِعْلِ
ودُمْتَ قَرِيرَ العَيْنِ فى حِفْظِ ربِّنا ونَسْمعُ ما تَرْوِى ونكتُب ما تُمْلِى

* * *

فكتب إليه مجيبًا :

يا أحمدًا حاز المكارمَ كُلَّهـــا ويا فاضلًا مِن دونِه كُلُّ ذِى فَضْلِ
ويا ماجدًا يسْمُو على كلِّ ماجدٍ ويا مَن غدا فى الفَضْلِ مُمْتَنِعَ المِثْلِ
ويا نَجْلَ مَكِّىِّ الهُمامِ الذى له فضائلُ إنْ أعْدَدْتُها فهْى كالوَبْلِ
على كلِّ حالٍ لستُ أُحْصِى ثَناكُما ولكنَّ بعضَ القولِ يكفِى عن الكُلِّ
بنفسِى أُفَدِّى منك لَفْظًا كلُؤْلُؤٍ وشِعْرًا رقيقًا صار ذِكْراه لى نَقْلِى(١)
بعثْتَ بِخَوْدٍ يُخْجِل البدرَ حُسْنُها عَقِيلَةِ أتْرابٍ بها صِرْتُ ذا شُغْلِ(٢)
سُلافِيَّةُ الألفاظِ شَمْسِيَّةُ السَّنَا مُدامِيَّةُ الألْمَى لحالِ الشَّجِى تُمْلِى
فأفْرَشْتُها خَدِّى وأوْسَدْتُها يَدِى وصيَّرْتُها مِنِّى بمنزلةِ الخِلِّ
وبِتُّ أُعاطِيها ثَناىَ مُعظِّمًا عليكَ وجادتْ عند ذلك بالوَصْلِ
وقَبَّلْتُها ألفًا وألفًا وضِعْفَها فحيَّاكَ ربُّ العرشِ يا زاكِىَ الأصْلِ

---

(١) النقل : ما يتنقل به على الشراب . (٢) الخود : الحسنة الخلق الشابة الناعمة .

ذكرتُ بها عهدَ الصَّبابةِ والهوى ... وكنتُ تناسيتُ المَحبةَ بالفعلِ
زَهتْ بكَ يا قُسَّ الفصاحةِ طَيْبَةٌ ... فدُمْتُ قَريرَ العينِ مُجتمِعَ الشَّمْلِ
وقد زُرْتَ عَبْدًا صادقًا فى ودادِهِ ... وشأنُ المَوالِى هكذا يا مُنَى السُّؤْلِ
ولكنْ على حَظِّى العِتابُ فإنه ... على جَمْعِ شَمْلِى بالأحِبَّةِ ذو بُخْلِ
وأعلَمْتَنِى أن قد شَفِقْتَ علىَّ مِن ... مَقالةِ عُذَّالٍ وليسوا ذَوِى عَدْلِ
أُبثُّكَ حالِى يا أخا الوُدِّ والوفا ... وَدَهْرِىَ أشكُو وهْو مِنِّىَ فى حِلِّ
رَمانِى زمانى بالصَّبابة والهوى ... وذلك تقديرُ الذى جَلَّ عن مِثْلِ
وقد كان ظَنِّى الوصلُ مِن فاتِنِى الذى ... تحكَّمَ فى بعضِى هَواه وفى كُلِّى
فعامَلنِى من غَيْرِ ذنبٍ بهَجْرِه ... فيا سيِّدى هل يستحقُّ الجَفَا مِثْلِى
فمِن أجْلِ ذا قد ضاق صَدْرِىَ مِنهمُ ... ولم أتَجرَّعْ بعدَ ذا غُصَصَ العَذْلِ
على أننى لا أرتضى الذُّلَّ فى الهوى ... وإن كان أوْلَى لى التَّحَمُّلُ لِلذُّلِّ
ولكنْ أمَرْتَ العبدَ بِصَبْرٍ للقضا ... فصَبْرًا على أحكامِ ذى الأعيُنِ النُّجْلِ
ودُمْ راقيًا أوْجَ الفضائلِ باقيًا ... وتخدُمكَ العَلْياءُ فى الجِدِّ والهَزْلِ

* * *

ومما وقفتُ عليه ، مَعْزُوًّا إليه قولُه :

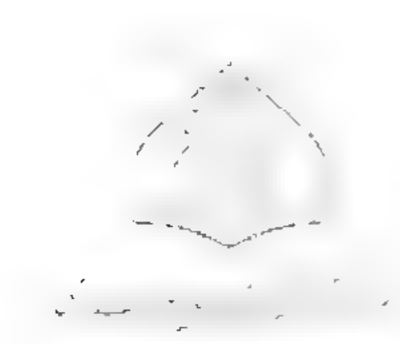
إيَّاكَ والبَغْىَ لا تَرْضَى به أبدًا ... واتْرُكْ هوَى النفسِ تنجُو مِن بلا عادِ
وكُن بنفسِك مشغولًا تُهذِّبُها ... فالنفسُ أعدَى عَدُوٍّ ذاتُ إفسادِ
ولا تكُنْ بمَساوِى الناسِ مُشتغِلًا ... وراقِبِ الناسَ فى خافٍ وفى بادِى
قد قال واصفُهم حقًّا أخو فِطَنٍ ... مِمَّن يُجيد فَصيحَ النُّطْقِ بالضَّادِ
الناسُ أحلامُهم شتَّى وإن جُبِلوا ... على تَشابُهِ أرواحٍ وأجسادِ
للخيرِ والشَّرِّ أهلٌ وُكِّلُوا بهما ... كلٌّ له مِن دَواعِى نفسِه هادِى

* * *

وقوله :

فى طَيْبَةَ كان لنا صاحبٌ	تظنُّه النفسُ شَقِيقًا لَهـــاَ
مَنَحْتُهُ صَفْوَةَ وُدِّ الإخَا	وخِلتُه يَمنَحُ أمْثالَهـــاَ
فقابَل الوُدَّ بهَجْرٍ بلا	دَاعٍ له تُوجِب فَتْح اللَّهـــاَ
وكم عُقُودٍ للوفَا بيننـــا	أطاع شَانِينَا وقد حَلَّهـــاَ
فقلتُ يا نفسُ دَعِيهِ فذَا	مثلُ الذى نقضَتْ غَزْلَهـــاَ[1]





---

١) مقتضى السياق ، والاقتباس من الآية ٩٢ من سورة النحل : « مثل التى » .

٣٢٨
أحمد بن محمد على المدرِّس

لَقيتُه بدِمشق فى خدمة قاضى القُدْس المولى خليل[1] أجَلّ مَن وَلِىَ القضا ، وأعظم مَن ينقضِى الدهرُ وليس لمدْحِه انقِضا .

وله عنده المنزلة المُجلَّاة بالإنْعام ، والرُّتْبة المشْمولةُ بالإكْرام بين الخاصّ والعامّ

وكنتُ أعشق هذا الفاضل على السّماع ، فصغّر الخبَرُ الخبَرَ به عند الاجْتماع

وطالما اقتطفتُ من أزاهِر[2] بُستانِه فاكِهةً جَنِيَّة ، فتناولتُ الآن من صَنْعةِ بنانِه تُحَفاً عن الإطْراء فى مَدحِها غنيَّة .

وهو كما بلغنى قد بلَغ مَبْلَغ الرِّجال ، وهو فى سِنِّ الأطْفال ، وتميَّز بين أقرانِه بالمزِيَّة التى تَستدعى لها الاعْتناء والاحْتفال .

بجِدٍّ لم يغادِرْ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحْصاها ، وجُهْدٍ لم يُخْلِ دقيقة ولا جَليلةً إلَّا استقْصاها .

وقد فرحتُ به فرحةً أنْسَتْنى كلَّ فَرْحة ، وباعدتْ بينى وبين كلِّ مَساءَة وتَرْحة .

ثم اجتمعتُ به فى القاهرة ، فأشْرقَتْ علىَّ بها فضائله الزَّاهِرة

وتحقَّقتُ من وُدِّه حالاً لم يلْحقْها انتِقال ، ولم يَشِنْها اختلال ، وتألَّفَاه والفعلُ لم يدخل من شوائب النقص اعتلال .

فالله يجعل تلك من الأحوالِ اللازمة ، ويعصمُ هذا من الحروف الجازمة .

* * *

فما تناولتُ من شِعرِه قوله :

قَرِّبى الراحَ من رِحانًا ودُورِى   بين غِيدٍ بها حِسَانٍ بُدورِ

---

(١) لعله خليل بن عبد الرحيم السمعانى ، المتوفى سنة إحدى وثمانين وألف ، وقد ترجمه المحبى الخلاصة ٢/١٣٣ ، وذكر أنه أعطى رتبة قضاء القدس ، وكان مهابا جليل القدر .

(٢) فى ا : « أزاهير » ، والمثبت فى : ب ، ح .

قَرِّبيها فهى الدواء لِما قد   حلَّ من دائها بجسمى الأسيرِ
قَرِّبيها وخَلِّ عنك أُناساً   حرّمُوها يامُهجةَ المسرورِ
قَرِّبيها كالتِّبْرِ صفراء لَوْناً   كاسُها كالُّجيْنِ من بِلُّورِ

منها :

خمرة تترك الشحيحَ جَواداً   باحْتِساها كحاتِمِ المشهورِ

* * *

وقوله :

عَذِّب بما شئْتَ أيُّها القمرْ   إلّا الجَفاء والصُّدودَ يا عُمَرْ
مَن قد حوَى الماءَ فى الخدودِ كذا   نار بأحْشاى حين تستعِرْ
رُمْتُ سَلْوَى هواك يا أمَلِى   من أين للقلبِ عنك مُصْطَبِرْ
أنت الذى كالسِّهامِ لَحظُك قد   رَمَى حَشاىَ وما له وَتَرْ
بِنْتُ عن الرُّوح ياسِراجُ ضَنًى   كأنَّنى يامَليكُ مُحتَضَرْ
نَهَى عن الحبِّ عاذِلِى سَفَهاً   فقلتُ ذا العَذْلُ يافتى غَرَرْ(١)
إنَّ حبيبى كالغُصْنِ قامتُه   له ثَنايا كأنَّها دُرَرْ
بدرٌ كمِثْلِ المُدامِ رِيقتُه   والقلبُ قاسٍ كأنه حَجَرْ(٢)
يَسْبِى البَرايا بنُورِ طَلْعتِه   وليس للخَصْرِ يَلْتقِى أثَرْ
بَلْبَلَ قلبى دَلالُه أبداً   وذاكَ شرطٌ فى العِشقِ مُعتَبَرْ
كلَّمنى طَرْفُهُ ومُقلتُه   لذاكَ أصْمَى الحَشا بها حَوَرْ(٣)
له كمَيْنٍ عَيْنٌ وحاجِبُه   نُونٌ وَفاهُ مِيمٌ سَيَنْتَظِرْ
نعيمُ دُنْياىَ حُسْنُ صُورَتِهِ   فوَصْفُها صاحِ ليس يَنْحَصِرْ

---

(١) الغرر : التعريض للهلاك   (٢) فى ا ، ج : « كمثل المدام رقته » والمثبت فى : ب .
(٣) أصمى الصيد : رماه فقتله وهو يراه .

يَحارُ كُلٌّ فى وَصْفِ خِلْقتِه ... وكم لَدَيْهِ محاسِنٌ أُخَرْ

* * *

وقوله مُلتزِماً واوَين فى أول البيت وآخره :

ووَادٍ به قد كان بالصَّحْبِ جَمْعُنا ... ولكنَّهم للقلب بالبُعْدِ قد كَوَوْا

ووَقْد نارِى هَجْرُهم وبِعادُهم ... وللجسم منِّى يا خليلىَّ قد شَوَوْا

ووَاحَسْرةَ العُذَّالِ إنِّى أعُدُّهم ... كلاباً فمنهم لا أُبالِى إذا عَوَوْا

ووَرْقاء دَوْحٍ قد أثارتْ تَشَوُّقى ... تقوم بأحْشائِىَ وقلبِىَ قد ثَوَوْا

ووَرْدِيَّةِ الخدَّيْنِ مَعْسولةِ اللَّمَى ... وعُشَّاقُها للثَّمِ من صَدِّها حَوَوْا

ووَسْناء طَرْفٍ كالغُصون اهْتِزازُها ... أسانيدُ عِلْمِ السِّحرِ عن طَرْفِها رَوَوْا

ووَجْنتها يَحْكِى دموعى احْمِرارُها ... ورَضْوَى مع الأرْدافِ منها قد اسْتَوَوْا[1]

وَاوات أصْداغٍ لها كعقاربٍ ... وكم لَسعتْ قوماً على حُبِّها انْطَوَوْا

ووَالخصْرِ منها ما تبدَّلتُ غيرها ... ولم أكُ من قومٍ لِسُلْوانِها نَوَوْا

ووُدِّى لها من قبل آدمَ ثابِتٌ ... ولستُ كأقوامٍ إلى غيرِها هَوَوْا

* * *

وقد اقْتفَى أثر ابن زُقَّاعة[2] ، فى قوله :

ووَرْدِىُّ خَدٍّ نَرْجِسِىُّ لَواحِظٍ ... مَشايخُ علم السِّحْرِ عن لَحْظِه رَوَوْا

ووَاوَاتُ صُدْغَيْهِ حَكَيْنَ عقارِباً ... من المسكِ فوق الجُلَّنارِ قد الْتَوَوْا

ووَجْنَتُهُ الحمرا تلوحُ كجمرةٍ ... عليها قلوبُ العاشقين قد انْكَوَوْا

ووُدِّى له باقٍ ولستُ بسامِعٍ ... لقَولِ حَسُودٍ والعواذِلُ قد عَوَوْا

ووَاللهِ لا أسلو ولو صِرْتُ رِمَّةً ... وكيف وأحْشاىَ على حبِّه انْطَوَوْا

❊

---

(١) رضوى : جبل بالمدينة . تقدم ذكره كثيراً .

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن بهادر القرشى ، المعروف بابن زقاعة ، بضم الزاى ، وتشديد القاف . ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وتعانى الخياطة فى مبدأ أمره ، ثم أخذ عن علماء عصره ، وتولع بالأدب رحل من دمشق إلى القاهرة ، وتزهد فى بعض أيامه ، وتخصص بالناصر فرج بن الظاهر برقوق توفى سنة عشر وثمانمائة .
الضوء اللامع ١/١٣٠ ـ ١٣٤ .

الباب السابع

في غرائب نبهاء مصر



الباب السابع

في غرائب نُبَهاء مصر ، لا زالتْ محروسةً عن طَوارِق كلِّ هَمٍّ وأضر

وهى أمُّ الدنيا الوَلُود ، وكوكبُها السَّعْدُ الأكبر فلذا قوىَ بها طالِعُ المولود .

تبرَّجتْ تبرُّجَ العَقِيلة دون سائرٍ ، فأوقفت الناظرَ دون محاسنها وهو باهِتٌ حائر .

فإن كان الهَرَمان نَهْدَيْن فى صدرِها ، فإن الخليجَ والعهدُ به مَنْطِقة فى خَصْرِها .

كلُّ قُطْرٍ يشتاقُها فهو يتمنَّى لو صدَّق فيها الخبرَ العيان ، وكم هواء صار لها رمالاً فهو إذا مرَّ خطَّ فى رَمْل الكُثْبان .

وناهِيك ببلدةٍ فضَّلها اللهُ ورعَاها ، وأخْرَج منها ماءَها ومرْعاها .

وأسْعَد مَطالِعَ أنوائها ، فاهتزَّت وربَتْ مَساقِط أنْدائها .

إن بارَتْ تجارةٌ فإليها تُجْلَب ، أو عزَّتْ نفيسةٌ فمنها تُطْلَب .

فلذا ترغَبُ النفوسُ[1] فى جِوارِها ، وتنْفسِح الآراء بين أنْجادِها وأغْوارِها .

وقد جمعتْ ما وَلَد سام وحَام ، واشتدَّ بها الالْتحامُ والازدحام[2] .

واحْتوَت الآن على جُلِّ أبْناء يافِث ، مِن كلِّ صِنْدِيد فى عُقَدِ المُلِمَّات نافِث .

فهى كُرْسِىُّ الأمراء والأعيان ، وقَرارَةُ السادات الذين يَكِلُّ عن حَصْر معاليهم نِطاقُ البَيان .

وخزانةُ كُتب العلوم ، والآثار المُنْبِئة عن أصالة الحُلوم .

---

(١) فى ا : « الناس » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

إلى الأبْنيةِ المُحاذية للأفلاك ، والمَراقى التى كاد أهلُها يسمعون تسبيح الأمْلاك .
وفيها المقاصِر والقُصور ، والمقاعد التى عليها الحُسْنُ مَقْصور .
ومن مَحاسِنها الزاهرة المناهِج ، البِرَكُ التى استوعبَتْ رَوْنَقَ المباهِج .
وخُصوصا إذا وفَّاها[1] النِّيلُ حقَّها ، ورأيت المناظرَ حولها وقد أحْكَمتْ نَسَقَها .
فهناك تقول : ما أبْهَجها ، ويقول القائل : ما أحقَّها .

انْظُر إلى بِرَكٍ فى مصرٍ اتَّسَمَتْ ... بِها المناظرُ كالأهْداب للبصَرِ
كأنما هى والأبْصارُ تَرْمُقُها ... كواكبٌ قد أداروُها على القمَرِ

وبالجملة فهى بالنِّيل[2] تجرُ على البلاد الذَّيْلَ والرُّدْن ، ولها بذلك المَزِيَّةُ التى مانالها مدينةٌ مِن المُدْن .
وأحْسَنُ محاسِنه عَشِيَّاتُه المُذْهَبات ، التى لم تزل لأحْزانِ القلوب مُذْهِبات .
فمن رآه مال طَرَبًا من غير مُمِيل ، وعرف سِرَّ قوله : ومِمَّا يَزْدَهِينى ضَحِكُ البدرِ فى وَجْهِ النِّيل .
إلى غير ذلك من المعاهد والغِيطان ، والفُرَج التى تُنْسِى الغريبَ الأوطان .
ومن عَرَف مقادير الأشيا ، ونازَل الأطْلال والأحْيا ، عَرَف أن هذه البلدة واحدة بَسِيط الأرض ، وحِسابُ خَيْراتها الدَّارَّة لا يَنْفَدُ إلى يوم الحساب والعَرْض .
وقدخرج منها واحدٌ بعد واحد ، شُهْرةُ فضلِه كالشمس لا تُنْكَر ولا تُجْحَد .
فكأنه النَّيِّرُ الأظْهَر ، أو الجامعُ الأزْهر .
خلَّدت ذِكْرَهم[3] الدَّواوينُ المُسطَّرة ، وسَرَتْ فى مَحامِدِهم الأنفاسُ المعطَّرة .

❀

(١) فى ا : « وافاها » ، وفى ج : « وفا » ، والمثبت فى : ب .
(٢) فى ا : « على النيل » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

فمنهم :

٣٢٩

شهاب الدِّين أحمد بن محمد الخَفاجِيّ *

أوَّلُ مَن عدَدْت ، وأجلُّ مَن أعدَدْت .

أقول فيه لا مُبالِغاً ، ولستُ لأداء بعضِ حَقِّه بالغا :

لَأَنْ تَطَاوَل السماء وتُفْرَع ، وتُشبَّر البسيطةُ وتُذْرَع ، وتزاحَم أفلاكُ الكواكب بالمَناكب ، ويُتعرَّض لإحْصاء القَطَرات الهوامِل ، بالأنامِل ، ويُدْرَك جوهرُ الشمسِ باللَّمْس ، وتُمارَض زَخْرةُ البحرِ ، بالنَّحْر ، أسْهَل من أن تُحْصَى صِفاتُه ، أو أن تُقْرَع لِفكْرٍ[1] صَفاتُه[2] .

وهو الذى سار ذِكْرُه فى العالَم وانْتَشَر ، وخرَج فى[3] إحاطتِه بالعُلوم عن حدِّ البَشَر

وناهِيك بمن لم يُخْلِ زماناً من فائدة ، ولا مَكاناً من عائِدة .

وقد طال عُمْرُه ، وما خمدَ جَمْرُه .

(*) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصرى .

ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، ونشأ فى حجر أبيه ، وعليه تخرج فى كثير من الفنون ، ودرس على مشايخ عصره مثل : أبى بكر بن إسماعيل الشنوانى ، وشمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة الرملى ، ونور الدين على بن يحيى الزيادى ، ونور الدين على بن محمد بن على ، ابن غانم المقدسى .

ورحل إلى الحرمين الشريفين ، والروم ، ودمشق ، وولى قضاء روم ايلى ، ثم سلانيك ، ثم قضاء مصر

وهو صاحب كتاب « الريحانة » ، الذى يعد أصلا لهذا الكتاب ، وصاحب « الحاشية على تفسير البيضاوى » ، و « شرح الشفاء » .

توفى سنة تسع وستين وألف .

التعليقات السنية على الفوائد البهية ٢٤٢ ، حديقة الأفراح ٧٣ ، خلاصة الأثر ١/ ٣٣١ - ٣٤٣ ، ديوان الإسلام لوحة ٣٥ ب ، سلافة العصر ٤٢٠ - ٤٢٧ ، صفوة من انتشر ١٢٨ ، وترجم لنفسه فى الريحانة ، الجزء الثانى صفحة ٣٢٧ وما بعدها ، وانظر مقدمة التحقيق لـ « ريحانة الألبا » .

(١) فى ا : « بكل » ، والمثبت فى : ب ، ج. (٢) الصفاة (بفتح الصاد) : الحجر الصلد .

(٣) فى ا : « من » والمثبت فى : ب ، ج .

فهو كلَّما أسَنَّ ، شحذ مُرْهَفَ طَبْعِه وسَنّ .

مع سَلامةِ نَفْسِه فى كلّ حالاته ، وتوفُّر أمانيه من أسْباب التَّحْصيل وآلاته .

وقد جمع من الـكُتُب مالا يدخُل فى ديوانِ حاسِب ، مع الاسْتعداد الذَّاتِيّ الذى يأبى أن يكون باكْتساب كاسِب .

فسَرَد آياتِ الفضائل وتَلَاها ، وعن اقْتناصِ شَوارِد الفنون ما تلاها[1] .

وسلِمتْ مباحثُ فَضْلِه عن المُعارضة والجدَل ، وكان الثَّناء له وحدَه فإن ذُكِر غيرُه فـكالتَّابِع المعهود فى البَدَل[2] .

وصنَّف التَّصانيف التى تشهد بكلّ فضل ، وحَسْبُك منها « عناية القاضى » فإنها خيرٌ من شاهِدَىْ عَدْل .

وأما الأدب فقد امْتزَج بلحمِه ودَمِه ، وكان به وجودُه بعد أن أشْرف على عَدَمِه .

فهو بدونه كالجسد بلا رُوح ، واللفظِ دون مَشْروح .

أو كالرَّوضِ لا يُجاد ، والعاتِق بلا نِجاد .

فإذا شَمَّرَ فى البلاغة ساعِدَه ، نَضَا عن ساقِه لخدْمَتِه ابنُ سَاعِدَة .

فأمَّا مُنشَآتُه فلا يُتصوَّر عن الإتْقان خُروُجها ، وأما أشْعارُه فقد حُرِستْ بالشُّهُب بُروجُها .

فإن ألَمَّ بها مَارِدٌ فاسْترَق ، أتْبعَه طَارِقٌ فاحْترَق .

وآثارُه كما عرَفتَ طويلةُ الذَّيْل ، تعرِف مِقْدارَها شواهِدُ الليل .

صقَلَتْها تلك الفِـكرةُ المُطيعة ، وهى وإن كانت كثيرةً فصديقةٌ للطَّبيعة .

فهو فى الإنْشاء فَعَلَ الأفاعيل ، وأهْمَل الصَّادَيْن : إبراهيم ، وإسماعيل[3] .

وهما إماما الصِّناعة ، وهُمَاما البَرَاعة واليَرَاعة .

---

(١) من اللهو . (٢) وهو بدل الغلط . (٣) يعنى أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى ، والصاحب إسماعيل بن عباد .

بهما فَخَر مَن نطَق بالضَّاد ، وبسببهما حسَدت الحروفُ الصَّاد .

وله كتاب « الرَّيحانة » الذى ذَيَّلْتُ عليه ، واقتبسْتُ نورَ الهدى بتوُجُّه رَغْبتِى إليه .

وما أنا بالنِّسْبة لما أبْدَعه ، ولِمَا جئتُ به ممَّ كان الأحْرَى بى أن لا أدَعَه ، إلَّا كمَن جارَى الحِصانَ بالأتَان ، ووَاجَهَ الغزالةَ[1] بالذُّبالة ، وقارَع الحسام بالعَصا ، وبارَى الدُّرَّ بالحصا .

ذاك لا يستحسنُه الإدراك ، حتى تُصادَ الشُّهُبُ بالشِّباك ، وتتقدَّم الفَكَّةُ[2] على السِّماك .

ولقد وصَف كتابَه بما أغْنانى عن وَصْفِه ، وهذه حالى معه إذا أردتُ التَّطْرِية أتيتُ ببدائـع رَصْفِه[3] :

فهذه ذخائرُ[4] من « خَبايا الزَّوايا ، فيما فى الرجال من البَقايا » تنفَّس الدهرُ به[5] عن نَفْحةٍ عَنْبَرِيَّة ، وهبَّتْ بها[6] أنفاسٌ[7] نَدِيَّةٌ[8] نَدِيَّة ، تنفُّس الرَّوْضِ فى الأسْحار ، بأفْواهِ العَبير عن ثُغورِ النَّوْرِ والأزْهار[9] .

مِن كلِّ شَذْرةٍ تَهزَأ بـ « قلائد العِقْيان » ، وكلِّ زهرةٍ لها من السطور أفْنان .

وكلِّ فَريدة يُقِرُّ لها بالنَّفاسةِ الجميعُ ، وكلِّ مَنْقَبةٍ إذا وَعَى ذِكْرَها السامعُ وعَبَق قيل :

* أمِنْ رَيْحانَةَ الدَّاعِى السَّمِيعُ[10] *

---

(١) الغزالة هنا : الشمس . (٢) الفكة : كواكب مستديرة خلف السماك الرامح ، تسميه الصبيان قصعة المساكين . القاموس (ف ك ك) . (٣) ريحانة الألبا ١/١١ ، ١٢ .

(٤) تكملة من الريحانة . (٥) فى الريحانة : « بها » . (٦) تكملة من الريحانة .

(٧) فى الريحانة : «أنفاسه» . (٨) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وفى الريحانة : «الندية» .

(٩) هذا آخر ما فى الريحانة ، ولعل ما جاء فيما بعد عن خبايا الزوايا .

(١٠) صدر بيت لعمرو بن معد يكرب ، وعجزه :

* يُؤَرِّقُنى وأصحابى هُجُوعُ *

الأصمعيات ١٧٢ .

ومما اقْتضانى أن أُثْبِتَه فى وَصْفِه ، ما قاله البُرْهان البَاعُونِيّ[١] الشّامِى ، فى حَقِّ لِسان الدِّين بن الخطيب والتَّنْوِيه بقَدْرِه السَّامِى ، وقد رأى كتابَه « الريحانة[٢] » ، وهو به أشْبَه ، وما أظُنُّ تقارُبَهما خَفِيَ أو اشْتَبَه :

صاحب كتاب « الريحانة » ، آيةٌ من آيات اللهِ سبحانَه .

لِوَجْه أدبِه طَلاقة ، ولِلِسانه ذَلاقة ، وللقُلوبِ به عَلاقة ، وفى خَطِّه[٣] غَلاقة .

قلتُ : وأىُّ غَلاقه يعرفها مَن عَرف اصْطلاحَه بمُطالعتِه ، وينْفتِح له بابُ فَهْمِها بتَكْرِير مُراجعتِه .

فليتأمَّل الناظرُ إليه ، والمُقبِلُ عليه ، ما فيه من الجواهر ، والنُّجُوم الزَّواهِر ، بل الآياتِ البَواهِر .

ولْيُسَبِّح اللهَ تعجُّبًا من قُدْرتِه جَلَّ وعَلَا ، ومَذاهِبه التى عَذُب ماؤُها النَّمِيرُ[٤] وحَلَا .

ولْيَقُل عند تأمُّل دُرِّه النَّظِيم ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ[٥] ﴾ . انتهى .

وله « ديوان شِعر » وقفتُ عليه بخطِّه ، فأثبتُّه بخَطِّى ، ولم يُمْكِنِّى على ما فِيَّ من المَلال التَّجافِى عنه والتَّخطِّى[٦] .

---

(١) برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن ناصر الباعونى .
ولد فى صفد ، سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، ورحل إلى دمشق ، ومصر ، وكان أديبا متمكنا .
توفى سنة سبعين وثمانمائة .
البدر الطالع ١/٨ ، الضوء اللامع ١/٢٦ ، نظم العقيان ١٣ .

(٢) يعنى ريحانة الكتاب للسان الدين بن الخطيب . (٣) فى ب : « حطه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٥) سورة الحديد ٢١ . (٦) يقتبس المحبى فى العبارة السابقة ، من ترجمة الباخرزى لأبى الفرج بن هندو ، فى دمية القصر ، الجزء الثانى ، ترجمة رقم ٢٥١ .

ويكفيك من شِعْرٍ لو سَمِعَه النَّابغةُ ما نَبَغ ، أو ابنُ صَفْوانَ[1] لم يبْلُغ مِن صَفاء وَقْتِه ما بلَغ .

ولو جَاراه الجَعْدِىّ[2] لاعْتَرَف بالخَرَس ، أو الأسَدِىّ[3] لانصَرف عن صِفَة الفَرَس .

* * *

وأنا الآن قد قصَرْتُ النَّظَر على آثارِه ، من نِظامِه ونِثارِه ، وحَسْبى ذلك من مِنْحة الحظِّ وإيثارِه .

فما على مَن بلَغ من التَّملِّى بآدابِه أرَبا ، أن يُنْبِت جسمُه بعد أن يصيرَ تُراباً أدَبا .

وأسألُ الله أن يجعلَه ممَّن فاز بالنَّجاة ، ويُهَيِّئَ له من خزائن فُيوضاتِه رَحْمَتَه المُرْتَجاة .

* * *

وهنا أُورِد من نَثْره العالى ما جَمَع الحُسْنَ أجمَع ، وأُتْبِعه من شِعْرِه الغالى بما لم تَرَ أجْوَدَ منه ولا تَسْمع .

فمن فُصوله القِصار ، قولُه[4] :

إن ساعِداً زَيَّنْتَه بسِوار المَنائِح ، ، يُمْرِى لك ضُرُوعَ الثَّناء والمَدائِح .

---

(١) لعله يعنى خالد بن صفوان بن عبد الله التميمى المنقرى ، ابن الأهتم .
كان فصيحا ، من أقدر الناس على مدح الشىء وذمه ، عاش فى يسار فى البصرة ، ولم يتزوج .
توفى نحو سنة ثلاث وثلاثين ومائة .
أمالى المرتضى ٤/١٧٢ ، نكت الهميان ١٤٨ .

(٢) يعنى أبا ليلى قيس بن عبد الله النابغة الجعدى .
صحابى ، معمر ، أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ، ثم نبغ فيه . وفى اسمه خلاف .
توفى نحو سنة خمسين .
أمالى المرتضى ١/١٩٠ ، أسد الغابة ٤/٢٢١ ، ٥/٢ ـ ٤ ، طبقات فحول الشعراء ١٠٣ .

(٣) لعله يعنى امرأ القيس بن حجر ، صاحب المعلقة المشهورة التى تضمنت وصفه للفرس .

(٤) عقد الخفاجى فى ريحانة الألبا ٢/٢٥٥ـ٣٦٢ بابا لفصوله القصار ، وأورد المحبى بعضها هنا بتصرف ، كما ذكر ابن معصوم طرفا منها فى السلافة ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

ولكَ وَارِفُ ظلالٍ ، تَقِيل فيها الآمال .

بها الألْسُنُ تُقِرّ ، والأعْيُنُ والقلوب تَقَرّ .

كم مُوقِدِ نارٍ بها احترق ، ومُحسِنٍ سَبْحِ اللُّجَج فيها غَرِق .

قال لى خَلِيع : قَبِيحٌ مُوَاجِر ، أحْسَنُ من مليحٍ خَلْفَ السَّتائر .

شَتَّان بين دِرْهم النَّقْد ، ودِينار الوَعْد .

شجاعةُ الملوكِ صَبْرٌ وثبات ، وشجاعةُ الجُنْدِ إقْدامٌ وَثبات .

الكَيْسُ يفتح الكِيس .

فى إغماضِ العَيْن وإغمادِ اللِّسان عِقَابُ العُقلا ، وبلِسان السَّوْط والسيفِ عِقابُ السُّفها .

لكل قلبٍ هوًى ، كما أن لكل داء دَوَا .

فما اعْتِلالُ نَسِيم الصَّبا ، إلَّا لحبِّ زُهورِ الرُّبَى .

إذا خَلَتْ[1] قلوبُ الأكْياس[2] ، خلتْ من السُّرور قلوبُ الأكْياس[3] .

لو همَّ الفَلَكُ الدَّوَّار برِفْعةِ ماجدٍ فى الأبَد ، ما قدَّم الثَّوْر فى مَنازِله على الأسَد .

مَن باعَ الجَزَع بالاصْطِبار ، فله على الزَّمن الخِيار .

ما سُمِّىَ الزَّمنُ زَمناً ؛ إلَّا لأنه يقول لك اُقْعُدْ[4] .

هَدايا الأنام تِجارة ، وقبولُها منهم خُسارة .

المعروفُ والصَّنِيعة ، عند الحُرِّ وَدِيعة .

ربما كان أمَرَّ من الدَّا ، روائحُ المَقاقِير وشربُ الدَّوا ، وطولُ جلوسِ العُوَّادِ الثُّقَلا[5] .

---

(١) فى ا : « أحلت » ، وفى ب : « حلت » ، والمثبت فى : ح ، والريحانة ٢/٣٥٨ .

(٢) الأكياس ، جمع كيس النقود . (٣) الأكياس : جمع الكيس (بالتشديد) من الناس .

(٤) يشير إلى معنى الزمانة . (٥) انظر ريحانة الألبا ٢/٣٦١ .

قومٌ بلا رُوح فى الصُّوَر والمَلابس ، كالصُّوَر المَنقوشة فى الكنائس .

قد يحتَجِب الحُرُّ لِقِلَّة اليَسار ، كما احتَجَب البدرُ عند السِّرار .

إذا كان أعدَى عَدُوِّك بين جَنبَيك ، فصبْرُك عليه إحدَى شَجاعتَيْك .

اللبيبُ أدَبُه ، فِضَّتُه وذَهَبُه .

إذا كانت الأَراجيفُ مَلاقيحَ الفِتَن ، فانطلاقُ الألسُنِ نِتاجُ المِحَن .

لو كان هذا الوجودُ أصْلاً ما وُلِد العدَم ، ومن يُشابِهْ أَبَهُ فما ظَلَم

الحُرُّ لا يُجازِى كلَّ من (١) أَسَا ، والأسدُ لا يفترس النِّسَا .

الدنيا بإقبالها ، والدَّولَةَ بأقيالِها .

ما كلُّ وقتٍ يُسْعِف بما تُحِبّ ، فإذا أَرَدْتَ لَبُونَ (٢) فاحْتَلِبْ .

بين الفُؤَادِ والرُّقَباء لاح بعضُ إحسان ، فعرفتُ أن الشمسَ تطلعُ بين قَرْنَى الشيطان .

مَن أبطأ رَجاؤُه ، أسْرَع عَناؤُه .

ومَنِ الخُلْفُ دَاؤُه ، فالتَّرْكُ دَواؤُه .

* * *

وكتب مُقرِّظا على كتاب مَدْيَن القُوصُونىّ (٣) فى الطب ، الذى سَمَّاه

---

(١) تكملة لازمة ، ولم أجد هذا الفصل فى الفصول القصار فى الريحانة . (٢) اللبون : ذات اللبن .

(٣) فى ا ، ج : « الفيصونى » ، وفى ب : « القيصوى » والمثبت فى خلاصة الأثر ٤/٣٣٣ .

وهو مدين بن عبد الرحمن القوصونى المصرى الطبيب .

أخذ العلوم عن الشهاب أحمد بن محمد المتبولى الشافعى ، وعبد الواحد البرجى ، وأخذ الطب عن الشيخ داود .

ولى مشيخة الطب بمصر بعد السرى أحمد الشهير بابن الصائغ ، وله مؤلفات ، منها « قاموس الأطباء » فى المفردات ، و « ريحان الألباب وريعان الشباب فى مراتب الآداب » ، و « التاريخ » .

كان موجودا سنة أربع وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٣٣٣ ، ٣٣٤ .

« قاموس الأطباء »[١] :

ما طُرِّزَت حُلَلُ الثَّنا ، ورُنِّقت[٢] رِياضُ البراعة[٣] بثمرات غَضَّةِ الجَنَا ، إلَّا لتكون لباسًا لأبكار المَحامد ، ومَرْتعًا لأفكار شاكرٍ وحامد .

فالحمدُ [٤]لمولَى الحمدِ[٤] على ما أنْعَم من اللُّغات والبَيان ، وأحسَن بتَلقينها لأطفالِ الأرْواح فى مكاتب الأبْدان .

وألهَمها استخراجَ دُرِّ[٥] المَعانى من أصْدافِ الحروف ، لتنْظَم منها فى الصُّدور ، وتُعلَّق فى الآذان أبْهَى عُقودٍ وشُنُوف .

وأزْكى صلاةٍ وسلامٍ على أفْصح من نطق بالضَّاد ، فروَى من عَيْنِ فَصاحته كل صَاد .

وشَفَى بطلَب هَدايته مَرِيضَ كلِّ قلب ، وهدَى [٦]بمُفرداتِ حِكْمته[٦] كلَّ ذى جهل مُركَّب .

وعلى آلِه وأصحابِه مَدائنِ العلم والحِكَم ، ورؤساء أطِبَّاء الأبْدان والأديان من سائر الأُمَم .

لاسيَّما الأربعة الذين تِرْياقُهم العَتِيق ، وفارُوقُهم حافظُ صِحَّةِ مِزاجِ الدِّين بكُلِّ مَاضِى الشَّفْرتَين رَقِيق .

ما دامت الدنيا دارَ الشِّفا ، وصَحَّ مِزاجُ الدهرِ من الأمْراضِ واشْتَفَى .

هــذا ، وإن أخى شقيقَ الرُّوح وقُرَّةَ العَين ، وصَفْوة الحياة ومن كِفايةُ[٧] مَحبَّتِه علىَّ [٨]فَرْضُ عَين[٨] ، لمَّا أتحفَنِى فى قُدومِى للقاهرة بكتابه « قاموس الأطبَّاء

---

(١) هذا التقريظ فى خلاصة الأثر ، الموضع السابق . (٢) فى خلاصة الأثر : « ووشيت » .
(٣) فى الخلاصة : « البلاغة » . (٤) فى الخلاصة : « للمولى » . (٥) فى الخلاصة : « درر »
(٦) فى ا : « بتفرداته حكمته » وفى ج ، : « بمفرداته بحكمته » والمثبت فى : ب . والخلاصة .
(٧) ساقط من الخلاصة . (٨) ساقط من : ج ، وفى ا : « فرض العين » والمثبت فى : ب ، والخلاصة

وجدتُه الدُّرَّة الفاخرة ، والرَّوضَة التى تفتَّحتْ فيها عيونُ أنوارِه الزَّاهِيَة الزَّاهِرة .

ظَنًّا منـه أنى[1] شُعَيب مدينتِه ، وما أنا إلَّا سَلْمان بَيْتِه ، بل أشْعَبُ موائدِ كَرَمِه ومِنَّتِه .

فإذا هو بُرْدٌ مُحَبَّر ، ورَوضٌ[2] وعقْد كلُّه جَوْهر .

وكـتابٌ جميعُـه مُفْرَدات ، ولغـةٌ لو رآها الْجَـوهرِىّ قال : هَيْهـات العَقِيق هَيْهات .

أو الخليلُ[3] بعَيْنِه ، فَداه بـ « عَينه »[4] .

أو جارُ الله[5] لقال هذا هو «الفائق» ، أو ابن البَيْطار وَدَّ لو طابَقَه مُطابقةَ النَّعْل بالنَّعْل لِما فيه من الدَّقائق .

أو صاحبُ « القاموس » لقال : هذا المجد[6] ، الذى[7] ارْتضع دَرَّ[7] العربية مابين تِهامة ونَجْد .

فلله دَرُّ مُصنِّفه فقد أرانا فى الرجال بقايا ، وفى الزَّوايا خَبايا .

وأنار فِـكْرُه ظُلْمة الجهـل وقد وَقَد ، وروَى ظمْآن الفِـكْر فيما ورَد ورَدّ ، يحقِّق ماقيل : مَن دَقَّ البابَ وَلَج ومَن جَدَّ وَجَد .

وقد قلتُ فيه ارتجالا :

دهرٌ يجُــودُ بمثلِهِ   أنْعِم به دَهْراً وَفِى
رَوَّى بـكأسِ علومِه   وخِتامُه مِسْكٌ وفِى[8]

---

(١) فى ب : « بأنى » والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .   (٢) ساقط من الخلاصة .
(٣) فى الأصول : « والخليل » والمثبت فى الخلاصة .   (٤) يعنى كتاب « العين » للخليل بن أحمد الفراهيدى.
(٥) يعني جار الله أبا القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ، صاحب « الفائق » فى غريب الحديث .
(٦) لقب صاحب القاموس مجد الدين .   (٧) فى الخلاصة : « ارتقى ذروة » .
(٨) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ . [سو]رة المطففين ٢٦ .

وكتب إلى بعض إخوانه وقد توعَّك[1] :

كفاكَ اللهُ ماتخشَى وغطَّى   عليكَ بظلِّ نِعمتِه الظليلِ

أعزَّ اللهُ أنصـار [2] فيَّاضِ الـكرم[2] والحسَب ، وحَمَى بعزِّته مَعـالِمَ العلوم والأدب .

وأبقاه محروساً من هجوم الخطوب ، محفوظاً بسُور مَنيـع[3] من إحاطةِ القلوب .

وأصواتُ حرَس[4] الدُّعاء مَرْفوعة ، وسُدَّته بحجاب الصَّنائع ممنوعة .

والدهرُ وإن كان ذا غِيَر ، ومن تفـكَّر اعتبَر ، فـكيف يتسلط عليه بآلامِه ، وهو لا يتسلط على آيادى إكرامِه .

فإن همَّ به[5] ونعمتُه مُتتابعة عليه ، صدَّق قولَهم : اتَّقِ شرَّ من أحسَنْتَ إليه .

أتُهْدِى له الأيامُ سُقْماً وإنما   مَساعيه فى أعْناقِهِنَّ قلائدُ

على أنه إن [6] اعتَلَّ فقد اعتَلَّ المجـدُ والـكمال ، وإن مرض فقد مرِضتْ الأمانى والآمال[7] ، بل القلوبُ والأرْواح ، فإذا دَعَوْنا له دعوْنا لأنفُسِنا بالصَّلاح .

ورُبَّ مريضٍ لا يُعاد ، وإن كان لا يُحرَم الأجْرَ مريضُ الفؤاد .

ولا أقول كما قِيل :

ياليت عِلَّتَهُ بى غـــيرَ أنَّ له   أجْرَ العليلِ وأنِّى غيرُ مأجُورِ

ولا كما قيل :

وَفَيْناكَ لو نُعطَى الهوَى فيكَ والمُنَى   لـكانتْ بكَ الشَّـكوى وكان لكَ الأجْرُ

---

(١) فى الريحانة ١/٣١٨ أنه كتب هذه الرسالة إلى محمد الفشتالى .

(٢) فى الريحانة : « الـكرم الفياض » ، وقد تصرف المحبى كثيرا فى أسلوب الخفاجى ، على ما ورد فى الريحا

(٣) تكملة من الريحانة . (٤) انظر الريحانة . (٥) تكملة من الريحانة . (٦) تكملة لازمة

وانظر الريحانة . (٧) من هنا الى نهاية ترجمة الشهاب الخفاجى ساقط من : ح ، وهو فى : ا ، د

وقد سمعتُ بفَصْدِه للبَاسَليق [١] ، وأنه قد بكى دَماً [٢] عِرْقُه العَرِيق .

فهاكَ اعْتِلالُكَ يبْكِى دَماً وتَضْحكُ فى جِسْمِك العافيَهْ [٣]

وكان قيل : عِرْقُ الصِّحَّة له فى كلِّ مَنْبتِ شَعْرةٍ عينٌ باكية ، تبكى بمَدامع العِرْق على فِراق العافية .

وإن ببكاء عِرْقِ الصِّحَّة أضْحَكَ اللهُ ثُغورَ مَسَرَّتِه ، كما ضحِكتْ تَباشيرُ الهَنَا بصِحَّتِه .

وهَنَّأ اللهُ الوجود ، بسلامةِ الكَرَم والجُود .

فلا زال كوكبُ سَعْدِه طالعاً فى سماءِ الإقْبال ، فإن لكلِّ زمانٍ غُرَّةٌ وهِلال .

* * *

ومن فصلٍ له كتبَه لبعض المَغاربة [٤] يُداعبه ، وكان يقول بالظِّباء :

مَذْهبُ مولاىَ تقديمُ الذكور على الإناث ، وتطْليقُ حُورِ الجِنان بالثَّلاث ؛ لأن الرجلَ خيرٌ من المرأة بالاتِّفاق ، فلذا تخلَّف عن الخِلاق [٥] ، وتقدَّم حيث الشِّقاق .

كما قلتُ له أوَّلا :

أديبٌ مالَ عن حُبِّ الغَوانِى وبالأحْداثِ أصبح ذا اكْتراثِ
وقال اخْتارَ ذا أهلُ المَعانِى فغلَّبتِ الذُّكورَ على الإناثِ [٦]

وما سِواه على خلافِ القِياس ، ولا يخْلُو مثلُه عن لُبْسٍ والْتباس .

---

(١) الباسليق : عرق فى الذراع . شفاء الغليل ٤٠ ، وانظر فقه اللغة ٩٢ . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى ب ، والريحانة (٣) فى الريحانة : «وبات اعتلالك» . (٤) هو محمد بن إبراهيم ، بديع الزمان الفاسى ، والفصل فى الريحانة ١/ ٣٥٠ ، وقد تصرف فيه الخفى . (٥) فى الأصول : «الخلاف» ، والمثبت فى الريحانة ، وهو الموافق لما يأتى من السجع .

والخلاق : ضرب من الطيب ، أعظم أجزائه الزعفران .

(٦) فى الريحانة :

أقُلْتَ برَأْىِ أرْبابِ المعانى فغلَّبْتَ الذكورَ على الإناثِ

وبما خالَف أهْلَ المعانى ، قولُ الأديب الأصْفَهانِي :

* وأيْرانِ تحت لِحافٍ خَطَرَ[1] *

والتَّغْليبُ بابٌ واسِع الموارد[2] فلْيَنْظُرِ الأديبُ فى مَوارِدِه ، ولْيَتَّسِع فى فى مَصائده وأوابِده .

***

وكتب إليه الأديب يُوسُف المَغْرِبِىّ[3] ، سؤالاً أدَبِيًّا ، وهو[4] :

أيُّها الأخُ الشَّفِيق الشَّقِيق ، والرَّفيق الرَّقِيق .

والإمام الهُمام ، الهادى لسالِك الأفْهام ، إذا اخْتلَّتْ فى مَهامِهِ الأوهام .

إننى أشْكلَ علىَّ قولُ أبى منصور الثَّعالِبىّ ، فى « اليتيمة[5] » : اتَّفق لى فى أيام الصِّبا معنًى بديع ، حسِبْتُ أنِّى لم أُسْبَق إليه ، وهو[6] :

قلبِىَ وَجْـــداً مُشْتعِلْ ... وبالهُمُومِ مُشْتغِـــلْ

---

(١) جاء هذا فى الريحانة بعد قوله « والتباس » الفائت ، وورد مكانه بيتان هما :

هاتِيكَ حبيبتى ازْدَهَتْنِي طِيبًا ... أوْسَعَتْ بها ابنَ هانِىء تكذيبا

لو أمْعنَتِ النُّحاةُ فيهـــا نَظَرًا ... لم تَدْعُ إلى المُذكَّرِ التَّغْليبا

(٢) تكملة من الريحانة . (٣) يوسف بن زكريا المغربى ، نزيل مصر .

أديب ، شاعر ، أخذ بمصر عن : يحيى الأصيلى ، وبه تخرج ، والبدر القرافى ، وأبى النجا سالم السنهورى ، والأستاذ محمد البكرى .

وتوفى بها ، سنة تسع عشرة بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ١١٦ ا ، خلاصة الأثر ٤/٥٠١ ـ ٥٠٣ ، ريحانة الألبا ٢/٣٢ ـ ٣٧ .

(٤) هـــذه الرسالة والرد عليها فى خلاصة الأثر ٤/٥٠٢ ، ٥٠٣ ، وبعض ما جاء فيها فى ريحانة الألبا ١/٢٥ ، ٢٦ . (٥) يتيمة الدهر ٣/٣٩٨ ، ٣٩٩ . (٦) الأبيات أيضا فى : تاج العروس (أن س) ٤/٩٩ ما عدا الأول ، تتمة اليتيمة ١/٩٥ ما عدا الأول والثانى ، خاص الخاص ١٧٩ ، ريحانة الألبا ١/٢٥ ، عنوان المرقصات والمطربات ٤٥ ما عدا الأول والثانى ، القاموس المحيط (أ ن س) ما عدا الأول ، قراضة الذهب ٤٤ ، الكشكول ١/٧٠ ، ٧١ ما عدا الأول ، من غاب عنه المطرب ٧٧ ، ٧٨ ما عدا الأول .

وقد كَسَتْني في الهوَى ملابسَ الصَّبِّ الغَزِلْ
إنْسانةٌ فتّانةٌ بدرُ الدُّجَى منها خَجِلْ
إذا زَنَتْ عيْنِي بها فبالدُّموعِ تغْتَسِلْ

هل استعارتُه لنظَرِ الحبيب الزِّنا ، مما يُعَدُّ في الأدب معنًى حسَنا ، أو هو مما تجاوَز الحدَّ ، فاستحقَّ بالزِّنا الحدّ ؟

فكتبتُ إليه مجيباً :

أيُّها الأخ ، قُرّةَ العين ، وبدرَ هالةِ المجلس الذى هو لها زَيْن .

إنه من المعانى القبيحة ، المُورِّثة للفضيحة .

وقد سبقَه إليه ابنُ هِنْدُو في قوله[1] :

يقولون لى ما بالُ عَيْنِك مُذ رأتْ محاسِنَ هـذا الظَّبْيِ أدْمُعُها هُطْلُ
فقلتُ زَنَتْ عينى بطَلْعةِ وجهِه فكان لها مِن صَوْبِ أدْمُعِها غُسْلُ

وهو معنًى قبيح ، واستعارةٌ بَشِعة ، ألا يرى ماقيل في الذَّمّ :

أيها المُنْكِحُ بالعَيْـ ـنِ جَوارِى الأصْدقاء[2]

وقول صرَّ دُرّ[3] ، في قصيدته المشهورة وإن كان معنًى آخر[4] :

يا عينُ مِثْلُ قَذاكِ رُؤْيةُ معشَرٍ عارٌ على دُنياهُمُ والدِّينِ
نَحَسُ العيونِ فمذ رأيْتُهُمْ مُقْلتِي طهّرْتُها فَنَزَحْتُ ماءَ عُيونِي

---

(١) البيتان في : تتمة اليتيمة ١/٩٥ ، خلاصة الأثر ٤/٥٠٢ ، ريحانة الألبا ١/٢٥ ، فراضة الذهب ، يتيمة الدهر ٣/٣٩٨ .

(٢) في خلاصة الأثر : « أيها الناكح . . » .

(٣) أبو منصور على بن الحسن بن على ، المعروف بصردر ، وإنما قيل له ذلك لأن أباه كان يلقب « صر بعر » لشحه ، فلما نبغ ولده ، قيل له : « صردر » .
كان شاعرا نجيبا ، وكاتبا معروفا .
توفي سنة خمس وستين وأربعمائة . انظر مقدمة ديوانه .

(٤) ديوانه ٥٤ .

وكيف يتأتَّى لهؤلاء ما قالوه ، بعد قول يزيد بن مُعاوية فى شعرِه المشهور[١] :

وكيف ترى ليلَى بعَينٍ ترى بها ... سِواهَا وما طَهَّرْتَها بالمَدامِعِ

أُجِلُّكِ ياليلَى عن العَين إنما ... أراكِ بقلبٍ خاشِعٍ لكِ خاضِعِ

ومنه أخذ العفيفُ التِّلِمْسانِىّ[٢] قوله :

قالوا أتبكى من بِقَلْبِك دارُهُ ... جَهِل العَواذِلُ دارُه بِجَمِيعِى

لم أبْكِه لكنْ لِرُؤْيةِ وَجهِه ... طَهَّرْتُ أجفانِى بفَيضِ دُموعِى[٣]

وقال ابنُ رَشِيق ، فى كتابه « البدائع »[٤] : قال أبو على الفارِسِىّ[٥] : ليس العجب من تَوارُد الثعالبىّ مع ابن هِنْدُو ، وإنما العجبُ من قوله : لم أقْدِر أنِّى سُبِقْتُ إليه ، وأبو الطيِّب يقول فى الحُمَّى[٦] :

إذا ما فارَقَتْنِى غَسَّلَتْنِى ... كأنا عاكِفانِ على حَرامِ

وهل هذا إلَّا ذاك بعَيْنِه ، وأبو الطيِّب أحسَنُ لفظًا ، وأصَحُّ معنًى[٧] ؛ إذ ذَكراً وأُنثَى يقع الزِّنا بينهما ، خلاف ما ذَكَراه .

وفى نقْلِه تقريرٍ تركْناه ، خوفَ المَلَلِ والسَّآمة .

وهذا ما سَنَح للخاطر ، والسلام .

قلتُ : ومن النقْد على الثَّعالِبىّ فى هذه الأبيات أيضًا قولُه : « إنْسانة » ؛ فإنَّها عامِّيَّةٌ مُوَلَّدة ، وإن أورده صاحبُ « القاموس » وتشكَّك فيه[٨] . والإنسانُ يقَ

---

(١) انظر الريحانة أيضا ١/٢٦ . (٢) تقدم التعريف به فى الجزء الأول صفحة ٥٠١ .
(٣) هذا آخرما فى خلاصة الأثر من هذا الفصل . (٤) ورد هذا لابن رشيق فى كتابه ، قر الذهب ٤٤ ، ٤٥ ، وقد نقله الخفاجى فى الريحانة ١/٢٦ . (٥) لم ترد هذه النسبة فى قر الذهب ، وهى فى الريحانة . (٦) ديوان أبى الطيب ٤٧٧ . (٧) انظر قراضة الذهب ، تصرف المحبى فى عبارة ابن رشيق ، أوتبع الخفاجى فى تصرفه . (٨) تقـدم فى صفحة ٦ ذكر موضع ذلك .

للذكر والأُنثَى ، كذا قاله الشِّهابُ فى « حاشية[١] التفسير » .

وأما رَجُلَة فقد ورَد فى شعرِ العرب ، قال الشاعر :

كلُّ جارٍ ظَلَّ مُغْتبِطاً   غيرَ جيرانِى بنى جَبَلَهْ

حرَّقوا جَيْبَ فَتاتِهِمُ   لم يُبالُوا حُرْمة الرَّجُلَهْ[٢]

كذا فى « الكامل » .

* * *

وكتب إلى هذا المَغربِى[٣] يستدْعيه :

ولما نزَلْنا منزِلاً طلَّه النَّدَى   أنِيقاً وبُستاناً من النَّوْرِ حالِيَا

أجَدّ لنا طِيبُ المَكانِ وحُسْنُهُ   مُنًى فتمنَّيْنا فكنتَ الأمانِيَا

فيا غايةَ الأمانى ، وسَلْوةَ الحزينِ العانِى .

قد دعانا الربيعُ بلسان النَّسيم ، وصاحت القَمارِىُّ[٤] هلُمُّوا إلى النَّعيم المُقيم .

وعيونُ الأزْهار شاخِصةٌ إلى الطريق ، وقلوبُ الأغصان واقفةٌ لانْتظار الرَّفيق الرقيق[٥] .

فباللهِ عليك إلَّا جعلت يومَنا بك عِيداً ، وجدَّدْتَ لنا وللجَدِيدَيْن[٦] بك سُروراً جَدِيدا .

* * *

وكتب على قول الشاعر ، فى وَصف حَمَّام[٧] :

للهِ يومٌ بحَمّامٍ نَعِمْتُ بهِ   والماءُ من حَوْضِه ما بَيْننا جارِ

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا .   (٢) فى الأصول : « لم ينالوا » ، والتصويب عن الكامل ١/٢٨٠ .   (٣) هكذا جاء فى النفحة ، وفى الريحانة أنه كتب بذلك إلى تقى الدين بن عبدالقادر التميمى الغزى الحنفى ، صاحب « الطبقات السنية فى تراجم الحنفية » ، والمتوفى سنة خمس أو عشر وألف . انظر الريحانة ٢/٣١ .   (٤) فى الريحانة : « الطيور » .   (٥) ساقط من الريحانة .

(٦) هذا الفصل فى خلاصة الأثر ١/٣٣٦ .

كأنّه فوق مِسْقَاةِ الرُّخَامِ ضُحًى ... ماءٌ يسيلُ على أثْوابِ قَصَّارِ[1]

بأن قائلَه عِيبَ فيه ، حتى قال بعضُهم :

وشاعرٍ أوقدَ الطَّبعُ الذَّكِيُّ له ... فكاد يُحرِقه مِن فَرْطِ لَألَاءِ

أقام يُعمِلُ أيامًا رَوِيَّتَه ... وشبَّهَ الماءَ بعد الجَهْدِ بالمـاءِ

ثم قال : وقد يُوَجَّه بأن هذا الشاعرَ شبَّهَ الرُّخام فى الحَمَّام بشُقَّةِ قَصَّارٍ بيضاء[2] ، جرى عليها الماء ، ولم يُرِد تَشْبِيهَ الماء ، ولـكنْ ما ذكر فى الطَّرفيْن جاء بارِدًا ، فأشار الشاعرُ إلى بُرودته بما ذكر .

قلتُ : وقوله : « شبَّهَ الماءَ إلخ » قد تلاعبتْ به الشُّعراء ،[3] وتَظرَّفُوا فيه ، ونقلوه إلى مَعانٍ لطيفة ، فمنهم الشهاب الحِجازِيّ ، حيث[3] قال :

أقول شبَّهْ لناجِيدَ الرَّشَا تَرَفًا ... يا مُعْمِلَ الفِكْرِ فى نظمٍ وإنْشاءِ

فظَلَّ يُعمِل أيامًا قَرِيحتَهُ ... وشَبَّهَ الماءَ بعد الجَهْدِ بالماءِ

ومنهم الصَّلاحُ الصَّفَدِيّ ، حيث قال :

أقول شبِّهْ لنا كأسًا إذا مَزَجَ السَّـ ... ـاقِى طِلاهَا اهْتَدَى فى لَيْلِهِ السَّارِى

فظَـلَّ يُجْهِدُ أيامًا قَرِيحتَهُ ... وشبَّهَ النارَ بعـد الجَهْدِ بالنَّارِ

وله :

أتى الحبيبُ بوَجْهٍ جلَّ خالقُهُ ... لمَّا بَراه بلُطْفٍ فِتْنةَ الرَّائِى

فلاحَ شَخْصُ عَذُولِى فوق وَجْنتِه ... فقلتُ شبِّهْهُ لى فى فَرْطِ لَألَاءِ

فظَلَّ يُجْهِد أيامًا قَرِيحتَهُ ... وفسَّر الماءَ بعد الجَهْدِ بالماءِ

* * *

ومن نوادِرِه ما ذكرَه فى آخر كتابه « الخبايا » ، قال[4] : واتَّفق فى عَهْدِنا ،

(١) فى الخلاصة : « كأنه فوق شقات الرخام » . (٢) ساقط من : ب ، والخلاصة

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب . (٤) هذا القص والشعر بعده أيضا فى ريحانة الألبا ٢ / ٢٩٠ – ٢٩٢ ، مع اختلاف فى إيراد بعض فقرات النثر .

أن قاضياً فى بلاد الرُّوم أخطأ فى ثبوت شهر رمضان والعيد ، خطأً ما مثله من مِثْلِه ببَعيد .

فضَجَّ الناسُ واستغاثوا من حياتِه بمماتِه ، ولم يسترِحْ أحدٌ فى ذلك الوقت غيرَ الملائكة الكاتبين لحسَناتِه .

إذْ كَسَر طَوْقَ الهــلال من جِيد الدهر ، ونَقَص من شَهْرٍ ما زاد فى شهر . وسرَق العِيد ، واختلَس بُرْدَه الجديد .

* كأن العيدَ أموالُ اليتامى *

فقتل[1] جَبِينَ الهلال من غير غُرَّة[2] ، وسلَخ ذلك الشهرَ سَلْخًا بلَعْنِ مَن غرَّه .

فلما اسْوَدَّت الشمسُ كَمَدًا بالكُسوف ، وتَوارَى القمرُ خافَ مِجَنِّها خوفَ الحُتوف ، قال العيد : اللهُ أكبر ، على مَن طَغَى وتجبَّر .

وجاء شَوَّالُ باكيا ، ورفع رُقْعةً للمليك شاكياً :

قِصَّتى قد أتتْ إماماً هُماماَ ... تشتكى الظُّلْمَ حين صرتُ مُضاماَ
رُقعــةٌ فى يدِ المَليك طَواهاَ ... لِيَراها المليكُ فى العزِّ داماَ
أنا شَوَّالُك الفقــيرُ الذى قد ... خُصَّ بالعِيدِ والصَّلاةِ دَوَاماَ[3]
بعد شهرِ الصيامِ قد زُرْتُ قوماً ... جائماً أبتغى بهم إكْراماَ[4]
ولِىَ العيــدُ حُلَّةٌ وهِلالِى ... لِىَ طَوقٌ من فوق جِيدٍ تَسامَى[5]
رمضانُ اعتــدَى علىَّ وأمسَى ... غاصِباً ذاكَ لا يخافُ مَلاماَ
أختِشِى ذَبْحَــةً بنَصْلِ هِلالٍ ... ثم سَلْخًا له وتَرْكِى المُقاماَ[6]
لا تُضَيِّعْ حَقِّى بشاهدِ زُورٍ ... هو أعمَى بَصِــيرةٍ أو تَعامَى

(١) فى ا : « فقيل » والمثبت فى : ب . (٢) الغرة : عمه أو أمة . المصباح المنير (ع رر) ٥٣٢ .
(٣) فى ريحانة الألبا : « أنا شوال الفقير . . والصلاة دواما » . (٤) فى الريحانة : « أبتغى لهم إكراما » .
(٥) فى الريحانة : « من فوق جيدى تسامى » . (٦) فى الريحانة : « أختشى ذبحه بنصل هلالى » .

جَبْهَةَ الشَّاهِدِ أَكْوِهَا فهو وَسْمٌ ... لِكَذُوبٍ عن زُورِهِ ما تَحامَى

إن كَيَّ الخُسوفِ للشمسِ ظُلْمٌ ... وكذا الدهرُ لم يَزَلْ ظَلَّاما

* * *

وكتب لرئيسٍ كان يمزَح باليد :

سيِّدى إن كان فيه دُعابة ؛ فرايةُ مَجْدِه لم تُرَ إلَّا فى يَمِينِ عُرابَة [1] .

وإن فرَّط منه للمُحافظة باللِّطام ، فلَطْمُه لطمة ابنِ جُدْعان ويفتقِر لَطْمُ كَفِّ يَمِيضُ بالإحْسانِ والإِنْعام .

* * *

ابن جُدْعان، هو عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم [2] بن مُرَّة ، سيِّدُ قُرَيش فى الجاهليَّة ، وفى داره حِلْفُ الفُضُول المشهور فى السِّيَر .

وكان قد أسْرَف فى جوده لمَّا كَبِر ، فأخذت بنو تَيْم على يدِه ، ومنَعُوه أن يُعطِىَ من مالِه شيئا ، فكان يقول لمن أتاه : أُدْنُ منِّى . فإذا دنَا منه لَطَمَه ، ثم يقول : اذهبْ فاطلُبْ القِصاصَ منِّى أو يُرْضِيكَ رَهْطِى .

فتُرْضِيه بنو تَيْم بما يُرِيد ، وفى ذلك يقول عبد الله بن قَيْس الرُّقَيَّات [3] :

والذى إن أشار نحوَكَ لَطْماً ... تَبِعَ اللَّطْمَ نائلٌ وعَطاء

ونحو هذا ما يُحْكَى عن بعض الأسْخياء من الأمراء ، أنه أفْرَط فى الجود ، فحَجَر عليه أهلُه ، ومنعوه من أن يُعطِىَ شيئاً ، فأنفذ إليه بعضُ الشعراء قصيدةً ، فكتب إليه أن اذهبْ إلى القاضِى ، وادَّعِ علَىَّ بعشرين ألف درهم من جِهة قَرْض ، فأعترف لك ، فإذا حُبِست وصلَتْك الدراهمُ من أهلِى ، فإنهم لا يدعونى أنامُ فى الحَبْس .

---

(١) تقدم التعريف بعرابة بن أوس . (٢) فى الأصول هنا وفيما يلى «تميم» وهو خطأ فإنه من رهط أبى بكر الصديق رضى الله عنه . انظر المحبر ١٣٧ ، وسيرة ابن هشام ١/٢٦١ ، ٢٩١ ، ٦٨٢ .

(٣) ديوانه ٩٣ .

ففعل ذلك، وأخذ الدراهمَ منهم.

* * *

ومن شعره المُنتخَب من «ديوانه» قولُه من مَقْصورته النَّبَوِيَّة، التى مطلعُها:

أيا شقيقَ الرَّوْضِ حيَّاه الحَيَا ... فاحْمَرَّ وردُ خدِّه من الحَيَا

لأنتَ تِرْبُ الغُصْنِ نَشْوانَ إذا ... أدارت السُّحْبُ له خَمْرَ النَّدَى

وامْتلأتْ كاسُ الشَّقِيقِ سُحْرَةً ... فاحْمَرَّ من خَجْلَتِه خَدُّ الطَّلا

منها فى الغَزَل:

شِفاء وَجْدِى لَثْمُ خالِ خَدِّه ... والحَبَّةُ السَّوْداء للدَّاءِ شِفَا

يتركنِى تَرْكَ الظَّلِيمِ ظَلْمُه ... وهذه شِيمةُ آرامِ الفَلا(١)

تعلَّمتْ منه الليالى غَدْرَها ... فأنجزَتْ باليأسِ ميعادَ الرَّجَا

ومن وصف السَّحاب فى الرَّوْض:

غَمائمٌ لُعْسُ الشِّفاهِ ابْتَسَمتْ ... عن ثَغْرِ بارقٍ إذا الثَّغْرُ بَكا

تَفُكُّ مِن مَحْلٍ وجَدْبٍ أسْرَهُ ... وتَنْثُرُ الدُّرَّ على هامِ الرُّبَى

يسُوقها الرعدُ بصوتٍ مُذْهَبٍ ... من بَرْقِه وهْى بَطِيَّاتُ الخطَا

ومن وَصْفِ المَهْمَه:

لا يَلِجُ الطَّيْفُ إليه فَرَقًا ... وفيه ليستْ تهتدى كُدْرُ القَطَا

بالتُّرْسِ تَسْرِى الشمسُ فوق أُفْقِهِ ... والصُّبْحُ يلقاه بعَضْبٍ مُنْتضَى

ومن وصف المَجَرَّة:

مَجَرَّةٌ فى شَفَقٍ كأنهــــا ... والزهرُ فيها ذاتُ مَنْظرٍ زَهَا

نَهْرٌ به كَفُّ الشَّمالِ نثرتْ ... وَرْدًا ونَسْرِينًا جَنِيًّا قُطِفَا

(١) الظليم: ذكر النعام، والظلم، بالفتح: ماء الأسنان وبريقها.

منها :

على أغرَّ أدهمٍ قد طلَعتْ مِن وجهِه فى ظُلْمةِ الليل ذُكا
غُرَّته من تحت هُــدْبِ شَعْرِهِ طُرَّةُ صُبْحٍ تحت أذْيالِ الدُّجا[1]

* * *

من قول ابن نُباتَة فى الغزل[2] :

قلتُ وقد أبْدَى جَبِيناً واضحاً وفوقه لَيْــلَ دَلالٍ قد دَجَا
أفْدِى الذى جَبِينُه وشَعْرُهُ طُرَّةُ صُبْحٍ تحت أذْيالِ الدُّجَى[3]

* * *

أدْهَمَ قيْـدِ كُلِّ وَحْشٍ شارِدٍ قَبَّلَه الليــلُ فكُلُّه لَمَى

* * *

مَعْنًى مُتداوَل ، قال المتنبى[4] :

نَيْلُ المُنَى وحُكْمُ نَفْسِ المُرْسِلِ[5]
وعُقْـلَةُ الظَّبْىِ وحَتْفُ المُنْقَلِ[6]
كأنه من عِلْمِه بالمَقْتَـــلِ

(١) ضمن عجز بيت ابن دريد ، وصدره :

* إمّا تَرَىْ رأسىَ حاكَى لونُهُ *

شرح مقصورة ابن دريد ٣ .

(٢) جاء البيت الثانى فى ديوان ابن نباتة المصرى ٩٦ ، وجاء بعد قوله :

مالى به مع قُرْبِ دارى مُلْتقى فهـل رأيتَ ثَغرَهُ المُفَلَّجا

وجاء هذا التضمين أيضا فى بيتين لابن نباتة ، فى ديوانه ٩٥ هما :

جاء الطَّواشِىُّ بها نَصَفيَّةً كأنهــا الصبحُ إذا تبلَّجا
مَسْتورةً بذَيْلِه فحَبَّــذا طُرَّةُ صُبْحٍ تحت أذْيال الدُّجَى

(٣) فى ديوان ابن نباتة : « جبينه فى شعره » . (٤) ديوانه ١٢٢ . (٥) فى ا : «وحكم النفس مرسل » ، والمثبت فى : ب ، والديوان . (٦) فى الديوان : « وحتف التنفل » .

عَلَّمَــه بُقْراطُ فَصْدَ الأَكْحَلِ (١)

وقد أَلَمَّ المُتَنَبِّي فيه بقول الطَّائِيّ (٢) :

كَواعِبُ أَتْرابٌ لِغَيْداءَ أَصْبحتْ وليس لها في الحُسْنِ شَكْلٌ ولا تِرْبُ

لها مَنْطِقٌ قَيْدُ النَّواظِرِ لم يَزَلْ يَرُوحُ ويَغْدُو في خَفارَتِه الحُبُّ (٣)

وأَوَّلُ من اسْتأْثَرَ هذا المعنى امْرُؤُ القَيْس في قوله (٤) :

وقد أَغْتدِي والطيرُ في وُكُناتِها بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوابِدِ هَيْكَلِ

* * *

منها :

نَجائِبُ قد طفِقَتْ أَخْفافُهــا في الرَّمْلِ تُبْدِي لي ضَمائِرَ الثَّرَى

منها في المديح :

قد سَتَرَ الجمالُ حُسْنَ وَجْهِهِ صَوْناً لأَبْكارِ العُقول والنُّهَى

* * *

من قَوْل الرُّسْتُمِيّ (٥) :

بُدورٌ زَهَتْهُنَّ المَحاسِنُ أن يُرَى لَهُنَّ نِقابٌ فالوُجوهُ سَوافِرُ

والرُّسْتُمِيّ أَخَذَه من قَوْلِ عمر بن أبي رَبيعة (٦) :

ولما تنازَعْنَا الحديثَ وأَسْفَرَتْ وُجوهٌ زَهاهَا الحُسْنُ أن تَتَقَنَّعَا (٧)

---

(١) في الديوان :

* عَلَّمَ بُقْراطَ فِصادَ الأَكْحَلِ *

وانظر التعليق عليه في حاشية الديوان ، وانظر الوساطة ٧٢ ، .

(٢) ديوان أبي تمام ٣٠ . (٣) في الديوان : «لها منظر» . (٤) من معلقته وديوانه ١٩ .

(٥) يعني أبا سعيد محمد بن محمد بن الحسن الرستمي ، من أبناء أصبهان ، وأهل بيوتاتها ، وهو من شعراء اليتيمة ، والبيت فيها ٣/٣٠٦ . (٦) البيت في ديوانه ١٧٩ ، ويتيمة الدهر ٣/٣٠٦ ، بدون نسبة . (٧) هذه الرواية توافق ما في اليتيمة ، وفي الديوان :

* فلمَّا تَوافَقْنا وسَلَّمْتُ أَشْرقتْ *

وهذا أحدُ التَّواجِيه لبيت المَعَرِّى[١] :

ويا أسيرةَ حِجْلَيْها أرى سَفَهاً   حَمْلَ الحُلِىِّ بِمَن أعْيَى على النَّظَرِ[٢]

* * *

فوقَف الحُسْنُ عليــــه حائِرًا   مُتيَّماً وَلْهانَ فى ذاك البَهــــا

تَهْوَى الصَّبَا شمائِلَ اللُّطْفِ به   فلا تُداوِى سُقْمَها أيْدِى الأسَا

إلّا إذا ما لَمَسَتْ ضَرِيحَه   فـكم سَقامٍ من ترابِه اشْتفَى

سَرَى إلى السَّبْعِ الطِّباقِ جسمُه   فى صُحْبَةِ الرُّوحِ الأمينِ ورَقَى

إن قطَع الأفلاكَ سُرْعَةً فلا   بِدْعَ فإن ذاتَه شمسُ الضُّحَى

حَوافِرُ البُراقِ مِن آثارِها   قد ظهَرتْ فيــــه أهِلَّةُ السَّمَا

يُغْنِى عن المــــدحِ رَفِيعُ قَدْرِه   فيُمْدَح المــدحُ به وما دَرَى

كلٌّ لِبــــاسٍ للمديح قاصِرٌ   عنه يُحَلُّ رَحْلُه دون المَــدَى

سال لُعابُ الشمسِ مِمَّا تَشْتَهِى   لَذِيذَ هاتِيك المَعانى إذْ حَلَا

* * *

وقد استعملَ ابنُ سَناء المُلْك هذا ، فى قوله يهجُو الشمس[٣] :

أنتِ عَجُوزٌ لِمْ تَبَهْرَجْتِ لِى   وقد بَدا منك لُعابٌ يَسِيلْ

* * *

فصاحةٌ ما الشِّعر منهــــا بالغٌ   ببَحْرِه قطرةَ وَصْفِ ذِى صَفَــا

لذلك قد قَطَّعَه النــاسُ وقد   دارتْ به دَوائِرُ القومِ الأُلَى

* * *

وما أحْسَنَ قولَه فى وصف المَقْصورة :

---

(١) شروح سقط الزند ١/١١٦ .   (٢) فى شروح سقط الزند : « عن النظر » .

(٣) ديوانه ٢/٥٧٨ ، وفيه : « لم تبرجت لى » .

بين يدَيْها ابنُ دُرَيدٍ حاجبٌ   وأَلِفاتُ شِعْرِه مِثلُ العَصَا
ذَيْلُ الدُّجى بِعَرْفِها مُمَسَّكٌ   مُضَمَّخٌ خَلُوقُها بُرْدَ الضحَى

* * *

ومن هَمْزيَّته النَّبويَّة ، التي أولها :

ما سُلَيْمَى ما هندُ ما أسماء   أنتَ مَعنًى وكلُّها أسماء
وهْو حِزْبِي ووِرْدُ كلِّ لسانٍ   ولَكم أخْصَبَتْ به الشَّهْباء
ذاك حِزْبُ البحر الذي لا يُلاقِي   من يُدِمْ ذِكْرَه عَنًا وبَلاء

منها :

وجَدُوه دُرًّا يَتِيماً تَربَّى   لم يُدَنِّسْهُ عُنصرٌ وهَبَاء

* * *

الهباء : الأجزاء التي تُؤلَّف منها العناصر ، كما في « الفُتوحات[١] » .

* * *

ذاك كَيْلا يكونَ مَنٌّ علَيْهِ   لأصولٍ له إليها اعْتِزاء

* * *

في حديث الراهبُ بَحِيرَى[٢] ، لمـا سأل أبا طالب : ما هذا منك ؟

قال : ابني .

قال : هذا لا ينبغِي أن يكون أبوه حيًّا .

فيـه إشارةٌ إلى أن اليُتْم كَمالٌ في حَقِّه ، وقد بُيِّن بأن الحِكْمةَ فيـه أن لا يجب عليه طاعةٌ لغيرِ الله ، ولا يكون عليه ولايةٌ ولا مِنّةٌ لغيرِه ، ولا يتوجَّه عليه حَقٌّ لمخلوق ، ولا يُنْسَب لقَطِيعةٍ ولا عُقوق .

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ١/١٠٥٢   (٢) في الأصول « بحيرة » ، والمثبت في السيرة ١/١٨٠ ، والخبر الآتي فيها ١/١٨٢ .

كذا فى شرح « تائية السُّبْكِىّ » ، لابن الهَيْتَمِىّ [1] .

* * *

منها :

خُلُقٌ للصَّبَا شَقِيقٌ فمنها نَصْرُه والهُدَى لها النَّكْباء [2]

مُذْ أظَلَّ الزَّمانَ منه وُجودٌ حَسَدَتْه الأزْمانُ والآناء

وعليه إذا غارَ من عينِ شمسٍ ظَلَّلَتْه سَحابةٌ وَطْفاء [3]

وبه زَهْرةُ الحياةِ رَبيعٌ مُذ أظلَّت مَوْلُودَه الخضْراء

وغدَتْ أرضُه سماءً بفَخْرٍ فهْى خَضْراءُ ثُمَّ لا غَبْراء

وله الأرضُ مَسْجِدٌ لجميعُ مَن عليها له به الاقْتِداء

وسُطورُ الصلاةِ حُجَّةُ دِينٍ وبخَتْمِ النُّبُوّةِ الإمْضاء

وبه شُرِّفَتْ فكانت طَهُورًا وتساوَى البُلْدانُ والصَّحْراء

منها :

وله الضَّبُّ ناطِقٌ باعْترافٍ ومن السَّمْدِ تنطِقُ العَجْماء

مع ذَا سَفَّه النِّفاقُ أناسًا ما لِضَبٍّ من حِقْدِهم نافِقاء [4]

ليس فيهم سِوَى أعِنَّةِ خَيْلٍ وقَنَا الخَطِّ فى الوَغَى سُفَهاء

ومِراضُ القلوب قد قصَدَتْهم سُمْرُه حين حَمَّتِ الهَيْجاء

ما سَقاهم إلَّا كئُوسَ المَنايَا ربَّ داءٍ له المَماتُ دَواء

---

(١) يعنى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الهيتمى ، ابن حجر ، المتوفى سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة .
وقد ذكر الخفاجى بعض أبيات هذه التائية فى الريحانة ١/٥١ ، ٥٢ ، وذكر أنها منسوبة لابن السبكى ، وأنه نظم فيها معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن بعض المتأخرين شرحها .
وذكرت فى حاشية تلك الصفحة أن الأستاذ خير الدين الزركلى ذكر فى الأعلام ١٠/١٨٦ ، أن محمد بن أحمد ، ابن المحلى ، المتوفى سنة تسعين وثمانمائة شرح هذه التائية ، وهى مخطوطة بالمكتبة العربية بدمشق .

(٢) النكباء : ريح انحرفت ووقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال . القاموس (ن ك ب) .

(٣) سحابة وطفاء : متدلية من ثقل ما بها . (٤) نافقاء الضب : جحره .

هم ثِقالٌ إذا رَحَى الحرب دارتْ   وبنـــادِيهمُ همُ الأرْجاء[1]
تُغْمَدُ البِيضُ فى طُلاهمْ بفتْكٍ   مُضَرٌ لُقِّبتْ به الحَمْراء

* * *

هذا من الأسرار العجيبة فى اللغة العربيّة ، وهو الإشارةُ إلى حالِ اللّفظ أو جِهة وَصْفِه ، كقول ابن الرُّومِى[2] :

غارتْ عليهنَّ النُّدِىُّ م هناك مِن مسِّ الغَلائِلْ
وإذا لبِسْنَ خَـــلاخِلاً كَذَّبْن أسماء الخلاخِـــلْ

وقال الشريف الرَّضى[3] :

وغَيَّر ألوانَ القَنا طول طَعْنهم   فبالخمرِ تُدْعَى اليومَ لابالقَنا السُّمْرِ

وقال[4] :

سُمِّيتِ الغَبْراء فى عَهْدِهمْ   حَمْراء من طُولِ قِطارِ الدَّمِ[5]

وقال الغَزِّى[6] :

حيثُ القناةُ تُرَى قَناةً كاسْمِها   من نَضْحِ عَيْنِ الطَّعْنة الرَّشَّاشِ

وقال ابنُ حازِم[7] :

جعلُوا القَنا أقلامَهم وطُرُوسَهمْ   مُهَجَ العِدَى ومِدادهنَّ دِماءَها
وأظُنُّ أن الأقدَمِين لِذا رَأَوْا   أن يجْعلوا خَطِّيَّةً أسْمـــاءَها

وقال المُتنبِّى فى الدنيا[8] :

شِيَمُ الغانياتِ فيها فما أدْرِى   لِذا أنَّث اسمها النَّاسُ أوْ لا

---

(١) فى الأصول : « هم ثقال إذا رحى الحرب دارت » ، ولعل الصواب ما أثبته . والثفال : ما وقيت الرحى من الأرض . (٢) لم يرد فيما طبع من ديوانه .
(٣) ديوانه ١/٣٨٩ . (٤) ديوانه أيضا ٢/٧٤٧ . (٥) القطار : جمع القطرة ، وهو يعنى قطر الدم . (٦) لإبراهيم بن عثمان ، تقدم التعريف به فى الجزء الأول ، صفحة ٢١٨ .
(٧) هكذا جاء فى الأصول ، ولم أعرفه ، ولعله حازم القرطاجنى ، الذى تقدم التعريف به ، فى الجزء الثانى ، صفحة ٦٢ . (٨) ديوانه ١٤٠١ .

وقال الشَّابّ الظّريف[1] :

أدُورُ لتقْبيلِ الثَّنايا ولم أزَلْ ... أجُودُ بنَفْسِى للنَّدامَى وأنْفاسِى

وأكْسُوا كفَّ الشّهْبِ ثوْباً مُذَهَّباً ... فمِن أجْلِ هذا لقَبُونِى بالكاسِ

وقال الخَفَاجِىّ :

ما السِرُّ سِرٌّ إذا أظهَرْته لِفَتًى ... سِواكَ والسِّرُّ لِلإخْفاء قد صُنِعا

* * *

منها تتِمَّة :

قد محاهمُ وطهّر الأرضَ منها ... ومع السَّيْلِ لا يقَرُّ الغُثـــاء

وبُطُونُ الطَّيرِ أمْسَتْ قُبوراً ... للْعِدى إذ تمزّق الأشـــلاء

ما سمِعْنا بالقبْرِ سار اشتياقاً ... لِيُوارِى سَوْآتِ مَن قد أساءوا

رُبَّ من كان زِئْبِقاً قرّاراً ... صار عَبْداً لِرقِّه استمساء[2]

لم يقِلْ والظِّلالُ صارتْ مِهاداً ... فوْقَه الآلُ بُرْدَةٌ سِيَراء[3]

منها :

هو نُورٌ فمالَه قَطُّ ظِـــلٌّ ... لَاحَ لولا بُرودُه والرِّداء

إن نفَى ظُلْمةَ عَياه جمـــالٍ ... فبِظِلٍّ له يَعِزُّ البقـــاء

صِينَ عن أن يجرّ فى التُّرب ذَيْلٌ ... مِن ظِلالٍ له كما الافيـــاء

فَرَشَ الناسُ ظِلَّهم واحتذَوْهُ ... عند ما قام للنّهـــارِ استِواء

كيف يبْدُو ظِلٌّ لِشَمْسٍ تعالَتْ ... واستوَى الإسْتواء والإرْتقاء

أتُراه يُصانُ عَن حَرّ جَوٍّ ... إذْ أظلّته سُحْبُه والعَمـــاء

---

(١) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣٨ .
والبيتان فى ديوانه ٤٢ ، قالهما على لسان الكاس .

(١) كذا بالأصول ، ولعلها : « استغساء » من غسا الليل بمعنى أظلم . (٢) بردة سيراء : مخطط

أمْ عليه تَغارُ مِن عَيْنِ شمسٍ   مُدَّ مِن دونها عليه الْغِطاء
لم تَرَ العينُ مِثْــلَه فلهذا   يَنْمَحِى ظِلُّه إذا الناسُ فَاءوا
لَبِسَ الظِّلُّ مِن نَواهُ حِداداً   فظِلالُ الورَى لِذَا سَوْداء

* * *

مِن هذا يُعلَم قُدرتُه على الكلام وتَصرُّفُه ، وبالجملة فلم أرَ أحداً مثلَه أطاعتْه ألفاظُ الكلام وأحْرُفُه .

وقد استعملَ الظِّلَّ فى معنًى غيرِ ما نظمه هنا من رُباعيَّة له(١) :

ما جُرَّ لِظلِّ أحمَــدَ أذيالُ   فى الأرضِ كَرامةً كما قد قالُوا
هَــذا عَجَبٌ ويالَه مِن عَجَبٍ   والناسُ بظِلِّه جميعاً قالُوا(٢)

* * *

لَيلةٌ أنجبتْ وقد حَمَلتْــه   وبِهــذا ما أنجبتْ سَوْداء
جَنَّةٌ كلُّ بُقعةٍ حَلَّ فيها   ليس فيها لَغْوٌ ولا شَحْنــاءُ
وأهالِى الجِنانِ ليس ينامُو   نَ لذا كان نَوْمُه الإغفاءُ
يَقِظُ القلبِ فالجفونُ هُجودٌ   ومَحارِيبُ حاجِبَيْه قُبــاءُ
فُوهُ لم يَنْفَتِحْ بغير سَدادٍ   لا تَمَطٍّ له ولا ثَوْباءُ

* * *

الثَّوباء : التَّثاؤُب .

قال ابنُ حَجَر فى « شرح الهَمْزيّة » : جاء أن النبىَّ صلَّى الله عليـه وسلم حُفِظ ن التَّثاؤُب ، بل جاء أن كلَّ نَبِىٍّ كذلك .

---

(١) الرباعية فى ريحانة الألبا ١/٥١ ، نسيم الرياض ٣/٣١٩ .

(٢) فى الريحانة : « هذا عجب وكم له من عجب » .

و « قالوا » الأولى : من القول ، والثانية : من القيلولة .

وذكر المترجَم ، فى « شرحه على الشّفاء » ، عند قوله[1] :

ومن دلائل نُبُوَّتِه أنَّ الذبابَ كان لا يقعُ على ماظهَرَ من جسدِه الشريف ، ولا يقعُ على ثيابِهِ ، مامُلخَّصه : وهذا مما قاله ابنُ سبع أيضا ، إلّا أنهم قالوا : لا يُعْلَم مَن روَى هذا .

وهذا ممَّا أكرمه الله تعالى به ؛ لأنَّه طَهَّره من جميع الأقْذار .

وقد نظم[2] هذا فى رباعيّة ، وهى :

مِن أكْرَمِ مُرْسَلٍ عظيمٍ جَلَّا ... لم تَدْنُ ذُبابةٌ إذا ماحَلَّا[3]

هذا عَجَبٌ ولم يذُقْ ذو نَظَرٍ ... فى الموجُوداتِ مِن حُلاه أحْلَى

قال[4] : وتظرّف بعضُ الأعاجِم ـ ومُرادُه به المُلَّاجَامِى[5] ـ فقال : محمد رسولُ الله ليس فيه حرْفٌ مَنقوط ؛ لأن النَّقْطَ يُشْبِـهُ الذبابَ ، فَصِينَ اسْمُـه ونَعْتُه عن النقْط .

ونظمه فقال :

لقد ذُبَّ الذُّبابُ فليس يَعْلُو ... رسولَ اللهِ محموداً مُحَمَّدْ

ونَقْطُ الحَرْفِ يُشْبِهُهُ بشَكْلٍ ... لذاكَ الخطُّ عنه قد تَجَرَّدْ[6]

* * *

صَمَّمُوا آراءَهم على الفَتْكِ فيهِ ... فتوارَتْ لخــوْفِه الآراءُ

---

(١) شرح الشفاء ٣١٩/٣ ، والفصل أيضا فى خلاصة الأثر ٣٣٥/١ .

(٢) أى الخفاجى ، وهى فى : خلاصة الأثر ٣٣٥/١ ، نسيم الرياض ٣١٩/٣ ، ٣٢٠ .

(٣) فى نسيم الرياض : « عظيم حـــلا » . (٤) هذا أيضا فى : الخلاصة ٣٣٥/٣ ، ونسيم الرياض ٣٢٠/٣ . (٥) عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامى .

مفسر ، متصوف ، فاضل ، ضليع فى علوم اللسان .

توفى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة .

شذرات الذهب ٣٦٠/٧ ، الشقائق النعمانية ٣٨٩/١ ـ ٣٩٢ ، الفوائد البهية ٨٦ ـ ٨٨ .

(٦) فى خلاصة الأثر ، ونسيم الرياض : « ونقط الحرف يحكيه » .

ورأوا نفيَه لِحَيٍّ سِـــواهُمْ ولـكم أثبتَ المِراءَ انتِفـــاءُ
لم يُصِبْ نَصْبُهم مَكائدَ شَرٍّ وتَساوَى التَّحْذِيرُ والإغْراءُ
نَبحُ كلبٍ بلَيْلةِ التَّمِّ بَدْراً لم يُفِدْه إلَّا الْعَـــنَا والعُواءُ

منها :

ولِغَيْظٍ على سُراقةَ عَضَّتْ سُوقَ نَهْدٍ من تحتِه الدَّهْناءُ (١)
وعلى أمِّ مَعْبَدٍ نالَ حتى بعُلاها تحـــدَّث الأحْياءُ
ورَفيعَ العِمادِ أصْبَح لَمَّا أنْ حوَى قَدْرَه الرَّفيعَ الجُفاءُ
وبيُمْنٍ منه له الشَّاةُ دَرَّتْ وهْى للهِ دَرُّها عَجْفـــاءُ
وطَعـــامٌ لجابرٍ إذْ أتاه وبخَفْضِ الإضـــافةِ النَّعْماءُ
كطعامِ الجِنانِ من غيرِ قَطْعٍ لجميعِ الأنامِ فيه اكْتفاءُ

* * *

وله فى وَصْف تلك الذَّات ، التى وَصْفُها أشْهَى اللَّذَّات ، من قصيدة طويلة :

تَمَلَّكَ حَبَّاتِ القلوبِ لأجلِ ذا دَعاهُ حَبِيباً كلُّ صَبٍّ مُتَيَّمِ
ويوسُف لم يظفَرْ بمَسْحةِ حُسْنِه على أنه رَبُّ الجمالِ الْمُكَرَّمِ

* * *

يُقال : عليه مَسْحةٌ من كذا ، أى أثَر . قال (٢) :

* على وَجْهِ مَيٍّ مَسْحةٌ مِن مَلاحةٍ *

---

(١) فى ا : « ولقيظ على سراقة » والكلمة غير واضحة فى : ب ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) أى ذو الرمة ، وهو صدر بيت له فى ديوانه ٦٧٥ ، وعجزه :

* وتحت الثِّيابِ الخِزْىُ إن كانَ باديا *

وفى الحديث : « عَلَيْهِ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَكٍ »[١] ، وهى تعبيرٌ بليغ ، وهو خاصٌّ بالمدح .

* * *

فأين النِّساءُ القاطِعاتُ أكُفَّها ... وشَقُّ ابن مُزْنٍ صدرَه شقَّ مُغْرَمِ
ودُرٌّ يَتِيمٌ لم يُهَذِّبْه كافِلٌ ... وآدابُه ليست إلى الناسِ تَنْتَمِى
يقول أنا الأُمِّىُّ فى اللَّوحِ ناظِرٌ ... وفى مَكْتَبِ الأرواحِ ربِّى مُعَلِّمِى

منها :

إذا لاح فى مَوْضُونَةِ السَّرْدِ خِلْتَهُ ... خِضَمًّا تَرَدَّى بالغَدِيرِ المُنَسَّمِ[٢]
أأعْداوُه خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ ولم ... تَحِنَّ حَنِينَ الجِذْعِ حين التَّأَلُّمِ
أم الصَّخْرُ إنَّ الصَّخْرَ سَلَّمَ إذْ بَدا ... وما سَلَّمتْ تسليمَ أخْرَسَ أعْجَمِ

منها :

فَسَلْ يومَ بَدْرٍ حين لاحتْ نُجومُه ... وشمسٌ بغَيْرِ النَّقْعِ لم تتلثَّمِ
بكُلِّ كَمِيٍّ كان فى بَطْنِ أُمِّه ... تعلَّمَ أن يُغْذَى ويُرْوَى من الدَّمِ

* * *

لم أسمعْ فى هذا المعنى أبْدَعَ من قَوْلِ أبى بكر الإشْبِيلىّ المعروف بالأبْيَض[٣] ، فى تهنئة بمولود[٤] :

أصاخَتِ الخيلُ آذانًا لِصَرْخَتِهِ ... واهْتَزَّ كلُّ هِزَبْرٍ عندما عَطَسا[٥]

---

(١) فى النهاية ٤/٣٢٨ ، ٣٥٩ : « عليه مسحة ملك » ، والضمير عائد على جرير بن عبد الله .

(٢) الموضونة : الدرع المقاربة النسج .
وفى ا : « بالغدير المسم » ، والمثبت فى : ب .

(٣) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الأنصارى الإشبيلى ، المعروف بالأبيض .
كان من فحول شعراء المغرب المذكورين بالسبق فى الشعر والأدب .
توفى بعد سنة خمس وعشرين وخمسمائة .
المطرب من أشعار أهل المغرب ٧٦ ، المغرب فى حلى المغرب ٢/١٢٧ .

(٤) الأبيات فى : المطرب ٧٦ ، والمغرب ٢/١٢٨ . (٥) فى المغرب : « وارتاع كل هزبر » .

تعشَّقَ الدِّرْعَ مُذْ شُدَّتْ لفائفهُ ... وأبغضَ المهدَ لمّا أبصرَ الفرَسا[1]

تعلَّمَ الرَّكْضَ أيّامَ المخاضِ بهِ ... فما امتطَى الخيلَ إلّا وهْو قد فرَسا

* * *

وله من أخرى مُسْتَهلها :

يالَيْتنِي ثانٍ لِحادٍ حَداكْ ... ورابعُ الكَهْفِ لِكَهْفٍ حَواكْ

وليت نَوْءَ الطَّرْفِ فى رَوْضةٍ ... أنتَ بها رَغْمًا لِنَوْءِ السِّماكْ

أُسْقِى بها مَثْواكَ يامُنْيتِى ... هل تُسْكَبُ العَبَراتُ إلا هُناكْ

يا ابنَ الذبيحَيْن وقد فُدِّيا ... ليت جميعَ الخلْقِ كانوا فِداكْ[2]

فما استحقّ العَنْبرُ الرَّطبُ أن ... يُحرَق إلا حين حاكى ثَراكْ

ليت وُجوهًا لأعاديكَ لو ... أمسَتْ نِعالاً حاجباها شِراكْ

لم تَحْكِكَ السُّحْبُ ولا البحْرُ فى ... جُودٍ ولا فاز بما فى لُهاكْ

فالبَرْقُ لم يَلْمعْ ولكنّه ... يَضْحَكُ من وابِلِ غيْثٍ حَكاكْ

* * *

وله :

أيُغلَبُ من له الأمْلاكُ جُنْدٌ ... وربُّ العرْشِ قد أمسَى مُعِينَا

وقبْلَ جُيوشِه هُزِمَتْ قلوبٌ ... برُعْبٍ خِلْتَه سبَق المَنُونَا

ولو ثَبتُوا لفَرَّ الهامُ منهمْ ... وأرْوَاحٌ لهم كانتْ كَمِينَا

* * *

وله :

لِرَسُولِ الإلهِ أعْلَى مَقامٍ ... ليس يَدْرِى به جميعُ الكَلامِ

---

(١) فى المغرب : « إذ شدت . . . وأنكر المهد لما عاين الفرسا » ، وفى الأصول : « لما أبغض الفرسا » وهو خطأ ، صوابه فى : المطرب . (٢) يعنى بالذبيحين إسماعيل عليه السلام ، وعبد الله ابن عبد المطلب والد النبى صلى الله عليه وسلم .

وله هِمَّـــةٌ وعَزْمٌ رفيعٌ ‏ جَلَّ عن أن يُرْتَضَى بِمُلْكِ الْحُطامِ
فـــلذا لم يكُنْ له مِيراثٌ ‏ غيرَ شَرْعٍ وغيرَ عِلْمٍ سَامِى
لو تكون الدُّنْيا له مِيراثًا ‏ مِثْلَ ما كان فى جميعِ الأَنامِ
ما حَواهَا الصِّدِّيقُ فى عَصَباتٍ ‏ وذَوِى الفَرْضِ من أُلِى الأَرْحامِ
وهْو حَىٌّ فى قَبْرِه ورسولٌ ‏ لم يُوَرِّثْ حَيًّا ذَوُو الأَحْلامِ
فَدَكٌ قد قضَتْ علينا بهـــذا ‏ وحديثُ العَبَّاسِ والأَعْلامِ [1]
فَأْدْرِ هذا فإنه جَوْهَرٌ قد ‏ حَفِظَتْه خَزائِنُ الأَفْهـــامِ
لا يَغُرَّنَّكَ الذى قال قومٌ ‏ حين ضَلُّوا فى مَهْمَهِ الأَوْهامِ

* * *

ومن أخرى :

فالجِذْعُ حَنَّ وأَنَّ مِن جَزَعٍ ‏ لِفراقِ طٰهَ بَعْدَما خَطَبَا
وغَدا غِراسًا فى الجِنان له ‏ ثَمَرٌ يَطِيبُ بِمَنْهَلٍ عَذُبَا
والمُشرِكون قَسَتْ قلوبُهُمُ ‏ فطَغَوْا ولم يُصْغُوا لخيرِ نَبَا
فغَدَوْا وهم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ‏ سَتَراهمُ لِجَهَنَّمٍ حَطَبــــا

* * *

وله [2] :

لِوالِدَىْ طٰهَ مَقـــامٌ عَلَا ‏ فى جَنَّةِ الْخُلْدِ ودارِ الثَّوابْ
وقَطْرَةٌ من فَضَلاتٍ له ‏ فى الجَوْفِ تُنْجِى مِن أَلِيمِ العِقابْ [3]

---

(١) فدك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وقيل : ثلاثة ، أفاءها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فى سنة سبع صلحا . معجم البلدان ٣/٨٥٥ .

وانظر حديث فدك ، وميراث فاطمة والعباس رضى الله عنهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم ٣/١٣٧٨ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٣ (باب حكم الفىء ، من كتاب الجهاد والسير).

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٣٣٣ . ‏ (٣) فى خلاصة الأثر : « فقطرة من فضلات له » .

فكيف أرْحامٌ له قد غَدَتْ حامِلةً تَصْلَى بنـارِ العـذابْ

* * *

وله :

رُواةُ حَديثِ المصطفَى قد دعَا لهمْ بنَضْرةِ وَجْهٍ فى المَسَرَّةِ لا تُحَدّ
وإنِّىَ قِدْمًا خادمٌ لحديثِه يُرَاعِى بمِحرابِ الطُّرُوسِ له سَجَدْ
فحاشاهُ أن يَرْضَى بذِلَّةِ عَبْدِهِ ويهدِمَ بُنْياناً عليه قد اعْتَمَدْ
إليه اسْتِنادِى فى جميعِ مَقاصِدِى وما خاب مَن كان الرسولُ له سَنَدْ

* * *

وله فى قِصَّةِ عامرٍ مع النّبِىّ صَلَّى الله عليه وسلم وأرْبَدَ(1) :

يا خُلَّبَ البَرْقِ الذى كالنَّصْلِ قد قطَع العَلائِقْ
وافَيْتَ أرْبَدَ بالرَّدَى للهِ دَرُّكَ أىَّ بَارِقْ
ما ذاكَ أوَّلَ شائِمٍ لِلْبَرْقِ أرْدَتْهُ الصَّواعِقْ

* * *

وله :

بِمَسِّ أقْدامِ النَّبِىِّ قد حَوَتْ طَيْبَةُ فخراً حَلَّ فى أرْجائِهَا
أخالُهـا مذ فَنِيَتْ بحُبِّهِ صَانَتْه لِلْغَيْرةِ فى أحْشائِهَا

* * *

وله مُضَمِّناً :

وقالوا حلَتْ بئرٌ بِرِيقِ مُحمَّدٍ وكم عاد صَخْرٌ بعدما مَسَّه رَطْبَا

---

(1) يعنى عامر بن الطفيل وأربد بن قيس ، وقد قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان الغدر به ، فنجاه الله ، وقتل عامر بالطاعون فى عنقه ، وأربد بصاعقة أحرقته .
انظر الخبر فى السيرة ٢/٥٦٨ ، ٥٦٩ .

ولو نال ماء البحرِ من فِيهِ قَطْرَةً   لأصْبَحَ ماء البحرِ مِن رِيقِه عَذْبَا

* * *

لمجنون ليلى[1] :

ولو تفلَتْ فى البحرِ والبحرُ مالحٌ   لأصبحَ ماء البحرِ مِن رِيقِها عَذْبَا

* * *

وله :

ما زَلْزَلَةٌ لهـا سقوطُ الإيوانْ   إذ حان قُدُومُ فَخْرِ نوعِ الإنْسانْ[2]

إلّا لِمَسَرَّةٍ تَهُزُّ الأكْوانْ   إذْ بَشَّرها به اخْتِلاجُ الأعْيانْ

* * *

وله[3] :

طه كَمُلَتْ صِفاتُه والخُلُقُ   مُذْ زُيِّنَ فى الوجودِ له النَّسَقُ

بحرٌ عَذُبَتْ مَوارِدُ الشُّرْبِ به   لولاه لَمَا اسْتُخْرِج منه العَلَقُ

* * *

وله :

نِيرانُ فارسَ انْطَفَتْ لمّا بَدَتْ   بُشْرَى النُّبُوَّةِ ساطِعاً بُرْهانُها

سجَدتْ لِنِيرانِ المَجُوسِ عِصابةٌ   سجَدتْ لأنْوارِ الهُدَى نِيرانُها

* * *

وله :

لَعَمْرُكَ جَبْهَةُ خيرِ الوَرَى   جِراحَتُهـا آيةٌ للبَشَرْ

أرانا لهـا اللهُ حتى نَرَى   بِها كيفَ كان انْشِقاقُ القَمَرْ[4]

* * *

(١) لم أجد البيت فى ديوانه المطبوع . (٢) فى الأصول: « مازلزلت .. » ، ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) تفردت ا بإيراد هذين البيتين . (٤) فى ا : « أرانا له الله » ، والمثبت فى : ب .

وله :

قَصَرْتُ مَدائِحِي والقَصْرُ مِنّي على طه وما لِلقَصْرِ مَدُّ
إذا كان الثَّناء له جميــــلًا هو الحَمْدُ الذى فى العُرْفِ حَدُّوا[1]
ولم يُرَ منــــه أجملُ طَرْفِ عَيْنٍ فليس بِلائِقٍ لِسِوَاه حَمْــــدُ

* * *

وله :

خَليلَيَّ مُرَّا بِي على طَيْبَةَ التى بها مَضْجَعُ المُختارِ طه المُقَرَّبُ
يفُوق ذَكِيَّ المِسْكِ عَرْفُ تُرابِها فَمِن شَمِّه ناداكَ صَلِّ عَلَى النَّبِي[2]
أَلَمْ تَرَ أَنِّى كُلَّما جِئْتُ طارِقاً وَجَدْتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ

* * *

وله :

لَعَمْرُكَ ما قلبُ النَّبِيِّ غَفَا ولا عيونٌ له فى ظُلْمةِ الليلِ راقِدَهْ
تَهجَّدتِ الأجْفانُ فى ظُلْمةِ الدُّجَى فباتتْ بِمِحْرابِ الحواجِبِ ساجِدَهْ

* * *

وله فى وَصْف الصَّحابة مُضمِّناً[3] :

يُـكبِّرُون إذا خاضُوا بُحُورَ رَدًى وما لَهُمْ عن حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ

* * *

[4] حِياضُ : جمع حَوض ، وحياضُ الموت : المَنِيَّة ، استعارة منه[4] ، والتَّهْليلُ : الانْهِزام والتَّـكْذيب ، قال :

أَمْضَى وأَغْنَى فى اللِّقَـــاء لَقِيتَهُ وأَقَلُّ تَهْلِيلا إذا ما أَحْجَما

---

(١) فى الأصول : « له جميل » . (٢) قوله : « صل على النبى » أسلوب تعجب . انظر ريحانة الألبا ١/٤٥٣ — ٤٥٥ . (٣) ضمن عجز بيت كعب بن زهير الذى يقول فيه :

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلَّا فى نُحُورِهِمُ ما إن لهم عن حِياضِ الموتِ تَهْلِيلُ

ديوانه ٢٥ .

(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب .

ومن لطائف المتأخِّرين :

هَلُمَّ لوَصْلِ حَمَّــامٍ بديعٍ يفُوق رُخامُه زَهْرَ الرِّياضِ
لِبُعْدِكَ ماؤُه ما طاب قَلْباً وأمْسَى من فِراقِك فى الحِياضِ

* * *

ومن تَفارِيق قصائده قولُه :

على النَّهْرِ دِرْعٌ من نَسيمٍ حَبابُهُ له حَلَقٌ لَمَّـا رَمَى وَبْلُه نَبْلَا
تَـكِلُّ سيوفُ الهندِ فى لَحْظِ مُنْيَتِى فتعْذُب والتَّعْذِيبُ فى السيفِ إن كَلَّا

منها :

إذا طالَبتْنِى بالحُتوفِ عَزائِمى أُماطِلُها حتى أُلاقِى لهـــا أهْلَا
فيقْضِى اضْطِبارِى كلَّ دَيْنٍ على المُنَى قضاءَ مَلِىٍّ لم يكنْ يعرفُ المَطْلَا
وإن صِرْتُ حِلْسَ الدَّارِ رِزْقِى يَزُورُنِى فأضْطاد ما تَهْوَى الأمانِى من المِقْلَا[1]

* * *

وقوله من قصيدة أوَّلُها :

بِتُّ أرْعَى النجومَ والإلْفُ رَاقِدْ هل سَميرُ الشِّهابِ غيرُ الفَراقِدْ

منها :

كلُّ زَرْعٍ زَرَعْتُه فى شبابِى فله مِنْجَلُ انْحِنائِىَ حَاصِدْ
أنا فى الأرْضِ ضاربٌ كلَّ كَسْبٍ مِثْلَ ضَرْبٍ لِواحِدٍ فى وَاحِدْ[2]

منها :

وبجِيدِ الأيامِ عند تَصابٍ ليس غير الـكُؤُوسِ فيها قَرائِدْ[3]

* * *

(١) فى ب : « زق يزورنى ... من القلا » . (٢) فى ب : « دون كسب » .
(٣) فى ب : « فيه فرائد » .

وقوله :

وسَفَرٍ مُنًى جازتْ بعَزْمِى ومالَهـا قناطرُ إلَّا العِيسَ فى أبْحُرِ الآلِ
عَبَرْتُ بها دارًا مُحِيلًا رُسُومُه ألَحَّ عليـه كُلُّ أسْحَمَ هَطَّالِ
إلى كعبـةٍ أمسَتْ تُزارُ ولم تَزُرْ يطوف رجائى حولَها مُنْذُ أحْوالِ [١]
أقول لهـا لَمَّا تبدَّى لناظِرِى تَمِيسُ عُلاهُ فى مَلابِسِ إجْلالِ
أتيتُك من كلِّ الوسائلِ مُحْرِمًا وألبَسْتُ وَجْهَ الأرضِ سابِغَ أذيالِ

* * *

وقوله :

وخِدْنٍ يرُوق الطَّرْفَ وَضَّاحُ وَجْهِهِ وقد تَرْجَمَتْ باليُمْنِ عنه قَوابِلُهْ
إذا غَصَّ بالسُّؤالِ نادٍ يحُلُّه يَسُوغُ بماءِ الجُودِ يصْفُو مُسائِلُهْ
وإن نَحَلَتْ أقلامُـه لاشْتياقِها إليه حَنَتْ منه عليها أنامِلُهْ [٢]
ويُزْهِر وَجْـهُ الشمسِ غِبَّ لقائِه وتَصْفَرُّ من خوفِ الفِراقِ أصائِلُهْ
فإن صَدَّنِى عنك الزمانُ لحادثٍ فأيْنَ من الفَرْقَانِ فى الهجرِ ساحِلُهْ
فإنك شمسٌ لا تُرَى السُّحْبُ عندها فلا تُنْكِرَنْ إن لم يَلُحْ ثَمَّ آفِلُهْ

* * *

وقوله :

خَدُّ الربيع من الحيـاءِ تورَّدَا خَجَلًا لِمَا أهْدَى إليه من النَّدَى
وبَنَفْسَجُ الكُثْبانِ أطرقَ رأسُـه لَمَّا رأى صُدْغَ الحبيبِ تَجَعَّدَا
ورأى الخريفَ اشْتَمَّ أنفاسَ الشِّتَا فاصْفَرَّ منه خِيفَةً لَمَّا بدَا
ورأى جيوشَ سُيُولِه قد أقبلَتْ وعليه حُـلَّةُ سُنْدُسٍ فتجرَّدَا

---

(١) فى ا : «يطوف رجاء» ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ا : «إليه جنت منه» ، والمثبت فى : ب .

والسُّحْبُ تَنْثُرُ لُؤْلُؤًا وغُصونُه ... بأَكُفِّ أوراقٍ تُفَرِّقُ عَسْجَدَا
والنَّجْمُ كَحَّلَه الظَّلامُ بإِثْمِدٍ ... مُذْ خالَه في الجَوِّ طَرْفًا أَرْمَدَا
رَوضٌ تبَسَّم للوُفُودِ بمَبْسَمٍ ... للرَّوضِ عَذْبِ المُجْتَنَى والمُجْتَدَى[1]
ما ذاقَ فيه السُّهْدَ إلّا ناظِرٌ ... للنَّرْجِسِ الغَضِّ الشَّهِيِّ تَسَهَّدَا

* * *

وقوله من غزليَّة :

مُذْ سَبانِي بدرٌ بقلبي مُقِيمٌ ... صار جِسْمِي كخَصْرِه في المِحَاقِ
حاكِمٌ جُنْدُه المِلاحُ جميعاً ... ذُو لِواءٍ من شَعْرِه الخَفّاقِ
جامعٌ رِقَّةَ الحِجازِ وسِحْرَ الشَّـ ... ـامِ حُسْنًا في سِلْكِ لُطْفِ العِراقِ
سرَق الغُصْنُ لِينَهُ فلهذا ... لَزِمَتْهُ جِنايَةُ السُّرّاقِ
قام في جَنَّةِ الرِّياضِ بكأْسٍ ... فأباح المُدامَ بين الرِّفاقِ
بثلاثٍ منهُنّ طَلَّق لَهْوِي ... دُونَ ما رَجْعةٍ لذاك الطَّلاقِ
في مجالٍ كالخصرِ فيه اختصارٌ ... دارَ فيه النُّدْمانُ مِثْلَ النِّطاقِ
ذُو عيونٍ لأجْلِها النَّرْجِسُ الغَضُّ ... م أَصْفَرَ وأَمْسَى من جُمْلةِ العُشّاقِ
ما رَنَتْ في الهوى لِسائِلِ دَمْعِي ... تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً في المَآقِي[2]

* * *

وقوله :

قامتْ تجُرُّ ذُيولَ التِّيهِ والجَدَلِ ... ووَجْنَةُ الشَّفَقِ احْمَرَّتْ من الخَجَلِ

---

(١) في ا : « عذب المجتبى والمجتدى » ، والمثبت في : ب .

(٢) ضمن عجز بيت المتنبي ، في قوله :

أَتُراها لِكَثْرةِ العُشّاقِ ... تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً في المَآقِي

ديوان أبي الطيب ٢٢٤ .

خَمِيلةٌ بِثمارِ الحـلْيِ مُثقَلةٌ زُهورُها ما جَنتْها رَاحةُ الأمَلِ
تَسِيرُ رُسْلُ الصَّبَا تَرْتادُها سَحَراً فى الحَىِّ تعثُر بين البِيضِ والأَسَلِ
صبًّا على سُقْمِها يُشْفَى السَّقامُ بها وربُما صَحَّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ[1]
تخافُ تجْرَحُ وَجناتِ الحبيبِ لِذَا تخُوض مِن عَرَقِ الأنداء فى بَلَلِ

* * *

وقوله :

أتارِكُ قلبِى فى لَظَى الوَجْدِ مُجْمَرَا وطِيبَ ثَناه فوقه فَاح عَنْبرَا[2]
ترفَّقْ فما ابْيَضَّتْ دموعِى بعدَكُمْ ولـكنَّها شابَتْ وصـبرِى تعذَّرَا
فيَوْمِى كأيَّامِ القيـامةِ طولُه وأرْضِى أمْسَتْ للأعادِى مَحْشَرَا

منها :

وغُصْن قَوامٍ كلُّ غُصْنٍ لحسْنِه بأوْراقِه من خَجْلةٍ قد تَسَتَّرَا
وعَيْنٍ له قد أهْدَتِ السُّقْمَ والهوَى فأهْدَى إلى أجْفانِها طَرْفِىَ الكَرَى

من مَدِيحها :

إذا طَرَّزَ القِرْطاسَ وَشْىُ بنـانِه تَمشَّق منه الطَّرْفُ خَدًّا مُعـذَّرَا
وما كان لَوْنُ التِّبْرِ أصْفرَ إنَّما لِخوْف نَداهُ بالنَّدَى صـار أصْفَرَا

* * *

وقوله :

مَسِيلُ الصبحِ طَمَّ على الكواكبْ وقد ظَمِئتْ إلى السَّيْرِ النَّجائِبْ

---

(١) ضمن فى عجز هذا البيت عجز بيت للمتنبى أيضا ، صدره :

* لعلَّ عَتْبَكَ محمودٌ عواقِبُهُ *

ديوان أبى الطيب ٣٣١ .

(٢) فى ا : « لاح عنبرا » ، والمثبت فى : ب .

تقلّص ذَيْلُ عَزْمِك فى مَسِيرٍ ... له طَيْفُ العُلَى خِدْنٌ مُصاحِبُ[1]

بِوَرْدِي أعْوَجِيٍّ قَبْلَتَهُ ... بغُرَّتِهِ الأهِلَّةُ والكواكبُ[2]

جَرَتْ مِن خَلْفِهِ النَّسماتُ حتى ... سَرَتْ مُعْتلةً فيه الجنائِبْ

عليه مِن لَيالِ الوصلِ بُرْدٌ ... وقد أهْدَتْ له الغِيدُ الذَّوائِبْ

إذا ماخَبَّ خِلْتَ الطَّيْفَ وَافَى ... لجُنْح الليلِ مِن خَوْفِ المُراقِبْ[3]

مَعارِفُه كأهْدابٍ تبدَّتْ ... لِوَجْهِ الأرضِ تَدْنُو كالمَراقِبْ

عَلاهُ مُحدَّثٌ قد جَلَّ عنه ... لجارِيه تمائمُ فى التَّرائِبْ

بعَزْمٍ يَفْرَقُ الهِنْدِيُّ منه ... مَضاءً قصَّرتْ عنه القَواضِبْ

ورأْيٍ زَفَّ بِكْرَ الفكرِ يَزْهُو ... لِتخْطُبَها المَعالِي والمراتِبْ

* * *

وقوله :

وباسِلٍ نارِ عَزْمِه تَقِدُ ... كأنما حُمَّ خَوْفَه الأسَدُ

أخْلاقُه للنَّديمِ ضامِنَةٌ ... أن يُنْجِزَ الجُودَ قبلَ مايَعِدُ

تنْقُلُ عنه الكِرامُ مأثُرَةً ... حَدِيثُ عَلْيائِه لها سَنَدُ

* * *

وقوله :

زاد خَطُّ العِذارِ فى الخدِّ حُسْنًا ... فهْو حَرْفٌ قد جاء فيه لِمَعْنَى

كلَّ حِينٍ داعِي الغرام يُنادِي ... رَحِمَ اللهُ كلَّ قلبٍ مُعَنَّى

---

(١) فى ا : « تقلص سير عزمك » ، والمثبت فى : ب .
(٢) فى ب : « بوردى أعوجى والمثبت فى : ا ، ولعل الصواب : « بورد أعوجى » ، وأعوجى : نسبة إلى أعوج ، خيل عرف بالنجابة والعرا
(٣) فى ا : « خلت الطيف أوفى » ، والمثبت فى : ب .
والخبب : ضرب من عدو الفرس .

قُمْ خَلِيلِى نَبْكِى الديارَ سُحَيْراً ... لا يكونُ الحَمامُ أطربَ منَّا

لا تَلُمْنِى إن ساء فيك ظُنونِى ... كُلُّ مَن ضَنَّ بالأحِبَّةِ ظَنَّا

كم حَبِيبٍ إذا أردتُ سُلُوًّا ... عنه قال الدَّلالُ مَهْلًا تأنَّى

وبَناتُ القلوب مُعتذِراتٌ ... شافِعاتٌ له إذا الليلُ جَنَّا

مُذْنِبٌ ليس يقبَل العُذرَ منِّى ... وإذا ماجَنَى علىَّ تجنَّى

كلُّ صَدٍّ إن لم يكنْ عن مَلالٍ ... فهْو وَصْلٌ به الرَّقيبُ تَعَنَّى

إنما القلبُ دارُه وهَواهُ ... داخِلٌ فيه ليس يطلُب إذْنَا

علَّموا حَظِّىَ الصُّدودَ فوَلَّى ... واختَفَيْنا فالهَجْرُ يسألُ عنَّا

لم نَذُقْ قَطْرةً من الوصلِ حِيناً ... وشَرِبْنَا الوِصالَ دَنًّا فدَنَّا

مِن قَضيبٍ يَميسُ فى الرَّوْضِ تِيهاً ... لِيُرِى الغُصْنَ كَيْفَما يَتَثَنَّى

أسمَرُ القَدِّ منه ينهزِم اللَّوْ ... مُ إذا جاد فى الصَّبابةِ طَعْنَا

وأرى المَنزِلَ الخرابَ إذا ما ... حَلَّ فيه الأحبابُ رَوْضاً أغَنَّا

***

وله ، وهو معنًى بديع ، فى دعوة ضَيْف كريم :

مَوْلاىَ دارِى والذى قد حَوَتْ ... نَبْتٌ زَهَا من صَوْبِ أمطارِهْ

وإنَّنى عَبْدٌ له حارسٌ ... بشُكْرِه رَوْضةَ آثارِهْ

إذا دَعَوْناه لأجْلِ القِرَى ... وأشْرَقَتْ دارِى بأنوارِهْ

قالُوا طُفَيْليًّا عجِبْنَا له ... يُضيفُ رَبَّ الدارِ فى دارِهْ

***

قال : وكنتُ قلتُه لمَّا أعجبنى قولُ إبراهيم بن المُدبِّر[1] ، الذى أنشده

---

(١) إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر .
وزير المعتمد العباسى ، ومتقلد ديوان الضياع للمعتضد .
كاتب شاعر ، توفى سنة تسع وسبعين ومائتين .
الأغانى ١٩/١١٤ (طبعة الساسى) ، معجم الأدباء ١/٢٢٦–٢٣٢ ، الوزراء والكتاب ١٠٢ .

له فى « الأغانى » :

سيِّــدى كلُّ نِعمةٍ هى عندى فهْىَ بعضٌ مِن فَيْضِ تلك الأيادِى
فإذا زُرْتَنِي فإنِّى ضَيْفٌ سَاكِنٌ مِن ذَرَاكَ أَكْرَمَ نَادِى
فيظُنُّونِىَ الطُّفَيْــلِىَّ لَوْلَا إرْثُ دَارِى مِن سالِفِ الأجْـدادِ

* * *

وله فى معنى قول كُثَيِّر عزَّة(١) :

لَئِنْ ساءنى أن نِلْتِنِي بِمَسَبَّــةٍ لقد سَرَّنِي أنِّى خَطَرْتُ ببالِكِ

:

يسُرُّنِى شَتْمُك إذْ كنتُ قـد خَطَرْتُ فى بَالِكَ دون اشْتِباهْ(٢)
يحـلُوا لِيَ الشَّتْمُ إذْ مَرَّ لِى اسمٌ على عَذْبِ اللَّمَى والشِّفاهْ
إن ذَكَرَ اسْمِى لَذَّ لى ذِكْرُه كأنّنى قَبَّلتُ بالوَهْمِ فاهْ

* * *

فيه لُطف؛ لأنه يُمكن أن يُخرَّج على أنَّ فى اسْمِه حرفاً شَفَوِيًّا ، وكذا فى لَقَبه .

وقد استعمله ابنُ جَرِير ، وكان اسْمُه محمدا ، حيث قال :

أنا فى غَيْرةٍ عليْك من اسْمِى إنّه دائِمًا يُقبِّــل فاكَا

* * *

وله فى قَوْل بعضِ مُمْتَزِلة النُّحاة : « عَدْلُ عُمَرَ تقديرِىّ » ، يريد غيرَ مُحقَّق

بنُورِ المعانى أشْرَق اللفظُ فاكْتَسَى بثَوْبَيْهِ من حُسْنٍ بَدِيعٍ بلازُورِ
فَفِى عُمَرٍ من عالمِ الذَّرِّ عَـدْلُه إلى اسْمٍ سَرَى من أجْلِ ذا قيل تَقْدِيرِى
ومَن قال ذا التَّقدِيرِ غـيرُ مُحقَّقٍ فقد سار فى ظَلْمَاء جهْـلٍ بلا نُورِ

* * *

(١) هذا البيت لابن الدمينة فى ديوانه ١٧ ، وانظر الكلام على تخريجه فى ٢١٨ .

(٢) عجز هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا .

وله :

زمانُ السُّوء إن وَافَى بِرَيْبٍ صـديقك والقريبُ له يَذِلُّ
شَـكَتْ رُسْلَ المنايا لي طيورٌ جَوارِحُ للسَّماء تظَلُّ تَعلُو
فقلتُ سَلُوا القَوَادِمَ والخوافِي فلَوْلا رِيشُهـا ماطال نَبْلُ

* * *

هذا كقول الأَرَّجانى(١) :

يُعطِينَ قتْلاها النُّسور جوائزاً إذْ كُنَّ طِرْنَ بما كَسَتْهُ الأَنْسُرُ(٢)

* * *

وله :

أتدْرِي السَّوَاقِي ماتقولُ وقدغدتْ تدُورُ وتَسْقِي حين تعلُو وتنزِلُ
تقول لك المَمْلُوء يعْلُو وكلُّ ما تضرَّع تَلْقاهُ مدَى الدهرِ يسْفُلُ
تُرِيدُ الورى تهْوَى الغنيَّ ولم تزَلْ تُعادِي فقيراً ما عليه مُعوَّلُ
فلا تُظْهِرَنَّ الفقرَ مادُمْتَ بينهم وأظْهِرْ غنًى عنهم فذلك أجْمَلُ

* * *

وله :

قد رأيْنا الملوكَ إن سار جيشٌ كتَبُوا الكُتْبَ في الفَلا المطْرُوقِ
فإذا سَنَّمُوا التُّرابَ على مَن ماتَ رَمْزاً لِفَهْمِ معنًى دقيقِ
إن جيشَ الخُطُوب سار وهذى سلْبه فاسْلُكُوا سَواءَ الطَّرِيقِ

* * *

(١) ديوانه ١٨١ . (٢) في الديوان :

* يُطْعِمْنَ قَتلاها النُّسُورَ جَوارِياً *

وله :

مُذ فُتِحَتْ أبوابُ نادى العُلَى   فتَحَ المُلاقِى لمعاليهِ[1]
ماصَرَّت الأبوابُ بل رَحَّبتْ   على مُرَجِّ لأياديهِ
كذلك الأقلامُ فى طِرْسِهِ   صَرِيرُها شكرُ أياديه
والماء يشكو بخريرٍ له   فِراقَهُ رَوْضةَ ناديهِ

* * *

وله :

ياحبّذا نادٍ لنا   حُفَّ بأُنسٍ وطَرَبْ
وخمرةٌ فى كأسِها   يلعبُ بالنَّرْدِ الحَبَبْ
فُصوص ألماسٍ على   بساطِ خَزٍّ وذَهَبْ

* * *

وله :

سَبَح الحبيبُ ببِرْكةٍ   والقلبُ من وَلَهٍ يطيرُ
فخشيتُ من ماءِ اللَّطا   فةِ فيه يشربُه الغديرُ
وتَشابهُ الماءِ الرقيـ   ـقِ وجسمِه التَّرِفِ النَّضيرِ
لولا الذَّوائبُ لم يكنْ   للنَّاظرين به شُعورُ

وله :

ما أقصرَ الليلَ الذى   كحَّل أنوارَ الحَدَقْ[2]
عانقتُ فيه غُصُناً   مِن حُلَلٍ فيه وَرَقْ
إذْ هَمَّ ثَغرُ الصبحِ أنْ   يُقبِّلَنْ خَدَّ الشَّفَقْ[3]

---

(١) فى ب : « مذفتحنا » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى ا : « كحل أنواره الحدق » ، والمثبت فى : ب .   (٣) فى ا : « يقبلن خده الشعق » والمثبت فى : ب .

ومما لا ينقضي منه الإعجاب ، قوله من قصيدة :

مَرَرْتُ على رَبْعِ الأحِبَّةِ دارِساً ... فَفَاح به عَرْفُ الحديثِ المُتَمِّمِ
وذَكَّرنا عهدَ الصَّبابةِ والصِّبا ... هَدِيلُ حَمَامٍ في الرُّبَى مُتَرَنِّمِ
فقلتُ لِخِلِّي عُجْ بنا ساعةً عسى ... يُحَدِّثنا رَسْمُ الهوى المُتقدِّمِ
فعُجْنَا له عَطْفاً على موضعٍ به ... هَوانافكانَ العَطفُ عطفَ تَوَهُّمِ [1]

* * *

وعطفُ التَّوَهُّم معروفٌ عند النُّحاة ، وهو أن يجرىَ في موضعٍ إعْرابان ، فيُعْرب بأحدِهما ، ويُعْطَف عليه باعْتبار الآخَر ، كما في قول الأخْوَص الرِّياحِيّ [2] :

بَدَا لِيَ أنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ ما مَضَى ... ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جَائيا [3]

فإن « لستُ » يُجَرُّ خبرُها بالباء الزائدة كثيراً ، فإذا نُصِب قد يُعْطَف عليه مجرور نظراً إلى حالتِه الأخرى .

وأما عطفُ المنصوبِ على المجرور ، فهو العطفُ على الموضع ، وإيَّاه عَنَى مَحاسِنُ

---

(١) في ب : « عطف التوهم » والمثبت في : ا .

(٢) هو زيد بن عمرو بن قيس الرياحي ، المعروف بالأخوص .
شاعر إسلامي ، وفارس مشهور ، توفي نحو سنة خمسين للهجرة .
انظر الأعلام ٣/١٠٠ .

وليس هذا البيت له ، وإنما هو لزهير بن أبي سلمى ، وإنما اختلط الأمر على المؤلف ، وهو ينقل عن الكتاب لسيبويه ، ذلك أن سيبويه استشهد : ببيت زهير ، وببيت عقبه للأخوص الرياحي ، فخلطت عين المؤلف بين البيتين ، فنسب بيت زهير إلى الأخوص .

والبيت لزهير في : ديوانه ٢٨٧ ، الكتاب (هارون) ١/١٦٥ ، مغني اللبيب ٢/٩٦ . ونسب إلى صرمة الأنصاري ، في الكتاب (هارون) ١/٣٠٦ .

(٣) في ا : « إذا كنت جائيا » وفي ب : « إذا كان جائيا » والتصحيح عن المراجع السابقة .
ورواية أصل ديوان زهير : « ولا سابق شيء » ، وفي الهامش إشارة إلى رواية في نسخة تتفق م ما هنا ، وفي الكتاب الموضع الأول : « ولا سابقا شيئا » وهو في الموضع الثاني متفق مع ما هنا .

الشَّوَّاء[1] ، فى قوله[2] :

هَاتِيكَ يا صاحِ رُبَا لَعْلَعِ ... نَاشَدْتُكَ اللهَ فعرِّجْ مَعِى
وانزِلْ بنا بين بُيوتِ النَّقَا ... فبنها آهِـــلَةُ المَرْبَعِ[3]
حتى نُطِيلَ اليوم وَقْفًا على السَّـ ... ـاكِنِ أو عَطْفًا على المَوْضِـعِ

***

وهذه مُقطَّعات له ، على حروف المعجم :

مَدْحٌ بوَجْـــهِ كُذْيَةٍ ... فيها كَمِينٌ للرَّجـــاء
مِثْلُ المُرَقْرِقِ فى الصَّبُو ... حِ يُسِرُّ حَسْواً فى ارْتِغاء[4]

***

فيه مَثَلان قديمان[5] .

***

وله :

يشْتكِى الخصْرُ رِدْفَه كلَّ حِينٍ ... وأنِينِى يشْــكُو من الرُّقَباءِ

---

(١) يوسف بن إسماعيل بن على ، الشواء .
شاعر حلى وأصله من الكوفة ، توفى سنة خمس وثلاثين وستمائة .
وفيات الأعيان ٦/٢٣٠ ـ ٢٣٥ .

(٢) الأبيات فى الغيث المنسجم ١/٢٢٢ ، وفيات الأعيان ٦/٢٣٠ .
وليس فى الأبيات شاهد نحوى كما قديوهم كلام المؤلف ، وإنما فيها الإشارة إلى ما يعرف عند النحاة بالعطف على الموضع ، وهو يرتكب للضرورة .

(٣) فى الغيث ، والوفيات : « فقد غدت آهلة المربع » . (٤) كذا فى الأصول : « مثل المرقرق » ؛ وانظر ما يأتى . (٥) مما قولهم : « أعن صبوح ترقق » ، وقولهم : « يسرحسوا فى ارتغاء » .
والأول قاله رجل لضيف له غبقه فرقق الضيف كلامه ليصبحه . اللسان (رقق) ١٠/١٢٥ .
والثانى يضرب لمن يريك أنه يعينك ، وإنما يجر النفع إلى نفسه ، والارتغاء : شرب الرغوة ، وذلك أن الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ، ولا يريد غيرها ، فيشربها وهو فى ذلك ينال من اللبن . مجمع الأمثال ٢/٢٠١ .

فكِلانا في حالتَيْهِ مُعَنًّى ذا عَياء يشكو من الثُقَلاءِ

* * *

وله :

لَئِن نكّسَ الدهرُ حَظِّي فلي لطائفُ في الغَيْبِ تُحْيِي الرَّجاءْ

فرُبَّ شِهابٍ إذا نكّسُوه يَزِيدُ اشتعالاً ويعلو سَنَاءْ

* * *

وله :

قال لي الأيْرُ لا أُهَنِّيك إن زارَكَ مَن قد هَوِيتَ في الظَّلْماءِ

وأنا منك لا يُهَنَّى عضوٌ بالمَسَرَّاتِ سائرَ الأعْضاءِ

* * *

وله :

لا يكذبُ العاقلُ ما أمْكَنَهُ صِدْقٌ يجبْ

ففي المَعارِيضِ له مَنْدُوحةٌ عن الكَذِبْ

* * *

وله :

وبلدةٍ سُكَّانُها في لَظًى في الصَّيْفِ من حَرٍّ لها ناصِبِ

ترى بها الماشي بُعَيْدَ الضُّحَى مُنتعِلاً نَعْلَ أبي طالبِ

* * *

يُشِير إلى ما ذكَر أهلُ السِّيَر ، من أنَّ أبا طالب لم يَهْتَدِ للإيمان ، لأن رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ كان في جِوَارِه ، ولو أسْلَمَ لم يَقْبَلُوا جِوارَه .

ولمَّا قالوا له : إن أبا طالب كان يَحُبُّك ويُحْبِيكَ[1] فهل ينفعه ذلك ؟

---

(١) في ا : « ويجيبك » ، والمثبت في : ب . والذي في صحيح مسلم ، (باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه) ١/١٩٥ : « فإنه كان يحوطك ويغضب لك » ، وفي رواية : « كان يحوطك وينصرك » .

قال : « يُخَفَّفُ عَنْهُ فجُعِلَ لَهُ نَعْلٌ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ » .
رواه مسلم[١] .

* * *

وله :

إذا شاب شَعْرُ المَرْءِ قَلَّ سُرورُه ... وزارتْه مِن وَفْدِ الهمــــومِ المَصائبُ
وشَابَ قَذَى الأكدارِ صَفْوَ حَياتِهِ ... فَمِن أجْلِ هذا قِيل للمَرْءِ شائبُ[٢]

* * *

وله :

قد تستوِى فى الحَرَكَاتِ الورَى ... لـكِنْ لَدَى السَّبْقِ تَبِينُ الرُّتَبْ
كم طار صَقْرٌ وغُرابٌ مَعاً ... لـكِنَّ ذا صَادَ وهذا هَرَبْ

* * *

وله :

قد خاب مَن كان فى مُنْــاهُ ... مُقصِّرَ الجِــدِّ فى الطِّلابِ
فلا يَلُمْ غــــيرَ نَفْسِه مَنْ ... قد أرْسَلَ البَازَ فى ضَبابِ

* * *

وله[٣] :

ظَنَنْتُ الصَّبا لَمَّا على النهرِ قد جرَتْ ... وعَــكْسُ ذُكاءٍ لاح فيه لِمُرْتَقِبْ
شِباكاً بها صــــارَ النَّسِيمُ غَزالةً ... ألَسْتَ تَراها دائما فيه تَضْطَرِبْ

* * *

(١) رواية مسلم ، فى صحيحه ، الباب السابق ١/١٩٦ :
« أهْوَنُ أهْلِ النَّارِ عَذَاباً أبُو طَالِبٍ ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » .
(٢) فى ا : « وشاب من الأكدار » ، والمثبت فى : ب . (٣) البيتان فى ريحانة الألبا ١/١٠٩.

وله [1] :

على خدِّه مُذْ لاح نَبْتُ عِـــذارِهِ جرَتْ أدْمُعِى فى الخدِّ ذاتَ صَبيبِ
إذا ما اسْتدارتْ دَارَةُ البَدْرِ حَوْلَه فإنَّ وُقوعَ القَطْرِ غــيرُ عَجيبِ

* * *

وله :

لَحَى اللهُ أيَّامًا تُعادِى أُولِى النُّهَى وتُسْعِفُ لُؤمًا كلَّ غُفْلِ المَناقِبِ
تُقَــدِّم فيهنَّ الصِّغارَ كأنهم إذا ذُكِروا عَقْدَ البَنانِ لِحَاسِبِ

* * *

وله :

إنما هــذه الحياةُ مَنامٌ والأمانِى حُلْمٌ بها المَرْءُ صَبُّ
فلهذا تأْتِى على العــكسِ مِمَّا كَرِهَ النَّاسُ دائمًا وأحَبُّوا

* * *

وله :

كُنِ ابنَ وَقْتٍ حاضرٍ تجْنِى هَنًا ولا تُفَكِّرْ فى غَدٍ وما ذَهَبْ
وإن وجدتَ سُكَّراً فانْعَمْ به ولا تَسَلْ عمَّا جرَى على القَصَبْ

* * *

وله :

إذا ما غاب مَن أهْواهُ عَنِّى فإنَّ لِقاءَه عندى كِتابُ
سَوادٌ فى بياضٍ مِثْل عَيْنِى به ألْقَى الأحِبَّةَ حين غابُوا

* * *

وله :

لَمَّا بَدَا فى صُدْغِه خَالُه أذابَ قلبَ الصَّبِّ بالحُبِّ

(١) ريحانة الألبا ١/٣٣٧ .

فانظُرْ إلى الْحُبِّ على فَخِّه ولا تَسَلْ عن طائرِ القَلْبِ

* * *

وله :

رَوضُ المُنَى أَيْدِى الأمانى به كم قد جرَتْ لى ثَمَراً مُسْتَطابْ
ما لَذَّةُ الدنيا إذا لم أَكُن أخْطِر فيها برِدَاءِ الشَّبابْ

* * *

وله :

مُذ رأى النَّهْرُ بَرْقَهُ سَلَّ سَيْفاً مُرْهَفَ الحَدِّ من قِرابِ السَّحابِ
نَسَجتْ فوقه الرِّياحُ دُرُعاً سابِغاتٍ قد سُمِّرَتْ بالحَبابِ

* * *

وله فى الرَّدّ على ابنِ القَيِّم [(1)]:

قالوا جَهَنَّمُ دارُ الخلدِ ساكِنُها إذا تَطاوَلَ دهرٌ أَخْمَدَ اللَّهبَا
أَمالِكٌ صار مِن عَجْزٍ لِذِى يَدِهِ لا يستطيعُ لفقرٍ يشترِى الحطبَا [(2)]

* * *

وله :

سُكّانُ مِصْرَ كالنِّيل ما عَرَفُوا قَدْرَ شُيوخِ العلمِ والطَّلَبَهْ
فَجَيِّدٌ فيــه والرَّدِئُ سَوَا كما اسْتَوَى الماءُ ثَمَّ والخَشَبَهْ [(3)]

* * *

---

(١) يرد على أبى عبد الله محمد بن أبى بكر ، ابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة إحدى خمسين وسبعمائة ، رأيه فى خمود نار جهنم .

(٢) فى ب : « لدى يده » ، والمثبت فى : ا . (٣) يشير إلى شاهد النحاة لواو المعية فى باب المفعول معه .

وله :

كم أُناسٍ من الكرام تولَّوْا في نعيمٍ وطيبِ عيْش مُواتِي
قَطَفُوا وَردةَ الحياةِ سُرورًا ورَمُوا الشَّوْكَ في طريقِ الآتِي

* * *

وله :

وبُحَيْرةٍ بفِنائِها سَمَرُوا واللَّهْوُ بالأحْزانِ قد شَمِتَا(١)
وكأنما عَكْسُ الشُّموعِ بها بَحْرٌ به المَرْجانُ قد نَبَتَا

* * *

وله :

أنا أصْبُو والتَّصابِي حِلْيَةٌ لكريمِ العِرْضِ في صَبْوَتِهِ
بعَفِيفِ الجَيْبِ لَدْنٍ ناعمٍ لم يُعانِقْهُ سِوَى حُلَّتِهِ

* * *

وله :

لحديثِ النَّبِيِّ بعـــد كلامِ اللَّـ ـهِ طِيبٌ يَحُثُّ شَوْقِي حَثِيثَا
مُسْتَجِدٌّ على مُرورِ الجَدِيدَيْـ ـنِ لِذَا سُمِّيَ الحديثُ حَدِيثَا

* * *

وله :

غاب الحبيبُ وفؤادِي خافِقٌ مُنْتَظِرٌ لذلك المَعْنَى البَهِجْ
والنَّرْجِسُ الغَضُّ يُنادِي في الرُّبَى أبْشِرْ بما سَرَّ بعَيْنِي تَخْتَلِجْ

* * *

وله :

ذُؤابَتُـــــه قد اشْتَقَتْ مِن فَرَجٍ بلا حَرَجْ

(١) في ب : « بفنائها سمر » ، والمثبت في : ا .

بابُ أُسْتِهِ لِصَبْرِهِ فازَ بِمِفْتاحِ الْفَرَجْ

* * *

وله :

وساحِرِ المَنْطِقِ أظْهَرَ الطَّلَا فى مَجْلِسٍ يَسْعَى لِرؤْياهُ الْفَرَحْ
رَتَّبَ شَكْلًا للسُّرورِ مُنْتِجاً الْجَرَّةَ الكُبْرى وصُغْراه الْقَدَحْ

* * *

وله :

إلى اللهِ أشْكُو الزَّمان الذى يُرَيِّشُ حَالِى بِنَتْفِ الجَنَاحْ
إذا سُمْتُهُ الصُّلْحَ قال ائْتَئِدْ فبيْنى وبينك سُوقُ السِّلاحْ

* * *

وله :

إذا رُمْتَ أمْرًا فكُنْ طالِباً بِرِفْقٍ فَفى الرِّفْقِ نَيْلُ الصَّلاحْ
فى الرِّفْقِ والصبرِ للمُرْتَجِى لِقاحَ الصَّلاحِ جَناحُ النَّجاحْ

* * *

وله :

وزَانٍ بِحُبِّ الزِّنا مُغْرَمٍ أماطَ رِداءَ الحَيَا واطَّرَحْ
يُقَبِّلُ أولادَهُنَّ الصِّغارَ ومَنْ عَشِقَ الدَّنَّ بَاسَ الْقَدَحْ.[1]

* * *

وله :

إن الصديقَ مَن إذا دَعَوْتَهُ لَبَّى الرَّجا بِتَباشِيرِ الْفَرَحْ
وإن تَنَحْنَحَ الذى دَعَوْتَهُ لِحاجَةٍ مُلِمَّةٍ فقد تَنَحْ[2]

* * *

(١) ذكر الخفاجى ، فى شفاء العليل ٤٦ ، أن باس بمعنى قَبَّلَ مولدة عامية ، تكلموا بها وصرفوها .

(٢) يعنى « فقد تنحى » أى ابتعد وترك الشىء .

وله :

كم من قريبٍ كِيلَ لي شَرُّهُ وخيرُه إن جاء أحْباب فخّ(١)
وكم أخٍ يملأُ لى صَدْرَه نَفْثَةَ مَصْدُورٍ إذا قلتُ أخْ

* * *

وله :

إذا رُمْتَ إكْسيرَ نَصْرٍ فقُمْ بسَيْفِك واضْرِبْ رقابَ العِدَى(٢)
تصُبُّ عليهم حديدَ النِّصالِ وتأخُذها فى دَمٍ عَسْجَدَا

* * *

قال بعضُهم : قولُ ابنُ نَباتَةَ السَّعْدِىّ لم يُسْبَق إليه(٣) :

أبَوْا أن يُطِيعُوا السَّمْهَرِيَّةَ غِيرَةً فصُبَّتْ عليهم كاللُّجَيْنِ القَواضِبُ(٤)
فعادتْ إلينا عَسْجَدًا مِن دِمائِهم ألا هكذا فليَكْسِبِ المجدَ كاسِبُ(٥)

ومنه أخذ الأَبِيوَرْدِىّ قولَه(٦) :

ولله دَرُّ السيفِ يجلُو بياضُهُ غَياهِبَ يومٍ قاتِمِ الجوِّ أرْبَدَا(٧)
بمُعْتَرَكٍ تَلْقَى به الموتَ نُجَّــةً تَسِيلُ لُجَيْناً ثم تُغْمَدُ عَسْجَدَا

قال(٨) : قلتُ : انظُر هذا مع قولِى أوّلا .

* * *

(١) أحباب الفخ : ما يوضع عليه من الحب ، وهو قليل، وهو يشير أيضاً إلى معنى الاصطياد (٢) فى ا : « إذا رمت الكثير نصرا فقم » ، والمثبت فى : ب . (٣) البيتان فى مختارات البارودى ٢/١٦٨ .

(٤) فى مختارات البارودى : « أن يطيعوا السمهرية عزة » ، وهو أولى .

(٥) فى المختارات : « وعادت علينا » . (٦) لم أجد البيتين فى ديوانه المطبوع ، وقد ورد فيه معنى البيت الثانى ، فى قوله :

لَأَدَّرِعَنَّ النَّقْعَ والسيفُ يُنْتَضَى لُجَيْناً ونُوْوِيهِ إلى الغِمْدِ عَسْجَدَا

ديوانه ١٠٥ .

(٧) أربدا : هكذا بالنصب . (٨) أى الشهاب الخفاجى .

وله :

رأيتك طودًا قد لجأت لظله فلى معقلٌ منه إذا دهرِىَ اعتدى

إذا قمتُ فى ناديه أنشد مدحة أنا الطائرُ المحكىُّ والآخرُ الصدى

* * *

وله :

رُقى الفقرِ اسمُه يدعوهُ داعٍ ورؤيةُ وجهِه سعدُ السعود

دعانا نحو سُدّتِه نداهُ خريرُ الماءِ يدعو للوُرودِ

* * *

وله :

ويومٍ غدا بارِدًا جوُّهُ بدا رعدُه من هوًا يبرُدُ

ترى لهبَ النارِ من بردِهِ بكانونهِ أبدًا ترعدُ

* * *

من بدائع الصلاح الصفدى ، قوله من رسالة :

لو ترى أحدنا وقد أخذه النافض [1] ، ونحاه القرُّ بعامله الرافع والزمهرير الخافض ، لرأيتَ شخصًا قد رُكِّبتْ أعضاؤه من الزئبق فما تستقِرّ ، وجفّت لهواته يُبسًا فما تستدرّ .

لا يمدُّ كفّه ولو بايعه الناس على الخلافة ، ولا يُخرج يده ولو كان فقيرًا إلى كيس ذهب أو نديمًا إلى كأس سُلافة .

يكاد لذلك البرد حتى الكلامُ يتجسّد ، ويتمنّى الإنسانُ لو أنه تحت رُخام الحمّام يتوسّد .

* * *

وله فى مثلٍ معروف :

أهونْ بسيّد فتيةٍ نال الغنى بدناءةٍ منعتهُ فيهم رُشدهُ

---

(١) النافض : حمى الرعدة .

وعليه جُلْجُلُ سُبَّةٍ ولآمةٍ ... سنشدُّ لكن هل يُرَى من شدَّهُ

* * *

وله :

كم جئتُه لحاجةٍ ... ومالَه عندى يَدُ
فقال لى إلى غَدٍ ... والدهرُ كلُّه غَدُ

* * *

وله :

أيسنا من هُدَى الهادِى ... وإسْعافٍ وإسْعادِ
وصار زمانُنا أعمَى ... يقدِّم كلَّ قوَّادِ

* * *

وله :

قلتُ لِمْ تشترى الغلامَ كبيرًا ... وصِغارُ الغِلْمانِ لِلَّهْوِ عُدَّهْ
قال إنّا لم نأخُذِ اليومَ إلّا ... مَن وجَدْنا متاعَنا اليومَ عِنْدَه

* * *

وله :

شيخٌ بسَعْدٍ وبنَحْسٍ له ... كم قادَ أوْباشًا من السّادَهْ
مَتاعُ زُهْدٍ وَسْطَ سُوقِ الرِّيا ... يُباعُ فى حانوتِ سَجّادَهْ

* * *

وله :

قد قلتُ إذ حَسَدُوا وما ... فى العَيْشِ إذْ حسَدوا رَغَدْ
خَسَّ الزّمانُ وأهلُه ... وطِباعُهم حتى الحَسَدْ

* * *

وله :

ما نعمةٌ تخلُو من الحسدِ الذى ... مِنْه تكَدَّرَ كلُّ وِرْدٍ قد وُرِدْ

وأرى الخمولَ مع التَّواضعِ نِعمةً ‏ قد صانَها الرحمنُ من كَدَرِ الحَسَدْ

***

وله ؛ فى قول العوامّ : « الوَرْدُ من عَرَقِ النَّبِيّ صلّى الله عليه وسلّم » :

ناضرُ الوردِ قيل مِن عَرَقِ المُختا ‏ رِ قد لاح فى حَدائِقِ خَدِّ

وَرْدُ خَدَّيْهِ قبلَ ذلك زاهٍ ‏ هل سمعتُم بالوَرْدِ من ماءِ وَرْدِ

***

وله :

فتّح الوَردُ فى الرِّياضِ صَباحاً ‏ عندما قبَّل النسيمُ خُدودَهْ

بُلِّغَ الزَّعفرانُ فهْو لهــــذا ‏ ضاحِكٌ شَقَّ من سُرُورٍ بُرودَهْ

***

وله ، فى قول أرْباب الفِلاحة : « إن الحيَّات والهوامَّ تهرُب من شجر الرُّمّان ، ولذا يجْعَل بعضُ الطيور أوْكارَها فيه » :

إذا هبَّتْ صَبا الأسحارِ يوماً ‏ وحرَّكتِ الذَّوائبَ فى الخُدودِ

تخيَّلتُ الذَّوائبَ فى اضطِرابٍ ‏ وقد شَعَرتْ برُمّانِ النُّهودِ

***

وله :

يسمُو بخُلْقٍ ولِسانٍ حَلَا ‏ مَن بِلِبانِ المجد قِدْماً غُذِى

فادْوَأُ الدَّاءِ كما قد رَوَوْا ‏ خُلْقٌ دَنِىٌّ ولسانٌ بَذِى

***

وله :

بَقِيَّةُ عُمْرِ حُرٍّ مُدَّ فيهـــا ‏ تَتِمُّ بها المَسَرَّةُ والفَخارُ

ألَسْتَ ترى الرَّبيعَ يَرُوقُ مَرْأًى ‏ وتأتى فى الخريفِ له الثِّمارُ

***

وله :

رَوضةٌ جادَها الحَيَا بلآلٍ ‏ قلدتْه جواهرَ الأزْهارِ

ضاحِكاتٌ أطْفالُ أنْهارِها إذْ إذْ وَعَدتْها نَسائمُ الأسْحارِ (١)

***

قال : وقلتُ لمّا سمعتُ قَوْلَ أبى بكر رضى الله عنه : « مَن امْتطَى التَّغافُلَ ملَكَ زِمامَ المُروءة » :

تَغافَلْ إذا رُمْتَ وُدَّ الورَى يدُوم فتُصْبحُ للعِزِّ جارَا
زِمامُ المُروءةِ فى كَفِّ مَن تَغافُلَه يمتطِى حيثُ سارَا

***

وله :

وَلّى الشَّبابُ حَميدًا حين وَرَّثنى مَجْدًا وشِعْرًا يُحاكى زَاهِىَ الحِبَرِ (٢)
إن جاد طَبْعِى بشِعْرٍ راقَ رائقُهُ لا تُنكِرُوا رِقَّةً فى نَسْمَةِ السَّحَرِ

***

وله :

أوْصافُ مولانا سَقَتْ ظَمْآنَ سَمْعِى كَوْثَرَا
كجَنَّةٍ مَشْوقةٍ للناسِ قبلَ أن تُرَى

***

وله :

لى سيِّدٌ مُتواضِعٌ لِغُلامِهِ وعلى سِواهُ مُسْرِفٌ فى كِبْرِهِ
ينْقادُ للغِلْمانِ فى خَلَواتِهِ مِثْلَ السَّفِينِ زِمامُه فى دُبْرِهِ

***

وله :

وسارِقٍ يسْرِقُ شِعْرَ الورَى ويُتْبِعُ المَنْظومَ بالنَّثْرِ
ما اقْتبَسَ الآياتِ إلّا لِمَا يألَفُهُ من سِرْقَةِ الشِّعْرِ

***

(١) فى ا : « إن وعدتها » ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ا : « زاهى السحر » ، والمثبت فى : ب .

وله :

قالُوا لِشاعِرِكَ الذى أهْدَى مَدِيحاً حَطَّ قَدْرَكْ
جَدِّد وُضوءَكَ بعــــدَ ذا إنْ كان هذا الشِّعْرُ شِعْرَكْ

***

وله :

كلُّ الأمورِ لم تزَلْ تــكْبُرُ من بَعْدِ صِغَرْ
إلَّا مصائبَ الورَى تصغُرُ من بَعْدِ كِبَرْ

***

وله :

ومُباحِثٍ فى العِلْمِ [من] نَفَرٍ لا يُدْرِكون مَباحِثَ النَّظَرِ [١]
أعْرَضْتُ عنه كأنه عَلَمٌ وترَكْتُه بمَباحِثِ البَقَرِ

***

العرب تقول : « ترَكْتُه بمَباحِثِ البقر » ، إذا لم يعرف مكانَه ، وتقول : « تركْتُه بمَلاحِسِ البقر » ، إذا تُرِكَ بمكانٍ لا أنيسَ به ، ومَلاحِسُ البقر : المَواضع التى تلْحَس فيها بقَرُ الوَحْشِ أولادَها .

***

وله :

فى دَوْلَةِ وَصْلِ مُنيَتِى والهجْرِ قد حُقَّ لذا وحَقِّ رَبِّ شُكْرِى
فى الوصلِ حَلَتْ حياةُ نَفْسٍ وصَفَتْ والهجرُ به يُطِيلُ رَبِّى عُمْرِى

***

ولى أنا من هذا :

رمضانُ جاء فمَرْحباً بقُدومِهِ شهرٌ بلغتُ بفضْلِهِ المَأْمُولَا
وأجَلُّ مِنَّتِه علىَّ بأن أرَى عُمْرِى النَّفِيسَ يزيدُ فيه طولَا

***

(١) ما بين المعقوفتين تكملة يتم بها الوزن والسياق .

وله :

إن يكنْ أخلَقَ الشَّبابُ ورثَّتْ جِدَّتى والنَّشاطُ فى كلِّ أمْرِ
كم لبِسْتُ الشبابَ غَضًّا جديدًا ساحِبَ الذَّيْلِ فى مَواسِمِ عُمْرِى

***

وله :

مَعْلُومِىَ المعلومُ يا سيِّدى يحفظُه الدِّيوانُ والدَّفْتَرُ
كأنه هَمْزَةُ وَصْـــلٍ بهِ يُرْسَم فى الخطِّ ولا يُذْكَرُ

***

وله :

قد كنتُ فى كَنَفِ الخمولِ مُنَعَّمًا والآن أتعَبنِى العَنَا لمَّا حَضَرْ
كالحرْفِ فرَّ من التقاءِ السَّاكنَيْـ ـنِ لعُسْرِ نُطْقٍ فى التَّلفُّظِ فانكَسَرْ

***

وله :

أصبحتُ مَن يُبْصِرُنى طَرْفُهُ بكلِّ ما أملِكُه يَدْرِى
كسُلَحْفَاةٍ من مِياهٍ بَدَتْ بَيْتِى وما أحْوِى على ظَهْرِى

***

وله :

رأيتُك تُعْطِينا الهِباتِ كتارِكٍ لَدَى أهْلِهِ مُسْتَوْدَعاتِ الذَّخائِرِ
ودائعُ فى حِرْزٍ من الدهرِ سالِمٍ وما ضاعَ جُودٌ مُودَعٌ عند شاكِرِ

***

وله :

يقولون إن المَدَّ فى أثَرِ الجزْرِ لِنُورِ بَدْرِ العصرِ فى ساحلِ البَحْرِ (١)
فما بَالُ بَحْرِ الدَّمْعِ يزدادُ مَدُّهُ إذا غاب بَدْرُ الحُسْنِ فى ظُلْمَةِ الهجْرِ

***

(١) هكذا جاء عجز هذا البيت فى الأصول .

وله :

صَرَفَ اللَّحاظَ عنِ الوُشَا ةِ إلى الكَئِيب وما يَسُرُّهْ
أبداً يَمِيـــلُ إليهمُ مَيْلَ المريضِ لِمَا يضُرُّهْ

* * *

وله :

وطُوفانِ ليلٍ مُذْ طَفَا فيه مَوْجُهُ طَفَا زَبَدُ الدهرِ المُزَيِّنِ للخَضْرَا
تفجَّرَ سَيْلُ الصبحِ من سَدِّ شَرْقِهِ فمِنْ أجْلِ ذا يُدْعَى الصباحُ به فجْرَا

* * *

وله :

غَطَّتْ بســـاعِدِ كاشِ يجْرِى وَجْهًا يفُوقُ الوَرْدَ رِبَّ القَطْرِ
كبدرٍ تِمٍّ عند نصفِ شهْرِ غاب وقد لاحَ عمودُ الفجْرِ

* * *

وله :

قُل لِرَقيبٍ قدْ أتى لِصِبْيَةٍ أرَقَّ مَعْنًى من نَسِيمِ السَّحَرِ
باللهِ قُمْ لا تقْطَعَنْ حديثَهمْ وتعْتَرِضْ بين الصَّبا والزَّهَرِ

* * *

وله :

بــكَرَ النَّدامَى للصَّبُوحِ وَنَبَّهُوا أوْتارَهم تدْعُو لهم ضِعْفَ السُّرورْ
فتمضْمَضَتِ الأغْصانُ من نَفَسِ الصَّبا وتثاءبَتْ فى الأرضِ أفواهُ الزُّهورْ

* * *

وله :

مُذ زار مَن أهْواه فى رَوضةٍ أرْشَفَنِى ثَغْراً هـــو الخمْرُ
قالت لِى الأرْدافُ مِن خَلْفِهِ : اليومَ خَمْراً وغَــــداً أمْرُ

* * *

وله :

سرَقَ المَنَـــامَ بطرْفِهِ الْـ ... فَتَّانِ ذو الْحُسْنِ الغَزِيرِ(١)

طِـــرَازُ حُسْنٍ حاذِقٍ ... طَرَّ القلوبَ من الصُّدورِ

***

وله :

وحَقِّكُمُ مَدِيحِى فى عُلاكمْ ... له نَشْرٌ ببُرْدِ الدهرِ عاطِرْ

وعَرْفُ العُودِ يُخْبِرِ مَن رآهُ ... بطِيبٍ فيه تنقُلُه المَجامِرْ

***

وله :

رَقَّ مِسْكِىُّ حُلَّةٍ فوقَ جسمٍ ... رَقَّ حتى لَكاد باللُّطْفِ يجْرِى

فيه طَرْفِى مُنَزَّهٌ حين أبْدَى ... بُرْدَ ظِلٍّ على مَعاطِفِ نَهْرِ

***

وله :

رعَى اللهُ عَصْراً غاب عنِّى عَواذِلِى ... به فسَرقْتُ الوَصْلَ فى غَفْلةِ الدهرِ

أصائِلُ وَصْلٍ برَّدتْ بنَسِيمِها ... من الكَبِدِ المَلْهوفِ هاجِرَةَ الهَجْرِ

***

وله :

تعلَّق قلبِى فى الغرامِ بصُدْغِهِ ... فعَطْفَةُ ذاكَ الصُّدْغِ وَقْفَةُ خاطِرِ

تعلَّق قلبِى ليس يدْرِى قَرارَهُ ... كأنَّ فؤادِى فى مَخالِبِ طائِرِ

***

وله :

كيف سُلُوِّى إذا تبــدَّى ... بوَجْهِ مَعْشوقَ العِـــذارُ

والحُسْنُ فى وَجْنتيهِ غَضٌّ ... ما اختلَفَ الليـــلُ والنهارُ

***

(١) فى ب : « ذو الحسن الغرير » ، والمثبت فى : ا .

وله :

دَعَوْتُكَ يا خليـــلِي للحضُورِ　　فلا تبْخَل بتعْجيلِ السُّرورِ

فعُمْرُ الِالْتقاءِ غدا قصـــيراً　　فطَوِّلْهُ بأوقاتِ البُـكورِ

***

وله :

يا صـــاحِ والشوقُ استَمَرْ　　إنْ فَتَقَ الجفْنَ السَّهَرْ

رَفَّاهُ خَيْـــطُ مَدْمَعٍ　　له من الهُدْبِ إبَرْ

***

وله :

ويَمْنعُنِي تقْبيلَ خَدَّيْه أنني　　أخافُ إذا ما أبْصرَته النَّواظِرُ

فعلَىَّ تقبيل رِجْليْه إذْ مَشَى　　وقد قبَّلتْ أقْدامَهُنَّ الضَّفَائرُ

***

وله :

فَرْشُ الرَّبيعُ لنا خمائِلَ سُنْدُسٍ　　مِن حولها غُدْرانُهُنَّ فَراوِزُ (١)

ومشَى بها سارِى الصَّبا مُتَمَلِّلاً　　وعليه أعْيُنُ نُورِه تتَغامَزُ (٢)

***

وله :

مَحَا اللهُ أقْطاراً من الجُودِ أمْحلَتْ　　وكم قادرٍ فيها عَن الحَمْدِ عاجِزُ

وعاقِرَ أرْضٍ ليس يُولَد نَبْتُها　　وكم وَلَدتْ فيها المَنايَا المَفاوِزُ

---

(١) فى شفاء الغليل ١٦٨ : « ثوب مفروز : له تطاريف ، وإفريز الحائط : طنفه . معرب ، كذا فى الصحاح » ، وفى الصحاح (ف رز) ٨٨٧/٢ : « وأما إفريز الحائط : فعرب . ومنه ثوب مفروز » ، وفيه أيضا (ط ن ف) ١٣٩٦/٤ : « والطنف أيضا : إفريز الحائط ، وكذلك السقيفة تشرع فوق باب الدار ، والطنف أيضا : السيور » .

(٢) فى ا : « سارى الصبا متهللا » ، والمثبت فى : ب .

وله :

وكم ناسٍ بِمَوْتِ أُصولِهم قد رَقَوْا رُتَباً لها شَرَفٌ وعِزَّهْ
كدُودِ القزِّ أمْسَى فى قبورٍ لصاحبِها بها حُلَلٌ وبِزَّهْ

***

وله :

مَلَكْتُ من القَنْعِ كَنْزَ الغِنَى وقال اصْطِبارِىَ مَن عَزَّ بَزّ
فإن عَزّ ذو الجاهِ من كِبْرِه فَجَاهُ القَناعةِ عندى أعَزّ

***

وله :

حَسدتُ كِتابى حين لاقَى أحِبَّتى بِعارِضِ خَطٍّ دَبَّ فى خَدِّ قِرْطاسِ
فقال على الأقْدامِ تسعى وتبتغى مَقامِى وقد أمسيتُ أسْعَى على راسِ

***

وله :

الخَلْقُ سَفْرٌ والزمانُ مَراحِلٌ خَطَواتُه فى سَيْرِهِ الأنفاسُ
والمَقْصِدُ الأسْنَى لهم دارُ البَقَا دخَلتْه من بابِ الفَناءِ الناسُ

***

وله :

مَن يبْغِ طُولَ العمرِ لم يضْجَرْ بما ساق الزمانُ له فكدَّر حِسَّهُ
مَن كان يختار الحياةَ وطُولَها فعلى النّوائِبِ فَلْيُوَطِّنْ نفْسَهُ

***

وله :

إن غاب مَن أهْوَى فلى مُسامِرٌ مِن الأمانى لم يَغِبْ عن مجْلسِى
نِعْمَ الرَّفِيقُ أمَلِى إنْ لم يجُدْ بنَفْعِه فهْو لَعَمْرِى مُؤْنِسِى

***

وله :

لأشعارِ مصر بالتّوارِى سَخافةٌ وكم لاح تَجْنِيسٌ بها وهْو تنْجِيسُ
يقولون فى الألفاظِ مِنّا حَلاوةٌ فقلتُ ولكن ذاكَ حَشْوٌ وتلْبِيسُ

***

وله :

أفئـــدةُ الخلقِ على حُـكْمِهِ له رَعايَا والسَّرِيرُ الْحَشَا
مَلّـكه الحُسْنُ قلوبَ الورَى واللهُ يُؤْتِي مُلْـكه مَن يشَا [١]

***

وله :

أيُّها اللّائمُ دَعْنِي واسْتَرِحْ مِن خليعٍ هو للنُّصْحِ عَصَى
لا تلُم فى اللَّهْوِ والسِّنُّ عَلَا واقْرَعِ العُودَ ودَعْ قَرْعَ عَصاَ [٢]

***

وله :

ياصاحِ تَوَقَّ من ذَواتِ الْقُرَصِ لاتَهْنَأْ عِيشَةُ امْرِىءٍ ذِى غُصَصِ
فالْوُرْق وإن غَدَتْ بعَيْشٍ رَغَدٍ تبْـكى وتنُوحُ دائمًا فى الْقفَصِ

***

وله :

دهرُ سُوءٍ فيه ارْتفاعُ لَئيمٍ وبَنانٌ من الْمَـكارِمِ تُنْفَضْ
فيَدِى قد غَسلْتُها من نَداهُ وفمُ الجفْنِ بالدُّموعِ تمَضْمَضْ

***

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْـكَهُ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة ٢٤٧

(٢) فى ب : « ودع قرع العصا » ، والمثبت فى : ا .

وهو يشير إلى قولهم : « إن العصا قرعت لذى الحلم » ، وهى تقرع للكبير فى السن حتى لايخلط فى كلامه ؛ تذكرة له .

وله :

وَمَوْلًى له بالمُرْدِ قلبٌ مُوَلَّعٌ — يُصَرِّح طَوْراً بالهوى ويُمَرِّضُ
ومُذ قال إن الحبَّ عندى آفةٌ — خَشِيتُ عليه أن يَمَلَّ فيُحْمِضُ[1]

***

وله :

رعَى اللهُ عوّاداً إذا زار نادياً — غدا لجموحِ اللهوِ فى الحالِ رائضاً
رأى طَرَبَ النَّدْمانِ أسْقَمه الهوَى — فَجَسَّ له نبضاً من العُودِ نابِضاً

***

وله :

وقومٍ لِئامٍ ليس لى فيهمُ رِضاً — وما فيهمُ شَىءٌ على قُبحِه يُرْضِى
أُسائِلُ عنهم كلَّ مَن قد لَقِيتُه — سُؤالَ طَبيبٍ ليس يعلمُ بالنَّبْضِ

إنما يسأل عن القارورة والبراز ، فهو كنايةٌ بديعة .

***

وله :

نَثِيرُ الياسَمِينِ من فوقِ بَدْرٍ — لِمُحِبِّيه بالخلاعةِ باسِطْ[2]
فحَسِبْناه شَمْـــةً أوْقَدُوها — وعليها فَراشُ لَيْلٍ تَساقَطْ

***

وله :

للهِ ما أَلْطَفَه من زامرٍ — ينشَق من عَبَقِ الانْبساطْ
كأنَّ إسْرافيـــلَ قد وكَّلَه — لِيبْعثَ الأرْواحَ من فَرْطِ النَّشاطْ

***

وله :

قلتُ لَمّا عَذَّبوه فَغَـــدا — مَثَلاً يُسْرِعُ فى خَيطِ اخْتلاطْ[3]

---

(١) الإحماض : أن تأكل الإبل الحمض حين تمل المرعى ، وهو فى الجماع العدول عن قبل المرأة إلى دبرها أو العدول عن النساء إلى المرد من الغلمان .

(٢) فى ب : « نثر الياسمين » ، والفعل فيها مبنى للمجهول ، والمثبت فى : ب .

(٣) فى ب : « مثلا يسرح » ، والمثبت فى : ا .

عُـــذْرُ مَولاىَ الذى جاء به مِثْلُ ضَمِّ الأُسْتِ من بعدِ الضُّراطْ

* * *

وله :

كم هِمَّـــةٍ عاليةٍ في الجدِّ لم تُفرِّطِ
لا ترتضِي بوَسَطٍ فالدُّونُ جارُ الوَسَطِ

* * *

وله :

كتب الربيعُ على طُرُوسِ رياضِهِ صُحُفاً من التَّوحيدِ ما فيها غَلَطْ
وحَدَا السحابُ إلى الحدائقِ قُدْرَةً نَقّاشُها في الرَّوْضِ نَقَّطَ ثم خَطّ[1]

* * *

وله :

ومَوْلَى أمطَرتْ كَفَّاه غَيْثاً لَدَى الأزَماتِ فهْو على اشْتِراطِ
ومَن يُحْسِنْ وقد فات احْتِياجٌ كمن يقضِي الصَّلاةَ على الصِّراطِ

* * *

وله :

قيـــل فلانٌ يدَّعِي كَرَماً ورِفْعةً والزمانُ فيه غَلَطْ
فقلتُ مات الكِرامُ فهْو كمَنْ وَجَـــد البيتَ خالياً فضَرَطْ

* * *

وله :

أمَوْلاىَ كم من دُعاء إلى نَداكَ دُعاءَ مُلِحٍّ مُلِظٍّ[2]
تَخِذْتُك كَهْفاً لِمَا أرْتجِي فما نِلْتُ منك سوى يوم حَظِّى

* * *

---

(١) فى ا : « وغدا السحاب » ، والمثبت فى : ب ، وفى الأصول : « إلى الحدائق قدره » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٢) مُلِظّ : مُلِحّ أيضا .

وله :

وسحابٍ فيه بَرْقٌ بعُيونِ النَّوْرِ تُلْحَظْ
خِلْتُه لمَّــا تبدَّى حَبَشِيًّا يتلمَّظْ

***

وله :

المَدُّ بعــد الجَزْرِ قالوا إنه يأتِي من البــدرِ المُنيرِ الطَّالِـعِ
صَدَقُوا فبَدْرِى فى مَطالِـعِ حُسْنِهِ قد أَوْرَثَ الأَجْفانَ مَدَّ مَدامِعِى

***

وله :

إذا لم أَلْقَ فى أمرِى شَفِيعاً فتَرْكِي ما أُرِيدُ أَجَلُّ شَافِـعْ
أَأَخْشَى ضِيقَ صَدْرٍ من لَئِيمٍ وصَدْرُ البِيدِ والطُّرُقاتِ واسِعْ

***

وله :

لَعَمْرُكَ ما طال الوُقوفُ على الحِمَى لِحيرةِ فكرى من دُرُوسِ المَرابِـعِ
ولـكنْ تَمَشَّتْ فى ذَراهُ عُيونُنــا تجرُّ على الأَطْلالِ ذَيْلَ المَدامِـعِ

***

وله :

تَواضَعْ تـكنْ ممَّا يَشِينُك سالِماً فـكم جرَّ نفعاً لِلَّبِيبِ التَّواضُعُ
وللإِسْمِ بالتَّصغير جَمْعُ سَلامةٍ وإنْ كان فيه قبلَ ذاكَ مَوانِـعُ

***

وله :

أذْهَبَ نَقْدَ العمرِ حتى انْحَنَى يطلُب فى التُّرْبِ لِما ضَيَّعا
كأنما نَـكَّسَ رَأْسًا له يُعاقِبُ القلبَ الذى ما وَعَى

***

وله :

قَد انْحَنَى الشيخُ لِعُظْمِ الذى ... حُمِّلَ مِن ذَنْبٍ له قد سَعَى

كأنمـــا سلَّم من فَرْحةٍ ... على رسولِ الموتِ إذ وَدَّعَا

***

وله :

مِيعادُكَ الفارغُ إن ساعَدَهُ ... قولهمُ مَن أجْدَبَ المَرْعَى انْتَجَعْ[1]

أشْفِقْ عليـــه كم كذا تَجُرُّهُ ... ما بين يَأْسٍ زاجِرٍ لى وطَمَعْ

***

وله :

قالُوا المَنَـــامُ لم يزَلْ ... بكلِّ تَأْويلٍ يَقَـــعْ

على جَنَـــاحِ طائرٍ ... فهْوَ إذا قُصَّ وَقَـــعْ

***

وله :

أصْبحْتُ فى خَنَفٍ كجِلْدٍ أجْرَبٍ ... وبِمُهْجتِى داءٌ دوائى ما ابْتَغَى

حَلِمَ الأدِيمُ فليس يُجْدِى دَبْغُه ... حتى يعودَ القارِظان فيُدْبَغَا[2]

***

وله :

لَمَّا رأى القلبُ أهْوالَ الزمانِ وما ... فى اليأْسِ مِن راحةٍ بعد العَنَا فَرَغَا

لم تُجْدِ شَكْوَاىَ إلاَّ ذِلَّةً وعَنَا ... وليس أوّلُ فَحْلٍ أثقلُوا فَرَغَا

***

وله :

لا أطمعُ اليومَ وقد أصبحتْ ... للهِ عنـــدى نِعَمٌ سابِغَهْ

(١) انتجع : أى طلب النجعة ، أى ترك الجديب ليطلب الخصيب . (٢) حلم الأديم : وقع فيه الحلم ، وهى دودة تقع فى الجلد فتأكله ، فإذا دبغ وهى موضع الأكل . القاموس (ح ل م) . ويضرب المثل بعودة القارظين فيالا أمل فى عوده ، وتقدم ذكر ذلك .

لِرَأْسِ أطْماعِي تَبيتُ المُنَى   تَدْهُنُ من قارورةٍ فارِغَهْ

* * *

وله :

فَدَيتُكَ إن النفسَ تأنفُ أن تَرَى   رجائيَ فى باب امْرِئٍ مُتَكفِّفَا
وليس يَتِمُّ الجودُ للحُرِّ مُوسِرًا   إذا لم يكنْ فى عُسْرِه مُتَعَفِّفَا

* * *

وله :

أقول لِلَّهْوِ والصَّهباء قد مَنَعتْ   صَفْوًا على رَغْمِ أنْفِ للخَلِيعِ عَفَا
أغاب إبْلِيسُ مِن هذا المُصابِ لنا   ما ذاكَ إلَّا لِطُولِ العمر قد خَرِفَا

* * *

وله :

أيْرٌ كَكَلْبِ الدارِ لَمَّا جَنَى   وصار فى فِعْلِ الخَنَا ذا شَغَفْ
يقُوم للطَّارِي عليـــه ولا   يقومُ للإلْفِ الذى قد عَرَفْ

* * *

وله :

سقى اللهُ رَوضاً قد نَعِمْنا بظِلِّه   ولا جارَ إلَّا نَهرُه المُتدفِّقُ
إذا ما تغنَّتْ وُرْقُه وطيورُه   غدتْ طَرَبًا أيدِى المِياهِ تُصَفِّقُ

* * *

وله :

قد شِبْتُ وعُمْرُ صَبْوَتى عن طَوْقِى   ما شَبَّ وطِفْلُه بمَهْدِ الشَّوْقِ
فى غُصْنِ نَقًا إذا بدا عُنْصُرُه   فى ماءِ مَشارِبِى حَلَا فى ذَوْقِى

* * *

وله :

مِن تحت هَمْزةِ صُدْغِه ألِفٌ   مِن عارِضَيْهِ تملَّكتْ رِقِّى

عابُوه فى حَلْقٍ لهـــا عَبَثاً مع أنَّها من أحْرُفِ الحَلْقِ

***

وله :

هذه الدنيـــا تَمرٌ فيـــه للداخلِ طُرْقُ
ليس بيْن الموتِ فى الأوْ طانِ والغُرْبةِ فَرْقُ

***

وله :

شُجاعٌ إذا قام فى مَعْرَكٍ يزيدُ اشْتعالًا لَدَيْه العِراكُ
فكم دارِعٍ صادَه فى الوَغَى كأن الدُّرُوعَ عليه شِباكُ

***

وله :

عَميدُ الزمانِ وعُرْسُ الفَلَكْ زمانُ كِرامٍ أضاء الحَلَكْ
وإن زَمانًا به قد وَلِيتَ لما تَمَّ دهرٌ بِبَخْسِ الفَلَكْ

***

وله :

إذا لُحْتَ قالتْ عيونُ الورَى أَذَا مَلِكٌ طالِعٌ أم مَلَكْ
أرى زمنًا كنتَ فيـــه العَمِيـ ـدَ عِرْسَ الكِرامِ وعيدَ الفَلَكْ(١)

***

وله :

كِلَا جانِبَيْ هَرْشَى طَرِيقٌ لسالِكٍ إذا لم يكن يَرْضَ مُقامًا على ذُلٍّ(٢)

---

(١) فى ا : « وعبد الفلك » وفى ب : « وعبد الملك » ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) هرشى : ثنية فى طريق مكة ، قريبة من الجحفة ، يرى منها البحر ، ولها طريقان فكل من سلك واحدا منهما أفضى منه إلى موضع واحد ، ولذلك قال الشاعر :

خُذَا أنفَ هَرْشَى أو قَفَاها فإنما كلا جانِبَيْ هرشَى لهنّ طريقُ

معجم البلدان ٤/٩٦٠ .

فإن كنتُما كولا فكُن خيرَ آكِلٍ ولا تنتهِبْنِي نهبَةَ الذئبِ للسَّخْلِ[1]

***

وله :

فَدَيْتُ دِيارًا للأحِبَّةِ لم تَزَلْ على القلبِ للقلبِ المُتيَّمِ مَنْزِلَا

فليت تُرابًا مَسَّها قَدَمٌ لهم أراه بأفواهِ الجفُونِ مُقبَّـــلَا

***

وله :

أمَلِي مُذ سعَى لِطُرْقِ المَعَــالى وله الحِرْصُ والعَناء دَليـــلُ

قال يَأْسِي له استَرِحْ فهي طُرْقٌ ما على المُحْسِنِين فيها سَبيــلُ

***

وله :

يُعْلِي مَقامَ المرءِ خِفَّةُ ظِـلِّهِ وترى الثَّقيلَ مُحَقَّراً مَملولَا

أوَ ما ترى الميزانَ يُرْفَع كلَّما قد خَفَّ فاحْذَرْ أن تكون ثقيلَا

***

وله :

رأى في طريقِ الرُّشْد شِبْتُ بها مَتِي فأوْقَد فوق الرأسِ مِنِّي مَشاعِلَا

يخُطُّ به راءٍ لَدَى كلِّ شَعْرةٍ تُنَفِّر عني كلَّ مَن كان وَاصِلَا

***

وله :

ناديْتُ وقد هجَرْتُمُ ياليـــلى مُذ طُلْتِ هدَدْتِ بالتَّجافِي حَيْلِي

والدَّمْعُ بمُقْلتِي لِنَوْمِي أفْنَى والذَّنْبُ لنائمٍ بطَرْفِ السَّيْلِ

***

(١) السخل : الضعيف ، وهو يعني ولد الشاة .

وله :

بجُودِه تغرق الآمالُ حين ترى مَوْجَ النَّدى سال فى النَّادِى لمن سألا
له موائدُ إحسانٍ إذا بُسِطتْ تدعُو الثناء إليها دَعْوة الجَفَلى

***

دعوة الجَفَلى هى الدعوةُ العامَّة ، يَجفلون إليها ، والنَّقَرى : خِلافها ، قال طَرَفة[1] :

نحنُ فى المَشْتاةِ نَدْعُو الجَفَلى لا تَرَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

***

وله :

أرى كلَّ ذى عَيْبٍ ونَقْصٍ لقد عَلَا على كلِّ حُرٍ بالفضائل كُمَّلا
كذلك عاداتُ الزمانِ لأجْلِ ذا صفاتُ عُيوبِ الخلقِ فى الوَزْنِ أَفْعَلا

***

وله :

ما فتح الوردَ بنانُ النَّدَى ولا نسيمٌ سَحَراً ناسِمُ
قراضةَ التِّبْرِ بفيه اختَفَى فهْو لذا فَرِحٌ باسِمُ

***

وله :

قيل فى اسْمِ السَّلام رُقْيَةُ رَاقٍ للأَفاعِى قد حرَّمتْها الأنامُ
وأنا قد رأيتُ رُقْيةَ فقْرِى حين ألقاكَ أن أقولَ السَّلامُ

***

وله :

إنِّى إذا ما الهمُّ وافَى إلىَّ مَضاجِعٍ شرَّدَ عنها المَنامْ
خادعْتُ أيَّامِى بشُربِ الطِّلاَ لخِدْعَةِ الأيامِ شُرْبُ المُدامْ

---

(١) ديوانه ٧٩ .

وله :

مَن كان فى الدهرِ له مَكْسَبٌ   فليَجْعلِ العَقْلَ بَرِيدَ المَرامْ
لِكلِّ شىءٍ صَنْعةٌ أُحْكِمتْ   وصَنْعةُ العقلِ اختيارُ الكِرامْ

***

وله :

كُن لِمَا لا ترجُو أشَدَّ رَجاءً   وارْجُ رَبًّا للعالمين كريمَا
إن مُوسَى راح يقْبِسُ ناراً   كلَّمَ اللهَ رَبَّه تكْليمَا

***

وله :

قالوا الزمانُ غدا قصيراً هل مضَتْ   بَرَكاتُه أوْ زادتِ الآلامُ
ما ذاكَ إلّا أنه قد فرَّ مِن   خَوفٍ وقد جارَتْ به الأحْكامُ

***

وله :

يتَبادَلان بِلَا رِبًا إذْ أحْكَمَا   عِنْدَ المَحبَّةِ أيَّمَا إحْكامِ
قُبلٌ فمًا لِفَمٍ وصَبٌّ دائمٌ   مابَيْنَ ذَيْنِ كفَرْدَتَىْ بَنْكامِ (١)

***

وله :

ومُولَعٍ بالدَّبِّ كَىْ يسْرِقَ لَيْلاً خاتِمَا
وقد حَكَى الطَّيْفَ فما يزُورُ إلّا نائمَا

***

وله :

أُغْلِقُ الجَفْنَ حين زار خَيالٌ   منك كى لا يَفِرَّ من أجْفانِى

---

(١) لعل الصواب : « قبلا » على أنه مفعول « يتبادلان » .
والبنكام : ما يقدر به الساعة النجومية من الرمل ، وهو معرب عن اليونانية . شفاء الغليل ٥١ .

فيظنُّ العَذُولُ أنَّ مَنامِى زارَنى والمنــامُ ليس يرانِى

***

وله :

صَبرتُ لخطبِ زمانٍ دَهانِى وأفنَى اللآلِى شَيْدُ والِى المَبانِى
فشالَتْ نَعامتُهم بالرَّدَى وفرَّخ رُوعِى بوكْرِ الجنانِ[(١)]

***

وله :

وكم فتيةٍ نجَّيْتُ من نار فِتنةٍ وأنقذْتُهم من ظُلْمةِ الحدَثانِ
أضاعُوا حُقوقِى ثم غرُّوا بذِلَّتِى كأنِّى لديْهم خالدُ بن سِنانِ[(٢)]

***

وله :

ولم أنْسَ إذ أهدَى النَّسِيمُ تحيَّةً رقصَتْ لها طرَباً غصونُ البانِ
والسُّحْبُ قد نسجت رِداءً أدْكَناً والبرقُ مَكْوكٌ من العِقْيانِ

***

وله[(٣)] :

مُذْ هجَرْتُم هجَر الطَّيْفُ ولِى ناظِرٌ لم يدْرِ ما طَعْمُ الوَسَنْ
فى هَواكم ألِفَ الحُزْنَ فلو لم يجدْه مات من فَرْطِ الحَزَنْ

***

وله :

أيها السَّائلِى عن النومِ إنِّى لم أذُقْه من بعد ساعةِ بَيْنِى

---

(١) شالت نعامتهم : خفت منازلهم منهم .
والروع : القلب ، وفرخ روعى : زال عنى ما أرتاع له وأخاف .
(٢) يعنى خالد بن سنان بن غيث العبسى ، الذى ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « نبى ضيعه قومه » انظر أسد الغابة ٢/٨٤ .
وفى الأصول : « كأن لديهم » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) البيتان فى ريحانة الألبا ١/١١٤ .

أَتَظُنُّ المَنـــامَ يدخُل جَفْنِي كيف هذا وحُسْنُه ملءُ عَيْنِي

***

وله فى معنى قول الحسن : من ركب الليلَ والنهار فإنه يُسار به وإن كان مُقيماً :

لا تَظُنَّنَّ ذَا حيـــاةٍ مُقيماً وهْو فى رِحْـــلةٍ له بيَقِينِ

مَن مَطاياهُ ليـــلُه ونهارٌ سائرٌ للفناء فى كلِّ حِينِ

***

وله :

إذا غبتَ ياشمسَ المكارمِ والنَّدَى وأظلَمَ من أُفْقِ التَّواصُلِ هِجْرانُ

فنى كلِّ طَرْفٍ من خَيالِكَ صُورةٌ وفى كلِّ عَيْنٍ مثلَما قيل إنسانُ

***

وله :

العينُ تَوَدُّ فى جميعِ الأزمانْ لو تُبْصِر طَرْفَه المريض الفتَّانْ

تشكو سُهُدَ النَّاعِساتِ الأجْفانْ فالنومُ كما يقال حقًّا سُلْطانْ

***

وله :

قالوا لِيَ اصْبِرْ تُفادِح الأحْزانِ فالحُزْنُ وما يَسُرُّ كلٌّ فانِى

فارْقُبْ فَرَجاً فقلتُ إنِّىَ أخْشَى يأْتى الفَرَجُ إلىَّ لا يلقانِى

***

وله :

زارَنا الوَرْدُ فى أَسَرِّ زَمانٍ فقَرَنَّاه بابْنةِ الزَّرَجُونِ

وبُعَيْدَ الرَّبيعِ أطفالُ نَوْرٍ لَعِبت والخيولُ قُضْبُ غُصونِ

***

وله مُضمِّنا ، فيمن علَّق على جَبِينه باقَةَ نَرْجِس :

على وَجْه من أحبَبْتُ أبصَرْتُ نَرْجِساً غدا باَهِتاً يرْنُو له بعُيونه
فيــــا حبَّذا بدرٌ بقلبىَ نازلٌ كأنَّ الثُّريَّا عُلِّقتْ فى جَبِينه[1]

***

وله :

يا حابِسَ الكأْسِ فى يَدَيْهِ أنْعِمْ بَرِدٍّ لِشارِبِيهاَ
فَحَبْسُها فى يَدَيْك ظُلْمٌ شَيَّبَ رأسَ الحَبابِ فِيهاَ

***

وله :

حُسْنُ لِباسِ الفتى يدُلُّ على مُروءةٍ طَبْعُه بهــــا زَاهِى
فَبِزَّةُ المرءِ فى تجمُّلِهِ عليْــــه عُنْوانُ نِعمةِ اللهِ

***

وله :

تَوَقَّ السُّؤالَ إذا ما حَجَجْتَ وفى جامعٍ تَعبدُ اللهَ فيهِ
فَمَن يسْألِ الناسَ عند الكريمِ سواءٌ لَدَيْه ومَن يشتكِيهِ

***

وله :

لمَّـا رأيتُ الوزيرَ بالدُّنْياَ أجْمعِها قام وهْو حَاوِيهاَ
عَرفتُ أن الدنيــــا تقومُ على قَرْنِ لِثَوْرٍ بإذْنِ بَارِيهاَ[2]

***

وله :

مَدحتُه يوماً فنِلْتُ الغِنَى بالوعدِ والإحْسانِ مِن فِيهِ

---

(١) فى ب : «علقت بجبينه» ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ب : «بأمر باريها» ، والمثبت فى : ا .

فقـــــال لى لمَّا تقاضَيْتُه كِذْبٌ بكِذْبٍ لا رِبًا فِيهِ

***

وله :

مَنْزِلٌ ضَيِّقٌ ولا حُسْنَ فيه غيرُ تَهْوِينِ ضيقِ قبرٍ كَرِيهِ
مثل حَبْسِ الأرْحامِ مَن يَنْجُ منه ما رأيناه قطُّ يدخلُ فِيهِ

***

وله :

قدَّر اللهُ أن أعِيشَ فريداً فى دِيارٍ أُساقُ كَرْهاً إليْهَا
وبقلْبِى مُخَدَّراتُ مَعانٍ أُنْزِلَتْ آيةُ الحِجابِ عليْهَا

***

وله :

كلُّ الورى جُرْدٌ سَلُوقِيَّةٌ لِصَيْدِ رِزْقٍ أبداً تَنْوِى[1]
ووَثْبةُ الأرْنَبِ كم خَلَّفَتْ كَلْباً على حِرْمانِه يَعْوِى

***

وله :

مَوْلًى إذا ما جِئْتُ أبْوابَهُ وفَضْلُه أصبح لى دَاعِيَا
ظَلَّ أميرُ الشَّوْقِ لى آمِرًا وحاجبُ الهَيْبَةِ لى ناهِيَا

***

وله :

أتَيْتُكَ يا مَوْلاىَ أبْغِى زِيارةً تَسُرُّ على رَغْمِ الأعادِى الأمانِيَا
فإن كنتَ لم تُصْبِحْ لِىَ اليومَ آذِنًا فقد أذِنَتْ لى هِمَّتِى بارْتحالِيَا

***

---

(١) فى ا : « جلد سلوقية » ، والمثبت فى : ب .
والسلوقية : نوع من الكلاب عرفت بالبراعة فى الصيد .

وله :

دَارِ الْبَرِيَّةَ إن تُرِدْ شَرَفًا ودَعْ عنك الْحَيَا
إن الرِّيَاسةَ كَاسْمِهَا فاسْمَعْ أوائِلَها رِيَا

***

ومن مُفْرَداتِه التى أجْراها مَجْرَى الأمثال :

دَارِ الأنامَ صغيرَهم وكبيرَهم مَن لم يُدارِ المُشْطَ ينتِفْ لِحيَتَهْ

***

أرْسِلْ إذا أرْسلْتَ خِلًّا حاذِقًا إنَّ الرسولَ تُرْجُمانُ العَقْلِ

***

يَطِيبُ عَيْشُ المرءِ فى حَيِّهِ إن ترك التَّدْبيرَ والإخْتيارَا

***

مَن يتَّبِعْ رأىَ الأمانِى لم يَنْجُ مِن مَطْلِ التَّوانِى

***

كفَى ناظِرًا للعَبْدِ أنَّ عَدُوَّهُ يكونُ على حالٍ بها يَغْضَبُ الرَّبُّ

***

مَن يَزْنِ فى حُلْمٍ يكُنْ جَزاؤُه فى حُكْمِ أهلِ الشَّرْعِ يُجْلَدْ ظِلُّهُ

***

كلُّ الورى صائدٌ ولكنْ يختلفُ الفَخُّ والشِّباكُ

***

البَيْعُ بالنَّقْدِ خيرٌ وأوَّلُ السَّوْمِ رِبْحُ

***

كم ناصحٍ وصَفَ الطريقَ لِمُدْلِجٍ ويَنامُ عن سَنَنِ الطَّريقِ الواضِحِ

***

ومن يقعدْ على طُرُقِ القوافِى   تَمُرُّ عليـــــه قافيةُ الهجاء

***

لا تـكُن مُمْسِـكاً حَبابَ رَجاء   فالأمانِى بَضَائِـعُ الحُمْقَ

***

ولا خيرَ فى مُلْكٍ بغيرِ مُدَبِّرٍ   تفرَّقت الأغنامُ إذْ ذَهَبَ الرَّاعِى

***

تَسْبيحُ عِلْقٍ زارَهُ لائِطٌ   أَبْرَدُ أم سَجَّادةُ الزَّانِيَهْ

***

كلُّ مَن قَصَّر عَمَّـــا   نالَه الناسُ يَعِيبُهْ(1)

***

ما يطلُب المرء بغيرِ حاجةٍ   تدعو إليها الحالُ فقرٌ حاضِرُ

***

بلحومِ الأنامِ مَن يتغذَّى   ذاقَ جُوعاً من النَّدَى والمعالِى

***

إذا ما اتَّسعَ الخرْقُ   فأعْطِ الثَّوبَ رافِيهِ

***

يروغُ فى مِشْيَةٍ ثَعْلَبٌ   ولو مَشَى فى رَبَضٍ خَالِى

***

إن لم يكُنْ فى منزِلٍ مُؤْنِسٌ   ما الفَرْقُ بين البيتِ والقَبْرِ

***

أيهـــــا النَّفخُ يبغِى أنَّه   يُطْفِئُ الشمسَ لقد أتعبتَ فاكا

***

لسانُ كلِّ عاقلٍ فى قلبِه   وقلبُ كلِّ جاهلٍ فى فِيهِ

***

---

(1) فى ا: « ناله الناس يصيبه » ، والصواب فى : ب .

إن نصحتَ الصديقَ فانْصحهُ سِرًّا   كلُّ نُصْحٍ بين المَلَا تَقْرِيعُ

***

يامَن سقى مِن حَنْظَلٍ عَسَلاً   أرَقْتَ في غيرِ طائلٍ عَسَلَكْ

***

مَن صحِبَ الدهرَ طُولَ عُمْرِهْ   لم يَخْلُ من خَيْرِه وشَرِّهْ

***

إذا كنتَ في بَلْدةٍ لم تُرِدْ   مُقامَكَ فيها فأنتَ الأسيرُ

***

مَن لا له حَبيبُ   فإنَّه غَريبُ

***

خيرُ السِّلاحِ ماوَقَى   إنَّ الرشادَ في التُّقَى

***

إنما أشْتَهي لقاءَ حَبيبٍ   أو لبيبٍ يشْفي الفؤادَ كلامُهْ

***

قيل لا جُهْدَ بَلاءٍ نازلٍ   مثلُ جارِ السُّوءِ في دارِ المُقامَهْ

***

مَن يُهْدِ للناسِ ثمارَ الغِنَى   أهْدَوْا إليه ثَمَرَ الشكرِ

***

إنَّ رِضَا المرءِ على نفسِهِ   دليلُ سُخْطِ الخَلْقِ والخالقِ

***

وإذا ما كنتَ يوما مُخْطِئاً   فاعْترافٌ بالخَطَا عَيْنُ الرِّضَا

***

ربما كان سارقانِ على المـا   لِ حَفيظانِ مثلَ رَبِّ المالِ

***

مِن أفضلِ التَّصدُّقاتِ بِرًّا   جُهْدُ مُقِلٍّ لفقيرٍ سَرًّا

***

لقد قيل إن الكِبْرَ والعُجْبَ مِحْنَةٌ وذاكَ بَلاءٌ ليس يرحمُ صاحِبَهْ

***

إذا جاد للقوم رَبُّ الطعام فماذا يكونُ امتنانُ الطُّفَيْـلِى

***

قل لِمَن فى الخير أبْدَى جُهْدَهُ الضِّمارُ اليومَ والسَّبْقُ غدَا

***

إن لم يكنْ بين القلوبِ تجاوُرٌ كان الجوارُ قَرَابةَ الحِيطـانِ

***

لا تَصْحبنْ إلّا امْرَءًا عاقلاً ينفع فى الدنيـا وفى الآخِرهْ

***

رحم الله صاحباً لِيَ أهْدَى عَيْبَ نفسى قد كنتُ لستُ أراهُ

***

ومن نوادرِه مَنظومتُه فى الأمثال ، سماها « رَيْحانة النُّدْمان » .

منها :

مَن ينتسِبْ إلى العظيمِ عُظِّمَا فالْجأْ إلى اللهِ تـكُن مُكَرَّمَا

تُصانُ عن كَسْرٍ وعن إمَالَهْ مُجاوِراً سَعْداً وخيرَ حالَهْ

ورُبَّمـا يُـكْسَر للجوارِ ويُؤْخَذُ الجارُ بظُلْمِ الجارِ

فى زمن فيه الفُحولُ صَرْعَى اسْتَنَّتِ الفِصالُ حتَّى القَرْعَى[1]

خُذْ عِظَةً من الزمانِ كم وَعَظْ إنَّ السعيدَ مَن بغيرِه اتَّعظْ

ليس الغَنِى إلّا إذا صفَا الـكَدَرْ هل ينظُرُ الغَريقُ فى البحرِ الدُّرَرْ

فامْدُدْ على قَدْرِ الكِساءِ رِجْلَكَا واقْطَعْ على طُولِ القَوامِ ثَوْبَكَا

قد مات أمْسِ وتقضَّى أمَدُهْ واليومُ فى النَّزْعِ ولم يُولَدْ غَدُهْ

---

(١) القرعى : جمع قريع ، وهو الذى به قرع .
والمثل يضرب للذى يتكلم مع من لاينبغى أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره . مجمع الأمثال ١/٢٢٥ .

أتْرُكْ فتًى أخلاقُه أخـلاقُ   دَواه مالا تشْتهى الفِراقُ
كم آلِفٍ مَن لم يكُنْ قَرِينَهْ   ضَرورةً كصُحْبَةِ السَّفِينَهْ
مَن خطب الشَّرَّ تزوَّج النَّدَمْ   ويستوِى منه الوجودُ والْعَدَمْ
مَن يزْرع العتابَ يَحْصُدِ الفِراقْ   وغيرةُ الحَمقاءِ مِفْتاحُ الطَّلاقْ
كم زارعٍ لراقدٍ قد أكَلَا   ومُوقِدٍ ناراً وغيرُه اصْطَلَى
مَنْ موْتُه عِتْقٌ من الآفاتِ   فلْيُؤْثِرِ الموتَ على الحيـاةِ
ما الخطْبُ إلّا للجَلِيلِ طارِقُ   مِن الأعالى تنزِلُ الصَّواعِقُ
مَن لا يَقِيكَ غائباً أذْناهُ   ليس تَراكَ شاهداً عيْناهُ
وَسِّعْ عليك كلُّ شىء يتَّسِعْ   فإنه مَن صارَعَ الدنيا صُرِعَ
قد يُنبِئُ اللفظُ عن الضَّمِيرِ   واللَّحْظُ عن لَفْظٍ بلا تعْبِيرِ
مَن نَفْسُه لِذِلَّةٍ مُسْلِمَهْ   لا أكْرَم الرحمنُ من يُكَرِّمُهْ
رِضَا الأنامِ غايةٌ لا تُدْرَكُ   أرْضِ الإلهَ للسَّدادِ تَمْلِكُ
إنَّ اقتناءَ المجـدِ والمَناقِبِ   تـكونُ فى الصبرِ على العواقِبِ
إنَّ المِزاحَ مُلْقِحُ الأضْغانِ   وكاسِفٌ مَهـابَةَ الإنْسانِ
فَضْلُ الأيادِى فى النَّدَى قُروضُ   ووُدُّها فى شَرْعِه فُروضُ
لا يعدَمُ الـكريمُ أن لا يُحْسَدَا   والمالُ مَـكذوبٌ عليه أبَدَا
إذا تَلاقَى الخطْبُ والأقدارُ   يصْطلِحُ الغَرِيقُ والتَّيَّارُ
يَتْعَب مَن يُجاوِرُ الأعْلَى المَحَلّ   أما تَرَى الخصْرَ النَّحِيلَ والكَفَلْ[1]
ورُبَّ شِرِّيرٍ لِقَوْمٍ يُصْلِحُ   إنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلَحُ
إنَّ الجبانَ حَتْفُه مِن فوقِه   والثَّوْرُ يحمى أنفَه برَوْقِه

(١) فى ا : « من يحاور الأعلى » ، وفى ب : «يجاوز الأعلى» ، وما أثبته يتفق مع ما فى عجز البيت .

لا يترُكُ الحزْمَ اللبيبُ الأكْيَسُ أن تَرِدَ الماء بماء أكْيَسُ

والحْرصُ فى كلِّ زمانٍ عانِى والحِرْصُ والحِرْمانُ توءمانِ

شَيْبُ الشُّعورِ زُهُرُ النُّجومِ تُنْبِتهُ غمــــائمُ الغُمُومِ

إن لم يجُدْ بوَصْلِهِ الحبيبُ اصْطَلح العاشقُ والرَّقيبُ

أعْطِ أخاكَ إن قدَرْتَ تَمْرَهْ فإن أبى قبولَهـــا فَجَمْرَهْ

تُؤدَّب الأشْرافُ بالهجْرانِ ولم تُؤدَّبْ قطُّ بالحرْمانِ

لا تصْحبِ المجْدُودَ بعد اليأسِ فرُبَّما أعْـــداكَ بالإفلاسِ

⁂

السادات البَكْرِيّة

سادات الوُجود، وأوْلياء النِّعَم الذين عُرِفوا بالكرم والجود .

بيتٌ كبيْت العَتيق يزُورُه مَن لَبَّى وأحْرَم ، ومن نال لَثْمَ عَتَبةِ بابه فقد ظَفِر بالحَجَر المُكرَّم .

ثبتَتْ أوتادُه وأطْنابُه ، ووُصِلت بأسْباب السماء أسْبابُه .

لا زِحَاف فيه إلّا فى بُيوتِ حُسَّادِه ، ولا يَطأُ إلّا على رِقاب أضْدادِه .

حَرَمٌ آمِن ليس للحوادثِ عليه هُجوم ، ولا لشياطين البَغْى فيه استِراقٌ فلذا تَستريحُ شُهُبُه من الرُّجُوم .

فهم نُورُ الكَوْن قبل أن يُخْلَق النَّيِّران ، وقُطْبُ الدائرة قبلَ أن تُؤْمَر الأفلاكُ بالدَّوَران .

خالِصةُ اللهِ من عبادِه أهلِ الصلاح ، وتُرابُ نِعالِهم كُحْلٌ لعيون أهل[1] الفَلاح .

مامنهم إلّا فَتًى لثَوْب العِزِّ ساحِب ، ولِلْوقار مِنَ[2] الصِّبا مُصاحِب ، فإذا استوَى على كُرْسِيِّه فمَلَكٌ عليه من المهابة قبل الحاجب حاجِب .

بحارٌ طَمَتْ وعلت القُلَل مُتَعَمِّدةً صوب الوِهاد ، فتوارَتِ البحارُ خَجلاً منها فى مُنْخفِض الوِهاد .

فى جِيدِ الدهر مِن مَدائحِهم عُقُودٌ وقلائد ، ليس إلّا كَلِماتُها شَذَرات وقوافِيها فوائد .

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٢) فى ب ، ج : « مع » ، والمثبت فى : ا .

فمنهم :

٣٣٠

أحمد بن زين العابدين*

شِهابُ أُفقِهم الثَّاقِب ، الكثيرُ المآثِر والمناقب .

راياتُ مَشاهِدِه على الآفاق مَجلُوَّة ، وآياتُ مَحامِدِه بألسِنة الإطْلاق مَتلُوَّة .

فما فتَحت المحابِرُ أفواهَها إلَّا لتنطِق ألسِنةُ الأقلام بما مَدحتْه به الأنام ، ولاحَبَّر الحِبْرُ بياضَ الطُّروس بسَوادِ السُّطور إلَّا ليُشير إلى أنَّ مِن جُمْلةِ خدَمِه الليالى والأيَّام .

إذا بَدَا للعيون أدْهَشَها عن التَّملِّى حِجابُه المَنيع ، وإذا قابلَه الوَرْدُ احمرَّتْ خدودُه إذ أخْجل الرَّوضَ منه الصَّنيع .

وقد عوَّدَتْه بَسْطَ الكَفِّ فواضِلُه ، فلو أراد قَبْضَها لم تُجِبْه أنامِلُه .

مَحاسنُ شِيمَةٍ خلَقَها المَعالى تَسيرُ ، ومَواطِىءُ هِمَمِه كَفُّ الثُّريَّا إليها تُشير .

وإذا رقَى نَجْدَ المعالِى وَاطِئًا	سَهْلانَ مَجْــــدٍ فى ذُراه فارِعَا
لم يَحْكِه شَرَفًا ولا ظِلٌّ له	فلذا يُعفِّر منه خَدًّا ضارِعَا

(*) أحمد بن زين العابدين بن محمد البكرى الصديق المصرى الشافعى .

ولد بمصر ، وبها نشأ ، وقرأ على عمه أبى المواهب ، وعلى أبيه ، وغيرهما .

واشتغل بفنون عدة ، وتصدر للاقراء بالجامع الأزهر ، وعقد مجلس التفسير فى بيته بالأزبكية ، وجمع فيه علماء العصر ، وأذعنوا له ، وحج مرارا ، وكانت إليه النهاية فى علوم الطريق .

وكان فيه سخاء وتلطف ، جعل الشعراء تقصده من كل ناحية .

وله « ديوان شعر » ، وكتاب « روضة المشتاق وبهجة العشاق » .

توفى سنة ثمان وأربعين وألف .

بيت الصديق ١٨٠–١٨٣ ، حديقة الأفراح ٧٤ ، ٧٥ ، خلاصة الأثر ١/٢٠١ – ٢٠٣ ، سلافة العصر ٤١١ ، ٤١٢ .

وكان يَسيرُ سيرَ الملوك ، ويُقلّد من التّرفُّهِ بأزْهَى السُّلُوك .

فى عِزَّةٍ أشهرَ مِن مَثَل ، وعن المُلوكِ فلا تَسَل .

وقد وَلِىَ قضاء مكّةَ فانضمَّ إلى كعبتها كَعْبَة ، وبَسَط يدَه فى المَواهِب حتى صَيّر كَعْباً[1] لا يبلُغ فى الجود كَعْبَه .

فلا ينْتهى من مَحْمَدَةٍ حتى تَكِلَّ الخواطر ، ولا يرجعُ عن مَأْثُرةٍ حتى تنْقطع عن السَّيْرِ المَطِىُّ الخواطِر[2] .

* * *

وهو فى الأدب روض تَوَشَّى ببُرْدِهِ الأخْضَر مِن نَباتِه ، ونَظَم النُّوَّار قلائدَه من جِيد الجداوِل فى لَبّاتِه .

وله أشعارٌ أنسَقُ من لُؤلُؤِ المُزْنِ فى فَمِ الأقاح ، وأعْبَقُ من عَبِيرِ وَرْدِ الخدُودِ والتُّفّاح .

فدونك منها مَايَسْحَبُ به الأدبُ ذُيولا ، وتأمّن زَهرات رَوْنقِه تَغَيُّراً وذُبولا .

فمنه قوله :

صَبٌّ جَفاهُ هجُوعُه ... والآن زاد وُلُوعُهُ
كتَمَ الهوَى عن قَوْمِهِ ... فوَشَتْ عليه دُموعُهُ
قالوا الحبيبُ مُمَنَّعٌ ... أحْلَى الهوى مَمْنُوعُهُ
لو ذاق رَضْوَى بعضَ ما ... يَلْقَى لَذابَ جَمِيعُهُ[3]
فهو القتيلُ بحُبِّه ... مُلْقَى الغرامِ صَرِيعُهُ
شيخُ الهوى بل كَهْلُه ... بل طِفْلُه ورَضِيعُهُ

* * *

(١) يعنى كعب بن مامة الإيادى ، الجواد الجاهلى المشهور. (٢) أى التى تخطر فى مشيها.

(٣) فى الأصول: «لو ذاق رضوى بعدما» ، ولعل الصواب ماأثبته.

وقوله[١] :

وحَقِّ حُمْرةِ خَدٍّ ... تُثير بالقلبِ جَمْرَهْ
تُطْفِى لَخَمْـــرةِ ثَغرٍ ... بيضاءَ فى الكأسِ حُمْرَهْ[٢]
تَحْلى لَخَمْرةِ فضلٍ ... تُزِيلُ بالشُّرْبِ خَمْرَهْ[٣]

***

ومن ألغازه[٤] :

غَزالةٌ فى بُرْدِها رافِلَهْ ... تَقْتَنِصُ الأُسْدَ مِن القافِلَهْ
فى حَرَمِ الأَمْنِ وقد خِلْتُها ... قائمـــةً بالفَرْضِ وبالنَّافِلَهْ
قلتُ لها : رِقِّى ، فقالت لِمَنْ ... كأنها عن مَطْلَبِى غافِلَهْ
ثم انثَنَتْ تُلغِزُ لى باسْمِها ... لُغْزًا به أفكارُنا كافِلَهْ
ما اسمٌ خُماسِىٌّ وتصحيفُه ... شِبْهُ بُدورٍ لم تكنْ آفِلَهْ
فى سُنَّةِ المختارِ خيرِ الورى ... بيــــانُه وهْى له شامِلَهْ
فى سِنَةٍ نَبِّهْ مُسْتيقِظًا ... وإن تَشَا فى سَنَةٍ كامِلَهْ[٥]

***

ومن نثره جوابُ لُغزٍ فى حَوْراء[٦] :

أجَدْتَ أيها الجَهْبذُ الهمام ، وحلَّيْتَ بجواهرِ زَواهرِ الدُّرَرِ أجْيادَ الكرام . واستجلَيْتَ على مِنصَّةِ فِكرتِك حَوْراءَ الجِنان ، واستخلَيْتَ بها فى المَقاصِير[٧] الحِسان . فافترَّ ثَغرُ حَسَنِكِها[٨] لِلُقْياك ، وروَتْ لك روايةَ بِشْرٍ عن الضَّحَّاك .

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٢٠٣ . (٢) فى خلاصة الأثر : « تطفى لحمرة ثغر » .
(٣) فى خلاصة الأثر : « تزيد بالشرب خمره » . (٤) اللغز فى خلاصة الأثر ١/٢٠٣ .
(٥) فى ا : « فى سنة بينة » ، وفى ب ، ح : « فى سنة بينه » ، والمثبت فى الخلاصة .
(٦) خلاصة الأثر ١/٢٠٣ ، وفيه أنه كتب به إلى الوارثى المصرى ، وهو يعنى أحمد الوارثى لصديق ، وتأتى ترجمته برقم ٣٣٣ . (٧) فى خلاصة الأثر . « مقاصير » .
(٨) فى خلاصة الأثر : « حسنها » .

فصابَح اللهُ صَباحةَ وجهِك بوَجْهِها الحسَن، ولا زالتْ تخدمك المعالِي بأنْضرِ فَنَن .

***

وله فى أشهب، كتبه إلى ابنِ عمِّه الوَارِثِى ، وكان مَالِكِيًّا [1] :

ما علَمٌ مُفْرَد مُركَّب ، وُضِع لحيوانٍ يُرْكَب ؟

إن رفَعْتَ رأسَ زِمامِه ، دلَّ على اسمِ جَمْعٍ نارِيٍّ فى الْتِزامِه .

وإن أتيتَ برأسِه إلى أقْدامِه [2] ، فاستَعِذْ باللهِ من سِهامِه .

مع أنه على حقيقةِ الانفِراد ، إمامٌ تَزِيد فيه اعْتقاد .

وتقتدِى بأمْرِه ونَهْيِه وعَدْلِه ، وقد أقرَّ العلماء بفضْلِه .

خصوصًا أهلُ مذهبِكم الشَّريف ، ولا يحْتاج إلى تَعْرِيف .

***

وله جواب لُغزٍ أرسلَه إليه الوَارِثِى :

بَقِيتَ أيها العلَّامةُ المَصُونُ بلَفظِ الخالقِ ، تَكْتحِل بإثْمِدِ مِدادِك المَكْنون عيونُ الحقائق .

وتسْعَى لَدَيْك جَوارِيها جارِيةً ولو حازَتْ قَصَباتِ السَّبْق ، مُطِيعةً لأمْرِك فى حالِها وما ضِيها ومُضارِعِها لاستِقْبال الحقّ .

ينتظِمُ مَنْثُورُها لَدَيْك انْتظامَ العُقود ، ويتشعَّب أرِيضُها تشعُّبَ المُغايَرة فى مَنْهَلِها المَوْرُود .

لأنَّك الفَرْدُ الذى زاد اللهُ شَرَفَه ، ورَقَى فى مَراقِى الكمالِ شَرَفَه [3] .

***

وكتب إليه :

ما قولُكم فى حَرامٍ ورَد بالنَّصّ ، وهو حلالٌ لكلِّ شخص .

---

(١) هذا الفصل أيضا فى خلاصة الأثر ١/٢٠٣ .　　(٢) فى خلاصة الأثر : « قدامه » .

(٣) الشرف : المكان العالى .

ومن أعجبِ العُجاب ، أن تفتخر به أُولو الألباب .

نزلتْ فى شأنِه آياتٌ بيِّنات ، وأُقيم بوجهِ الحُرْمة فيه دلائلُ واضِحات .

ولا حَدَّ على مَن قال بحِلِّه ، مع أنَّ حَدَّه ثابتٌ بصحيحِ نقْلِه .

شهدتْ بتحريمِه علماء المِلَل ، واعترفوا بالحِلِّ ولا زَلَل .

إن حذفتَ آخِرَه تراه مِن الأوتاد ، ويطلُبه الزُّهَّاد والعُبَّاد .

***

فأجابه بقوله :

دُمْتَ مولاىَ بالمعارفِ تُولِى ... صَحْبَكَ الفضلَ فى بديعِ الكلامِ

وتجيبٌ فى النَّصِّ شىءٌ حَرامٌ ... وهو حِلٌّ وواجبٌ فى الحَرامِ

وهو فى الحَدِّ قائمٌ حيث يَحْمِى ... كلَّ مَن جاءه لحِفْظِ الذِّمامِ

هو بالنَّصِّ جائزٌ وحَرامٌ ... بل وحَاوٍ لسائرِ الأحكامِ

وهو أيضًا حقيقةٌ ومَجازٌ ... وطريقٌ لنَيْلِ كلِّ مَرامِ

فيه أيضًا ثوابُ سَاعٍ إليه ... بل وفيه وَسِيلةُ الإسلامِ

هَبْكَ بالقلبِ تُخلِصُ الوُدَّ فيه ... هو نَزْرٌ فيما له من مُقامِ

☆

أخوه :

٣٣١

الأستاذ محمد*

صاحبُ الحالِ والقَال ، ومَن أعْجَز بوَصْفِه فُصَحاءَ المَقال .

فهو مَعْدِن الفَضْل الذى خَلُص عِيارُه ، وبحرُ العِلم الذى لا يَقْتَحِم بسُفُن الأفكار تيَّارُه .

خُلِق كما أرادته مَعاليه ، وتمنَّتْه أيَّامُه ولَياليه .

فلو صوَّر نَفْسَه فى الوجود ، لم يَزِدْها على ما فيه من الكرم والجود .

فاشْتهر شُهْرَةَ الفجرِ الصادِق فى الظلام ، وجَدِّه أبى بكر الصِّدِّيق فى أهلِ الإسلام .

وهو خليفةُ الذى أسْرَع الأجْوادُ لِمُحالفتِه ، ولم يستقِمْ أمرُ خلافتِه مع مُخالفتِه .

فما انقطعت الأقلامُ فى خِدْمةِ بارِيها إلا طَمَعاً فى جَنَّات مَدْحه فواظبت على الخمس ، ولا رأى الهلالُ ما فى نفسِه من العِوَجِ إلَّا قال اعتذاراً له مِن أين لِى وُصولٌ إلى مَطْلَعِ الشَّمْس .

(*) أبو الحسن محمد بن زين العابدين بن محمد البكرى الصديق المصرى .

ولد بمصر ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن ، وتأدب ، واشتغل بطلب العلوم وأتقنها ، وبرع فى كثير من الفنون ، سيما علم التفسير والحديث ، وكان له فى علوم القوم وأصول التصوف قدم راسخ .

درس بالجامع الأزهر ، ولما كبر استقل بالإفادة فى بيته .

له « ديوان » مجموع ، ومؤلف فى ذكر النيل .

وتوفى سنة سبع وثمانين وألف ، ودفن بالقرافة الكبرى .

خلاصة الأثر ٣/٤٦٥ – ٤٦٨ .

على أنَّ رأسَ الشمس شابَ لانتظارِه ، والأنجُمَ كلّها مُقَلٌ مُنتظِرةٌ لَمحةً مِن أنظارِه .

وكان له نَوادٍ غاصّة ، ومجالسُ عامّة وخاصّة .

يستخلِص فيها مَن رقّتْ طِباعُه ، وامتدّ فيما يَليقُ بمُكالَمتِه باعُه .

فيُصفّي ألبابَهم بحصول خَيرِه ، ويُسكّن قلوبَهم بيُمْنِ طَيْرِه ، ويُغنيهم ما عاشُوا عن مُخالطةِ غيرِه .

في حضرةٍ تستنطِق مَحاسِنُها الخُرْس ، ومَنازِلُها مُتهيّئ من مَوْسِمٍ إلى عُرْسٍ .

يتنسّم في الطُّلوع والعُبور عن عَبير ، ويَثني المَعاطِفَ من الحُبورِ في حَبير .

الرَّوضُ ما قد قِيلَ في أيّامِه　　لا أنّه وَرْدٌ ولا نَسْرِينُ

والمِسْكُ ما أَنَمَّ الثَّرَى مِن ذِكْرِه　　لا أنَّ كلَّ قرارةٍ دارِينُ(١)

فامتلأتْ أرجاء الوجود بأَرَجِ صِفاتِه المَلَكيّة ، وخضعت الصّناديدُ الصِّيدُ لعَتبةِ عِزِّه المَلَكيّة .

وشَدَّتْ فُحولُ الرِّجال ، نحو سُدّته الرِّحال ، وكَحَلَتْ بتُراه أعيُنَها بِلامِنّةِ الكُحْل والكَحّال .

وأصبح لِلآمالِ رُكْنا رَكِينا ، وكَهفا تأوِي إليه العُفاةُ مَكِينا

في خِلعةِ الزّاهِي لِمَن شامَهُ　　صَحيفةٌ عُنوانُهـــا البِشْرُ

بطَلْعةٍ تَمتـــلِي العَيْنُ مِن　　إجلالِها والقلبُ والصدرُ(٢)

***

وكان في الأدب مِمَّن سُلِّم له انقِاد ، وله شِعرٌ سَلِم من النَّقْد فإنّ قائلَه أنقدُ النُّقّاد .

---

(١) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند ، وتقدم ذكرها .

(٢) في ب : « بطلعة تتملى » والمثبت في : ا ، ج .

إذا ما قال شِعْرًا تَاهَ عُجْباً به بين الخليقةِ كلُّ شِعْرِ
ولِلأقلامِ كم قَصَباتِ سَبْقٍ حَواها فى الرِّهانِ بيومِ فَخْرِ
فلم تُدرِكْ غُباراً منه عَيْنٌ ولم تَلْحَقْ به خَطَواتُ فِكْرِ

***

فمن شِعْرِه قولُه ، من قصيدة أرْسلَها إلى شيخ الإسلام يحيى المِنْقارِىّ[1] ، أوَّلُها[2] :

أمِسْكيَّةُ الأنفاسِ أم عَبْقَةُ النَّدِّ وناسِمةُ الأزهارِ أم نَفْحةُ الوَرْدِ
ونَشْوانَةُ الألحاظِ أم رِئْمُ حاجِرٍ وثَغْرُ القَوافِى الزُّهْرِ أم لُؤْلُؤُ العِقْدِ
ومائِسَةُ الأعْطافِ أم خُوطُ بانَةٍ ووَجْهُ الذى أهْواهُ أم قَمَرُ السَّعْدِ[3]
أعَزُّ بنى العَلْياءِ قَدْراً ورِفْعَةً ومَن فَرَعَ الشَّمَّاءَ مِن رُتْبةِ المَجْدِ
ومُقْتَعِدٌ من صَهْوةِ المجدِ سابِقاً إذا ما دَنَا حَدُّ المُطَهَّمةِ الجُرْدِ
ومُعْتَقِلٌ لِلعِزِّ صَعْدَةَ عَزْمِةٍ أنابِيبُها رَعَّافةٌ بدَمِ الأُسْدِ
ومُرْسِلُ أرْسالِ العَطايا مُبارِياً بأيْسَرِها وُطْفَ الغَمائِمِ فى الرَّفْدِ[4]
أيا مُفْتِيَ السُّلْطانِ إنَّك واحدٌ كما الآ وهذا لستُ أشْهدُه وَحْدِى
وأنت ومَن يَهْواكَ فى ذِرْوةِ العُلَى بفَخْرٍ ومن يَشْناكَ فى وَهْدةِ الطَّرْدِ

---

(١) شيخ الإسلام يحيى بن عمر المنقارى الرومى .

أخذ بالروم فنون العلم عن أكابر علمائها ، ولازم على دأبهم بمدارس قسطنطينية ، وولى قضاء مصر، ثم قضاء مكة ، ودرس فيها بالمدرسة السليمانية ، ثم ولى قضاء قسطنطينية وقضاء العسكر بروم ايلى ، ثم نال منصب الفتوى سنة ثلاث وسبعين وألف .

وله « حاشية على تفسير البيضاوى » ، ورسالة « الإتباع فى مسألة الاستماع » .

توفى سنة ثمان وثمانين وألف ، ودفن بأسكدار .

خلاصة الأثر ٤/٤٧٧ ، ٤٧٨ .

(٢) فى خلاصة الأثر من هذه القصيدة الأبيات : الأول ، والثامن ، ومن السادس عشر إلى آخرها .

(٣) خوط البانة : غصنها الناعم .

(٤) الغمائم الوطف : المثقلة بالماء

وإنَّكَ والرحمنِ حِلْفَةَ صادقٍ ... لأمْثَلُ مَن أَهْدَى له دُرَرَ الحَمْدِ
فلا زال أهْلُ العلمِ يَحْيا بفَرْعِكُم ... بفضلِ إلهٍ فَيْضُهُ زادَ عن حَدٍّ[1]
رعَى اللهُ أيَّاماً مَضَيْنَ كأنَّنا ... بها قد غَنِمْنا العَيْشَ فى جنَّةِ الخُلْدِ
تولَّيْتَ فيها مصرَ تُوسِعُ أهْلَها ... نَوالًا يفُوق النِّيلَ فى وَاسِعِ المَدِّ
وعَزَّزْتَ فيها الشَّرْعَ آيةَ عِزَّةٍ ... بحَدِّ حُسامٍ سُلَّ بالعِزِّ عن حَدٍّ
فيا مَن له وُدِّى من الناسِ كُلِّهم ... وَمن هو لى من بَيْنِهم غايةُ القَصْدِ
وَمن صِرْتُ فى مَدْحِى عُلاهُ كأنَّنى ... حَمامةُ جرْعاً فَوق مَيَّالَةِ المُلْدِ
على أنَّنى ما فُهْتُ يوماً لِماجِدٍ ... سِواهُ بشِعْرٍ لا بقُرْبٍ ولا بُعْدِ
ولكنْ دَعانِى الشَّوقُ لَبَّيْتُ داعِياً[2] ... وهذا وما أُخْفِيه بعضُ الذى أُبْدِى
أليَّةَ مُحْنِى الضُّلوعِ على الأَسَى ... تَحارُ الأُسَا فيما يَراهُ مِن الوَجْدِ[3]
له زَفَراتٌ من فؤادٍ تضرَّمَتْ ... بها نارُ شَوْقٍ دُونَها النارُ فى الوَقْدِ
لَأَنْتَ الذى ما حَلَّ فى القلبِ غيرُه ... ولا حالَ خالٍ فيه عن ذلك العَهْدِ[4]
ولم تَرَ عَيْنِى مثلَه بَعْدَه وهل ... يَمِيلُ إلى عَوْرٍ فتًى عاشَ فى نَجْدِ

وأعْقبها بنَثْرٍ، صورتُه[5] :

اللَّهُمَّ إنى أسألُكَ بأسْرارِ التَّنْزِيلِ التى فاقَت البَحْر والنَّهْر ، ويسَّرَت بمَعالِم تنزِيلها المَدارِكَ لتَسْهيلِ السَّبِيل كلَّ سُؤْدُد وفَخْر .

وقضَيْتَ بكشْفِ مَعارفِها عن كَشَّافِ عَوارِفها لِمَن أصبحَ عادلًا وابنَ عادِلٍ ، فما أَفْتَى مُفْتٍ إلَّا وانْفهَق من[6] من قلبه يَنْبُوعُ الحياةِ وحصَل منه الكَمالُ بكَمالِ الفضائل .

---

(١) فى ج : « فضله زاد عن حد » ، والمثبت فى ا ، ب .

(٢) فى خلاصة الأثر : « لبيت مسرعا » . (٣) فى خلاصة الأثر : « مما براه » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « من ذلك العهد » . (٥) تضمن هذا النثر ذكر كتب كثيرة ، ورَّى بها المترجم . (٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

وما أعرَب عمّا أغرَب بباسقات تبيانه إلاّ وكان الدُّرَّ المنثور ، وما أطنَبَ بكلّ كلام أطيَبَ إلّا بفتح الرحمن الكفيل له بتيسير الأمور .

أن تمُدَّ حضرةَ مولانا شيخ الإسلام ، الذى أحيَى اللهُ تعالى بوُجوده مآثرَ العلماء الأعلام .

نخبةِ أرْباب العلوم ، والمحَلّى لجيدِ الدهرِ بقلائد المنثور والمنظوم .

صاحبِ المقامات الحسَنة فى ترْغيبه وترهيبه من فعلِه الحسَن ، بادِى الإرْشاد بتنبيهِ الغافلين فيما ظهَر وبطَن .

فالدُّرَر المنيرة مِن مَواهِبِه اللَّدُنِّيَّة ، المُتَّفَقِ عند الثِّقاةِ على دلائله منهاج التَّوضيح من فَتح ربِّ البَرِيَّة .

ما اختلَف فى فَضْلِه اثنان ، بل ائتلَف على حُبِّه كلُّ إنسان .

مرْسَلُ أوْصافِه مُسَلْسَلٌ بكلِّ كمال ، وحديثُ أفضالِه مُتَّصِلٌ بالخبَر فى الغُدُوِّ والآصال .

ضِياء مِشْكاةِ أفكارِه مَشارِقُ الأنوار ، ومَصابيح آرائه مضيئة بالعَشِيِّ والإبكار ، بتنويرِ الأبْصار والبصائر ، المختار من خلاصة أهل العِناية فلا أشْباهَ له ولا نَظائر .

فالدُّرَ والغُرَر من كنْزِ بَحْرِ علمِه الرائق ، الجامع المحيط بما يَقْصُر عنه نَهْرُ الحقائق .

الحائزُ من البِداية أسْرار الهِداية ، صدرُ الشَّريعة مُنْشَرِحٌ بِنقايةِ الوِقاية وغايةِ النِّهاية .

تَنْقيحُ عباراته يُبْدِى دُرَرَ بِحارِه ، وتَوْضيحُ تَلويحِ إشاراته يهدِى إلى الإسْعافِ بمُنتقَى اللَّطائف .

مَجْمَعُ بَحْرَيِ العلمِ والعمل ، ورَمْزُ الحقائق المُوصّلُ إلى خِزانةِ الفِقْهِ بفَيْضِ الأزَل .

جامِعُ الفتاوَى يُضِىءُ من جَوْهرةِ لُبِّه المُنير ، وفتاوَى ابنِ نُجَيْمٍ من بيانِه برَسْمِ بَنانِه الكاشِف عن سُرَّةِ السَّرِير .

مَنارُ الدِّين وصاحبُ الاستقصاء لفصُول البَدائع ، بَحْرُ الأُصول فى المَعقول والمَنقول بل جَمْع الجوامِع .

مِنْهاجُه قَوِيم ، ونَهْجه مُسْتقيم .

وكيف لا وهو العَضُدُ وحاوِى التَّحْرير ، أبكارُ أفكارِه المُستقصر من لُبِّ اللباب عند كلِّ خَبير .

فالنُّقود والرُّدُود مِن أبحاثِه حاصِلَه ، ومِرْقاةُ الوُصول لِذِى الأُصول وَاصِلَة .

صاحبُ التَّمْهيد والتَّجْريد بالهداية إلى مَواقِف المَقاصِد ، والمقامات العَلِيَّة فى آدابِ البَحْثِ لِذَوِى العَقائد .

فكم له من مُحاوراتٍ يحصُل بها الشِّفا ، لِبيانِ حِكْمةِ العَيْن مِمَّن كان فى غُموضِها على شَفا .

قَوِىُّ الطالِع سامِى العِماد ، سَيِّدٌ فى مَطالِع السَّعْد على أُولِى الطَّوالِع الأمْجاد .

له انْتِحا كَلِمات الشَّمْسيَّة فى تهذيب جَمِيل الفَرائِد المُنْتَظِمة فى سِلْكِ تَقْريرِ المُلَخَّص لِلفَوائد .

ذِى المَناهِج الوَافِيـة بتُحْفَةِ المَوْدُود ، وطَالِع نِظام السَّعْد الذى هو أسْنَى المَطالِب فى تحقيق المَقصود .

عباراته الشَّافية مَراحُ الأرْواح ، المُشْرِقة بِسَناء الإيجاز التَّعْريفَ الفائض لِلمِصْباح

عزِّ المَوالِى فالمَنْسُوب إليه عَزِىُّ الأفاضِل ، الآتى بما لم تأْتِ به الأوائِل .

لا غَرْوَ أنه مُغْنِى اللَّبِيب ، وتُحْفةُ الغَرِيب .

ألفاظه الكافِيَـة فى تَسْهِيل الصِّلاة والعوائِد ، ومَوارِدُه الصَّافِيـةُ لِكلِّ وارِد لتحْصِيل خَلاصةِ القَواعِد .

ما قَطْر النَّدَى إلَّا من بحرِ عِلمِه البَسِيط ، وجَمْعُ جَوامِع فوائِده وَافٍ مُحِيط .

المَنْهَل العَذْبُ لِوَارِدِيه ، والكافِى الشَّافِى لِمُرِيدِى الارْتشاف وطالِبِيه .

عِصام الدُّنْيا والدِّين ، فوائِدُه الضِّيائِيَّةُ عُمْدَةُ أهل التَّمكِين .

مُجِيبُ النَّدا لِرَاجِي هَمْعِ عَوارِفِهِ ، ومُجْلِي ظُلُماتِ الرَّدَى بإشْراقِ نَجْمِهِ السعيد فى سماء مَعارِفِهِ .

عَيْنُ أُنْمُوذَجِ الكَمالات ، فكم أبْدَى كلَّ مُلْحَةٍ من عُبابِ فِكْرِه الجامعِ لأشْتاتِ المكرُمات .

عرائسُ أبكارِ مَعانِيه مُتحلِّيَة بشُذورِ الذَّهب الخالص ، المُفصَّل بالدُّرِّ النَّفِيس الذى هو بعضُ ما فيه من الخصائص .

فما عقودُ الجُمانِ لعَرُوس الأفراح إلا كالمَثَل السَّائِر ، وما مِصْباحُ الإصْباحِ على زَهْرِ الرَّبِيع إلَّا دون أسْرارِ بَلاغتِه[1] فى الضِّياء لكلِّ ناظِر .

فكل مُطوَّلٍ أو أطول فى بَيان فضائلِه مُخْتَصر ، وَدلائل شَمائِلِه لائحة لكلِّ مُنْشٍ أراد الإطْنابَ فى مَدْحِه البَدِيع فاقْتَصَر .

فما كلُّ فصيحٍ وإن نَطَق بلِسان العرب ، وارْتَقَى بمَحاسنِ الصِّفات وتهْذيب الأسْماء واللُّغاتِ أعْلَى مَراتِب الأدَب ، إلَّا قَطْرَةٌ من[2] عُبابِها الذى ليس له نِهاية ، وشَذْرَةٌ من عِقْد صِحاحِها الجَوْهَرِيَّ اللَّامِع سَناؤُه لأبْصارِ ذوِي الفَضْل والدِّراية .

ومُجْمَل القَوْلِ فيه أنَّه عينُ أرْبابِ الفضائل ، وتاجُ مَصادِرِ العرفان وصَدْرُ الأفاضل .

لا زال صاحبَ الحَماسة والسَّماحة ، وقولُه المُغرِبُ فى نَقْد الشِّعْر المُطْرِب مَرْجعاً لأهْل [3] البلاغة و [3] الفصاحة .

أما بعد ؛

فإنَّ الله تعالى عَزَّ وجل لَمَّا علِم ما وهَبَكم من الكَمالات السَّنِيَّة ، واخْتار لكم من المقامات الزَّكِيَّة ، خالَط أرْواحَ العُلَماء بمَحبَّتكم ، وجعل قِوامَ أمْزِجَتِها مَزِيدَ

---

(١) فى ب : « البلاغة » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ج.
(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

مَوَدّتِكم ، حتى لقد كادت أشباحُهم تُسابِقُ النُّسور إلى أعتاب عِزّتكم .

خِدْمةً ومَحَبّةً ، وتَوجُّهات قلوبهم لم تزلْ مُلازمةً لأبْواب سعادتِكم شَغَفاً ورَغْبة.

وعند المُحِبّ بما يعلم اللهُ تعالى من الشّوق ، ما هو فَوْق الطّوْق .

ما هبّتْ شَمالٌ وصَبَا ، إلّا مال إليها وصَبَا [1] .

على أنّ مِلاكَ هذا الأمر كُلّه سِرُّ التّوالُفِ بالعَوارِف المُؤكّدة ، المُشار إليها بقَوْلِه صَلّى الله عَلَيْه وسَلّمَ : « الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنّدَةٌ » .

❊

---

(١) من الصبوة .

٣٣٢

ولده زين العابدين*

هذا الأستاذُ فى العِباد، كمِصْرَ حَرَسَها اللهُ تعالَى فى البلاد[١].

فكما هى مُحْتوِيةٌ على العالَمِ الأكْثر، فهو وله الفضلُ مُنْطَوٍ على العالمِ الأكبر

وإذا حقَّقْتَ فما هى إلّا عبارةٌ عن نَادِيه، وما أصابعُ نِيلِها إلّا مِن فضل أيادِيه.

مَحامِدُه تُخلِّدُها أقلامُ الأقدار، بمدادِ الليلِ فى قِرْطاس النهار.

وتَرْسُمُها[٢] حُدَاةُ القِطار، فى مَسالِك الأقْطار، وبتذْهيب الأسْفار.

وزمانُه هَدِيَّةُ الفَلَك، ولُطفُه يُنْبِئُ عن خُلُق المَلَك.

ونَادِيه فائدةُ كلِّ فؤاد، وجارُه أمْنعُ من جار أبى دُؤاد[٣].

ألْسِنَةُ الثَّناء بفضلِه مُنطلِقة، وأيْدِى الرَّجاء بحَبْلِه مُعْتلِقة.

وأياديه لا تزال تُنْشِىء غَضَّ الأمَلِ المُقْتبَل، وأيادِيه عاليةٌ على الأيْدِى فلم يَعْلُها من شىء إلّا القُبَل.

فما قبَّلت له الأفواهُ كفًّا، إلّا لرُؤْيتها بحْراً تطلبُ منه رَشْفا.

سقَى اللهُ بَحْراً منه بالنَّيْل لم يَزَلْ   يَفِيضُ لِراجِيهِ نَدًى ورَغائِبَا

(*) هو صاحب الخى الذى استقدمه من الشام إلى مصر، وأقام فى رحابه فى ظل النعمة والفضل، وأعانه ذلك على إخراج هذا الكتاب.

وكانت وفاة الأستاذ زين العابدين سنة سبع ومائة وألف، ذكر ذلك المرادى، فى سلك الدرر ١/١٠١، فى ترجمة أحمد بن كمال الدين البكرى.

(١) اقتبس المؤلف عبارته من الصاحب بن عباد، حين سأله ابن العميد عن بغداد عند منصرفه عنها، فقال: بغداد فى البلاد، كالأستاذ فى العباد. انظر يتيمة الدهر ٣/١٠٨.

(٢) فى ح: «وتوسمها»، والمثبت فى: ا، ب.   (٣) هو الإيادى، ويضرب به المثل فى منعة الجار، وتقدم بيان ذلك، وانظر ثمار القلوب ١٢٧.

وحَيّ زماناً فيه غُرَّةُ وَجْهِه ۞ تحيَّةَ صَوْبِ المُزْنِ يَرْوِي السَّحائبَا

***

وكان قبل أن يُشرِّف الشام بحلول قدَمِه، ويُحْيِيها بيُمْنِ طالِعِه الذى أضحَتْ سُعودُ الفَلَكِ مِن جُمْلةِ خدَمِه.

لم تزَلْ أخبارُه حَظَّ القلوبِ والمَسامِع، وآثارُه حِليةَ الأفواه ورَوْنَق المَجامِع.

فتشْتاق النفوسُ إليه شوقَه لإسْداء الجميل، وتشتهي لِقاه شَهْوتَه سَبْقَ عطائِه التَّأميل.

إلى أن عزَم على زِيارة القُدْس الشَّريف، وحَلَّها فكَسا بِقاعَها حُلَّةَ الابْتهاج والتَّشريف.

ثم عَنَّ له النُّهوض إلى دِمَشْق لِرُؤْيةِ مَعاهِدِها، والتَّملِّي حِيناً بمُشاهدة مَشاهِدِها.

فجَرَّتْ بهذا العَزْم ذيلَ الفرح، وتسرْبلَتْ برداءِ الجَذَل والمرَح.

ووَدَّتْ أن يركَب النَّجْمَ السيَّار، ويمتطِيَ الفَلَكَ الدَّوَّار.

لتقرُب حركتُه، وتعودَ عليها وعلى أهلِها برَكتُه.

فابتَدرت الفُصَحاء من أهاليها، تخطُبه بفرائد الآثار من لآلِيها.

وكنتُ ممَّن تطفَّل باستدْعائِه، وفكْرُه مصروفٌ إلى ثنائه ودُعائه.

فكتبتُ إليه، أسْبَغَ اللهُ نِعمَهُ عليه:

أوْرَتْ يدُ البَرْق فى الرُّبَى زَنْدَا ۞ فمِجْمَرُ النَّوْرِ ضَوَّع النَّدَّا

ونام مِن نَبْتِها رَضِيعُ نَدًى ۞ تهُزُّ أيدِى الصَّبَا له مَهْدَا

والطَّلُّ فى زَهْرةٍ يُضاحِكُها ۞ لآلِئٌ ضِمْنَ مُدْهُنٍ يَنْدَى

وجدولُ الماءِ فى مُفاضَتِه ۞ قد سَرِدتْ دِرْعَه الصَّبا سَرْدَا

وما أرتْنا الجِنانُ حُلَّتَها ۞ حتى أرتْنا فى جِيدِها عِقْدَا

حَبَّذا طَلْعةُ الربيع وقد ۞ ألبَسَت الأرضَ وَشْيَها بُرْدَا

وحبّذا الشامُ أرضَ مُؤتلفٍ ... تُنبتُ حُبَّ القلوب والوُدّا
إن أهدتِ الوردَ زاهياً خدّا ... أطلعتِ البانَ مائساً قدّا
من كلّ قيدِ العيونِ ممتلىء ... لُطفاً عن النَّدِّ حُسنُه ندّا
ترتع منه الأحداقُ فى نزهٍ ... لا يبلغُ الوصفُ ضبطَها عدّا
فانتهزِ العيشَ يانديمُ فقد ... وفتْ لك الشامُ بالمُنى وعداً
انظر ترى الوقتَ صافياً وعلى ... تتمّةِ الحظِّ آخذاً عهدا
ففى التّباشير أن يُزيّنها ... زينُ العبادِ الذى حوى المجدا
أجلُّ مَن ينطق اللسانُ به ... شُكراً وأولى كلّ الورى حمدا
قد استرقّ النُهى بأنعُمه ... فكلُّ حُرٍّ أضحى له عبدا
ما حلّ إلّا حلّ النّدى معه ... وأثمر الدهرُ لمُنى سعدا
مُذْ قيل ينوى للشام مُرتحلاً ... كادتْ إليه تسعى بنا وجدا
وهيّأتْ فى الثّرى لموطئه الـ ... أعيُنُ فرشاً ومرّغتْ خدّا
فكلُّنا رامقُ البشيرِ لكىْ ... نبذُل أرواحنا له نقدا

***

النُّور وهو مُنير ، والماء وهو نمير .

والرّوضُ وهو ناضِر ، والسحابُ وهو ماطِر .

والمرادُ وهو مَرِيع ، والزمانُ وهو ربيع .

أمثالٌ أوردت وأشباه ، والمقصودُ أنت بلا رَيْبٍ واشتباه .

أنتَ المُرادُ ولا مُرادَ سِواكا ... فجميعُ ما نهوَى يكون فِداكا

فأما النُّور فنور وَجهِك المُضِىء ، وأما الماء فماء رَونقِك الوَضِىء .

وأما الرّوض فروض شِيَمِك وأخلاقِك ، وأما السحابُ فسحاب إنعامِك وإغداقِك .

وأما المَراد فمرادُ خبرِك الذى تنعطِفُ إليه القلوب ، وأما الزّمان فزمانُ خَيرِكِ الذى يتمُّ به المَطلوب .

وإذا كنت والمُنَى فيك فما حاجةُ الورَى للأماني

وقد بلغنا خبرُ الحركة ، المَقرونةِ باليُمن والبَركة ، فمرحباً بالأمانى والأمان ، وسَقْياً ورَعْياً لهذا الزمان .

وذلك بمُجرّد بِشارة ، ومَحْضِ عبارةٍ فى إشارة .

وأما خبرُ الوصــولِ والحصول ، فمُوجِب الذُّهولِ للعُقول ، فـلا نَدْرِى عنده ما نقول .

وبالجملة فحسْبُنا منك لَحظة ، ودعْنا نُوجِم فلا نَلفِظ بلَفْظَة .

فالله تعالى لا يحرِمُنا منها ، ويصرفُ جميعَ العوائق والموانِـع عنها .

فلَعَمْرِى إنها النِّعمةُ التى لا نقوم بشُـكْرِها ، وما زِلْنا مِن حين التَّرَعْرُع فى طِيبِ ذِكْرِها .

والدعاء .

***

ثم ورَد دِمَشْق فدخَلها فى يومٍ أخَذ زِينتَهُ بزَيْنِه ، ولم يَبْقَ ذُو جِسمٍ إلّا والبُشْرَى مِلْءُ قلبِه والمَهابة مِلْءُ عَيْنِه .

فأشْرقت بنُورِه أرْجاؤُها ، وامتدَّ به أمَلُها ورَجاؤُها .

وهُرِعتْ إليه أبناؤُها من وُجوهِ نَاسِها ، يَرِدُون حَضْرةً احْتوَتْ مِن المَحاسِنِ على أنْواعِها وأجْناسِها .

فيتفاءلون بتلك الطَّلْعةِ التى تُقْرأ منها نُسْخةُ الحسْن ، وتلْمَح فى أسَارِيرِها أشِعَّةُ النَّجاح واليُمن .

فيُبشِّرهم بابْتسامِه ، قبلَ أن يُبَشِّرهم بـكلامِه .

ويُحيِّيهم بالنُّجح بإشارتِه ، قبل أن يُتَرْجِم لهم بعبارتِه .

فيُشاهدون حَظًّا أقبلَ فى مَعرِض الـكمَال ، وطَالِعَ سَعْدٍ قد طلَع عليهم بنَيْلِ الآمال .

وكنتُ أنا ممّن سارَع إليه ، أسْرَعَ من الـكَرَم لِطَرَفَيْه .

فاسْتخلَصنِى لوَلائِه اللّازمِ واللّازب ، ورَبَطنِى بإحْسانه المُتراكِمِ المُتراكِب .

فما توانَتْ لى فى قَصْدِه مُدّةَ الإقامةِ قَدَم ، ولم يُعطّل لى مُذْ شاهَدْتُه فى ثَنائِه قلَم .

وهو ، حجَب اللهُ تعالى العيونَ عن كماله ، وجعَل اتّفاقَ اليُمْن مَقرونًا بيمينِه وانتظامَ الشَّمْل مَعقوداً بشِمالِه .

سَقانا به اللهُ وَبْلَ الحَيَا　　فإنّا إذا ما دَعَيْنا سُقِينا

ثم انْصرفَ والأهواءُ معه ، والثناءُ يَمْلأُ سَمْعَه .

والأبصارُ على مَرْآهُ تزدحِم ، والأفواهُ على تقبيلِ يدَيْه تقتحِم .

فاللهُ يَعضُده بتوفيقِه ، ويجعل السَّعْدَ حِزْبَه ورَفِيقَه .

***

وقد وصلتْنى منه نُسخةُ كتابٍ إثرَ وصوله ، تقتضِينى الوُفودَ عليه ، والمُثولَ لَدَيْه ، وها هى :

هل تناسَى عَهْدَ المَوَدّةِ أهْلُهْ　　أو حَليفُ الجوَى تجافاه خِلُّهْ

والهوَى الـكامِنُ الذى مَلَكَ اللُّبَّ　　م وما حالَ عن فؤادِى محَلُّهْ

أتُراه يَرْعَى وتُقْضَى حقوقٌ　　والمَشوقُ العَمِيد يُجْمَع شَمْلُهْ

يا رَعَى اللهُ طِيبَ عَهْدِ لَيالٍ　　بحَبِيبٍ يُجِلُّنــا ونُجِلُّهْ

ما أراها إلّا كطَيْفِ خَيالٍ　　مَرَّ بى مُسْرِعاً وما شِيمَ مِثْلُهْ

إن أبْهَى ما نطَق به لِسانُ اليَراع ، وأشْهَى ما تشنّفتْ بدُرَرِه الأسماع ، سلامٌ يُخْجِل الرُّبَى فى أُوَيْقات البُكور ، ويُزْرِى بما تحمّلتْه الصَّبا من نَشْر الزُّهور .

أرَقُّ مِن دَمْعةِ المُشتاق ، وأصْفَى من الصَّهباء بما تضَمَّنه من مَكارمِ الأخْلاق .

وأشْجَى مِن لَوْعةِ العشَّاق[١] ، رُبَّما تَطاولتِ الأعْناق للِعناق .

وتحِيَّاتٌ زَكيَّةٌ ، ومَحبَّةٌ صادقةٌ صِدِّيقيَّة .

أتْحِف بها تَرْجمانَ أهلِ الأدب ، والبالغَ أقْصَى غاياتِ الكمالات فى كلِّ ما دَأَب .

المِنْطيق الذى أعجزَت فصاحتُه كلَّ لَسِن ، ذا التَّحْقيق الذى هو بكلِّ بَراعةٍ قَمِن .

والذى يُهْدِى برائعِ عِبارتِه طِيبَ الوَصْل بعد الهِجْران ، ويُنْمِى مِن بَراعاتِه روضًا أيْنعَتْ منه الأزاهِر بفَيْنان وأفْنان .

كأنَّما محاسِنُ الدُّرَر خَلَصتْ من تَرائبِ الآرام فأُلْقِيَتْ فى حدائقِ مُحاوراتِه ، والحُورُ العِينُ برَزتْ فى غُرَرِ تلمِيحاتِه بتَمْليحاتِ مُطارَحاتِه .

لَوْذَعِىُّ الفِكرةِ الوَقَّادة ، ألمَعِىُّ الفِطْنةِ المُسْتجادة .

مَن فاق قُسًّا وأعجَز المُتَنَبِّى ، حَبِيبُنا السيِّدُ أمينُ المُحِبِّى .

كان الله له ظَهِيرا ، وفى كلِّ الأمورِ نَصِيرا .

وبعد :

فإنَّا لِلّهِ الحمد والثَّنا ، فى صِحَّةٍ وعافية وأرْغَدِ عَيْشٍ وأهْنَا .

غيرَ أنَّا مُلَوَّعُوا الجوانِح ، مُتعلِّقةٌ آمالُنا بالمَطامِح والمَطامِح .

لِوُرودِكم لهذه الدِّيار ، والتَّمَلِّى بطَلْعتِكم الحميدةِ المَرْأى والآثار .

فنرجُو مِن فَيْض فضلِ الله المَرِير[٢] ، أن يُهَيِّئَ لكم التَّأهُّبَ لهذه الدِّيار إنه على كلِّ شىء قدير .

***

(١) فى ا : « المشتاق » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « العزيز » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فكتبتُ إلى جَنابِه :

كيف يَنسَى عَهدَ المودّةِ خِلُّهْ ... وهْو عن كلّ ما سِوَى اللهِ شُغْلُهْ

يَرْتَجِي به الرِّضا وحَقيقٌ ... بانتمائه إليه يَنجَحُ سُؤْلُهْ

يارعَى اللهُ مَن بعَهدِ هَواهُ ... لِيَ منه الإسْعادُ والعِزُّ كُلُّهْ

بُغْيَتِي منه أن أُمرِّغَ خَدِّي ... بثَرَى نَعْلِهِ الرفيعِ مَحَلُّهْ

فإذا أسْعفتْ حُظوظِي فمِثْلِي ... مَن يُباهِي الأيّامَ بالفَضْلِ مِثْلُهْ

حضرة الأستاذ الذى حياتِي بعَهدِه مُرتبِطة ، ونَفسِي بما يشتهيه مُغتبِطة .

إن لم أكُنْ عندَه ، فقد استخلَصني عَبدَه .

فأنا أينما كنت ، ما نَقضتُ عَهدَه ولا خُنْت .

نعَم كان الواجبُ مِن رَعْيِ ذِمَّتِه ، أن أكونَ فى بابِه حَليفَ خِدمَتِه .

فأسْعَى إلى سُدَّتِه حَبواً على القَدَم ، وأستنهِض فى خِطابِه اللسانَ عِوَضاً عن القَلَم .

ثم لا أرْضَى له بباعِي القَصير ، وعبارتي الموْسومةِ بالعَجْزِ والتقْصير .

حتى أكونَ استعَرْتُ ألسِنةً تنطِق حَمداً وشُكراً ، واستنجَدتُ أفئِدةً تُوسِع ثَناء وذِكرا .

فكأنّ القَولَ ذو سَعَة ، والمُغالاةَ هنا سُنّةٌ مُتّبَعة .

وقد كان فى حُكْم ما أوْلانيه الأستاذ مِن اعتنائه بشأنى ، واستِدْنائه لِمكانى .

تبصُّراً منه بصلَتِه ، ورَغبةً فى مُراعاةِ وُصْلتِه ، أن أدَعَ جميعَ المآرب جانبا ، وأكون لجميع المَشاهد سِوَى مُشاهدتِه مُجانبا .

لكنْ عَدمُ الإمكان ثبّطَنِي عن هذا الغرَض ، وعاقَنِي عن أداء هذا الواجب المُفترَض .

فأقمتُ مُعتكِفاً على دُعاء أتّخِذُه فى أوقاتى وِرْدا ، ولا أخلو من أمانى لقاء الأستاذ التى أسْقِى بها على ظمأٍ بَرْدَا .

مقبّلا بشفاهِ الأجفان مَواطِئ نِعالِه ، ذاكراً ما أسْداه لى من كرائِمِ خِصالِه وجمائِلِ فِعالِه .

وإذا لاحظتُ شَخْصَه المُمثَّل ، وتصوّرتُ وُدَّه المُؤثَّل ، أسْتقِيمِ وأنْحنِى ، وأذْكُر أيَّام الحِمَى ثم أنْثَنِى .

وكانت لى حاجةٌ فى ذِمّةِ زمانى ، ومآرِبةٌ بقِيَتْ فى عُهْدةِ الأمانى .

وهو وُرودُ كتابٍ من الأستاذ يَحُلُّ عُقدةَ لِسانى فى بيانِ ما أجِدُ لبُعْدِه ، ويتلافَى فِيَّ بعضَ رَمَقٍ ما كنتُ أحْسَبُه يَبْقَى من بعْدِه .

حتى طلَع كتابُه فكان غَيْثاً كَفَى صَيِّبُه دَعْوةَ المُسْتَسْقِى ، وماءً زُلالاً روَى بورُودِه ظمأَ المُستقِى .

فكان أحْسَنَ من طُلوع السَّعْد ، وأحْلَى من إنْجازِ الوَعْد .

فاتّخذْتُه مَرْتَعَ ناظِرِى ، ومُنتعَشَ خاطِرِى .

ونَقْلِى إذا شَرِبْت ، ودَاعِيِى إذا طَرِبت ، ومُحدِّثى إذا خَلَوْت ، وعَرُوسِى إذا جَلَوْت .

بل كان لى حَظَّ الأمانِى من الزّمان ، وتَوْقيعَ النّجاةِ من اليأْس والحِرْمان .

فالله تعالى يُبْقِى يَداً وَشَتْه وحَشَتْه ، ويُدِيم راحةً مَسّتْه وجَسّتْه .

ثم فكّرتُ فى الجواب ، وأنا مُتحيِّر جادّةَ الصَّواب ، فرأيتُ إن لم أُجِب ، فا دَيْتُ ما يَجِب .

فأقْدَمْتُ إقْدامَ مَذْعور ، وقدّمتُ مُقدّمةَ مَعذور .

قائلا : هذا ما انتهى إليه فى العِبارةِ جِدّى ، وأنا على يَقِينٍ بأن هذا الشّرطَ س مِن حَدِّى .

على أننى لو أوتيتُ جوامعَ الكَلِم ، لستُ ممّن تخيّل حصْرَ كِرامِ أوصافِ الأستاذِ أو علِم .

ولا ممّن قال له اليَمُّ الملتهم ، أنا مِدادُك المنتظِم ، وقال مكنونُه أنا دُرُّك المنتظِم .

وأرجو من الأستاذ الصَّفحَ عن هذه الفَرْطة ، والعفوَ عن الجِنَاية التى ورّطتنى هذه الوَرْطة .

فمثلُه مَن يقبل الأعذار ، ويقوم بوُجودِه عن ذَنْب الزمان الاعتذار .

وأمّا مُثولى بين يديْه ، ووُصولى بعد هذه المُدّةِ لديْه ، فبينى وبينه شهرُ الصّبْر[1] ، وأعزِم لأُحَصِّل بمشيئة الله موسِمَ الجَبْر .

وقد نويْتَ أنّى لا أفارق تلك الحضرة ، أو يُفارق الآسَ الخضْرة .

حقّق اللهُ سبحانه رَجائى ، وأمدّنى بإمْدادات الأستاذ فى علانيتى ونجْوائى .

وفلان أحسَن الله بقاه ، وحفِظَه من كلِّ سُوء ووَقاه ، شوّقنى بخبَرِه إلى نظَرِه ، وبِسلامِه إلى كلامِه .

فأنا أُهْدِى إلى جَنابِه سلاماً كسلامِ أصحاب اليَمين ، وأُودِعه القلبَ على الثّقةِ مِن أمين ، إنه أمين ، وعن الوُدِّ لا يَمين .

***

ولما تعلّقتْ إرادةُ الله تعالى بمَسِيرى إلى القاهرة المُعِزِّيّة ، كان أوّلَ مَن اجتليتُ بها طلْعته الزّاهِيَة الزّهيّة .

فأنختُ الرّاحلةَ فى حِماه ، واقتصرْتُ مِن أهالِيها على التّوسُّل برُحْماه .

فنزلتُ من النِّيل وساكنيه بمَجْمَع البَحْرين ، ونظرتُ إلى وجْهِه وإلى البد فرأيتُ القمرَيْن .

---

(١) يعنى شهر رمضان المكرم .

وفاتحته بقولى :

حَسْبُ مصرٍ فَخْراً على البُلْدانِ ۞ وهْى أُمُّ الدنيا بشَيْخِ الزَّمانِ

سيِّدٌ أشتـــفِى بتُرْبَةِ نَعْلَيْـ ۞ ـهِ إذا ما تقرَّحتْ أجْفانِى

وألحقتها بهذه القصيدة :

نُجْلُ العيونِ من الكَواعِبْ ۞ أوْقَعْنَ قلبِى فى المَتاعِبْ

بأبِى غَوانٍ للنهَى ۞ تُدْعَى السَّوالِبَ والنَّواهِبْ

الفَارِســـاتُ البَانِ فى ۞ حُلَلِ الرَّوادِفِ والتَّرائِبْ

والمُطْلِعاتُ البَــدْرِ ما ۞ بيْنَ السَّوالِفِ والحَواجِبْ

هُنَّ القَواضِي بالرَّدَى ۞ لَمَّا يُجَرِّدْنَ القَواضِبْ

من كلِّ رُودٍ إن بَدَتْ ۞ تَخْفَى لطَلْعتِها الـكواكبْ

تختالُ فى مَرَحِ الصِّبَا ۞ رَيَّا المَسارِبِ والمَساحِبْ

وتـكادُ مِن لُطْفِ الأدِيـ ۞ ـمِ تسِيلُ مِن كلِّ الجوانبْ

ما أنـكَرتْ عهد الهوى ۞ لـكنْ تسامِح فى الرَّغائِبْ

وإذا أرادتْ طُول لَهْـ ۞ ـفِ الصَّبِّ أرسلتِ الذَّوائِبْ

أبُثَيْنُ هل من عَطْفةٍ ۞ لِمُولَّهٍ قَلِقِ الرَّكائِبْ

حَمَّلْتِه ما لا يقُـــو ۞ مُ بحَمْلِه الصُّمُّ الرَّواسِبْ

وأبَحْتِه لِعَنَا التَغَرُّ ۞ بِ فاغْتدَى إحْدَى الغَرائِبْ

رِفقًا أيا قلـــبى بِقَلْـ ۞ ـبِى فى مَ إغْضاء المُجانِبْ

هَـــلَّا أذِنْتِ بزَوْرةٍ ۞ للطَّيفِ فى جُنْحِ الغياهِبْ

فيزورُ مُضْنًى أقلقَتْ ۞ فيه فَلا البِيد النَّوادِبْ

ولقد رَعَيْتِ وما وَعَيْـ ۞ ـتِ عُهودَ هاتيكَ المَلاعِبْ

أيَّامَ لم يَجْنِ الدَّلا ۞ لُ على الهَوى غَلَطَ المُعاتِبْ

والعَيْشُ وَضَّاحُ السَّنَا والدهرُ سَمْحٌ بالمطالِبْ
حتى استحالَ وكُدِّرتْ تلكَ المَوارِدُ والمشارِبْ
ونأيتُ عنكَ ولِى حَشاً لم يَدْرِ ما مَضَضُ النوائِبْ
أسْرِى وحُبِّى سائِقِى أيّانَ شاءَ مِنَ المَذاهِبْ
وأحُطُّ نُونَاتِ المُنَى بِمناسِمِ الغُرِّ النَّجائِبْ
ورَجاءُ زَيْنِ العابِدِيـ نَ وَسِيلَتِى لِحمَى المَآرِبْ
ذاكَ الهُمامُ أجَلُّ مَنْ تَسْعَى لِسُدَّتِهِ الرَّكائِبْ
شَهْمٌ أحاطَ بِكُلِّ مَنْـ قَبةٍ بِها تَسْمُو المَناقِبْ
مُتناسِقُ الأخلاقِ بَا دِى البِشْرِ فَيّاضُ المواهِبْ
كم رَغْبةٍ عرَضَتْ بِهِ ما أعرَضَتْ عنها الرَّغائِبْ
فتَرُوضُ رَوْضَ فضائلٍ بالجُودِ مُخضَرَّ الجوانِبْ
يَحْبُوكَ مِن ثَمَرِ المُنَى غَضَّ الجَنَى دانِى الأطايِبْ
وشمائلاً عَطِرَنَ [illegible] دِيَةَ الشَّمائِلِ والجَنائِبْ
كالغَيْثِ بَرّاقُ المَخا يِلِ وهْوَ مُنْهَمِرُ الصوائِبْ
نِعَمٌ بها يُنْشِى النَّدَى والرَّوْضُ تُنْشِيهِ السَّحائِبْ
ولَكَمْ لهُ مِن نائِلٍ شَمِلَ الأقارِبَ والأجانِبْ
كالشَّمْسِ فى كَبِدِ السَّما تَغْشَى المَشارِقَ والمَغارِبْ
مَوْلاىَ أنتَ وأنتَ أنْـ تَ نِتاجُ مَفخَرَةِ الحقائِبْ
يانَجْلَ صِدِّيقِ النَّبِيِّـ مِ وفَرْعَ زَهْراءِ المَناسِبْ[1]
لكَ مِن أُصولِكَ رُتْبةٌ فَخَرَتْ على كُلِّ المَراتِبْ

---

(١) فى ا : « زهرات المناسب » ، والمثبت فى : ب ، ح .

وهمُ الذين تبوّءوا في المجدِ هاماتِ الثّواقِبْ
نَطق الكتابُ بِمَدْحِهِمْ واستفتحتْ بهم الكتائِبْ
فمدائحُ الأقوامِ غيْـ رِهِمُ تُعَدُّ مِن المثالِبْ
وعلى عِداهُم في الورى رَصَدانِ للقَدَرِ المُحارِبْ[1]
ما استيقظوا إلّا رَما هُم بالمتاعبِ والمصاعِبْ
وإذا غَفوا أمرَ الحلو مَ فجرّدتْ لهمُ القَواضِبْ
مَوْلايَ يامَن أرتجيـ ـه إذا تعسّرتِ المطالِبْ
طوّقتني نِعَماً بها أثقلتَ ظَهري والمناكِبْ
فلأشكُرنّك شُكرَ مَن جعلَ الثّنا أسنَى الرّواتِبْ
وإليك غانيةً تها دَى في مُصَنْدَلَة الجلائِبْ[2]
فاستَجْلِ منها حُسْنَ مُنْـ ـعطَفٍ لأسرابِ السّرائِبْ
واسْلَمْ كما سَلِمتْ صِفا تُ علاكَ من كلِّ المعائِبْ[3]
تزهو بِمدْحتِك الورَى بين الأعاجمِ والأعارِبْ
ولك الأماني غضّـةٌ والدهرُ مأمونُ العواقِبْ

***

وكنت في أثناء الإقامة سافرتُ إلى رَشيد[4]، ثم عُدتُ إليه بالرّغبة، وماعدلتُ عنه للرّهْبة.

عَوْدَ مَن عرف فضلَه، واستطاب ظِلّه، ولم يحمَد مُبايَنَته، ولااستَوْفَق مجانَبَته.

---

(١) يشير في هذا البيت والبيتين التاليين له إلى قول أشجع السلمي:

وعلى عدوِّك يا ابنَ عمِّ محمدٍ رَصَدان ضوءُ الصُّبْح والإظلامُ
فإذا تنبّهَ رُعتَهُ وإذا هدا سَلّتْ عليه سيوفَكَ الأحلامُ

انظر التمثيل والمحاضرة ٤٨.

(٢) مصندلة: معطرة بالصندل. (٣) في ا: «في كل المعائب»، والمثبت في: ب، ج.

(٤) رشيد: مدينة على ساحل النيل في نهاية فرعه الغربي نحو الإسكندرية، وانظر معجم البلدان ٢/ ٧٨١.

فطاب العَوْدُ والإبْدَا ، ورَجَوْتُ أن يَرْوِى تلك النَّوادِى الأنْدَا .

فإنه إذا كان أوّلَ مَن عَرَف تعبُّدِى فجُودُه لمِعانٍ ثَنائى ثانى ، وإذا كان لى مِن ذَراهُ مَرابِعُ فلى من خِطابه مَثالِثُ ومَثانِى .

فرأيتُه فى الثّانية كالأُولَى[(١)] ، وحالُه على أجْمَلِ ما عوّدَه اللهُ وأوْلَى .

فالله يُجْرِيه على عادتِه الحُسْنَى التى هى جِبِلّةٌ نفيسة فى نفسِه ، ويجعلُ كلَّ يوم من أيّامِه مُبَشِّراً[(٢)] بالخير عن[(٣)] غَدِه وزائداً فيه على أمْسِه .

فخاطبتُه مُرْتجلا بقولى :

يامَن هواهم آخِــذٌ بأعِنَّتِى ... وهمُ لقلبى فى الورَى المَطْلوبُ

ذَنبُ الفِراقِ وقدظفِرْتُ بقُرْبكم ... فعلَى يَدَيْهِ من الزمانِ أتوبُ

وأخْلِقْ بمَن جنَح إلى الاعْتِراف والإقرار ، ونزَع عن التَّمادِى والإصْرار ، أن تكون تَوْبتُه مقبولة ، وإنابتُه صحيحة غيرُ مَعْلولة .

وشتّان بيْن المُتورِّط النادِم لوَرْطته ، وبين النّازِع الرّاجِع عن غَلْطته .

وقد اسْتطار إلى المعالِى مُدْرِكاً ... مَن أنْهضَتْه نحْوَه العَلْياءُ

طلَبَ النَّباهةَ فى ذَراهُ فما لَهُ ... إلّا لدَيْه تَمُّلٌ ورَجاءُ

فكَسانِى حُلّةَ فَخارٍ وتجمُّل ، وحمّلنى من آلائه مالم يبْقَ لى معه تحمُّل .

واحْتاز فؤادى أجمَعَه ، بأن لم يجعلْ لأحدٍ علىَّ يدًا معَه .

فأنا عارفٌ بأنَّ صَرْفَ الفِكْرِ لغيرِه عَبَثٌ ولَهْو ، فإذا سجَد يَراعِى لمدْحِ سِواه فَسجْدتُه سَجْدةُ سَهْو .

* * *

وقد أخذتُ عنه مِن فَضْلِ يَراعِه المُوشِّى للأوْراق ، ومَحاسِنِ بَدائعه التى تحقِّق

---

(١) فى ا : « كأولى » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٢) فى ا : « مشيرا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « من » ، والمثبت فى : ب ، ج .

خجلًا منها الشموسُ عند الإشراق ، مايضيقُ عن إحاطة وصفه نطاقُ الأرقام ، وتنضب عنده ليقةُ[1] المحابر وتحفى أقدامُ الأقلام .

فمن ذلك كتابٌ كتبه إلى رئيس المنجّمين ، نادرةِ الفلكِ الدوّار ، وقطبِ فلك التحقيق الذى عليه المدار ، المولى أحمد بن لطفى ، حرس الله مهجته ، وأدام رونقه ، وبهجته :

الحمدُ لله أسمى الأسماء ، العالمِ بمواقع النجوم والأنواء ، الرحمنُ المتفضّل بجلائل الآلاء ، الرحيم بدقائق الإمدادات من الدرجات العلى .

والصلاةُ والسلامُ والتحيّةُ والثنا ، على مركز دوائر الاهتدا ، المنزّل عليه : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾[2] صلى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه ماطلع نجمٌ وما ركبٌ سرى .

والدعاء للدولة العثمانيّة ، والسيرة العمريّة ، مُواظبٌ من السلالة الصدّيقيّة ، والحضرة الزينيّة ، على ترادفِ الآنا .

وبعد :

فقد اعتبرتُ كيوانَ فى مراقى الاعتلا[3] ، وتوسّمتُ برجيسَ[4] فى إشراق السناء وعلوّ السنا ، وبهرامَ فى سلطنةِ قهره المنيع الذرى ، والنيّرَ الشمسىّ عند خط الاستواء ، وعروسَ الدوران الزهرةَ الزهرا ، والقمرَ المنزّلَ لتقدير الاهتدا ، فرأيتُ جميعها ممتثلا أمرَ ربه الأعلى ، مسخرةً لخدمةِ هذا الرئيس فرادى وثنا ، مذعنةً له يُصرّف سعودَها ويُصرّف نحوسَها كيف يشا .

فتثليثُ سعدِها ينظرُ إليه من تربيع ، وتسديسُ طالعِها يطالعه من تسديس .

فمن تحوّل الدوائرُ الكثيفة ، ولم تحجب ذوى الظلال الوريفة ، بينه والعلى كيف شاء وارتضى ، فهو أولى بأن يُنشد ويُقصد :

---

(١) ليقة الدواة : صوفتها ، أو إذا بلت . (٢) سورة النجم ،الآية الأولى . (٣) كيوان : زحل .

(٤) برجيس : المشترى .

وقد عرفتك فما بالها تراها تراك ولا تنزل

ولو بتما عند قدريكما لبتا وأعلاكما الأسفل[1]

وإذا فتح الله على هذا العالم الأصغر بإلهام الفراسة ، وفتق له رتق الخاطر من الكياسة ، لم ينطق عن الهوى ، وكأنما هو وحي يوحى .

ولما قدر الله تعالى بالقران السعيد ، واستقام سير هذا الرئيس على سمت سيرنا ونظرنا إلى طابع هذا الرئيس من تسديس ، ولحظ مقامنا الرفيع من تربيع ، نظرنا له خصائص سلك فيها طرقا ، وإن لم يأت بها غيره تخلقا أتى بها هو خلقا .

ونظرنا علمه الذى يطالع الغيب من وراء ستر رقيق ، ويطلع على الضمائر من مكان لا سحيق .

فيرى بفضل حسه وقياسه ، ما لا يراه حاذق بإحساسه .

فقلنا : سبوح قدوس من شمس تخجل شمس السنا ، وتضاءل لها تضاؤل الإما ، وتعلم أن ليس لها إلا المشاركة فى الأسما .

وقد رأينا به العالم فى واحد ، وعلمنا أن الدهر للناس ناقد .

وأنه قد سعى أحمد سعى ، وخدمه الجد ثم عاد إلى المحل الأعظم ، والسدة العليا والمقام الأعصم .

فوصل وصول حبيب غائب ، ووقع وقوع غيث صائب .

فاستقبلته دولة كان فارقها ولم تفارقه ، ولم نقل إنه وافقها ولم توافقه .

وقد علم أن المحبة التفاتات إلى متوجهه ، وتشوقا إلى ورود أنباء تنبى عن مسكتنه .

فمنها ما يفيد تجديد العهود السالفة ، وما يفيد المودات المستقبلة الآنفة .

وقد علم الدانى والقاصى ، والطائع والعاصى ، فضل جدنا الأعلى ، ومجدنا الأسمى ، وتمسك الماضين من سلاطين بنى عثمان بولائنا واعتقادنا .

---

(١) كذا فى الأصول : « لبتا » .

فشاع ذلك وذَاع ، وملأ الرُّبوع والرِّباع ، وعلِمته الملوكُ والرَّعاع .

وخصوصاً هو ، فإنه ملأ باعْتقادنا صَدْرَه ، وعِلم خُبْرَ مَدَدِنا وخَبَرَه .

ثم إن سُلطانَنا الآن قَانَ الدَّوَران ، وشَهنْشاه الزَّمان .

مَن حاز فَضِيلتَيِ العلمِ والعمل ، وبلغ مِن مَزايا الدنيا والآخرة أقصَى ما يمتدُّ إليه الأمَل .

ومما صَحَّ عنه بتَواتُر النَّقل ، وشواهِد العقل ، مَحبَّةُ العلماء والفُضَلا ، وإيثارُ النُّبَهاء والنُّبَلا .

وله فؤادٌ أنتم جَنانُه ، ولِسانٌ أنتم تَرْجُمانُه ، ورَأْيٌ وأنتم قَهْرَمانُه ، ومجلسٌ خاصٌّ وأنتم حاضِرتُه[1] وقُطَّانُه .

والمَلِك يشتغل أحيانا فى أن يَنُصّ ، فيُعْذَر أن لا يَعُمّ أو يَخُصّ .

والرئيسُ قد تمكَّن من المكانة حتى صار شمسَ مَطالِعه ، ومنْتَهى مَطامِعه .

ولنا والحالةُ هذه بِهِ وُصْلةٌ تأَكَّدت أسبابُها ، وتوثَّقتْ أطْنابُها .

تبعثُه على نَجازِ مُتعلِّقاتِ أغراضنا من ذلك المَقام الأشَمّ من مُذكَّرات ، تُفضِى إلى مُكاتبات ، ومَودَّات تُسْفِرُ عن إمْدادات .

ولم نُنَبِّهكم أننا نَبَّهْنا غافِلا ، ولا استَطْلَعْنا آفِلا .

لكنَّها الذِّكْرى تنفع المؤمنين ، لا كمَن لَبِثَ بِضْعَ سِنِين .

وهذه طَلِبةٌ لم نؤَهِّلْ سِواكم لأمْثالِها ، ولا أطْلَعْناه على مِثالِها .

بل ثِقَتُنا بكم حَمَلتْنا على أن نُطْلِعكم على تلك السَّرِيرة ، فالأسْرارُ عند الأخيار ذخيرة .

ولما بلغتْنا مَبالغُكم العليَّة ، قُلْنا نُهنِّيكم بالدرجاتِ السَّنِيَّة :

أُعطِيَتِ القوسُ مَن بَرَاهَا ... وبُوِّئَ الدارَ مَن بَناهَا
أَلقتْ عَصاها ثم استقرَّتْ ... مِن بَعْدِ ما أبعدَتْ نَواهَا

---

(١) فى ا : « حاضره » ، والمثبت فى : ب ، ح .

مَنَصَّةٌ ما رقَى عليهـــا   مَن نال أمثالَهـــا شِفاهَا

فمـــا لهـــ كافٍ سِواهُ   ومالَه كافٍ سِواهَا

يا مَن دَعَتْه العـــلَى فلبَّى   وما توانَى وما تلاهَا

هُنِّيتَ بالقَـــدْرِ والمَزايَا   وما سِواهَا وما وَراهَا

***

ومن شِعره هذه المقصورة :

أساء فأحْسَن فيما أسَا   لأنِّى أرى حالتيْه سَوَا

وواصَلَنِي هَجْرُه والسُّهادُ   وهاجَرنى وَصْلُه والكَرَى

وأنَّى تُسِيء حِسانُ الوُجوهِ   حِسانُ القُدُودِ حِسانُ الرُّوَا

ومَن يكُ مِثْلِي قصيرَ اللِّسانِ   فلِمْ لا يكون طويلَ الأَسَى

وهيهات أذكُر إلَّا الجميلَ   وكيف أقولُ استحال الضِّيَا

وهل يُحْسِن الفعلَ إلَّا المَليحُ   وهَلْ يُذهِب الداء إلَّا الدَّوَا

كَلِفْتُ به عَرَبِيَّ اللِّسا   نِ والوَجْهِ والأدبِ المُنتقَى

ولكنَّه جَرْكَسِيُّ النِّجارِ   له ألفُ خالٍ بأرضِ الكفَا

إذا قال نَظَّمَ عِقْدَ البَيانِ   وإنْ جال فتَّتَ صُمَّ الصَّفَا

وإنْ صالَ سُلَّتْ مُتونُ الظُّبَا   وإن خال كَلَّتْ جُفونُ الظِّبَا

وإن مالَ قلتُ خُوطِ النَّقَا   إليكَ فلَسْتَ بخُوطِ النَّقَا

ألسْتَ تَرَى صَعَداتِ الرُّبَى   تَخِرُّ له سُجَّدًا وهْى لَا

تُحرِّكُ أنت بِهبِّ الهَوَا   وذاكَ يُحرِّكُ مِنِّى الهَوَى

ويهتزُّ عن ثَمَراتِ الجَنَا   وتهتزُّ عن ثَمَراتِ المُنَى [(١)]

---

(١) سقط عجز هذا البيت من : ا ، ب ، وجاء فيهما على أنه عجز البيت التالى ، ورتبت الأبيات على ذلك النحو ، فجاء قوله « فرائد من ثمه أوتنا » الآتى على أنه شطر مستقل ، وذلك خطأ واضطراب ، صوابه واعتداله ما جاء فى : ج ، وهو ما أثبته .

وأنتَ تَميدُ بريحِ الصَّبَا ... وذاكَ يَميلُ برَوحِ الصبَا
وذلكَ يُورِقُ سُودَ الشُّعُورِ ... وأوراقُ مِثْلِكَ جَزْلُ الغَضَا
وهيْهات هيْهات منكَ الجَفَا ... وهيهات هيهات منه الوَفَا[1]
ويَبْعُدُ أنْ يَجْتَلِيكَ العِيانُ ... تَوَلَّدُ منــــه صُنوفُ الصَّفَا
ويا مَن رأى طَيْفَهُ فى المَنامِ ... وإن كان زُورًا كمَنْ لا يَرَى
ويا سَعْدَ مَن باتَ فى صَدْرِهِ ... إلى الصُّبْحِ من أولَيَاتِ العِشَا
يُغازِلُ منــــه عيونَ المَهَا ... مُتَرْجمــــةً بحديثِ الهَوَى
ويجْنِي بِفيهِ تفاحَ الخُدودِ ... وإن رامَ غيرَ جنَاها جَنَى[2]
يُقبِّلُه ما اتَّقَى قُبــــلةٍ ... دُونَ اللِّثَـــامِ وفوقَ اللَّثَى
ويَرْشُفُ من ثَغْرِه قَرْقَفًا ... يُسمُّون ضَرَّتَها بالسُّلَا[3]
ويَنظِمُ فى الجِيــــدِ تِقصارةً ... قَرائدَ من لَثْمِهِ أو ثُنــــا[4]
يُعانِقُ منــــه قَضيبَ القَوامِ ... ويَرشُفُ منــــه زُلالَ اللَّمَى
يُبلُّ بماءِ الشَّتِيتِ الشَّنِيبِ ... ظَمَاءَ كَبِدٍ أبداً فى ظَمَا
فطَوْرًا يَمُصُّ كمَصِّ الكُؤوسِ ... وطَوْرًا يَرشُفُ كرَشْفِ الطِّلاَ
يُباشِرُه مِن وراءِ القَمِيصِ ... مُباشَرةً مِثْلَ طَيْفِ الخِبَا
إذا ما وَلَى جِسْمُه جِسْمَهُ ... فقد قابلَتْ بَرْدَ طُوبَى لَظَى[5]
ويُهْصِرُه مِعْطَفًا مِعْطَفًا ... لِذاتِ اليَمِينِ وذاتِ الشَّمَا[6]
ويُفْرِشُه زَنْدَ يُمْنَى يَدَيْهِ ... ويجْعَلُ يُسْراه مِثْلَ الغِطَا
فمَا لِفَمٍ مثلَ زَقِّ الحَمامِ ... وهيْهات يُشْبِه زَقَّ الحَمَا[7]

---

(١) فى الأصول جاء فى عجز البيت : « منك الوفا » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) خفف تشديد الفاء فى : « تفاح » للوزن . (٣) لعله يعنى «بالسلا» مختصر « السلافة » .
(٤) التقصارة : قلادة . (٥) فى ب « إذا ماونى » . والمثبت فى : ا ، ج . (٦) يعنى : « وذات الشمال » . (٧) يعنى : « زق الحمام » .

وصَدْرًا لِصَدْرٍ ومن ها هُنا ... يَلَذُّ العِناقُ إلى هٰهُنَا

فثَمَّ احتدامُ وَطِيسِ الغَرامِ ... وثَمَّ مُثارُ لَهِيبِ الحَشَا

وثَمَّ اغتنامُ لذيذِ الوِصالِ ... وثَمَّ تَشاكِي أليمِ الجَفَا

وبالصُّعَداءِ ووَضْعِ اليَدَيْنِ ... على الكَبِدَيْنِ تَرَى الاشتِكَا

وبِالعَضُدَيْنِ يَطِيبُ العِناقُ ... وبالشَّفَتَيْنِ يُبَثُّ الجَوَى

وبالقَمَرَيْنِ فَرَعْنا الظَّلامَ ... وبالعُمَرَيْنِ عَرَفْنَا الهُدَى

وبالحَسَنَيْنِ وتلك البَتُولِ ... وحَيْدرةٍ ثُمَّ أهْلِ العَبَا

أولئك ما مَفْخَرٌ فى الدُّنَا ... ولم يَبْلُغُوهُ ولا مُعْتَلَى

أولئكمُ قد رَقَوْا مُرْتَقًى ... تعالَى فما بَعْدَه مُرْتَقَى

أولئك آباؤنا الأقدَمُونَ ... وأخوالُنا وأُولاكَ الأُلَى

نُجُومُ الجِبالِ وزُهْرُ النُّجُومِ ... مُتُونُ الظُّبا ورَوَاسِي الرُّبَى

بَنُوهم بَنُو بِنْتِ أبنائِهِم ... ونحن كذا أو بَنُونَا كذَا

وهل تَلِدُ النُّجُبُ إلَّا النَّجِيبَ ... وهل تُنْتِجُ اللَّيْثَ إلَّا اللَّبَا

أولئكمُ آلُ بَيْتِ النَّبِيِّ ... نَبِيِّ الهُدَى وإمامِ التُّقَى

أولئكمُ نَسْلُ خَيْرِ الأنامِ ... رئيسِ النَّبِيِّينَ والمُصْطَفَى

منها :

وكيف تقول انتهى فى الرُّقِيِّ ... ولا حَدَّ ثَمَّ ولا مُنْتَهَى

ولكنه بلغ المُسْتَوَى ... ولم أدرِ ما بلَغَ المُسْتَوَى

وكَلَّمَه وكَلامُ الإلٰهِ ... كصَلْصَلَةٍ للماءِ فوقَ الصَّفَا

وأوْحَى إليه وأوْحَى إليه ... يُفِيدُ السِّرارَ وما مِن مَدَى

وثَمَّ أمورٌ تُشِيبُ الوَلِيدَ ... وتَرْجِعُ بالأشْيَبِ القَهْقَرَى

ولا تَقْفُ ما ثَمَّ لا تَمْشِ فى ... ولا تَعْدُوَنْ عن وصايَا عَلَى

ومَهما أمرْنا امتثِلْ أمْرَنا ... وغُضّ جُفونَك عن أمْرِنا

فتلك شَناشِنُ أهلِ النُّهَى ... فقُم بشَناشِنِ أهلِ النُّهَى (١)

ولا تَعْدُ شُكْرَكَ إن كنتَ لا ... تقومُ بحَمْدِك حَدَّ الكَفَا (٢)

وعن بابِنا وإلى بابِنا ... وفي بابِنا وإلى بابِنا

فنحن العِيانُ ونحن الكِيانُ ... ونحن الأنامُ ونحن الورَى

عَلَا جَدُّنا من عُلَا جَدِّنا ... فيـا سَعْدَنا ثم يا سَعْدَنا

***

ومن غزَليّاته قولُه :

أبدًا إليك يَحِنُّ قلـبى ... فعلى مَ تُؤذِينى بعَتْبِ

يا قاسِيَ القلبِ الذى ... فيـه أذَبْتُ صَمِيمَ لُبِّى

أم أىُّ أمرٍ فيك أوْ ... جَبَ طُولَ إعراضِى وسَلْبى

لا سامَح اللهُ الهـوَى ... فلَكمْ يُصَوِّبنى ويُصْبِى

يدعُو القلوبَ إلى هَوا ... هُ فأىُّ قلبٍ لا يُلَبِّى

يا أيهـا التَّيَّاهُ فى ... زَهْوِ الهـوى رِفقًا بِصَبِّ

يُذرِى الدُّموعَ ولا دُمُو ... عَ تسيلُ غيرَ مُذابِ قلبى

يا جسمَ نَاسُوتِى ويا ... رُوحِى ويا دائِى وطِبِّى

أغْرَاكَ وَاشِيك الرَّقِيـ ... ـبُ بطُولِ إعراضِى وحَرْبِى

لا كانَ مَن أغراكَ يا ... مَوْلاى فى قتـلِ المُحِبِّ

فارْفُقْ بقلبٍ فيك يَتْـ ... ـلِبُـه الهوَى جَنْبًا لِجَنْبِ

وابْقِ على رَمَقِى فمـا ... يَدْرِى بحـالى غير رَبِّى

---

(١) سقط عجز هذا البيت من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
والشناشن : جمع الشنشنة ، وهى الطبيعة .

(٢) فى ب : « تقوم بحمدك » ، وفى ج : « تقوم بأمرك » ، والمثبت فى : ا .

أنا والهوى فرسا رهانٍ فيك والأشواقُ تُنبى
تالله ما قال العِدَى يا مُنيتِى بُهتانَ كِذْبِ
لم يجرِ منّى غيرُ دَمْعٍ فاض مِن عَيْنِى بِسَكْبِ
يا أُمّةً للحُسْنِ فيها وَجْهُك الوضَّاحُ نبى
إن دام هذا الهجرُ والإعراضُ عنه والتّأبِّى
فى ذِمّةِ اللهِ التَّقاضِى منك يومَ العرضِ حَسْبِى

***

وقوله :

أما وانعطافِ الغُصْنِ مِن هَيَفِ القَدِّ ... وماء الحَيَا والروضِ من جنّةِ الخُلْدِ (١)
وأقداحِ أحداقٍ تُدارُ بخَمْرةٍ ... مُنزّهةٍ وَصْفًا عن الرَّسْمِ والحَدِّ
أما والهوى العُذْرِىِّ والصِّدقِ والوَفَا ... وما كان قبلَ الجَدِّ آدمَ مِن عَهْدِ
أَلِيّةَ بَرٍّ أقسمَ الصِّدقَ إنّه ... مُقيمٌ على تلك الصَّبابةِ والوَجْدِ
بأنّ غرامى والعَفافَ تخلّقا ... بلفتِهما قبلَ السُّكونِ إلى المَهْدِ
وأنّى أيا ذاتَ الجَمالِ تعبُّدِى ... بدِينِ الهوى التّحقيقِ مُعتَقَدٌ عندِى
ومِن حضرةِ الإطلاقِ كنتُ فتًى على ... يَقِينٍ بأنّى مُطلَقُ الحبِّ فى القَصْدِ
فَنائى به عَيْنُ البَقاءِ وغَيْبتِى ... حُضورِى وغَيِّى فى عَوالِمِه رُشْدِى
وذُلّى به عِزٌّ وأوْجُ سيادتى ... إذا ما دَعانى مَن هَوِيتُ بيا عَبْدِى
فلا تعترِضْ مَن هامَ فى الحبِّ وافترِضْ ... عليك له التَّسليمَ تَسْلَمْ مِن الطَّرْدِ
وإنّى زَيْنُ العابدين ووالدى ... محمّدُ نجلُ الزَّيْنِ والصادقُ الوَعْدِ
بصِدِّيقِ خيرِ المُرْسَلين وسِبْطِه ... بلَغْنا من الأنسابِ واسطةَ العِقْدِ
بِبابِ عَرِيضِ الجاهِ أعظمِ شافعٍ ... وأكرمِ مَن أعطَى وجادَ بما يُجْدِى

---

(١) فى ب : « من أهيف القد » ، والمثبت فى : ا ح .

مَرَدُّ جميعِ الكائناتِ بأسْرِها ... ومَغْنَى كمالِ الفضلِ من ذِرْوَةِ المجدِ[1]

مَدَى الدهرِ ما شمسُ المعارفِ أشرقتْ ... مع الآلِ والصَّحْبِ الأئمَّةِ للرُّشْدِ

وما أقْسَمَ الصَّبُّ المَشُوقُ بقولِهِ ... أما وانْعِطافِ الغُصْنِ من هَيَفِ القَدِّ[2]

***

وقوله :

شَرَّدَتَ من مُقْلتِي رُقادِي ... كحَّلْتَنى مِرْوَدَ السُّهادِ

باتَتْ عِداكَ اللِّئامُ مِثْلِي ... ليس بيانٌ على مُرادِي

بِتُّ كما تشْتهِي الأعادِي ... وُقِيتَ ما تشْتهِى الأعادِي

بِتُّ ويُسْرايَ تحت خَدِّى ... وأخْتُها مِن على فؤادِي

كأنهم مَهَّدُوا فِراشِي ... على كَوادِي شَوْكِ القَتادِ[3]

كأنَّنى عند وَضْعِ جَنْبِي ... بِتُّ على نِيَّةِ الجهادِ

أبْكِي بما يُخْلِفُ الغَوادِي ... إن قَشَّعَتْ سُحْبَها الغَوادِي

***

وقوله من خمرية :

ورَوْضٍ حَلَلْنا سُوحَه ساعةَ الفَجْرِ ... ورِيحُ الصَّبا فى صَوْبِ صَيِّبه تَسْرِي

وأضْحَتْ عيونُ المُزْنِ تبكى فأضْحكتْ ... زُهورَ الرُّبَى منه فأهْدتْ شَذَا العِطْرِ

وصار شَقِيقُ الأُقْحُوانِ بمِجْمَرٍ ... فأوْقَدَ نَدًّا فَوْحُه طَيِّبُ النَّشْرِ

وأصبح صَوْتُ العَنْدَلِيبِ مُخَبِّراً ... هَلُمُّوا إلى دَاعِ الصَّبُوحِ بلا عُذْرِ

ودُوروا مع النُّدْمانِ فى حَانِ دُورِهِم ... إذا جُلِيَتْ بِنْتُ المُدامِ من الخِدْرِ

---

(١) فى ا : « من قدوة المجد » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « من أهيف القد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتقدم فى أول القصيدة . (٣) كوادى : جمع كودة ، وهى ما جمع من شوك القتاد .

وفُضُّوا خِتامَ الدَّنِّ عنها لكى يُرَى ... على ساقِها مِن كأسِها عَنْدَمٌ يجْرِى (١)

قديمةُ عَصْرٍ وهى عَذراء إذْ بَدَتْ ... تُخَبِّرُ عمّا كان فى سالِفِ الدَّهْرِ

لقد أعْجزتْ عن وَصْفِها كلَّ ناطقٍ ... لِسِرٍّ بها قد قام بِسْرِى من السِّرِّ

فنُورٌ ولا نارٌ وكأسٌ ولا طِــلاً ... شُئونٌ بها هامَ الكَلِيمُ مع الخِضْرِ

فمِن طِبِّها عيسى بنُ مريمَ قد شَفَى ... لِمَن شَفَّه داء السَّقامِ بلا نُكْرِ (٢)

وأهْدَى لنا هادِى الهُدَى من سَنائِها ... فهامَ بها السّاداتُ نَسْلُ أبى بكرِ

فصارُوا جميعاً مِن ألَستُ بربِّكم ... نَشاوَى سُكارَى هائمين إلى الحَشْرِ (٣)

فخُــذْ وَصْفَها منِّى وعنِّى فإننى ... خبيرٌ بأوْصافِ المُعتَّقةِ البِكْرِ (٤)

فمِرِّيخُها فى زُهْرةِ الكأسِ إذْ بَدَتْ ... يُرِيكَ ضياءَ الشمسِ كالكوكبِ الدُّرِّى

ودَوْرُ هلالِ البدرِ يُشْبِهُ جامَها ... وفيها حَبابُ الدُّرِّ كالأنْجُمِ الزُّهْرِ

فهاكَ بها صِرْفاً وإن شئتَ مَزْجَها ... فمِن رِيقِ ساقٍ فهْو للسُّقْمِ قد يُبْرِى

فدُونَكَها واقْبَلْ مَقالةَ صادقٍ ... ومَن جدُّه الصِّدّيقُ فى الغارِ للطُّهْرِ

تَسَمَّى بِزَيْنِ العابدين وسِبْطُ مَنْ ... هو الشافِعُ المَقْبولُ للناسِ فى الحَشْرِ

عليه صــلاةُ اللهِ ثم سلامُه ... كذا الآلُ والأصحابُ مَن هم أُولُوا الفَخْرِ

***

وله :

نحن قــومٌ تُبيدُنا الأعْيُنُ السُّـ ... ـودُ على أنّنا نُبيــدُ الأسُودَا

---

(١) العندم صبغ أحمر يتخذمن خشب نبات ، ويقال له : دم الأخوين ، أو البقم .

(٢) شفه الداء : نحل جسمه . (٣) يشير إلى الإشهاد الذى جاء فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الآية ١٧٢ من سورة الأعراف . (٤) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ح .

تتقّى بأسَنا الصّنــــاديدُ الصَّ يدُ وتخشَى من الحِسانِ الصُّدُودَا

ولنا رُتبـــــةُ السيادةِ لـكنْ صَيَّرتْنا لهــــا انقياداً عَبيدَا

إن نثرْنا تساقطَ اللُّؤلُؤُ الرَّطْ بُ فنظَمْنَه لهنَّ عقـــــودَا

أو نظَمْنا أوصـــافهُنَّ أنا شِيدَ أعدْنَا بهـــا لَبيداً بَليدَا

ما عرَفنـــا التّقليدَ مُنذُ رأيْنا هنَّ يمنحْنَ دُرَّنا التّقليدَا

خُطَبـــاء مَصاقِعٌ فإذا قدْ نَ أمَلْنا لهنَّ أذْناً وجِيــــدَا

ثم نَعْيَى فــــلا نُعيدُ ولا نُبْ دِي وَقاراً لهنَّ قَوْلاً مُفيــدَا

تَتحانَى لنا الظُّهورُ فإن نُحْ نَ غدَا ذلك الرُّكوعُ سُجودَا

شَحَذتْ مُرهفاتِنـــا الأعيُنُ النُّجْ لُ فصيّرْنَهنَّ بِيضاً وسُودَا[1]

وتمايلْنَ والرِّمـــاحُ بأيْدِي نا فقَصَّدْنَهنَّ عُوداً عُودَا[2]

وتلايَنَّ فى الحـــريرِ فأدْمَيْ نَ قلوباً لنــــا تُلينُ الحديدَا

وتهادَيْنَ بالدَّلالِ فــكم شِئْ تُ بإدْلالِهنَّ صيـــداً صِيــدَا

وتمايلْنَ مثلَ ما انعطَفَ المُرّا نُ لكنّهنَّ أحْـــلى قُدودَا[3]

وتبرَّجْنَ فاجتليتُ حُلا هُنَّ ومَيّزتُهنَّ رُوداً رُودَا[4]

ثم أهوَيْتُ نحوَ واسِطةِ العِقْ دِ فقالتْ أرى قِراناً سَعيدَا[5]

فترشَّفتُ ثغرَها القَرْقَفَ الخُلْ وَ وعانقْتُ قَدَّهـــا الأُملُودَا[6]

وبلغتُ الذى على مِشـــلِهِ أعْ ذِرُ مِن حُسَّدِى اللسانَ الحَسُودَا

---

(١) فى ا: «أشحذت مرهفاتنا» ، والمثبت فى : ب، ح . (٢) فى ا، ج : «وتمالين»، والمثبت فى: ب. وقصده ، بالتشديد : كسره .

(٣) المران : الرماح اللدنة الصلبة . (٤) فى ا : « فاجتلاين حلاهن » ، والمثبت فى : ب ، ج . والرود : الفتاة الناعمة .

(٥) فى الأصول : « ثم أهديت » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٦) القرقف : الخمر . والأملود : الناعم .

وأنا ابنُ الصِّدِّيقِ جَـــدِّى ثانىَ اثْـ ... نَيْنِ فى الغارِ فالُجدودَ الُجدُودَا

فالرِّضَا عنهمُ ومنهمْ وفيهمْ ... وعليهمْ لهمْ بهمْ تأكِيدَا

***

وله :

قُمْ فإنَّ الصَّباحَ للتَّنفيسِ ... ودَوَاعِيه قد سَرَتْ فى النفوسِ

ونسيمُ الصَّبا رسولٌ إلى الرَّوْ ... ضِ بِطَـــلٍّ كَلُؤْلُؤٍ مَغرُوسِ

والشَّحارِيرُ كالمَزاميرِ تشـــدُو ... كقُسُوسٍ تَدُقُّ بالنَّـــاقوسِ

فاجْتَـــلِ الرَّاحَ للنَّدامَى سُحَيْراً ... لترَى البدرَ طالعاً بشُموسِ[1]

وأدِرْهـــا بدُورَ حَانِ التَّصابى ... من مُدامٍ عَتِيقةٍ خَنْدَرِيسِ

عانِسٌ وهْى فى الحقيقةِ عَـــذْرا ... ءُ عجوزٌ حديثُها فى رَسِيسِ[2]

تتلظَّى غَيْظاً فتَنتَـــجُ بِشْراً ... حين أضْحَتْ تلُوحُ ضِمْنَ كُؤُوسِ

هى داءُ الهمـــومِ فاعْجَبْ لداءٍ ... جالبِ الرِّىِّ مُذْهِبٍ لِلْبُوسِ[3]

حدَّثتْنا من قبلِ أنْ يُخْلَقَ الكَرْ ... مُ حديثَ التَّنْويعِ والتَّجْنيسِ

نارُ أُنْسِ الكَليمِ فاخْلَعْ نِعالاً ... فى حِماها مَعْ كلِّ مولًى رئيسِ

فاز قـــومٌ بنُورِها وهُداها ... وعن النُّورِ ضَلَّ رأىُ المَجُوسِ

كَسَناها يَهْدِى شَذَاها إلى الحَا ... نِ مُشيراً لا عِطْرَ بعدَ عَرُوسِ[4]

عاطِنيها ياقُوتةً بعـــدَ وَقْدٍ ... كضياءِ المرِّيخِ فى الخِنْدِيسِ[5]

وهْى مِرْآةُ وَجْنتَيْك لهـــذا ... شَفَقُ الخدِّ ظاهرٌ فى الكُؤُوسِ

(١) فى الأصول : « طالع بشموس » . (٢) الرسيس : ابتداء الحب . (٣) فى الأصول « منهبا للوس » . (٤) ضمن المثل القائل : « لا عطر بعد عروس » ، يضرب فى الشىء لايفيد بعد فوات أوانه . (٥) فى ا : « كضياء الديح فى الخندريس » ، والمثبت فى : ب ، ح .
والخنديس : الليل الشديد الظلمة .

هاتِهـا بين فِتيةٍ كبُدورٍ ... كهلالِ البَنـانِ كى يجلِّ بُؤسِى
خمرةٌ شأنُها تحـلُّ بمَغنا ... ها خَبايا كنوزِ ما فى النفوسِ
بالفتْ فى صفاتِهـا القومُ ماضا ... ق اتِّساقاً به تَجـالُ الدُّروسِ
بمَعانٍ تُشيـر كالحَدَقِ النُّجْ ... لِ بَياناً بسِحرِ رَمْزِ الطُّروسِ
فاقتفَيْنا آثارَهم مَعْ قُصـورٍ ... وانتظمْنا فى سِلْكِ كلِّ رئيسِ
فهْى بِكْرُ البَكْرِىِّ زَيْنُ عِبا ... دِ سِبطُ مُختارِ صفوةِ القُدُّوسِ
فعليه الصلاةُ ماسـار رَكْبٌ ... لِحِماهُ من فوقِ بُزَّلِ عِيسِ (١)
وعلى آلِه الكرامِ وصَحْبٍ ... قد تعـالَوا به رئيسَ الرُّءوسِ

***

وله :

بينما أذْكُر القَـا ... سِى وما منـه أقاسِى
عَنَّ لى أن أشربَ الرَّا ... حَ وأن أجْلُوَ كاسِى (٢)
فتَماشيتُ إلى الدَّيْـ ... ـرِ بريْحانٍ وآسِ
وبشَمَّاسٍ يُديرُ الْـ ... ـكاسَ من غيرِ شِماسِ (٣)
ونَديمٍ يذكُر النَّا ... سُ به العهدَ النُّواسى
ومُغَنٍّ يُذهِل الخَا ... سِى عن الخَمْسِ الحَواسِ
قَرَنَ الخَمْسَ إلى تِسْـ ... ـعِ سُداسٍ وخُماسِ
صُورةٌ جَمَّلَها اللَّـ ... ـهُ على كلِّ الأناسِى
صُورةٌ جاءتْ من الحُسْـ ... ـنِ على غيرِ قِياسِ
وإذا اختال النِّطاسِىُّ ... م لها كلَّ النِّطاسِى (٤)

---

(١) البازل من الإبل : ما كان فى تاسع سنيه . (٢) سقط هذا البيت والذى يليه من : ب ، هو فى : ا ، ح . (٣) الشماس من رءوس النصارى : الذى يحلق وسط رأسه لازما للبيعة . الشماس : النفور . (٤) النطاسى : البارع من الأطباء .

أحْمَرُ الخدِّ كَحِيلُ الطَّـ ـرْفِ وَرْدِىُّ اللِّباسِ
فاتِرُ الطَّرْفِ وقد ينْـ ـعَسُ من غـــيرِ نُعاسِ
غُصْنُ بَانٍ خَنِثُ الْـ أعْطافِ مَيَّاسٌ مُواسِ
يجـــبُرُ اللهُ به كَسْـ ـرَ الأَسَى من غيرِ بَأسِ(١)
يتلافَى البائسَ العـــا نِى به من غيرِ بَاسِ
يَمْلأُ الجاماتِ من إسْفَنْطِه مَلْءَ المِساسِ(٢)
فسَبَأْتُ الخمرَ مِن دَيَّـ ـارِهَا أبْليـنـــآسِ(٣)
وبذَلتُ العقلَ فى الرَّا حِ له رأسًا بِرَاسِ
فَبِىَ اسْتَوْثِقْ ولا تَنْـ ـقِ حِبالِى ومَرَاسِى(٤)
ثم لا تنْوِ مُنـــاوا تِى ولا تقصِدْ مِراسِى
فأنا القَرْعُ الذى وُطِّـ ـدَ جِذْمِى وأسَاسِى(٥)
وأنا الغُصْنُ الذى طَا بَ نباتِى وغِراسِى
وأنا الناسُ وما كُلُّـ ـم أُناسٍ بأُنـــاسِ
أنا لَيْنٌ حَســـنٌ هَيْـ ـنٌ بَعِيدُ الغَوْرِ حَاسِى
أنا لا قَاسٍ ولـٰـ ـكِنِّى إذا خُوشِنْتُ قاسِ
رفعـــونى فأنا رَأْ سِى كذاك الطَّودِ رَاسِ
وعلى الجودِىِّ فى السَّا لِفِ ما تُلْقَى المَراسِى

---

(١) من معانى البأس : العذاب والشدة فى الحرب ، وشدة الحاجة . (٢) الإسفنط : الخمر والمساس : جمع المس ، بالضم ، وهو القدح العظيم . (٣) فى ب : «من درها» ، والمثبت فى : ا ، ح وأبليناس : اسم الديار .

(٤) مراسى : جمع مرسى ، وهو مكان رسو السفن. (٥) فى ب : «وطد جسمى وأساسى» وفى ج : «وطد حزمى» ، والمثبت فى : ا .
والجذم : الأصل والمنبت .

وَلِجَدِّى يُذْعِنِ القَا ... سِى مِن شُمِّ الرَّوَاسِى
أَنَا زَيْنُ العَابِدِينَ بْـ ... ـنُ أَبِى بَكْرِ المُوَاسِى

***

ومن مُوشَّحاته البديعة ، قولُه مُعارِضاً ابنَ سَناء المُلك ، فى مُوَشَّح له(١) :

انْظُروا تَعْدِيلَ قاماتِ الغُصونِ ... هــذه بَانَهْ ... وهٰذِى خَيْزُرانَهْ
وَحِّدُوا الرحمنَ ذا العرشِ المجيدِ
وأمِيطُوا اللَّبْسَ من خَلْقٍ جَدِيدِ
وانْظُروا تَوْرِيدَ تُفَّاحِ الخُدودِ
واعْجَبُوا مِن حُسْنِ تَلْوِينِ العُيونِ ... تِلْكُمُ حَانَهْ ... وهاتيكم كِنانَهْ
بأبى مُرُّ الجفَا بالدُّرِّ حَالِى
قَدْرُه قد حَطَّ مِن قَدْرِ العَوالِى
مَطْلَبِى مِن ثَغْرِهِ كَنْزُ اللآلِى
رَصَّعَ المَرْجانَ بالدُّرِّ المَصُونِ ... كلَّ مَرْجانَهْ ... بأغْلاها جُمانَهْ
حَبَّذا مَن خَلْقُه الغُصْنُ الوَضِىُّ
حبَّذا مَن خُلْقُه الغَضُّ الرَّضِىُّ
حَبَّذا مَن جِسْمُه البَضُّ الطَّرِىُّ
حَبَّذا منـه وُعُودٌ مِن جُفونِ ... غيرِ خَوَّانَهْ ... مَوَدَّاتِ الأمانَهْ
أيُّها اللَّاحِى أما لِلعَذْلِ عُذْرُ
سَلِّمِ الأمرَ فإنَّ الأمرَ أمْرُ
ودَعِ الإنكارَ فالإنكارُ نُكْرُ
كيف تَلْحانِى على زَاهِى جَبِينِ ... قَدُّه زَانَهْ ... وفُوهُ أُقْحُوانَهْ

---

(١) لم يرد ذكر للموشحات فى ديوان ابن سناء الملك المطبوع .

كيف تَلحَى فيه زَيْنَ العابدينا
كيف تَلحَى فيه كَنزَ الطّالبينا
كيف تَلحَى فيه نجْلَ الصّادقينا
إنمــا عَذْلُكَ قلبى فى شُجُونِ مثْلُ صَفْوانَهْ   هَوَتْ من أُسْطُوانَهْ

أنا لى مَجْدٌ ولى جَدٌّ عَتيقُ
ابنُ صِدّيقٍ صَدُوقٌ وصَدِيقُ
ورَقيقٌ أنا والشِّعْرُ رَقيقُ
وجَوَارِى قُصَّــدِى قُبُّ البُطونِ كلُّ خَمْصانَهْ   بالْفَى بَهْرَمانَهْ(١)

وصلاةُ اللهِ والتّسليمُ تَتْرَى
لِلنّبيِّ المُجتبَى كَنزًا وذُخْرًا
والرِّضَا عن صَحْبِه دُنْيا وأُخْرَى
مَن له اللهُ بجِـــبريلَ الأمينِ زاد سُلطانَهْ   وقَوى عُنْفُوانَهْ

***

ومن مَقاطيعه قولُه :

لا تسألِ النــاسَ مُعادَاتِهِمْ   إن كنتَ لا تَرضَى مُعادَاتِهِمْ(٢)
وعِفَّ عن شُرْبِ شَرابَاتِهِمْ   مَن يسألِ الناسَ شَرابًا تُهِمْ(٣)

***

وله :

ولى حِلْمُ مَيّالٍ عن البَطْشِ قادرٍ   على العَفْوِ لم يَخطُر سِواه ببالِهِ
إذا سمَحتْ بالمــالِ يوماً يَمينُه   أسَرَّ عَطايَا جُودِهِ عن شِمالِهِ

***

(١) قب البطون : ضوامرها . ولم أجد «بهرمانه» فى كتب اللغة ، والذى فيها : البهرمان : العصفر ، وفى شفاء الغليل ٤٢ : بهرمان : لون أحمر ، معرب .   (٢) معاداتهم الأولى ، بمعنى عوائدهم ، والثانية من العداوة .   (٣) شراباتهم الأولى، جمع شراب جمع مؤنث سالم، والثانية مؤلفة من «شرابا» وهو ما يشرب ، و« تهم » من التهمة .

وقوله :

هى الألحـــاظُ فاحْذَرْها وإلّا دَهَتْكَ بَوابِلِ النَّبْلِ المَتُونِ
إذا قلتُ ارْحَمِيـــنِى قال قلبى وهل فى العِشْقِ يا أُمِّى ارْحمينِى

***

ومن أبياته المُفْرَدة :

النَّاسُ خوفَ الذُّلِّ فى ذِلَّةٍ وخَشْيةَ أن يَتْعبُوا فى تَعَبِ

***

وله :

النَّاسُ مثـــلُ النَّاسِ لـكنَّهم طِبـــاعُهم تُنْـكِرها النَّاسُ



٣٣٣

أحمد الوارِثِيّ الصِّدِّيقِيّ*

رأسُ حَمَلة الحديث والقُرْقان ، وشهابُ المِلّة الذى لا يُمْكِن أن يرى الفلكُ نَظِيرَه فى ألف قِران .

اشتهرت أحاديثُ فضائِله فأصبحت رَوْنَقَ السِّيَر والأسمار ، وظَهرتْ أعلامُ عِلْمِه فلا تخفَى إلاّ على أَكْمَهَ لا يعرفُ الشُّمُوس والأقمار .

فكان له فى الشُّهرة الفضلُ المُقدَّم ، وأقرَّ له مع التأخُّر السَّابِق الأقْدَم .

فرجع العلماء إليه رجوعَ الحديث إلى قَتَادة[1] ، وصدَّق الحُبْرُ الخَبَرَ فيما ألِفَه من الخير المَحْضِ واعْتادَه .

فلو تقدَّم عصرُه نزلتْ آيُ القرآنِ شَواهِدَ بفضلِه وآثاره ، أو لَحِق الصِّدِّيق الأكبر لقالَ : هذا وَارِثِي بصِدْقِه وإيثارِه .

***

وهو من الأدب فى مَرْتبةِ سِنامِه وكاهِلِه ، تحُوم الآراء حولَ مُرادِه فترْتَوِى من مَناهِلِه .

وله نظمٌ ونثر كما انتظمت الأنوار ، بعدما انتثرتْ عليها الأمطار ، أو كما انتظمت الأطْوار ، بعد ما انتثرتْ من تشتُّتِ المآرب والأوْطار .

(*) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الوارثى المصرى المالكى الصديقى .
إمام ، مفسر ، محدث ، كانت له اليد الطولى فى غالب العلوم .
وله تحريرات كثيرة ؛ منها « الأجوبة عن الأسئلة لابن عبدالسلام » فى التفسير .
توفى سنة خمس وأربعين وألف .
بيت الصديق ١٨٣ – ١٨٥ ، خلاصة الأثر ١/٢٣٤ – ٢٣٦ .

(١) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى ، المفسر المعروف ، المحدث ، العالم بالعربية .
توفى سنة ثمان عشرة ومائة .
وفيات الأعيان ٣/٢٤٨ ، ٢٤٩ .

فمن ذلك قوله[1] :

ماذا تقولين فيمَن شَفَّـــه سَقَمٌ مِن فَرْطِ حبِّك حتى صار حَيْرانَا
قد لَاذَ فى الحبِّ حتى صار مُكْتئباً والعشقُ أضْرَم فيه اليومَ نِيرانَا
هل يشتفى منك بالثغرِ الرَّحِيق إذاً أو تَتْركيه على الأَدْنانِ نَدْمانَا[2]

***

وقوله[3] :

وإنِّى لَصَبٌّ بالقوافِى ومَدْحِها ويبلُغ بى حَدَّ السرورِ بَليغُها[4]
وأطْيَبُ أوْقاتِى من الدهرِ ليلةٌ تُرِيع القوافِى خاطرِى وأُرِيعُهَا[5]
وكم بلغَتْ بى هِمَّتِى بُعْدَ غايةٍ يَعِزُّ على الشِّعْرَى العَبُورِ بُلوغُها
فمـــا مَرَّنِى إلَّا كلامٌ أُسِيغُه بِمَسْمَعِ واعٍ أو مَعانٍ أَصُوغُها

***

وكتب إلى بعضِ وُزَراء مصر[6] :

يا أيُّهـــا المَوْلَى الوزيرُ ومَن له مِنَنٌ خَلَلْنَ من الزَّمانِ وَثاقِى
مَن شاكِرٌ عنِّى يدَيْك فإنَّنِى مِن عُظْمِ ما أوْلَيْتَ ضاق نِطاقِى
مِنَنٌ تَخِفُّ على يدَيْك وإنمـــا ثَقُلتْ مَواهِبُها على الأَعْناقِ

***

وله فيمن اسمُه بدر[7] :

سَمَّوه بَدْرًا وذاكَ لَمَّا أن فاقَ فى حُسْنِه وتَمَّا
وأجْمَع الناسُ مذ رَأَوْهُ بأنَّه اسمٌ على مُسَمَّى

***

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٢٣٥ . (٢) فى ا : « بالريق الرحيق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .
وفى الأصول : « أو تتركيه » ، والمثبت فى الخلاصة .
(٣) خلاصة الأثر ١/٢٣٥ . (٤) فى الخلاصة : « فى القوافى ومدحها » . (٥) فى الخلاصة : « تريغ القوافى خاطرى وأريغها » . (٦) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٢٣٥ .
(٧) خلاصة الأثر ١/٢٣٥ ، ٢٣٦ .

وله[1] :

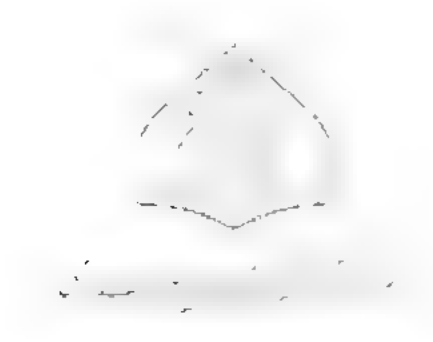
وكم لله من نِعَمٍ   يعمُّ الكونَ ماطِرُهَا
تُذكِّرُنا أوائِلُهـا   بما تُولِي أوَاخِرُهَا

***

وله[2] :

رُمْتُ حالَ الوَصْلِ أنِّي   لا أرَى للوصلِ آخِرْ
فَحُرِمْتُ الوصلَ رَأْسًا   زاد بي الوجدُ مُحـاذِرْ

*
**



(١) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٢٣٦ .   (٢) خلاصة الأثر ١/٢٣٦ .

ولده :

٣٣٤

محمـــــد

إيامِيُّ الزَّكَن ، عَرِيٌّ عن العِيِّ واللَّكَن .
رَحُبَ ذَرْعُه ، ودَلَّ على كرمِ أصْلِه فرْعُه .
فهو قَرِيعُ فَخامةٍ وجَلالة ، ووارثُ الفضلِ لا عن كَلالَة .
ويرجع مع[1] الأصْلِ الأصِيل ، إلى أدبٍ لِوَصْفِه فى فَنِّ الفضائل تَفْرِيع وتأْصِيل .

***

وقد وقفتُ على ديوانه ، الذى سماه « نزهة الأبصار ، وروض الأزهار » ، فجرَّدتُ من أحاسِنِ أبياتِه ، مااستحْسَنْتُه لِتَوْشِيَةِ الطُّروس بإثْباتِه .
فمن ذلك قولُه :

حبيبى فى التَّلطُّفِ بى يُحاكِى ... مُطاوَعة الأَراكةِ للنَّسِيمِ
نديمٌ قد تملَّكنى رَقِيقاً ... وإنِّى عبدُ رِقٍّ للنَّديمِ
يُماطِينى الحديثَ وخَمْرَ ثَغْرٍ ... فأسْكَر بالحديثِ وبالقديمِ
وإن رام السُّلُوَّ فإن قلبى ... صحيحُ الوُدِّ فى جَسَدٍ سقيمِ
أقمتُ بحُبِّه ومَضَى عَذُولِى ... فلا اجْتَمع المُسافِرُ بالمُقيمِ

***

وقوله فى الغزل :

أُفَدِّى غزالى الذى غَزا لِى ... بسَيْفِ لَحْظٍ ومارَثَى لِى[2]

(١) فى ا : « عن » ، والمثبت فى : ب ، ج. (٢) فى ا : « بسيف اللحظ » ، والمثبت فى : ب ، ج.

هزّته ريحُ الصَّبا سُحَيراً فمَاسَ كالغُصْنِ فى دَلالِ
وقام يجْلُو شمسَ الحُمَيَّا من ريقِ فيهِ شُهْدِى حَلا لِى
وجاء يهْتزُّ مثــلَ غُصْنٍ وقد سَقَــانى وقد مَلَا لِى
فصرتُ أشكُو النَّوَى إليه وما نَوَى لى من المَـلالِ
وقلتُ باللهِ يا حبيبــى انظُرْ لِحالِى قد صار حَالِى[1]
يا بدرَ تِمٍّ بأُفْقِ سَعْدٍ يا مُشْتَرِى القلبِ بالوِصالِ
حَمَّلْتنى فى هــواكَ ما لا أفْدِيك خِلِّى بكُلِّ مَالِى
ومُرْسَلُ الدمعِ سال فَيْضاً والقلبُ واللهِ ليس سالِى[2]
ومَقْصِدِى أن أراكَ يوماً ماذا على الدهرِ لوصَفَا لِى
ياقامةَ الغُصْنِ فى اعْتدالٍ يا طَلْعَةَ البدرِ فى الكمالِ
لا عِشْتُ إن لم أكُنْ مُحِبّاً أحْفَظُ وُدِّى ولا أُبالِى
وأرْتضِى فى هَواكَ هَتْكِى وأُنفِقُ الرُّوحَ ثم مَالِى

***

وله :

رُبَّ ساقٍ خَمرةً مِن ثَغْرِهِ وثَناياهُ كدُرٍّ أو حَبَبْ
أوْرَثَ العقلَ خَبالًا عندما أن تَبدَّى لى بكأسٍ مِن ذَهَبْ
مَذْهبى فيه طِرازٌ مُذْهَبٌ واصْطبارِى فى هَواه قد ذَهَبْ
لَيِّنُ الأعْطافِ قاسٍ قلبُه واللَّمَى يَحْكِى ضَرِيباً أو ضَرَبْ[3]
عارِضــاهُ أنْبَتا آساً وفى وَجْنتَيْهِ أصبح الوَرْدُ عَجَبْ

***

(١) أصله : « قد صار حاليا » ، وجاء هكذا لضرورة القافية . (٢) القول فى هذا كالقول فى الحاشية السابقة . (٣) الضريب : الثلج ، والضرب : العسل الأبيض الغليظ ، يصفه بالبرودة والحلاوة .

وقوله :

أَلِفُ الْقَوامِ ولامُ عارضِ مَن سَبَا عقلى ومِيمُ الثَّغْرِ مَعْ صـادِ المُقَلْ
إن جُمِّعُوا وغَـدَوْا نَصِيبِى مَرَّةً من فيـه ذاكَ شِفاء قلبى مِن عِلَلْ

***

فيه تَوْليدٌ لطيف ، وهذا النوع ممَّا تظرَّف فيه الأدباء ، ومنه قولُ بعضهم :

كأنَّ مُقلتَه صـادٌ وحاجبَه نونٌ وموضِعَ تَقْبِيـلى له مِيمُ
فصِرْتُ أعْشَقُ من عِشْقى له صَنَماً وعاشِقُ الصَّنَمِ الإنْسِىِّ مَرْحُومُ(١)

***

قال الزَّكِىُّ بنُ أبى الإصْبَع ، فى « تحرير التحبير(٢) » : إن أغربَ ما سمعتُ فى التَّوْليد :

كأنَّ عِذَارَهُ فى الخدِّ لَامٌ ومَبْسِمَه الشَّهِىَّ العَذْبَ صادُ
وطُرَّةَ شَعْرِه ليـلٌ بَهِيمٌ فلا عَجَبٌ إذا سُرِق الرُّقادُ

فإنَّه وَلَّد من (٣) تشبيه العِذار باللَّام ، و(٣) تشبيهِ الفَمِ بالصَّاد ، لفظَةَ « لِصّ » ، (٤) ووَلَّد مِن مَعْناها تشبيه الطُّرَّةِ بالليـل وذكر سَرِقةَ النَّوم(٤) ، فحصَل تَوْليدٌ وإغْرابٌ وإدْماج(٥) .

وأستحسِن أنا فيه قولَ بعضهم :

تاللهِ ما لِمُعذِّبى فى حُسْنِه شَبَهٌ فأىُّ حَشاً عليه لم يَهِمْ
لَامُ العِذارِ ومِيمُ مَبْسِمه على ما أدَّعِى من حُسْنِه بُرْهانُ لَمْ

---

(١) فى ب : « وعاشق الصنم الإنسى محروم » ، والمثبت فى : ب ، ج (٢) تحرير التحبير ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ونسب البيتين إلى بعض العجم . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وتحرير التحبير .
(٤) فى تحرير التحبير : « وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم » .
(٥) هذا آخر كلام ابن أبى الإصبع .

ولابن جابرٍ الأندلسيّ[1] ، مُعتذِراً عمَّن لم يُسَلِّم :

لا تعتِبَنَّ على تركِ السّلامِ فقد ... جاءتْك أحرُفُه كُتْباً بلا قَلَمِ

فالسِّينُ مِن طُرَّتِي واللَّامُ مَعْ ألِفٍ ... مِن عارِضَيَّ وهذا المِيمُ مِيمُ فَمِي

***

ولِلْوَارِثيّ :

أقبَــلَ المحبوبُ يومًا خاطِــراً نَحْوَ المُعَنَّى

مُفرداً فى الحُسْنِ فاعْجَبْ منه فَرْداً يتثــنَّى

***

[2] غَصبَه من قولِ ابنِ نُبَاتَةَ :

فريدٌ وهْوَ فَتّــانُ التَّثَنِّي ... فيالله من فَرْدٍ تَثَنَّى[2]

ومِثْلُه لابن العَفِيف[3] :

هو لا شكَّ واحدُ النّاسِ فى الحُسْــنِ وإن كان قَدُّهُ يتثنَّى

***

وله :

بأبِى أفْــدِى غزالاً ... مُكْثِراً للهَجْرِ والبَيْنِ[4]

عارِضَــاهُ صَيَّرانِى ... هِمْتُ من وَجْدِى بلا مَيْنِ[5]

***

من قول البَدْرِ الدَّمامِينيّ[6] :

لاماَ عِذارَيْكَ هما أوْقَعا ... قلبَ المُحِبِّ الصَّبِّ فى الحَيْنْ

فجُدْ له بالوَصْــلِ واسْمَحْ له ... ففِيكَ قد هــامَ بِلامَيْنِ

⁂

---

(١) تقدم التعريف به فى هذا الجزء ، صفحة ١١٩ . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . والبيت فى ديوان ابن نباتة المصرى ٥٢٨ .

(٣) لم أجد البيت فى ديوانه المطبوع . (٤) فى ا ، ج : « مكثر الهجر » ، والمثبت فى : ب .

(٥) بلامين : مثنى اللام ، والمين : الكذب أيضا . (٦) تقدم التعريف به فى الجزء الأول ، صفحة ٥٠٢ .

٣٣٥

أبو الإسْعاد يُوسُف الوَفَائى*

أحدُ السّادات بَنِي وَفَا ، الذين أرْبَى قَدْرُهم على أهلِ الدنيا وأوْفَى .

تميّزُوا فى الأولياء تميُّزَ الملوك فى الأجْناد ، وجرّدوا عَزْمَهم فكان فِرِنْدُه النّقِيُّ وغِمْدُه تَبْسِيمَ الأجْياد .

سقَى عُهودَهم بالماءِ الطّاهِر ، وتحلّوْا بحِلْيتَي الباطن والظّاهر .

فإذا اقْتُسِم الفضلُ وشَرَفُ الخِصال ، فلِلنّاس منهما الأسْماء ولهم الأفعال .

وإن ذُكِر المدحُ والثّنا ، فكلُّهم يعْرَفون فى الوصف الجميل بالكُنَى .

فليت شِعْرِي بأيِّ وصفٍ أصِفُهم ، ولو جمعتُ جيوشَ البلاغة لم أكُنْ أُنْصِفُهم :

ولولا أنَّ فى الأشياء مالَا ... يُنالُ بكَدِّ نفْسٍ واجْتهادِ
كتبتُ ثناءهم بسَوادِ عَيْنِى ... مَخافَةَ أن يُدَنَّسَ بالمِدادِ

***

وأبُو الإسْعاد هــذا رَوْنَقُ مُنْتَسَبِهم العَالِى ، وبَهْجَةُ مُنْتَدَاهم الذى أطلَع ثَمَرَ المَعالِى .

جمالُ عصرِه ، ويُوسُفُ مِصْرِه .

(*) يوسف بن عبد الرزاق أبو الإسعاد الوفائى المالكى المصرى .
أخذ العلوم عن أبى النجاء السنهورى ، وأبى بكر الشنوانى ، والدنوشرى ، وعايد الأزهرى ، والأجهورى .
وتلق طريقة الوفائية الشاذلية عن عمه الأستاذ محمد ، ولبس الخرقة ، وكانت له رحلة إلى بيت المقدس .
ودرس وأملى الكثير ، وله شهرة فى التحقيق ، يقول الشعر الحسن والنثر البليغ .
توفى فى مرجعه من الحج ، سنة إحدى وخمسين وألف ، ودفن فى زاوية السادات الوفائية
بيت السادات الوفائية ٣٧ ، ٣٨ ، خبايا الزوايا لوحة ١٦٢ ب ، خلاصة الأثر ٤/٥٠٣ ــ ٥٠٥ ، ريحانة الألبا ٢/٢١٣ .

(نفحة الريحانة ٤/٣٤)

عِطفُ سَماحِه ميَّاس ، ونَيلُ كَفِّه جارٍ بغير مِقْياس .

فهو فى الرَّوْض إذا ذَوَى ناضِرُ العُود ، ولَدَى الخوض وإن خَوَى أسْعَدُ السُّعود .

ولِمَيْن الرَّجاءِ نُزْهةٌ فى رَوْض مَساعِيه الخَصيبة الرِّحاب ، ولِآثارِه عَلَيْه ثَناء كثَناءِ الرِّياض على غُرِّ السَّحاب .

فتتشوَّق النُّفوسُ إلى تلك الشِّيَم ، تَشوُّق الجَدْبِ إلى فَيْضِ الدِّيَم .

والجود حُسْنُ السادةِ الكِرام ، كالحُسْن يدْعُو الناسَ إلى الغَرام .

فلله ما وَهَبَه العِزُّ من تجمُّلِه به وتحلِّيه ، وتبرُّجِه بآرائِه وتجلِّيه .

بوَجْهٍ لا يُحاسِنُه شَىءٌ فى الإشْراق ، ومَالٍ مَن ادَّعاها لَزِمتْه جِنايَةُ السُّرَّاق .

فهو يُثِير بِشِيَمِ اللُّطف ، ويُذِيلُ بالدِّيَم الوُطْف[1] .

ويهْتَزُّ للأدب عِطفُ بانِه ، ويضْطرب لِمُجْتَديه كأنما نَادَمه ابنُ بانَة[2] .

***

وله من رائِق النِّظام ، ما هو كالثُّرَيَّا فى الانْتِظام .

فمنه قوله :

لِحَىِّ أهلِ الوَفَاء سِرْ بِى	فإن فيـــه غَزالَ سِرْبِ
مِلْ بى إلى نَحْوِهم وعُجْ بِى	سَلِمْتَ من فِتْنةٍ وعُجْبِ
قومٌ بهم ما حَيِيتُ دَائِى	وهم دَوائِى وعَيْنُ طِبِّى
وهم شُموسُ العُــلَى افْتخارًا	بفَيْضِ كَسْبٍ وفَيْضِ وَهْبِ
وهم سَحابُ الرَّجا مَطِــيرًا	إذا اشْتكَى الدَّهرُ عَهْدَ جَدْبِ

(١) الوطف : القريبة من الأرض لثقل مابها من الماء .

(٢) هو عمرو بن محمد بن سليمان الثقفى ، مغن مشهور مجيد ، وكان خصيصا بالمتوكل على الله ينادمه .
وبانة اسم أمه ، وهى بانة بنت روح .
توفى ابن بانة سنة ثمان وسبعين ومائتين .
وفيات الأعيان ٣/١٤٨ ، ١٤٩ .

وَلَاحَ سِرُّ الوفاءِ منهم عَوْناً إذا سامَ دَفْعَ كَرْبِ
فهم عِياذِى وهم مَلاذِى لِكلِّ هَوْلٍ وكلِّ خَطْبِ
وليس لى عنهمُ غَناءٌ وهكذا حالةُ الْمُحِبِّ
وقد رَضُوا لى سَلْبِى سِواهُمْ فاشْهَدْ مَقامَ الرِّضا وسَلْ بِى
لا نِلْتُ مِن قُرْبِكم وِصالًا إن لم أَمُتْ فيكمُ بِحُبِّى[1]
غَمَرْتُمونِى بكلِّ فَضْلٍ وقد عَمَرْتُم رُبوعَ قلبِى
وهكذا تفعلُ الْمَوالِى إذا رَعَوْا ذِمَّةً لِصَبِّ

***

وقوله[2] :

قَسَماً بكم يا سادتى وغَرامِى ما حُلْتُ عن عَهدِى لكم وذِمامِى
وأنا الْمُقيمُ لكم على عَهْدِ الوفَا وعلى هَواكُم تنقضِى أيّامِى
غيرى يُغَيِّرُه الجفاءُ عن الهوى فيَميلُ نحوَ مَلامةِ اللُّوّامِ
وأنا الذى لو مُتُّ فيكم لم أَحُلْ عنكمْ ولا يَثْنِى الْمَلامُ زِمامِى
يا سادتِى عَطْفاً على عَبْدٍ لكم فعسَاكُمُ تحنُوا على الخُدّامِ
فالقلبُ فى نِيرانِ تَبْرِيحِ الجوَى يَصْلَى وجَفْنِى مِن جَفاكُمْ دَامِى
أرْضَعْتُمونى دائماً ثَدْىَ الرِّضَا ويَشُقُّ من بَعْدِ الرَّضاعِ فِطامِى
فعلى مَ أظْهَرْتُم إهانةَ عَبْدِكم مِن بَعْدِ ذاكَ العِزِّ والإكْرامِ
ما زَلَّ بى قَدَمٌ وإن زَلَّتْ فكَمْ غُفِرتْ لَدَيْكم زَلَّةُ الأقْدامِ
قَسَماً بفضلِكُمُ علىَّ وإنه لِذَوِى الْمَعارِفِ أعظمُ الأقْسامِ
بِسِواكُمُ ما لِلفُؤادِ تعلُّقٌ أنتم مَرامِى دونَ كُلِّ مَرامِ[3]

(١) فى ب : «فيكم بحب» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) الأبيات الستة الأولى فى خلاصة الأثر ٤/٥٠٠ .
(٣) فى ب : «دون كل مرامى» ، والمثبت فى : ا ، ج .

يا عَاذِلِى ذَرْنِى فإنى كُلَّمـا ... زِدْتَ الْمَلامَ علىَّ زادَ هُيـامِى
كيف التَّسَلِّى عن هَواهُم بَعْدَمَا ... سَكَنَ الهوى فى مُهْجَتِى وعِظامِى
مَن رامَ فَضْلًا يَأْتِهِمْ مُتأدِّبًا ... يَحْظَى بهم ويفوزُ بالإكْرامِ
إنِّى لأَطْرَبُ من مَدِيحِ صِفاتِهِمْ ... فأمِيلُ نَشْوانًا بغيرِ مُدَامِ[١]
إنْ أعْرضُوا فأنا الصَّبُورُ وإن أبَوْا ... فأنا الشَّكُورُ بِخُلَّتِى وغَرامِى
شُرِّفْتُ حين غَدَوْتُ مِن خُدّامِهِمْ ... ورَقِيتُ فى الإسْعادِ خيرَ مَقامِ

***

ومن مُطَوَّلاتِه قوله[٢] :

حَيِّهِمْ إن جِئْتَهم يا سَعْدُ حَىّ ... فهمُ أهلُ الوَفَا فى كلِّ حَىّ
عِشْ بهمْ صَبًّا ومُتْ فى حُبِّهِمْ ... مَن يَمُتْ فى حُبِّ حَىٍّ فهْو حَىّ[٣]
هُم مُلوكُ الأرضِ ساداتُ الوَرَى ... فَارْوِ عنهم واطْوِ ذِكْرَ الْغَيْرِ طَىّ[٤]
لم يَزَلْ إحْسانُهم [illegible] ... مُطْلَقًا بالفَيْضِ فى نَشْرٍ وطَىّ
كم كذا أَلْطافُهم [illegible] ... فيـه لِلْقَلْبِ شِفـاءٌ ودَوِىّ
لَفْظُهم والجودُ ذَا فيـه شِفَا ... لِذَوِى السُّقْمِ وذا فيـه رَوِىّ
مِن كِلَا هذين لا أبْرَحُ لى ... سَكْرَةٌ فارْوِ لهم عن سَكْرَتَىّ
أنا منهمْ لم أزَلْ مُكْتسِبًا ... كُلّ ما يُنْسَبُ فى الخيرِ إلَىّ
فَسَناهُم لَامِعٌ فى فِكْرَتِى ... ونَداهُم هَامِعٌ فى رَاحَتَىّ
طَرَقَتْنِى نَفْحة مِن سِرِّهم ... فكَسَا ضَوْءُ سَناهَا أصْغرَىّ[٥]
صَيَّرَتْنى مُنْشِئـاً مُرْتَجِلاً ... كلُّ ما أطلبُـه فى قَبْضَتَىّ

---

(١) صرف « نشوان » لضرورة الوزن . (٢) الأبيات الأربعة الأولى ، ومن البيت الرابع عشر إلى السابع عشر ، فى خلاصة الأثر ٤/٥٠٤ ، ٥٠٥ . (٣) فى الأصول : « من يمت فى حى حى فهو حى » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٤) فى خلاصة الأثر : « واطو ذكر الىّطى » .
(٥) الأصغران : القلب واللسان .

أسْعَدَ اللهُ بهم فِكرِى فلا يعترِيني قِصَرٌ فى ساعِدَىّ
وَاجِبٌ عندىَ أنْ أسْعَى علَى بَصَرِى حقًّا لهم لا قدَمَىّ
يا لِسانِى أدِمِ المــــدْحَ لهم دائمَ الدهرِ ويا فكرِى تَهَىّ
أنا واللهِ مُحِبٌّ لــكمُ صَدِّقونى ليس بعدَ اللهِ شَىّ
مُخْتَفٍ حُبُّكمُ فى مُهجتِى عن جميــعِ الخَلْقِ إلّا مَلَكَىّ

***

لا يخْفَى أنَّه أرادَ المُعارضةَ لابْنِ الفارِض ، ولـكنَّه بحُكْمِ عارِضِ المَحبةِ بَقِىَ تحت ذَيْلِ العَارِضِ(١) ، وبيت الفَارِضِىّ(٢) :

كان لولا أدْمُعِى أسْتغفِرُ اللَّـ ـهَ يَخْفَى حُبُّكم عَن مَلَكَىّ

***

مُذ مَنحتُمْ بِوَفًا دونَ جفًا فــلذا أنسَيْتُمونِى أبوَىّ
وسَقانِى كَفُّـكم كأسَ نَدًى مِن رَحِيقٍ بَرْدُه وَسْطَ حَشَىّ
دام مِنِّى المَدْحُ يأتِيكُم علَى سائقِ الأظْعانِ يَطْوِى البِيدَ طَىّ(٣)

⁂

---

(١) دفن ابن الفارض فى القرافة بسفح المقطم عند مجرى اسيل تحت مسجد يعرف بالعارض ، وهو فى أعلى الجبل المذكور . انظر شرح ديوانه ١/٥ ، ٦ ، ١٣ .

(٢) فى ا : « الفارض » ، والمثبت فى : ب ، ج .
والبيت فى ديوانه (بشرح البورينى والنابلسى) ٦٦/١٢ .

(٣) ضمن صدر بيت ابن الفارض ، وعجزه :

* مُنْعِماً عَرِّجْ على كُثْبانِ طَىّ *

شرح ديوانه ١٦/١ .

٣٣٦
عبد الرحيم الشَّعْرانى *

خُلاصةُ جيلِه ، الواجبُ أمرُ تعظِيمه وتبجِيلِه .
وآلُ بيته الأخيار ، رَوْنَقُ السِّيَر وطِلاوةُ الأخْبار .
لهم نفوسٌ بالأسْرار الرُّوحانيَّة عارِفات ، إذا كان لغيرِهم منها عَارِفَة فلهم منهم عَارِفات .
فما زالوا يُطْلِعون من أخْلافِهم ، ما يَبْقَى به ذِكْرُ أسْلافِهم .
وهذا الحَبْرُ العالِم ، زَيَّن اللهُ به منهم المَعاهدَ والمَعالم .
فنال حَفْلا به السَّعْدُ اكْتَمَل ، وابْتَسم بمَرْآه ثَغْرُ المُنَى وامْتدَّ خَطْوُ الأمَل .
وهاجَر إلى الرُّوم لأمرٍ دَعاه ، حُمِد عند أهلِ المُشاهدة مَسْعاه .
فأقام بها راتِعاً من الجَلالة فى نَضْرِها ولَدْنِها ، إلى أن انْتقل مِن ظَهْرِها إلى بَطْنِها .
يملأُ الصدورَ انْشراحا ، ويَعُمُّ الأرْجاء أفراحا .
ولا يَأْلُو وَلِيُّه شُكْرَ مَنِّه الجَسِيم ، كما شكَر عَارِفَةَ الرَّوْضِ لِسانُ النَّسِيم بوَقارٍ كما تشْتهِيه العُيون ، ونُضْحٍ[1] كما تقْتضِيه الظُّنون .

(*) عبد الرحيم بن عبد المحسن بن عبد الرحمن الشعرانى المصرى .
ولد بمصر ، وحفظ بها القرآن ، وحصل ، ومن أشياخه : الشيخ عبد الوهاب الشعرانى ، وصحب الأستاذ محمد البكرى .
رحل إلى الروم وتوطنها ، وولى قضاء الحرمين ، ثم تقاعد بمدرسة السلطان أحمد .
وله تآليف ، منها رسالته التى سماها : « إيقاظ الوسنان من سنته ، فى بيان أل الوصول وصلته » .
توفى بقسطنطينية ، سنة ثمان وأربعين وألف .
خلاصة الأثر ٢/٤١٠ ، ٤١١ .
والشعرانى : نسبة إلى قرية أبى شعرا بمصر ، هكذا ذكر المحبى فى ترجمة ولده الآتى فى خلاصة الأثر .
(١) ا ، ب : « وفصح » ، وفى ج : « ونضح » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(١ يُلْهِب الوَجْدَ الذى خَمَد ، ويُذِيب الدَّمعَ الذى جَمَد ١) .

ووَعْظٍ يُقِيمُ الحَرَج ، على الشيخ أبى الفَرَج (٢) .

***

وله أشعارٌ مشتمِلة على حِكَم ووَعْظ ، يتمتَّع بها القلبُ قبلَ اللفظ .

فمنها قولُه فى عَقْد كلام يُنقَل عن كِسْرَى ، كاتَبَ به قيصرَ جواباً عن مكاتبة (٣) :

كَاتَبَ فى السَّابِق كسرى قيصَرُ ... بمــا استقامَ مُلْكُكُم والظَّفَرُ

فقال قد دامَ لنـــا الوِلاء ... بخَمْسَةٍ طاب بهــا الهَناء

إن استَشَرْنا فذَوِى العقولِ ... وإن نُوَلِّى فذَوِى الأُصولِ

وليس فى وَعْدٍ ولا وَعِيــدِ ... نُخالِفُ القولَ على التَّأْبِيدِ

وإن نُعاقِبْ فعــلى قَدْرِ السَّبَبْ ... مِن الذُّنوبِ لا على قَدْرِ الغضَبْ

ولا نُقَدِّمُ الشبابَ مُطْلَقَا ... على الشيوخِ فى وَلاء أُطْلِقَا

***

وله فى التوسُّل (٤) :

يا سيِّدَ الرُّسْلِ ومَن جُودُهُ ... لِكلِّ خَلْقِ اللهِ مُسْتَرسِلُ

أنتَ الذى خَصَّكَ رَبِّى بمــا ... لم يُحْصِه المِزْبَرُ والمِقْوَلُ (٥)

وإنَّنِى عبــدُكَ مَنْ جُرْمُهُ ... لِفكْرِ ذى اللُّبِّ غدَا يُذْهِلُ (٦)

قد جئتُ أبغِى توبةً يَنْمَحِى ... عَنِّى بهــا الوِزْرُ الذى يُثْقِلُ

---

(١) ساقط من : ح ، وهو فى : ا ، ب . (٢) يعنى أبا الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى المتوفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وقد عرف بالوعظ وغلب عليه وشهر به . (٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٤١٠ ، وقدم لها المحبى هناك بقوله : « ورأيت بخط السيد محمد بن على القدسى الدمشقى ، قال : أنشدنى العلامة عبد الرحيم الشعرانى هذه الأبيات ، ولست أدرى أهى له أم لغيره ؟ ، وهى : » .

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٤١٠ . (٥) فى خلاصة الأثر : « لم يحصر المزبر والمقول » .
والمزبر : القلم .

(٦) فى خلاصة الأثر : « لفكر ذى اللب الذكى يذهل » .

والسَّتْرَ فى دِينى وأَهْلِي ومَن   يَحْوِيه بَيْتِى أو بِهِ يَنْزِلُ
فأنتَ بابُ اللهِ أىُّ امْرِىءٍ   أتاه مِن غيرِك لا يَدْخُلُ

***

هذا البيتُ مُضَمَّن من قصيدة الشمس البَكْرِىّ[1] ، التى أوَّلُها[2] :

ما أَرْسَلَ الرحمنُ أو يُرْسِلُ   مِن رحمةٍ تَصْعَدُ أو تَنْزِلُ
فى مَلَكوتِ اللهِ أو مُلْكِهِ   مِن كلِّ ما يَخْتَصُّ أو يَشْمَلُ
إلّا وطَهَ المصطفَى عبدُه   نَبِيُّه مُخْتارُه المُرْسَلُ
واسِطةٌ فيها وأصْلٌ لها   يَعْلَمُ هذا كلُّ مَن يعقِلُ[3]

*

(١) يعنى الأستاذ محمد بن أبى الحسن محمد بن محمد البكرى الصديق الشافعى المصرى .
ولد سنة ثلاثين وتسعمائة ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، ثم أخذ فى حفظ المتون ، والتلقى على علماء عصره .
وكان آية من آيات الله فى الدرس والإملاء ، جلس مكان والده فى الجامع الأزهر للتدريس بعد ودته ، وعمره إحدى وعشرون سنة .
وله مصنفات ، منها : « شرح على مختصر أبى شجاع » فى الفقه ، ورسائل متعددة ، وديوان كبير .
توفى سنة ثلاث وتسعين أو أربع وتسعين وتسعمائة .
بيت الصديق ٨١ ــ ٨٧ ، خبايا الزوايا لوحة ١٠٢ اــ ١١١ ا ، ريحانة الألبا ٢/ ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ــ ٢٤٤ ، شذرات الذهب ٨/ ٤٣١ــ٤٣٣ ، النور السافر ٤١٤ــ٤٤٠ .
(٢) القصيدة كلها فى : ريحانة الألبا ٢/ ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، النور السافر ٤١٩ ، ٤٢٠ ؛ والأبيات الأربعة الأولى فى شذرات الذهب ٨/ ٤٣٢ ، والبيت الأول فى خلاصة الأثر ٢/ ٤١٠ .
(٣) فى شذرات الذهب : « يفهم هذا » .

ولده :

٣٣٧
أبو السعود*

هذا سَعْدُ السُّعود ، الذى لو مَسَّ عُوداً يابِساً لَعاد الماء فى العُود ، حتى يُنَوِّر خَضِرا ، ويُثمِرَ غضًّا نَضِرا .

وُلِد فى طالِـع السَّخا ، وغُذِىَ فى بَحْبُوحة الرَّخا .

ومارَس المَعارف مُمارسةً كشفتْ له عن وُجوهِ الحقائق ، وأظْفَرَتْه بفوائدها[1] الجلائل ، وفرائدها[2] الدَّقائق .

فَقَدَمُه فى العِلم راسِخة عالية ، والمَسامِـع بمَحامِده مُقَرَّطة حالية .

وكانت أوقاتُه مُقسَّمةً بين عارِفةٍ يُنيلُها ، ومُلِمّـةٍ يُزِيلها ، وفائدةٍ يُبْدِيها ، وصَنِيعةٍ يُسْدِيها .

ومجلسُه أوَّلُه ثَناء جميل ، وآخِرُه دعاء جَزِيل ، وبينهما ترحيبٌ وتأهِيل .

ففخرُه يتقلَّده جِيدُ الدهر ولِيتُه[3] ، وذِكْرُه يأْرَجُ له مَسْرَى النَّسِيم وهَبَّتُه .

***

[4] وله أدبٌ يُتنافَسُ فيـه بلا تَطْرِيَة مادِح ، وشِعرٌ[5] وَرَى فيـه زَنْدُه ولم يَقدَح فيه قادِح[4] .

فمنه قوله مُخَمِّساً[6] :

(*) أبو السعود بن عبد الرحيم بن عبد المحسن الشعرانى المصرى ، قاضى القضاة .

أحد أفراد الدهر فى المعارف الإلهية .

ولد بمصر ، ودخل الروم مع والده ، وهو صغير ، وأخذ عن الشمس الرملى ، والنور الزيادى ، ولازم من شيخ الإسلام صنع الله بن جعفر المفتى .

ودرس بمدارس قسطنطينية إلى أن وصل الى إحدى مدارس السلطان سليمان ، وولى منها قضاء القضاة بالشام ، ثم عزل ، ثم ولى قضاء بروسة ، وأدرنة ، وقسطنطينية ، ثم أعطى قضاء العسكر بأناطولى .

وكانت وفاته بقسطنطينية ، سنة ثمان وثمانين وألف .

خلاصة الأثر ١/١٢٠ ــ ١٢٢ .

(١) فى ا : « بفوائد » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « بفرائد » ، والمثبت فى : ب، ج .

(٣) الليت : صفحة العنق . (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا، ج . (٥) فى ، ا : « شعر » ، والمثبت فى : ج . (٦) التخميس فى : خلاصة الأثر ١/١٢١ ، ١٢٢ .

يا حادِيَ العِيسِ إن حَفَّتْ بكَ الـكُرَبُ ... الحقْ هُدِيتَ بِرَكْبٍ ساقَهُ الطَّرَبُ

وقُلْ لِصَبٍّ غدَا بالشوقِ ينتحِبُ ... لِمَهبِطِ الوَحْيِ حَقًّا تَرحَلُ النُّجُبُ[1]

وعندَ هذا المُرَجَّى ينْتهِي الطَّلَبُ

أعْنِي الرسولَ الذي قد شرَّفَ الأُمَمَا ... ونال سائِلُهُ فوقَ الوَرَى قِسَماَ[2]

يَلْقَى العُفاةَ بِمــا يَرْجُون مُبْتسِماَ ... به تَحُطُّ رِحالُ السَّائلين فَمَا

لِسائِلِ الدَّمْعِ ما يَقْضِيهِ ما يَجِبُ

إن رُمْتَ كشفَ العَنَا والحُوبِ والنُّوَبِ ... كذا الخَلاصَ مِن الأكْدارِ والنَّصَبِ[3]

وأن تَـكونَ سعيداً غيرَ مُـكتئِبِ ... قِفْ وِقْفَةَ الذُّلِّ والإطْراقِ ذا أدبِ[4]

فعندَ حَضْرَتِهِ يُسْتَلْزَمُ الأدبُ[5]

يا مَن بِهِمَّتِهِ قد صار مُنطلِقَاَ ... وسكَّن الرُّوحَ منه بعدَ ما فَرَقَا

ذاكَ الحبيبُ الذي مِن صَفْوةٍ خُلِقَا ... له الملاحةُ خَلْقاً والنَّدَى خُلُقَا

والثغرُ مُبْتَسِمٌ والـكفُّ مُنْسكِبُ

إنْ أزْمةٌ أوْهَنتْ قلبي كذا جسدِي ... أو كُرْبةٌ فَرَّقتْ جُنْدِي كذا جَلَدِي

فليس لى نَاصِرٌ إلاَّكَ يا سَنَدِي ... يا سيِّدى يا رسولَ اللهِ خُذْ بيدِي

فأنتَ حَسْبِي ومنـكم يُعْرَفُ الحَسَبُ

⁂

(١) فى خلاصة الأثر : « بالشوق يلتهب » . (٢) فى خلاصة الأثر : « فوق السماقسما » .

(٣) الحوب : الحزن والوحشة . (٤) فى خلاصة الأثر : « وكنت حقا سعيدا » .

(٥) هذا آخر ما جاء فى الخلاصة .

٣٣٨

سَرِيُّ الدين محمد الدَّروريّ

المعروف

بابن الصَّائغ*

ماجدٌ سَرِيّ ، وفاضلٌ بكلِّ مدحٍ حَرِيّ .

قد ضربت البَراعةُ رُواقَها بنادِيه ، ولم يزلْ داعِي البلاغة مِن كَثَبٍ يُنادِيه .

مَضَى حيث يرتدُّ العَضْبُ الصَّقيل وهو كَهام [1] ، وبلَغت هِمَمُه حيث تَقصُر عن مَدارِكها خُطَا الأوْهام .

فقعد حيث كِيوانُ بإزائه ، وعقَد له الفَلَكُ ذَوائبَ جوْزائه .

إنَّ السَّرِيَّ إذا سَرَى فبنفسِه وابنُ السَّرِيِّ إذا سَرَى أسْرَاهُمَا

فهو ظَرْفُ عِلم ، ووِعاء حِلم ، ومَن عَرف حاله من الإيثار عَرف الحَلْيَ كيف يُصاغ ، والسُّلافَ الرَّائقَ فى الأفواهِ كيف يُساغ .

هو امْرؤٌ لا يصُوغُ الحَلْيَ تعملُه كَفَّاهُ لـكنَّ فاهُ صائغُ الـكَلِمِ

(*) سرى الدين محمد بن إبراهيم الدروري المصري الحنفي ، المعروف بابن الصائغ .

كان والده من أكابر التجار المياسير ، فخلف له أموالا كثيرة ، واشتغل بقراءة العلوم على أبى بكر الشنوانى ، ثم لزم المولى حسين المعروف بباشا زاده نزيل مصر ، واختص به ، وكانت له معرفة تامة باللغتين الفارسية والتركية .

درس بمصر فى المدرسة السليمانية ، والمدرسة الصرغتمشية ، وسافر إلى الروم ، والقدس ، ووجه إليه رتبة قضاء القدس .

وكان من الفضل والتحقيق فى أسمى منزلة ، وله مؤلفات ، منها : «حاشية على شرح الهداية للأكمل» ، و «حاشية على البيضاوى» .

توفى سنة ست وستين وألف ، ودفن فى مقبرة المجاورين .

خلاصة الأثر ٣/٣١٦ ـ ٣١٨ .

(١) سيف كهام : لم يقطع .

وقد أُوتِيَ مِن حَلاوةِ الأخلاق والبَيان ، ما يزرع حَبَّ الُحبِّ فى الصَّميم من الَجنان .

فنَظْمُه جارٍ فى بَداعةِ الأُسلوب على غير مِثال ، ونَثْرُه حَقُّه أن يجعل كلَّ فَقْرةٍ منه مَثَلاً مِن الأَمثال .

جميعُ الأَمثال منه تطرِّب ، ولِكَوْنِها لا تلحقُه تُضْرَب .

***

فمن نظمه قولُه من قصيدةٍ ، أوَّلُها[1] :

رَعَى اللهُ عَهْداً بالغَرامِ تقدَّمَا ... أراه بثَوْبِ الدهرِ وَشْياً مُنَمْنَمَا[2]

وحَيَّى الحَيَا مِنِّى ديارَ أحِبَّتِى ... وإن كان رَبْعُ الوُدِّ منهم تهدَّمَا

وإن كان وُدًّا فى الحَقيقةِ غيرَ أنْ ... عَشِقْتُ وأوْهَمْتُ الحِجَى فتوهَّمَا[3]

إلى كم أُضيعُ العمرَ فى أيْنَ هم غَدَوْا ... وحتَّى مَ يُسْلِينِى لعَلَّ وأيْنَمَا

أُطالِبُ دهرِى أن يجودَ بقُرْبِهم ... فما زادَ بالبُطْلانِ إلَّا تَبَرُّمَا

وناشَدْتُه إلَّا مُقاسمةَ الأذَى ... وصَفْوَ الليالى فاسْتقالَ وأقْسَمَا

وماضَرَّهم لو أنَّ بَرْقَ الْتقائِهمْ ... أضاء إذا لَيْلُ القَطيعةِ أظْلَمَا

تبدَّتْ لِىَ الأيَّامُ فى زِىِّ بَأْسِهِمْ ... وسَلَّتْ بِكَفِّ الغَدْرِ لِلقَتْلِ مِخْذَمَا[4]

وضحك مَشِيبِى أنَّ عصرَ شَبيبتِى ... يُوَدِّع جسماً ما أراه مُسَلَّمَا

هَبطْتُ إلى أرضِ المَذَلَّةِ بالذى ... تَخِذْتُ لِصَرْحِ العِزِّ مَرْقَى وسُلَّمَا

***

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٣١٧ ، ٣١٨ . (٢) فى خلاصة الأثر : « وشيا منمما » .

(٣) فى ا : « وإن كان ود » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، على أن « إن » بمعنى ما .

(٤) المخذم : السيف القاطع .

مِمَّا يتناسب معه قولُ الفاضل :

وقيل اهْبِطُوا مِصْرَ وأيُّ فَضِيلةٍ ... لِمِصْرَ وبَاغِي الرِّزْقِ في مصرَ يَهْبِطُ

***

ومِمَّا دَهانِي أنْ بَلِيتُ بأغْيَدٍ ... إذا شاء إسْكارَ العقولِ تَبَسَّمَا

وإمَّا رَنَا واهْتزَّ غُصْنُ قَوامِهِ ... فوَيْلُ الْمَهَا منه وتَعْساً على الدُّمَى

تَمايَلَ وَسْنانَ الْجفونِ وما احْتَسَى ... مُداماً وأصْمانَا وما راشَ أسْهُمَا

ووَلَّاه سُلطانُ الجمالِ نُفوسَنا ... ألستَ ترَى دِيباجَ خَدَّيْهِ مُعْلَمَا(١)

وما هو إلَّا لَانَ عِطْفَيْه جانِباً ... فيَسْمَحُ لي في زَوْرَةٍ ثم يَنْدَمَا(٢)

زَرعتُ بلَحْظِي الوردَ في رَوْضِ خَدِّهِ ... أما آنَ أن يُجْنَى بِفِيَّ أمَا أمَا

وهَبْهُ حَمَى وَرْدِيَّهُ بِعِذَارِهِ ... فَمَنْعُ فَمِ الْعُشَّاقِ ذاك اللَّمَى لِمَا

***

اللمى ، مُثلَّثة اللام : سُمْرةٌ في الشَّفَة ، لَمِيَ ، كرَضِيَ : اسْودَّتْ شفتُه ، وهو ألْمَى ، وهي لَمْياء . هذه عبارةُ « القاموس »(٣) .

وأكثرُ ما يستعمله الشعراء ، خصوصا المولَّدون ، في معنى الرِّيق ، ومما ينبغي أن يُنَبَّهَ عليه ، أنه إذا وقَع مع « لِمَ » يستوجِب أن يُختار منه المكسور اللَّام ، لِقَصْدِ الْمُوازنة ، كما وقع هنا ، وكما وقَع في البيت الفارِضيّ(٤) :

* صَدَّ حَمَى ظَمَئِي لِمَاكَ لِماذَا *

فإن المُوازنَةَ بين الكلمات أمرٌ مُسْتحسَن عند النُّقَّاد البَصِيرين بمَوارد الكلام ،

---

(١) في ا : « ديباج خطيه » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) في خلاصة الأثر : « وما هو إلا أن تعطفه الحجى » .   (٣) القاموس ٤/٣٧٩ .

(٤) هذا صدر بيت ابن الفارض ، وعجزه :

* وهَوَاكَ قلبي صار منه جُذاذَا *

شرح ديوانه ١/٨٤ .

فقد ذكر ابنُ جِنِّى ، عند الكلام على قول المُتنَبِّى[1] :

بَليتُ بِلَى الأطْلالِ إن لم أقِفْ بها ... وُقوفَ شَحِيحٍ ضاع فى التُّرْبِ خاتَمُهْ

أنه قرأ البيتَ على المُتنبِّى ، ونطَق بالتاء مفتوحة ، فقال له المتنبِّى : اكْسِرِ التاء .

فقال له أبو الفتح : أليس الفتحُ أفْصَحَ ؟

فقال : ألا تنظُر إلى حركاتِ ما قبل المِيم - يعنى فى القصيدة - كيف تجدُ الجميعَ مكسورا .

فعلِم مُرادَ المُتنبِّى ، وأثنَى عليه .

وأَدَلُّ دليلٍ على الْتزام المُوازنة قضيةُ الازْدِواج المذكور ، مع أنَّ فيه عُدُولا عن الأصل لأجلِ المُوازنة ، كقولِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم للنِّساء المتبرِّجات فى العيد[2] : « ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُوراتٍ » ، وقولِه فى عَوْذَتِه للحسن والحسين[3] : « أُعِيذُ كُمَا[4] بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ ، مِنْ كلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ ، وَمِنْ شَرِّ[5] كلِّ كلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ[6] » ، والأصلُ فى « مأزورات » موزورات ، لاشْتقاقِه من الوِزْر ، كما أن الأصلَ فى « لامَّة » مُلِمَّة ، لأنها فاعل من ألَمَّتْ .

وقالت العربُ : الغَدَايا والعَشايا . والأصل فى الغدايا : الغَدوات ، وقالوا : هَنَّانى الشىء ومَرَّانى . والأصلُ فى مَرَّانى : أمْرانى . وليس تغييرُ مَبانِيها إلّا للقصْد المذكور ، ولهذا إذا استعملتَ شيئاً من هذه الألفاظ مُفردة رَدَدْتَها إلى أُصولِها .

***

ومن مُنشآته قولُه من كتاب :

---

(١) ديوان أبى الطيب ٢٤٤ ، وانظر حاشيته . (٢) أخرجه ابن ماجه فى سننه (باب ما جاء فى اتباع النساء الجنائز ، من كتاب الجنائز) ١/٥٠٢ ، ٥٠٣ .

(٣) أخرجه ابن ماجه أيضا فى سننه (باب ما عوَّذ به النبى صلى الله عليه وسلم وما عُوِّذ به ، من كتاب الطب ، ٢/١١٦٤ ، ١١٦٥ . (٤) فى سنن ابن ماجه : « أعوذ » .

(٥) لم ترد هذه الكلمة فى سنن ابن ماجه . (٦) أى ذات لمم ، وانظر النهاية ٤/٢٧٢ .

سيِّدى الذى سكَن فُؤادى ، وسلب رُقادِى ، واستأثر بودادِى ، وقصَر على محبَّته والنُّزوع إلى رؤيته سُوَيْداىَ وسَوادِى .

فيامَن ملَك زِمامَ العلوم ، من كلِّ منطوقٍ ومفهوم ، وساعده التوفيق ، على أن جمَع بين التَّحقيق والتَّدقيق .

وإذا هُما اجْتمعا لنفسٍ مرَّةً بلَغتْ مِن العَلْياء كلَّ مَكانِ

أُعِيذُ طَبْعَك ذلك الغَوَّاصَ الموَّاج ، وصدرَك ذلك البحرَ الثَّجَّاج ، وفَهْمَك ذلك السِّراجَ الوَهَّاج ، من أن تَرْضَى بأن أصبِر على الظَّما ، وأن أبْقَى فى ظُلْمة الهَجْرِ والنَّوَى .

ولم تُنِتْ مَسْرَح بَصِيرتى بنَوْء ، ومَطْمَح نَظَرِى ببعض ضَوْء .

وهو – حَفِظه الله تعالى – يعلم أنَّ مِن مِدادِه أمْدادِى ، ومِن سَنا طَبْعِه الوَقَّادِ هِدايتى ورَشادِى .

وعِلْمُه مُحيطٌ بما فى احْتباس القَطْر من ضَجَر النفوس ، وبما فى خَفاء الشمسِ من الوَحْشة والعُبُوس .

(١) وأنا أشكو تعطُّشِى إليه ، وأعرِضُ حالَ وَحْشَتِي من بُعْدِه عليه (١) .

(٢) فهو – حفظه اللهُ تعالى – إذا شاء أثْلَج بِخطابه الأحْشا ، وأنا بكتابِه ناظرٌ صُبْح لِغَيْثِه أعْشَى (٢) .

***

وممَّا يُنْسَب إليه ، فى تَوْجيه بيتٍ لأبى تمَّام ، وهو[٣] :

زَارَ الخَيالُ له لا بَلْ أزارَكَهُ فِكْرٌ إذا قامَ فِكْرُ الخلْقِ لم يَنَمِ[٤]

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) ديوان أبى تمام ٢٦٨ ، طيف الخيال ٧ ، الموازنة ٢/١٦٧ . (٤) فى الديوان : « زار الخيال ... » ، وكذلك فى الطيف والموازنة ، وفى الموازنة : « فكر الناس » .

قال : عاب الآمدىُّ هذا ، فقال[1] : وإذا زارَه بالفِكْر وقد زار فلا معْنى للاسْتدراك ، وحاصلُ ما اعْتذَر به أنَّ الاسْتدراكَ صحيح ؛ لأنه إذا قال : « زار الخيال له لا بل أزار » ، احْتَمل زِيادةَ الاخْتيار من غير بَعْث باعِثٍ ، واحْتمل وُقوعَ الزِّيارة عن حَمْل حامِل ، فأزال هذا الإبْهام بقوله : « لا بل أزاركه فكر » .

وقوله : « لم ينم » لم يُرِد حقيقةَ النوم ، بل كما يقال : فلانٌ لم ينم عن هذا الأمر .

وقال : « إذا نام فكر الخلق » ، يعنى آخرَ الليل ، ولم يقل : أوله ؛ لأنه[2] إنما أنه يسْهره[2] ، وإنما يقوم فى آخره تَهْويماً بِتطرُّقه .

وقِيلَ : وَجْهُ احْترازِه أنَّ الخيالَ لا يطرُق فى العادةِ إلّا مع وُجودِ النوم ، وهذا إنما يكون فى آخرِ الليل ، مع استمرار النَّوم وطُولِ زَمانه .

وقال أبو الطَّيِّب[3] :

لا الُحلْمُ جاد به ولا بِمِثالِه   لولا ادِّكارُ وَداعِه وزِيالِه
إنَّ المُعِيدَ لنا المَنـــامُ خَيالَه   كانتْ إعادتُه خيالَ خَيالِه

يقول : المُتمثِّلُ والمُتخيَّلُ له فى اليقظة إعادة خيالِه فى المَنام ، كأنَّ الخيالَ الذى فى النَّوم خيالُ الخيالِ الذى تصوَّر فى اليقظة .

وأظْهَرُ مِن هــذا قولُ أبى تَمّام المُتقدِّم[4] ، وإنما أخَذَه من قَوْل

---

(١) الموازنة ٢/١٦٧ ، ١٦٨ .   (٢) كذا بالأصول ، وعبارة الآمدى : « وأنه يسهره »
(٣) ديوانه ٢٧٤ .   (٤) هكذا جاء فى الأصول ، والذى فى الموازنة ٢/١٦٨ أن قول جران العود الآتى مأخوذ من قول أبى تمام :

عادَكَ الزَّورُ ليلةَ الرَّمْلِ مِن رَمْـ   ـلَةَ بين الحِمَى وبين المَطَالِى
نَمْ فما زارَكَ الخيالُ ولــكنْـ   ـنَكَ بالفِكْرِ زُرْتَ طَيفَ الخيالِ

جِرَانِ الْعَوْدِ[١] :

حَيَّيْتُ طَيْفَكَ مِنْ زَوْرٍ أَلَمَّ بِهِ　　حَدِيثُ نَفْسِكَ عنه وهْو مَشْغُولُ[٢]

فقوله : « وهو مشغول » ، أى لم يَزُرْكَ[٣] على الحقيقة ، [٤] فبنى من قوله [٤] : « ما زارك طيف الخيال » وقولِه : « حديث نفسِك » قولَه : « ولكنَّك الفكرُ أزارَكَه » .

وقال الكُميت[٥] :

ولمَّا انْتهيْتُ وَجَدْتُ الْخيالَ　　أَمَانِيَّ نَفْسى وأفْكارَهَا[٦]

☆☆☆

(١) جران العود ، هو عامر بن الحارث النميرى ، وقيل اسمه المستورد العقيلى .
شاعر إسلامى ، كما ذكر ابن الأثير ، يجيد الوصف ، وسمى جران العود ببيت قاله ، وجران العود : مقدم عنق البعير المسن .
خزانة الأدب ٤/١٩٧ ـ ١٩٩ ، الشعر والشعراء ٢/٧١٨ ـ ٧٢٢ ، اللباب ١/٢١٨ ، لطائف المعارف ٣٠ ، مقدمة ديوانه .
والبيت فى : ديوانه ٥٥ ، حماسة ابن الشجرى ١٧٤ ، ١٧٧ ، زهر الآداب ٢/٧٠١ ، ونسب فيه خطأ لجميل ، طيف الخيال ١٤ ، الموازنة ٢/١٦٨ .
(٢) فى الديوان ، وحماسة ابن الشجرى : « سقيا لزورك » ، وفى طيف الخيال ، والموازنة : « أهلا بطيفك » ، ورواية زهر الآداب تتفق من وجه مع ماهنا ، فقد جاء فيه : « حييت طيفك من طيف ألم به * حدثت ... »
(٣) فى الأصول « يجر » ، والمثبت من الموازنة .　　(٤) فى الأصول مكان هذا : « فهو » وهو اضطراب فيها ، والمثبت من الموازنة .　　(٥) بيت الكميت فى : طيف الخيال ١٥ ، الموازنة ٢/١٦٩ .
(٦) فى الطيف والموازنة : « فلما انتبهت وجدت الخيال » .

٣٣٩

عبد البَرّ الفَيُّومِيّ *

جَوّابُ أقاليم ، ومُبْدِي صُوَرِ تعاليم .

زاحَمَ العلماءَ بالرُّكَب ، وانتَضَى إليهم كلَّ مَرْكَب .

ينْتجِعُ الأفكار ، ويَعْتمِدُ التَّذْكار .

ويباحِث ويُثابر ، ويتأبَّطه اليَراعُ والمَحابِر .

ويحتفِل بتحصيل الذَّخائر ويعتنِي ، وسَعْيُه البَرُّ لا يفْتُر عن مَطْلبٍ ولا يَنِي .

فبذَل الطَّرِيف والتِّلَاد ، وتقلَّب في أعْطاف البلاد .

حتى اسْتقرَّ بالروم فاخضرَّت أكْنافُه ، وتجمَّلت أنواعُ بِرِّه وأصْنافُه .

فبلَغ من الفضل موارِدَه ، وجمَع أوابِدَه وشوارِدَه .

والْتقط نفائسَ دُرِّه ، وارْتَضَع حلائبَ دَرِّه .

وبها كانت رحلتُه إلى دار البقا ، وصحيفةُ عُمْرِه باديةُ الجَلَاء والنَّقا .

وهو رَوضةٌ بالفضل أنِيقة ، كتب الدهرُ له بتمليك الأدب وَثِيقة .

(*) عبد البر بن عبد القادر بن محمد الفيومي العوفي الحنفي .

أحد الأدباء المتفوقين ، والشعراء المطبوعين .

أخذ العلم عن جماعة كثيرة من العلماء ، منهم : أحمد الوارثي الصديقي ، محمد الحموي ، عبد الرحمن اليمني ، وابن علان الصديقي ، والنجم الحلفاوي الأنصاري ، ولزم الشهاب الخفاجي .

ورحل إلى مكة للحج ، ودخل دمشق ، والقدس ، ونال بهما منصب الإفتاء للشافعية ، ودخل الروم فأقام بها ، وانتظم في سلك الموالي .

وله تآليف حسنة ، من أشهرها : « منتزه العيون والألباب ، في بعض المتأخرين من أهل الآداب » جعله على طريقة « الريحانة » ، ورتبه على حروف المعجم ، وجمع فيه بين شعراء الريحانة وشعراء المدائح الذي ألفه التقي الفارسكوري ، وزاد من عنده بعض المتقدمين وبعض المصريين .

توفي بقسطنطينية ، سنة إحدى وسبعين وألف .

تاريخ الفيوم ٤٩ ، الخطط التوفيقية ١٤/٩١ ، خلاصة الأثر ٢/٢٩١ – ٢٩٨ .

وله من حُسْنِ البَداهة والبَيان ، ما يسْحَب على سَحْبانَ ذَيْلَ النِّسْيان .

***

وقد أوردتُ من شِعره ما تستغنى به عن مُجاجة الرِّيق ، وتستكفِى به عن صِرْف الرَّحِيق ، الذى شغل الزُّجاجة والإبْرِيق .

فمنه قوله[1] :

حبيبٌ له جسمى وقلــبىَ رَاغِبٌ ولى منه هَجْرٌ وهْو للوَصْلِ رَاهِبُ
له مِن غرامى فى فــؤادِىَ أعْيُنٌ ولى مِن جَفاه والتَّباعُدِ حاجِبُ
نَزِيلُ الْحَشاَ لم يَرْعَ مَثْوًى به نَشاَ وكيف انْتِشاَ والوَجْدُ للصَّبِّ ناصِبُ
ولِمْ طَبْعُه لم يكسب الخفضَ بُرْهَةً مِن الجَفْنِ والوَلْهانُ للكسرِ كاسِبُ
له فى عُيونى مِن رَقيبىَ حارِسٌ ومن خاطِرِى خِلٌّ وَفِىٌّ وصاحِبُ

***

قوله : « له من غرامى » أحسنُ منه قولُ الخَفَاجِىِّ[2] :

تنازَع فيه الشوقَ قلبى وناظِرى فأثَّر فيه الطَّرْفُ والقلبُ ناصِبُ
وتنْظُره من قلبىَ الصَّبِّ أعْيُنٌ عليها لِمُنْحَنِى الضُّلوعِ حوَاجِبُ[3]

***

ومن تشبيهاته قولُه[4] :

رأيتُ يوماً عَجَباً فيالَهُ مِن عَجَبِ
النُّورَ مُبْيَضًّا على مُحْمرِّ لَوْنِ القُضُبِ
كخَيْمةٍ مِن فِضَّةٍ على عَمُودِ ذَهَبِ

***

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٥ .
(٢) البيت الثانى فى ريحانة الألبا ١/٢٦٦ .
(٣) فى الريحانة : « فى قلبى الصب » .
(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٣ .

ومنه قولُه أيضا[١] :

انْظُرْ إلى الزَّهرِ النَّضيرِ العَسْجَدِ ... يدعُو إلى لَهْوٍ كوَجْـهِ الأغْيَدِ

فالوردُ في الرَّوضـاتِ مُحْمَرٌّ على ... أغصانِه الخُضْرِ الحِسـانِ الميَّدِ

مُلاءةٌ مِن ذَهَبٍ مَنْشورَةٌ ... من تحتِها قَوائمُ الزَّبَرْجَـدِ

***

ومن غَزَلِيَّاتِه قولُه :

قام يَرْنُو بطَرْفِهِ حَوَرُ ... منه كلُّ الأنامِ قد سُحِرُوا

قام مِن نَوْمِه على كسلٍ ... جَفْنُه بالنُّعاسِ مُنْكَسِرُ

كسَّر الجسمَ والفـؤادَ فهل ... لِلقتيلِ المُهانِ مُنْتصِرُ

أطْلَع مِن جَيْبِه لِعاشقِه ... هالَةَ البَدْرِ ثوْبُه العطِرُ

سلَب العقْلَ مِن فَتًى دَنِفٍ ... ماله مُذْ رآهُ مُصْطَـبَرُ

حائرٌ مُغرَمٌ به قَلِقٌ ... لم يطِبْ بعـدَه له سَمَرُ

خَصْرُه طَبْعُه فإن بَلِيَ الثَّوْ ... بُ عليـه فضِمْنُه قمرُ

***

أصلُ هذا قولُ الأمير أبي المُطاع بن ناصر الدَّولة[٢] :

تَرَى الثِّيابَ مِن الكَتَّانِ يَلْمَحُها ... نُورٌ من البَدْرِ أحْياناً فيُبْلِيها[٣]

---

(١) خلاصة الأثر ٢/٢٩٣ .

(٢) أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله التغلبي ، ابن حمدان .
من شعراء اليتيمة ، ولي إمرة دمشق سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، ثم عزل ، وولي الإسكندرية وأعمالها سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وتوفي بدمشق سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .
معجم الأدباء ١١/١١٩ ـ ١٢١ ، وفيات الأعيان ٢/٤٤ ، ٤٥ ، وهـو فيها : « أبو المطاع ذو القرنين بن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله » ، يتيمة الدهر ١/١٠٦ ، ١٠٧ .
والبيتان في يتيمة الدهر ١/١٠٧ ، ومعاهد التنصيص ١/١٨٠ .

(٣) في اليتيمة : « أرى الثياب . . . ضوء من البدر » .

فكيف تُنْكِر أن تَبْلَى مَعاجِرُهُ والبدرُ فى كلِّ وقتٍ طالعٌ فيها[(١)]

وقد أخذه من قول ابنِ طَبَاطَبَا[(٢)] :

لا تَعْجَبُوا من بِلَى غِلالتِهِ قد زَرَّ أزرارَه على القَمرِ[(٣)]

وأخذه الرَّضيُّ للمُوسَوِيّ ، فقال من قصيدة[(٤)] :

كيف لا تَبْلَى غِلالَتُهُ وهو بدرٌ وهْى كَتَّانُ[(٥)]

وللقمر خاصِّيَّةٌ فى قَرْض الكَتَّان ؛ ولذلك قال مَن ذكر عيوبَ القمر : يهدِم العُمْرَ ، ويُحِلُّ الدَّين ، ويُوجِب أُجرةَ المنزل ، ويُسخِّن الماء ، ويُفْسِد اللحم ، ويُشْحِب اللَّون ، ويقرِض الكَتَّان ، ويُضِلُّ السَّارى ، لأنه يُخْفِى الكواكب ، ويُعين السارق ، ويفضَح العاشقَ الطارِق .

***

ومما يحسُن له قولُه :

ألقَى ذُؤابتَه فكانتْ حَيَّةً تسْعَى إلى إضْعافِ رِدْفٍ خارِجِى

وحَمَى مِن اللَّثْمِ الخُدَيْدَ بِعقْرَبٍ مَلْوِيَّةٍ من فوق جَمْرةِ مارِجِ

***

أخَذ الأوَّلَ من قول العُسَيْلِيّ[(٦)] :

---

(١) فى اليتيمة : « فكيف تنكر أن تبلى معاجرها » .
والمعجر ، كمنبر: ثوب تعتجر به المرأة ، أى تلفه عليها .

(٢) هو أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد الحسنى ، ابن طباطبا .
مولده بأصبهان ، وهو شاعر مفلق ، وعالم محقق ، وهو صاحب « عيار الشعر » .
توفى بأصبهان سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .
معاهد التنصيص ١/ ١٧٩ ، ١٨٠ .
والبيت فيه ١/ ١٧٩ .

(٣) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .

(٤) ديوان الشريف الرضى ٢/ ٩١٤ ، معاهد التنصيص ١/ ١٨٠ .

(٥) فى الديوان ، والمعاهد : « لا تبلى غلائله » .

(٦) يعنى نور الدين على بن محمد العسيلى المصرى الشافعى ، المتوفى سنة أربع وتسعين وتسعمائة .
انظر ترجمته فى : خبايا الزوايا لوحة ١١١ ا ، ريحانة الألبا ٢/ ١٩٧-٢٠٧ ، شذرات الذهب ٨/ ٤٣٤ .
والبيتان فى ريحانة الألبا ٢/ ٢٠٠ .

دَبَّتْ له ذُؤابَـــةٌ كحَيَّةٍ مِن خَلْفِهِ
تَحْمِي ضَعِيفَ خَصْرِهِ مِن خَارِجِيِّ رِدْفِهِ

واسْتعمله الفَيُّومِيّ فى أبياتٍ أُخَر ، ومَحَلُّ الشاهد منها :

ويحْمِي خَارِجِيَّ الرِّدْفِ منه   بحَيَّاتٍ له ذاتِ اعْوِجاجِ

قلتُ : والنِّسْبة فى خارِجِيّ للمبالغة كدُوَّادِيّ .

قال ابنُ جِنِّي ، فى « سر الصناعة » : وسَمَّوا كلَّ ما فاق حُسْنُه ، وفاوَق نَظائرَه خارِجيًّا ، قال طُفَيْل[1] :

وعارِضْتُها رَهْواً على مُتتابِـعٍ   شَدِيدِ القُصَيْرَى خَارِجِيٍّ مُحَنَّبِ[2]

انتهى .

وبهذا يتمُّ حُسْنُ قولِ ابن النَّبيه[3] :

خُذُوا حِذْرَكم مِن خَارِجِيِّ عِذَارِهِ   فقد جاء زَحْفاً فى كُتَيْبته الخضْرَا[4]

***

وله ، وفيه الْتزام لطيف :

---

(١) طفيل بن عوف الغنوى ، شاعر جاهلى ، من أوصف الناس للخيل ، كان يقال له المحبر ؛ لحسن شعره.
الأغانى ١٥/٣٤٩ ـ ٣٥٧ ، الاقتضاب ٣٢٧ ، خزانة الأدب ٣/٦٤٢ ، ٦٤٣ ، سمط اللآلى ١/٢١٠ ، الشعر والشعراء ١/٤٥٣ ، ٤٥٤ ، المؤتلف والمختلف ٢١٧ ، ٢١٨ .
والبيت فى الاقتضاب ٣٢٧ ، اللسان (خرج) ٢/٢٥٠ .

(٢) ورد البيت فى الأصول مضطربا مصحفا محرفا هكذا :

عرضتها دهرا على متتابع   شد القصيرى خارجى مخبب

والمثبت فى المصادر السابقة ، وفى اللسان : « خارجى مجنب » ، وهو خطأ .
وقد فسر ابن السيد غريب البيت فقال : « والرهو : السير السهل ، والمتتابع : الذى تتابع خلقه فى الجودة ، أى اتسق واطرد ، فليس فيه عضو يستقبح ويخالف غيره ، والقصيرى : الضلع التى فى آخر الأضلاع ، وأراد هاهنا الخاصرة كلها ، والخارجى : الذى خرج بنفسه وشرف بها » .
وفرس محنب : بعد مابين رجليه من غير فحج ، انظر اللسان (ح ن ب) ١/٣٣٥ .

(٣) ديوان ابن النبيه ٤٩ .

(٤) كذا فى الأصول ، والديوان : « كتيبته » بالتاء ، ولعل الصواب بالثاء .

مِن عَالَمِ الذَّرِّ لى إلفٌ ومعرفةٌ به فهل جائزٌ فى الحبِّ يُنْكِرُنى[1]

أبيتُ أذْكرُه جُنحَ الظَّلام فهلْ فى ساعةٍ من لَيالِى الدهر يذْكُرنِى

صَبراً فأىُّ فَتًى أرْضَى بِحُكْمِ رَشاً يَذُمُّنِى فى الهوى يوماً ويشكرنِى

كما رَضِيتُ بوَصْلٍ منه لى وقِلًى والحبُّ والوَجْدُ يُصْحِينِى ويُسْكِرنِى

***

وله[2] :

تَبدَّى مَلِيكُ الحُسْنِ فى مَجْلِسِ البَسْطِ بِقَدٍّ كغُصْنِ البانِ أو ألِفِ الخطِّ

وأبْدَى على شَرْطِ المَحبَّةِ حُجَّةً مُسلَّمةً أحكامُها قطُّ ما تُخْطِى

ومِن شَرْطِه فى الخدِّ قُبلةُ عاشقٍ فكان مِدادُ الحُسنِ فى ذلك الشَّرْطِ

***

اختلَسه من قول ابنِ حِجَّة ، فى قصيدة قالها فى مَدْحِ حَماة[3] :

وقد جاء شَرْطُ البَيْنِ أنِّى أغِيبُ عن حِماها فقد أَدْمَى فُؤادِىَ بالشَّرْطِ[4]

***

وله :

بدرٌ من التُّرْكِ فى ثوبٍ من الشَّفَقِ قد حَلَّ من رَوضةِ الأزْهارِ فى أُفُقِ

عجِبتُ من أبيضٍ فى أسودٍ حَلَكٍ ولا عجيبَ لحُسْنُ البدرِ فى الغَسَقِ

يدُورُ بالرَّاحِ كالتِّبْرِ المُذابةِ فى كأسٍ كدُرٍّ نَضِيرٍ أبيضٍ يَقَقِ[5]

فبات يَشْفِى ويَسْقِى من مُدامتِه إلى الصباحِ فأحْيَتْ مَيِّتَ الرَّمَقِ

وقد بَدا سيفُ فَجْرِ الصبحِ مُرْتقِياً أفْعَى الدَّياجِى ففرَّتْ عنه مِن فَرَقِ

***

(١) فى ا : « فى الحب يتركنى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٣ .
(٣) بيت ابن حجة فى خلاصة الأثر أيضا ٢/٢٩٣ . (٤) فى خلاصة الأثر : « لقد أدمى » .
(٥) أبيض يقق : شديد البياض .

وله :

نَكْهَةٌ قد شَمِمْت من ذاتِ حُسْنٍ   تلك مَسْكِيَّةٌ وذى تُرْكِيَّهْ
وَجْنــــةٌ عُطِّرتْ بنُقْطةِ خَالٍ   تلك وَرْدِيَّةٌ وذى مِسْكِيَّهْ
شاكَلتْ مُقْلتــــاهُ قَامةَ خَدٍّ   تلك قَتَّالَةٌ وذى فَتْكِيَّهْ

***

مِثْلُ قولِ ابن شمسِ الدين البَصِير[1] ، نَزِيلِ الخانقاه السَّرْياقُوسِيَّة[2] :

قلتُ لمَّا أدارَ مِسْكاً وخَمْرًا   ذُو دَلالٍ وأعْيُنٍ سَحَّارَهْ
لَك واللهِ نَكْهَةٌ ورُضابٌ   تلك عَطَّارَةٌ وذى خَمَّـــارَهْ

***

ورأى فى بروسة[3] الحَمَّامَ الخَلْقِىَّ ، الذى يُقال له : قبلجه ، وهو ماء حارٌّ يخرج من تحت جبلٍ عالٍ ، فقال :

وماء له طَبْعُ الحرارةِ خِلْقَةً   مِن الجبلِ الصَّلْدِ العظيمِ لقد سَلَكْ
إلى كلِّ حَوضٍ مُسْتَدِيرٍ مُوَسَّعٍ   تراه مَدارَ الماءِ مَلْعبةَ السَّمَكْ
تدُور به الوِلْدانُ طالعـــةً وقد   تَغِيبُ كشأْنِ النَّيِّراتِ من الفَلَكْ[4]

***

وقال ، وهو معنًى حسَن[5] :

وحَوْضٍ كبيرٍ مستديرٍ وماؤه   حَرارتُه بالطَّبْعِ للبردِ دافِعَهْ[6]
أحاطتْ به الأقمارُ مِن كلِّ جانبٍ   ومِن أُفْقِه شمسُ المَحاسنِ طالِعَهْ

***

(١) ترجمه الخفاجى فى خبايا الزوايا لوحة ١٥٣ ا ، ريحانة الألبا ٢/٨٢ – ٨٤ .   (٢) سرياقوس : بليدة فى نواحى القاهرة بمصر . معجم البلدان ٣/٨٨ ، وانظر الخطط التوفيقية ١٢/٢٠ .
والبيتان فى ريحانة الألبا ٢/٨٣ .
(٣) فى الأصول : « بورسه » ، والمثبت فى الخلاصة ، والخبر والشعر فيها ٢/٢٩٤ .
(٤) فى خلاصة الأثر : « كشأن النيرين من الفلك » .   (٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٤ .
(٦) فى ب : « وحوض كبير » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

ومن لَطائِفه قولُه[1] :

ولى حبيبٌ قد سالَمَاهُ   عذبًا وطَرْفاهُ سَالمَاهُ[2]

فيا خليلى عُذْرًا لصَبٍّ   جُودَا وإلَّا فَسالِماهُ

فالطَّرْفُ هَامٍ من التَّجافِى   طُولَ الليالى قد سالَ مَاهُ

وسَاكِنُ القلبِ مُذْ رَآهُ   يَهِيمُ بالوَجْدِ سالَ مَاهُو

الأول: سَاء[3]، بالهمزة مَقْصورٌ للشِّعر، ولَمَاه : رِيقُه ، فاعِلُه،وإساءتُه:مَنْعُه لِوارِدِه .

والثانى : ماضٍ ، والألف للتَّثنية .

والثالث : أمرٌ لِاثْنَيْن .

والرابع : مِن الإسالة ، والماء قُصِر للضرورة .

والخامس : من السُّؤال ، سُهِّلت الهمزةُ ضرورةً و « ما » سؤالٌ على سبيل تَجاهُلِ العارِف .

***

وقد عارَض[4] بهذه الأبيات أبياتَ أحمد السَّنَقِ[5] ، المعروف بقَعُود وزاد عليه التَّصْريع .

---

(١) الأبيات وتفسيرها فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٤ .   (٢) فى خلاصة الأثر : « لى حبيب » .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والخلاصة .   (٤) هذا الفصل فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٤ ، ٢٩٥ .   (٥) فى الأصول ، والخلاصة : « النسى » ، وهو خطأ ، يصححه ما ورد من شعر للأصيل فيه فى ريحانة الألبا ٢/١٣٤ .

وهو أحمد بن أبى بكر السنق الخزرجى المالكى ، الشهير بقعود .

إمام بارع ، ماهر فى كثير من الفنون ، حسن النظم والنثر .

أخذ عن النجم الغيطى ، والناصر اللقانى ، ومن فى طبقتهما .

وأخذ عنه جماعة من العلماء ، منهم ولده أبو بكر ، والشهاب الخفاجى .

وله مؤلفات ؛ منها : « منظومة فى النحو » ، « وتذكرة » جمع فيها من لقيه من الشيوخ ، ومن عاصره ، وكثيرا من نظمه .

توفى سنة سبع بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ١٤٧ ا ، خلاصة الأثر ١/١٥٩ ـ ١٦١ ، ريحانة الألبا ٢/١٣٣ ـ ١٣٦ .

وأبياتُ السَّنَوِىّ[1] :

يا صاحِبَىَّ اتْرُكَا مُعَنًّى   أو فاعْذُلاهُ وعارِضَاهُ
فما تُطِيقانِ رُشْدَ غاوٍ   بما يُلاقِى وَعَى رِضَاهُ
سَبَى حَشَاهُ والعقلَ منه   عَيْنَا غَزالٍ وعارِضَاهُ
يا جَمْعَ مَن صَيَّرَ التَّصابِى   فى الحُسْنِ عارًا بالعارِ ضَاهُوا[2]

***

ومن مَقاطيعِه قولُه :

لقد كرَّم الرحمنُ وَجْهَ مُعَذِّبِى   بِمَشَّاقةِ حُسْنٍ وهْى زِينَةُ خَدِّهِ[3]
فتجْذِبُ حَبَّاتِ القلوبِ لحُبِّه   بحَبَّةِ مِسْكٍ أذْفَرٍ عند صَدِّهِ[4]

***

وله :

لَمَّا بَدَا حولَ وَرْدِ الخدِّ آسُ رُبًا   نَبَاتُه فى رياضِ الحُسْنِ قد طَلَعَا
لم يَرْضَ تَقْبِيلَه يوماً ولا عَجَبٌ   فما خَراجٌ على غيرِ الذى زَرَعَا

***

وقوله[5] :

فِكْرِى وعقلى عندكم وبكُمْ   قد صِرْتُ فى شُغْلٍ وفى سُكْرِ
فاعْجَبْ لمَن كتبتْ أنامِلُه   خَطًّا بلا عَقْلٍ ولا فِكْرِ

***

وقوله فى معناه[6] :

قد قِيلَ إنَّ المالَ عقلُ الفتى   به له التَّصْرِيفُ فى النَّقْلِ
فقلتُ لا تعجَبْ فكم فى الورَى   مِن عاقلٍ أضْحَى بلا عَقْلِ

***

(١) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/ ١٦٠أيضا ، ريحانة الألبا ٢/ ١٣٤. (٢) فى الريحانة، والخلاصة ١/ ١٦٠ : « من صيروا التصابى » . (٣) فى الأصول : « بعشاقه » ، ولعل الصواب ماأثبته .
(٤) مسك أذفر : جيد إلى الغاية . (٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/ ٢٩٥ .
(٦) خلاصة الأثر ٢/ ٢٩٧ .

وقوله[1] :

وَمُذْ رامَ الهلالُ وقد تَعَدَّى مُشابَهَةً له من غيرِ قَابِلْ
أجابَ قُلَمْتُ مِن ظُفْرِي شَبِيهاً له وطَرَحْتُه فوقَ المَزابِلْ[2]

***

تناوَلَه من قول التَّقِيّ الفَارِسكُورِيّ[3] :

وما في البدرِ مَعْنًى منه إلَّا قُلامة ظُفْرِه مِثْل الهِلالِ

والتَّقِيُّ أخذَه من قول ابن المُعْتَزّ[4] :

ولاح ضَوْءُ هِلالٍ كاد يفضحُنا مثل القُلَامةِ قد قُدَّتْ من الظُّفُرِ[5]

وابن المُعتزّ أخذَه من قَولِ بعضِ العرب[6] :

كأنَّ ابنَ لَيْلَتِها جانحاً فَسِيطٌ لَدَى الأُفْقِ مِن خِنْصَرِ

وابنُ اللَّيلة الهلالُ[7] ، والفَسِيط ، بفتح الفاء وكسر السِّين المُهملَة : قُلامةُ الظفر.

---

(١) البيتان في خلاصة الأثر ٤/٨٩ . (٢) في خلاصة الأثر : «ورميته فوق المزابل» .

(٣) تقي الدين محمد بن عمر بن محمد الفارسكوري المصري ، قاضي القضاة .

كان من الأدب ، والبلاغة ، والشعر ، وصحة التخيل ، والانطباع ، في الذروة العليا ، وكان عارفا بكثير من الفنون ، كثير الاطلاع .

اتصل ، وهـو بمصر ، بخدمة قاضيها شيخ الإسلام يحيى بن زكريا ، وتوجه بخدمته إلى الديار الرومية ، وأقام بها .

واشتغل بالتدريس والقضاء ، وجمع مدائح أستاذه يحيى بن زكريا ، التي مدح بها في بلاد العرب أيام قضائه ، بحلب ، ودمشق ، ومصر .

توفي بدمشق وهو مار إلى القدس ، سنة سبع وخمسين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خبايا الزوايا لوحـة ١٤٥ ا ، الخطط التوفيقية ١٤/٦٥ ، ٦٦ ، خلاصة الأثر ٤/٨٢ ـ ٨٩ ، ريحانة الألبا ٢/٧٠ ـ ٧٣ .

والبيت له في خلاصة الأثر ٤/٨٩ ، وذكر المحبي أن فيه حسن الإتباع .

(٤) البيت في : ثمار القلوب ٢٦٤ ، جمهرة الأمثال ١/٢٤ ، خلاصة الأثر ٤/٨٨ ، المثل السائر ٢٥٠ ، ولم أجد البيت في ديوانه المطبوع ، وفي الجزء الرابع منه ، صفحة ٨٩ قوله :

أَعْمَلْتُها والبدرُ مُؤْتَنِفٌ حتى انْكَفا كقُلَامةِ الظُّفْرِ

(٥) في جمهرة الأمثال : «كاد يفضحه .. قد قصت من الظفر» ، وفي المثل السائر : «ولاح ضوء قمير» .

(٦) هو عمرو بن قميئة ، كما في اللسان (ف س ط) ٧/٣٧١ ، والبيت في : ديوانه ١٩٣ ، وانظر التخريج فيه ، وهو أيضا في خلاصة الأثر ٤/٨٩ . (٧) هذا نقل عن ثمار القلوب ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(١ ويُرْوَى : « كأنَّ ابنَ مُزْنَتِها(٢) » ، ومعناه حين انقشعَت عنه السحابةُ بَدَا كقُلامةِ الظُّفْرِ ١) .

وهنا فائدة ، ذكرها ابنُ الأثير ، فى « المثل السائر(٣) » ، قال : واعلَمْ أنَّ من التَّشبيه ضَرْباً يُسمَّى الطَّرْدَ والعَكْس ، وهو : أن يُجعَل المُشبَّه به مُشبَّهاً ، والمُشبَّه مُشبَّها به ، وبعضُهم يُسمِّيه غَلَبةَ الفُروع على الأصول ، ولا تجِد شيئاً من ذلك إلَّا والغرَضُ به المُبالغة ، فما جاء من ذلك قولُ عبد الله بن المُعتزّ ـ وأنشَد البيت ـ ألا ترى إليه كيف جعَل الأصْل فَرْعاً ، والفَرْعَ أصْلاً(٤) ، وذلك أنَّ العادَة أن تُشبَّه القُلامةُ بالهِلال ، وإنَّما فعَل ذلك مُبالغة وإيذاناً بأنه لما صار ذلك مشهورا مُتعارفا حسُن عكسُ القضيَّة فيه.

قلتُ : فبيتُ التَّقِيّ والفيُّومِيّ جارِيان على الأصل ، والثَّانيان على العكس .

***

وله :

جاء المَليحُ بأسودٍ فى أبيضٍ ... مِن قَهوةٍ تَزْوِى عن المِسْكِ الذَّكِي

فنظَرتُها ونظرتُ حُسْنَ عُيونِه ... والفَرْقُ فيه اختار ذو عقلٍ ذَكِي

***

كأنَّه نظَر إلى قول الجمال العِصَامِيّ(٥) :

فِنجانُ قَهْوةِ ذا المَليحِ وعَيْنُه الْـ ... ـكَحْلاء حارَتْ فيهما الألبابُ

فسوَادُها كسوَادِها وبياضُها ... كبَياضِها ودُخانُها الأهْدابُ(٦)

***

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، ثمار القلوب . (٢) وهى رواية أكثر المصادر ، وروايتنا فى : الجمهرة ٣/٢٦ ، وثمار القلوب ٢٦٣ ، وخلاصة الأثر ٤/٨٩ ، وفى الصناعتين ٢٢٣ : « كأن ابن ليلته » . (٣) المثل السائر ٢٤٩ ، ٢٥٠ . (٤) حكى المؤلف هنا معنى قول ابن الأثير ولم يحك لفظه . (٥) هو العلامة جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين الإسفرايني العصامي ، وقد ترجمه الخفاجي فى الريحانة ١/٤١٧ ـ ٤٢٤ .
والبيتان فى الريحانة ١/٤١٧ .
(٦) فى الأصول : « كسوادها وبياضه » ، والمثبت فى الريحانة .

وله فى الدُّولاب [1] :

إنما الدُّولابُ فى دَوْرِهِ ... بِهِمٌّ من شَوْقٍ وأشْجَانِ
يَنُوحُ حُزْناً ويُرَى باكِياً ... بأعْيُنٍ تَهْمِى على البَانِ

***

قريبٌ من قول ابن عبد السلام المِصْرِىّ [2] :

ورَوْضة دُولابُهــــا دائرٌ ... مُوَلَّهٌ مِن فَرْطِ أشْجانِهْ
فــكلُّه مِن وَجْدِهِ أعْيُنٌ ... تبـكِى على فُرْقةِ أغْصانِهْ

وهذا المعنى كثير ، وقد تقدَّم ما يُغنى عن ذِكْرِه .

***

وله فى دولاب العيد [3] :

دولابُ عِيدٍ دار بالمُنْحنَى ... لِطَلْعـــةٍ قامتُها ناضِرَهْ
يَرْوِى لنا عن فَلَكٍ نَاضِرٍ ... والشمسُ مازالتْ به دائِرَهْ [4]

***

وله :

شَبَّابَةٌ قامتْ بمَوْصُولِها ... وعَيْنُها جارِيةٌ باكِيَهْ
تُشِيرُ بالعَيْنِ إلى ذِى جَوًى ... بأنَّها مِن وَجْدِها شاكِيَهْ

***

مِثْلُه لابن الأزهرىّ [5] :

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٣ .

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٣ لأحمد بن عبد السلام المصرى ، وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد ، شهاب الدين ابن عبد السلام ، قاضى منوف ، المتوفى سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة .
الأعلام ١/٢٢١ ، ٢٢٢ ، وانظر مصادره .

(٣) خلاصة الأثر ٢/٢٩٤ . (٤) فى خلاصة الأثر : « عن فلك دائر » .

(٥) هو بدر الدين بن الأزهرى ، شاعر مصرى معاصر للخفاجى ، وقد ترجم فى : خبايا الزوايا لوحة ١٤١ ا ، ريحانة الألبا ٢/١٢٥ ـ ١٢٧ .
والبيتان فى ريحانة الألبا ٢/١٢٦ .

يا حُسْنَها شَبَّابة لم ينْقطِعْ   مَوْصولُها عِندى وذلكَ تَرَنُّمُ[١]
بالرَّمْز تُفْهِمنى إشاراتِ الورَى   أوَمَا تَرَاهَا بالعُيونِ تَـكلَّمُ[٢]

شَبَّابة ، بالتَّشديد : قَصبةُ الزَّمْر المعروفة ، مُولَّدة[٣] .

قال المُشِدّ[٤] :

ومُطْرِبٍ قد رأيْنا فى أناملِه   شَبَّابةً لِسُرورِ النفسِ أهَّلَهَا
كأنه عاشقٌ وَافَتْ حبيبتَه   فضمَّها بيَدَيْه ثم قَبَّلَهَا

ولشافِع[٥] :

شَغَفَتْنَا شَبَّـــــابةٌ بِهَواهَا   كلّ مايُنْسَبُ الكَئيبُ إليْهَا[٦]
كيف والمُحْسِنُ المُقَوِّلُ فيهـــا   آخِذٌ أمْرَها بِكِلْتا يدَيْهَا[٧]

والمُقوِّل : الزَّامِر ، والعجم تقول له : قَوَّال .

***

---

(١) عجز البيت فى الريحانة : « موصولها لنا غدت تترنم » . (٢) فى الريحانة : «إشارات الهوى» .

(٣) هـــذا قول الخفاجى ، فى شفاء الغليل ١٢٩ . (٤) تقدم التعريف بسيف الدين المشد ، فى الجزء الثانى صفحة ٦٢٠ .

والبيتان فى شفاء الغليل ١٢٩ .

(٥) شافع بن على بن عباس العسقلانى المصرى .

كان المباشر لديوان الإنشاء بمصر زمنا ، وهو شاعر مؤرخ ، جامع للكتب .

أصابه سهم فى صدغه فى وقعة حمص ، سنة ثمانين وستمائة ، فعمى ، وكانت وفاته سنة ثلاثين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٢/٢٨١ ـ ٢٨٣ فوات الوفيات ١/٣٧٦ ـ ٣٧٨ ، النجوم الزاهرة ٩/٢٨٤ ، ٢٨٥ ، نكت الهميان ١٦٣ ـ ١٦٧ .

والبيتان فى الدرر الكامنة ٢/٢٨٢ ، شفاء الغليل ١٢٩ ، النجـــوم الزاهرة ٩ / ٢٨٥ ، نكت الهميان ١٦٦ .

(٦) فى ا : « شغفتها شبابة » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وفى الدرر ، والنجوم ، ونكت الهميان : « سلبتنا شبابة بهواها » ، وفى شفاء الغليل : «شوقتنا شبابة تهواها » .

وفى الدرر ، والنجوم ، ونكت الهميان : « ينسب الكئيب إليه » .

(٧) فى الدرر ، والنجوم ، ونكت الهميان : «كيف لا والمحسن المقول ... بكلتا يديه » .

و « المقول » هكذا بالتشديد ، وسيشرحه نقلا عن شفاء الغليل ١٢٩ .

وله :

لَيْـــلُ هَجْرٍ مَـكانه سَنَةٌ ... أو مَسِيرٌ نأتْ مَراحِـــلُهُ
صُبْحُه كالمَدِينِ ماطَـــــلَهُ ... رَبُّ دَيْنٍ غَدَا يُماطِلُهُ[1]

***

أحسنُ منه قولُ ابن الجَزَرِيّ[2] :

وليلٍ كأنَّ الصُّبْحَ فيه مَآرِبٌ ... نُؤَمِّلُ أن تُقضَى وخِلٌّ نُصادِقُهْ

***

وله في بعض المُحْتَجِبين[3] :

أتيتُ بابَ كبيرٍ عند نائبــةٍ ... وجدْتُه مُغْلَقًا قلتُ الفـــتَى فَطِنُ
فقال لى صـــاحبى ما الرَّأْيُ قلتُ له ... رَأْيُ ابنِ عَبْدُوسَ رَأْيٌ كامِلٌ حَسَنُ

***

رَأْيُ ابن عَبْدُوس قولُه[4]

لنـــا قاضٍ له خُلُقٌ ... أقلُّ صِفاتِه النَّزَقُ[5]
إذا جِئْنـــاه يحْجُبنا ... فنَلْعنُهُ ونفــتَرِقُ

وقد اقتدت الأدباء بهذا الرأى كثيرا ، فمنهم ابن الخِصَال[6] فى قوله[7] :

جئناكَ للحاجةِ المَمْطولِ صاحبُها ... وأنت تَنْعَمُ والإخوانُ فى بُوسِ

(١) فى ا : « كالمدين ماصله » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) حسين بن أحمد بن حسين الحلبى ، المعروف بابن الجزرى .

نشأ بحلب ، ورحل إلى الشام والعراق ، ودخل الروم .

وله مدائح فى بنى سيفا أمراء طرابلس ، وقد جمع من شعره « ديوانا » .

واختلف فى وفاته ، فقيل : سنة ثلاث وثلاثين وألف ، وقيل : سنة أربعين وألف ، وقيل : سنة اثنتين وثلاثين وألف.

إعلام النبلاء ٦/ ٢١٤ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٧ ب ، خلاصة الأثر ٢/ ٨١ ، ريحانة الألبا ١/ ١١٣ـ ١٢٥ ، سلافة العصر ٣٩٣ .

والبيت فى : خلاصة الأثر ٢/ ٨٣ ، ريحانة الألبا ١/ ١١٦ .

(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/ ٢٩٧ . (٤) البيتان فى خلاصة الأثر أيضا ٢/ ٢٩٧ .

(٥) فى الخلاصة : «أقل ذميمه النزق» ، وهى رواية حسنة . (٦) هكذا فى الأصول ، والمعروف : «ابن أبى الخصال» ، وهو محمد بن مسعود الغافقى ، الوزير الأندلسى ، المتوفى سنة أربعين وخمسمائة . قلائد العقيان ١٧٤ـ ١٨٠ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٨٧ـ ١٨٩ . (٧) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/ ٢٩٧ .

وقد وقفنا طويلًا عند بابكمُ ... ثم انصرفنا على رأي ابن عبدوسِ

ولمحمد بن بدر الدين القوصوني[1] مثله من فصل[2] : الرأيُ الصَّواب ، في المُتوارِي[3] بالحِجاب ، رأيُ ابنِ عَبْدُوس ، وما سِواه رأيٌ مَنحوس ، بل عذابٌ وبُوس .

***

وله في الخضوع[4] :

يا مَن له مُهجتي رِقٌّ ولي شَرَفٌ ... بأنّني عبدُه جَهْري وإسْرارِي

عَتَقْتَ قلبيَ من زَيْغٍ ومن زَلَلٍ ... وعِتْقُ ذِي سَفَهٍ فيما بَقِي سارِي

مَنَنْتَ باللُّطفِ في الأُولى ولا عَجَبٌ ... أن تُعتِقَ الجسمَ في الأُخرى من النارِ

***

منه قولُ البدرِ القَرافِيّ[5] :

منك البَداءةُ بالإحسانِ حاصِلةٌ ... ملَّكْتَنِي الرِّقَّ فضلاً منك لي سارِي[6]

أَلهمْتَنِي بعدَه عِتْقاً لتُكرِمَنِي ... فاختِمْ بخيرٍ به عِتقِي من النارِ

---

(١) في ا : « القوصني » ، والمثبت في : ب ، ج .
وقد ترجمه الخفاجي في : خبايا الزوايا لوحة ١٤٦ ب ، وريحانة الألبا ٢/١٢٠ ، ٢١١ ، ونعته بالطبيب ، وانظر الكواكب السائرة ١/٨٢ .

(٢) الفصل في خلاصة الأثر ٢/٢٩٧ . (٣) في الخلاصة : « التوارى » .

(٤) الأبيات في خلاصة الأثر ٢/٢٩٧ . (٥) بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي المصري المالكي القاضي .
ولد سنة تسع وثلاثين وتسعمائة .
وأخذ فقه المالكية عن والده ، وشيوخ المالكية في عصره ، وسمع الحديث من الجمال يوسف بن زكريا ، والنجم الغيطي ، والصالح أبي عبد الله بن أبي البقاء البكري الحنفي .
ثم ولي قضاء المالكية ، وصار شيخهم .
وله تآليف كثيرة ، منها : « شرح ابن الحاجب » ، و « ذيل الديباج لابن فرحون » ، و « شرح الموطأ » ، و « شرح التهذيب » .
توفي سنة ثمان بعد الألف .
خبايا الزوايا لوحة ١٣٠ ب ، خلاصة الأثر ٤/٢٥٨ – ٢٦٢ ، ريحانة الألبا ٢/١٠٤ – ١٠٦ ، الكواكب السائرة ١/١٣ .
والبيتان في : خلاصة الأثر ٢/٢٩٨ ، ريحانة الألبا ٢/١٠٥ .

(٦) في الأصول : « منك المبداوة » ، والمثبت في : الخلاصة ، والريحانة .

وللحافظ ابن حَجَر[١] :

يا رَبِّ أعضاء السُّجُودِ عَتَقْتَها من فضلِك الوافِى وأنتَ الوَاقِى
والعِتقُ يَسْرِى فى الغِنَى يا ذا الغِنَى فامْنُنْ علَى الفانِى بعِتقِ الباقِى[٢]

والأصلُ فيه قولُ ذِى الرُّمّة ، قال الشَّرِيشِىّ[٣] : وهو آخِرُ[٤] شعرٍ قاله[٥] :

يا رَبِّ قد أسْرَفتْ نَفسِى وقد عَلِمَتْ عِلْماً يَقِيناً لقد أحْصَيْتَ آثارِى[٦]
يا مُخْرِجَ الرُّوحِ من نفسِى إذا احْتُضِرتْ وفارِجَ الكَرْبِ زَحْزِحْنِى عن النارِ[٧]

***

وله من فصل فى مَعْرِض شِكايَة[٨] من الزمن[٩] :

قد كان الفضلُ فى المَرَاقِى ، من نَصْل عُيونِ الدهرِ هو الرَّاقِى ، والتَّرَقِّى فى الأدب بِه التَّوَقِّى من النَّصَبِ والوَصَب ، وكل هذا ذَهَب ، وانْحَصر الدواء فى الفضَّة والذَّهب .

فالمُفْلِحون بخَبايا[١٠] النُّقود قُعود ، والمُفْلِسون فى زَوَايا الخُمول رُقُود .

فدَعْ فَضْلَ العِلمِ والنَّسَب[١١] ، واسْمَ أن يكون لك من المالِ خيرُ نَشَب .

فقد كان الأدبُ وَدِيعةً واسْتَرِدّ ، وصار الدرهمُ مَرْهَماً ولِبُرْءِ ساعةٍ اسْتُعِدّ .

***

ومن هذا القَبِيل قول زين الدين الجَزَرِىّ[١٢] من مَقامةٍ له :

قد كان شرابُ الأُصولِ يُداوِى العليل، والآن ليس فى غيرِ الدِّينار شِفاء للغَليل[١٣] .

ألم تسمعْ أن الدراهم ، لجُروحِ العُدْم مَراهم !

وقد استردَّت الأيام ، ودائعَ المَكارمِ والكِرام !

☆☆☆

(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ٢/٢٩٨ ، ريحانة الألبا ٢/١٠٦ .
(٢) فى الريحانة : « يسرى بالغنى » ، وفى الخلاصة : « يسرى فى الفتى » .
وانظر تحرير هذا الأمر فى حاشية الريحانة ٢/١٠٦ .
(٣) شرح المقامات الحريرية ١/٢٠ . (٤) فى شرح المقامات : « أحسن » .
(٥) ديوان ذى الرمة ٦٦٧ ، فيما نسب إليه ، وشرح المقامات ، الموضع السابق . (٦) فى الديوان : « أشرفت نفسى » . (٧) فى الديوان : « يا مخرج الروح من جسمى » . (٨) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٩) هذا الفصل فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٥ . (١٠) فى الخلاصة : « فى خبايا » .
(١١) فى الخلاصة : « والحسب » . (١٢) خلاصة الأثر ٢/٢٩٥ ، وفيه : « زين الدين بن الجزرى » .
(١٣) فى ب ، ج : « القليل » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة .

٣٤٠

يس الحمصي العليمي*

نزيل القاهرة

مُنتهى بدَعِ الفنون ، ومُنتدَى نزَهِ العيون .

الذى بَعث نفَسًا عاطِراً إلى الإحسان ، وأنبتَه عِقْداً نفِيسا فى جِيدِ الكواعِب الحسان .

يتناول المَعانى والألفاظ مِن مَدًى قريب ، وإن مدّ باعَه فمن سَحاب وإن اغترف فمِن قَليب .

وحَواشِيه حَواشِى خُدود ، لا حَواشِى بُرُود ، وتخريجاتُ أصْداغٍ على وَجَنات ، أو سَوالفُ على خُدودٍ غانِيات .

***

وله أشعار تُحَلُّ لها عُقَد الحُبَى ، وتهتزُّ لها النفوسُ كما يهتزُّ تحت القَطْرِ الرُّبَى .

وكان عهدُه قد جمع نَضارةَ الوردِ إلى بقاء الآس ، وافترّ عن رِقّةِ المُدامةِ فى نَقاء الكاس .

وهو يرجِع إلى شِيَمٍ دَمِثة ، وهِمَمٍ على الخير مُنبعِثة .

(*) يس بن زين الدين بن أبى بكر العليمى الحمصى الشافعى .

شيخ العربية ، وقدوة أرباب البيان .

ولد بحمص ، ورحل مع والده إلى مصر ، ونشأ بها ، وقرأ على منصور السطوحى ، والشهاب الغنيمى ، والشمس الشوبرى .

وتصدر فى الأزهر لإقراء العلوم ، وشاع ذكره ، وبعد صيته .

وله حواش كثيرة ، منها : « حاشية على المطول » ، و « حاشية على شرح القطر للفاكهى » .

توفى سنة إحدى وستين وألف .

خلاصة الأثر ١/٤٩١ ، ٤٩٢ .

طالما هبَّت منه على طَلَبته نَسْمةُ المُنَى[١]، فنبَّهت من أفواههم زهرةَ الثَّنا.
وقد أثبتُّ له ما إذا تُلِىَ وَصَفَ نفسَه، وأطلَع نهارُ طِرْسِه شمْسَه.
فمنه قوله[٢]:

في لَحظِه سِحرٌ فلم أرَ صارماً ... في غِمْدِه يَفرِي سِواهُ فمن يَرَى[٣]
عَجَباً لغُصنِ البانِ مَن أعطافُه ... فوقَ الكثيبِ لبدرِ تِمٍّ أثمرَا
صَبَرتُ عنه القلبَ فهو بصَبْرِه ... مَيْتٌ عسى يَرْثِي لِمَيْتٍ صُبِّرَا[٤]
وحديثُ دمعِي مُرسَلٌ لمَّا غدَا ... منه الصُّدودُ مُسَلْسَلاً ياما جرَى
فالرأسُ مُشتعِلٌ بشَيْبِ صُدودِه ... والعظْمُ أضحَى واهِياً وقد انبرَى
والقلبُ من مُوسَى لِحاظٍ قد غدَتْ ... مَرْضَى كَلِيمٍ وهْو لن يتغيَّرَا[٥]
إن رامَ مَرْأَى من بَديعِ جمالِه ... جعَل الجوابَ له وحقِّى لن تَرَى[٦]
واللَّحْظُ مِنِّى حين أبصرَ خَدَّهُ ... فيه الربيعُ جرَى عليه جَعْفَرا[٧]
ياذا الذى قد زارَ طيفُ خَيالِه ... وأتَى بَخِيلاً ماتأهَّل لِلقِرَى
بالطَّيفِ قد مَنَّيْتَ لكنْ بالأذَى ... أتبَعْتَه فسلَلْتَ من عينى الكرَى
ما زار إلَّا كى يُعاتِبَنِى على ... نَوْمِى فيُفْنِيه ويَجنَحُ للسُّرَى
ولَرُبَّ ليلٍ طال حتى إنَّنى ... قد قلتُ لو كان الصباحُ لأسْفَرَا
لكنْ ذكرتُ بطُولِه وسَوادِه ... شَعْرَ الحِسانِ فطاب لى أن أسْهرَا

***

(١) ذكر المحبي في خلاصة الأثر أن المترجم كان مغرما بالطيب، وإذا دخل الجامع الأزهر يشم من بصدره رائحة المسك والعنبر والغالية، فيعلم أهل الجامع بقدومه.

(٢) القصيدة في خلاصة الأثر ٤/٤٩٢.

(٣) في الأصول: «في غمده يفرى»، والمثبت في الخلاصة، ويشهد له ما يأتى في تعقيب المؤلف.

(٤) في الخلاصة: «فهو بهجره».

(٥) يشير إلى موسى الكليم عليه السلام.

(٦) يشير إلى قول ابن الفارض:

وإذا سألتُك أن أراكَ حقيقةً ... فاسمَحْ ولا تجعلْ جَوابى لن تَرَى

شرح ديوانه ١/١٨٤.

(٧) من معانى الجعفر: النهر الصغير والكبير والملآن.

قوله : « فى لحظه » صَدْر الأبياتَ من قولِ بعضهم :

كلُّ السيوفِ قَوَاطِعٌ إن جُرِّدتْ   وحُسامُ لَحْظِك قاطعٌ فى غِمْدِهِ

وقوله : « ياذا الذى » إلى آخر الأبيات الثلاثة ، هو معنى بَيْتَى صَرَّدُر [1] :

زار الخيالُ بَخيلاً مثـل مُرْسِلِهِ   فما شَفانِىَ منه الضَّمُّ والْقُبَلُ

مازارنى قطُّ إلَّا كىْ يُعاتِبنى   عَلَى الرُّقادِ فيُفْنِيـه ويَرْتحِلُ

وهو مسبوقٌ إليه أيضا ، فى قولِ بعضهم :

طيفُ خَيالِ هاجِرِى   ألَمَّ بى فمـــا وَقَفْ

عاتَبَنِى على الْـكَرَى   ثُمَّ نَفــاهُ وانْصَرَفْ

قلت : وهو إن تجارَى مع غيره فى مَيْدان تلك التَّحاسِين ، فـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ شريفة وليست من رجال ﴿ يسٓ ﴾ .

⁂

(١) لم أجد البيتين فى ديوانه المطبوع .

٣٤١
محمد الحَموِىّ*

نزيل القاهرة

هو بين العلماء صاحبُ وَجاهة ، تستعير[1] أولو الأخطار لَدَى الأزمة هِمَّته وجاهَه.

لَيِّن المُهْتَصَر والعُود ، أملَسُ العِرْض مَصقول شَبَا الوُعُود .

تصدَّر تَصَدُّر الجِهْبِذ النِّحْرِير ، وأغنَى الطُّلَّاب بما أبْداه على « المغنى » من التَّقْرِير

والتَّحرير ، فأصبح الـكل[2] من أهلِ الإفادة ، يتقرَّبون إليه بالتَّلمذِ والاسْتفادَة .

وكان فَرْدَ العِلْم فى عصره ، لا بل العَلَمَ الفَرْدَ بين مَشايخ مِصْرِه .

مع ذَاتٍ بَهِيَّة مطبوعة ، وأداة فواكهُها الحَمْوِيَّة غيرُ مقطوعة ولا ممْنوعة .

***

وقد أوردتُ له ما يَبْتَهِج ابتهاجَ الربيع ببُرْدِه ، ويَرُوق رَوْقَ الرِّيق فى حَلاوتِه وبَرْدِه .

فمنه قوله ، من قصيدة أولها[3] :

أوُجُوهُ غِيدٍ أم جِنانُ رُبوعِ ... وعيونُ آرامٍ تَزِيدُ وُلوعِى

أم نَشْرُ زَهْرٍ ضاعَ فامْتلأ الرُّبَى ... عِطْرًا عَبِيرًا أم رياضُ ربيعِ[4]

(*) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحموى الحنفى .

نزيل مصر .

كان إماما عالما بالفقه ، والتفسير ، والحديث ، والقراءات ، والأصول ، والنحو .

أخذ عن النور الزيادى ، والشمس محمد الخفاجى ، ومحمد الوسيمى ، وغيرهم .

وله مؤلفات ؛ منها : « حاشية على المغنى » ، و« حاشية على شرح القواعد الهشامية للشيخ خالد » .

توفى بمصر ، سنة سبع عشرة بعد الألف .

خلاصة الأثر ٣/٤٨٩ ، ٤٩٠ .

(١) فى ج : « تستعين » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ب : « الـكل » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٤٨٩ ، ٤٩٠ ، وهى هناك أوفى من هنا.

(٤) فى ا ، ب : « أم رياض عبير » ، وهو خطأ صوابه فى : ج ، والخلاصة.

والمـــاء قد صَقَلَ النَّسِيمُ مُتُونَهُ … أم فى جَداوِلِه مُتونُ دُروعِ
والطَّلُّ قد زانَ الشَّقِيقَ بلُؤلُؤٍ … أم وَجْنــــةٌ مَطْلولةٌ بدُموعِ
والقُضْبُ مِن لُطْفِ النسيمِ تمايَلَتْ … خَجَلاً فأبْدَتْ ذِلَّتِي وخُضوعِي
والبدرُ أشرقَ فى ثَنِيَّاتِ الدُّجَى … سَهَرًا وبُرْدُ الليلِ فى تَوْشِيعِ[1]
سَفَرَ اللِّثــامَ فَلاح فى وَجَناتِه … وَرْدُ الخدودِ لحارَ فيه بَدِيعِى
سَاجِي اللَّواحِظِ فاتِكٌ بجُفونِه[2] … ذو خِبْرةٍ فى صَنْعةِ التَّقْطيعِ
ما نَمَّ مِسْكُ عِذارِه فى خَدِّه[3] … إلَّا لِيُظْهِر عُذْرَ كلِّ خَلِيعِ
والثَّغْرُ قد حازَ العُذَيْبَ وبارِقًا … وجَواهِرًا للدُّرِّ غيرَ مُضِيعِ[4]
يا قلبُ خَلِّ هوَى الحِسانِ وخَلِّنِي … مِن ذِكْرِ أحْبابٍ وذِكْرِ رُبوعِ[5]
واقْطَعْ أقاوِيلَ الوُشاةِ فقَطْعُها … سَبَبٌ لِوُصْلةِ حَبْلِنــا المَقْطوعِ

***

ومن دُرِّه المَكْنون ، بَدِيعيَّةٌ على قافية النون ، مستهلُّها[6] :

هَجْرِى علىَّ ولِى وَصْلٌ بأحْيانِي … أماتنِي الهجْرُ جاء الوَصْلُ أحْيانِي

***

قوله : «أماتنى» من قَوْلِ ابنِ الفَصِيح[7] ، صاحب «السِّراجيَّة» فى الفرائض[8] :

زارَ الحبيبُ فَحَيَّى … بِحُسْنِ ذاكَ المُحَيَّا[9]
مِن صَدِّه كنتُ مَيْتاً … مِن وَصْلِه عُدْتُ حَيًّا

(١) التوشيم : إعلام الثوب . (٢) فى ا : « فاتر بجفونه » ، والمثبت فى : ب، ج ، والخلاصة .
(٣) فى الخلاصة : « ماتم مسك عذاره » . (٤) فى ا ، ج : « وجواهر للدر » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة . (٥) فى ب : « وذكر ربوعى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة. (٦) مستهل البديعية فى خلاصة الأثر ٣/ ٤٨٩ أيضا . (٧) أحمد بن على بن أحمد الكوفى البغدادى ، المعروف بابن الفصيح.
فقيه حنفى ، تصدر للإفتاء والتدريس بدمشق .
وتوفى سنة خمس وخمسين وسبعمائة .
الجواهر المضية ١/ ٧٩ ، الدرر الكامنة ١/ ٢١٧ - ٢١٩ ، الطبقات السنية ، ترجمة رقم ٢٤٨ ، النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
(٨) البيتان فى النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٩٨ . (٩) فى النجوم : « ياحسن » .

٣٤٢

السيد أحمد الحَمَوِىّ

جميعُ السَّادة منه فى المنزلة ، منزلةُ الكِتابِ من البَسْمَلَة .

وهو فى المَجد مُتعادِل الوَصْفَيْن ، وفى السُّؤْدَد مُتكافِئُ الطَّرَفَيْن .

صحيح المُنْتسَب مِن القِدَم ، فضلٌ كلُّه من الفَرْقِ إلى القَدَم .

فأصله عَرِيقٌ وطبعُه شريف ، وروضُه وَرِيقٌ وظِلُّه وَرِيف .

تَملَّا من لُطْفِه ، وسال الوَقارُ على عِطْفِه .

فكأنّما أخلاقُه رَضَعت دَرَّ النَّعِيم ، فجاءتْ والحمدُ لله كالصِّحَّة فى جسم السَّقِيم .

فتدرَّج على دَرَج النُّجْح بأرْجاء الرَّجا ، وابْتهج بِمَطْلِعِه السَّعْدُ المُتألِّق بلألاء اللَّألا .

مَطْوِيًّا على نَشْرِ الكرم الفائِق المُستفِيض ، مُتبلِّجًا بأضواء المكارم الغُرّ وأنوارِ الأيادِى البِيض .

فألسِنةُ الثَّناء بفضلِه مُنطلِقه ، وأيْدِى الرَّجاء بحَبْلِه مُعْتلِقَة .

وهو فى ظِلٍّ من الأمْنِ مَدِيد ، ورأْيٍ بحَلِّ المُشْكلات سَدِيد .

فكم من فضلٍ أفاد ، وأدَبٍ أحْياه وقد باد .

وله فى الأدب ومُضافاتِه ، رُتْبةٌ يُعرَف مِقْدارُها من مُؤلَّفاتِه فيه ومُصنَّفاتِه .

* * *

وشِعْرُه كمَسْئُولِ الأمانى فى شَباب الزمان ، ومُعْتنَقِ قُدودِ الغوانِى فى ظِلِّ الأمْنِ والأمَان .

أوردتُ منه ما يُعطِّر أنفاسَ النَّسائم فى الهُبوب ، فهو إن لم يكن كنَمائِه العَطِر فكنَفَسِ[1] المَحْبوب .

---

(١) فى ب : « فكتنفس » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فمنه قوله من قصيدة :

وَرَقِيقِ خَصْرٍ بالنُّحولِ مُمَنْطَقٍ قد رُيِّشَتْ بالهُدْبِ لى أجفانُهُ
غُصْنٌ على دِعْصٍ يميلُ مع الصَّبا سَكْرانُ من خَمْرِ الصِّبا نَشْوانُهُ[1]
مَكْحُولُ أطْرافِ الجفونِ غَضِيضُها قد خُضِّبَتْ بدمِ القلوبِ بَنانُهُ
ما السِّحْرُ إلّا ما حَوَتْهُ جُفونُهُ والطِّيبُ إلّا ما حَوَتْ أرْدانُهُ
ما الوردُ إلّا ما حَوَتْه خُدُودُه وعِذارُه رَيْحانُه سُوسَانُهُ
ما الصَّعْدَةُ السَّمْراءُ تُشْبِهُ قَدَّهُ كلاّ ولا غُصنُ النَّقا فَيْنانُهُ
سلطانُ حُسْنٍ بالجمالِ مُتَوَّجٌ شاكِى السِّلاحِ سِهامُه أجْفانُهُ
قد حجَّبُوه بالأسِنَّةِ والظُّبَا كالبدرِ حُجِّبَ بالغَمامِ عِيانُهُ
فهو العزيزُ ومِصْرُه قلبُ الشَّجِىّ وسَوادُ ناظِرِه به إيوانُهُ
مَبْذولُ ما فوقَ اللِّثامِ لناظرٍ مَمْنوعُ ما تحت الإزارِ مُصانُهُ
قد زارَنِى والليلُ قُلِّصَ ذَيْلُه والصبحُ قد طَعَن الظلامَ سِنانُهُ
والوُرْقُ تبكِيه وتندُب فَقْدَهُ والدِّيكُ صاحَ وقد علَتْ أحْزانُهُ
فى منزلٍ عَمَّ السرورُ رِحابَهُ والعُودُ يُفْصِح بالسرورِ لِسانُهُ
والوَرْدُ والمَنْثورُ يَعْبَقُ نَشْرُه والنَّدُّ يَسْطَع إذْ عَلاهُ دُخانُهُ
وحَديثُنا قِطَعُ الرِّياضِ لِطِلِّها أنْدَا الرَّبيعِ وما أطَلَّ زَمانُهُ
جاذَبْتُه هُدْبَ الحديثِ مُوَرِّيًا عن فَرْطِ شَوقٍ قد زَكَتْ نِيرانُهُ
فأتاحَ ما تحتَ اللِّثامِ لناظِرِى وأباحَنِى الثَّغْرَ النَّضِيدَ جُمانُهُ[2]
فلَثَمْتُهُ ورشَفْتُ رِيقَةَ ثَغْرِهِ وسَقَيْتُ قلبًا شَفَّنِى خَفَقانُهُ

---

(١) الدعص : كثيب الرمل المجتمع . (٢) فى ح : « فأباح ما تحت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ا : « ما تحت الظلام » ، والمثبت فى : ب ، ح .

وضَممْتُه وهَصَرْتُ بَانَةَ قَدِّهِ ... وعَفَفْتُ عَمَّــا ضَمَّهُ هِميانُهُ[1]

وغَفَرْتُ ذَنْبَ الدهرِ ممَّا قد جَنَى ... وشكَرْتُ قَوْلًا عَمَّني إحْسَانُهُ

***

ومن بدائعه قولُه فى مُعذَّر :

لاح العِــذارُ بِخَدِّ نَحْوِيٍّ لنا ... كاللَّامِ أكَّدتِ الغرامَ وَفاءا

فسألتُ ما هذا السَّوادُ أجابَنِي ... حَرْفٌ امتَى بالمَحاسِنِ جاءا

***

وأحْسَنُ منه قولُ الشِّهاب :

بلَامِ عِــــــذارِه قد زا ... دَهُ رَبُّ الورَى حُسْنَا

وعادتُهـــــــم إذا ما زِيـ ... ـدَ حَرْفٌ زادَ فى المعـــــنَى

***

ولامُ التأكيد وقعتْ فى قول ابنِ نُباتةَ[2] :

لامُ العِذَارِ أطالتْ فيك تَسْهِيدِي ... كأنَّهـــا لِغَرامِي لامُ تَوْكِيدِ

ومثلُها لامُ التَّعليل ، كما فى قول ابنِ الحِنَّائيِّ الرُّومِيِّ[3] :

ولائمٍ لامَ فى حُبِّي لِذِي غَنَجٍ ... لَمَّا رأى فى حَواشِي خَدِّه لامَا

---

(١) يعنى ما تحت إزاره ، فالهميان كيس توضع فيه النقود يشد على الوسط ، أى على أعلى الإزار .

(٢) ديوان ابن نباتة المصرى ١٢٦ ، ريحانة الألبا ٢/٢٥١ .

(٣) فى ا : « ابن الحناوى » ، وهو موافق لما فى العقد المنظوم ٢/٣٧٥ ، والمثبت فى : ب ، ج ، وهو موافق لما فى الريحانة ٢/٢٤٩ ، وخبايا الزوايا لوحة ١٩٠ ب ، وسماه الخفاجى فى الريحانة : « على بن الحنائى بن أمر الله الحميدى » ، وفى الخبايا : « على بن عبد الله الحناى الحميدى » ، وجاء اسمه فى العقد المنظوم : « المولى علاء الدين على المشتهر بحناوى زاده » ، وقال : إنه ولد سنة ثمان عشرة وتسعمائة فى قصبة اسبارسة ، من لواء حميد ، وقرأ على علماء الروم فى عصره .

وتقلد المدرسة الجامية بأدرنة ، ثم مدرسة الأمير حمزة فى بروسة ، وظل يترقى حتى وصل إلى إحدى المدارس الثمان ، ثم إحدى مدرستى السلطان سليمان ، ثم تقلد قضاء دمشق ، ثم بروسة ، ثم أدرنة ، ثم قسطنطينية ، ثم صار قاضى العساكر فى ولاية أناطولى ، وتوفى سنة تسع وسبعين وتسعمائة .

والبيتان فى ريحانة الألبا ٢/٢٥١ .

فقلتُ ذِى لامُ تعليلٍ بوَجْنتِهِ ... تُبين عِلَّةَ مَن فى حُبِّه هَامَا

ولامُ الاستغاثة ، كما فى قول ابنِ رَشيق[١] :

خَطَّ العِـــذَارُ له لَاماً بِعَارِضِهِ ... مِن أجْلِها تستغيثُ الناسُ باللَّامِ[٢]

واللَّامُ المُوطِّئةُ للقَسَم كما فى قول الخفاجىّ :

غَزالٌ نَقَدْتُ له طاعـــتِى ... وعَجَّلْتُ للوَصْلِ ذاكَ السَّلَمْ

وأقسمتُ لا بُدَّ مِن وَصْـلِهِ ... وبالهَجْرِ والوَصْلِ يأْتِى القَسَمْ

ولامُ العِـــذَارِ على خَدِّهِ ... لَعَمْرِى مُوَطِّئَةٌ لِلْقَسَمْ

واللَّامُ الجارَّة كما فى قول ابن الجابى وقد تقدَّم :

فى خَـــدِّه لامٌ تَجُرُّ إلى الهوَى ... فالقلبُ مَجْرورٌ بتلك اللَّامِ

ولَامُ الابتداء ، كما فى قول أبى الحسن على بن الحسن الأندلُسِىّ :

قال العَذُولُ الْتَحَى فقلتُ له ... حُسْنٌ جَدِيدٌ قضَى بتجْدِيدِ

أما تَرَى عارِضَيْه فوقَهما ... لَامُ ابْتداءٍ ولامُ توكيدِ

ولامُ كَىْ ، فى قول ابنِ نُباتَة[٣] :

ومُسْتَتِرٍ من سَنَا وَجْهِهِ ... بشَمْسٍ لها ذلك الصُّدْغُ فَىْ

كَوَى الْقَلْبَ مِنِّى بلَامِ العِذَارِ ... فعرَّفنى أنَّهـــا لامُ كَىْ

والبيت الأوّل كثيراً ما يُشْكِل فهمُه ، وتبْيِينُه أنه أراد بسَناء الوجه البياضَ ، وبالشمس الحُمْرةَ .

---

(١) ديوان ابن رشيق القيروانى ١٦٣ ، ريحانة الألبا ٢/٢٥٢ . (٢) فى ا : « لاما بوجنته » ، وفى الديوان : « لاما بصفحته » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والريحانة .

(٣) لم أجد هذين البيتين فى ديوانه المطبوع ، وقد نسبها الصفدى فى شرح لامية العجم ١/١٩٧ إلى الشاب الظريف ، وهما فى ديوانه ٧٨ .

وعكس ابنُ غالبٍ[1] وأبْعَدَ وأبْدَعَ فى ذمِّ العِذار ، فقال :

سأصْنَعُ فى ذَمِّ العِذارِ بَدائِعاً ... فمن شاء يقْضِى بالدَّليلِ كما أقْضِى

ألا إنَّه كاللَّامِ واللامُ شأْنُها ... إذا التصَقَتْ بالإسمِ آلَ إلى الخفْضِ

فاجْعَلْه مُحتمِلا لما شئتَ من الذَّمِّ إن وجَّهْتَ الخفضَ بانْخفاضِه للأملِ المطلوب منه ، وإن شئْتَ انْخفاضَه انْخفاضَ حالِه .

وقد رَدَّ عليه شرفُ الدِّين المُناوِى[2] ، بقوله :

بَلَى إنها لامُ ابْتداءِ مُحَبَّةٍ ... أو اللامُ للتأْكيدِ ليستْ بذِى الخفْضِ

فلو أبْصرَتْ عيناكَ ذاكَ الذى بَدَا ... على خَدِّه الوَرْدِىِّ كنتَ إذاً تقْضِى

***

وللسيِّد المُترجَم :

تَبدَّى ذا العِذارُ شَبِيهَ لَامٍ ... على وَرْدٍ بهِ زهَتِ الخدودُ

غَدَتْ كلُّ البَرَايَا فيه سَكْرَى ... لَدَى لاميَّةِ الوَرْدِى شُهودُ

***

مثلُه لبعضهم :

هَوَيْتُه عَجَمِيًّا فوق وَجنَتِهِ ... لاميَّةٌ عَوَّذَتْها أحْرُفُ القَسَمِ

فى وَصْفِه ألسُنُ الأقْلام قد نَطَقتْ ... وطال شَرْحِىَ فى لاميَّةِ العَجَمِ

***

وله :

بأبِى وغيرِ أبِى عِذارٌ سائلٌ ... كالمِسْكِ سالَ على بَياضِ العَاجِ

---

(١) محمد بن غالب الرفاء الرصافى ، شاعر أندلسى .
كان يرفأ الثياب ترفعا عن التكسب بالشعر .
توفى بمالقة ، سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة .
المعجب ٢٨٦ ـ ٢٩٢ ، وفيات الأعيان ٤/٥٩ ، ٦٠ .

(٢) شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد المناوى المصرى الشافعى . فقيه ، محدث ، إخبارى ، توفى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة . الضوء اللامع ١٠/٢٥٥ .

أبداً أدِينُ بحُبِّه وبمدْحِـــه ... فلْيَلحَنِى اللَّاحى ويهجُو الهَاجِى

***

وله فى غلام يشرب الدُّخان :

وبديع حُسْنٍ بالدُّخانِ مُولَّعٍ ... ومِن الغَداةِ إلى العَشِيَّةِ يَشْرَبُهْ
يُبْدِى الدُّخانُ بوجْهه سِتْراً لنا ... فنخـــالُ بَدْراً والغَمامُ يُحجِّبُهْ

مثله لابن الجزَرِىّ :

كأنمـــا دُخانُ غلْيُونِهِ ... لمَّا بدَا من ثَغرِه الدُّرِّى
غَيْمٌ نشَا من شَفقٍ أحْمَرٍ ... مُحْتجِبٍ غطَّى سَنـــا البَدْرِ

***

وكتب لشخصٍ من أهالى مكة ، فى صَدْر كتاب :

سلامٌ كنَشْرِ الرَّوْضِ أو نفحةِ المِسْكِ ... تَسيرُ به أيْدِى الصَّبا فى دُجَى الحُلْكِ
بَليلة أذْيالٍ بدَمْـــعِ تَشوُّقٍ ... إلى خِيرَةِ البيتِ المُعظَّمِ بالنُّسْكِ
يخُصُّ حبيبـــاً أبْعَدَتْهُ يدُ النَّوَى ... وكان قريباً قُرْبَ جِيدٍ إلى السِّلْكِ

***

وكتب إلى الأستاذ زيْن العابدين البَكْرِىّ [1] وقد [2] انقطَع عن مجلسه أياماً بسبب كَثْرةِ الأوْحال من المطر :

لقد مَنع المَسِيرَ إلى حِمـــاكُمْ ... تَوالِى الغَيْثِ من تَدْىِ السَّحابِ
وأوْحالٌ بها الطُّرقاتُ سُدَّتْ ... فما أسْتطِيعُ مَشْياً لِلذَّهابِ
وقالوا رحمةٌ للنـــاسِ عَمَّتْ ... ولكنْ لى بهـــا فَرْطُ العذابِ
فيـــارَبَّاهُ حتى الغَيْثُ خَصْمِى ... يُمانِعُنِى دُنُوِّى واقْـــتِرابِى

---

(١) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء برقم ٣٣٢ .

(٢) فى ب : « وكان قد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فعجِّلْ بانحباسِ الغيْثِ كَيْما أرَى ذاكَ الجمالَ بلا حِجـــابِ

***

من الأمثال[1] « مَطَرُ مِصر » يُضرَب للشيء النافع ، يُتضرَّر به ؛ لأنَّ من عُيوب مصر أنها لا تُمْطِر ، فإذا أمطَرتْ كرِهتْ أهلُها ذلك أشدَّ كَرَاهةٍ ؛ لما يقعُ فيهامن الأوْحال، قال اللهُ تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[2] يعنى المطرَ ، فهذه رحمةٌ مُجلّلة لهذا الخلق ، وهم لها كارهون ، وهى لهم غيرُ مُوافِقة ، ولا تزكُو عليها ثِمارُهم .

قال بعضُ الشُّعَراء[3] :

وما خيرُ قوم تُجْدِبُ الأرضُ عنـدهم بما فيهِ خِصْبُ العالَمينَ من القَطْرِ[4]

إذا بُشِّرُوا بالغَيْثِ رِيعتْ قلوبُهم كما رِيعَ فى الظَّلْماءِ سِربُ القَطَا الكُدْرِ

ومما يحسُن موْقِعُه فى مَنْعِ المطرِ عن الزِّيارة قولُ الشِّهاب مُضَمِّناً :

أقولُ لِوَابِلٍ عن دارِ حِبِّى أعاقَ وقد بَدَا منه انْسِجامُ

سلامُ اللهِ يامَطَرٌ عليهـا وليس عليك يامَطَرُ السَّلامُ[5]

وكتب جَحْظةُ إلى ابن المُعتَزِّ : كنتُ على المسيرِ إلى الأمير ، فانقطع شِرْيانُ الغَمام ، فقطَعنى عن خِدْمته .

فكتب إليه : لئن فاتَنِى السرورُ بك لم يَفُتْنِى بكلامك .

وقوله : « شِرْيانُ الغمام » ، من أحسن الكلام .

***

(١) هذا نقل عن ثمار القلوب ٦٥٥ . (٢) سورة الأعراف ٥٧ . (٣) البيتان ضمن أبيات فى ثمار القلوب ٦٥٦ . (٤) فى الأصول : « وماخير أرض » والتصويب من ثمار القلوب .

(٥) ضمن بيت الأحوص ، وهو من أبيات الكتاب (هارون) ٢/٢٠٢ ، والتخريج فى حاشيته .

ورأى[1] تاريخ المَقَّرِىّ ، المُسَمَّى : « نَفْح الطيب من غُصن الأندلس الرَّطيب » ، فكتب إليه :

مِن الغُصْنِ الرَّطيبِ هَصَرْتَ غُصْناً ومن أثمـارِه أصبَحْتَ جَانِى[2]
كَساهُ اللهُ من ورقٍ بُرُوداً مُطرَّزة بأزهـارِ الجِنانِ

***

وكتب لبعضِ إخوانه يطلُب منه كتاب « قلائد العِقيان » :

ياسيِّداً حازَ خَصْلَ الفضلِ من كُتُبٍ بجِدِّ عَزْمٍ وجَدٍّ طاهرِ النَّسَبِ[3]
مِن القَلائدِ جِيدِى عاطِـلٌ أبداً فابعَثْ بها كى تُحَلِّى جِيدَ ذِى أدَبِ
قَصْدِى المرورُ عليها مُسْرِعاً عَجِلاً كما يَمُرُّ نسيمُ الرَّوضِ بالعَذَبِ[4]

***

وله يعتذر عن تَرْكِ التَّغَزُّل :

وقائلةٍ لِمْ لا تغزّلُ فى الظِّبـا وطَبْعُك مِن ماءِ اللَّطافةِ قد رَوِى
فقلتُ لها قَدْرِى تَسامَى عن الذى تَرُومِى لِشُغْلِى بالعلومِ وما رُوِى

***

وله فى الشَّباب والشَّيب :

ليلُ الشبابِ نجومُ الشَّيْبِ فيه بَدَتْ فأحرقتْ مِن شَياطينِ الهوَى زُمَرا
بدَتْ وأدهَمُ لَهْوِى جَـدَّ فى مرَحٍ فقيَّدتْهُ بِعقْدٍ يُشْبِـهُ الدُّرَرَا

***

معنى الأوّل أَلَمَّ فيه بقول أبى طالب بن يَعْمَر .

نجومُ شَيْبِىَ فى ليلِ الشبـابِ بَدَتْ فبَصَّرتْ عينَ قلبِى مَنْهَجَ الدِّينِ
فصِرْنَ راجِمـةً شيْطانَ مَعْصِيَتِى إنَّ النُّجُومَ رَجُومٌ للشَّيـاطِينِ

***

(١) أى المترجم . (٢) أصله « جانيا » ، وترك النصب للقافية . (٣) الخصل : الخطر الذى يخاطر عليه فى النضال . (٤) العذب : أغصان الشجر .

ومن فوائده ما كتبه على البيت المشهور :

فَرَّقْنَ بين مَحَاجِرٍ ومَعَاجِرٍ ... وجَمَعْنَ بين بَنَفْسَجٍ وشَقَائِقِ[1]

قال : أجاب عنه البدرُ الدَّمامِينى[2] ، وصاحب « التِّبْيان »[3] ، والبيت ثالثُ بيتين قبلَه ، وهما :

أنا الفِداء لظَبْيَةٍ أحْداقُها ... مَوصُولةٌ مِن حُسْنِها بحدائِقِ

لَمَّا الْتقيْنا للوَداعِ وأعْرَبتْ ... عَبَراتُنا عنَّا بدَمْعٍ ناطقِ

فَرَّقْنَ . . . . إلخ

وقد وجدتُ البدرَ أتى البيوتَ من أبوابها وأزال بنُور قَرِيحتِه ماأظْلَم من غَيْهَبِ رحابِها

أما صاحبُ « التِّبْيان » وإن كان من أئمَّةِ البيَان ، المُشارِ إليهم بالبَنان ، فقد وقف من وراء البُيوت ، وهو من الحُزْن كَظِيم ، وتأخر عنها وهو مِن الحياء سَقِيم ، وراش سِهامَ قَرِيحتِهِ فأبْعَدَ المَرْمَى ، ولم يُصِبْ لحمًا ولا عظْمًا .

ولله دَرُّ القائل[4] :

نَزَلُوا بمكّة فى قبائلِ مُكْثِرٍ ... ونزلت بالبَيْداءِ أبْعَدَ مَنْزِلِ[5]

فأتى بمعانٍ لا يخطُبها خاطِب ، بل مما يخطِبها فى ليلِ سُطورِها الحاطِب ، وجهَّز بَناتِ فِكْرِه بما لا يُسْتَرْوَح لنَشْرِه ؛ وليت شِعْرِى ما كان أغْناه عن هذا الجواب وقَصْدِه ، وما أكثر مايَهُزُّ المعاطِفَ ولكنْ ببَرْدِه .

---

(١) المعجر : ثوب تعتجر به المرأة ، أى تلفه على رأسها.

(٢) تقدم التعريف به فى الجزء الأول ، صفحة ٥٠٢ .

(٣) صاحب « التبيان فى المعانى والبيان » هو الطيبى الآتى ذكره .
وهو شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبى .
عالم بالحديث والتفسير والبيان ، آية فى استخراج الدقائق من الكتاب الكريم .
توفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .
البدر الطالع ١/٢٢٩ ، الدرر الكامنة ٢/١٥٦ ، ١٥٧ .

(٤) البيت فى طبقات الشافعية الكبرى ٤/٦٤ دون نسبة .

(٥) فى الطبقات : « فى قبائل نوفل » .

وها نحن نذكر نصَّ الجوابيْن ، ليظهر لك ماقلناه بغير مَيْن، ونذكر ماظهر لنامن الجواب ، الذى هو أمَسُّ رَحِماً بضَوء من الآداب.

قال البدرُ :

الظّاهر أن الشاعر قصد أن عبَراته فى حالِ الوَداع حَجبتْ نظرَه عن رؤية الظَّبْية الموصوفة ، وحالت بينهما ، فحصل بذلك تفريقُ العبَرات المذكورة بين محاجرِه التى كان ينظر منها ، وبين المعاجرِ التى كان ينظُر إليها .

وقد وصف بعضُ الشعراء الدمع بكَوْنه حائلاً بين العيْن والرُّؤيه ، كقولِ بعضهم:

وحالتْ دموعُ العَيْن بينى وبينه كأن دموعَ العين تعشَقه مِعى

وقال ابنُ مِنْهال ، أحدُ شعراء إفْرِيقيَّة :

إذا بَدَا حَالَ دَمْعِى دون رُؤْيته يَغارُ منِّى عليه فهْو يُرْقِعُهُ

وقول أبى الحسين بن سفر ، شاعر المَرِيَّة[١] ، فى دولة بنى عبد المؤمن :

وقَفْتُ وَقْفةَ الوَداعِ وقالتْ ليت شِعْرى متى يكون الرُّجوعُ

فبكَيْنا خوفَ الفِراقِ فحالَتْ بيْنَنا قبلَ أن نَبِينَ الدُّموعُ[٢]

وأما دمعُها هى ، فإنه إذا اختلَط بكُحْلِ عينها ، أشبَهَ البنَفْسَج من حيث اللون ؛ وباعتبـار جرَيانِهِ على الوَجَنات حصَل الجمـعُ بين البَنفسَج وهو الدمعُ المذكور ، وبين الشَّقائق وهى الُخدود .

وقد شبَّه بعضُ الأدباء البَنفْسَج بالـكُحْل المُمتزِج بالدَّمع ، حيث قال :

بَنَفْسَجٌ حُمِيَتْ أزْهارُه فحكَى كُحْلًا تشرَّب دَمْعاً يومَ تَشْتيتِ[٣]

فلا بِدْعَ إذن فى تشْبيه الدمعِ ، الذى هذه حالتُه بالبَنفْسَج ، ووَجْهُ الشَّبهِ ما قُلناه .

---

(١) المرية : مدينة كبيرة من كورة البيرة ، من أعمال الأندلس . معجم البلدان ٤/٥١٧ .

(٢) فى ب ، ج : « أن تبين » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ا : « حيت أزهارها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

والمُلخص أن العَبَرات التي جرتْ من هذين في حالةِ التوديع ، أوْجبتْ حالةً اختُصَّ بهـا القائلُ ، وهى التفريقُ المذكور ، وحالةً تختصُّ بالمقول ، وهى الجمعُ على الصِّفةِ المذكورة ، وهذا كلُّه ظاهرٌ ، مُتَّجِهٌ ، لا يَرِدُ عليه شىء ، إلَّا أنَّ الشاعرَ لم يُصرِّحْ فى نَظْمِه بأنَّ المُتغزَّل فيها كانت مكْحولةً ، حتى يُشبِّهَ دمعَها المُمتزِجَ مع الكُحْل بالبَنفسَج .

وجوابُه أن يُقـال : أحالَ الأمْرَ فى ذلك على ما يقتضِيه الذَّوقُ السليم ، وأشار إلى ذلك بالتَّشْبيه المذكور ، فيُتلطَّف له فى هذا القدْر .

هذا كلامه ، وأما الطِّيبيُّ فإنه قال :

يَحتمِل أن المُرادَ بالبَنفسَج والشَّقائق عارِضُ الرجل وخَدُّ المرأة ، ويَحتمِل أنها حين الوَداع مَزَّقتْ جِلْدَها ، ولطَمتْ خَدَّها ، أى جمعتْ بين أثرِ اللَّطْم، وهو شَبيهٌ بالبَنفسَج ، وبين لَوْنِ الخدِّ ، وهو شَبيهٌ بالشَّقائق ، لـكن الثَّانى أوْلَى ؛ لأن العارضَ إنَّما يُشبَّهُ بالبَنفسَج عند طَرَيان الخضْرةِ ، وليس فى الشِّعْر ما يدلُّ على شَباب الخضْرةِ . انتهى .

قال الدَّمامِينىُّ : قلتُ : إنمـا أنْشَد فى « التبيان » البيتيْن الأخيرين ، ولم يتـكلَّم على معنَى التَّفريق بين المَحاجِر والمعاجِر فى الاحْتمال الأوَّل ، ولم يتقدَّم فى هذه الأبيات الثلاثة ما يصلُح أن يكون مَعادَ الضَّمير فى « فرَّقْن » ، و « جَمعْن » غير العبرات ، وعليه فلا معنَى لشىء من الاحْتمالين اللَّذيْن أبْداهُما الطِّيبيُّ ، وإنما غرَّهُ فى جَعْلِ الضمير للنِّسوةِ المُودَّعات كَوْنُه لم يظفَرْ بالبيت الأوَّل ، وإلَّا فلو وقَف عليه لَتبيَّن أن العبَراتِ هى مرجعُ الضمير قطعـا ؛ فإنه لا وَجْهَ بعـد ذلك لنِسْبة التَّفريق والجَمْعِ للنِّسْوة التى لم يَجْرِ لهُنَّ ذِكْرٌ .

إلى هنا كلامُه ؛ فإنَّك تَراهُ كيف بيَّن جِهاتِ الخللِ فى كلام صاحب « التِّبْيان » ، بما لا يَمْترِى فيه مِن ذَوِى الفِطْرةِ إنسان .

وهذا ما ظهَر لنا من الجواب ، الجارِى على مَنْهَج الصَّواب ، فنقول :

إن المُفْلِقِين من الشعراء ، والمَصاقِعَ من البلغاء ، قد تغالَوْا فى وصفِ الدَّمعِ بمـا تبْتهِجِ به النفوس ، ويرُوقُ السَّمْع ، فأخرجُوه عمَّا هو معهود ومأْهُول،[1] وجعلوه مُتَّصِلَ الجَرْيِ دائمَ الهُمول ، من غير فَتْرةٍ فى وقتٍ دون وقت[1] ، وادَّعَوا فيه أنه كالمَطَرِ حتى سَقَوْا به الديارَ الآنِسَة ، والأطْلال الدَّارِسَة ، إلى غير ذلك من المُبالَغات الشِّعْرِية ، التى لا تنْخَرِط فى سِلْك التحقيق ، وادَّعَوا أيضا أن الدموعَ تبدَّلتْ بالدَّم ، ومنه قول أبى تَمّام[2] :

وأجْرَى لها الإشْفاقُ دَمْعًا مُوَرَّداً ... مِن الدَّمِ يجْرِى فوقَ خَدٍّ مُوَرَّدِ[3]

ومن هذا اتَّضح بابُ تَشْبِيه الدَّمْعِ بالعَقِيق والمَرْجان والياقوت، بمُجرَّد حُمْرةِ اللَّون

ولمَّـا غلَب استعمالُ الشُّعَراء للدمع بالدَّم ، وتداوَلت الأسْماعُ وُرُودَه عليها، وألِفتْ وُقوعَه فيهـا ، صار حَقِيقةً عُرْفِيَّةً عند الخاصِّ والعامّ ، وصار هو الأصلُ والدمعُ فَرْعًا عليه ، حتى ادَّعَى الشاعرُ أن المحبوبةَ أنـكرتْ دَمَه ، وطالبتْه بالحُجَّة والعُذر عن بَياضِه ، فقال :

وقائلةٍ ما بالُ دَمْعِك أبيَضًا ... فقلتُ لها يا عَزُّ هذا الذى بَقِى

ألم تعلمى أن البُـكا طال عُمْرهُ ... فشابتْ دُموعِى مثلَمَا شابَ مَفْرِقِى

وقال الآخر :

قالُوا ودَمْعِى قد صَفَا لِفِراقِهِمْ ... إنَّا عَهِدنا منك دَمْعًا أحمـــرَا

فأجَبْتُهم إن الصَّبابَةَ عُمِّرتْ ... فيكم وشابَ الدَّمْعُ لَمَّا عُمِّرَا

وقال بعضُهم فى الدمع الأسود :

وقائلةٍ مابالُ دمعِك أسْوداً ... وجسمُك مُصْفَرًّا وأنتَ نَحِيلُ

فقلتُ لهـا أفْنَى جَفاكِ مدامِعِى ... وهذا سَوادُ المُقْلتَيْنِ يَسِيلُ

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) ديوانه ١٠٠ . (٣) فى الديوان : « فأجرى لها » .

وقال الآخَر فى الدمع الأخضر :

وقائلةٍ مابالُ دمعِك أخضَرا ⁂ فقلتُ لها هل تفهمين إشارَتِى

ألم تَعلَمِى أن الدُّموعَ تجففَّتْ ⁂ فأجرَيْتُها يامُنْيَتى من مرَارَتِى (١)

وقال الآخَرُ فى الدمع الأصفر :

وقائلةٍ مابالُ دمعِك أصفرًا ⁂ فقلتُ لها ماحالَ عن أصْلِ مائِه

ولـكنّ خَدّى اصفرّ من سَقَمِ الهوَى ⁂ فسالَ به واللونُ لَوْنُ إنائِه

إذا تقرّر هذا ، فنقول : الظاهرُ أن هذا الشاعرَ قصد أن عبَرَاتِه هو اتّصفتْ فى حالةِ التَّوديعِ ، وذلك المَهيَعِ (٢) الفَظِيعِ ، المُوجِب لنحُولِ الجسد ، وحُـلولِ الـكَمَد ، وكُسوفِ البال ، وتغيُّرِ الحال ، وتَرادُف الزَّفرات ، وتتابُع العبَرات ، واضْطرابِ القلبِ ، واضطِرام الصَّدر ، وانْتِهاب الصَّبْر ، بوَصْفين :

أحدهما ؛ أنها لفَرْطِ انْصِبابِهـا ، وتلاحُق تَسَـاكُبِهـا ، صارت حِجاباً مانِعا ، وسِتْراً حائلا بينه وبين رُؤْيَة ماهو بمَرْأى ومَسْمَعٍ منه ، فبهذا الاعْتبار صَحَّ الحُـكْمُ عليها بأنها فرّقتْ بين مَحاجِرِه التى كان ينظر (٣) منها، ومَحاجِرِ المحبوبة التى ينظر (٣) إليها ، وهذا وصفٌ مُمْـكِن .

والثانى ؛ أن عَبَراتِه اتَّصفتْ بلوْنين مُتقابلين ، وذلك أنه لفَرْطِ بكائِه ، وحُزْنِه وعَنائِه ، فى تلك الحالة الطويلة ، التى تخدَع العقلَ وتسحَرُه ، وتملك اللُّبَّ وتقهرُه ، وتغلِب القلبَ وتبهَرُه ، فاضتْ عَبَراتُه تارةً دماً أحمَر ، يُشْبِه الشَّقائقَ فى لونها ، وهذا قريبٌ من الإمـكان ، على ماقِيل : إن أصلَ الدُّموع الدَّمُ ، وتارةً دماً مُشْرَباً بزُرْقةٍ يُشْبِه البَنَفْسج فى لونه ؛ وهذا بعيدٌ من الإمكان عادةً ، لأن مادّة البُـكاء إنما تـكون من فُضولٍ تصعّدتْ إلى الدِّماغ من الرُّطُوبات المُنفصلةِ عن هذا الجسم ، وليس فى لونها

(١) فى ا : « أن الجفون تجففت » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) المهيع : الطريق الواسع .
(٣) ساقط من: ا ، وهو فى : ب ، ج .

زُرْقة ، ولكنّ هذا من المُبالغات الشِّعْرية ، التى لاتنخرط فى سِلْك التَّحْقيق ؛ لكَوْنها مقبولةً عندهم ، بل كلّما زاد الشاعرُ فى ادّعاء غيرِ المُمكِن كان الشعرُ مُستحسَنا ، حتّى قيل : لو صدَق الشعرُ لَمَا استُحْسِن .

غيرَ أن هذا وإن كان بعيداً عن الإمْكان ، يُقرِّبُه أنّ حالةَ التَّوْديع تُوجِب تَميُّراً(١) فى سِحْنةِ الوَجْهِ ، بحيث يتراءى أنّ فيه زُرْقةً ، فإذا فاضتْ عليه العَبَرات ، تلوّنتْ بلَوْنه ؛ لكونه جوهراً شفّافاً ، يتلوّن بلَوْنِ إنائه .

وهذا له مَساسٌ بمقاصدِ الشُّعَراء(٢) وتخيُّلات البلغاء ، خصوصاً والدمعُ قد تَغالوا فيه ، حتى أخرجُوه عن سَعَةِ دائرةِ الإمْكان ، (٣) إلى أوْسَع مَكان(٣) ، ألَا ترَى إلى ما تخيَّلَه بعضُ الشُّعَراء(٢) ، فى وَصْفِه بالزُّرْقةِ حيث قال مُخبِّراً عن مَحْبوبته :

قالتْ وقد نظرَتْ لزُرْقةِ أدْمُعِى أكَذَا يكون بكاءُ صَبٍّ شَيِّقِ
فأجبْتُها قدماتَ فى جَفْنِى الكَرَى فجرَتْ دُموعِى فى الحِدَادِ الأزْرَقِ

إذا تقرَّر هذا ، ظهَر لك صِحّةُ الحُكْم على عَبَراتِه بأنها جَمعتْ بين البَنَفسج ، وهو الدمعُ الموصوفُ بما ذُكِر ، والشَّقائق ، وهى الدمعُ الذى استحال دماً ، فأشْبَهَ الشقائقَ فى لونِها ، من غيرِ نَظَرٍ إلى عَبَراتِ المحبوبة التى لم يكن فى سِياقِ الأبيات ما يدُلُّ على أنها كانت مَكْحولةً ، كما اعترف هو به ، وتكلَّف لها جواباً لا يُسْمِن ولا يُغْنِى من جُوعٍ .

على أن الدمعَ المُشْرَبَ بالكُحْلِ لا يحسُن أن يُشبَّه بالبَنَفْسَج ، كما هو ظاهر ، فإن البنفسج ، إنما يُشْبِه ما فيه زُرْقةٌ لا سَواد .

وهذا وَجْهٌ جميل ، له من اللَّطافة ماترَى ، وأنت إذا تابعتَ النَّظرَ يُوشِك أن يلُوحَ لك وَجْهٌ آخَر .

⁂

(١) فى ا : « تغيرا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، وحدها .

٣٤٣

تاج العارفين بن عبد المال*

تاجُ مَفْرِقِ عَصْرِه ، وغُرَّةُ جَبِينِ مِصْرِه .

من بيتٍ عِلْمُهُ مُنْسَجِمُ الغَمائم ، عَمَّ نَفْعُهم العالَمَ ، من منذ تَتَوَّجُوا بالعَمائم .

وقد نبَغ هو كما شاءتْ مَعاليه ، فازْدانتْ به أيّامُه ولَيالِيه .

مَهابَةٌ تقدُمُ[1] لَحْظَتَه ، وبَراعةٌ تتَّقِدُ[2] لَفْظَتَه ، ولُطْفاً مُلِئَ به جِسْمُهُ ، وصَفاء قام به وَسْمُه .

فمَناقِبُه غُرَرٌ على أوْجُهِ الأيام تَسِيل ، وشَرَفُه لا يلْحَقه السابقُ ولا الرَّسِيل[3] .

***

وله شِعْرٌ وإنْشاء رائقان ، وفى مَعارِجِ اللَّطافة إلى فَلَكِ القَبُول راقِيان .

وقد جئتُك منهما بما تشْتَمُّ به نَفَساً يُنْسِى السَّوْسَنَ المَبْلُول ، وتُنْفَح منه نَفحاً يُهْدِى لك نَوْرَ الرُّبَى المَطْلُول .

فمن ذلك ما كتبه إلى عبد الرحمن المُرْشِدِىّ[4] ، مُفْتِى مكّة[5] :

أذَكَرْتَ رَبْعاً من أُمَيْمةَ أقْفَرَا ... فأسَلْتَ دمعاً ذا شُعاعٍ أحْمَرَا

(*) تاج العارفين بن أحمد بن أمين الدين بن عبد العال الحنفى المصرى .

روى عن والده عن جـده ، وقد روى والد جده عن الحافظ بن حجر العسقلانى ، وأجازه شيوخ عصره بالإفتاء والتدريس .

وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر ، وأفاد الطلبة ، وله مؤلفات عديدة ورسائل شهيرة فى فقه الحنفية ، وألف رسالة وسماها «الزلف والقربة ، فى تمييز مسقط من الكعبة » ، وذلك حينما سقطت جوانب البيت الحرام .

توفى فى حدود الأربعين وألف .

خلاصة الأثر ١/ ٤٧٠ – ٤٧٣ .

(١) فى الأصـول : « تقديم » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٢) فى ا : « تقدم » ، وفى ب : « تتقدم » ، والمثبت فى : ج . (٣) الرسيل : الفرس الذى يرسل مع آخر فى السباق .

(٤) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ، برقم ٢٧٥ . (٥) القصيدة فى خلاصة الأثر ١/ ٤٧١ ، ٤٧٢ ، وهى هناك أتم وأطول .

أم شاقَكَ الغادُون عنكَ بسُحْرَةٍ ... لمَّا سَرَوا وتَيَمَّمُوا أمَّ القُرَى
زَمُّوا المَطِيَّ وأعنَقُوا فى سَيْرِهم ... لِلّهِ دمعِى خَلْفَهم ياما جرَى[1]
ما قُطِّرتْ فى السَّيْرِ أجمالٌ لهم ... إلَّا ودمعى فى الرِّكابِ تقطَّرَا[2]
فكأنَّ ظَهْرَ البِيدِ بَطْنُ صَحِيفةٍ ... وقِطارُها فيه يُحاكِى الأسْطُرَا
وكأنها بهَوادِجٍ قد رُفِّعتْ ... سُفُنٌ ودمعُ الصَّبِّ يحكى الأبْحُرَا
رحَلُوا وما عادُوا على مُضْناهمُ ... وَاهًا لحظِّى ليت كنتُ مُؤَخَّرَا
إن كان جسمى فى الدِّيارِ مُخلَّفًا ... فالقلبُ منهم حيث قالُوا أهْجَرَا[3]
أظهرْتُ صبرِى عنهمُ مُتجلِّدًا ... وكتَمْتُ وَجْدِى فيهمُ مُتستِّرَا
وغدا العَذُولُ يقول لى من بعدِهم ... بادٍ هواكَ صَبَرْتَ أم لم تصْبِرَا
أقسمتُ إن جادَ الزمانُ بمطْلَبِى ... وسَلكْتُ رَبْعًا بالمَناسِكِ عُمِّرَا
وشهِدتُ بَدْرَ الحىِّ بعد أُفولِه ... مُذْ لاح مِن أُفُقِ السعادةِ مُقْمِرَا
أدَّيْتُ خدمةَ سيِّدٍ سَنَدٍ غدَا ... مُفْتِى الأنامِ ورائدًا بين الوَرَى

***

وكتبت إليه أيضا[4] :

مَلَكتْ سَوْرةُ الرَّحِيلِ عِنانِى ... وأهاجتْ سَواكِنَ الأشْجانِ
أتَمنَّى أمْرِى وهل يملِكُ السَّيْـ ... ـرَ طَرِيحُ النَّدَا أسِيرُ التَّدانِى[5]
يا خليلَىَّ وَقْفَةً بالمُصَلَّى ... نُجْدِ حَمْدَ السُّرَى ودَرْكَ الأمانِى[6]
فاعْطِفا وانْزِلا وبُثَّا سَلامِى ... لِوَجِيهِ العُلَى فريدِ المَعانِى
أنا بين لَوْعةٍ عَلِمَ اللّـ ... ـهُ وشَوْقٍ له بِطُولِ الزَّمانِ

---

(١) أعنق فى سيره : سار سيرا سريعا. (٢) فى الخلاصة : «ماقطرت للسير». (٣) أهجر : سار فى الهاجرة. (٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٧٣ ، وذكر أنه كتب بها إليه سنة ثلاثين وألف.
(٥) فى الخلاصة : «أسير الندى». (٦) فى الخلاصة : «عند حمد السرى».

أينَ منّى الحنينُ من ذاتِ طَوْقٍ ... سَلَبَتْها النّوَى غُصونَ البانِ[١]

لو تُطِيقُ النِّياقُ شوقى لما حَنَّـ ... ـتْ خُضوعاً مِن تُرْبِها أجْفانِى[٢]

وبقلبِى من الوَجِيبِ إليهِ ... مِثْلَمَا بالنِّياقِ مِن دَمّلانِ[٣]

فوَعَيْشِ الصِّبا وحَىِّ التَّصابِى ... ولَيالِى الرِّضَا وأُنْسِ التَّدانِى[٤]

إنَّ قَصْدِى لُقْياكَ لكنْ قِيادِى ... بِيَدٍ ليس لى بها مِن يَدانِ

***

فأجابه بقوله[٥] :

يا خليلَىَّ بالصَّفا أسْعِدانِى ... وبوَصْلٍ من الإياسِ عِدانِى[٦]

واحمِلَا بعضَ ما ألاقِى وبُثّا ... حالَ صَبٍّ مُتيَّمِ القلبِ عَانِى

جسمُه فى جِيادَ والقلبُ منه ... فى قُرَى مصرَ دائمُ الخَفَقانِ[٧]

لم يزَلْ شيِّقاً ولُوعًا دَواماً ... شاخِصَ الطَّرْفِ ساهِرَ الأجْفانِ

يرقُبُ النَّجْمَ لَيْلَه وإذا أصْـ ... ـبَحَ أضحَى مُناشِدَ الرُّكْبانِ

هل رأيتم أو هل سمعتم حَدِيثاً ... عن قديمِ الإخَا عظيمِ المعانِى

هو تاجٌ لِلْعارفِين الذى قد ... نالَ إرْثاً عَوارِفَ العِرْفانِ[٨]

خُصَّ بالعِلْمِ والرِّياسةِ والوُدِّ ... وهَذِى مَواهِبُ الرحمنِ

فهو كنزٌ ومَجْمَعٌ لعُلومٍ ... قد حَواها بغايةِ الإتْقانِ[٩]

وهو صَدْرُ الشريعةِ المَشْرَعُ العَذْ ... بُ البَسِيطُ المُحِيطُ والبُرْهانِ[١٠]

---

(١) لم يرد هذا البيت فى الخلاصة . (٢) فى الخلاصة : « لما جفت خضوعا » . (٣) فى الخلاصة : « بالنياق من ثهلان » .

والدملان : إصلاح الأرض بالدمال ، والدمال : ما وطئته الدواب من البعر والتراب .

(٤) فى الخلاصة : « وعهد التصابى » . (٥) الجواب فى خلاصة الأثر ١/٤٧٣ .

(٦) ا : « وبوصلة من الإياس » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، وفى ح : « من الإياس مدانى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة . (٧) جياد : هى التى يقال لها أجياد، وتقدم التعريف بها .

(٨) فى الأصول والخلاصة : هكذا « للعارفين » . (٩) فى الخلاصة : « وجامع لعلوم » .

(١٠) يشير إلى صدر الشريعة من أئمة الحنفية ، وإلى بعض كتب الفقه لديهم .

دام فينــــا مُبلِّغًا ما يُرَجَّى من مُرادٍ ورِفْعةٍ وأمانِى
ما تغنَّى على الرِّياضِ هَزارٌ رَقَّص الغُصْنَ فى رُبَا البُسْتانِ[1]

***

وكتب إليه أيضا[2] :

اليومُ مثلُ العامِ حتى أرَى وَجْهَك والساعةُ كالشَّهرِ

إن أبْهَى ما تجمَّلتْ به السُّطور والطُّروس ، وأشْهى ما اسْتعْذَبتْه الأنفُسُ وتطلَّبتْه النُّفوس ، دعاء على مَرِّ الدهور لا ينقضِى ، وابتهالٌ بأكُفِّ الضَّراعةِ للإجابة مُقتضِى ، أن يُديمَ على صفحاتِ الوُجوه شامةَ دهرِها ، وواحدَ وقتِها ، وعالِمِ عصرِها .

المُستجمِعَ لمكارمِ الأخلاق والشِّيَم ، والمُنفردَ بمَزاياها عند الخلْق والأُمَم .

المُشتهَرَ عند العرب والعجم بأنه ملَكَ من العِلْمِ زِمامَه ، وجعَل العُكوفَ عليه لِزامَه .

فانقادَ إليه انقِيادَ الجواد ، وجرَى فى مَيدانِه بحُسْن السَّبْقِ والفكرِ الوَقَّاد .

عالِمُ الغرب والشرق ، ومُزيلُ ما تعارَض من المسائلِ بحُسْن الجَمْعِ والفَرْق .

الجامعِ بين رياستَيِ العلمِ والعمل ، والمانعُ بإخْلاصِ السَّريرة من لُحوقِ عَوارِضِ العِلَل .

كنزُ العلوم والكَشْف ، بحرُ الهداية الذى ارْتُوِيَ منه بالعَبِّ والرَّشْف .

صدرُ الشريعةِ الغرَّا ، وشيخُ حَرَمِ اللهِ بالإفْتاء والإقْرا .

مَن لا[3] يُمكِن حَصْرُ وصفِه بالتَّفصيل ، فإنَّ الإطْنابَ فيه طويل ، وإنما أُحيل على ما قِيل :

أنت الذى وَقَفَ الثَّناء بسُوقِه وجرَى النَّدَى بعُروقِه قبلَ الدَّمِ

☆☆☆

---

(١) جاء عجز البيت فى الخلاصة هكذا :

* وأجابته إلفُهُ بالأغانى *

(٢) هذا الفصل فى خلاصة الأثر ١/٤٧٢ ، وفيه أن ذلك كان سنة ثلاثين وألف .

(٣) فى ج : « لم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

٣٤٤
عبد الجوَّاد بن شُعَيب الخوانكىّ *

شاعرٌ مُتَّسِع الْباع ، مُعتدِل الطِّباع فى الانْطِباع .

فهو ليس بالنَّاسِك البارد ، ولا الفاتِك الْمارِد .

ولا بالمُتعفِّر(1) المُتقشِّف ، ولا بالخَلِيع المُتكشِّف .

يشُوبُ الحصافةَ بالفصاحة ، ويَزِينُ اللَّباقة باللِّياقة .

ويجمعُ بين الجِدِّ المَقبول والهَزْل المطلوب ، ويستشِفّ عما يُقِرُّ العيونَ ويَسُرُّ القلوب .

***

وقد أوردتُ له ما مَحَلّه الخَلَد ، وإذا نقدْتَه علمتَ أن قائلَه من نَقْد البَلَد .

فمن ذلك قولُه :

وَيْلاهُ يهجُرنى عَمْداً بلا سَبَبِ ... وفى مَحبَّتِه الأمثالُ تُضْرَبُ بِى

ليت الصَّبابةَ ما كانتْ ولا خُلِقتْ ... فإن آخرَها يُفْضِى إلى العَطَبِ

شهراً ثلاثين يوماً لا أراكَ ولا ... عَيْنِى رأتْك فقلبى زائدُ الْوَصَبِ

ولا تخُطُّ كتاباً منك تُخْبِرُنى ... أعَنْ رِضًى كان هذا الصَّدُّ أم غضَبِ

(*) عبد الجواد بن شعيب بن أحمد الخوانكى المصرى الشافعى القاضى .
أخذ عن النور الزيادى ، ومن فى طبقته ، وأخذ عنه جماعة .
وكان صوفى المشرب ، ذا تقوى ظاهرة ، كثير الحفظ للأشعار ، ذا نظر فى العلم دقيق .
وله مؤلفات ؛ منها رسالة سماها : « القهوة المدارة فى تقسيم الاستعارة » ، و« النسيم العاطر فى تقسيم الخاطر » .
قدم مكة حاجا ، وجاور بها سنة ثلاث وستين وألف ، وأخذ عنه كثير من فضلائها ، ورجع إلى بلده ، واستمر بها إلى أن توفى سنة ثلاث وسبعين وألف .
الخطط التوفيقية ١٤/ ١٢٤ ، خلاصة الأثر ٢/ ٣٠١ — ٣٠٣ .

(1) فى ب : « بالمقتصر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ولا يمرُّ خيالٌ منك فى حُلُمِى ... فأطمئنَّ وهذا غايةُ العَجَبِ
وكيف يسرِى خيالٌ والكَرى منعتْ ... بناتُ نعشٍ به فى أعيُنِ الشُّهُبِ
كأنه كان جِنِّيًّا يُسارِقُنِى ... فأحرقَتْه فما أبقتْ سِوَى اللَّهَبِ

***

وقوله :

سِرْبُ جِنَّانٍ فى جِنَانٍ وبِى ... يمشى مع الغِزْلانِ فى رَبْرَبِ
يرتَعُ فى النَّرْجِسِ أو يرتقِى ... حَبَّةَ قلبِى بدَلَ الزَّرْنَبِ(١)
ترفُـــلُ بالسُّنْدُسِ أعطافُه ... أعطافُ غُصْنِ البانةِ المُخْضَبِ
فى صَنْعةِ السِّحْرِ لأجفانِه ... أشياءُ عن هاروتَ لم تُكْتَبِ
قد عقَدَ النَّوْمَ وغَلَّ الكَرَى ... مِنِّى ولا تسلْ ما حَلَّ بى
حُلْوُ الجَنَى مُرُّ الجَفَا قُرْطُه ... عرَّفنِى منزلةَ الكَوْكَبِ
وَرْدُ الرُّبَى يُقطَفُ من خَدِّه ... والشُّهْدُ من معسولِه الأشْنَبِ
أسكرَنِى منه عُذَيْبُ اللَّمَى ... لو لم يكنْ ذا بارقٍ خُلَّبِ
أطمعَنِى فى وَصْـلِه مرَّةً ... وقال يا أطمعُ من أشْعَبِ

***

قوله : « والشهد » مُبتدأٌ خبرُه الجملة ، فلا يرد أن القَطْفَ فى العسل غيرُ لُغوِىّ ، على أنه يُمكِن فيه ارتكابُ التجوُّزِ ، فيُستعمَل فيه كما استُعمِل فى قَطْف الزَّهْر ، وأصلُه من قَطْف الكَرْم .

***

ومن صَنائِعه قوله :

ومن عجَبٍ سَفْكُ الجفونِ دماءَنا ... وعَهْدِىَ أن السيفَ يقطَعُ لا الغِمْدُ
وأعجَبُ من هـــذا تَشُقُّ قلوبَنا ... ولا أوْضَحَتْ عظمًا ولا خَدَشَ الجِلْدُ

(١) الزرنب : نبات طيب الرائحة ، أو هو الزعفران .

وأعجَبُ من هذيْن تَجنِّي تَعمُّداً ... ويُقْضَى لها أن لا قِصاصَ ولا حَدُّ
وأعجَبُ من تلك العجائبِ أنَّنِي ... بقتْلِي رَاضٍ وهْو يغضبُ من بَعْدُ
وأعجَبُ منها مرَّتيْن شِكايتِي ... وهل يملِكُ الشَّكْوَى من السَّيِّدِ العَبْدُ
وأعجَبُ منها مرَّتيْن ومَــرَّةً ... يَصُدُّ فيدْعُونِى لِطاعتِه الصَّدُّ
وأعجَبُ من أضْعافِها قَوْلُ عَاذِلِى ... تَسلَّ ألَا لو كان فى عَاذِلٍ رُشْدُ
وأعجَبُ شيءٍ مُطلقاً أنه اجترَى ... ولم يَدْرِ مَن أهوَى أزينبُ أم دَعْدُ
أما والذى أبْكَى وأضْحَك لم يكُنْ ... لِيخْلَق لولا خَدُّه الآسُ والوَرْدُ

***

ومن شِعْره قولُه من قصيدة، أولها:

يا رَبَّةَ الخَلْخَــالِ والقُرْطِ ... والمِطْرفِ المَوْشِيِّ والمِرْطِ
عَطفاً فإنِّى لم أحِــدْ يوماً ... عن حِفْظِ ذاكَ العهدِ والشَّرْطِ
قِفِى انظُرِى ما حَـلَّ بى إنِّى ... قد ضَرَب الأمْثالَ بى رَهْطِى
وغادةٍ بَيْضَـاءَ مِغْناقٍ ... قَوامُها كالأسْمَرِ الخَطِّى[1]
لهــا رُضابٌ ولهـا ظَلْمٌ ... كالشُّهدِ مَمْزوجاً بإسْفَنْطِ[2]
رأيتُها فى رَوْضَـةٍ يَوْماً ... تَخْتالُ بين الأثْلِ والخَمْطِ[3]
فقلتُ ناشَدْتُكَ إلَّا ما ... عَجِلْتِ لى من وَصْلِه قِسْطِى[4]
فوجَّهتْ وَجْهَ الرِّضَا نَحْوِى ... وأعْرَضتْ عن وِجهةِ السُّخْطِ

***

وقوله[5]:

ما اصْطفَى قلبىَ إلَّا مُصْطفَى ... هُوَ حَسْبِى من حبيبٍ وكَفَى
أسْعَدَ اللهُ تعــالى طالِعاً ... حَلَّ فيه وأراه الشَّرَفَا

---

(١) صدر هذا البيت وبعض الأبيات الأخرى مضطرب الوزن كما ترى. (٢) الإسفنط: الخمر.
(٣) الخمط: الشجر لاشوك له. (٤) فى ا، ب: «من وصلة تسطى»، والمثبت فى ج.
(٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢ / ٣٠٢.

ماعليه لو سقاني رِيقَهُ إنه الشُّهْدُ وفي الشُّهْدِ شِفَا
إنْ وَفَى الدهرُ به في ليلةٍ فهوْ عندى دائمًا أهلُ الوَفَا

***

وكتب إلى صديق له :

قُلْ للذى أنا ثابتٌ في حُبِّه وهَواهُ وهو مُبَدِّلٌ مِيثاقِي
إنِّى لأرْضَى أن تُنَوِّه بِي ولو في آخرِ القِرْطاسِ بالإلحاقِ(1)

***

وله في الدُّخان :

هل آيةٌ جاءتْ بتحريمِه أو هل حديثٌ نبَوِيٌّ وَرَدْ
فقُم إلى الغابةِ وانهَضْ لها لا يقْرَبُ الغابةَ إلَّا أسَدْ

(1) في ا : « في آخر الميثاق » ، والمثبت في : ب ، ج .

٣٤٥

عبد الباقي الإسحاقي*

شاعرٌ تجاوَزَ في الرِّقَّة الحدّ ، فكأنما تسكوَّن من سِحْرِ الجَفْن ورِقّة الخدّ .

فشِعْرُه عليه رَوْنقٌ باهرٌ من الحُسْن ، وهو أفعَلُ في القلوب من التَّفْتِير في الجُفون الوُسْن .

باختِراع المعاني ذو صَبابة ، يَرْمِي الغَرضَ البعيدَ عن قَوْس الإصابة .

وقد جاء في هذه الخُطَّةِ أمَّــةً وَحْــدَه ، فلم يجهَلْ أحدٌ من أهـلِ العصرِ رَسْمَه وحَدَّه .

فابنُ نُباتةَ لم ينَلْ حلاوةَ مَعانيه ، وابنُ سُكَّرة[1] عزُبتْ عنه عُذوبةُ مَبانيه .

***

وقد أوردتُ له ما تتَغايرُ على رَوْنَقِه دَرارِيُّ البُحور ، وتمايلُ له طَرَباً أغصانُ القُدود المُثمِرة بِثِمارِ النُّحور .

فمن ذلك قوله[2] :

تمشَّتْ لنا تُخْجِلُ الكَوْكَبَا فناديتُها مَرْحَباً مَرْحَبــا

(*) عبد الباقي الإسحاقي المنوفي .
أديب فائق ، وشاعر فاضل .
قرأ ببلده منوف على شيوخ كثيرين ، وتردد إلى القاهرة ، وأخذ بها عن أكابر علمائها .
وكان قاضيا فاضلا ، عالما ، مؤرخا ، له نظم لطيف ، ألف « تاريخا » ، ورسائل كثيرة .
توفي بمنوف ، سنة نيف وستين وألف .
خلاصة الأثر ٢/٢٨٩ ـ ٢٩١ .

(١) محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي ، المعروف بابن سكرة .
من شعراء اليتيمة ، وهو شاعر فائق في الملح والطرف .
توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.
تاريخ بغداد ٥/٤٦٥ ، وفيات الأعيان ٤/٤٠ ، يتيمة الدهر ٣/٣ .

(٢) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/٢٨٩ ، ٢٩٠ .

غزالةُ إنسٍ لها طَلْعـةٌ إذا خالَها الصَّبُّ حقًّا صَبَا
أدارتْ بحَضْرتنـا قهوةً وطافتْ بكأسِ الطِّلَا مُذْهَبَا
رَنَتْ ورَمَتْني بألحاظِهـا وقد أذكرتْني عهدَ الصِّبَا
فلو أنَّ نَظْرتها كالظُّبـا لَهانَ ولكنْ كحَدِّ الظُّبَا
وغنَّتْ لنا فطرِبْنا لهـا فياحُسْنَ ذاكَ الذى أطرَبَا
غَزالِيَّةٌ آنسَتْ صَبَّها وأنسَتْ مُحبَّتُها زَيْنَبـا
فَهِمْنَا فَهِمْنا غراماً بهـا وعن حالتى حُبُّها أعْرَبا[1]
وصيَّرتُ قلباً غدَا هائمـاً وقد كاد فى الحبِّ أن يَذْهَبَا
ففيها مَديحِى عَذْباً يُرَى وفى غيرِها المدحُ لن يَعْذُبَا
سأجعـلُ فى وَصْفِها نُبْذَةً وأركبُ فى حُبِّها أشْهبَا
مدحتُ فقصَّر قلبى المديحَ وكان مُرادِىَ أسْتوعِبـا
وإنِّىَ فى وَصْلِهـا سيِّدى تَرانِىَ بين الورَى أشْعَبَا
فباللهِ يانَسْمةَ البَانِ إنْ حَفَفْتِ على حَىِّ ذاكَ الرُّبى
وجُزْتِ رِياضاً بها غادِنٍ فهاتِ لنا عن حُلاهَا نَبَا
أيا عاذِلِى فى هَواها اتَّئِدْ حديثُك عندىَ مثلُ الْهَبَا
سقَى اللهُ رَوْضاً به سادِنٍ من الوَبْلِ غَيْثاً به صَيِّبَا
لأنِّىَ باقٍ على عهـدِهمْ أرَى حُبَّهم مَذْهَباً مُذْهَبا

***

وقوله[2] :

أَذَكَرْتِ أيَّتُها الحمامـةُ غِيدَا ومَعاهِـداً سلَفَتْ لنا وعُهودَا

---

(١) « فهمنا » الأولى من الفهم ، والثانية من الهيمان .

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٢٩١ .

وصَدَحْتِ فوق أراكةٍ فصدَعْتِ قلْ ... بَ شَجٍ وحين صمَدْتِ ذا الأُملودَا(١)

ذكَّرْتِ أشجانًا لنـــا ومَعاهِدًا ... وصَفًا تقضَّى طارِفًا وتَلِيدًا(٢)

هـــذا على أن الغرامَ إذا زكَا ... ظـــلَّ الشَّجِى يتوقَّعُ التَّغْرِيدَا

للهِ أيامٌ نعِمتُ بهـــــا وقد ... عقَد الغَمامُ على الغصونِ بنُودَا

حيث الشَّجِى طَوْراً يُحَمِّشُ كاعِباً ... ومن الجوَى طَوْراً يُحَمِّشُ رُودَا(٣)

حيثُ الشَّمالُ يُحرِّكُ العذَباتِ إذْ ... يخْطُو ويخطِر فى الرِّياضِ وبِيدَا

حيثُ المَثانِى والمَثالثُ هـــذه ... ترْنُو وذِى تُشْجِى تُحرِّك عُـــودَا

هذا ومَعْ أنَّا ولو طفَحَت كُؤو ... سُ الرَّاحِ واشْتعل المُدامُ وَقُودَا

ما حرَّكتْ مِنَّا الشَّمُولُ سِوَى الرُّؤو ... سِ كذا الشَّمالُ تُحرِّكُ الأُمْلُودَا(٤)

أتَوُوبُ هاتِيك اللُّوَيْلاتُ التى ... فيها نظَمْتُ لَآلِئًا وعُقــــودا

ولَرُبَّ خِلٍّ حاز أنواعَ الذَّكا ... ولِذا غدَا فى المَكْرُماتِ فرِيدَا

سامَرْتُه وجنَوْتُ من ألفاظِه ... ما يُخجِلُ الصَّهْباء والمُنْقودَا(٥)

وجَلَا علىَّ عَرائِساً من فِكْرِه ... حَسُنَتْ طُلًا ومَعاطِفاً وقُدودَا

وأفادَنِى وأفَدْتُه والخِـــلُّ يُحْ ... مَدُ أن يُفـــادَ مَعانِياً ويُفِيدَا

فالعقلُ نَامٍ والعَفافُ بحـــالِه ... ومُجِيدُ فِكْرتِنا استمرَّ مُجِيدَا

يا عبدُ فابْقِ على اصْطِباحِك واغْتِبا ... قِك واصْحَبَنَّ العَهْدَ والمَعْهودَا

***

ومن مُطرِباته قوله :

رقص المجلسُ أُنْسًا ... فاجعلِ الجَرَّةَ كأْسَا

---

(١) فى الخلاصة : «فوق أراكة فتصدعت * قلبا وحين . . . » .

والأملود : الغصن الناعم .

(٢) فى الخلاصة : « أذكرت أشجانا » . (٣) فى الخلاصة : « يحمش رودا » .

(٤) فى الخلاصة : « ما حركت منا المدام » . (٥) هكذا فى الأصول : « وجنوت » .

واسقنِي بالزِّقّ والطَّا ... سِ فإنِّى بِتُّ نَفْسَا

وأقِمْ لِلَّهْوِ واللَّـــذّ ... اتِ فى حَانِىَ عِرْسَا

قد غَرسْنا زَهْرَ حُبِّ ... فَجَنَيْنَا منه غَرْسَا

فامْلَ لِى حتى ترَى الأعْ ... رابَ فى المَنطِقِ خُرْسَا[1]

لا ولا تقنعْ بذا حَتَّ ... ى تَرَى النُّدْمانَ خُرْسَا

ما بهم قَطُّ حَـراكٌ ... لا ولا تسْمَعُ هَمْسَا

حَبَّذا بِـكْرٌ عَرُوسٌ ... قد حَكَتْ فى اللَّونِ وَرْسَا

هى عَـــذْراء عجوزٌ ... لم تـكُنْ تَنفُضُ أمْسَا

وعجيـــبٌ لعَرُوسٍ ... أدْرَكَتْ قُسًّا ورَسًّا[2]

وهى لِى سِتٌّ ولـكنْ ... ملـكتْ مِـــنِّىَ خَمْسَا

***

قولهم : « ستى » بمعنى « سيدتى » خطأ[3] ، وهى عامِّيَّة مُبتَذَلَة ، ذكره ابنُ الأعرابىّ ، وتأوَّله ابنُ الأنبارِىّ فقال : يريدون ياسِتَّ جِهاتِى . وتبعه فى القاموس ، فقال : وسِتِّى للمرأة ، أى ياسِتَّ جِهاتِى[4] ؛ كِناية عن تملُّكِها له ، ولا يَخفَى أنه تكلُّفٌ وتمحُّل .

وإليه أشار بهاء الدِّين زُهَيْر[5] :

برُوحِى مَن أُسَمِّيها بِسِتِّى ... فتنْظُرُنى النُّحاةُ بعَيْنِ مَقْتِ

يرَوْنَ بأنَّنى قد قلتُ لَحْنًا ... وكيف وإنَّنى لَزُهَـيْرُ وَقْتِى

---

(١) فى ب : « فى المنطق فرسا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) يصفها بالعتق ، فهى قد أدركت قس بن ساعدة الإيادى ، وأدركت قوم الرس ، من الأمم البائدة .

(٣) هذا نقل عن شفاء الغليل ١٢٢ ، ١٢٣ . (٤) هذا آخر ما نقل عن القاموس ، وبعده فيه : « أو لحن ، والصواب ياسيدتى » . (٥) الأبيات فى : ديوانه ٢١ ، شفاء الغليل ١٢٣ .

ولكنْ غادةٌ ملَكتْ جِهاتِي فلا لَحنٌ إذا ما قلتُ سِتِّي

***

كيف لا وتُرِينِي فى دُجا الظَّلْماءِ شَمْساَ
وتُقِيمُ المَيْتَ حَيًّا بعدَ ما جاوَرَ رَمْساَ
فاتَّخَذْناها إلى الخلْ وةِ فى المجلسِ عِرْساَ
واصْطَفَيْناها إلى جَيْ شِ هُمومِ القلبِ تُرْساَ
واتَّقَيْنا بظُباهاَ فى الْوَغَى جِنًّا وإنْساَ
هاتِها من يدِ ظَبْيٍ يُكْسِبُ النُّدْمانَ أُنْساَ
وإذا عَزَّتْ سَقَى مِن لَحْظِهِ الأدْعَجِ نَطْساَ(١)
فيه أضحَى القلبُ مُغْرَى مِثلَما أصبح أمْسَى
فإلى اللَّذَّاتِ أشكو زمَناً لِلَّهْوِ أنْسَى
صار فيه القلبُ صَخْراً وغدا المَضْجَعُ حَبْساَ
ولقد عَمَّ معالِيـ ـمَ الذَّكا نَوْعاً وجِنْساَ
ما ابنُ إسْحاقَ بأزْكَى منك أنفاساً ونَفْساَ
إن تأسَّيْتَ تَسَلَّيْـ ـتَ فخبِّرْ من تأسَّى(٢)

***

وله فى الغزل :

يُحرِّكُنِي إليك هوًى مُطاعُ فأحمِلُ فيك ما لا يُستطاعُ
وأركبُ مَرْكَباً فى الحبِّ صَعْباً تضِيق به الأماكنُ والبِقاعُ

(١) فى ا : « لحظها الأدعج » ، والمثبت فى : ب ، ج .
والنطس : العالم بالشيء ، وفى المادة معنى المبالغة فى الشيء . انظر اللسان (ن ط س) ٦/٢٣٢ .
(٢) فى ا : « فخبر من تأسى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فللعَبَراتِ فى الخدِّ اندفاقٌ ... وللزَّفَراتِ فى الصَّدْرِ اندفاعُ

وفى هذى رُميتُ بكلِّ بَلْوَى ... تداوَلَ ذِكْرَها الرَّهَجُ الرَّعاعُ[1]

وبَلْوَى الدهرِ تنزِل كلَّ يومٍ ... بكلِّ فتًى له فى السَّبْقِ بَاعُ

تطاوَلَ فى المَكارِمِ منه طَولاً ... له فى عالَمِ الغيبِ اطِّلاعُ

فما ذَنبِى سوى أنّى مُحِبٌّ ... وفى كَبِدِى من الحبِّ انصِداعُ

ولى فضلُ التَّقدُّمِ فى انقطاعٍ ... إليك وليس لى عنك انقِطاعُ

أضَعْتَ مَودَّتِى ونسِيتَ عهدى ... وعهدِى فى المَحبَّةِ لا يُباعُ

وكنتُ قنِعتُ بالكِتْمانِ فيكم ... فأمَّا اليوم فانكَشف القِناعُ

وكنتُ إذا سمعتُ لكم حديثاً ... يُحرِّكنى من الوَجْدِ السَّماعُ

فإن تَعطِفْ على عبدٍ مُضاعٍ ... فإنِّى ذلك العبدُ المُضاعُ

وقد طلَّقْتُ سَلْوتَكم ثلاثاً ... طلاقاً ليس لى فيه ارْتجاعُ

على أنى سأُنْشِد عند بيعى ... أضاعُونى وأىَّ فتًى أضاعُوا[2]

***

ومن مُطْرِباته قوله[3] :

أمْلَ لى الكاسَ تَماماً ... واسْقِنِى جاماً فَجاماَ

واجعَلِ الدُّرَّةَ كأساً ... وخُذِ التِّبْرَ مُداماَ

تَمِّمِ الكأسَ فإنَّ الْ ... كاسَ ما كان تَماماَ

واتَّخِذْها سُلَّماً لِلَّ ... هو يَسْمُو أن يُسامَى

وتوهَّمْ أنها الحِلْ ... مُ وإن كانتْ حَراماَ

---

(١) يعنى سفلة الناس وغوغاءهم . (٢) ضمن صدر بيت العرجى المشهور ، وعجزه :

* ليوم كَرِيهةٍ وسَدادِ ثَغْرِ *

الأغانى ١/٤١٣ ، زهر الآداب ٥٥٩ .

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٠ ، ٢٩١ .

ثم أزهَى موضعٍ فى الرّ ... وضِ فاختَرْه مُقاما

وإذا ما شئتَ أنْ تسْ ... كرَ فاستَدْعِ النَّدامى

وليَكُنْ خمرُك عَا ... دِيًّا وساقيك غُلاما(١)

يملأُ الكاساتِ والأقْ ... حانَ نُزْءا وسَقاما

يملأُ القلبَ سروراً ... وانبساطًا وغَــراما

عابثًا بالغُصْنِ أعطا ... فًا وبالزّهْرِ ابْتِساما

ومُحَــلًّى بالطّلا جِيـ ... داً وبالعارضِ لاما

وترَى منــه القَوامَ الْ ... غُصْنَ والغُصْنَ القَواما

وترى الأغصانَ إجْـ ... لالًا له هِيباً قِياما

اسْقِنى بالكوبِ والكا ... سِ فُرادَى وتُوَاما

ثم بالطّاسِ إلى أنْ ... تتراءى الهامُ هَاما

ثم بالجَرّةِ فالجَــرّ ... ةِ حتّى أترامَى

اسْقِــنى حينَئِذٍ بالزّ ... قّ حــتى لا كَلاما

ثم بالدَّنّ فتلك الْ ... غايةُ القُصْوَى تمــاما

ثم خُذْ عــنّى ما شِئْ ... تَ ولا تخْشَ أثاما

والتَقِطْ مِنّى الجُمانَ الْ ... فرْدَ نثْراً ونِظاما

وإذا لم يكُنِ الطّا ... فِحُ بالكأسِ هُماما

فاغْدُ واعْذِرْ وإذا را ... مَ خِطاباً قُلْ سَلاما

⁂

---

(١) لعله يعنى بـ « عاديا » معتقة من عهد عاد.

٣٤٦

أبو السرور الهُوِّىّ*

رَوضُ أدبٍ أزهارُه لا تعرف ذَوَا ، وله شِعرٌ لطيف لِمَرض الشُّجون دَوَا .

سلَك من شِعاب الفضل أقوَمَ سبيل ، وكَرَع مِن حِياضِه أعذبَ سَلسَبِيل .

فأطلَعَ شِعرَه أبهَى من السرور ، وألطَف من الزُّلال على الكبِدِ المَحْرُور .

وكان فى عُنفُوان شبابِه ، ورُواءِ أخدانِه وأحبابِه ، حليفَ هوًى ولَهْو ، وأليفَ وَجْدٍ وزَهْو .

بين نُدْمانٍ طلَعُوا فى أُفُقِ الحسْن شُمُوسًا، وذلَّلُوا مِن مَطايا الطَّرَب حَرُونًا وشَمُوسا.

ولما رأى تلك الشموسَ هَوَت ، ونُجُومَ الآمالِ قد خَوَت ، أعرضَ عن هَواه ، وداوَى داءَ عِشقِه بدَواه .

وتحقَّق بالانقِياد لِمَنهَج الصواب ، ونادَى مُنادِي الغَيب فسمِع الجواب .

ولم يزَلْ مُوَفَّقا لإحْرازِ مَراضِيه ، وحالُ مُستقبَلِه خيرٌ من مَاضِيه .

إلى أن انتقلَ إلى رحمةِ عَلَّامِ الغيُوب ، بَرِىءَ السَّاحةِ من دَرَنِ العيُوب .

***

فمن شِعرِه ، قولُه من نبويَّة ، مُستهِلًّا :

حتَّى م يُقصِينِى بِعادِى ... عن حَىِّ حَىٍّ حِمَى سُعادِ

وإلى متى يَثْنِى عزَا ... ئمَ هِمَّتِى طولُ التَّمادِى

(*) ضبطت « الهوى » فى ا ، ب ضبط قلم ، بضم الهاء وفتح الواو وتشديد الياء .

وهو ، بالضم ثم السكون ، على حرفين ، هو الحمراء ، بليدة أزلية على تل بالصعيد ، بالجانب الغربى ، دون قوص ، تضاف إليها كورة . معجم البلدان ٤/٩٩٦ ، القاموس ٤/٤٠٦ .

وذكر الخفاجي فى ريحانة الألبا ٢/٩٢ ، أن هوّ : بلدة بالصعيد ، لم يخرج منها نجيب ولا سعيد .

وفى الخطط التوفيقية ١٧/٢٥ : « هوّ : بلدة بالصعيد الأعلى ، عرفت زمن اليونان بطيبة الصغرى ، وكانت تعرف أيضا باسم هم ، وكانت قاعـدة إقليم ، وهى الآن واقعة على كيمان البلدة القديمة ، فى طوق الجبل الغربى »

وعلى مَ ذا شرٌّ يَرُو جُ وكلُّ خيرٍ فى كَسادِ
ولَجَ النَّهارُ الأَبيَـلَ فى فَوْدِى وفى ظُلَمِ الفوادِى
ما آن إمساكٌ بَدَا خَيْطُ البياضِ من السَّوادِ
ما آن للسَّفَرِ الطوي لِ من التُّقَى تحصيلُ زادِ
ما آن يا ذاتَ الجِهـا تِ السِّتِّ لى جَمْعُ انفِرادِ
رَفْعُ النِّقابِ لِينجَلِى مَرْأَى وُجودِى عن مُرادِى
ما آن أن تتذكَّرِى الْ مهدَ القـديمَ من الوِدادِ
ما آن أن تتعرَّفِى طالَ التنكُّرُ فى بِعادِى
أَوَّاهُ قد كُشِفَ الحجـا بُ وخاب فى نَظَرِى سَوادِى
والرَّكْبُ سار على الجِيا دِ بمن تزَوَّد خيرَ زادِ
وقطعتُ عُمْرِى فى المَسِي رِ ولا بَرِحتُ ببطْنِ وَادِ
ولقـد ضلِلتُ وليس لى إلَّا دليـلُ الخيرِ هادِى
ذُو الجـاهِ والباعِ الطوي لِ إذا تقاصرتِ الأيادِى
المُصطَفَى المُختـارُ صَفْ وةُ مُجتَبيهِ من العبادِ
ماحِى الضَّلالةِ بالبَنـا نِ وبالبيانِ وبالفؤادِ
شمسُ النُّبُوَّةِ فى الشُّرو قِ وفى الغروبِ وذا اعتقادِى
يا أحمـدُ المحمودُ فى التَّـ نزيـلِ يا عالِى العِمادِ
العَجْزُ عن إدْراكِ دَرْ كِك غايةٌ فى الاعتقادِ
يا واحدًا جَمَـع المحا سِنَ كُلَّهُنَّ على انفِرادِ
يا كَنزَ إكسيرِ الودا دِ لقلبِ أعيانِ الأعادِى
بذُنوبِ أهلِ الأرضِ جِئْ تُك مُسلِمًا ولك انقيادِى
وبك استغثتُ وأنت أَكْ رمُ أن يَرُدَّ نداك صادِى[1]

(١) فى الأصول : « بذاك صادى » ، ولعل الصواب ما أثبته ، واضطر إلى ترك النصب للقافية .

والعفوُ أوسعُ من ذنو بى والرَّجا مَحْضُ اعتقادِى
يا سَيِّـــــداه ويا نَبيَّ اهُ ويا غَوْثَ المُنادِى
زَنْدُ الرَّجا والخوفِ أوْ دعَ مُهجتى وَرْىَ الزِّنادِ
إنِّى أنا المُضْطَرُّ واﻟْ مُضْطَرُّ مقبولُ الجيـــادِ
إنَّ النَّوائبَ شَتَّتَتْ شَمـــلِى بأهْوالٍ شِدادِ
إنِّى إلى المعروفِ أشْ وَقُ فى الوَفا مِن طِيبِ زَادِ
وإذا بسَطْتَ الكَفَّ جُو دًا كَفَّ من عُدْمِ الأعادِى
مَهِـــدًا تبيَّنْتَ السُّرو رَ وفى الصَّبا حُزْنُ الفؤادِ
أجِـــزِ الجوائزَ بالقَبُو لِ فإنه أقْصَى مُرادِى
فعليك ما ضَجَّ الحَجِيـ جُ وسار بالرُّكْبانِ حَادِى
أزْكَى الصلاةِ مع السلا مِ مِن السَّلامِ بلا نَفادِ
والآلِ والصَّحْبِ الذيـ ن قَضَوا جِهاداً فى الجِهـــادِ
ما أحْسنَ اللهُ الختاَ مَ لحُسْنِ إصْلاحِ المَبادِى

***

ومن مُقطَّعاته قولُه :

رَامَ رِئمُ الحِمَى يُقَبِّلُ ظَبْيًا فتلقَّى وُقوعَهـــا فى فِيهِ
فانثَنَى نافِرًا وألْفَتَ جِيدًا وعجيبٌ نِفارُه مِن أخِيهِ

***

وقوله :

إخوانُ هـــذا الزمانِ لمَّا تفرَّقتْ منهمُ القلوبُ
توهَّمُوا أنهـــمُ أصابُوا وما دَرَوا أنهمُ أُصِيبُوا

⁂

٣٤٧

محمد بن حجازى الرَّقباوِى*

شاعر مِكْثار ، إلَّا أنه مأمونُ كَبْوةٍ وعِثار .

دخل الحجازَ واليمن ، واتَّصل بُولَاتِهما الذين ابْتَهج بهم الزمن .

فأطال فى مَدْحِهم وأطاب ، ومَلأَ ذخائرَ أنْعُمِهم الجمَّةِ الوِطاب .

ولله تعالى بَقايا من عبادِه فى بلادِه ، خلَقهم لِيَنعشَ بهم العاثِر ، ويُحْيِيَ بمَكارمهم المَعالى والمآثِر .

***

فمن مدائحه فى الشريف زيد[1] ، صاحبِ مكة ، قولُه من حائيَّة عارض بها الفَتْحَ بن النَّحَّاس[2] ، مطلعُها[3] :

كلُّ صَبٍّ مالَه فى الخدِّ سَفْحُ ... لم يرُقْ فى عينِه نَجْدٌ وسَفْحُ

ومتى يعلُو بشأنٍ فى الهوَى ... وله شأنٌ به فيه يَشِحُّ

إنَّما الدمعُ دليلٌ ظاهرٌ ... إن يكنْ للحبِّ مَتْنٌ فهو شَرْحُ

(*) محمد بن حجازى بن أحمد الرقباوى الإنبابى المصرى .

ولد بإنبابة ، ونشأ بمصر ، واشتغل بعلوم الأدب حتى فاق أقرانه .

ورحل إلى الحرمين ، وتوطنها مدة ، ومدح الشريف زيد بن محسن بمدائح كثيرة ، فجعل له فى كل سنة راتبا ومعلوما ، ثم توجه إلى اليمن ، فمدح الأئمة بنى القاسم ، فانثالت عليه جوائزهم ، وكان له اختصاص بمحمد بن الحسن من بينهم .

وتوفى بمدينة أبى عريش من اليمن ، سنة ثمان وسبعين وألف .

والإنبابى : نسبة إلى إنبابة ، قرية من بحرى جيزة مصر على شاطئ النيل [تقع الآن غربى القاهرة الكبرى] .

خلاصة الأثر ٣/٤١٥-٤١٨ .

(١) تقدم التعريف به ، فى الجزء الثالث ، صفحة ٥٨٥ . (٢) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الثانى ، صفحة ٥٠٧ ، والحائية فى ديوانه ٢٥ - ٢٨ ، وبعضها فى النفحة ٢/٥٢١ ، ٥٢٢ .

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٤١٥ - ٤١٨ .

والذى يصبُو لأغصانِ النَّقَا لم يكنْ عنها بغير الطَّرْفِ يَصْحُو
يستحِي من أن يُوافيها الحيَا وهو أوْفَى مِنَّةً والغيمُ يَمْحُو
كيف يستسقِي لها ماء السَّما وله جَفْنٌ متى شــاء يَسِحُّ
رَوضــةٌ لِلغِيدِ كانتْ مَلعبًا وهى فى لَبَّةِ جِيدِ الشرقِ وَضْحُ(١)
كلَّما نقَّطَها قَطْرُ النَّدَى رَشَفَ الطَّلَّ بها رَنْدٌ وطَلْحُ
وإذا مرَّتْ بها ريحُ الصَّبـــا سَحَرًا أَرَّجَهـا بالمِسْكِ نَفْحُ
وتغنَّتْ فوقها وُرْقُ الحِمَى ولِداعِي بُلْبُلِ الأشواقِ صَدْحُ
رُبَّ خَـــودٍ ذاتِ لَحْظٍ فاتِنٍ فاتِكٍ بالكَسْرِ والسُّقْمِ يَصِحُّ(٢)
بَضَّةٍ قـــد غُمِستْ فى حُسْنِها ولها فى لُجَجِ الإحْسانِ سَبْحُ(٣)
أتُراهـا استَعْذَبتْ يومَ النَّوَى لِمَذاقِي كأسَ بَيْنٍ وهْوَ مِلْحُ
مالَها لا عَبَثَ الدهرُ بهـا لاتَرَى الهِجْرانَ يكْفِي وهْو ذَبْحُ(٤)
كنتُ أشكو صَدَّها مِن قبلِ أنْ تنتوِي والآنَ عندى فيه شُحُّ
يا نَـــوارُ اصْطَفِيِني بالِّلقَا فلكمْ قاليْتُ مَن فى العشقِ يَلْحُو
إنْ تكُونِي شِمْتِ فى ليلِ الصِّبا بارِقًا فهْو لِرَوْضِ الحُــلْمِ فَتْحُ
كم جلَيْتِ الشمسَ فى غَرْبِيَّةٍ وسَمَحْتِ وجَناحُ الفَوْدِ جُنْحُ(٥)
فاجْعَلِيـــه شافِعًا فيما بَدَا أىُّ لَيْــلٍ مالَه يابَدْرُ صُبْحُ
ولقد أعـــلمُ حقًّا لم يكنْ منكِ عن ذَنْبِ ظُهورِ الشَّيْبِ صَفْحُ

---

(١) الوضح : الغرة . (٢) فى خلاصة الأثر : «رب ريم» . (٣) مكان هذا البيت فى خلاصة الأثر :

كَنَسَتْ فى ظِلِّ ذَيَّاكَ النَّقَا وأذابتْ كُلَّ قلبٍ فيه جُرْحُ
طَنَّبَتْ فى مُهْجتِي واستحْكمَتْ فىَّ قَطْعًا ليتَها بالوَصْلِ تَنْمُو

(٤) فى خلاصة الأثر : « لاترى الهجران كاف » . (٥) فى الخلاصة : « فى غربيه » .

كم أُدارِى فيــك عُذَّالِى وكم ساءَنِى فيك على التّبريح كَشْحُ
وإذا فعل الغوانِى هكذا كلُّ ذى سُكْرٍ بهم لاشكَّ يَصْحُو (١)
سأذُودَنَّ فـؤادِى رَاغِبـاً عن هوًى مَن جِيدُه بالصّدْقِ مَزْحُ
ياخليليَّ اعذرانِى إنَّ لى نارَ وَجْدٍ مالها بالعشق لَفْحُ
خَلّيَانِى والذى ألقاهُ مِن زَنْدِ شـوقى ماله بالغيدِ قَدْحُ
أنا عن ألحاظِهم فى مَعْزِلٍ وحَديثى ظاهرٌ وهْــو الأصَحُّ
قــد نَسِينا ماحَفِظْنا منهمُ ورأينا أن بعضَ العَذْلِ نُصْحُ
لا أرَى العَيْشَ صفاً مالم أعِشْ وفؤادِى من حُروفِ اللّهْوِ يَمْحُو (٢)
وعن التّشبيبِ ماأغْنَى ولى فى عَلَا زيدِ العُلَى شكرٌ ومَدْحُ
قامِعُ الأقرانِ فى يومِ الوَغَى تحت ظِلِّ السُّمْرِ والحربُ تَفِحُّ
أبيضُ الوَجْهِ إذا النَّقْعُ دجا واضحُ البِشْرِ إذا الفرسانُ كُلْحُ
كم له يومَ نَخَارٍ مُنْتَمَى ولِوَقْعِ البِيضِ بالهاماتِ رَضْحُ (٣)
صبَّحَ الإقبـال حرباً ولكم شرقَتْ من خيلِه حربٌ وصُبْحُ
يومَ أرْوَى بقديحِ المصطلى قَدْحَ زَنْدٍ وَرْيُه بالفَوْزِ قِدْحُ (٤)
وعلى العُمْرةِ أرْبتْ يَـدُهُ وله فى يومِهـا عَفْوٌ وصَفْحُ
أذْكَرَ الصِّفّيْنِ إذْ ذاك بهـا يَوم صِفّينَ ولِلْخَيْلَيْنِ ضَبْحُ (٥)

---

(١) فى ا : «كل ذى سكرلهم» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٢) فى ا : «من حروف اللهو يمحو» ، والمثبت فى : ب،ج ، والخلاصة . (٣) فى ا ، ج : « بالهامات وضح » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة.

والرضح : الكسر .

(٤) فى الأصول : « بقدىح المصطلى » ، والمثبت فى الخلاصة . (٥) فى الخلاصة : «أذكر الصنفين» ، وفى ا ، ج : « وللخيلين صبح » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة .

وضبحت الخيل : أسمعت من أفواهها صوتا ليس بصهيل ولا حمحمة . القاموس (ض ب ح) .

وهو يشير إلى وقعة صفين بين على بن أبى طالب أمير المؤمنين ومعاوية والى الشام .

وَلَفَا عنى ضَــلالًا بعدما ... طاشَ من تصحيحه فى فيهِ صَفَحْ [(١)]

ولَكَمْ سارَعَ بالخيلِ على ... حَرَمِ اللهِ وللأعمارِ دَلَحْ [(٢)]

مانعُ الجارِ فلو لاذَ الدُّجى ... بعَواليه لَما جلّاه صُبْحُ

ولو أنّ الشمسَ تحكى نورَه ... ما علاها فى ظلامِ الليلِ جُنْحُ

وَاهِبُ الأرواحِ فى يومِ الوَغَى ... لأعاديهِ الألَى بالمالِ شَحُّوا

ولقد كانَ أبوه هكذا ... ولِماءِ الوَرْدِ بعد الوردِ نَضْحُ

أشغلَتْ هَيبتُه فِكْرَ العِدَى ... فهمُ فى غَمْرةِ الإشفاقِ طَرْحُ

لو رأَوْه فى الكَرى لانتبهوا ... ولهم من خوفه بالرُّعبِ قَزْحُ [(٣)]

وإذا شامُوا بُروقًا أيقنُوا ... أنّ أعناقَهمُ بالبيضِ مُسْحُ

وإنِ انقضّتْ نجومٌ فى الهوا ... زعَموا أن مُطارَ الشُّهْبِ رَزْحُ [(٤)]

بأبى أفديك يا بحرَ النّدَى ... يا مُضِىءَ الرأىِ إن أظلمَ قَدْحُ

يا عَقيدَ الخيلِ يومَ المُلتقَى ... يا شديدَ البأسِ والأقرانُ طَلْحُ [(٥)]

يا عَريضَ الجاهِ يا حامِىَ الحِمَى ... يا ملاذَ الكونِ إن لم يُغْنِ كَدْحُ

يا جَميمَ الفضلِ والسَّيفُ له ... بِفَدادينِ الطُّلَا حَصْدٌ ومَسْحُ [(٦)]

خُذْ حَديثى واستَمِعْ قَوْلى فما ... كلُّ مَن قال قَرِيضًا فيه صُحُّ

هاكَ نَظْمَ الدُّرِّ من مَعْدِنِه ... رائقَ المعنَى له بالمدحِ مَدْحُ [(٧)]

واجْتَلِ الأبكارَ فى نورِ الوفا ... واخْتَبِرْها فهى بالعِرفانِ فُصْحُ [(٨)]

ضَمِنَ الدهرُ لها التَّخْليدَ فى ... صفَحاتِ الكونِ والأيامُ فُسْحُ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « ولفا عنى ضلال . . . فى فيه صمح » . (٢) دلح الرجل : مشى بحمله منقبض الخطو لثقله . (٣) القزح هنا بمعنى القفز ، وأصله مأخوذ من : قزح الكلب ببوله ، أرسله دفعا . انظر القاموس (قزح). (٤) رزحت الناقة : سقطت إعياء . (٥) فى الخلاصة : « ياعتيد الخيل » . (٦) فى خلاصة الأثر : « بفدادين الطلا » . (٧) فى الخلاصة : « بالمدح مزح » . (٥) فى الخلاصة: « واجمل الأبكار » .

وهْى كالجُرْدِ السَّلاهِيبِ لهـــا بمَجالِ الشُّكْرِ فى علْياكَ مَرَحُ[١]
حاصَرتْ ما شاد فتْحٌ قبلَهـــا وتلَتْ نَصْرٌ مِن اللهِ وفَتْحُ[٢]
أحْرَزَ السَّبْقَ ولكن فَتُّهُ بك يا ابنَ الطُّهْرِ والآياتُ وُضُحُ[٣]
لا يرُوقُ المَدْحُ إلَّا فى الأُلَى لهمُ الأنْسابُ كالأحْسابِ رُجُحُ
أين مَن جَدَّاهُ طٰهٰ المُصْطَفَى وعَلِيٌّ المُرْتضَى مِمَّن يُزَحُّ[٤]
بَرز القالُ لهـــا من مَنطِقِى لك بالإيرادِ والإسْعادِ سُنُحُ[٥]
وأنا منك أيا خَـــيْرَ الورَى لم يكُنْ صَوْتى كما قيل أبَحُّ[٦]
ولقـــد أغْنَيْتنِى عن مَطْلَبِى منك بَدْءًا ونَظِيرى لا يُلِحُّ
لو درَى النَّحَّاسُ أنِّى بعـــدَه أصْنَعُ الإبْرِيزَ لم يَمْسَسْه قَرْحُ[٧]
أشكُرُ الأيامَ قد رَوَّيْتَنِى وبِتَأْبِيبِى بأفْضـــالِك طُفُحُ
لا أرَى الغُرْبَةَ ألْوَتْ ساعِدِى وبِاعِى بنَـــداك الجَمِّ سَبْحُ
طَالِعِى بالسَّعْدِ وَضَّاحُ الحِجَى بك فى بُرْجِ الهَنا والرَّجْوُ ضِحُّ[٨]
ولقـــد بلَّغْتنِى كلَّ المُـــنَى بأحاديثَ لهـــا فى النفسِ سَرْحُ
نِعْمَـــةٌ منك علينا لم تزَلْ يقْتفِى آثارَها فَوْزٌ ورِبْحُ
دُمْتَ يا شمسَ الهُدَى ما ابْتَسَمتْ بك أفواهُ الدجى وافْتَرَّ صُبْحُ
ما همَتْ عَيْنُ الغَوادِى وبَدَا بك فى وَجْهِ الزمانِ الغَضِّ رَشْحُ

☆☆☆

(١) السلهب من الخيل : ما عظم وطال عظامه . (٢) يشير إلى حائية الفتح بن النحاس .
(٣) فى الخلاصة : «ولكن فقته» . (٤) زحه : نحاه . (٥) فى ا ، ب : «برز القال» ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة ، وفى : ا : «والإسعاد سبح» ، وفى ب : «والإسعاد سح» ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة . (٦) فى ب : «ياغيث الورى» ، وفى الخلاصة : «ياغوث الورى» ، والمثبت فى : ج . (٧) تقدم فى ترجمة الفتح بن النحاس ٢ / ٥٠٧ ، أنه كان فى حداثته من أحسن الناس منظرا ، ثم تبدلت محاسنه ، وانفض عنه أهل الغرام ، فاندرج فى مقولة الكيف ، وتزيى بزى الزهاد ؛ حدادا على ذهاب حسنه . (٨) الضح ، بالكسر : الشمس وضوؤها .

٣٤٨

محمد الطَّيْلُونيّ*

بعيدُ غَوْرِ المَدْح ، وَارِي زِنادِ القَدْح .

مكانتهُ في البَداهة لا تُزْحَم ، وحُجَّته البالغةُ لا تُدْحَض ولا تُفْحَم .

فاز بِمَقَادِ الانتقاد ، وأمسك عنان الافتنان ، فما كَلَّتْ له شَفْرةُ كَلام ، ولا بَرِئتْ صحائفُه مِن وَقِيعةِ أقْلام .

ولا صَفَا له ضمير ، ولا بات ليلةً[1] إلَّا وله المَكْروه سَمِير .

والطبعُ كالزَّرع ، لا يَزْكُو حتى يُصادِف ثَرًى طَيِّبا ، ومن التَّوفيق مَطَرًا صَيِّبا .

ومن الأخلاق آفاقًا صافية ، ومن المَكارم أبْرادًا ضافية .

فإذا لم يَرَ إلَّا المَكارِه ، حادَ عن انْطباعِه وهو كارِه .

فيَتَّخِذُ الذَّمَّ عادة ، ويَراه أشهى من حَياةٍ مُعادَة[2] .

وكان يُعادِي القاضي عمرَ المَغْرِبيّ ويُهاجِيه ، وكلٌّ منهما يُسامِر بَرِيدَ خيالِه في ذَمِّ الآخَر ويُناجِيه .

والقاضي هذا شيخُ بن أهْرام الزمان ، أعْمَرُ من نَصْر بن دُهْمان[3] .

مُعَمَّـــرٌ كأنّه صالَح صَرْفَ النُّوَبِ
قد انقَضَى الدهرُ وما كان به من عَجَبِ

(*) هذا الضبط من : ب ، ضبط قلم .

(١) في ب : « ليله » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب ، ج : « معاده » ، والمثبت في : ا .

(٣) نصر بن دهمان بن بصار الغطفاني ، من قيس عيلان

يقال : إنه عاش مائة وتسعين سنة ، حتى سقطت أسنانه وابيض رأسه ، فحزب قومه أمر احتاجوا فيه إلى عقله ورأيه ، فدعوا الله أن يرد عليه عقله وشبابه ، فرد الله عليه عقله وشبابه وفهمه ، واسود شعره . المعمرون ٨٠ .

والأبيات التالية في ريحانة الألبا ٢/٣٣٧ .

والناسُ جِسْمٌ واحدٌ وذاكَ عَجْبُ الذَّنَبِ [١]

ارْتَشَفَ الكِبْرَ وارْتَضَع ، حتى إذا قيل اسْتَحْكَم انْضَع .

ولِبسِ خِلْعةَ العُجْبِ والمَآتِمِ ، فهو كالنَّعْشِ لم يلبَسْ خِلْعةً إلّا وفى الحىِّ نوائحُ ومآتِم .

فما وقفتُ عليه ممَّا دار بينهما ، هذه الرسالة ، كتبها إليه الطَّيْلونى :

سَلامِى على مَن اسْتعار الليلُ من سَوادِ خِلْقتِه ، واسْتفاد طُوَيس [٢] الشُّؤْمَ من صُورته ، واكْتسَب النَّحْسان من نُحوسَتِه ، وانكدرَت النجومُ من عُبوسَتِه .

لا زال مكتسِياً تفاصيلَ الخِزْىِ والخِذْلان ، مُترَدِّياً أرْدِيةَ الذِّلَّة والصَّغار والهَوان .

ما نَبَحتْ كلابُ المَغْرب ، واستهانت عند من يهْجو ويضْرب .

وبعد ، فإن [٣] سألتَ [٤] عنى أيها الخامل ، الذى لو قُدِر على حَمْل الذُّكور لكنتَ أوَّلَ حامل .

فإنِّى بحمد الله من العِزَّة والعافية فى أعْلَى رُواق ، ممدوحٌ بألسِنة الوُزَراء فمَن دونهم بالاتّفاق .

فى عيشةٍ راضية مَرْضيَّة ، ونِعْمةٍ سابِغةٍ سَنِيَّة .

لا أرْقَعُ قَمِيصا ، ولا أبِيت خَمِيصا [٥] ، ولا أستعمل خَبِيصا [٦] .

ولا رهَنْتُ منذ عمرى جُوخةً ولا صُوفا ، ولا تطفَّلْتُ على خُوانٍ أنتظر [٧] فيه لَحمةً أو رَغيفا .

---

(١) فى الريحانة : « وأنت عجب الذنب » .

والعجب بالفتح والضم : أصل الذنب المغروز فى مؤخر العجز ، وروى : « كل ابن آدم يبلى إلا العجب » ، وفى رواية : « إلا عجب الذنب » . تاج العروس ١/٣٦٧ ، وانظر الفائق ٢ / ١٢٠ ، النهاية ٣ / ١٨٤ .

(٢) تقدم التعريف به .

(٣) فى ج : « إن » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٤) فى ب : « سئلت » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) الخميص : ضامر البطن من الجوع .

(٦) الخبيص : طعام يعمل من تمر وسمن .

(٧) فى ا : « أنظن » ، وفى ح : « الظنى » ، والمثبت فى : ب .

وإنى بخير كما لا تُحِبُّون ، وأرجو من اللهِ مالا تَرْجُون .
وأسأل اللهَ تعالى أن لا تكونوا كذلك ، وأن يُوقعك فى أضيَقِ المَسالك والمَهالك .
وبما أقْرَعُ به سَمْعَك أعارَهُ اللهُ الصَّمَ ، وألَمَّ بعينيك وفِيكَ العَمَى والبَكَم .
أنى كنتُ أضربتُ عن هجْوك صَفْحا ، وطَوَيْتُ على إشهار مَثالِبك كَشْحا .
ورَمَيتُك ورائى ظِهْرِيًّا ، وجعلتُك نِسْيًا مَنْسِيًّا ، وإن كنتَ جئتَ شيئًا فَرِيًّا .
وقد سمعتُ أنه بلَغَك من الحسدِ والجهالة ، أن لَفَّقْتَ من هَذَيانك وسَرِقاتك رسالة .
وتعرَّضْتَ فيها لذِكْرِ مَن لستَ له على بَال ، ولا تَجُول بخَلَدِه إلّا إذا تغوَّط أو بَال .
وتوصَّلْتَ ببعض المَعاتِيه ، الغارقين فى بَحْرِ الهُيام والتِّيه .
ليُوَصِّلَها لصاحب الدولة ، أدام اللهُ له العِزَّة والصَّوْلة .
فحين رمقَها مَزَّقها كُلَّ مُمَزَّق ، وتحقَّق أنك أكْذَبُ من المُخَرِّق [1] .
وكانتْ سبباً لسُقوط نَحْسِك ، وازْدِيادِ عكْسِك ونَحْسِك .
فكنتَ كما قيل : كالجادِعِ بيَدِه مارِنَ أنفِه ، والباحثِ على حَتْفِه بِظِلْفِه .
ولَعَمْرِى قد تحكَّكت العقربُ بالأفْعى ، واستَنّتِ الفِصالُ حتى القَرْعَى [2] .
وإذا حان أجلُ البعِير ، حام حولَ البِير .

ياسالكاً بين الأسِنَّةِ والظُّبَا   إنّى أشُمُّ عليك رائحةَ الدَّمِ [3]

وحيث أبَيْتَ إلّا الإصْرار ، وأوْقعتَ نفسك كالفَراش فى النار .
وعَبَسْتَ وبَسَرْتَ [4] ، وأدْبَرْتَ واستَكْبرت .
حينئذٍ أرسلتُ لك فى هذا الكتاب بعض جوابك ، وتعلمُ أنه ينْزِل الألم والجوَى بك .
فصَواعقُه لك مُحْرِقة خَوارِق ، وزَواجِرُه على رأسِك ياسِنْدالُ [5] كالمَطارِق .

---

(١) التخريق : كثرة الكذب . (٢) هذا مثل يضرب للذى يتكلم مع من لا ينبغى أن يتكلم بين يديه . انظر مجمع الأمثال ١/٢٢٥ ، والتمثيل والمحاضرة ٣٣٥ ، وتقدم شرح هذا المثل .
(٣) البيت فى ريحانة الألبا ٢/٢٧٨ . (٤) بسر : قطب وجهه . (٥) فى ب : «ياسندالا» والمثبت فى : ا ، ج .

ارْتجالىُّ الاختراع ، مُرَبَّع الأسْجاع .

مُرتَّب على حروف المُعجَم ، فاسمعْ ياخاملَ الذِّكْر وافْهم .

ياخَطَّ البَهائىّ[١] ، ياحِزام النّشائىّ ، يا إفْلاسَ البيائىّ ، ياتُهمَة التتائىّ .

ياخَرُوفَ أبىِ الطَّيِّب ، يايومِ الزَّمْهَرِير والصَّيِّب ، ياخَجْلةَ العَرُوس الثَّيِّب ، ياضَرْطة الغَنِىِّ المُتهيِّب .

يا أُضْحوكةَ الغَانيات ، ياحاملَ رِزْمَة[٢] المُغنِّيات ، يا ثابتَ السِّجِلَّات ، خُذْ ما أتَى واستعِدَّ لما هوآت .

يا مَن لِباسُه رَثّ ، وحديثُه غَثّ ، وتطفِيلُه وجرُّه بالكَدِّ والحثّ ، ودأْبُه الانكِباب[٣] فى الأرض للبَحْث .

يا ظُلْمةَ الليل إذا سَجَى ، يامن لايُهابُ ولا يُرْتَجى ، يافاقِدَ اللُّبِّ والحِجَى ، لا بلغَتْ بك النُّوقُ النَّجا .

يا كثيرَ النُّباح ، يا خائباً فى الغُدُوِّ والرَّواح ، كأنك ثَوْرٌ دائرٌ فى الطَّواح ، ملأْتَ الجهاتِ من البُكا والنُّوَاح .

يا أسْود سَالِخ[٤] ، ياعُفونةَ المَسالِخ ، ياعُصارةَ الكامَخ[٥] ، ياغَضاضةَ الرامِخ[٦] .

يا زَلَعَة[٧] القَيْح والدُّود ، يا كثيرَ الآباء والجُدود ، يا قُدار[٨] فى ثَمُود ، يا عاقِرَ ناقةِ أخى هُود[٩] .

ياحَانةَ النَّبَّاذ ، يا خَنْدَق بَغْداذ ، يامَن يضُمُّ الأفْخاذ ، على الغُرْمُول[١٠] من الالْتِذاذ .

---

(١) فى ا : « البهاء » ، وكذلك وردت الكلمات التالية بدون ياء النسبة ، والمثبت فى : ب ، ح ، ولم أهتد لمعانيها .   (٢) الرزمة : ماشد فى ثوب واحد ، يعنى أنه يحمل حوائجهم . وانظر شفاء الغليل ١٠٨ .

(٣) فى ا ، ح : « الانكبات » ، والمثبت فى : ب .   (٤) الأسود السالخ : نوع من الحيات خبيث ، ينسلخ من جلده كل عام .   (٥) الكامخ : مخلل يشهى الطعام . شفاء الغليل ١٩٣ .

(٦) الرامخ : البلح الأخضر . المحكم فى أصول الكلمات العامية ٩١ .   (٧) الزلعة فى عرف أهل مصر ، يقال لخابية الماء . انظر المحكم فى أصول الكلمات العامية ١٠٣ .   (٨) قدار بن سالف : عاقر الناقة .

(٩) هذا تكرار لمعنى الفقرة السابقة .   (١٠) الغرمول : الذكر ، أو الضخم الرخو قبل أن تقطع غرلته .

يا مَرْتَعَ الأُيور ، يامَنبعَ الفساد والفُجور ، يا يوم المُفلِس المَهْجور ، يا خِزانةَ الإفْك والزُّور .

يا أُسْتَ القَزَّاز ، يافَرْوةَ الأجْذَم النَّزَّاز ، يا نُقاعةَ الخَرَّاز ، يا حَبَّةَ الصَّيْف على الخَبَّاز .

يا أَقْرَعَ الرَّاس ، يا نَتِنَ الأنفاس ، ياحِمارَ التَّرَّاس [١] ، يابَغْلَ ابن قَلْقَاس .

يا دسمان الفراش ، ياثَوْبَ النَّبَّاش ، ياجُوخةَ قِرْوَاش ، يا عِمامةَ خطيبِ بهْواش .

يا صِنَةَ [٢] اللُّصوص ، يا مُبْغَض يا مَنقوص ، يا مَن جَحَد النُّصوص ، وأنكر ما فى الفُصوص [٣] .

يا تارك السُّنَّة والفَرْض ، يامَن سعَى بالفساد فى الأرض ، وتعرَّض للأعْراض بالقَرْض ، وتفرَّغ من العِرْض وامْتلأ من العَرْض .

يا مِنْديل اللُّواط ، يابيْت الوَطْواط ، يا سائل اللُّعاب والمُخاط ، يا مِكْواة الخَيَّاط .

يا عيْن الجاحظ ، يا تَمْتمة اللَّافِظ ، يا سَلِيب الحَدْس والمَلاحِظ [٤] .

ياجُحْر السَّبُع ، يا كَشَر الضَّبُع ، يا ثامِنَ السَّبْع [٥] ، يامِرْحاضَ الرَّبْع .

ياخَلِيجَ المَدابغ ، ياأشيخان [٦] المَصابغ ، يامِيلَغَةَ [٧] الوالِغ ، ياماءَ الحَوْراء [٨] ورابغ [٩] .

يا عَرِيضَ القَفا والأكْتاف ، يا زِنْبيل [١٠] المَلَّاف ، ياخُرْج شوعة [١١] الصَّرَّاف ، يامَن لم يُحْسِن الفرقَ بين المُنجِّم والعَرَّاف .

(١) التراس : صانع الترس . (٢) فى ا : « صنمة » ، والمثبت فى : ب ، ج . والصنة : ذفر الإبط .

(٣) لعله يعنى « فصوص الحكم » لمحيى الدين بن عربى . (٤) أخل المترجم بشرطه هنا فى ترتيم السجع .

(٥) ثامن السبع : هو كلب أهل الكهف . (٦) فى ج : « أشخان » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ولم أعرفه .

(٧) الميلغة : الإناء يلغ فيه الوالغ . (٨) الحوراء : مرفأ سفن مصر إلى المدينة ، وقد ذكر ياقوت أن أحد من رآها خبره أنها ماءة ملحة . معجم البلدان ٢/٣٥٦ . (٩) رابغ واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة دون عزور . معجم البلدان ٢/٧٢٧ .

ورابغ هى ميقات الحاج المصرى ؛ فلعله أوردها بعد الحوراء على سبيل الإتباع .

(١٠) الزنبيل : وعاء من خوص . (١١) كذا فى الأصول . والشوع : شجر البان أو ثمره ولا معنى له هنا .

يا ساعةَ الفِراق ، يا أوْسَع مِن العِراق، يا شيبة[1] بُولاق ، يا حَلِيفَ الشَّقا والشِّقاق .

يادُكّانَ السَّمّاك ، يا ثقّالة الأَراك ، سَعِد مَن لا يَراك ، وخاب مَن قرّبك وأدْناك .

يا عِشّ القَمَل[2] ، يا خَشكَلِيشة[3] الدُّمَّل ، يا ماءَ الشِّتاء المُسيَّل ، يا جامعَ ابنِ غُراب المعطَّل .

يا قَفّة[4] المَجْذُوم ،ياعَرَق المَحموم ،ياصباحَ القِرْدِ والبُوم ، أنتَ بعَيْنِه الفاسقُ المَحروم .

يابَوْلَ الخِصْيان ، يارَجِيع الرُّهْبان ، يا مائدة العُمْيان ، يا مَخزَنَ الصَّدِيد والصُّنان .

يا مَهْبِط الدَّواهِي ، يا مَن خالَفَ الأوامِر والنَّواهِي ، وجَدَّ في التَّلاهِي ، وتَبِع الغَيَّ والمَلاهِي .

يا سَمِيرَ البَلْوَى ، يا كثيرَ الشكوى ، يا أثقلَ من رَضْوَى ، إلى كم تَسْقِي جُحْرَك ولا يَرْوَى .

يا صَرِيعَ الدِّلا ، يا مَن هو لا إلى هؤلاء ولا إلى ، أينَما تَتوجَّه لا[5] ، ولم تَزَلْ مُكِبًّا على .

يا خِدْنَ البَغْيِ والغَيّ ، يا جِلْدة الجُرْحِ والكَيّ ، يا زَغْمة[6] القَيّ ، يا باقِلَ الفَهاهة والعِيّ ، فلا أنتَ مَيْتٌ ولا حَيّ .

وها قد نفِدت الحُروف ، ولم تنفَد مَعايبُك يا خَرُوف .

***

(١) في ب : « شنبية » ، وفي ح : « شتوية » ، والمثبت في : ا .   (٢) القمل : دواب صغار كالقِردان تركب البعير عند الهزال .   (٣) في المحكم في أصول الكلمات العامية ٧٦ : « خشكريشه : لفظ لا يعرفه إلا الأطباء ، وهي القشرة التي تعلو الجرح بعد اندماله ، وهي كلمة يونانية » .

(٤) القفة : رعدة وقشعريرة تأخذ من الحمى .   (٥) يشير إلى قوله تعالى في سورة النحل ٧٦ : ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ .   (٦) في ح : « زخة » ، والمثبت في : ا ، ب . وتزغم الجمل : ردد رغاءه في لهازمه.

وقد حذا فيها حَذْوَ أبى بكر الخوارزمىّ ، فى رسالته التى كتبها إلى البَدِيهى[(١)]

ومن جُملتها[(٢)] :

يا غَداةَ الفِراق ، وكتابَ الطّلاق .

يا موتَ الحبيب ، وطَلْعةَ الرّقيب .

يا يومَ الأربعاء فى آخر صَفَر ، ويا لِقاءَ الكابوس فى وقت السَّحَر .

يا خَراجاً بلا غَلَّة ، ودواءً بلا عِلّة .

يا أثقَلَ من المكتب على الصِّبيان ، ومن كِرَا الدّارِ على السُّكّان .

يا أبغَضَ من لِمَ ولِمْ ، ومن لَا بعد نَعَمْ .

يا بغلةَ أبى دُلامَة[(٣)]، وحمارَ طَيّاب[(٤)]، وطَيْلَسان ابنِ حَرْب[(٥)]، وضَرْطةَ وَهْب[(٦)] .

يا نَظْرةَ الذُّلِّ[(٧)] إلى البَغيض ، يا شُرْب الخمر على الحَشَف ، يا وَكْفَ[(٨)] البيتِ الشّتوِىّ فى كانُون .

يا ليلةَ[(٩)] الغُرْبة ، وجوابَ الملطفة .

---

(١) أبو الحسن على بن محمد البديهى.
شاعر من الطارئين على الصاحب بن عباد من الآفاق ، وعرف بالبديهى لسرعة بديهته فى نظم الشعر ، وكان أبو بكر الخوارزمى ينكر عليه ذلك ، لعداوة بينهما .
ويقدر الأستاذ الزركلى وفاته بنحو سنة ثمانين وثلاثمائة .
الأعلام ٥/١٤٣ ، اللباب ١/١٠٤ ، يتيمة الدهر ٣/٣٤٣ .

(٢) رسائل أبى بكر الخوارزمى ١٩٩ — ٢٠١ .

(٣) يضرب المثل ببغلة أبى دلامة فى كثرة العيوب ، وقد قال فيها قصيدة طويلة يذكر عيوبها . انظر ثمار القلوب ٣٦١ — ٣٦٣ .

(٤) كان الطياب السقاء حمار قديم الصحبة ، ضعيف الحملة ، شديد الهزال ، وكان عرضة لشعر أبى غلالة المخزومى ، وتجد خبره فى ثمار القلوب ٣٦٦ .

(٥) أهدى محمد بن حرب إلى الحمدونى طيلسانا خلقا ، فقال فيه قرابة مائتى مقطوعة ، لا تخلو واحدة منها من معنى بديع . انظر ثمار القلوب ٦٠١ — ٦٠٤ .

(٦) فى الأصول : «ضرطة بن وهب» ، والتصويب من ثمار القلوب ٢٠٦ ورسائل أبى بكر الخوارزمى ، وهو وهب بن سليمان بن وهب ، صاحب بريد الحضرة ، أفلتت منه ضرطة فى مجلس الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان : وهو غاص بأهله ، فطار خبرها فى الآفاق ، ووقع فى ألسن الشعراء ، حتى صارت مثلا فى الشهرة .

(٧) فى الأصول : « الدليل » ، والمثبت فى رسائل أبى بكر الخوارزمى .

(٨) وكف البيت : قطر سقفه .

(٩) فى رسائل بكر الخوارزمى : « ليل » .

يا كَمَدَ المَغموم ، ودَهْشةَ المَصْبور[١] .

يا نَظْرَةَ المِنِّينِ إلى البِكْر وقد عجز عنها ، واستَشْعر مَخائل الغَضَب منها .

يا قَرْعَ الغَريمِ البابَ ، ومعه جَرِيدةُ الحساب .

يا وَجْهَ المانع وقَفَا المَحْروم ، يا شَخْصَ الظَّالم فى عَيْنِ المَظْلوم .

يا أَلأَمَ من اللُّؤْم ، وأَشْأَمَ من الشُّؤْم ، وأَقَلَّ من المَعْدوم .

يا غَمَّ الدَّيْن ، ووَجَعَ العَيْن ، ويومَ البَيْن .

يا أَوْحَشَ مِن زَوالِ النِّعْمة بعد كُفْرِها ، وأَقْبَحَ من ارْتجاعِ الصَّنيعة بعدَ شُكْرِها .

يا أَثْقلَ من مُنادَمةِ الطُّفَيْلىِّ[٢] على النُّدَما ، مُقْتَرِح فى الغَدا ، [٣]مُتَشَبِّهٌ فى العَشا[٣] . مُحَمِّشٌ[٤] للسَّاقِ ، [٥]مُناظِرٌ للباقى[٥] .

يا أَثْقَلَ من الحَقِّ عليك ، يا طُولَ[٦] الحِجاب ، وعُبُوسَ البَوَّاب .

يا مُهاجَرةَ الصَّديق ، ويا سوءَ القَضا ، وجَهْدَ البَلَا ، ودَرْكَ الشَّقا ، وشَماتَةَ الأَعْدا .

وحسد الأقرباء ، وطَوارقَ الأرض والسَّماء .

وملازمة الغُرَمَا ، وعَرْبدةَ الجُلَسا ، وخِيانة الشُّرَكا .

وغِشَّ الأصدقاء ، ومُلاحظةَ الثقلاء ، ومَسْألةَ البُخَلاء ، ومُحادثةَ البُغَضاء ، ومُشاتمة السُّفهاء ، ونُصْرةَ الضُّعفاء ، وعَداوةَ الأُمَراء ، ومُزاحمةَ السُّعداء ، يا كَرْبَ الدَّواء .

يا من لو كان اللُّؤْمَ يَلِدُ كان أباه ، ولو كان يُولَدُ كان أخاه ، ولو شارَكَ شَريكا لَمَا عَداه .

يا بَيْعَ المَتاعِ الكاسد ، وجِوارَ الجارِ الحاسد .

يا ليلة المُسافِر ، فى كانون الآخِر .

يا خَيْبةَ مَن رأى السَّرابَ فظنَّه شَرابا ، ونَدامةَ مَن نَظَر إلى الخطإ فتوهَّمه صَوابا .

---

(١) فى الأصول : « المبصور » ، والمثبت فى الرسائل . (٢) فى الرسائل : « طفيلى » .
(٣) فى الرسائل : « والعشاء » . (٤) فى ا : « مجش » ، وفى ب : « مجس » ، وفى الرسائل : « محش » ، والمثبت فى : ج . (٥) فى الرسائل : « قاطع على المغنى » . (٦) فى الرسائل : « جواب » .

يا مَن هو دليلٌ على أن اللهَ تعالى جوادٌ حين أطعمَ مِثلَه، [1] وحين رزقه مِن بِرِّه فضلَه [1].
يا من هو حُجّةُ المُلحِد على المُوحِّد، فى قوله: ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ ﴾ [2].
يا من احتمالُه أصعبُ مِن عدِّ الرَّمْل، ومن عددِ النَّمل، والصبرُ عليه أشقُّ من الصعود إلى السَّما، والنظرُ إليه أبشعُ من النَّظَرِ إلى نبَّاشِ [3] قبورِ الشُّهَدا.

***

وهذا البابُ طويل الذَّيل، وقد بالغ فيه الأدباء وكثَّروا، ولم أر أجمع ولا أبلغَ من قولِ الشِّهاب الخفاجيّ:

يا سُخْرةَ الشيخِ بلا أُجْرَهْ ... وقسْوةَ المَبطونِ فى السُّخْرَهْ
ويا كِرا الدارِ على مُفْلِسٍ ... وساحةَ المَطْرودِ فى وَعْرَهْ
وضَرْطَةَ السلطانِ فى مَوْكبٍ ... به وُفودٌ تطلُب النُّصْرَهْ
وضَيْعةَ الهِمْيانِ من عائلٍ ... قُبَيل عِيدٍ أعْوزَ الفِطْرَهْ
ونَظْرَةَ المَخمورِ عَبْدًا له ... قد كسَّر الأقْداحَ والجَرَّهْ
وحَسْرةَ العِلْقِ إذا أقبلَتْ ... لِحْيتُه فى آخرِ الشَّعْرَهْ
وحَكَّةَ المَقْطوعِ كَفًّا له ... ودُمَّلًا يخرُج فى الشَّعْرَهْ
ونَظْرةَ الخِنْزيرِ من ضارىٍ ... يَرْميه لَمّا جاع بالصَّخْرَهْ
ويا قفَا المَهْزومِ من فارسٍ ... أدْرَكه فى ساحةٍ قَفْرَهْ
وبهْتةَ السَّكْرانِ من هاجمٍ ... فى ليلةٍ مُظْلمةٍ قِرَّهْ
ويا نَعِيًّا جاء عن واحدٍ ... إلى عجوزٍ مالَها أُسْرَهْ [4]
ووَحْدةَ الحُرّةِ فى ليلةٍ ... مات بها الزَّوْجُ لدَى الضَّرَّهْ
وحُجّةَ المُعتزِليِّ الذى ... يسمعُ نَصًّا ناقِضًا أمْرَهْ

---

(1) مكان هذا فى الرسائل: «ورزقه». (2) سورة السجدة 7. (3) تصرف المؤلف بعض التصرف فى عبارة الخوارزمى. انظر الرسائل ١ - ٢. (4) فى ا: «ويا ناعيا جاء من واجد»، والمثبت فى: ب، ح.

وطَلْعَةَ الزِّنْدِيقِ فى مَسْجِدٍ ... يخافُ مِنْ جيرانِه هُجْرَهْ

ووَجْهَ تِمْساحٍ لَدَى ساحلٍ ... أتاه غَرْقانُ رأى بَرَّهْ

وعُرَّةً قد خَرِيَتْ فوقَه ... ذُبابةُ الذُّلِّ غدا عُرَّهْ(١)

ومَن غدا فى النَّظَرِ ابنَ الأُلَى ... فى عَيْنِ إبْلِيسَ بهم قُرَّهْ

كم تَدَّعِى الفضلَ ولا تَرْعوِى ... تُعيد ما قال ذَوُو الخِبْرَهْ

فهْو على تكْرِيرِ أقْوالِهم ... كالجَمَلِ المَشْغول بالجِرَّهْ(٢)

يا أيهــــا الفَخَّار من أجْلِ ما ... طَوَّل رَبٌّ خالِقٌ عُمْرَهْ

هَل تصدُق الأَمْثالُ فى قَوْلِها ... ما كُلُّ يومٍ تَسْلَمُ الجَرَّهْ

يا جُعَلَ الجهلِ إلى كم تُرَى ... مُدَحْرِجاً فى طَرَفِ البَعْرَهْ

***

وقد خرجتُ عن الصَّدَد فى شهوةِ أطَعْتها، وصرفتُ حِصَّة عُمْرٍ للاشْتغال بما لا يَعْنِى اسْتَبْدلْتُ بها السُّخْفَ لَمَّا بِعْتُها .

إذْ ليس من شَرْطِ كتابى بَذاءة ، وأخْشَى من الذَّمِّ أن أقِف حِذَاءه .

فإنى كالدَّواء أسْتخْرِج الأذَى ، إذا كان غيرِى كالكأسِ يسْتبْقِى القَذَى .

وأسأله سبحانَه وطالمَا بلَّغ السائلَ منه سُؤالاً ومأمُولاً ، متاباً صادقاً على مَوْضِعِ النَّدَمِ مَحْمُولاً .

☆☆☆

---

(١) العرة : ذرق الطير ، والبعر . (٢) الجرة : مايخرجه البعير من بطنه ليجتره ثم يزدرده .

٣٤٩
عثمان التّلاوىّ

هَضَبةُ فضلٍ يُقصِّر عنها المُتطاوِل ، وذِرْوةُ مَعالٍ لا تنالُها الثُّريَّا بيدِ المُتناوِل .

تصدَّر لإفادة العلوم ، وصيَّر المجهولَ منها فى مَرْتبةِ المَعلوم .

فأطاعه أبِيُّها وشامِسُها ، وانجلَى بنُورِ فَهْمِهِ غامِضُها وطامِسُها .

***

وله أدبٌ كالبحر الزَّاخِر ، وشِعْرٌ كالحَلْيِ الفاخر .

فمنه قوله (1) من قصيدة (1) فى الغزل ، أولها :

مَن مُنْجِدِى من غَزالٍ فَرَّ من كَلَلِ ... وأسْلَمَ الفكرَ بعد الوصلِ للأمَلِ

إذا انْثنَى فغُصونُ البانِ مُطْرِقةٌ ... وإن رَنَا فظِباءُ البَرِّ فى شُغُلِ

يفتَرُّ عن جَوْهَرَىْ عِقْدٍ وعن بَرَدٍ ... فالبدرُ فى وَجَلٍ والشمسُ فى خَجَلِ

ما إن رأيْنا لهـذا الظَّبْيِ من شَبَهٍ ... إلَّا هِلالًا أرابَ الشمسَ فى الحَمَلِ

يسْطُو شُجاعاً فمنه الصَّبُّ فى خَبَلٍ ... يرْنُو غزالًا فمنه القلبُ فى جَذَلِ

سَلْمًا وحَرْبًا أرانا من شمائلِه ... يامَا أُمَيْلِحَ ما منـــه علَىَّ ولِى

***

وقوله من أخرى ، مستهلها :

أبَتْ هِمّتى إلَّا التَّزايُد فى الوُدِّ ... مَدَى الدهرِ للأحْبابِ فى القُرْبِ والبُعْدِ

ألامُ على فَرْطِ المَحبَّةِ فى الهـــوى ... وأُعْذَل أن كانتْ حُتوفِىَ فى وَجْدِى

سَرَتْ بى دَواعِى الحبِّ سَيْراً لَوَ انَّهُ ... تـكلَّفَه شُمُّ الشَّوامِخِ والصُّلْدِ

---

(1) ساقط من : ا ، وهو : ب ، ج .

لَشَقَّ من التَّبْرِيح طَوْدُ رعادهِ ... وأَلْقَى مَقالِيدَ المَحبةِ والوُدِّ[1]

فــلى شِيمةٌ لم يُبْرِزِ الدهرُ مِثْلَها ... إذا ما اعْتَراها العَذْلُ يَكْبُو ولا يُجْدِى

***

وله :

ألا ليت أُمّى لم تلِدْنى ولم أكُنْ ... تُرابًا ولا شيئًا مع الخَلْقِ أُذْكَرُ

فلا عُمْرَ مَصْروفٌ بخيرٍ وطاعةٍ ... ولا عِرْضَ مُبْيَضٌ به المرء يُشْكَرُ

ولا رَبُّ أَحْسانٍ يُصَانُ بلا أذَى ... ولا فِعْلُ معروفٍ مع الناسِ يُشْهِرُ[2]

*



(١) كذا بالأصول : « رعاده » ، ولعل الصواب : « رعانه » والرعن : أنف الجبل .

(٢) فى ا : « مع الناس يشكر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٣٥٠

الأمير
عثمان المَنْفَلُوطِيّ *

أميرٌ باهرُ السَّنا، أهلُ المدحِ والثَّنا.

رقيقُ شَمْلةِ الشَّمائل، طويلُ نِجادِ السيف رَحْبُ الحَمائل.

يَمْضِي مَضاء المَشْرَفِيّ بيَمِينه، وتَرِفُّ له البُشْرَى فى مَسْعاته رَفِيفَ البِشْرِ فى جَبِينه.

جمع من المَعالِي كُلَّ تَلِيد وطارِف، وهو إلى إسْداءِالمعروف أحَنُّ من شارِف [1]

فيَنْوِي [2] كما طَشَّ عارِضٌ حَنَّان، ويُطْرِب كما حَنَّ صادِحٌ مِرْنان.

فهو إنْسانٌ مَنْظورٌ إليه بإحْسانِه، له مَوْقِعٌ من الناظرِ فى جَوْف إنْسانِه.

فلو قيل قَدْرُه من الطَّوْدِ أجَلّ، نادى الصَّدَى من شَوامِخِه أجَلْ.

وَقُورٌ إذا فاضتْ أيادِيه للورَى   كطَوْدٍ تَسامَى واحْتَبَى بالجَداوِلِ

فألْقَى عَصا التَّسْيار إذْ بلَغ العُلَى   وما قُرِعتْ تلك العَصا فى مَحافِلِ

* * *

وهو ممدوحُ الفتح بن النحَّاس [3]، الذى يقول فيه من قصيدة [4]:

هو والفضائلُ دِيمَةٌ وحديقةٌ   والناسُ عَيْنٌ نَحْوه ورِنيامُ

(*) نسبة إلى منفلوط : بلدة فى الصعيد فى غربى النيل . معجم البلدان ٤/٦٦٩ .

(١) فى ب : « مشارف » ، والمثبت فى : ا ، ج .
والشارف من النوق : المسنة الهرمة .

(٢) فى ا : «فيمضى» ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٣) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الثانى ، صفحة ٥٠٧

(٤) ديوان الفتح بن النحاس ٨٢ ، وفيه أن عثمان بك هذا كان سنجق منفلوط .

والحِلْمُ رَوْض خُلقُه أنْوارُه والآخَرُون الرِّمْثُ والقُلاَّمُ [1]
والجودُ بحرٌ وهْو دُرٌّ يَتيمِه والمجدُ بَيتٌ وهْو فيه قِوامُ

***

وله من الكلام ما يَزِين صُفوفَ الطُّروس بحُسْن رُوائه ، ويدعُو بلِسانِ الحال إلى أن تكونَ أُمَراء الشِّعْر تحت لِوائه .

فمنه قولُه ، من قصيدة فى الغزل :

ما القلبُ يارَبَّةَ الخَلْخالِ والخالِ مِن الصَّبابةِ لو طال المَدَى خَالِى
طاوَعْتُ فيك الهوى حتى عصَيْتُ أبِى ولا رَكَنْتُ إلى عَمٍّ ولا خَالِ
يا ظَبْيةً ما رَعَتْ عهدَ الوفا ورَعَتْ حُشاشةَ القلبِ إنى زاد بَلْبالِى
لِمْ تَرْفَعى خبَرًا فى الحبِّ مُبْتدَأً ولِمْ تَجُرِّى القِلَى نَصْباً على الحالِ [2]
يا صاحِبى إنَّها فى مُهجتِى حَكَمتْ فلا أمِيلُ إلى أقْوالِ عُذَّالِى

***

(١) فى الديوان : « خلقه نواره » .
والرمث : مرعى للابل من الحمض ، وشجر يشبه الغضا . القاموس (رمث) .
والقلام : القاقلى ، وهو نبات كنبات الأشنان مالح ، وقد ترعاه الإبل . القاموس (قلم ، قوقل) .
(٢) فى ا : « لم تعرفى خبرا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٣٥١

السيد أحمد بن القاضي

شمس الدين المَنْصُوريّ

سيِّدٌ له الفضلُ نَسَب ، إلَّا أنه صَدْيانُ جَدْوَى ونَشَب .
فزَحْزَحه الدهرُ عن بَلَدِه ، وأبانَه عن معاهدِ سَبَدِه ولَبَدِه[1] .
فطار بين سَمْع الأرضِ وبَصَرِها ، لا يدْرِى ما يَطَأُ من حَجَرِها ومَدَرِها .
إلى أن استقرَّ آخِراً بمَرْكز التَّخْتِ العُثْمانى[2] ، مؤملا أن ينالَ من بابِ المُراد كلَّ الأمانى .
فما أمَّ وِجْهة ، إلّا قابلَتْ بالحِرْمان وَجْهَه .
حتى فَلَّ ماله[3] ، وقَلَّ مَنالُه .
وتقلَّصتْ لُهاه ، وتقلَّصت لَهاه .
وبَقِىَ فى الغُرْبة إلى أن تخلَّصتْ منه الظُّنون ، ومن مات فى قَبْضةِ الذلِّ فقد أحسنتْ إليه المَنُون .

***

وكان أنشأ سَبْعَ مَقاماتٍ أطْنَب فيها وأطْرب ، وحاوَل طريقةَ مَن تقدَّمه فأعجب وأغْرَب .
وذكَر فيها مُبْتدَأ حالِه ، وما لَقِيَه من النَّصَب فى إقامتِه وتَرْحالِه .
بعباراتٍ تَعْطِف القلوبَ القاسِية ، وتُزَعْزِع[4] الجبالَ الرَّاسِية .
وعرَضها على أقْوامٍ يكاد ينْدَى من أياديهم السحاب الجَهَام[5] ، فمنعه[4] سوء بَخْتِه عن رَشاشةٍ يبُلُّ بها صَدَأَ الأوْهام .
فمما انتخبْتُه من مَقامتِه السادسة :

---

(١) يقال: ماله سبد ولا لبد. أى لا شعر ولا صوف. (٢) يعنى قسطنطينية. (٣) فل ماله: ذهب.
(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٥) سحاب جهام : لاماء فيه .

قال أبو الحسن المِصْرِىّ : إنِّى نشأتُ بمصر السعيدة ، حامداً ربِّى على أيَّامِها الحميدة .
قَرِيرَ العَيْن ، كثير العَيْن (١) .
ليس لى حِرْفة ولا حِيلَة ، إلَّا تتبُّع آثارِ ذَوِى الصَّنائع الجليلة .
فجدَّيتُ فى الطَّلَب ، وما أخطأت الأدب .
حتى عَلَوتُ ذِرْوَة كلِّ صناعة ، وحَوَيتُ رأسَ مالِ كلِّ بضاعة .
فما رأيتُ من كل ذلك إلَّا النُّقصان ، وما استَفَدْتُ من المَتاجِر إلَّا الخسْران .
وكان من جُملةِ ما خدَمْتُ أساتيذه ، وتتبَّعْتُ دلائِله وأسانيده .
الفنونُ الأدبيَّة ، والعلومُ الفِقْهية .
حتى صار لى مَلَكةٌ فى الأخذِ من الأسانِيد والدَّلائِل ، وقُدْرةٌ على كَتْب الحواشِى وتحرِيرِ الرَّسائل .
خُصوصا فَنَّ الكتابة والإنشا ، إذ بهما يكون للمرءِ ما يَشا .
ثم خلَج فى خَلَدِى الرِّحْلةُ إلى بلاد الرُّوم ، لأُتمِّمَ بها طلبَ العلوم .
فلما مَنَّ اللهُ تعالى علىَّ بدُخولِها ، واجتمعتُ بعُلَمائها وفُحولها .
فإذا هم غارقون فى بُحورِ النِّعَم ، معروفون بالجود والكَرَم .
وكنتُ فى بعض الأيام ، أتردَّد على صُدورِها العِظام .
تارةً بما استطَعْتُ من قصيدةٍ نَظْمُها بَدِيع ، وأُخرَى برسالةٍ عُقود تَرتيبِها مُرصَّعة بالدُّرِّ الصَّنِيع .
وكان دأْبِى تتبُّع آثارِ المُتقدِّمين ، لأن ما قدَّموه لا يُتَّهم ككلامِ المُتأخِّرين .
ومن العادة ، أن أهل كلِّ صناعة، يُكرِمون القادمَ عليهم من أهلِها بحسَب الاستطاعة.
فأكرمونى بحسَب استطاعتهم ، وجادُوا علىَّ بقَدْرِ مُروءتهم .
فأعْطونى مدرسة ، كانتْ عاقبتُها علىَّ فَقْرا ومَنْحَسة .
فكنتُ أكثرَ الأيام ، لا أذُوق الطَّعام .

(١) العين : الذهب .

وغالبَ الأوقات ، أحْرِمَ الأقوات .

حتى نَفِدَ مالِي ، وتبدَّد حالِي .

وجار عليَّ الزمان ، بالذُّلِّ والهوان .

فبِعتُ كُتُبِي ، وأنفقتُ ذَهَبِي .

كلَّما عرَّفتُ حالِي تنكر، وعند ابْتداء خُروجي من عندهم لم يَبْقَ عندهم مِنِّي خَبَر .

ففي يوم من الأيام كنتُ أُكابِد الجوع ، وأُصَبِّر قلبيَ المِسْكينَ المَوْجوع .

إذ مَرَرْتُ بباب بعضِ الأكابر ، وكان يعرفُني من مصر وأنا أبيع الجواهر .

فناداني : ألَسْتَ الجَوْهَريّ ؟

قلت : نعم ، أنا الحسنيُّ المِصْريّ .

فقال : يا من حضَر ، الحَذَر ، كُلَّ الحَذَر ، مِن حوادِث الدهرِ فإنه ليس مَأْمون الخطَر .

يُعِزُّ الذَّليل ، ويُذِلُّ العزيز ، ويحُطُّ الجليل .

يخفض المَرْفوع ، ويَرفع الموضوع .

ثم الْتفَتَ إليَّ الْتفاتَ الشَّفِيق ، وقال : إن كلامَ الشاعر بالتَّصْديق حَقِيق .

فيما ذكر من الأبيات ، في شأنِ بعضِ الحكايات .

رِواية عن تاجر ، أنَّه الْتقط شيئاً من الجواهر .

وانْتخَب منها دُرَّة ، تُساوي بَدْرَة [1] .

فبينما هو سائرٌ في بعضِ القُرَى ، إذ سقطتْ الدُّرَّةُ في الثَّرَى .

ومكثَتْ سَنةً مُكمَّلة ، في تلك المَزْبلة .

فالتقطَها أحدُ الأكَّارين [2] ، وباعها بدرهمين .

فلما بلغ خبرُها إلى الشاعر ، الأديب الماهر .

---

(١) البدرة : عشرة آلاف درهم . (٢) الأكار : الحراث .

أنشد وقال، هذا المَقال :

رأيتُ بسُوقٍ دُرَّةً ذاتَ قيمةٍ يُنادَى عليها بين قَوْمٍ أخِسَّةِ
أبِيعتْ بِبَخْسِ السِّعْرِ من غيرِ أهْلِها فأصْبحتُ من غَيْظى بهمّ وحَسْرةِ
عجِبْتُ لِمَا شاهدْتُه من عجائبٍ وقلتُ لهم بَيْتاً به خَــيرُ حكمةِ
أيا دُرَّةً بين المَزابِلِ أُلقِيَتْ وجَوْهرةً بِيعتْ بأرْخصِ قِيمةِ

فلما سمِع الحاضرون كلامه، أظهروا المَلامة، ووقَفُوا أمامَه.

وقالوا : لقد بالغْتَ فى وَصْفِه، وأطْنَبْتَ فى نَعْتِ حالِه ورَصْفِه.

فقال : مَن كان أديباً فليُساجِلْه، ويُناقِشْه ويُعامِلْه.

فما منهم إلَّا سأل وأجبْتُه، وخاطبْته الخِطابَ الوسَط وما رَهِبْتُه.

فلما سمع منِّى صاحبُ الدَّار، أجْوِبتِى الحاضِرة عن أسْئلةِ أولئك الحُضَّار.

وعَدنِى بوَعْدٍ حَسَن، وأنا فى انْتظاره إلى هذا الزمن.

فخرجتُ مُحْتاجاً إلى ذَرَّةٍ من دِرْهمٍ فى صُرَّه، أو لُقْمةٍ من بِرِّه.

فعجِبَ القومُ من مَدْحٍ يُوجِب الإحْسان، وحِرْمانٍ يقْتضِى ذَمَّ ذلك الإنسان.

⁂

٣٥٢
محمد خفاجى الزيات

غُرَّةٌ فى ناصيةِ الدُّهور ، وابْتِسام فى فَمِ الزُّهور .
له أخلاق من لُبِّ اللُّباب ، كما تبسَّم فَمُ الكأسِ عن الحَباب .
فالرَّاح بِسَلْسَلِها مَمْزُوجة ، والرِّياضُ على مِنْوالها مَنْسُوجة .
وقد خَلَص كلامُه من التَّهْجين ، كما تَسُلُّ الشَّعرَ من العَجين .

***

أثبتُّ له ما تَظَلُّ الأفكارُ لحلاوةِ تَمْييراتِه شائقة ، كالشُّهْد لأجْلِ حلاوةٍ رغبتْ إليه كل ذائقة .

فمنه قولُه فى الغزل :

هامَ الفُـــؤادُ وقد صَبَا بغزالِ ... فضَح الغزالةَ والغرامُ غَزا لِى
سحَر العُيونَ فَبِمَ عذَّبَ خاطِرِى ... وسَبا القلوبَ فَبِمَ غيَّر حالِى
رفَع السَّقامُ لخصْرِه بعضَ الذى ... يلْقَى فقابـــلَه بنَصْبِ الخالِ
ما لِلْعَذُولِ إذا جَفَا بدرُ الدجى ... أو مَاسَ بالقَدِّ القويمِ ومَالِى
أفْدِيه وهْو أجلُّ شىءٍ يُفْتَدَى ... بالرُّوحِ منِّى لا أقُول بمَالِى
يا تارِكى بصُدودِهِ غَرَضَ الضَّنَى ... هَلَّا رثَيْتَ لجسمِ صَبٍّ بَالِى
يَرْضَى ولو بالطَّيْفِ تُرْسِلُه له ... فى غَفْلةِ الرُّقَباء جُنْحَ ليالِى

***

وقولُه ، من قصيدة أوَّلُها :

رأى ناظِرِى وَجْهاً يرِقُّ أديمُهُ ... فأجْرى به دَمْعاً وقال أديمُهُ
وشاهَدَه فى صفحةِ الخدِّ لُؤْلُؤاً ... تَخالَط منه بالعَقيقِ يتيمُهُ

وأبدى حديثاً من قديم مُعَلَّلاً فصحّ وبالأسقام راح كَلِيمُهُ
رَوَاه عن الزُّهْرِىّ نُعمانُ خَدِّه وحَسَّنه من عارِضَيْه نَمِيمُهُ
وبى لَوْعةٌ من صَدِّه ونِفارِه يَوَدُّ لهـا طُولَ الزمانِ سَلِيمُهُ
لعلَّ له فى مَوْقفِ الحشرِ والجَزا يطُول به المُضنَى المُعنَّى لُزُومُهُ
وهيهات ضاع الصبرُ عند لِقائِه وضاع به فى الحىِّ عِطراً شَمِيمُهُ[1]
ووَيلاه من قَدّ إذا هزَّ عِطفَه فمـا عَطفُهُ يُرْجَى وإِنِّى عَدِيمُهُ
إذا رُحتُ أشكو فالصَّدَى يشتكى معى مُحـالٌ لمـا أُبدِى كأنى غَرِيمُهُ
كأنَّ النَّوَى لَمَّا تخيَّل خَيبتِى بمَن شَفَّنِى هاجتْ إلىَّ جَحِيمُهُ
إذا راح دَمْعِى يُشْبِهُ الدُّرَّ نَثْرُه شَجانِىَ مِن ثَغرِ الحبيبِ نَظِيمُهُ

☆☆☆

(١) فى الأصول : «عطر شميمه» ولعل الصواب ما أثبته .

٣٥٣

يحيى الشّامىّ

أريبٌ جلّتْ مزاياه ، فكم من خبايا معانٍ فى زواياه .
ذِكْرُه كالزّهْر مُفتَرّ الكِمامة ، وخُلْقه كالرّوض جادَتْه الغَمامة .
وكان مع طَبْعِه المُنقاد ، ولُطفِه الذى يَهبُ العينَ الرُّقاد .
مُنفرِدا انفِرادَ البدر ، مُتوحِّداً كليلةِ القَدْر .
كأنه سهمٌ رَشَق عن قوْسِ القضا ، يَضيق فى عَيْنِ تصوُّرِه رَحْبُ الفضا .

***

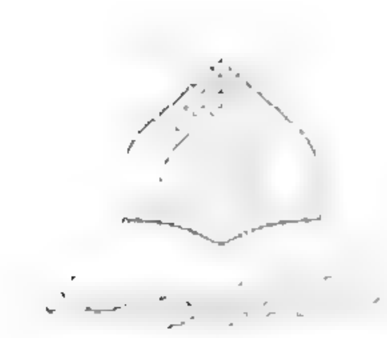
وله شِعرٌ رَقيقُ المَعانى ، أثبَتُّ منه ما يتأنّق برَونقِه المَعانِى .

فمنه قولُه ، من قصيدة مُسْتَهلّها :

أمَا لأسيرِ الحبِّ فادٍ من الأسْرِ ... ليرْبَحَ فى المِسْكينِ شيئاً من الأجرِ
أمَا للهوى شرعٌ وللحبِّ حاكمٌ ... فيسألَ عن حالِى وينظُرَ فى أمْرِى
رهينٌ فؤادِى فى يَدَىْ مَن أُحبُّه ... على غيرِ دَيْنٍ فى الهوى مُفْلِس الصَّبْرِ
وباعَ الكَرَى إنسانُ عَينِى بنظْرةٍ ... فما ربِحَ المغرورُ بل عاد بالخُسْرِ
يُطالِبُنى العُذّالُ بالعُذْرِ والهوى ... ولاعُذْرَ لى إلّا الهوى والهوى عُذْرِى
وأبكِى عن من يُشْبِهُ الصَّخْرَ قلبُه ... كما كانتِ الخنساءُ تبكِى على صَخْرِ
فلا نظَرتْ عينى خِلافَ حبيبِها ... وإن زاد فى الإعْراضِ والصَّدِّ والهَجْرِ
وبالقلبِ منّى والجوارحِ كلِّها ... مَليحٌ يفُوق البدرَ فى ليلةِ البَدْرِ
بديعِ جمالٍ قد تطابقَ حُسْنُه ... حوَى ثِقَلَ الأرْدافِ مَعْ خِفَّةِ الخصْرِ
إذا التفّ فى بُرْدٍ وفاح عَبيرُه ... فما شئتَ قُلْ فى اللّفِّ منه وفى النَّشْرِ

أحانةُ خمرٍ أم سهامٌ رواشقُ قلوبَ البرايا أم ضروبٌ من السحرِ
ولمّا عرتني سكرةٌ من لحاظهِ وصرتُ صريعاً لا أفيقُ من السُّكْرِ
تداويتُ من ألحاظهِ برُضابهِ كما يتداوى شاربُ الخمرِ بالخمرْ
وسكّن ناري ضمُّهُ لجوانحي وأجفانه أعدتْ فؤاديَ بالسُّكرِ
وكان الهوى حلواً لذيذاً بوصلهِ فغيّر ذاك الحلوَ طعمُ النوى المرُّ

⁂



٣٥٤
شهاب الدين الدَّيْرَبِىّ المالكىّ

أحدُ السَّيَّارة فى فلك الفضل ، المُوفِى على أقرانِه وله القَوْل الفَصْل .

قد ظهرتْ دلائلُ نُبْلِه[1] ، ورمَى عن قَوْسِه فأصاب لُبَّ الصواب بِنَبْلِه[1] .

فأصبحتْ مآثِرُه مُدوَّنة ، وصحائفُه بعُنْوان الخير مُعَنْونة .

والفضْل فى مِدْحتِه قائلٌ   هذا العَمْرِى قد غدا مالِكِى

***

فمن شِعْره قولُه من قصيدة يمدح بها المُفْتِى يحيى بن زكريا[2] ، وهو قاضٍ بمصر ، وأولها :

أوُرْقُ الرَّوْضِ تصْدَحُ أم تَغَنَّى   هَزَارُ الأُنْسِ بالإقبالِ هَنَّا
على قُضْبانِ بَاناتٍ ووَرْدٍ   بألْحانٍ فُرادَى ثم مَثْنَى
أم الوَرْدُ البَهِيُّ زَهَا بنَوْرٍ   سَناهُ عن سَنَا الأقمارِ أغْنَى
أم ابْتَسم الزمانُ فلاحَ بَرْقٌ   فأبْكَى فى رَوابى الأرضِ مُزْنَا
وصفَّقتِ الرياحُ على أكُفٍّ   من الأوْراقِ حتى قد دَهِشْنَا
وشُحْرورُ الرِّياضِ بها يناغِى   بأنْواعِ الغِناءِ به سُرِرْنَا
وقام على الغُصونِ خطيبُ أُنْسٍ   يُذكِّرُنا بما كُنَّا سَمِعْنَا
ويَرْوِى من أحاديثٍ صِحاحٍ   حَدِيثاً صَحَّ إسْناداً ومَتْنَا
بأنَّ الحَبْرَ يحيى قام يُحْيِى   رُسوماً للشَّرِيعةِ كُنَّ مُتْنَا[3]

***

قلتُ : هذا الشاعر إن لم يكن من العَوالِى ، فربَّما ينظِم السَّبَجَ[4] مع اللآلِى .

على أنه قد يُذْكَر فى البَيْن[5] ، من يُجْمَل عُوذَةً تقِى شرَّ العَيْن .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .   (٢) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الثالث ، صفحة ٦٢ .
(٣) الألف فى « متنا » للاطلاق .   (٤) السبج : الخرز الأسود .   (٥) فى ا : « العين » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٣٥٥

أبو بكر بن شهاب الدين قَمُّود*

ماجدٌ قامتْ له البراعةُ على قَدَم ، وبَنَى بصائبِ فِكْرِه من رَسْمِ البلاغة ما انْهَدم عُجِنتْ طِينتهُ بماء عَوارِف المعارف ، فأضحَى يَجُرُّ على أبناء عصرِه أرْدِيةَ الفخر سابِغةَ المطارِف .

وقد تأدَّب وفاق ، ولم يحْتَجْ فى تَزْوِيجِ حَظِّه إلى حُروفٍ وأوْفاق .

***

وله شِعْرٌ كأنه بُنْيانٌ مَرْصُوص ، وهو بمَزِيَّة الوصفِ فى حُسْنِ السَّبْك عامٌّ مَخْصوص .

فمنه قوله :

إذاالنفسُ سادَتْ فى المعالِى طَرِيقها ... وليس عَظِيمُ الخطْبِ عنهـــا يَعُوقُها

فَلَهْفـــاً على نَفْسٍ إذا رُمْتُ عِزَّةً ... لما ذَلَّ عن حَوْزِ المطالِب سُوقُهـــا

رَمَتْ حَظَّها الأيَّامُ بالأسْهُمِ التى ... مُحالٌ لَعَمْرِى أن يعيشَ رَشِيقُها(١)

لقد قدَّم الجهْلُ الليـــالى وإنَّه ... لَمِن أعْظم البَلْوَى التى لا نُطِيقُها

ولــكنَّ حَسْبَ الحَبْر أنَّ عُلومَــه ... تلُوحُ بآفاقِ الـكمالِ بُرُوقُهـــا

❊

(*) سقطت « بن » من : ب ، وهى فى : ا ، ح .

وهو أبو بكر بن أحمد قمود السنى المصرى الحنفى .

المنجم المشهور ، وصاحب الأوفاق والأعمال العجيبة .

ولد بمصر ، وبها نشأ ، وقرأ على والده ، وعلى الشمس الرملى ، والنور الزيادى ، وعلى بن غانم المقدسى ، ومن فى طبقتهم .

وجاور بالحرمين ثمانية وعشرين سنة ، ثم رجع إلى مصر ، وأقام بها ، وقدم إلى بيت المقدس ، ودخل دمشق مرات .

توفى سنة اثنتين وستين وألف ، ودفن بمقابر المجاورين .

خلاصة الأثر ١/٧٨ ، ٧٩ ، وفيه خطأ : « السمى » ، وانظر ترجمة والده فى ريحانة الألبا ٢/١٣٣ ، وهناك سبب تسميته بقمود .

(١) فى ا : « أن يعيش شقيها » ، والمثبت فى : ب ، ح .

٣٥٦

سليم الشاعر

رجلٌ سليمُ الضمير ، ذو باطن أصفَى من الماء النَّمير .

جَمُّ الفائدة والآثار ، طافِحُ الشِّعْر والنِّثار .

كَيْلُه هَيْل ، ونَهْرُه[1] سَيْل .

يجمعُ الغثَّ والسَّمين ، ويخلط الوَرْد بالياسمين .

***

وقد جئتُك من مُنتخباتِه اللِّطاف ، بقطعةٍ كباكُورة الثمار جَنِيَّة القِطاف .

وهى قوله :

سَبَى مُهجتى ظَبْىٌ كَحيلُ النَّواظِرِ ... بديعُ جمالٍ حازَ حُسْنَ النَّواضِرِ

فيامُهْجتى حاكِى الشَّعيرَ وشابِهِى ... بجسمِى ضَنَى خَيطِ الرَّبابِ وناظِرِى

ويا كبدِى هَوْلَ الغرامِ تجاسَرِى ... عليه كَقلبِى فى هَواه وخاطِرِى

برُوحِىَ مَن ناهِىَّ أصبحَ آمِرِى ... به وبِغَىِّ عاذلى فيه عاذِرِى[2]

وبى لِلَمَـــاهُ أولَمَام دُنُوِّهِ ... تلهُّفُ حَيْرانٍ ولَفْتَةُ حائِرِ

يجُور على ضَعْفِى كما يحكُم الهوى ... بعادلِ قَدٍّ منه فى الحُكْمِ جائِرِ[3]

غرامِى صحيحٌ والرَّجا منه مُعْضِلٌ ... ومُرْسَلُ دمعِى منه جُرْحُ مَحاجِرِى

فقُرَّةُ عينِى عنه عن حَسَنٍ رَوَتْ ... وعن صِلَةٍ لم تَرْوِ قطُّ وجابِرِ[4]

---

(١) فى ا : « وزره » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « عادل فيه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « فى الحكم جائرى » ، وفى ج : « وفى الحكم جايرى » ، والمثبت فى : ب .

(٤) فى ا : « عن حسنه روت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

يَبيتُ ومنه الطَّرْفُ غافٍ وغافلٌ — وما الجفنُ منّي غيرَ ساهٍ وساهرِ
نَفَى النومَ عنّي حين أعرَضَ نافِراً — فبي منه أوْدَى صُنْعُ نافٍ ونافِرِ
غدَا جازِماً بالهجْرِ للنومِ رافعاً — وناصبَ صَدٍّ كاسِراً منه خاطِري
مَديدٌ تجَنّيهِ سريعٌ صُدودُهُ — طويلُ جفاً من صَدِّه المُتواتِرِ
تهتّكْتُ فيه والهوى لم يزَلْ به — ولو تُعْظِمِ الأحجاءُ هَتْكَ السَّرائرِ
متى يَنْمَحِي منّي وأُصْبِحُ تارِكاً — مخافاتِ لهوٍ عُمْرُهُ غيرُ عامِرِ

☆☆☆

٣٥٧
سليمان الدّلجيّ

صاحبُ طبعٍ فيّاض، وشعرٍ كأنوارِ الرياض.
تتنافس بهاء آدابُه، والشِّعرُ طريقتُه المُثلى ودابُه.

***

فمن شعره قوله:

حَسْبُ المُتيَّمِ مايلقـاه من ألمٍ ... وما يقاسيه من وَجْدٍ ومن سَقَمِ
مُسَلسِلًا دمعَه يرويه مُنسكِبًا ... مابين مُختلِفٍ منه ومُلتئمِ
ودأبُه حَمْلُ أعباءِ المَلامِ على ... دِينِ الغرامِ ولو أشفَى على العدَمِ
في كلِّ وقتٍ له واشٍ يُروِّعُه ... وكاشِحٌ عاذلٌ عند الطريق عَمِي
لاأهوَ عن قامةٍ أو مُقلةٍ سحرتْ ... منها رماحٌ وأسيافٌ تُريقُ دمي
أخشَى عليها وإنّي خائفٌ وَجِلٌ ... من العداةِ ومن تزويرِ قولِهمِ
بالقلبِ مسكنه لكنّما جزَعي ... إعراضُه عن مُحبٍّ ثابتِ القدمِ
فذو الصبابةِ لا يُصغِي لعاذِله ... إن المُحبَّ عن العُذّالِ في صَمَمِ
فحسبُه الله لا يَبرحْ أسيرَ هوًى ... ومُدّةَ الدهرِ والأيامِ لم تَنَمِ

⁂

٣٥٨

عليّ الصوفيّ *

فتى تورّع وتصوّف ، لم يكن له إلى غير الخوف تشوّف .
فهو صادق العزْمة ، مُستغاثٌ به فى الأزْمة .
بعيدُ القدَم ، من مخاضات الندَم .
أوتِيَ بسْطةً فى العِلم ، ورَسا طَوْداً فى ساحة الحِلْم .
وله كلماتٌ فى الحِكَم باهرةُ اللَّمعان ، بمثلها تحَلُّ أضعان وتُرْحَل أظعان .

***

وشِعرُه آخِذٌ بأطراف المَعارف ، ماحٍ بأنوار البَراهين شُبَهَ الزَّخارف .
أثبتُّ منه قطعةً تُنوِّر القلب وتشرحُ الصَّدْر ، وتدُلُّ على أن قائلَها فى المَعرفة عليُّ الهِمَّة والقَدْر .

وهى قوله :

ومِن عجَبِى أن الذين أحِبُّهمْ ... أرَاهم بعَيْن القلبِ طُولَ المدَى مَعِى
وتَنظُرهم عَيْنى وهم فى سَوادِها ... ويشتاقُهم قلبى وهُم بين أضْلُعِى
جعلتُ لهم حتى الدَّوام حُشاشَتِى ... وعن غيرِهم أصْلًا قطعتُ مَطامِعِى
شكَوْتُ لقاضِى الحُبِّ جَوْرَ أحِبَّتِى ... جَفَوْنِى وقالوا أنت فى الحُبِّ مُدَّعِى
فخُذْ قِصَّتِى واحكُمْ علىَّ ومنهمُ ... فإنِّى عليهم خائفٌ كيف أدَّعِى
وعندى شُهودٌ أربعٌ يشهدون لى ... سَقامِى ووَجْدِى واشْتِياقِى وأدْمُعِى
وإن طلَبُوا منِّى حُقوقَ هَواهمُ ... أقول فقيرٌ لا علىَّ ولا مَعِى
وإن سجَنُونِى فى سُجونِ هَواهمُ ... دخلتُ عليهم بالنَّبِىِّ المُشفَّعِ

⁂

٣٥٩

محمد بن سلطان الحافظ الرَّشيديّ

الأُفق الفاتح عن ضَوْء النهار، والرَّوض النَّافح عن أرَجِ الأزهار.

اسْتقلَّ بالفائدة الجديدة، واستَبْدَل بالآراء السَّديدة.

فله فى الجِدِّ هِمَّةٌ لا تَنِي، وعزيمةٌ إذا انثَنَت الجبالُ لا تَنْثَنِي.

أُمِنَتْ بحمدِ الله غوائلُه، وحَدَّثَتْ عن حُسْنِ أواخِره أوائلُه.

***

وله فى القَرِيض، باعٌ طويل عريض، ورَوْض بلاغته مُخْصِب أرِيض.

فمن شِعْره قولُه، فى نَظْم أسماء الأنبياء، المُصَرَّح بهم فى الكتاب العزيز:

أتَى فى كتابِ اللهِ أسماءُ جُمْلَةٍ ... مِن الأنبياءِ المُتَّقِين ذَوِى الفَخْرِ

فأبْدَيْتُ إحْصاءً بنَظْمٍ لِعَدِّهِمْ ... بأسمائِهم أحْلَى مَذاقاً من القَطْرِ

ولم أرَ قبلى مَن أتَى بنِظامِهمْ ... فهاكَ عَرُوساً أبْرزَتْ لك من خِدْرِ

ولم ألْتَزِمْ تَرْتيبَهم فى وُجودِهمْ ... فقدَّمْتُ خيرَ الخلْقِ أحمدَ فى الذِّكْرِ

فقلتُ وإنِّى سائلٌ مُتوسِّلٌ ... إلى اللهِ فى أن يرفعَ الوِزْرَ عن ظَهْرِى

محمدٌ المُهْدَى إلى الناسِ رَحْمةً ... وآدمُ إدْرِيسٌ ونُوحٌ على الإثْرِ

وهودٌ أخو عادٍ وصالحٌ الذى ... أتَى بالهُدَى من ربِّه لِذَوِى الحِجْرِ

كذلك إبراهيمُ ذُو الصُّحُفِ الذى ... عليه ثَناءُ اللهِ فى مُحْكَمِ الذِّكْرِ

ولُوطٌ وإسماعيلُ إسْحاقُ بعدَه ... أتَى نَجْلُه يعقوبُ كالكوكبِ الدُّرِّى

شُعَيبٌ ومُوسَى ثم هارونُ صِنْوُهُ ... عليهم سلامُ اللهِ فى السِّرِّ والجَهْرِ

ويونُس إلْياسٌ وذُو الكِفْلِ كلُّهم ... من المُخْلَصِين الدَّائمين على الشُّكْرِ

وداوُدُ ذُو الأَيْدِ سُلَيمان بَعْدَه وأَيُّوبُ مَن قد فاقَ بالأَجْرِ والصَّبْرِ

ويوسُف لكنَّ المُسَمَّى بِمَافِرٍ به الخلْفُ تحكيه الرُّوَاةُ بلا نُكْرِ

فقيل ابنُ يعقوبٍ وقد قيل غيرُه من الأنبياء المُرْسَلين ذَوِى الإصْرِ

كذا زكريَّاء المُبشَّر بالنِّدَا ويحْيي وعيسى فاعْتَبِرْ يا أخا الفِكْرِ

كذا يَسعُ ثم العُزَيْرُ بتَوْبةٍ فسَلْ توبةً من مالِكِ الخلقِ والأَمْرِ[1]

وذُو الكِفْل أيضا فى نُبُوَّتِه جرَى خِلافٌ وأبْدَاه المُحَلِّيُّ ذُو البِشْرِ

كذلك إسماعيلُ فيه الخلافُ قد أتاك بأنمامٍ فكُن سالِمَ الصَّدْرِ

فقيل ابنُ إبراهيم أو هُوَ غيرُه من الأنبياء الطاهِرين أُولِى الصَّبْرِ

فهذا الذى فى الذِّكْرِ جاء مُصَرَّحاً به دُمْتَ مَسْعوداً إلى آخِرِ الدَّهْرِ

فجُمْلتُهم يا صاحِ عشرون ثم زِدْ ثمانيةً نِلْتَ الشَّفاعةَ فى الحَشْرِ

به أرْتَجِى عَفْواً لِذَنْبٍ جَنَيْتُه عسَى العُسْرُ يأتى بعدَه أجملُ اليُسْرِ

وتنفكُّ أقفالُ القُيودِ بأمْرِها وتُفْتَح أبوابُ القَبُولِ بلا قَسْرِ

عليهم صلاةُ اللهِ ثم سلامُه يَدُومانِ أحقاباً إلى أمَدِ الدَّهْرِ

***

قوله : « ويوسف به الخلف » فى « الخميس » نقلاً عن « الكامل[2] » ، قيل : موسى هو موسى بن عمران بن يصهر[3] بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم .

وأم موسى يوخانذ[4] .

واسم امرأته صَفورا ابنة شُعَيب النبىّ .

وكان فِرْعونُ مصرَ فى أيامه قابُوس بن مُصْعَب بن مُعاوية ، صاحب يوسف الثانى .

---

(١) فى ا : « كذا اليسع » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) انظر الكامل لابن الأثير ١/٨٢ .

(٣) فى الكامل زيادة : « بن قهث » . (٤) فى الكامل : « يوحانذ » .

وكانت امرأتُه آسِية بنت مُزاحِم بن عبيد بن الرَّيَّان بن الوليد فِرعونِ يوسُفَ الأوَّل . انتهى

وقال فى محَلٍّ آخر : وقيل : كان المَلِكُ فى أيام يوسف فِرْعونَ موسى وهو مُصْعَب ابن الرَّيَّان ، أو ابن الوليد ، بن مُصْعَب .

عاش أربعمائة سنة ، وبَقِىَ إلى زمان موسى ، بدليل قوله تعالى[1] : ﴿ وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ ﴾ .

والمشهور أن فِرْعونَ موسى من أولادِ فرعونِ يوسُف ، من بَقايا عاد ، والآية من قَبِيلِ الخطاب للأبناء بأحوال الآباء .

وقوله « وذو الكِفْل فى نبُوَّته خلاف » ، قال البَيْضاوِىّ[2] : فى سورة ص : ذو الكِفل[3] ابن عمِّ يسع[3] أو بشر[4] بن أيُّوب ، واختُلِف فى نبُوَّتِه . انتهى

ولم يَحْكِ هذا فى سورة الأنبياء ، بل قال[5] : إلياس أو يُوشَع أو زكريا[6] .

وحِكمةُ تأخيرِه على القولِ بأنه زكريا ؛ لأن اللهَ تعالى ذَكَره بعد ذِى النُّون ، بقوله تعالى[7] : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نادَى رَبَّهُ ﴾ ، فهذا يُبْعِد القولَ بأنه زكريَّا .

وقال الجلالُ المَحَلِّىّ ، فى سورة ص[8] : اُخْتُلِف نبُوَّتِه ، قيل : كفَل مائة نبِىّ فرّتْ[9] إليه من القَتْل . انتهى

ويدلُّك على أن القولَ بنبُوَّتِه ضعيف ، قولُ الجلالِ المَحَلِّىّ أيضا ، فى سورة الأنبياء[10] : وسُمِّى ذا الكِفْلِ ، لأنه تكفَّل بصيام جميع نهارِه ، وقيام جميع ليلِه ،

---

(١) سورة غافر ٣٤ . (٢) تفسير البيضاوى ٢/٣٤٨ . (٣) فى الأصول مكان هذا : « اليسع » ، والمثبت فى تفسير البيضاوى. (٤) فى الأصول : « مبشر » ، والمثبت فى تفسير البيضاوى.
(٥) تفسير البيضاوى ٢/٨٩ . (٦) هذا آخر قول البيضاوى . (٧) سورة الأنبياء ٨٩ .
(٨) تفسير الجلالين ٢/٣٢٢ . (٩) فى تفسير الجلالين : « فروا » . (١٠) تفسير الجلالين ٢/٧٦.

وأن يقضِيَ بين الناس ولا يغضب ، فوَفَّى [١] بجميع ذلك [١] ، وقيل : لم يكنْ نَبِيًّا . انتهى .

وإيرادُه له بقيل ، مع تأخيرِه إشارة إلى الضعف .

وفى « تاريخ ابنِ الشِّحْنة » [٢] : وبعثَ اللهُ تعالى ولدَ أيُّوبَ بِشْراً ، وسمَّاه ذَا الكِفْل ، وكان مُقامُه بالشَّام . انتهى .

فهو والمُؤيَّدُ ، صاحبُ حَماة [٣] ، جازِمان بأن ذا الكِفْل ابنُ أيُّوب ، بعثه اللهُ بعد أبيه .

وقوله : « كذلك إسماعيل فيه الخلاف المذكور فى الأنعام » : قيل غيرُ ابنِ إبراهيم ، والصحيحُ أنه ابنُه ؛ وإنما أخر فى الذِّكْر لأنه أبو العرب ، ولم يكن أبا لبنى إسرائيل ، وإنما كان إسحاق بن إبراهيم ، فلما ذكر إسحاق عدَّ الأنبياء من أولادِه ، ثم عاد إلى ذِكْرِ إسماعيل .

وفى « تفسير اللُّباب » : إشماويل [٤] بالعربية : إسماعيل ، وهو متأخِّر عن أولاد إبراهيم بزمان طويل ، وهو الذى أظهر داود وبقِى [٥] إلى زمان [٥] شُعَيب بن [٦] غيفا ، صاحِب مَدْيَن الذى تزوّج موسى بنتَه ، وشُعَيب بن [٦] ذى مهدم ، وإليه الإشارةُ بقوله عزَّ وجلَّ [٧] : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ ، أى بقتْلِهم شُعيبًا هذا .

☆☆☆

---

(١) فى تفسير الجلالين : « بذلك » .
(٢) روض المناظر بهامش الكامل ١١/١٧
(٣) فى تاريخه المختصر فى أخبار البشر ١/١٧
(٤) فى ج : « إشمويل » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٥) تكملة يتم بها السياق .
(٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ح .
(٧) سورة الأنبياء ١١ .

٣٦٠

محمد بن موسى الحسينيّ الجَّازِيّ*

مَعدودٌ من سُراة الجحافل ، مَرْموقٌ فى السادة الذين زَيَّنُوا المَحافل .

تتعطَّر أوْدِيةُ الشَّرف من ريَّاه ، وتتقطَّر مياهُ التَّرَف من مُحيَّاه .

فَيُبدِي عن ماءِ النَّعيم رُواؤه ، ويُزِيل الصَّدَى عن الأكبادِ الهِيم إرْواؤه .

***

وله شعر كنَسَبة عالِي ، محلُّه الغُرَّةُ من جَبْهة المَعالى .

فمنه قوله لتِمْثال النَّعْل الشريف :

لتِمْثالِ النِّعالِ بلا ارْتيابٍ ... فضائلُ أذْهشتْ أهلَ الحسابِ

فيا شوقِى لِما وَطِئتْه رِجْلٌ ... علَتْ فوقَ العُلَى ودَنَتْ كقَابِ[1]

تُشرِّف لاثِميها ثم تَشْفِى ... من الأوْصابِ بالقَصْدِ الصَّوابِ

تُخِذْها عُدَّةً من كلِّ هَوْلٍ ... تَراهُ لم يكن لك فى حِسابِ

وتَبْقَى ما حَيِيتَ عظيمَ جاهٍ ... وعِزٍّ فى أمانٍ مُسْتطابِ

حَمَدْتُ اللهَ إذْ نظَرتْ عُيونى ... لها أشْكالَ حُسْنٍ وانتخابِ

(*) محمد بن موسى بن محمد الجازى الحسينى المالكى المصرى .
أحد الفضلاء الأعيان ، وأحد أئمة البيان .
أخذ عن : محمد بن محمد المزى الحنفى ، وعبد الواحد الرشيدى ، ومرعى الحنبلى ، والنور الأجهورى .
وكانت له بمصر منزلة ، وقدر ، وشرف ، وولى القضاء بمحكمة ابن طولون .
وله مؤلفات ؛ منها : « شرح الأندلسية » فى العروض ، و« نظم أم البراهين » للسنوسى .
وكانت وفاته بمصر ، سنة خمس وستين وألف .
والجازى : نسبة إلى الأمير عز الدين جاز بن شيحة .
خلاصة الأثر ٤ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، سلافة العصر ٤٠٧ ، ٤٠٨ وفيه : « السيد محمد بن موسى الجوادى الحسنى » .

(١) يشير إلى قوله تعالى ، فى سورة النجم ٩ : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾

وَمَرْجِعُها مع التَّكْرارِ فَرْدٌ إذا خَفَّفْتَ مع كَشْفِ النِّقابِ
فجـازَى الله مُهْدِيها إلينا جزاء الخيرِ مع حُسْنِ المآبِ

***

وقوله فيه أيضا :

لَمَّا رأيتُ مِثالَ نَعْلِ المُصطفَى المُسْنَدَ الوَضْعِ الصَّحيحَ مُعَرَّفَا
مِن حَضرةِ الأعْلامِ زاد تشوُّقى وتشَوُّفى فازْدَدْتُ منـه تَرَشُّفَا
مُذ باشَرتْ قَدَمَ الحبيبِ تشَرَّفتْ فانْحُ الشِّفاءَ بلَثْمِها تجِدِ الشِّفَا
يا طالَمـا مَرَّ اللُّغوبُ من الأذَى وأضَرَّ بالجسم الضَّعيفِ تعسُّفَا[1]
وأصابنى داء الشَّقيقةِ مُؤْلِماً وبقِيتُ مِمَّا نالنى مُتخوِّفَا[2]
فمسحتُ وَجْهِى بالمِثالِ تبرُّكا فشُفِيتُ مِن وَقْتِى وكنتُ على شَفَا
وظَفِرتُ بالمطلوبِ من بَرَكاته ووَجَدْتُ فيه ما أُريدُ مع الصَّفَا
لِمْ لا وصاحبُه أتانا رحمـةً الهاشِمِىُّ الأبْطَحِىُّ المُقتـفَى
صلَّى عليـه اللهُ جلَّ جلالُهُ مع آلِهِ الغُرِّ الكرامِ ذوِى الوفَا

***

أحْسَنُ ما قيل فى هذا المَعْرِض قولُ بعضهم[3] :

مُذ شاهدتْ عَيْنَاى شكلَ نِعالِهِ خطَرتْ علىَّ خوَاطرٌ بمِثالِهِ
فغدَوْتُ مشغولَ الفؤادِ مُفكِّراً مُتمنِّياً أنِّى شِراكُ نِعالِهِ
حتى أُلامِسَ أَخْمَصَيْهِ مُلاطِفاً قَدَماً لمن كشَفَ الدُّجَى بجَمالِهِ
يا عَيْنُ إن شَطَّ الحبيبُ ولم أجِدْ سَبَباً إلى تقْريبِـه ووِصالِهِ
فلقـد قنِعتُ برُؤْيتِى آثارَهُ فامْرَغْ الخدَّيْن فى أطْلالِهِ

---

(١) اللغوب : التعب والإعياء . (٢) الشقيقة : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه .
(٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٢٣٥ ، وفيه أنها للمترجم ، وكذلك فى السلافة ٤٠٧ .

وأصلُ هذا قولُ علاء الدين بن سلام[1] :

يا عينُ إنْ بَعُدَ الحبيبُ ودارُهُ   ونَأَتْ مَرابِعُه وشَطَّ مَزارُهُ
فلقد ظفرْتِ من الزَّمانِ بطائلٍ   إن لم تَرَيْه فهـذه آثارُهُ

ومثلُه قولُ لسان الدِّين بن الخطيب التِّلِمْسانِىّ[2] :

إن بان مَنْزِلُه وشَطَّ مَزارُهُ   قامتْ مَقامَ عِيانِه أخْبارُهُ
قَسِّمْ زمانَكَ عَبْرَةً أو عِبْرَةً   هـذا تَراهُ وهذه آثارُهُ[3]

ولهذا الشاعر مُعاصِرٌ اسمُه محمد بن ضيف الله ، ويُعْرَف بالتُّرابِىّ ، رَشِيدِىُّ التُّرْبة ، له فى وصف التِّمْثال الشريف :

لِمَن قد مَسَّ شكلَ نِعالِ طَهَ   جَزِيلُ الخيرِ فى يومِ الثوابِ
وفى الدنيا يكونُ بخـيرِ عَيْشٍ   وعِزٍّ بالهنـاء بلا ارْتيابِ
فبادِرْ والْثِمِ الآثارَ منهـا   لقَصْدِ الفَوْزِ فى يومِ الحسابِ
فنِعمَ القَصْدُ أشرفُ شكلِ نَعْلٍ   لقد وُضِعتْ على وَجْهِ التُّرابِ[4]

والذى جرَى فى مَيْدان هذا التِّمْثال فلم يُلْحَق الشهابُ الخفاجِىّ ، حيث قال :

لَعَمْرُكَ نَعْلُ المصطفى بَرَكاتُهـا   يُشاهِدُها كلُّ امْرِىءٍ كان ذا عقلِ
ولو أن فى وُسْعِى زِمامَ تصرُّفِى   جعلتُ لهـا جَفْنِى مِثالًا بلا مِثْلِ
وكان أدِيمُ الوَجْهِ فوق أدِيمِها   يَقِيها غُباراً من تُرابٍ ومن رَمْلِ

---

(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٢٣٥ ، سلافة ٤٠٧ ، وفيه أنهما من قول الشيخ علاء الدين بن سلام بن الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا ، وقد مر فى جماعة من أصحابه بمزار السيدة زينب بنت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهما

وترجمة جده جلال الدين محمد بن أحمد بن سليمان الأنصارى الدمشقى ، ابن خطيب داريا ، المتوفى سنة عشر وثمانمائة ، فى : بغية الوعاة ١/٢٥ ، الضوء اللامع ٦/٢١٠ .

(٢) خلاصة الأثر ٤/٢٣٥ ، وسلافة العصر ٤٠٧ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « عبرة أو عسرة » ، وفى السلافة : « عبرة أو غبرة » .

(٤) فى ب : « أشرف كل نعل » ، والمثبت فى : ا ، ح .

أَقَصَّ من دِيباجَتيهِ وِقايةً ... تُمَدُّ عليها حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ[1]

وقال :

وحَقِّك تِمْثالُ النِّعَالِ مُكَرَّمٌ ... به اعْترفَ العقلُ المُدقِّقُ والفضلُ

ونَعْلٌ لأقْدامٍ يَلِينُ لها الصَّفَا ... أيَقْسُو عليها القلبُ مِمَّن له عَقْلُ

تفاءلتُ مِن تَقْبيلِها أنَّنا بها ... على كلِّ ذى قَدْرٍ رفيعٍ غداً نَعْلُو

☆☆☆



---

(١) فى ا : « حذوها النعل بالنعل » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٣٦١
موسى القَلِيبيّ الأزْهَرِيّ

كاملٌ فى صَنْعةِ التّأديب ، لفظُه الأزهَرِىُّ تَهذِيبُ التّهذِيب .
أحسَن ماشاء فى النَّظم والإنشا ، وأفاض قَلِيبُه فملَا الدَّلوَ وبَلّ الرّشَا .
يُنادِى الأدبَ إلى طاعتِه فلا يتوقّف ، ويُلقِى عَصا سِحْرِه المِصْرِىّ فتتَلقَّف .

***

فمما اختَرتُه من شِعْره المعْسول ، هذه القطعة من مُوَشَّح قاله فى التّوسُّل بجاه الرسول .

وقد كان أصابه رَمَد ، فزال عنه بلُطْفِ القادر الصَّمَد :

يا إلهى بكريمِ الكُرَمَا ، طاهرِ الأنفاسْ
ألطفِ الخلْقِ رحيمِ الرُّحَمَا ، سيّدِ الأكياسْ

***

عَبْدُكَ المُختار من أمّ القُرَى ، لقيامِ الدّينْ
الحبيبُ المُجتَبَى عالِى الذُّرَى ، صاحبُ التّمكينْ
عَرْشُ سِرِّ الله مابين الوَرَى ، شامخُ العِرْنِينْ

***

رافعُ الخطب إذا مادَهَمَا ، دافعُ الأدناسْ
أعلمُ الناسِ بما قد قَدِما ، قبلَ عصرِ اليَاسْ

***

نُقْطةُ التفضيلِ فى الدَّوْرِ القديمْ ، مَظْهرُ اللّاهُوتْ[1]
ظاهرُ التفْضيل مِن قَبْلِ الكَليمْ ، باطنُ النّاسُوتْ

---

(١) فى كليات أبى البقاء ٥٧٩ : « اللاهوت : الخالق ، والناسوت . المخلوق ، وربما يطلق الأول على الروح ، والثانى على البدن ، وربما يطلق الأول أيضا على العالم العلوى ، والثانى على العالم السفلى ، وعلى السبب والمسبب ، وعلى الجن والإنس » .

مُفْصِحُ التَّعْبيرِ عن أهلِ الرَّقِيمْ فامِسعُ الطَّاغُوتْ[1]

***

تَرْجُمانُ الطِّلَّسْمِ الغَيْبِيِّ ما قال ربُّ النَّاسْ[2]

جاء جبريلُ به مِمَّن سَمَا لجلاءِ الْباسْ

***

الرسولُ المُقْتَفَى مِمَّن مَضَى مَهْبِطُ الأسْرارْ

الصِّراطُ المُسْتَقِيمُ المُرْتَضَى صاحبُ المِقْدارْ

شاهرُ السيفِ القويمِ المُنتضَى مَاحِقُ الأغْيارْ

***

كالِئُ الإسلامِ حتى أن سَمَا كاسِرُ الأرْجاسْ

شافِعُ الخَلْقِ إذا اشتدَّ الظَّمَا صافِعُ الوَسْواسْ

***

قد توسَّلْتُ به أرْجُو الفَرَجْ فامْــــحُ آثامِى

وأزِلْ عنِّى عَنائِى والحَرَجْ واجْلُ إجْرامِى

وبلُطْفٍ منك بَرِّدْ ماوَهَجْ واشْفِ أسْقامِى

***

وتلطَّفْ يا إلٰهِى كَرَمَا بضَعِيفِ الرَّاسْ

وأغِثْنِى وأعِــــــذْنِى كلَّما وَسْوَسَ الخَنَّاسْ

***

صلواتٌ وَاصِلاتٌ كلَّمـا دارتِ الأفْلاكْ

وســـلامٌ ورِضــاً قَدْرُ ما سبَّحت أمْلاكْ[3]

لحبيبٍ ونَبِيٍّ قــدْ حَمَى مِن عَمَى الإشْراكْ

***

وعلى آلٍ وصَحْبٍ رحِمــا عِـــتْرةِ العَبَّاسْ

ماغُصَيْنٌ فى رياضٍ قد سَمَـــا وبلُطْفٍ مــاسْ

---

(١) الرقيم : لوح كتب فيه خبر أصحاب الكهف ، ونصب على باب الكهف . غريب القرآن لابن عزيز ١٢٣ .   (٢) الطلسم ، بكسر الطاء وتشديد اللام وسكون السين ، كما فى شفاء الغليل ١٥٠ وقد خفف الشاعر اللام ونقل حركة الفتح إلى السين كما ترى (٣) فى ا : « سبحت أفلاك » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٣٦٢
محمد المُنُوفىّ القاضى

أديبٌ جيِّدُ التعبير، مُتْقِنُ التَّوْشِية والتَّحْبِير.

والقاهرةُ أُفُقُه الذى به استَهل، وَمَحلُّ عَيْشِه الذى شَبَّ فيه واكْتَهل.

ثم وَلِىَ القضاء مِراراً عِدَّة، وتردَّد فى نَصَبِ المَناصب إلى أن استوفَى المدَّة.

***

وله شعر أطْرَبتْ به قَصَبُ اليَراعة، وابتهجتْ برَوْنَقِه رياض البَراعة.

فمنه قولُه من قصيدة فى المدح، أولها:

لئن ضاق ذَرْعِى أو تغيَّر حالِى ... وعَطَّل منِّى الدهرُ ماهو حَالِى

وأفردنى صِفْرَ اليديْن ونَاشَنِى ... بمِخْلَبِه الإشْفَى وفَرَّق بالِى[1]

فخيرُ الورَى ذُخْرِى وكَهْفِى وعُدَّتِى ... يُخَلِّصُنِى منه بغيرِ سُـــؤالِ

فهِمَّتُه زُهْرُ الكواكِب دُونَها ... ومجلسُه السَّامِى مَحطُّ رِحالِى

منها:

إذا خَطَّ فى طِرْسٍ رأيتَ جواهراً ... تَنظَّمُ فى مَنْطَقٍ حيَاً وجَمالِ

وإن قال لم يتْرُكْ مَقالاً لقائلٍ ... وإن صالَ جالَ القِرْنُ كلَّ مَجالِ

ولا عَجَبٌ من سَيْبِ سُحْبِ نَوالِه ... ومَبْسِمِه الأسْنَى وحُسْنِ فِعالِ

ولكنْ عجيبٌ لاترَى بك وَحْشَةً ... وأنتَ بدُنيـــانا عَديمُ مِثالِ

***

وكتب يهنِّيه بعيد النَّحْر:

تَهَنَّ بعيد النَّحْرِ ياواحدَ الدَّهْرِ ... ودُمْ فى الهناوالعزِّ والمجدِ والنصْرِ

---

(١) الإشفى: المثقب.

تُقلدنا فيـــه قلائدَ أنْعُمٍ ... وأحسنُ ما تبدُو القلائدُ فى النَّحْرِ
فهذا زمانُ الأمْنِ واليُمْنِ والمُنَى ... وهذا زمانُ المدحِ والحمدِ والشكرِ
ولمَّا حطَطْتُ الرَّحْلَ دون عِراصِهِ ... أخذتُ أمانَ الدهرِ من نُوَبِ الدهرِ
وما عتْبُــه إلّا بأنى وَصفتُه ... وشبَّهتُه بالبدرِ والليثِ والبحرِ
ومن يكُنِ الرحمنُ خلَّد مُلْكَه ... وأثنى عليه اللهُ فى مُحْكَمِ الذِّكْرِ
يَحِقُّ له أن يبسط الكَفَّ بالعطَا ... وينصُرَ مكسوراً من الفقرِ بالجَبْرِ

***

قوله : « [1] تقلدنا فيه قلائد [1] » البيت ، لمَّا رأيتُه منسوباً إليه ، استكثرتُ معناه البديعَ عليه .

ثم ظفِرْتُ به فى أشعارِ بَلَديِّه ابنِ نُباتة ، فعرفتُ أن التَّضْمين مافاته .

ولابن نُباتة بيتٌ قبلَه ، وهو [2] :

تَهَنَّ بعيد النحرِ وابْقَ مُمتَّعـاً ... بأمثالِه سامِى العلى نافذ الأمْرِ

وأصلُه قولُ زَكِيِّ الدين بن أبى الإصْبَع ، وفيه الاسْتِتْباع [3] :

تخيَّـــل أن القِرْنَ وافاهُ سائلاً ... فقابـــلَه طَلْقَ الأسِرَّةِ ذا بِشْرِ
ونادَى فِرِنْدَ السيفِ دُونَكَ نحْرَهُ ... فأحسَنُ ماتُهدَى اللآلِى إلى النَّحرِ

وفى مُنشَآت ابنِ نُباتة : وصَلَ المِثالُ الأعظم فقبَّل الملوكُ الارضَ أمامَه مِرارا ، واسْتَرْسَل سماء النِّعْمة مِدرارا .

وعارَض بقطَرات مَدْحه البحر ، وتقلَّد فى هـذا العيد قِلادة الكَرَمِ وأحسَنُ ما كانت القِلادةُ فى النَّحْر .

❁

---

(١) زيادة من : ج ، على مافى : ا ، ب .

(٢) البيتان فى ديوانه ٢٤٤ .

(٣) البيتان فى تحرير التحبير ٤٤٦ وسمى ابن أبى الإصبع هذا اللون التعليق .

٣٦٣
محمد بن ممتوق المنوفيّ القاضي

فاضلٌ قال⁽¹⁾ من الفضل بظلٍّ وريف، وكاملٌ حلّ من الكمال بين خِصْب وريف. حسَّنَ اللفظ وجوَّده، وبيَّض وجْهَ البلاغة بما سوَّده.

***

وله شعر ألذُّ من غمزات الألحاظ المِراض، وأشهى من تلفُّتِ الظِّباء بعد الإعْراض.

أنشدنى له بعضُ المصريِّين قوله:

رمى رِيمُ النَّقا من أرْض رَامَهْ	بلَحْظٍ فى الحشَايَا كِى ضِرامَهْ
فما ثُعَلٌ برامِيَةٍ نِبالاً	إذا ما استلَّ من لَحْظٍ حُسامَهْ[2]
شُعوري ضَلّ فى داجِى شُعُورٍ	تُظالُ وَجهَه من فوقِ هامَهْ
ألا فاعجَبْ لظِلٍّ فوقَ شَمسٍ	وبدرٍ قد أظلَّته غمامَهْ
وخِشْفٍ بالشَّمائِل والمَزايَا	تراهِ يَصيدُ مِن غابٍ أُسامَهْ
يمُرُّ مُسلِّماً صبٌّ عليهِ	فلا يَرْضَى لعاشِقِه سَلامَهْ
ويقتُل مَن يَهِيمُ به ملُومًا	وليس عليه فى قتلٍ مَلامَهْ

منها:

أخا الغِزْلانِ رِفقًا بالمعنَّى	فمِن مَعْناكَ قد حَلَّى نظامَهْ
يُسامِى فِكرُه العَيُّوقَ حتَّى	يُسامِرَه ويُسْمِعه كلامَهْ[3]

***

---

(١) من القيلولة. (٢) بنو ثعل: قوم عرفوا بجودة الرمى، وتقدم ذكرهم.
(٣) العيوق: نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها. القاموس (ع و ق).

٣٦٤
على بن موسى الأبيَض

قمرٌ ذكاه يلذّ على طلْعته السّمَر ، وربيعُ فضلٍ يطيب منه النّور والثّمر .
رأيته بمكة فرأيت شخصاً بحليةِ التّقى متحليًا ، ومن هُجْنةِ الرّياء متخليًا .
وهو ذو بيْضاء نقيةٌ ، فيه من نزْقة الشباب بقيةٌ .

***

وله شعر أعُدّه من وَساوِس فكرِه ، إلّا أنّى لم أرَ بُدًّا من ذِكْرِه .
فمنه قوله ، من قصيدة فى الغزل :

سَبتْنى بحُسْنِ البَهــا والكَحَلْ ... إلى أن بدَا الشيبُ عندى وحَلّ
وفتّشْتُ قلــبى وجسمى فلمْ ... أجِدْ فيهمـــا لسِواها محَلّ
وحالفتُ سُهْدِى جُنْحَ الدُّجى ... وخالفتُ يا صاحِ نَوْمَ المُقَلْ
أيا عاذِلِى دَعْ مَلامِى ولا ... تَسَلْ عن غرامِى بها لا تَسَلْ
أنا الوالِهُ الصَّبُّ لا غَرْوَ أن ... لبِسْتُ ثيابَ التّصابِى حُلَلْ
رعَى اللهُ دهراً بهـــا قد مَضَى ... بوَصْلٍ ومنهـــا سُقِيتُ العَلَلْ (١)
وفيهـــا صَفا باللّقــا خاطِرِى ... وزالتْ كُروبِى بهـــا والمِلَلْ
وماسَتْ بأعْطافِهـــا وانْثنَتْ ... دَلالًا بقَـــدٍّ يفُوق الأسَلْ
وطافتْ بكأْسِ الطِّلا فى الدُّجَى ... كبـــدرٍ ببُرجِ السُّعودِ اكْتمَل
وقالتْ ألا أيهـــا المُجتبَى ... تَهَنَّ إلى الوَصْـــلِ وانْفِ المَلَلْ
سكِرتُ سَكِرْتُ ووَقْتِى صَفـــا ... ونجْمِى بسَعْدِ السُّعودِ اتّصَلْ
ونِلْتُ المُـــنَى حين وَاصلْتُها ... ومَصَّيْتُ ثغرًا يُحاكِى العسَلْ
ونزّهْتُ طَرْفِى فى وَجْنــةٍ ... غدا الوردُ مِن حُسْنِها فى خَجَلْ

(١) العلل : الشرب بعد الشرب .

وهِمْتُ بأقداحِ أحداقِهـــا ... وتَيَّمـــنِي غَزْوُها والغَزَلْ

فللـــهِ من أعيُنٍ جرَّدتْ ... سِهاماً وكم جَنْدَلتْ من بَطَـــلْ

رَنَتْ لى بهـــا بعدَما أنشدَتْ ... على عُودِها نَغْمةً مِن رَمَلْ [(١)]

وأطيـــارُ أُنسِىَ قد غَرَّدتْ ... بمُطْرِبِ لَحْنٍ غَرِيبِ المَثَلْ

وَلِهتُ بهـــا وخلَعتُ السِّوَى ... وتَمْسَمَنِي رِدْفُهـــا والكَفَلْ [(٢)]

فوُقِّيت فى الحبِّ شرَّ العِـــدَى ... وفى كلِّ حالٍ بلَغتُ الأَمَلْ

☆☆☆

---

(١) فى ا : « نفحة من رسل » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) سمسم الرجل : مشى مشيا رفيقا .

٣٦٥
محمد بن عمر الحوانكي

أديبٌ خبرُه مُتمتِّعُ الأسماع ، وعِشرتُه سَلْوَى الأماني وحَظُّ الأطْماع .

لقِيتُه بالرُّوم والحالُ حالِي ، والعَيْشُ من كَدَرِ الأيام خالِي

وأنا وإيَّاهُ حَلِيفا صِبا ، وأَلِيفا شَمُولٍ وصَبا .

لم يَشُبْ مِسْكُ عارِضَيْنا بعارِض ، ولم يَذُرْ كافُور التَّجارِبِ مِنَّا في عارِض .

فكنتُ أتمتَّعُ من لفظِه بما يُنعِش كلَّ خافٍ خافِت ، ومن معناه بما يُحرِّك كلَّ هافٍ هافِت .

حتى غار القضا فأغَار ، واستردَّ مني ما كان أعار .

فانفصَم ذلك العِقْدُ الثمين ، وتفرَّقْنا ذاتَ الشِّمال وذاتَ اليَمين .

***

ثم رأيتُه بدمشق في سنةِ مائةٍ وألف ، وقد عرَض البَياضُ لعارِضِه ، كما صرَّح لي بعد مُعارَضَة .

وصِرْنا في بُرْدٍ من الشَّيْب مُنْهَج[1] ، بعد أن كُنَّا في بُرْدٍ من العيش مُبْهِج .

فما استَتمَّ السُّؤال عن كيْفيَّة الحال ، حتى خاطَبْتُه على سبيل الارْتِجال :

لا تَعِيبَنَّ صُفْرةَ اللَّونِ منِّي ... واحْمِرارَ الدموعِ في أجْفاني

فبَياضُ المَشيبِ يُنْبِئُ أنِّي ... غَيَّرَتْنِي تَلَوُّناتُ الزمانِ

فأمْلَى عليَّ من فُصوله القِصار ، قولَه :

الموتُ الأحمر في الحظِّ الأسود ، والعَدُوُّ الأزرق في بني الأصْفر ، والشَّيبُ الأبيض في عَدَمِ العيش الأخضَر .

***

(١) برد منهج : أسرع فيه البلى .

وهذا كما تَراه يُعارِض قولَ الحريرىّ فى المقامة الثالثة عشرة[1] :

« فمُذ اغبَرّ العيشُ الأخضر ، وازوَرّ المحبوب الأصفر ، اسوَدّ يومى الأبيض ، وابيضّ فَوْدِى الأسود ، حتى رَثَى لى العدُوُّ الأزرق ، فحبّذا الموتُ الأحمر » .

وقوله : « العدو الأزرق » يعنى الشديد العَداوة ، أو الأزرق العيْن ، يريد الرُّوم ؛ لأن أكثرَهم زُرقُ[2] العيون ، فبنُو الأصفر على الأوّل بَنُو الذهب ؛ وهم الدَّنانير ، وعلى الثانى الرُّوم .

ومن الأوّل تعرف أن الحريرىّ عبّر بالمحبوب ، فلَحظ جانبَ مَدْحِه ، كما فعل فى المَقامة الدِّيناريّة ، حيث مدحه فقال[3] :

* أكْرِمْ به أصفرَ راقتْ صُفْرتُهْ *

إلى أن قال :

* وحُبِّبَتْ إلى القلوب غُرّتُهْ *

وأما هو فعَبّر بالعَدُوّ ، ولاحظَ جانبَ ذَمِّه تبَعاً للحَرِيرىّ ، حيث ذَمّه، فقال[4]:

تبًّا له من خادِعٍ مُماذِقِ أصفَرَ ذى وَجهَيْن كالمُنافِقِ

والموتُ الأحمر هو موتُ الفُجاءة ، وقيل: هو الموتُ الشديد ، وهو القتل بالسيف، وذلك لِما يحدُث عن[5] القتل من الدّم ، وقد يُكنَى عن الأمر المُستصعَب بالموت الأحمر، ويقال : سنةٌ حمراء ، أى شديدة ، وقيل : الموتُ الأحمر الفقر .

وفى «الحواشى الفَنَارِيّة على المُطوّل[6] »:الموتُ الأحمر يُروَى بالتوصيف وبالإضافة، فالأحمر[7] على الثانى بالزاى المعجمة ، قيل : هو حيوان بَحْرِىّ يشُقّ موتُه ، والظاهر أنه

---

(١) مقامات الحريرى ٨٩ ، ٩٠ . (٢) فى ا : « من زرق » ، والمثبت فى : ب، ج .

(٣) مقامات الحريرى ٢١ . (٤) فى المقامة الدينارية أيضا ، صفحة ٢٢ .

(٥) فى ج : « من » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) « المطول » لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى ، المتوفى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، وهو شرح على «تلخيص المفتاح» للقزوينى .

(٧) فى ب ، ج : « الأحمر » ، والمثبت فى : ا ، وانظر ما يأتى .

على الثانى، وعلى الأول بها أيضا من الحازة ، وهى الشِّدَّة ، وقيل:هو عليه بالراء المهملة ، فيُراد به موتُ الشُّهَداء ، والأول أقربُ كما لا يخفى . انتهى .

***

وجرى بينى وبينه ذكرُ بلوغِ الأربعين من العمر ، فقال : كيف ترى حالَك ، وقد بلغتَ الأَشُدّ ؟

فقلتُ : قد فارقتُ الشِّدَّة ،وبلغتُ الأَشُدَّ،فأنا قد عدِمْتُ معه السَّداد فمَن لى بالأَسَدّ .

ما يُرجَّى من أرذَلِ العمرِ شَيْخٌ   مِن بلوغِ الأَشُدِّ يلقَى الأَشَدَّا

***

وأنشدنى من لفظه لنفسه قولَه مُضمِّنا :

ولا أختَشِى إن مَسَّنِى ضُرُّ حادثٍ   إذا كان عُقْباهُ ارْتفاعِى من الخفضِ

ولا الدهرَ مهما إن أطال له يَداً   فتلكَ يَدٌ جَسَّ الزمانُ بها نَبْضِى

فإن عِشْتُ أدركتُ المَرامَ وإن أَمُتْ   وأسْرع أرْبابُ الودائعِ للقَبْضِ

ولم نُشْفَ من ماء الحياةِ غَلائِلِى   فللهِ مِيراثُ السمٰواتِ والأرضِ

☆☆☆

٣٦٦
محمد المعروف بالصائغ الدِّمْياطِيّ*

صائغُ القول صَوْغَ الإبْرِيز ، ورَبُّ السَّبْق فى البراعة والتَّبْرِيز .

اتَّفَق على فضلِه الجَمْع ، وتَغايَر على مَحاسنِه البصرُ والسَّمع .

وقد ورَد علىّ بالقاهرة[1] وخاطرِى بنوادِر التُّحَف مُتولِّع ، وناظرِى لأطارِفِ المُلَح مُتطلِّع .

فصادفتُ فيه المُؤمَّل ، ولَعَمْرِى إنه كاملٌ مُكمَّل .

فامتزجْتُ أنا وإيَّاه على التآلُف والتَّعطُّف ، ولم أرَ مثلَه فى كَثْرةِ التحبُّبِ والتلطُّف .

وها أنذا شاكرٌ من ألطافِه ما قَلّ وما جَلّ ، والمَودَّة فيما بيننا خالصةٌ لله عزَّ وجَلّ .

***

وقد تناولتُ من أناشيده نَثِيرَ الجُمان ، وأحْمَد اللهَ على أن جمعنى وإيَّاه الزمان .

فما أتحفنِي به هذه القصيدة ، مدح بها الأستاذ زَيْن العابدين البَكْرِيّ[2] :

رفعتْ بأطْرافٍ رِطابِ   عن وجهها طَرَفَ النِّقابِ
فعجِبتُ كيف البدرُ يجْـ   ـلُو الشمسَ عن صَدَأ السحابِ
ورَنَتْ بمُقْلتِها التى   هى فِتْنتِى وبها عذابِى
فرأيتُ خمرَ الجَفْنِ أسْـ   ـرعَ للمَدارِك بالذَّهابِ

(*) فى ب : « المعروف بالصائغ الضمياطى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(١) فى ب : « القاهرة » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ، برقم ٣٣٢ .

والسِّحرَ سِحْرَ العَيْن لا ... سِحْرَ العزيمةِ والكتابِ
وتبسَّمتْ عن أشْنَبٍ ... يفترّ عن عَجَبٍ عُجَابِ[1]
دُرٌّ ترصَّــع فى الشَّقِيـ ... ـقِ الغَضّ بالشُّهْدِ المُذابِ
والوردُ صان الثّلجَ خَشْـ ... ـيةَ أن يسيلَ من الرُّضابِ
والأُقحُوانةُ كيف تَنْـ ... ـبُتُ فى اليَواقيتِ العِذابِ
وكأنه كأسٌ تلوَّ ... نَ بالرَّحِيقِ وبالحُبابِ
ونظرتُ آيةَ خَدِّهــا ... فقرأتُ عنوانَ الكتابِ
وعلمتُ أنّ الموتَ دُو ... نَ وُرودِ مَبْسِمِها الشّرابِ
رَيّانةُ الأعْطافِ مِن ... ماءِ اللّطافةِ والشبابِ
صَلْدِيَّةُ الأحشاء حَاشا ... هَا ترقُّ لذى تَبابِ[2]
تَزْهُو إذا رأتِ الصَّرِيـ ... ـعَ مُعفَّراً فوق الترابِ
تزهو بخاتِمِهــا وخِنْـ ... ـصِرِها المُقمَّعِ بالخِضابِ
وتظَــلُّ عابسةً كما ... يلْهُو المُفكِّرُ بالحسابِ
إن أنسَ لا أنْسى مَقا ... مَ رَحِيلِها وعَداكَ ما بِى
زَمُّوا المَطِىَّ وزمَّـلُوا ... خُمْرَ الهَوادِجِ والقِبابِ[3]
رحَلُوا فعزَّ القلبُ مِن ... صَدْرِى وما حُلَّتْ ثيابِى
يا لائِمِى فى الحُبِّ دَعْ ... عَذْلِى فليس عليك عابِى[4]
هَبْنِى ضَلَلْتُ فمــا علَيْـ ... ـكَ إلى الهدايةِ مِن حسابِ

---

(١) فى ا « عن عجب العجاب » ، والمثبت فى : ب ، ج .
والشنب : بياض الأسنان وحسنها .
(٢) يعنى بصلدية الأحشاء : قسوتها وتمنعها . والتباب : الخسران والهلاك . (٣) زمل الشىء : لفه .
(٤) فى ب : « فليس عليك غابى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

مَن لى بأن أدْعَى حَلِيـ   ـفَ صَبابةٍ ولَقَى تَصابِى[1]

أنا لَذَّ لى ذُلُّ الهوى   وأرى خَطاىَ به صوابِى

والعِزُّ يخدمُ ساحتِى   والسَّعْدُ مُرْتَبطٌ ببابِى

بمديحِ زَيْنِ العابديـ   ـنَ الخَيْرِ محفوظِ الجَنابِ

ابنِ الفَواتِحِ والخَوا   تِمِ والعَواصمِ والمَتابِ

وابنِ الخلافةِ والإنا   فةِ والإمامةِ والمَآبِ

فَرْدُ الوجودِ ومَظْهرُ التَّـ   ـكْميلِ فَيَّاحُ الرِّحابِ

طَلْقُ الجَبينِ إذا تصدَّ   رَ للخُطوبِ أو الخِطابِ

سهلُ الخلائقِ للعُفا   ةِ وللعِدَى صَعْبُ الحِجابِ

مِن بأسِه تجدُ الملو   كَ الصِّيدَ مُرْتعِدِى الإهابِ[2]

إنْ تَلْقَهُ تَلْقَ المُؤَمَّـ   ـلَ [...] للمَثُوبةِ والوِثابِ

وإذا نظرْتَ الوَجْهَ مِنْـ   ـه تَرَ الجَلالةَ فى المَهابِ

وإذا استمحْتَ يَمِينَهُ   حُزْتَ اليَسارَ بلا حسابِ

وإذا استَغَثْتَ بجاهِهِ   فتُغاثُ منه بمُسْتَجابِ

طابتْ عناصِرُه وطا   بَ الأصلُ منه بمُسْتَطابِ

سَعِدتْ به الأيامُ وابْـ   ـتَهجَ الزمانُ على الحِقابِ

وعَلَتْ به رُتَبُ العُـلَى   فوقَ الثَّوابتِ بالثَّوابِ

وبذِكْرِه ترْتاح أفْـ   ـئدةُ المَحامِدِ والمَحابِ[3]

مِن عُصْبةٍ طابتْ أرُو   مَتُهم بفخرٍ وانْتخابِ

---

(١) اللق : الملق المطروح .   (٢) فى ا : « من باسمه » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) خفف الباء فى « المحاب » للوزن .

قومٌ لهم شَرَفٌ وحَقٌّ م اللهِ في أُمِّ الـكتابِ
حُبِّى بَنِى الصِّدِّيقِ ذُخْ رِى للقيامةِ واحتسابى
وبهِ أرومُ الفَوْزَ فى الدُّ نْيا وفى يوم الحسابِ
وهُنا وعُمْرِ أبيك قد نَوَّخْتُ راحلةَ الطِّلابِ
وجعلتُ مَدْحِى فى بَنِى الصِّ دِّيقِ ما قد عِشْتُ دابِى

***

وأنشدنى من لفظه لنفسه ، قال : وهو مما قلتُه فى الرُّؤية :

كأنمـــا الشمسُ فى الإشراقِ طالعةً خَوْدٌ تَزِفُّ على أرضٍ من الذهبِ
وإن تدلَّتْ لنحوِ الغربِ مائـــلةً تجرُّ من خلفِها ذيلاً من اللَّهَبِ

***

وأنشدنى قوله :

للهِ قـــومٌ عهِدتُ حُبَّهمُ فرضاً علىَّ الغرامُ قد كتبَا
كأنمـــا القلبُ عند ذكرِهمُ طَيْرٌ أحسَّ الوُقوعَ فاضطربَا

***

وقوله :

أذِلُّ لعِـــزَّتِه يُعْجَبُ وأرضَى فيُغْضِبُه فاعْجَبُوا
وأسألُه العَفْـــوَ عمَّا جَنَى علىَّ كأنِّى أنا المُذْنِبُ

***

وقوله :

بالرُّوحِ أفْـــدِى عِذاراً أبانَ للناسِ عُـــذْرِى
أقول مُتُّ غـــراماً يقول ياليتَ شِعْرِى

***

وقوله :

تعلَّقتْ بك آمالى وأطمعنِى فيك الوُثوقُ بأنِّى منك لم أَضِعِ

فجُدْ بإنجازِ وَعْدِى كى أفوزَ ولا ... تُمِتْ رجائِىَ بين الياسِ والطَّمَعِ

***

وقوله :

أرى الدنيـــا وإن رفَعتْ ... لأعْـــلَى ذِرْوة الفَلَكِ

سترمِى مَن يُغَرُّ بهـــا ... لأدْنَى هُـــوَّةِ الدَّرَكِ

فإن نصَبتْ حَبائِلَهـــا ... فخَفْ من حَبَّةِ الشَّرَكِ

***

وقوله :

مَن كان باللهِ لا يُبـــالِى ... إنْ أكثرُوا اللَّوْمَ أو أقَلُّوا (١)

ومَن يكن همُّه سِـــواهُ ... فإنمـــا حَظُّه الأَقَـــلُّ

***

وقوله :

لَاثَ على رأسِـــه عِمامَهْ ... فقال منه الجمـــالُ آمالَهْ

كأنه وهْـــو تحتَها قمرٌ ... دائرةٌ فوق رأسِها هالَهْ (٢)

***

وقوله :

هُمُ هُمُ إن نأَوْا عنِّى وإن قرُبُوا ... أحِبَّتِى حبُّهم مِنِّى كحُرِّ دَمِى

فلا أقرَّتْ يدِى كأساً ولا جذَبتْ ... سيفاً ولا لعِبتْ بالرُّمْحِ والقلمِ

ولا أسالتْ شآبيبَ النَّدَى كرَماً ... إن كنتُ وَجَّهتُ وَجْهِى نحوَ غيرِهِمِ

***

وقوله فى كاتب :

أكْرِمْ به كاتباً أفْدِيه بى وأبى ... ونَغرُه عن ثَمِينِ الدُّرِّ يبتسِمُ

كأنه الشمسُ والقِرْطاسُ فى يَدِه ... بدرٌ ومِنْطَقة الجَوْزَا له قلَمُ

***

---

(١) يعنى : من كان بالله واثقا .

(٢) فى ب : « فوق رأسه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وقوله :

بِرُوحِي وأهــــلِي زَوْرةٌ مِن مُمَنَّعٍ ... عليـــه تفَانَتْ أنفُسٌ وعيونُ
فباتَ يُرِينِي الغُصْنَ كيفَ انعطافُه ... وبِتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كيفَ يكونُ
ومِن دُونِه بِيضُ الصَّوارِمِ والقَنَا ... قِبابٌ وأسْتارُ الجمـــالِ حُصونُ
ولـكنَّها الأقْدارُ تُسْعِفُ مَن تَشَا ... فيُدْرِكُ ما لم تحْتَسِبْهُ ظُنونُ

***

وقوله :

أسْعَدُ الناسِ مَن يرَى ... مِنَحَ الحقِّ فى المِحَنْ
والرِّضَا منه بالقَضـــا ... يُذْهِبُ الهمَّ والحَزَنْ

***

وله فى تعزِيَة بنى الوَفا[1] ، ونقلتُهما من خَطِّه :

يَعِزُّ على لسانِى أن أُعَزِّى ... بساداتٍ هُمُ رَوْحُ الزَّمانِ
ومافُقِدُوا من الدنيـــا لشىء ... سِوَى أن زَيَّنُوا غُرَفَ الجِنانِ

☆☆☆

---

(١) تقدم ذكرهم فى هذا الباب . انظر ترجمة ٣٣٥ .

٣٦٧
مصطفى بن فتح الله النحاس

لقيتُه بمصر شاباً وِرْدُه تبعِيّ، وكلأه رَبْعِيّ.
وغصنُ شبابه لَدْن، وجنّة نُزهاته عَدْن.
وسألتُه عن مَسْقط رأسِه، فقال: دمشق البلدة التى لجيرتها على صفحات البُدور مَراسِم، ولترائب تُرْبِها عقودٌ من دُرَرِ المَباسِم.

***

وهو ممن تميَّز فى الأدب أو كاد، وللرَّجاء فيه مَواعِدُ إذا وفَتْ قيل: تفوّق أو زاد.
وقد أهدى إلىّ من نَظْمِه هائيّة، هَاهِيَه:

أما والغِيدِ تخطِر فى حُلاهَا — وتطلُع كالأهِلَّةِ فى سَناهَا
وباناتِ القُــدودِ إذا أبانَتْ — برَوْضاتِ الخدودِ ضُحَى جَناهَا
وتغريدِ الصَّوادِحِ فى الرَّوابِى — تبُثُّ من الجوانحِ لى هَواهَا
ومَا فَعَل الغرامُ بقلبِ صَبٍّ — يصُبُّ الدمعَ صُبْحاً أو مَساهَا
ومُرْسَلِ فَتْرَةٍ لم يَنْبُ فتكاً — وآيةِ حَسْرةٍ قلبى تلاهَا(١)
وأهْيَفَ واضحِ الخدَّيْن يزهُو — برَوْضةِ حُسْنِه عَنّى تلاهَى
وأوْقاتٍ خلعتُ مع المَدارَى — عِذارَ العُذْرِ مُعْتنِقاً بِهاهَا
لقد أصبحتُ أمْرَحُ فى الأمانِى — وأنْسَرِحُ انْسِراحاً فى رُباهَا
وأصبُو للعيونِ النُّجْلِ عُمْرِى — وإن هى أغمدتْ قلبى ظُباهَا
وأرْتشِفُ المَباسِمَ والثَّنايَا — وأنْتشِقُ النَّاسِمَ مِن شَذاهَا
ولى قلبٌ بلاعِجَةٍ تلظَّى — وعَيْنٌ دأبُهــا أبداً بُكاهَا
وظَبْيٍ فى سُوَيْداىَ رَتُوعٍ — تحــلَّى بالمَلاحةِ وارْتداهَا

(١) يعنى فترة الألحاظ.

كأن عِذارَهُ زَرَدٌ نَظِيمٌ ... على خَدَّيْهِ مِن قُبَلِي حَماها(١)
رمَى عَمْدًا بأسْهُمِ ناظِرَيْهِ ... أصابَ مَقاتِلِي لمَّا رَماها
رَشًا إن شاء يستلِبُ الْبَرايَا ... وإن ما شاء رَدَّ لها حِجاها
ومَن وَجَناتُه سَرقتْ لِحاظِي ... فجازاها القطيعةَ مِن كَراها
دَرَى أنِّى أحِنُّ إلى لِقاهُ ... فعذَّب مُهْجتِي وعلىَّ تاها
ولمَّا أن نأى خلَّصْتُ مَدْحِي ... لخيرِ عصابةٍ من آل طَـهَ

منها :

إليك أخا الفضائلِ والمَعالِي ... مَطايَا المجدِ قد حَثَّتْ سُراها
لك الْباعُ الطويلُ يُرَى مَدِيداً ... لِيَبْسُطَ وافِرَ العلمِ انْتِباها
رَتَعْنا فى رياضِك وانتهلْنا ... مَناهِلَ قلبُ عبدِك ما سَلاها
أألْسِنةَ الْيَراعِ له استمِدِّى ... بَدائعَ مِن مدائحَ لا تَناهَى
ويا سُودَ المَراعفِ ضَرِّجِى مِن ... طُروسِ مَدِيحِه الْبيضِ الْجِباها(٢)
ويا صُحُفَ المَديحِ نَشرْتِ عَرْفًا ... له فى الخافِقَيْن زَكَا صَباها
ويا نُدْمانَ رَوضتِه أقِيمُوا ... بجامعِ فضلِه فى مُشْتهاها
ويامَن مِن مآثرِه استزادُوا ... فلمْ يصِلُوا لغايةِ مُنْتهاها
ألم يَدْرُوا بمَا الأستاذُ أوْلَى ... من الآلاءِ إذ شكَر الإلَهَا
فهل بحرٌ يُرامُ له حدودٌ ... أم الجوزاءُ يُدْرَك مُرْتقاها
وهل بالفَرْقَدَيْن يُرَى اقترانٌ ... لغير عُلاه إذ هو قد تَباهَى
له الشِّعْرَاء رَقَّتْ واسْتُرِقَّتْ ... وقد نشَرتْ بمِدْحتِه لِواها
مَدَحْتُكَ مُغْضِياً والعُذْرُ أنِّى ... أراك تُقِيلُ عَثْرةَ مُصْطفاها
وتُغْضِى الجَفْنَ عن عَيْبٍ تَراهُ ... وتُسْبِلُ ذَيْلَ سِتْرِك عن خَطاها

---

(١) فى ا : « كأن عِظامه » ، والصواب فى : ب ، ج .
(٢) سود المراعف : الأقلام .

ومَن لى أن أكونَ لذاك أهْلًا وأجْلو عن ضِياَ عَيْنِي قَذاهاَ

وأن أضَعَ النِّعالَ كعَبْدِ رِقٍّ وأجْعَلَ كُحْلَ أجْفانِى ثَراهاَ

ولستُ بشاعرٍ لكن أرَجِّى من الشعراءِ فَيْضاً مِن نَداهاَ

وإنكَ سيــدُ الشعراءِ حقًّا لكَ البُلَغاءُ قد ألْقَتْ عَصاهاَ

وإنى إن جعلتُ البحرَ نِقْساً لِتَمْدادِ المَدائحِ ما كفاهاَ[1]

كذاكَ إذا نظَمْتُ الدُّرْعَ عِقْداً وإن بالَغْتُ لا أحْصِى ثَناهاَ

كمُلتَ مَفاخراً وعلَوتَ ذاتاً جُعِلتُ لذاتِكَ العُلْياَ فِداهاَ

فلا زالتْ لكَ الأمجادُ تَسْمَى على الأيامِ باسِطةً جِباهاَ

⁂

---

(١) النقس : المداد .

٣٦٨
السيد عبد الرحمن الجيزيّ الطَّباطَبيّ

هو من نُخْبة سُراةِ الأشراف ، مَحَلُّه من قُرَيش الرَّوابِي المُشْرِفة أتمّ الإشراف . ورِث الشَّرف جامِعا عن جامِع ، وازْدَهت بِرَوْنَقِ سيادته مَواطِنُ ومَجامِع . وقد جمعتْني وإيَّاه الأقدار ، في أوقاتٍ أمِنتُ فيها بفضلِ صُحْبته وَصْمَةَ الأكدار . فعرفتُ وُفورَ فضلِه ، وشهدتُ كرمَ ذاتِه المُنْبِي عن كرم أصْلِه .

***

وكتب يستجيزُ ذلك بهذه الرسالة ، فأجَبْتُه سائلا أن يحفظ اللهُ به حُشاشةَ النَّفاسةِ والبَسالة .

وهذه رسالتُه :

حَمْداً لمن افترض على كلِّ مسلم محبَّةَ أهلِ البيت ، ورفَع ذِكْرَهم ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[1] بَيْتاً بعد بَيْت .

ومَنَح أمينَهم حقيقةَ السعادة وسهَّل طريقَهُ إليها ومَجازَه ، وخلَع عليه من حُلَلِ السيادة خِلَعَ إنْعامه وجعَل مَزِيدَ النِّعَم على شُكْرِه إجازَة .

وصلاةً وسلاماً على من آتاه اللهُ جَوامِعَ الكَلِم وزادَه مَثوبةً وقُرْبا ، وعلى عِتْرَتِه الذين لا يكمُل إيمانُ المرء إلَّا بحُبِّهم وشاهدُه : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[2] .

وعلى آلِه وأصحابه الأُلَى هذَّبوا السُّنَّة الشريفة فكم خَبَرٍ مِنْها نَجا ، وكشفُوا النِّقاب عن وَجْهِ فضلِ ذُرِّيَّتِه واتَّخذُوا وُدَّهم تأليفا ومِنْهاجا .

فللهِ دَرُّ تلك البُنوَّة ، الذين كَفَلَتْهم في حِجْرِها النُّبُوَّة .

فهم للخير نجومُ الهدى ، ولا يتولَّى وِلادَتَهم إلا شمس المَعارف والاهتدا .

---

(١) الآية ٣٦ من سورة النور . (٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى .

وحَسْبُهم فخراً أنْ لا صلاةَ كاملةَ إلَّا بالصلاةِ عليهم ، وهاكَ ما رواه البَيْهَقِيُّ عن الإمام الشافِعِيِّ وهو نَصُّ مذهبِه فيهم :

يا آلَ بيْتِ رسولِ اللهِ حُبُّكمُ فَرضٌ من اللهِ فى القرآنِ أنْزَلَهُ

كفاكُمُ من عظيمِ القَدْرِ أنَّكمُ مَن لم يُصَلِّ عليكمْ لا صلاةَ لَهُ[1]

جعلهمُ اللهُ بركةً وذُخراً ، ومَلاذاً دنيا وأُخرى .

وأقامَهم مُقامَ جَدِّهم فى رَفْعِ العذاب ، فوُجودُهم أمانٌ فى الأرض من الخَسْف والمَسخ والإرْعاب والإرْهاب .

وكم من حديثٍ فى هذا المعنى ورَد عن صادقِ الوعدِ الأمينِ المأمون ، وناهيك حديث[2] : « النُّجُومُ أمَانٌ لأهْلِ السَّمَاءِ ، وأهل بَيْتِي أمَانٌ لِأهْلِ الأرْضِ ، فَإذَا هَلَكَ أهْلُ بَيْتِي جَاءَ أهْلَ الأرْضِ مِنَ الآياتِ مَا يُوعَدُونَ » .

وحديث :[3] « مَثَلُ أهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ فِي قَوْمِهِ ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ » .

فمن أخَذ بَهدْيِهم ومَحاسنِ شِيَمِهم نَجا من لُجَجِ ظُلُماتِ المُخالفة وبالفائزين لَحِق ورقى الدَّرجاتِ العُلَى بجنَّاتِ النعيم ، ومن تخلَّف عمَّا ذُكر غَرِق فى بحرِ الكُفران وهو فى نارِ الجحيم .

ولقد سبَك الدَّمامِينِيُّ[4] هذا المعنى ، وأتى بنَصِّ الحديث ضِمْنا :

---

(١) فى ج : « يكفيكم من عظيم القدر » ، والمثبت فى : ا ، ب. (٢) لم أجد هذا ، وفى صحيح مسلم (باب بيان أن بقاء النبى صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه ، من كتاب فضائل الصحابة) ٤/١٩٦١ : النُّجُومُ أمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ ، فَإذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أتَى السَّمَاءَ ما تُوعَدُ ؛ وأنا أمَنَةٌ لِأصْحَابِي ، فَإذَا ذَهَبْتُ أتَى أصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ؛ وأصْحَابِي أمَنَةٌ لِأُمَّتِي ، فَإذاذَهَبَ أصْحَابِي أتَى أُمَّتِي مَايُوعَدُونَ » . ومثله فى مسند الإمام أحمد ٤/٣٩٩ . (٣) لم أجده . (٤) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول صفحة ٥٠٢ .

لستُ أخْشَى يا آلَ أحمدَ ذَنباً　　مع حُبّى لكم وحسنُ اعتقادِى

يا بحارَ النَّدَى أأخْشَى وأنتم　　سُفُنٌ للنَّجاةِ يومَ المَعادِ

ومن خيرِهم حَبْرٌ على أسرارِ العلوم أمين ، وبحرٌ يتدفَّق بعجائب نظمِه ونثرِه فإذا رمتُ الإفصاح عن حَصْرِ ذلك أمين[1] .

وبَرٌّ يطوِّق أعناقَ المَشارق والمَغارب بنفائسِ دُرَرِ عِقْدِه الثَّمين ، وكَشَّافُ أسرارِ البلاغة بحُسْنِ تأويلٍ يُظهِر الغَثَّ من السَّمِين .

بل هو رياضُ أدبٍ أينَعتْ من ينابيع بديعِ ثمَراتِه الأوْراق ، وسقَتْ جَداولُ مِدادِ مَديدِه[2] كَلِمِه أغصانَ رَوضاتِ قلمِه فأخرجتْ من كلِّ الثَّمرات ما حَلاَ ورَقَّ وراق .

فهو الإمام ابنُ الهُمام الذى لايعلَمَ فضيلةَ تحقيقِه وتدقيقِه إلَّا الأعْلَم[3] ، والخليلُ[4] الذى نَثَر لآلِئَ البيانِ ونظَم .

فأهْلًا به من مُؤرِّخ أخيرٍ تتلفَّتُ إليه وُجوهُ الأعْصُرِ الأُوَل ، وبَخٍ بَخٍ لبراعتِه التى يُبَيِّضُ سَوادُها صُحُفَ الأيَّام والدُّوَل .

مَن نَحَا نحوَ منطقه ، وارْتضَع ثَدْيَ مَعانى بيانِ بلاغتِه ، كان فى اللغة جَوْهَرِىَّ تنْسِكيتها ، بصِحاحِ عباراتٍ يَحارُ من بلاغتِها سِكِّيتُها وابنُ سِكِّيتِها[5] .

يتحدَّث لسانُ يَراعِ براعتِه المُخضَّب بمِداد المعانى فلا يَمِين ، ويُقْسِم أنه يُبْرِز دقائقَهُ فيَبَرُّ تكذيباً لِمَن قال : فليس لمخضوب البَيان يَمِين .

---

(١) من المين ، وهو العدول عن الحق .　　(٢) فى ا : « مديده » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) يلقب بالأعلم يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمرى ، المتوفى سنة ست وسبعين وأربعمائة ، وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم البطليوسى ، المتوفى سنة سبع وثلاثين وستمائة ؟ وكلاهما له اشتغال بالأدب .　(٤) يشير إلى الخليل بن أحمد الفراهيدى ، الإمام فى اللغة والأدب ، المتوفى سنة سبعين ومائة .　(٥) يشير إلى ابن السكيت أبى يوسف يعقوب بن إسحاق ، من أعلم الناس باللغة والشعر ، توفى سنة أربع وأربعين ومائتين انظر مقدمة التحقيق لكتابه « إصلاح المنطق » .

صَدْرُ الشريعة بـل بَحْرُها الذى يُلتقَط من ساحلِ الشام دُرُّه ، شيخُ الطريقة بل بَرُّها الذي يُجيد صنائع المعروفِ فعلَى الحقيقة للهِ دَرُّه .

صاحبُ إتقان جامعٌ نافعٌ لأهـل الرِّواية بِدايتُه ، ومُغرِب مُغرِب عن أصولِ الهداية نهايتُه .

مُحَمدِيُّ الخِصال الثَّابت غِراسُ أصلِه فى طِينةِ المجد السـامِى ، الثَّابت المُتَّصل بطَيْبَةَ ونَجْدِ مَحْتِدُه الشامِى .

وحسْبُك ماجَمَع من الفَضْل والفَصْل ، ونَجابةِ الفَرْع الدَّالّ على عَراقةِ الأصل .

كيف لا وهو قُطْبُ دائرة الأفلاك العَلَوِيّة ، ومَطْلَع شُموسِ أمـلاكِ الدَّوْحة النَّبَوِيَّة ، وعَيْنُ أعيانِ خَواصِّ خُلاصةِ البِدْعَه المُحمَّديَّة ، وخيرُ خِيار الأخيار من السُّلاَفة المُصْطَفَوِيَّة .

أشْرَفُ مَوْلَى[1] بمَناصِبِ حُـكْمِه اتَّصَل سَنَد حديثه بالإمام الحا كم ، فإذا ما نظَر فى الأحـكام الشرعيَّة كان فى الفَصْل أعْدلَ حا كم ، وأجَلَّ عالم عامل ولا نكتُم شَهادةَ اللهِ ﴿ وَمَنْ يَـكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ ﴾[2] .

وماذا أُقول فى البيت الذى عَمَرتْه بالذِّكْر الحميد أبْناؤُه ، وغَمرتْه بالذِّكر الحكيم أنباؤُه .

فتبارَكَ مَن أظْهر من أهلِه هـذا السيِّدَ وجعَل أغارِيبَ البلاغة لألْفاظِه مُذْعنةً طائعة ، وأعاجيبَ صياغةِ الألْسِنة[3] عاصيةً سِواهُ وله مُطاوِعة ، وأبْرَزَ إبْرِيزَ المعانى عن ذِهْنِه السليم فأشْبَهَ مَطْبوعُه طابَعه .

فلقد صنَّف « تاريخا » وأبْدَع فى تصْنيفه ، وألَّف شَتاتَ الفضائِل وجمَع شَمْلَ ذِكْرِ علماء عصرِه فى تأليفِه .

---

(١) فى ا : « موالى » ، والمثبت فى : ب ، ج (٢) سـورة البقرة ٢٨٣ . (٣) فى ا : « الألسن » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فجاء بحراً طويلاً مبسوطا بمداد أمْداده ذِكْرُ السادةِ العلماء، مُحيطا بكامل أسمائهم، ووافرِ أنسابهم.

حتى صار بأسانيدهم علماً حاوياً لكلّ قولٍ مُحرَّر وَجيز، شاملا لخلاصة المعنى بمُوجَز ألفاظٍ تُعرِّف القادرَ منه بالتعْجيز.

لِمَ لا، وقد تكلَّم فيه عن نِكاتٍ يكاد المسموعُ منها لإشراقه أن يُرَى، وأتى بجوامِع الكَلِم فكان الصَّيدُ كلّ الصيدِ فى جوف الفَرَا[1].

يدلُ على صحة إخبارِ مؤلِّفه عن علماء العصر طُرًّا، أنه من أهل البيت أولِى العلم والمجدِ وصاحبُ البيت أدْرَى.

ويُنبِّهُ البحثُ باقتدار جامعِه على تحقيقِ خُبْرِيَّتِه بمَواقعِ الأخبار وتسهيل صِعابها، أنه وَرِث علمَ هذه الصناعة عن أصْلِه المَكِّىّ وأهلُ مكةَ أعْرَفُ بشِعابها.

فللهِ من مُؤرِّخ أحْرَزَ بالجَمْع عن الأواخر ما أحْرَزَ بالسَّمْعِ عن الأوائل، وأبْرَزَ للجَمْعِ عن الأوائل أخايرَ الذَّخائر من فَضائلِ الأفاضل.

فُصوصُ حِكَمِه[2] مشتملةٌ على أحسنِ الإشارات، وفُتوحاتُ حقائقِه جاءتْ بالتَّلْويحات إلى أفضل المَقامات.

فكم فيه من تَنْبيهٍ على كلّ معنى مُستصفَى، ومُحكَمٍ من أحكام الأحكام يهدِى تحصيلَ الشِّفا من استَشْفَى.

وفَصيحٍ من القول فى إصْلاح النُّطْق، يقرِّب إلى أدب الكُتَّاب، ومهذَّبٍ من اللفظ الفائق يقْطِف من رَوْض المديح زَهْر الآداب.

حتى رصَّع قلائدَ العِقيان فى نَحْر البلاغة مُجْمَلا، ونظَم عِقْدَ دُرَرِ الصَّحيحيْن وغُرَر الصِّحاح من نَثْرِه ونظْمِه مُفصَّلا.

(١) الفرا: حمار الوحش أو فتيه. (٢) يضمن المؤلف فيمايلى أسماء كثير من الكتب المعروفة.

ففي أبياتِ شعرِه قصور مَشيدة ، وفِقَرُ رسائلِه كلٌّ فقرةٍ منها معدودةٌ بقصيدة .

وفي عُنوانِ توْفيقه قُوتُ قلوب العارفين ، وفي مُحكَم إرشادِه إحياء علوم الدين .

فكسا اللهُ مُؤلِّفَه من حُلَلِ العلوم ثياباً غيرَ أخلاق ، وجعله مُجيزاً لكلِّ طالبِ مَرْوِيَّاتِه بمحاسِنِ الإسْنادِ ومكارمِ الأخلاق .

وبلَّغه من الآمال والأماني أوْفاها وأقصاها ، ومَدَّ أمَدَ مُدَّتِه حتى لا يحصُرها إلَّا الذي لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلَّا أحْصاها .

لما قد نفَعني اللهُ بوجُودِه ، وزادَه من فضلِه وجُودِه .

محروسةُ مصرَ القاهرةُ تشرَّفتْ ، وبحلولِ رِكابه تزخْرفتْ .

وفاحَ في رُباها من روْضِ بهْجتِه نُورُ نَشْرِها الأريج ، ورَوِيتْ من رُؤْيتِه بصَوْبِ صَوابِه فاهتزَّتْ ورَبَتْ وأنبتتْ من كلِّ زوجٍ بهيج[1] .

وبإشْراقِ كوكب مُحَيَّاه في أُفقِها وافَق الخبَرُ الخبَر ، وأين السمعُ من المُشافهة ومُشاهدة النَّظَر .

أحْببْتُ أن أخدمه بأبياتٍ طريحة ، عنكبُوتيَّة النَّسْج من جهةِ القَرِيحة القَرِيحة .

وأطلبَ فيها الإجازة بجميع مَرْوِيَّاتِه ، إن كان يراني أهلًا لتلقِّي مُسْتَنَداته .

لأني لم أكُنْ مِن فرسانِ هذا المِضْمار ، ولا أهْلًا لِمُعانقة أبكار الأفكار .

فلهذا صرتُ أُقدِّمُ رجلًا وأُؤخِّر أخرى ، وأقول : سلوكُ طريقِ الأدب مع مثل هذا الأستاذ أوْلَى وأحْرَى .

---

(١) اقتبسه من قوله تعالى في سورة الحج ٥ : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ .

لأن مَقامَه عالِى الذُّرَى ، وأين الثُّرَيَّا من الثَّرَى .

إلى أن رأيتُ بعضَ الإخوان مَلأُوا الأفواهِ فى مدحِه بدُرَرِ نِثارِهم ، ونصَبُوا على مَدارجِ سماعِ ذِكْرِهم بيوتَ أشْعارِهم .

وظَفِروا من كنوزِ المَناهج بالسَّعد المُنْتظَر ، ونَثَرُوا على عقودِ جواهرِه اللآلِى والدُّرَر .

وقصَدُوه وهو الغنىُّ مِن هذه الصناعةِ وهم بالنِّسْبة إليه الفقراء البائسون ، فتلقّاهم بالقَبُول وفاح عليهم من رَحِيقِ خِتامِ كلامِه مِسْكٌ وفى ذلك فَلْيَتَنافسِ المُتنافِسُون[1] .

وأنْزلهم مَنازِلَهم فى مجالسِ حُكْمِه ، وخلَع على أعْطافِهم من حُلَلِ نثره ونظمِه .

فحملوا على عواتقِ شُكْرِهم لواءَ الحمد الأزْهر ، وخفَقتْ أعلامُ مدائحِهم بثناء الفخرِ الأبْهَر .

وهم يقولون فى دقائقِ معارفِه ﴿ إنْ هَذَا إلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ[2] ﴾، وإن فضلَه كالشمسِ لا يُنْكَر ، وإن ذِكْرَه الرفيع أبى اللهُ أن لا يُذْكَر .

ثم ورَدُوا علىَّ واحداً بعد واحد ، وطلبوا مِنِّى أن أستخرجَ من أبْكار الفِكَر ، بَنات ذهنٍ مُكلَّلا جِيدُها بعُقود جواهرِ الفِقَر .

فقلت : لسانى يعجزُ فى ترجمتِه عن بلوغِ قدرِه ، ولو قال مهما قال لم يقُم بواجب حَقِّه طُولَ عُمرِه .

فقالوا : لا سبيلَ إلَّا أن تصيغ[3] دُرَرَ المعانى ، عِقْداً نَضِيداً يبهَر منه لُبُّ المَعانِى .

وألْزَمُونى الحُجَّة ، ولم أرَ للمَنْدُوحة مَحَجَّة .

وقد شَرعتُ فيما رَامُوه ، وجادت القَرِيحةُ بما طَلَبُوه .

---

(١) قتبسه من قوله تعالى فى سورة المطففين ٢٦ : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾. (٢) سورة المدثر ٢٤ . (٣) المعهود : صاغ يصوغ .

وقفّيتُ مَقاطيعَ هى عن الغايةِ كاسِمها، وأبياتاً خاوية ما تُساوى الوقوفَ على رَسْمِها. ولكنْ على عَجْزى وقُدْرتِه، وقلّى وكَثْرته.

أطمعُ فى عَفْوِه أنه يُنضِّد لها من إِبْرِيز فضله سِلْكا، ويُقابِل أَعْمَى الحظّ الذى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾(١) ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾(٢).

وأسأله الصَّفحَ عند تصفّحِها، واستحضارَ الحِلْمِ ساعةَ يلمحُها.

وأن يَمُنَّ عليها بالقَبول، والسَّترِ الجميل المقبول.

وهذه هى هديةُ العبدِ المَوْلَى، إلى السيِّد الأمين المَوْلَى(٣).

أمتع اللهُ تعالى بفضائله التى تُزْرِى بالرَّوض النَّضِر، وتملأُ أُذُنَ السامعِ وعَيْنَ المُنتظِر:

بَنُو المصطفَى أصلُ الوجودِ الأماثِلُ	أكارمُ أهـلِ البيت أينَ المُماثِلُ
هم الناسُ فى صِـدْقِ المَقالِ لأنهم	إذا صَدَعُوا بالحقِّ لم يَبْقَ باطِـلُ
وهم رحمـةٌ للعالَمين وعِصْمةٌ	وقد بَرْهَنتْ عَنْ أقولٍ الدَّلائلُ
وهم خيرُ خلقِ الله فى الأرضِ نِعْمةً	هُداةٌ لمن فيهـا أمانٌ مُواصِلُ
ومِن بَيْتِهم جاء الكتابُ مُفصَّلا	وشَرْعُ رسولِ الله بالحقِّ فاصِلُ
أئمّةُ هَـدْيٍ هَذَّب الدِّينَ منهمُ	إلى أُمَمِ الإسلامِ قومٌ أفاضِـلُ
خُذُوا عنهمُ الحِلْمَ الشريفَ وحدِّثوا	إلى فضل أهلِ البيت تُعزَى الفضائلُ(٤)
لقد عظَّم الرحمنُ فى الدهرِ قَدْرَهم	وأثنتْ عليهم بالفَـلاحِ الأماثِلُ
حُمـاةٌ سَراةٌ لا يُضامُ نَزِيلُهم	إذا ضَيَّعتْ عهـدَ الجوارِ القبائلُ
سَمَتْ بمَعانيهم علومٌ رفيعـةٌ	وطالتْ بهم فى الأكرَمِين الطَّوائلُ
ومِن خَيْرِهم حَبْرٌ حَوَى كلَّ سُؤْدَدٍ	حَسِيبٌ نَسِيبٌ أوْصلَتْه الحمائلُ(٥)

(١) سورة عبس الآية الأولى. (٢) سورة عبس ٣. (٣) المولى الأولى: بمعنى العبد، والثانية: ما كان يطلق على كبار العلماء فى الدولة العثمانية. (٤) كذا فى الأصول: «الحلم الشريف»، ولعلها: «العلم الشريف». (٥) يعنى حائل السيف.

أمينُهمُ السامِى الفخارِ رَشيدُهم ... سَرِيُّهمُ الشَّامِى النِّجار الُحلاحِلُ[1]

خِيارُ الكرامِ الشُّمِّ من آل هاشمٍ ... خُلاصةُ أهلِ البيتِ نِعْمَ التَّناسُلُ

لفاطمةَ الزَّهْرا البتُولِ انتسابُهُ ... عَلِىٌّ حُسَيْنِىٌّ له الأصلُ كافِلُ

شريفٌ عفيفٌ مُسْتَقاتٌ مُهذَّبٌ ... كريمُ السَّجايا حازمُ الرَّأْىِ عاقِلُ

أصيل له مجدٌ رفيعٌ مُؤثَّلٌ ... عَريقٌ زَكَتْ أخلاقُهُ والشمائلُ

هو السيدُ المحفوظُ من كلِّ زَلَّةٍ ... وشاهدُه فى الذِّكْرِ يتلوه فاضلُ

أبَى اللهُ إلَّا أن يكونَ مُطهَّراً ... فأذْهَبَ عنه الرِّجْسَ والفضلُ شاملُ

لقد آنَسَ اللهُ البلادَ وأهلَها ... وطابتْ به فى الأرضِ مصرُ المناهِلُ[2]

وأشْرقتِ الآفاقُ من نُورِ فضلِهِ ... وسارتْ به للسَّالِكين رسائلُ

وشاهَدَ أهلُ الحقِّ فيه عنايةً ... تَسامتْ بها أفعالُه والعَوامِلُ

تملَّكَ غاياتِ العلوم فلم يزَلْ ... ضَليعاً بأعْباءِ الهدى منه كاهِلُ

عَطوفٌ رؤوفٌ ذو حنانٍ ورحمةٍ ... تشرَّف بالتوفيقِ منه المُواصِلُ

إمامُ الهدَى غَيْثُ النَّدَى مُذْهِبُ الرَّدَى ... عن النَّاسِ إن صالتْ عليهم صَوائِلُ

مُجَلِّى عَماياتِ الضَّلالِ بهمَّةٍ ... مُؤيَّدةٍ يُصْمِى بها من يُجادِلُ[3]

ومُرْشِدُ أرْبابِ القلوبِ إلى الهدى ... بأفضلِ رُشْدٍ منه تُشْفَى الغلائلُ

ومُسْقِى النَّدامَى من سُلافةِ سِرِّهِ ... شَراباً طَهُوراً للعقولِ يُشاكِلُ

فقاصِدُ سامِى سُوحِه غيرُ خائبٍ ... يبُثُّ الثَّنا لا يعتريه تشاغُلُ

وفى نَفَحاتِ الأُنْسِ عَيْنُ حقيقةٍ ... فمن أمَّه نالَ الذى هو آمِلُ

تراهُ إذا يمَّمْتَه مُتهلِّلاً ... بأنواعِ ترْحابٍ لها البِشْرُ باذِلُ

---

(١) فى ا : «الفخار ورشدهم» ، والمثبت فى : ب ح . وفى ح : «السامى النجار» ، والمثبت فى : ا ، ب .
والحلاحل : سيد القوم .

(٢) أى وطابت به مصر ، وطابت المناهل . (٣) أصماه : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

هو البحرُ إن حَدَّثْتَ عن مُعجباتِه ... ضَعُفْتَ عن استيعابِ ما أنت ناقلُ
فأمواجُه نحوٌ وصرفٌ ومنطقٌ ... ولُجّتُه التاريخُ والشعرُ ساحلُ(١)
إذا صاغ شِعْرًا جاء دُرًّا مُنضَّدًا ... وخالصُ إبريزِ المعاني سَلاسِلُ
هُمامٌ له فى كلِّ فَنٍّ مُؤلَّفٌ ... بأوضحِ معنًى ليس فيه تداخُلُ
وألَّف تاريخًا هَمَى جُودُ مُزْنِه ... على عُلَماءِ العصرِ كالغَيْثِ هَاطِلُ
وأَوْدَعَ سِرَّ الجمعِ فى طَيِّ نَشْرِه ... ففاحتْ بروضاتِ العلومِ المَنادِلُ
لقد صار كَهْفًا للمشايخ شامِخًا ... بساحتِه للطَّالِبين منازِلُ
وأفصحَ عن فَرْقٍ وجَمْعٍ وهيئةٍ ... به فزَهتْ غَدواتُه والأصائِلُ
وأعربَ عن أسمائهم وصفاتِهم ... وأنسابِهم والأخذِ عمَّن يُخالِلُ
وقد صرَّحَ الأثباتُ عن خُبْرِه بما ... يُحدِّث عن صِدْقِ الذى هو قائلُ
ومن أعجبِ الأشياءِ صِحَّةُ نَقْلِه ... ولم يرَهُم طُرًّا فكيف التَّواصُلُ
وقد حارتِ الأشياخُ فى حُسْنِ صُنْعِه ... وكلٌّ لميثاقِ المودَّةِ حامِلُ
ولاذتْ به أهلُ العَرُوضِ لأنّه ... خبيرٌ بما قد دَوَّنته الأوائلُ
عَلِيمٌ بأقسامِ الكلامِ مُؤرِّخٌ ... أمينٌ شريفٌ صادقُ الوعدِ عادلُ
له شَرَفٌ يسمُو السِّمَاكَيْن رِفْعةً ... وأوصافُ صدقٍ حار فيها المجادِلُ(٢)
إمامٌ له فى كلِّ عِلْمٍ مَكانةٌ ... بصحَّةِ إسْنادٍ عن الثَّبْتِ ناقلُ
وحَسْبُك فى تحقيقِ ما أنا ذاكرٌ ... فمنَ مثلِه فى الناسِ تُرْوَى المسائلُ
جميلُ المُحيَّا فى نَضارةِ وجهِه ... مَشارِقُ منها تستضىءُ المحافِلُ
حَميدُ المَساعِى قد تَسامَى مَقامُه ... محمدٌ المحمودُ فيما يُحاوِلُ
بِدايتُه فى كلِّ علمٍ نِهايةٌ ... وما هُنَّ عن نَهْجِ الحقيقةِ عادلُ

(١) فى ب : « والبحر ساحل » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) السماكان : نجمان نيران ، يقال لأحدهما : الأعزل ، وللآخر : الرامح .

أمينٌ على الأسْرارِ من دُرِّ كَنْزِه ... أتَى خيرَ ما دلَّتْ عليـه الدَّلائلُ
ولا عَيْبَ فيـه غـيرَ أنَّ سَبيلَه ... لِسالِكه فيـه الهـدى والوَسائِلُ
خِيـارُ ولاةِ الأمرِ أعدلُ حاكمٍ ... يُقيـمُ حُدودَ اللهِ والحالُ حائِلُ
وَقُورٌ صَبُورٌ قلتُ فيـه مُؤرِّخا ... وَلِىٌّ تَقِىٌّ وافِرُ العِلْمِ كامـلُ
فيـا رَبِّ زِدْهُ نِعْمةً وسعـادةً ... وبَلِّغْهُ ما يرجُو وما هو آمـلُ
وصُنْهُ من الأسْوَا وحَصِّنْه بالهـدى ... وأيِّدْه بالتَّوفيقِ ما دَرَّ وَابِلُ
وقائلُهـا الجِيزِىُّ مولاى جَازِهِ ... بفضل فمنكَ الجُودُ للعبـدِ واصلُ
يُرَجِّى من المولَى الأمينِ إجازةً ... بمـا جاز أن يَرْوِيه فالشَّرْطُ حاصلُ
ومن فضـلِه يرجو قبولَ قَرِيضِه ... فقـد حاكَهُ واللُّبُّ بالشُّغْلِ ذاهِلُ
تَمِيمىُّ ابنِ عَوْفٍ للطَّباطِبةِ انْتَمَى ... وعُنْصُرُهم للمصطفَى الطُّهْرِ آيِلُ
ثِمـالِ اليَتامَى الأوَّلِ الآخرِ الذى ... به افتخرتْ آباؤُه والقبـائلُ[(١)]
عليـه صلاةُ اللهِ ما صَبَّ هَمَى ... وأزْكَى سلامٍ مِن سَلامٍ يُواصلُ
وآلٍ وصَحْبٍ ما بَدَا قَوْلُ قائلٍ ... بنو المصطفَى أصلُ الوجودِ الأماثلُ

وهذا آخرُ ما انتظم فى سِلْكِ القُصور من مَقاطِيع أشعارٍ تُشْعِر بعَجْزِ مُؤلِّفِها، وارْتَسَم فى صَكِّ المَنْثور على خَبايا مُختلفِها ومُؤْتلفِها.

وانْتخَبَتْه القَرِيحةُ من بَناتِ فِكرِه العاجز، وذِهْنِه الذى بينه وبين الوُصولِ إلى هذه الصناعة حاجز.

ومَن بِضاعتُه مُزْجاة[(٢)]، لفظَ[(٣)] لَفْظَه[(٤)] وقيل: ما أنْقاه[(٤)]، وسكَت ونكَث عليه أن فاه[(٥)].

---

(١) ثمال اليتامى: غياثهم. (٢) بضاعة مزجاة: يسيرة قليلة، أو رديئة. (٣) من هنا إلى قوله: «نور فهمه الجلى وتلحظها» ساقط من: ج، ومكانه فيها: «فعسى أن يلحظها»، وهو فى: ا، ب.
(٤) فى ا: «وقبل ما أتقاه»، والمثبت فى: ب. (٥) فى ا: «نفاه»، والمثبت فى: ب.

فلذلك رهبتْ بناتُ فكرِه إمَّا من الخوف فطلبتْ صفحا ، وإمَّا من الكساد فلبستْ من المِداد مِسْحا[1] .

ولكنْ إذا نظر إليها المولى بعيْن الرِّضا وسمِع معانيها ، جلتْ سعودُ السُّعود ورقَى الدَّراريَ ذُرَى مبانيها .

فعسى أن يُوسِمَ مرابِعها بالوَسْمِيّ[2] ذلك الوَلِيّ[3] ، ويُجلِّيَ سوادَ حظِّها بنورِ فهمِه الجَلِيّ .

ويلْحظَها بلحْظةٍ من لحَظاتِه ، ويُعيد النَّظَر فى وَهْنِ عباراتِه ، ويعوِّدَها بعائِد صِلاته .

ويُميرَها لُمعةً من سَواطِع بديع جمالِه ، ويتصدَّق عليها مِن زكاةِ أقوالِه .

فإنها فقيرةٌ من فِقَر السَّجْع نَظْما ونَثْرا ، تاليةٌ و ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً[4] ﴾ .

فرحِم الله امرأً تطلَّع على عيْبٍ فيها فستَر ، وآمَن خوْفَها بحُسْنِ القبولِ والنَّظَر ، وعمِل[5] بقوْل أمير المؤمنين الشِّهاب ابنِ حجَر :

يا سيِّدًا طالِعُهُ ... إنْ راقَ ممّناه فعُدْ
وافتحْ له بابَ الرِّضا ... وإن تجدْ عيبًا فَسُدْ

وهَا لسانُ اليَراعِ يقول ، راجياً حُسْنَ القبول :

يا مَن دُعِي بيْن الورَى ... بأمينِ أسْرارِ الجليلْ
أنْظُر إليها بالرِّضا ... ثم اصفَحِ الصَّفْحَ الجميلْ

---

(١) المسح : كساء من شعر يلبس تقشفا وزهادة . (٢) الوسمى : مطر الربيع الأول .
(٣) الولى : المطر بعد المطر . (٤) سورة الطلاق ٧ . (٥) من هنا إلى قوله : « فلتمص تلك الشجرة اهتصرت » الآتى فى جواب المحبى ، ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

وقد آنَ للقلم أن يخلَع ما اسْودَّ مِن بُرُودِه ، ويرفعَ رأسَه من رُكوعِه وسُجودِه .

وأفضلُ الصلاة وأتمُّ السلام على سيِّدنا محمد وعلى آله وصَحْبه ، وشِيعَتِه ومُحبِّيه وحِزْبه .

***

وهذا جَوابِي إليه :

أحْمَد من يُجيزُ آملَه ، ويُجيب بالقبول سائلَه وأنا سائلُه ، به أعْتضِدُ وآمُلُه .

عليه أعْتمِد مُسْتخِيراً به وهو لا يُنْدِمُ[1] مُسْتخِيرَه ، ومُسْتجيراً بعَفْوِه وهو لا يُخيِّب مُسْتجيرَه .

وأُصلِّي على نبيِّه صاحبِ الرسالة المُؤيَّدَة ، ومُشرِّع المِلَّة الباقية على الدهر والطريقة المُؤبَّدَة .

أطْهرُ الخلائق عُنْصرا ، وأكرمُهم خَبرا ومَخْبَرا .

البانِي بُيوتًا علَتْ شُرُفاتُها ، والناهِج طُرُقًا سعِدتْ غاياتُها .

وعَلَى آلِه خيرِ آل ، وأصحابِه السُّعَدا فى المَبْدأ والمَآل .

ما رَوَى رَاوٍ حديثَ فضلِهم الحسَن ، وسعِدت بِبَثِّ محامدِهم أُلُوا الفصاحةِ واللَّسَن .

وبعد :

فلمَّا تشرَّفْتُ برُؤْيةِ مَن كنتُ أوَدُّ قُرْبَه ، وأتَّخِذُ وَلاَهُ قُرْبةً وأكْرِمْ بها مِن قُرْبة .

السيدُ الذى ابتهجتْ ببَراعته الدنيا ، ونزلتْ سَيَّارةُ محاسِنِه بين السَّنَد فالعَلْيا .

---

(١) فى ا : « يذم » ، والمثبت فى : ب .

عبد الرحمن الجيزىَ وفَّر الله من كل فضيلةٍ حظَّه ، ولا أعْدَمَه تتابُعَ الزِّيادةِ ما أدارَ فى نَفِيسِه[1] لحظَه .

تنْتهى كُلِّيَّتُه حيث ينتهى ذِكْره ، ويأتيه مُناهُ فوق ما يُناجيه فِكْره .

وبَقِىَ ما بقيت الخضراء تُظِلُّه ، والغَبْراء تُقِلُّه ، والآراء تحترمه وتُجِلُّه .

فأعاد لى الدهرُ برُؤْيته الأثرَ عَيْنا ، ووَفَتْ لى الأيامُ بلُقْياه فى ذِمَّتِها دَيْنا .

ورأيتُ ما رأى النبىُّ مِن زَيْد الخَيْل[2] وحَبِيبٌ من أبى سعيد[3] ، فأنا إذا شاهدتُ طَلْعتَه أسْتفيدُ من العُلَى وأسْتزيد ، ويَزِيد فىَّ إذا رأيتُه للثَّناء خَلْقٌ جديد .

فأسْتجْلِى أخلاقاً عَذْبةَ المَذاق ، وطِباعاً مُفْصِحة عن كرَم أعْراق .

إلى لَطافةٍ تُؤلِّف بين الوَحْشة والإيناس ، وسيرة نَظَرْتُ بها فى سيرة ابنِ سيِّد الناس[4] :

فإن يَكُ مِن جِدٍّ أتاهُ فإنَّه ... تَوارَثَه آباءُ آبائِه قَبْلُ[5]

وهل يُنْبِتَ الخَطِّىَّ إلَّا وَشِيجُهُ ... وتُغْرَسُ إلَّا فى مَنابِتِها النَّخْلُ[6]

---

(١) فى ب : « نفيسة » ، والمثبت فى ا ، ج .

(٢) هو زيد بن مهلهل بن زيد الطائى النبهانى ، المعروف بزيد الخيل .
وكان من المؤلفة قلوبهم ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد طيىء ، سنة تسع ، وسماه النبى صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وقال : « ما وصف لى أحد فى الجاهلية فرأيته فى الإسلام إلا رأيته دون الصفة غيرك » .
قيل : توفى بعد منصرفه من عند النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل : توفى آخر خلافة عمر .
أسد الغابة ٢/٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٣) فى الأصول : «ابن سعيد» ، ولعل الصواب ما أثبته ، فإن أبا تمام مدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى بقصائد كثيرة فى ديوانه ، تجدها فى صفحات ٢٥–٣٠ ، ٦٨ – ٧١ ، ١٣٧ – ١٤٠ ، ١٤٣–١٤٩ ، ١٦١ ، ١٨٩ – ١٩٢ ، ٢١٥–٢٢٠ ، ٢٤٩–٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٩ – ٢٩٩ ، ٣٣٥ – ٣٣٩ ، وانظر المعنى الذى أراده المؤلف قصيدته فى وداعه فى ٣٣٥ ، أما محمد بن سعيد فليس لأبى تمام فيه إلا قصيدة فى تعزيته بابنه ، صفحة ٣٥١ .

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد اليعمرى ، المعروف بابن سيد الناس ، المتوفى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وسيرته تسمى « عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير » .

(٥) هذا البيت والتالى له لزهير بن أبى سلمى ، وهما فى شرح ديوانه ١١٥ ، وقد تصرف المؤلف فى البيت الأول بما يناسب غرضه ، ورواية شرح الديوان : « من خير أتوه ... آباء آبائهم .. » .

(٦) الوشيج : القنا الملتف فى منبته .

وناهيكَ بشَرفِ بيتٍ أسْبابُ السِّيادة عُمُـدُه، وفَخْرٍ لا يُسْتوفَى[1] على أمَدِ الأزْمِنةِ أمَدُه.

وقَبيلٍ كَريمةٍ فَصيلتُه وشُعوبُه، ومَحْتِدٍ كالرُّمْحِ مُطَّرِدَةٍ أنابِيبُه وكُعوبُه.

ضربتْ عليه السيادةُ سُرادِقَها، وتفوَّح الشَّرفُ هامَ فُروعِها وبَاسِقِها.

مُتَّصِلُ خَبرِها المرفوعِ صَحَّتْ أسانيدُه، ومُرْسَلُ سَيْرِها المَقْطوعِ به سِلْسلةُ رِجالِه الثِّقاتِ وصَناديدُه.

فيالَها من سِلْسِلةٍ إذا تحرَّكتْ أخبارُها فى المَحافل، عُلِم أنها سلسلةُ قومٍ يُقادون إلى الجنَّةِ بالسَّلاسل.

ولَعَمْرِى إن هذا السيدَ العظيم، حَلَّ من [2]هذه النِّسبة الشريفة فى صَمِيم الصَّمِيم.

فله بين السَّادة، صَدْرُ الوِسادة.

ومَحَلُّه فى[2] الزُّجاجة، مَحَلُّ الرَّوْنَقِ من الصَّباحة.

رَقِىَ من الفضائل ذُراها، وتمسَّك من المَحامد بأوْثقِ عُراها.

وخطَب عرائسَ الكرم والوَفا، فبَنَى عليها بالبَنِين والرِّفا.

وهو فى البراعة واليَراعة أمْثلُ القوم، بل هو المُنفرِد فيهما من عَهْدِ نَشْأتِه سَقاها عَهْدُ[3] الغَمامِ وإلى اليوم.

أحْرزَ القصَبَ إذا دأب، فكان أقَلُّ مُحْرَزَاته أكثرَ الأدب.

يفسَح للبيان مَجالا، ويُوضِح منه غُرَراً وأحْجالا.

ويشْتار مِن جَناه عَسَلا، ويهزُّ مِن قَناه أسَلا[4].

فإذا نَسَب انتسبَتْ إليه الرِّقَّة، وفاز من اللَّطافة بمَرْتبةٍ للنُّهَى مُسْترِقَّة.

وإذا مَدَح اقتضَب بعضَ صفاتٍ منه، ونَعتَها بنُعوتٍ من الكمال تُخبِر عنه.

---

(١) فى ب: «يستوى»، والمثبت فى: ا. (٢) ساقط من: ا، وهو فى: ب.

(٣) العهد: أول مطر الربيع. (٤) الأسل: الرماح.

وقد اتّحدْتُ معه اتّحادَ رُوحٍ بِشَبَح ، وتمتّعْتُ من مُفاكهتِه بمُلَحٍ تطرّفْتُها وسُبَح .
مُراعِياً من حقّ النّسْبةِ ذِمّةً وإلّا[1] ، وليس فى محاسنِ تودُّدِه ما يُستثنَى بإلّا .
فشرّفنى لازال شرَفُ السادة شادخاً فى يَمينِه ، وقلمُ البَراعة راكعاً وساجداً فى مِحْراب يَمينِه .
برسالةٍ أخجلَت الخمائل ، وعلّمت الصَّبا لُطفَ الشمائل .
عرَضَها فى حَلْيِ البيان ، ونقَشَها فى فَصّ الزمان ، ليختِمَ بها الإحسان .
وضمّنها قصيدةً فى مدح السادة الطُّهْر ، ألمَعَ فيها بمَناقبَ كالشمسِ وقتَ الظُّهْر .
فما ترَكَ فى بيت ، توهُّماً لِلَوٍ ولَيْت .
كيف وهو ممّن لهم البيتُ والمَقام ، وإذا أخَذ أحدُهم القِرْطاس تَسابقتْ إليه الدُّوِيُّ والأقلام .
ولما اجْتلَيْتُ تلك البِكْر ، أعْملْتُ فى مُحاكاتِها الفِكْر .
فأدركنى عن لَحاقِها التّقْصير ، وعلمتُ أنه لا يُجارَى بحرُها الطويل فعمدتُ إلى البحر القصير .
وإنّى وإن قصَرْتُ فما قصّرْت ، وإن اخْتصرتُ فلغُصْنِ تلك الشجرة اهْتَصرْت[2] .
وغايةُ البليغِ أن يعترفَ بالقصور فى هذا الشان ، ويعلم أن مَدْحَ بَنِى المصطفَى شرَفُ المكان والزمان :

حقًّا بنُو المصطفى الأماثلْ ... ما إنْ لهم فى العُلَى مُماثِلْ
أهلُ الثنا عندَ كلّ مُثْنٍ ... أخبارُهم بهجةُ المحافلْ
أسماؤهم للعُلَى حُروزٌ ... من أجْلِ ذا كلُّها حَمائِلْ
أقمارُ حُسْنٍ تُضِىء لكنْ ... لها قلوبُ الورَى منازِلْ
إنْ أعْوزَ الآملين أمرٌ ... كانوا لها أنفعَ الوسائلْ

(١) الإلّ : العهد. (٢) هذا آخر الساقط من : ج ، الذى سبقت الإشارة إلى بدئه فى صفحة ٢٧٠

من كلِّ طَلْقِ الجبينِ سَمْحٍ تُثقِلُ نعماؤه الكواهِلْ
يُحاربُ العُسْرَ منه شَهْمٌ على المدى بالنَّوالِ صائِلْ
والكلُّ فَضْلٌ بلا انتهاء والفضلُ ما أنتجَ الفضائلْ
منهم حَبيبُ الزمانِ فَرْدٌ أرْبَى على السادةِ الأوائِلْ
مُمتدُّ باعٍ إلى المعالي وفي بُرُودِ الكمالِ رافِلْ
من كاملٍ أُنتقِيَ لديهِ في ثَنْيِ بُرْدَيْهِ ألفُ كامِلْ
ذو منطقٍ لو يرُوم قُسٌّ يحكيه أعْيَى فصار باقِلْ
يُبْدِي إذا نظَّم القوافي سِحْرًا به تَمَّ أمرُ بابِلْ[1]
يَراعُه إنْ سَقاهُ نِقْسًا فالطِّرْسُ يُغْنِي عن الخمائلْ
والعَنْبَرُ الرَّطْبُ من لَهَاهُ يقذِفُه البحرُ للسواحِلْ
أهْدَى لنحوِي عَرُوبَ نَظْمٍ تَزْهُو من الحسنِ في غلائِلْ[2]
أعْيَتْ على القائلين حتّى لم يَبْقَ قولٌ بها لقائلْ
مولايَ دُمْ في الورَى تُحَلِّي بالدُّرِّ جِيدَ المُنَى العَواطِلْ
واعْذِرْ مُشَتَّتَ الخيالِ صَبًّا بالرَّغْمِ من أرضِ مصرَ راحِلْ[3]
لولاكَ ما جادَ منه فكرٌ لم يحتمِلْ مِنَّةَ الصَّياقِلْ
واسْلَمْ مَدَى الدهرِ في نعيمٍ يَبْقَى ببُقْياكَ غيرَ زائِلْ

وقد أمرْتَني أن أجيبَك وأُجيزَك، وأُوازِن بمِثْقالِ كَلِمِي الحديدِ إبْرِيزَك.

فتحيَّرتُ بين أمْرَيْن أمَرَّيْن، ووقَع ذِهْني السَّقيمُ بين داءَيْن مُضِرَّيْن.

إن فعلتُ ما أمرْتَني به فما أنا من رِجالِه، ومَن أنا حتى أحْرِز شَوْطًا في مَجالِه.

كيف والمِيلادُ قريب، والسِّنُّ قد أخذتْ من النَّصَب بنَصِيب.

---

(١) في ا: «سحر بابل»، والمثبت في: ب، ج. (٢) العروب: الضحاكة من النساء.
(٣) سقط هذا البيت والذي يليه من: ج، وهما في: ا، ب.

والرُّؤْيةُ ما[1] تنقَع الغُلَّة ، والرِّواية دون القلّة .

وإن منعتُ أسأتُ الأدب ، وفوّتُّ من حُسْنِ الطاعة الأرَب .

ثم ترجَّح عندى الامتثال ، وأجبتُ سائلا منه تعالى توْفيق لصالحِ الأعمال .

وأجَزْتُك بجميعِ ما تجُوز لى روايته ، وتصِحُّ عنِّى دِرايتُه .

من مسموعٍ ومأثور ، ومنظومٍ ومنثور[2] .

وإجازةٍ ومُناولةٍ ، ومطارحةٍ ومُراسلةٍ ، ونَقْلٍ وتصنيفٍ ، وتنضيدٍ وتَفْويف .

ولى بحَمْدِ الله رواياتٌ كثيرة ، وأسانيدُ كالشمسِ رَادَ الضُّحَى[3] مُنيرَة .

وأمّا مَشايخى فلو كنتُ مِن شَرْحِ أحوالهم أنتصِف ، لقلتُ إنّ صحيفةَ العُمْر تضيق فيهم عمّا أصِف .

فذكرتُهم سَرْداً لأنّ مِثْلِى مَقْنوعٌ منه باليَسِير ، ومَعْذُور فى قِصَرِ الباعِ وضَعْفِ المَسِير .

وأىُّ نَسَبٍ بينى اليومَ وبين زُخْرفِ الكلام ، وإجالةِ جِيادِ الأقلام ، فى أوصاف الأعْلام .

بعد أن حال الجَرِيض ، بين الإنشاء والقَرِيض[4] ، وشُغِل الجسم المَرِيض .

واسْتولَى الكسل ، ونسَلت[5] الشَّعراتُ البيضُ كأنها الأسَل .

تَرُوع بِسِرْطِ الحَيَّات سِرْبَ الحياة ، وتطرّق بذوات الغُرَر[6] والشِّيات عند البَيات .

والشَّيبُ الموتُ العاجل ، وإذا ابيَضّ زَرْعٌ صَبَّحتْه المَناجِل ، والمُعْتبَر الآجل .

---

(١) فى ح : « لا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) من هنا إلى قوله : « والمعتبر الآجل » الآتى ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٣) راد الضحى : ارتفاعه . (٤) حال الجريض دون القريض : مثل يضرب فى فوات أوان الشىء ، وتقدم شرحه . (٥) نسل الشعر : انتفش .
(٦) فى ا : « الغرور » ، والمثبت فى : ب .

وأسألُ اللهَ تعالى مُفِيضَ الآلاء أن يستعملنى وإيَّاكَ فيما يُرْضِيه ، ويلطُفَ بنا وبالمسلمين فيما يُجْرِيه من أحكامٍ ويقضِيه .

ويجعلَنا ممَّن ختمَ له بالحسنَى ، ويُقرِّبَنا ممَّن جعلَ لهم المَقامَ الأسْنَى .

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِه وسلَّمَ تسليما كثيراً .

⁂

آخر الجزء الرابع ، ويليه الجزء الخامس ، وأوله :

الباب الثامن

فى تحائف أذكياء المغرب

فهرس

تراجم الجزء الرابع

رقم الترجمة | رقم الصفحة



رقم الإيداع بدار الكتب ٥٢٤٥/١٩٦٩